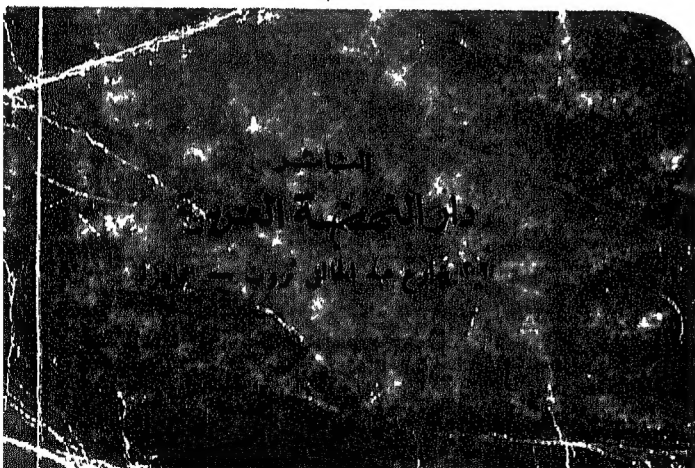




سِيكولوجية الشخصية

مبدأها . قياسها . نظرياتها



سِيكولوجية الشخصية مبدأها . قياسها . نظرياتها

تأليف

د. سید محمد ختمی

كلية الآداب — جامعة هين شى



المكتبة الوطنية
المكتبة الوطنية

الناشر

دار النهضة العربية

١٥٣٢ م - ١٩١٠ هـ

« إني رأيت أنه لا يكتب أحدٌ كتاباً في يومه ، إلا
قال في نفسه : لو خُيِّرَ هذا لكان أحسن ، ولو زيدَ
هذا لكان يُستحسن . ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضل ،
ولو تَرَكَ هذا لكان أجمل . وهذا من أعظم السيِّر .
وهو دليلٌ على استهلاك النفس على جُحمة البشر »

العماد الأصمعي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

مع التقدم السريع الذى طرأ على علم النفس فى العصر الحديث ، أصبح موضوع الشخصية من الموضوعات التى تحتل مكانا هاما بين فروع هذا العلم . فبعد أن كان الكاتب يمر مروراً سريعاً على هذا الموضوع ، ولا يكاد يشغل نفسه به ، إلا فى بعض فقرات أو فصول من فصول كتابه ، أصبح هذا الموضوع اليوم يشغل إهتمام الكثيرين من الباحثين فى علم النفس ، كما أصبح يؤلف فيه العديد من المؤلفات المتخصصة فى هذا الفرع ، وأفردت له كذلك المجلات العلمية الخاصة التى تنشر فيها أحدث الدراسات المتعلقة بالشخصية .

وموضوع الشخصية من الموضوعات التى تتطلب من القارئ إلماما بفروع علم النفس الأخرى ، كالتعلم والإدراك والتفكير والذكاء والدراسات الأخرى التى تتصل بالتحليل النفسى والطب النفسى . ولذا يحىى تدريس هذا الفرع من فروع علم النفس عادة بالجامعات وغيرها بعد أن يكون الطالب قد قطع شوطا فى دراسته لعلم النفس وألم ببعض فروعه . وقد حاولنا فى هذا الكتاب تقديم بعض الجوانب الهامة التى يحتاج إليها القارئ فى دراسته للشخصية وبما يلقى المرید من الضوء على هذا الموضوع .

والكتاب فى صورته الحالية مقسم إلى أبواب ثلاثة يعالج كل منها موضوعاً خاصاً . والرابطة واضحة بطبيعة الحال بين هذه الأبواب الثلاثة . الباب الأول يعالج موضوعات عامة عن الشخصية وتعريفها ثم يدرس محددات الشخصية : الوراثية منها والبيئية كما يمرض أيضاً لموضوع نمو الشخصية

وتطورها مع تقدم السن بالفرد من الطفولة حتى الكبر ، ثم بناء الشخصية على فهو ما تنظر إليه المدارس المختلفة التي تعرضت لدراسة هذا الموضوع .

والباب الثاني يختص بدراسة قياس الشخصية . وقد تعرض المؤلف فيه إلى العديد من الاختبارات الموضوعية والإسقاطية . وقد توخينا في هذا العرض لهذه الاختبارات ، وقوف القارئ على الاختبار وأهميته والجوانب المختلفة التي يقيسها في الشخصية . وهذا بالطبع لا يحول دون التجاء القارئ إلى التدريب الكافي على الاختبارات من حيث طريقة إجرائها وتطبيقها واستخراج نتائجها وتفسيرها إذا أراد استخدام أى منها إستخداماً عملياً .

والباب الثالث عرض فيه المؤلف لبعض نظريات الشخصية كمنظريّة التحليل النفسي ونظرية يونج وأدلر وبعض النظريات الحديثة في التحليل النفسي كمنظريّة كارين هورني وسوليفان وكذلك بعض النظريات الأخرى كمنظريّة المثير والاستجابة على نحو ما أوضحها دولارد وميلر ونظرية السمات على نحو ما أوردها جوردون البورت وأخيراً نظرية الذات على نحو ما جاءت عند كارل روجرز . ولا يمكن بالطبع في مثل هذا الجزء من الكتاب أن نعالج كل نظرية منها بشيء من الإفاضة ، فهذا مجاله كتاب خاص بالنظريات .

وأخيراً قدمنا موجزاً لكل نظرية يكتفي لإلقاء الضوء عليها ، وأهم المبادئ الأساسية التي تستند إليها في نظرتها للشخصية .

ونرجوا أن يكون في مادة هذا الكتاب ما يفيد القارئ العربي ويوقنه على الجوانب المتعددة لهذا الموضوع .

وافه ولي التوفيق ..

القاهرة سنة ١٩٧٢

دكتور سيد محمد سليم

(١)

محتويات الكتاب

الموضوع	ص
<u>الباب الأول : الشخصية : تعريفها . محدداتها . نموها وبنائها</u>	١
الفصل الأول : موضوعات عامة في دراسة الشخصية	٢
الفصل الثاني : تعريف الشخصية	٤٤
الفصل الثالث : محددات الشخصية	٥٩
الفصل الرابع : محددات الشخصية (تابع) محددات عضوية الجهاة	١٥٠
الفصل الخامس : محددات الشخصية (تابع) محددات الدور والموقف	١٤٠
الفصل السادس : نمو الشخصية	١٦٥
الفصل السابع : بناء الشخصية	٢١٤
الفصل الثامن : بناء الشخصية في ضوء نظرية المثير والاستجابة	٢٥٨
الفصل التاسع : بناء الشخصية في ضوء نظرية السمات	٢٧٣
الفصل العاشر : بناء الشخصية في ضوء نظرية التحليل العاقل	٢٩٤
<u>الباب الثاني : قياس الشخصية</u>	٣٢٣
الفصل الحادى عشر : مقاييس الميول والاتجاهات	٣٢٩
الفصل الثانى عشر : مقاييس الشخصية	٣٦٨
الفصل الثالث عشر : مقاييس التقدير والملاحظة والمقابلة	٤٣٥
الفصل الرابع عشر : الطرق الإسقاطية	٤٦٠
الفصل الخامس عشر : اختبارات الأداء	٥٠٩

٥٢٧	الباب الثالث : نظريات الشخصية
٥٢٨	الفصل السادس عشر : التحليل النفسي والشخصية . نظرية فرويد
٥٧٠	الفصل السابع عشر : نظرية يونج
٥٩٣	الفصل الثامن عشر : الفرد أدلر
٦٠٩	الفصل التاسع عشر : الشخصية في نظريات التحليل النفسي الحديثة
٦٤١	الفصل العشرون : الشخصية في ضوء نظرية المجال
٦٧١	الفصل الحادى والعشرون : الشخصية في ضوء نظرية المثير والاستجابة
٧٠٧	الفصل الثانى والعشرون : نظرية السمات عند جوردون البورت
٧٤٠	الفصل الثالث والعشرون : نظرية الذات عند كارل روجرز
٧٧٢	المراجع العربية
٧٧٥	المراجع الاجنبية

الباب الأول

الشخصية

تعريفها . محدداتها

نموها وبنائها

الفصل الأول

موضوعات عامة في دراسة الشخصية

مقدمة :

موضوع الشخصية من الموضوعات التي تحتل مكاناً هاماً في علم النفس الحديث . وهذا الموضوع هو نتاج طبيعي لفرعين هامين من فروع علم النفس وتعنى بهما علم النفس التجريبي وعلم النفس الإكلينيكي . وقد استمد الكثير عن طبيعته من هذين الفرعين . وكأي صنف ، أخذ ينمو ويشهد مساعده شيئاً فشيئاً حتى تمكن من الوقوف على قدميه كفرع هام من فروع علم النفس . ومع ذلك ، فهو وثيق الصلة أيضاً بغيره من فروع العلم الأخرى . . . كعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وغيرهما . . .

ويتضح دور علم النفس التجريبي في بيان إمكانية دراسة السلوك الإنساني وتحليله تحت ظروف من الضبط والدقة على النحو الذي نبحثه في معامل علم النفس وفي الدراسات التجريبية الأخرى ولم يكن عامل الضبط قائماً بالطبع حين كان علم النفس كله فرعاً من فروع الفلسفة القديمة ، وإنما بدأ مع أول دراسة عملية دقيقة تمت في أول معمل لعلم النفس التجريبي بمدينة ليبزج بألمانيا على يد د. ولهم فنت ، عام ١٨٧٩ .

ولكن سرعان ما أثار علم النفس التجريبي الإحباط لدى الكثيرين من المشتغلين بعلم النفس . ذلك أن علماء علم النفس التجريبي كرسوا جهودهم لتحليل محتويات الشعور على أمل اكتشاف العناصر العقلية البسيطة على نحو ما فعل علماء الكيمياء في محاولتهم اكتشاف العناصر الكيميائية الأولية . هذا

من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن هذه الدراسة قد أغفلت جانباً آخر لا يقل أهمية عن دراسة محتوى الشعور . فقد أوضح فرويد أن علماء نفس الشعور أغفلوا دراسة مكون هام من مكونات النفس الإنسانية يعد أكثر أهمية وتأثيراً في دراسة السلوك ، ونعني به « اللاشعور » .

فليس غريباً إذن أن تصدر الكثير من المفاهيم المتصلة بالشخصية عن الأطباء النفسيين ، وهم - كما نعلم - لا تربطهم رابطة قوية بعلم النفس التجريبي . ومن المألوف في هذا الصدد « بيرجانيه » و « سيجموند فرويد » و « الفرد أدلر » و « كارل يونج » و « كارين هورني » و « هاري ستاك سوليفان » وغيرهم كثيرون .

فلقد استمد فرويد مثلاً ملاحظاته الأساسية ونظريته من خبرته الإكلينيكية الواسعة مع مرضاه الذين كانوا يعانون من اضطرابات انفعالية . وأدى تعمقه في الأمراض النفسية إلى تكوين اتجاهات من التفكير بدت تخالف كل المخالفة لاتجاهات التجريبيين الذين كانوا يهتمون عن العناصر العقلية للعقل الشعوري . وليس من العسير على الفهم أن ندرك اختلاف هذين الاتجاهين من اتجاهات التفكير .

وزاد الاهتمام بعلم النفس المرضي زيادة ملحوظة تحت تأثير فرويد ، ليس فقط من ناحية كثرة عدد المشكلات التي أصبح على عالم النفس التصدي لدراستها ، بل وأيضاً من ناحية الدراسة النقدية للبناءج والطرق المستخدمة . وكان من نتيجة ذلك أن رحب الكثيرون باتساع مجالات اهتمامهم ، إلى مجالات جديدة لم تكن مطروقة من قبل في علم النفس التجريبي .

ولكن الكثيرين من الباحثين لم ينظروا بارتياح إلى طريقة فرويد في البحث ، ونعني بها استخدام الأسلوب الإكلينيكي الذي يعتمد أساساً على

مما يقوم به مجال واحد.. وبصورة فردية مع مرضاه.. ممسكاً يتناقض مع معايير الضبط التي يجب توافرها للدراسات العلمية وكذلك تعذر تكرار الملاحظات التي يجريها الباحث أو الباحثون الآخرون.. وإمكان إعادة التجربة تحت نفس ظروف الضبط والدقة.

في مثل هذه الظروف، ظهرت جماعة من علماء النفس العلمي هم: علماء النفس الشخصية، يتعاطفون مع أنواع المشكلات التي يهتم بها عالم النفس المرضي، ولكنهم في الوقت نفسه يحاولون إخضاع هذه المشكلات والدراسات إلى أصول البحث العلمي التجريبي، ويفرضون عليها معايير الضبط والدقة. لا يبنون فائدة المنهج الإكلينيكي كوسيلة للوصول إلى فروض، ولكنهم رقت نفسه يصرون على مراجعة صدق هذه الفروض بوسائل البحث العلمية المنظمة الدقيقة. وكان من نتيجة ذلك أن أصبح عالم النفس الشخصية سائلاً لمشكلات القياس. استخدام المجموعات التجريبية والضابطة في بحثه، والتأهيلية لإعادة الملاحظات واختيار العينات المناسبة إلى آخر هذه التغيرات التي نهم بها في البحوث التجريبية، كما كان من نتيجة ذلك أيضاً أن أصبح عالم نفس الشخصية على وعي ومعرفة بوجود مشكلات كثيرة هامة تسهل بالشخصية السوية، أغفلها عالم النفس المرضي الذي ركز اهتمامه على الحالات المرضية وحدها. وبعبارة أخرى.. إن عالم النفس الشخصية، شأنه شأن عالم النفس التجريبي، أخذ يتطلب الدقة والضبط والمعالجة السمية والمستخدم أساليب القياس الدقيقة، ولكنه في الوقت نفسه يحس بالحاجة إلى معالجة مشكلات تخرج عن نطاق الدراسات العملية التجريبية التقليدية، وتمت بصفة إلى الإنسان في سوائه وانحرافه.

عرض تاريخي لدراسة الشخصية:

اختلف اهتمام الناس بموضوع الشخصية ابتداءً من الإنسان القديم حتى.

علياء النفس في العصور الحديثة . وسوف نعرض باختصار لمدي اهتمام الناس بهذا الموضوع ، في مختلف العصور .

الإنسان القديم :

لا نتوقع أن نجد في التاريخ المسطور عن الإنسان ما يبين لنا متى وكيف بدأ الاهتمام بالمشكلات التي تدرج اليوم تحت موضوع الشخصية . وليس ثمة شك أن الاهتمام العملي بنواحي الشخصية ومشكلاتها قديم ، رغم أن الأمر قد تطلب سنوات طويلة جداً قبل أن يصبح مثل هذا الاهتمام موضوع دراسة علمية دقيقة . وقد يكشف ذلك عن المقاومة العميقة من جانب الإنسان لدراسة نفسه دراسة موضوعية وبشكل طبيعي .

ولا بد أن يكون الإنسان القديم قد لاحظ :

(أ) الفروق الموجودة في أنماط السلوك للناس من حوله .

(ب) ما قد يكون عليه هذا السلوك من ثبات نسبي أحياناً .

(ج) ومن تغير أحياناً أخرى .

وهذه النواحي الثلاث يمكن النظر إليها باعتبارها من الخصائص الأساسية التي أفهم عليها علم دراسة الشخصية . وربما يكون هذا الإنسان القديم قد فكر بعمق أيضاً في مشكلة التنبؤ بسلوك الآخرين ، حيث أن وجوده هو ، يتوقف إلى حد بعيد على التنبؤ بسلوكهم . ولكن ليس ثمة أساس يمكن الاستناد إليه في القول بأن الإنسان القديم كانت لديه فكرة علمية ، ولو بسيطة ، عن السلوك . ومع كثرة ما للعلم من خصائص ، فإن خاصيته الأساسية هي إمكان إيجاد تفسير للظواهر الطبيعية من داخل الطبيعة ذاتها ، ودون الالتجاء إلى قوى خارجية عنها . ولم يكن هذا الاتجاه العلمي واضحاً في تفسير السلوك في العصور القديمة . فالرجل البدائي كان يرد ألوان السلوك المختلفة إلى قوى

خارجة عن الطبيعة وتفوق الطبيعة أحياناً كثيرة . فهو قد لاحظ السلوك المرضى ، ولكنه في تفسيره له ، كان يعزوه إلى وجود أرواح شريرة ، أو إلى قوى تفوق الطبيعة ، بدلا من البحث عن العلل الطبيعية لهذا السلوك . وحتى اليوم ، ورغم أننا نحاول فهم السلوك السوى والمرضى بالأسلوب العلمى ، إلا أنه لا يزال يفتنا من هو أبعد ما يكون عن التفسير العلمى لمثل هذا السلوك .

عند الإغريق :

وكان اليونان القدامى أكثر تفاؤلا من حيث قدرة الإنسان على فهم سلوكه والتحكم فيه . فسقراط مثلا (٤٦٩ - ٣٩٩ ق . م) كان يعتبر الوظيفة الأساسية للإنسان هي : أن يعرف نفسه ، وذلك تحقيقاً لتلك الحكمة المسطورة على معبد دلفي « إعرف نفسك » .

وكانت نظرة سقراط إلى العالم الطبيعى بعيدة تماماً عن النظرة العلمية . فكان يعتقد أن أحداثه وتغيراته ترجع إلى الآلهة الذين يخفون المعرفة الضرورية عن الإنسان . ومن ثم فلا جدوى لدراسة مجالات الفلك والطبيعة وما إليها ، ولذلك وجه سقراط اهتمامه نحو الإنسان . فإذا لم تكن هناك فرصة لمعرفة العالم الطبيعى ، فلنعرف أنفسنا . ومن هنا اتجه سقراط إلى معرفة الذات ، ودعا إلى ضرورة معرفة الإنسان لنفسه كهدف أصمى للمعرفة . وربما كانت المشكلات الانفعالية التى واجهت سقراط هي أحد الأسباب التى دفعته إلى الاتجاه نحو معرفة نفسه . فاهتمام الفرد بدراسة الشخصية قد يصدر عن مشكلات التوافق مع الآخرين ، كما قد تزداد حساسيته لمشكلات الشخصية بزيادة خبرته فى التوافق معهم .

وقد وضع أفلاطون (٤٢٨ - ٣٤٨ ق . م) الكثير من القضايا المثيرة للفكر فيما يتصل بالطبيعة الإنسانية . ففي « الدفاع عن سقراط » أورد

على لسان سقراط : أن الحياة التي لا تعرف ، ليست جديدة بأن تسمى حياة .
ومن أفسكاره أيضاً تقسيم قوى النفس إلى : شهوية ومركزها البطن ، وغضبية
ومركزها القلب ، وعاقلة ومركزها الدماغ . وهذا يقترب مما يقوله المحدثون
في تقسيمهم للظاهرة النفسية إلى إدراك وجدان ونزوع . وربما كانت فلسفة
أفلاطون بوجه عام أقوى المؤثرات في بقاء واستمرار فكرة القناع « برسونا »
في تعريف الشخصية عبر هذه الأجيال العديدة . ووجهة نظر أفلاطون تمثل
أصدق تمثيل للفلسفة المثالية التي لا تزال قائمة حتى الآن ، والتي لا يمكن أن
نسقطها من الحساب أو أن نقل من قدرها عند دراسة مشكلة الشخصية .
فلا يزال البعض يعتقد أن الشخصية هي مجرد الواجهة التي يفترض أن يكون
وراءها جوهر ما . ولعلنا نلبس في كتابات أفلاطون الكثير من الأفسكار
التي جاءت بعد ذلك بقرون عديدة عند فرويد . فليس من الصعب على القارئ -
كما يقول إريك فروم - أن يلبس التشابه الواضح بين ما كتبه أفلاطون
في الجمهورية وما كتبه فرويد عن الأحلام في كتبه العديدة .

أما أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق . م) فقد قدم الكثير من الأفسكار
عن الإنسان . وربما كانت الفسكرة التي تهتمنا هي تلك التي يشير فيها إلى العقل
باعتباره صفحة بيضاء تنقش على جدرانها الداخلية الخبرات المختلفة التي تمر
بالفرد وقد كانت هذه الفسكرة هي جوهر فلسفة جون لوك (١٦٣٢ - ١٧٠٤) ،
ولا يزال صداها يتردد عند بعض المفكرين .

وقول أرسطو أن العقل يولد صفحة بيضاء خالية من كل نقش ، وأن
ما ينقش عليه هو نتيجة الخبرات المختلفة التي تمر بالفرد ، يقر به من مذهب
أنصار البيئة الذين يذهبون إلى أن الشخصية تتحدد أساساً بالعوامل البيئية
والاجتماعية والخبرات المختلفة التي تمر بالفرد في حياته . فسمات شخصية
الفرد تتحدد بالخبرة والتجربة : ولعل هذا الرأي أقرب إلى ما يأخذ به حالياً

علم النفس الأمريكي . ومع ذلك لا نستطيع أن ننكر الاستعدادات الفطرية والموروثة ، أو التكوينات البيولوجية التي تلعب دوراً هاماً في تكوين الشخصية ونموها . فسمات شخصية الفرد ليست نتاج الخبرة وحدها ، وإنما هي محصلة عوامل عديدة ، تكون الخبرة إحداها . ومع ما لفكرة أرسطو من أهمية وتأثير ، فلا يسعنا قبولها كأساس سليم لفهم الشخصية .

أما بقراط (٤٦٠ - ٣٧٠ ق. م .) - أبو الطب عند اليونان القديس . فكان أول من جعل المشكلات السلوكية والسيكازية موضع اهتمام الأطباء . ودراستهم ، بعد أن كانت تعزى إلى تدخل الآلهة وإلى قوى أخرى ، تقوم على الطبيعة . وقد قدم تفسيرات بيولوجية لهذه المشكلات . وكانت قدرته الحقيقية في قوة ملاحظاته وتسجيله لهذه الملاحظات وفي استنباطه العللي . وقد عرّف الفروق في الأمزجة بين الناس وقدم نظريته المعروفة لتفسير هذه الفروق . لقد أرجع الاختلافات بين الناس في النواحي الانفعالية أو في الأمزجة إلى اختلافات في أسماء باسم « الكيمياء الحيوية للجسم » . وأقام تقسيمه على أساس تقسيم الفيلسوف « أنابادوقليس » للعناصر الأربعة للسكون وهي : التراب ، والهواء ، والنار ، والماء . وقسم أبقرراط الأمزجة إلى أربعة تقابل العناصر الأربعة . فهناك « المزاج السوداوى » و « المزاج الدموى » و « المزاج الصفراوى » و « المزاج البلغمى » . وهذه الأمزجة لو اختلطت بنسب متكافئة ، كان الشخص سليماً من الناحية النفسية ؛ أما إذا تغلب إحداها ، يحدث المرض . ورغم أن جوهر النظرية قد اختلف ، إلا أن شكلها ظل باقياً . فنحن اليوم بدلا من التحدث عن الأخلاط ، نتحدث عن الهرمونات وغيرها من المواد الكيميائية الحيوية التي تؤثر في السلوك الذى نلاحظه .

أما ثيوفراستس (٣٧٢ - ٢٨٧ ق. م .) - أحد تلاميذ أرسطو - فكان أول من بدأ محاولة رسم صور كلامية الأنماط العامة للإنسان . وهذا

العمل صعب ولا شك ، حتى ولو كانت المادة المناسبة لذلك تحت تصرف الشخص ، إذ يتطلب مهارة وقدرة لغوية فائقة . وكان ثيوفراسطس أحد المتنازعين في وصف الشخصية . ويقول روباك في كتابه " شخصية الخلق " ١٩٣١ : " إن بعض الأساطير الإغريقية القديمة تذهب إلى أن ثيوفراسطس قام بكتابة شخصياته ، وهو في سن التاسعة والتسعين بعد تأمل طويل في تلك المشكلة المحيرة ، والتي يلخصها في قوله : " لماذا تتفاوت شخصياتنا نحن معشر اليونانيين كل هذا التفاوت الملحوظ ، نحن الذين نطلقنا سماء واحدة ، وتلقينا تسلياً متشابهاً ، وقد قدم لنا ثيوفراسطس صوراً عديدة للشخصيات التي نتألم ويرها على هذا النحو ، وكان يتبع في كل منها نفس النمط : تعبر الشخصية عن وصف الشخصية التي تسود لديها هذه السمة وتعبّر عن قوتها بطرق مختلفة . ومن ثم أصبح أن ثيوفراسطس لم يصف كل الأنماط الإنسانية كما نألم ، هناك تداخلاً ملحوظاً في تلك الأنماط التي قام بوصفها ، كما لم يميز كيف تمت هذه الشخصيات وتطورت . ولكن رغم هذه المآخذ ، فإن شخصيات ثيوفراسطس قد رسمت براعة فائقة حتى أن الإنسان يمكنه أن يتعرف على مثل هذه الأنماط بين معارفه أو المحيطين به ، ولقد قدّمه العرب في كتاب " الشخصية " (١) للسيكولوجيين المعاصرين بقوله : " ليس غريباً شك أن تصورات ثيوفراسطس الذكية الواضحة للأنماط الإنسانية قد خلقت له شهرة دائمة ، وكانت بمثابة النموذج الذي يحتذيه المقلدون في هذين الألفين من السنين . ولقد وصف ثيوفراسطس أنماطاً من الشخصيات التي عاشت في عصره ، بدلاً من التركيز على وصف شخص واحد بالذات . كما أقامها في ناحية أخرى لم نصل إليها إلا في القرن العشرين . فقد أوضح أنه لابد

(1) Allport, G. Personality : a psychological interpretation, New York: Holt, Rinehart and Winston, 1937 .

أن يصبح أى تعميم لصفة ما أمثلة محسوسة ، وسلوك يمكن ملاحظته ، وبواسطته يمكن التعرف على الصفة أو السمة . وهذا أقرب إلى أسلوب التعريفات الإجرائية التى تحدث عنها برديجان عام ١٩٢٨ (١) .

ولقد تبع أسلوب ثيوفراسطس بعض الكتاب المحدثين من أمثال شوسر وبن جونسون وجوزيف إديسون وريتشارد سستيل وصموئيل جونسون وجورج إليوت وصموئيل بنلر وغيرهم .

عند الرومان :

إن ما أضافه الرومان فى مجال الشخصية كان محدوداً ولا يقاس بما قدمه اليونان . ومع ذلك ، لا تخلو هذه الفترة من أهمية بالنسبة لاضطرابات الشخصية والمرض النفسى وكيفية تداول المرضى العقليين . لقد كانت الخرافات فيما يتصل بأسباب المرض النفسى تعم المجتمع الرومانى ، كما كان الحال بالنسبة لجميع العصور القديمة . ومع ذلك ، كانت هناك أصوات تدعو إلى اتخاذ اتجاه طبيعى نحو علاج المرض العقلى وضرورة معاملة المرضى معاملة إنسانية .

وربما كان أهم ما يعنينا فى هذه الفترة هو ما يتصل بأصل كلمة « شخصية » . فالإيونان - رغم نظرهم المرسعة للشخصية - لم يبتدعوا اللفظ نفسه . فالمصطلح الانجليزى Personality أو الفرنسى Personnalité والذى يبدو أنه ظهر فى القرن الرابع عشر - يرجع فى الأغلب إلى الأصل اللاتينى Personlitas الذى ظهر فى العصور الوسطى ، والذى يرجع بدوره إلى اللفظ اللاتينى القديم Persona « برسونا » ومعناه : القناع الذى كان يرتديه الممثل على المسرح ليعطى المتفرجين انطباعاً بالدور الذى يقوم به ، أو ليخفى معالم

(١) محمد عماد الدين - سماعيل : الشخصية والعلاج النفسى . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة - ١٩٥٩ .

شخصيته الحقيقية ويظهر بمظهر آخر . والتعريف بالانطباع الذى يحدثه الفرد .
فى الآخرين هو أحد التعريفات العديدة التى تعرف بها الشخصية والتى تشير
إلى المظهر الخارجى الذى تبدو عليه الشخصية .

ثم هناك تعريفات مشرونة للفظ الشخصية والتى حولت اللفظ من معناه
الحسى إلى معنى مجرد له صور متعددة . وقد أشار البورت فى كتابه الشخصية
(١٩٣٧) إلى معان أربعة مختلفة وردت فى كتابات مشرونة تشمل جميع
الآفكار الحديثة لهذه الكلمة على نحو ما سنوضح فى حديثنا عن
« تعريف الشخصية » (١) .

فى العصور الوسطى :

وإذا نظر الفكر فى عصور مظلمة فى أوروبا خلال القرون الوسطى . ومن
ذلك ، فهذه الفترة لم تنل من آثار طيبة عند العرب ، فى الوقت الذى كان فيه
المرضى المملوكون يعانون صنوف المذابح وعدم الرعاية الطبية ، ويعاملون
معاملة غير إنسانية فى مختلف البلاد الأوروبية . كان العرب يقومون بحركات
إنسانية واسعة النطاق من أجل هؤلاء . ويكفى أن نشير إلى أن من أول
مستشفيات الأمراض العقلية فى العالم ، كانت مستشفيات بغداد عام ٧٠٥ م ،
ومستشفى قلاوون بالقاهرة عام ٨٠٠ م ، ومستشفيات دمشق وحلب عام
١٢٧٠ م . هذا فى الوقت الذى لم تظهر فيه هذه الحركة الإنسانية فى أوروبا
وأمرىكا ، إلا فى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حين كرس
« تشارلس بيرز » الذى كان طالباً بجامعة ييل وأصيب بلوثة عقلية شفى منها
وألف كتاباً سماه « عقل وجد نفسه » — ثروته من أجل الدعوة إلى ضرورة
توفير الأطباء لعلاج هؤلاء المرضى ومعاملتهم معاملة إنسانية .

(١) انظر الفصل الثانى من الكتاب .

في العصور الحديثة :

وقد ظل علم النفس أجيالاً طويلة فرعاً من فروع الفلسفة ، ولم يستقل عنها إلا بعد أن أصبح له موضوعه الخاص به ، ومنهجه الخاص به ، وبعد أن ظهرت التجارب العملية المضبوطة والدقيقة على يد جوستاف ثنر ، (١٨٠١ - ١٨٧٧) و هيلم هنت ، (١٨٣٣ - ١٩٢٠) . وقد ركز هذا العلم التجريبي الجديد جهوده لدراسة العقل الإنساني عامة والعمليات العقلية الشعورية كالإدراك والتذكر والتفكير والسيان والتخيل والتصور وغيرها . وفي نفس هذا الوقت كان الأسلوب العلمي يأخذ طريقه إلى ميدان الطب النفسي لدراسة مشكلات الشخصية الشاذة أو غير العادية . وكانت المساهمات التي قدمها هذان الفرعان - وغيرهما - بداية ظهور علم نفس الشخصية على نحو ما سوف نوضح فيما بعد .

وفي هذه الأثناء ظهرت بعض النظريات والأفكار التي تعد بمثابة نقط ارتكاز هامة أفادت فروع العلم المختلفة ، وانعكس أثرها واضحا على دراسة الشخصية فيما بعد . ومن هذه :

(١٠) نظرية التطور لدارون (١٨٠٩ - ١٨٨٢) :

ويعتبر كتابه « أصل الأنواع » (١٨٥٩) ، نقطة تحول ملحوظة في تفكير الإنسان وفي نظريته لطبيعته الخاصة . فكان لهذا الكتاب تأثير ملحوظ في علم النفس العلمي الذي كان قد بدأ يأخذ سبيله إلى الظهور ، كما كان له تأثير أيضاً على دراسة الشخصية فيما بعد . لقد غيرت نظرية دارون من نظرة الإنسان لنفسه . وكانت الملاحظات العديدة التي جمعها لتدعيم نظريته تفوق بكثير جهود السابقين عليه ، وجعلت من العسير على الباحثين إغفال وجهة نظره . كما أن تقدم العلوم البيولوجية في ذلك الحين كان قد بلغ درجة

جعلت آراء دارون تأتي في حينها ، ومن ثم وجدت أرضاً خصبة تنمو فيها .
وئمة مبدآن هامين يمكن استخلاصهما من نظرية دارون ، كان لهما انعكاسهما
فيما بعد على دراسة الشخصية . وهذان المبدآن هما الفروق العادية بين الناس
ثم البقاء والتوافق . .

أما الفروق العادية بين الناس ، فمن الملاحظ أن علماء البيولوجيا قبل
دارون ، كانوا يميلون إلى تأكيد ناحية التشابه بين الأفراد داخل النوع الواحد .
أما هؤلاء من فروق ملحوظة ، فلم يكن أمامهم سوى إغفالها أو إنكارها
باعتبارها شوائب تخرج على القانون العام . أما دارون فقد نظر إليها على أنها
واقعة طبيعية وشرقية . فالفروق الفردية موجودة إذن على جميع
نويات مناس التشويع النوعي .

ولقد أدرك علماء النفس - بعد ذلك - أهمية هذا المبدأ الذي ينطبق
فقط على التركيب التشريحي والعمليات الفسيولوجية ، بل وأيضاً على
الأنواع المختلفة من العمليات العقلية والسلوك . وكان سير فرانس جالتون ،
من أوائل من أدرك أهمية هذه الملاحظة في دراسة العمليات العقلية والسلوك .

والغريب أن علماء النفس التجريبي الأول الذين اهتموا بدراسة العقل
عاماً ، لم يوجهوا اهتمامهم لدراسة هذه الفروق الفردية ، واعتبروها خروجاً
على القانون العام الذي يبحثون عنه ، وأنها شوائب وأخطاء في القياس يمكن
إغفالها . ولم يكن طلاب البحث يحدون التشجيع من أساتذتهم لدراسة مثل
هذه الفروق الفردية ، إلى أن قام جيمس ماكين كانل ، - أحد تلاميذ فنت
دوغم معارضة أستاذه أول الأمر - بدراسة الفروق الفردية في زمن الرجوع ،
وأوضح بالتجربة ، وبما لا يدع مجالاً للشك ، وجود فروق فردية واضحة
بين الأفراد المختلفين ، وبما لا يدع مجالاً للشك ، وجود فروق فردية واضحة

.. واليوم أصبحت الفروق الفردية حقيقة مسلم بها في دراستنا للسلوك ، بل وتعتبر بمثابة إحدى الركائز الهامة التي تقوم عليها دراسة الشخصية .

والمبدأ الثاني - وهو البقاء والتوافق - أوضحه دارون في فكرته عن الانتقاء الطبيعي وبقاء الأصلح . ولقد وجه دارون الانتباه إلى كيف يتوافق مع بيئته . وقد أصبحت عملية التوافق هذه إحدى النقاط - سة الشخصية . حتى أن « البورت » يذكر التوافق الاجتماعي مع من التعريفات العديدة التي تعرف بها الشخصية . فالشخصية ، في نظر هؤلاء الذين يأخذون بالتعريفات « الحيوية الاجتماعية » والتي تأثرت إلى حد واضح بفكرة دارون - هي تلك الميول الثابتة عند الفرد ، والتي تنظم عملية التوافق بينه وبين البيئة ، أو هي « تكامل أنظمة العادات التي تمثل خصائص توافقات الفرد مع البيئة » . فخصائص الشخصية تنمو نتيجة محاولة الفرد إقامة علاقة مؤثرة بينه وبين البيئة ، فالتغيرات التي تطرأ سواء في عالم الفرد الخارجي أو الداخلي تدفعه إلى تعديل سلوكه من أجل البقاء ، ومن أجل إشباع حاجاته الأساسية وتجنب التوترات المختلفة غير المرغوب فيها . ثم إنه - نتيجة لنمو أساليب متميزة استجابة لهذه التغيرات - يمكن أن نلاحظ وجود نمط ثابت من الاستجابة عند الفرد ، مما يمكننا من القول بوجود سمات معينة للشخصية .

(ب) العلوم الطبيعية والقياس :

والعلم الطبيعي موضوعي ، تجريبي ، منطقي ، وكمي . وجميعها صفات تهدف إليها فروع العلم المختلفة بما فيها علم النفس . ولقد بدأ العلماء المحدثون يهتمون بشكل واضح بالكشف عن القوانين الطبيعية التي تخضع لها الظواهر . واستندوا في دراستهم إلى الملاحظة والتجربة واعتمدوا على الأدوات

«وأجهزة القياس الدقيقة ، ورفضوا في تفسيرهم للظواهر الطبيعية الرجوع إلى أية مفاهيم ميتافيزيقية أو فلسفية . وما يهمنا نحن — في علم النفس عامة وعلم نفس الشخصية خاصة — ليست هذه القوانين الطبيعية الخاصة التي توصل إليها علماء الطبيعة كل في فرع تخصصه . بل كيف أمكن الاستفادة من الاستخدام الدقيق للقياس والأساليب السكينة والرياضية — في تقدم هذا الفرع من فروع الدراسة . لقد اتضح أثر العلوم الطبيعية على علم النفس في الاتجاه إلى التجارب البعيدة المضبوطة ، ونبتذ التفسيرات الفلسفية والميتافيزيقية ، ثم في استخدام وسائل القياس المختلفة في دراسة الظواهر الإنسانية . ولكن رغم إدراك علماء النفس لأهمية القياس في العلم ، إلا أنهم لم يفيدوا منه في دراسة الشخصية إلا متأخراً . عندما بدأ هذا الاتجاه يظهر مع بداية القرن العشرين نتيجة الجهود الكبيرة التي قام بها كبار الباحثين في هذا الميدان .

ففي إنجلترا ، كان جالتون من أوائل من أدرك أهمية الفروق الفردية ، واستخدم الإحصاء كوسيلة للدراسة ، ووصل إلى فكرة المنحنى الاعتدالي . ووضع بذلك أسس القياس العقلي ، كما وصل إلى فكرة معاملات الارتباط وفكرة المحركات التي تستخدم في قياس صدق الاختبار ، والذي يعنى أنه يقيس ما وضع لقياسه .

وقد ساهم من أتى بعده بجهودهم الكثيرة في التواحي الرياضية والإحصائية ووضعوا طرق معاملات الارتباط والتحليل العامل . والتي ظهرت نتائجها واضحة في مجال الذكاء في بداية الأمر ، ثم بعد ذلك في مجال الشخصية . ومن أبرز الباحثين في هذا الاتجاه في إنجلترا هانز ج . إيزنك (١٩١٦ -) ، وفي أمريكا راي موند كاتل وبول جيلفورد .

هاتان الركيزتان — ونعني بهما نظرية دارون والعلوم الطبيعية والقياس -

ظهرت آثارهما واضحة في فروع علم النفس التي مهدت السبيل لظهور الشخصية ، وبخاصة في علم النفس التجريبي وعلم النفس الإكلينيكي . وهذا يدعونا إلى إلقاء المزيد من الضوء على مدى مساهمة كل من علم النفس التجريبي وعلم النفس الإكلينيكي في دراسة الشخصية .

١ - علم النفس التجريبي :

لقد أفادت دراسة الشخصية من هذا الفرع في ناحيتين : الأولى أن أعمال علماء النفس التجريبي قد دعمت الاعتقاد - فيما بعد - في إمكان قياس وتحليل العمليات النفسية داخل إطار مطالب المعمل الدقيقة . وإذا كانت الجهود موجهة في أول الأمر إلى دراسة الإحساس ، والإدراك ، والتصور ، والتخيل ، ورد الفعل ، أكثر مما اتجهت إلى دراسة الشخصية ، إلا أن هذه الجهود قد ساهمت بالطبع في تمهيد الطريق أمام استخدام القياس والتجريب في المجالات السيكولوجية الأخرى . والناحية الثانية : أنه من خلال الدراسة التجريبية المضبوطة ، ظهرت فكرة دراسة الفروق الفردية على أساس تجريبي . على نحو ما فعل جيمس ماكين كاتل (١٨٦٠ - ١٩٤٤) ، وبذلك وضع أساس أحد المبادئ الهامة في دراسة الشخصية على أساس تجريبي .

وقد أخذت فكرة إمكان قياس العمليات العقلية ، سيئها إلى فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر ولم يكن الدافع إليها بالطبع هو فكرة التطور (على نحو ما حدث في إنجلترا) أو الروح المعملية المضبوطة (على نحو ما حدث في ألمانيا) ، وإنما كان الاهتمام بالأطفال غير العاديين وضعاف العقول ، وضرورة إيجاد الوسائل العملية للتعامل معهم .

فقد أدرك المربون في فرنسا في أواخر القرن الماضي أن وجود التلاميذ ضعاف العقول وغير العاديين في فصل واحد مع التلاميذ العاديين ، فيه مضیعة

لوقت والجهد والمال ، ولا يفيد أية مجموعة منهما الفائدة المرجوة . وكانت تلك هى المشكلة التى واجهت وزارة التربية فى فرنسا فى ذلك الحين ، بعد أن أصبح التعلم إجبارياً . وقد لجأت الوزارة إلى الفرد بينيه (١٨٥٧ - ١٩١٣) وكان طبيباً يهتم بمشكلة القياس العقلى . ووضع بينيه لذلك مقياساً بسيطاً ١٩٠٨ مكن بواسطته التمييز بين التلاميذ العاديين وغير العاديين . وكان هذا هو أول مقياس عقلى يوضع على أساس علمى . وقد أدخل عليه بينيه تعديلين أحدهما ١٩٠٨ ، والآخر سنة ١٩١١ ، كما أدخلت على المقياس الفرنسى تعديلات أخرى عديدة كان أهمها ذلك التعديل الذى قام به ترمان بجامعة ستانفورد (١٩١٦) والذى عرف باسم « مقياس استنفورد - بينيه للذكاء » ثم تعديل نرمان ومريل (١٩٣٧ و ١٩٦٠) . وكان هذا النجاح الذى أحرزه بينيه فى قياس الذكاء دافعاً قوياً لوضع الكثير من الاختبارات الأخرى المتنوعة ، والتى مهدت السبيل إلى وضع مقاييس الشخصية فيما بعد . وقد ساهم علماء النفس الأمريكان فى هذا الصدد مساهمة فعالة . فقام « روبرت وودورث » - وهو من الرعيل الأول لعلم النفس التجريبي فى أمريكا - بوضع أول اختبار لقياس الشخصية وكان الهدف منه التمييز بين العاديين وغير العاديين من المجندين خلال الحرب العالمية الأولى .

ولم يقف الأمريكان عند حد استخدام الاختبارات فى قياس الشخصية بل ساعدهم تطور التجريب عندهم واستخدام الأجهزة الدقيقة على إمكان قياس الشخصية فى المعمل مثلما يدرسون الإحساس والإدراك والتعلم وغيرها من العمليات العقلية الأخرى . وتعنى الدراسة المعملية للشخصية ملاحظة وتسجيل السلوك تحت ظروف من الضغط والدقة . وقد أوضح علماء النفس الأمريكان أن من الممكن إقامة تجارب مقيدة ومضبوطة على

الشخصية ، تحدد فيها متغيرات مستقلة وتابعة ، ويمكن مقارنتها من حيث الدقة والضبط بالتجارب الأخرى التى تجرى داخل المعمل بالنسبة لعلم النفس التقليدى .

٢ - علم النفس الإكلينيكي :

أما علاقة علم النفس الإكلينيكي بالشخصية فعلاقة وثيقة . والحقيقة أن جانباً كبيراً من دراسات الشخصية استمر وثيق الصلة بمشكلات المرض النفسى . حتى أن تعريف الشخصية السوية كان يتم بطريقة سلبية ، أى عن طريق خلوها من المرض النفسى ، على نحو ما كان عليه الحال بالنسبة للصحة الجسمية . ولكن فى السنوات الأخيرة . لم يعد علم الطب والصحة النفسية قاصرين على الاهتمام بالمرض ، بل أخذت تعريفاتهما تصاغ فى عبارات إيجابية ، كما بدأ كل منهما ينمى الوسائل والطرق لتحسين صحة الإنسان النفسية والبدنية على حد سواء ، ومن هنا لم يعد علم دراسة الشخصية قاصراً هو الآخر على مجرد الاهتمام بالشذوذ والحالات الشاذة ، بل أخذ يدرس الشخصية السوية كما يدرس الانحراف سواء بسواء .

ومن المحتمل أن تكون فكرة الشخصية قد ظهرت نتيجة خبرة المجتمع بالآفراد الذين تعرف أنماط سلوكهم بشكل ملحوظ عما هو عادى ومتقبل من المجتمع ، فكلما أصبح حساسين لانحراف درجة الحرارة بشكل ملحوظ عما هو عادى ، فكذلك أصبح حساسين لانحراف أنماط السلوك بدرجة ملحوظة أيضاً عما اعتدناه فى أنفسنا وفى الآخرين .

والحقيقة أن كثيراً من النظريات التى نقابلها فى مجال الشخصية قد صدرت أساساً خلال العمل الإكلينيكي فعلم نفس الشخصية يعتمد إلى حد بعيد على نتائج الدراسات الإكلينيكية التى لم يكن الهد منها ف هو دراسة الشخصية ،

بقدر ما كان هدفها تخفيف آلام المرضى النفسيين وعلاجهم ، ففرويد وأدلو
ويونج وسوليفان وغيرهم كانوا أطباء نفس إكلينكيين ، قبل أن يكونوا
راضعي نظريات في الشخصية .

ولكن هذه الدراسات الإكلينيكية - رغم ما زودت به دارسي الشخصية
من أفكار واستبصارات هامة عن العمليات اللاشعورية والميكانيزمات الدفاعية
وغيرها - قد أوقفت الباحثين على جوانب الضعف في الشخصية أكثر مما
أوقفتهم على جوانب القوة فيها ، كما انطوت على صعوبة أخرى بالنسبة لدارسي
الشخصية تتمحلي في الميل إلى تعميم النتائج والنظريات التي وصل إليها من دراسته
للحالات المرضية على الحالات السوية . ومن هنا تبدو الحاجة إلى وضع علم
نفس للشخصية يكون رد فعل لزيادة الاهتمام الإكلينيكي بالمرض النفسي ،
ويهتم في الوقت ذاته ، بجوانب القوة ويدرس الأسوياء إلى جانب دراسة
الحالات المرضية^١ ، حتى يكون الباحث على حذر من الوقوع في خطأ التعميم من
الحالات المرضية وحدها . ولكن هذا لا ينفي الفائدة الكبيرة التي استمدتها
علم نفس الشخصية من علم النفس الإكلينيكي ومن مفاهيمه ونظرياته .

وقد ظهر الاتجاه الحديث في دراسة المرض النفسي أول ما ظهر في فرنسا .
وكان تأثير « جان شاركو » عظيما . وقد ركز اهتمامه على دراسة الهستيريا ،
وعلى التنويم المغناطيسي وطبيعته وفائدته في العلاج . وقد أثارت دراسات
شاركو اهتمام بعض تلاميذه الباهين وعلى رأسهم « فرويد » الذي تجاوز
تأثيره جميع الأطباء النفسيين الذين عملوا في دراسة المرض النفسي .

ومع فرويد ندخل المجال الحديث للتفكير في الشخصية : لقد أدرك فرويد
(١٨٥٦ - ١٩٣٦) كغيره من الباحثين في الشخصية ، ضرورة وجود نظرية
شاملة في الشخصية كأساس للعمل العلاجي الذي كان يمارسه كطبيب . ومع

ذلك لم تغف اهتماماته العقلية عند هذا الحد ، بل تعرض لكثير من المشكلات ذات العلة الوثيقة بطبيعة الإنسان وأساليب معيشته ، وما قد يتعرض له من إحباطات وأثر ذلك كله في شخصيته .

لقد كان اهتمام فرويد موجهاً في بداية الأمر إلى دراسة علم الأعصاب ، ولكنه سرعان ما أدرك أن مرضاه لا يشكون من اضطرابات عضوية في الجهاز العصبي ؛ وإنما من أعراض ترجع إلى اضطرابات انفعالية ناجمة عن الخبرات المختلفة التي تمر بالفرد ، ومن ثم فهم اضطرابات وظيفية وليست عضوية . فالمفاهيم العصبية ليست مفيدة جداً سواء في تشخيص أو علاج مثل هؤلاء المرضى . وفي محاولته فهم وعلاج هذه الاضطرابات النفسية ، وصل إلى كثير من الأفكار والمفاهيم الثورية في الإنسان

وكان فرويد وزميله « بروير » (١٨٤٢ - ١٩٢٥) ، وهو طبيب نمسوي ، يمالجان مرضاهما عن طريق التنويم المغناطيسي . ولكن سرعان ما تبين لهما عدم كفاية هذا الأسلوب من أساليب العلاج ، فليس من السهل استخدامهما مع جميع الحالات . كما أنه تبين لهما أنه على الرغم من أن الأعراض المستيرية قد تختفي بالتنويم ، إلا أنها مع ذلك إما أن تعاود الظهور مرة ثانية أو أن يحل محلها أعراض أخرى . ولذلك استخدم فرويد طريقة « التداعي الحر » ، حيث كان يطلب من مرضاه أن يخبروه بكل ما يرد على أذهانهم من أفكار مهما بدت لهم نافهة أو غير مناسبة أو مخجلة . وكان يعتقد بالتعاون الإيجابي من جانب المريض ، وأن هذا التعاون يساعد على كشف الأسباب الخفية لمشكلات المريض . ومن ثم مساعدته على التغلب على أنواع الصراع عنده .

ولم يكن الأسلوب الذي اتخذه فرويد في العلاج هو الذي لفت نظر الناس إليه ، بل إن محتوى النظرية هو الذي جذب الانتباه إليه بشكل أوضح . فقد ذهب فرويد إلى أن الجنس يلعب دوراً هاماً في المستيريا وأنواع العصاب.

الأخرى . وكانت مثل هذه الأفكار بمثابة صدمة بالنسبة للكثيرين .
ولم تست نظريته في الجنس هي موضع اهتمامنا هنا ، وإنما الذى يهمنا هو
ما يمكن أن نستخلصه من هذه النظرية بالنسبة لدراسة الشخصية . فمن غير
الممكن أن ندرس الشخصية دراسة عميقة ، دون معرفة التفاصيل الدقيقة
للغاية من حياة الفرد ، وهى مسائل يفضل الكثيرون تركها دون مساس .
ولقد حطّم فرويد - أكثر من أى مفكر آخر فى وقته - الحواجز والتأبؤ ،
الذى حال بين الإنسان والتطلع إلى ماضيه ليفسر به حاضره ، ومن ثم يعرف
نفسه معرفة كاملة ودقيقة . والجدير بالذكر أيضاً أن فرويد لم يقف عند حد
وصف الظواهر المرضية على نحو ما يفعل الكثيرون غيره ، بل تعمق فى دراسة
أسباب هذه الظواهر ومعرفة وظيفتها بالنسبة للمريض . وهذا يتطلب قيام
نظرة دينامية للمرض النفسى كان لها أثرها أيضاً فى نظراته للشخصية .

وإذا كان علم النفس القديم قد ركز اهتمامه على تحليل محتويات العقل
الشعورى ، فإن فرويد وجه اهتمامه إلى الجانب الآخر من النفس البشرية
والذى اعتبره أكثر أهمية من الشعور ونعنى به اللاشعور . وقد شبه فرويد
الشعور واللاشعور بجبل من الثلج ؛ الجزء الذى يظهر منه على سطح الماء -
وهو الذى يقابل الشعور - جزء بسيط لا يكاد يذكر ، إذا قورن بالجزء
الآخر الغائر فى أعماق المحيط وهو الذى يقابل اللاشعور . ومعنى ذلك بالنسبة
لدراسة الشخصية ، أن الإنسان إذا كان عارفاً أحياناً بأسباب قيامه ببعض
الأفعال ، فإنه فى كثير من الأحيان يأتى أفعالا لا يعرف سبب أدائه لها .
ودراسة الحالات العديدة التى قام بها فرويد جعلته يؤكد ضرورة الرجوع إلى
العمليات اللاشعورية وبذلك يكون فرويد قد أضاف بُعد العمق للشخصية
وهو ما كانت تقتصر إليه من قبل .

ثم إن فرويد لم يقف عند دراسة الحالات المرضية وحدها ، بل درس

سلوك الناس في مواقف الحياة العادية ، ووجد الكثير من الأدلة التي تدعم فكرة أن هذه العمليات العقلية ليست قاصرة لحسب على الحالات المرضية ، بل إنها تظهر أيضا لدى العاديين ، كدسيان اسم شخص ما ، أو فلتات اللسان أو القلم ، وأهمية ذلك بالنسبة لدراسة الشخصية هي أنه حطم الحواجز القائمة بين العادى والشاذ . ومن ثم وجد ما يبرره تعميم النتائج التي وصل إليها من دراسته للعصاة على العاديين .

وكما أكدت أعمال فرويد الاتصال بين الشذوذ والسواء ، فقد أكدت الاتصال أيضاً بين الطفولة والكبر . فالسنوات الأولى من حياة الطفل تعتبر في نظره بمثابة مفتاح شخصية الكبار . وهذا الاتصال بين الطفولة والكبر أصبح خاصية مميزة للاتجاه الحديث في دراسة الشخصية .

ومن الممكن القول بأن دراسة الشخصية قد أصبحت حقيقة بفضل فرويد ونظريات التحليل النفسي ، فبالإصرار على ضرورة الكشف عن الجوانب الخفية في حياة الفرد وتحطيم الحواجز بين العادى والشاذ ، وإدراك الصلة الوثيقة التي تربط بين الطفولة والمراهقة ، ومعرفة أهمية العمليات اللاشعورية ووضع الكثير من المفاهيم الأخرى ، أمكنهم إرساء الأساس (لم دراسة الشخصية (١) .

الحركات الحديثة التي مهدت لظهور علم نفس الشخصية ،

وبعد هذا العرض التاريخي ، يحسن أن نركز على الحركات الكثيرة التي

(١) الطرابضا : Baughman, E. Earl and Welsh George Schlager
Personality: A Behavioral Science, Prentice-Hall Inc, Englewood
Cliffs, New Jersey 1962 chp. 3.
Cattell, Raymond. The Scientific Analysis in Personality.
Penguin Books 1967. chp. 1.

ظهرت في ميدان علم النفس والتي مهدت السبيل أمام ظهور هذا الفرع الخاص الذي عرف باسم « علم نفس الشخصية » والذي يركز على دراسة الفردية . ولقد ساهمت هذه الحركات بدرجة كبيرة أو صغيرة في هذا السبيل . ولعل أهم هذه الحركات هي علم النفس الفارق و« سيكلوجية الأنماط » و« سيكلوجية الجشملت » و« علم النفس الإكلينيكي » ، وسوف نلقى نظرة سريعة على كل حركة منها لنبين كيف مهدت السبيل لظهور هذا الفرع من فروع علم النفس .

(١) علم النفس الفارق :

وهو ما درجنا على تسميته باسم « سيكلوجية الفروق الفردية » وقد بدأ ظهوره في أواخر القرن الماضي وتطور وازدهر في هذا القرن . ويعتبر معظم علماء النفس هذه الحركة من الحركات التي مهدت لسيكلوجية الشخصية وشاركتها نموها واتساعها . ومن المعروف أن علماء الفلك قد ساهموا بدور كبير في اكتشاف الفروق الفردية بين الناس ، ووصل « بسل » إلى فكرة المعادلة الشخصية ، وذلك في الوقت الذي كان فيه علماء النفس التجريبي من أمثال ثننت يبحثون عن القانون العام الذي تخضع له الظواهر السيكلوجية . وقد سبق أن أشرنا إلى أن كاتل قد أوضح بما لا يدع مجالاً للشك وجود فروق فردية واضحة بين الناس في زمن الرجوع وغيره من الظواهر . وقد خطا « جالتون » خطوات واسعة إلى الأمام بهذه الفكرة ، فلم يقتصر الدراسة على زمن الرجوع والنواحي المحسوسة ، وإنما درسها بالنسبة لنواحي أخرى كالذكاء والتذكر والخلق واستخدم الأساليب الإحصائية في الدراسة مما استحق معه أن يسمى باسم « مؤسس علم النفس الفارق » .

إن الذي يهمنا هنا هو بيان مدى اهتمام علم النفس الفارق بالفرد . لنفرض أننا طبقنا عدداً من الاختبارات في الذكاء أو سمات الشخصية أو الميل العصبي

وغيرها على عدد كبير من الناس . إن من المفيد أن نعرف أين يقع الشخص (أ) ، أو الشخص (ب) بالنسبة للجموع العام من الناس أو بالنسبة لمجموعة التقنيين وإذا أمكن أن نعرف تقديرانها ، فإن من الممكن أن نرسم بروفيلا خاصاً لكل منهما . وواضح أن من مزايا هذه الطريقة أنها تركز اهتمامها على موضع الفرد بالنسبة للجموع العام من الناس . وقد نجد عدداً قليلاً جداً من رسوم الشخصية — أولاً نجد أيأ منها — يشبه تخطيط شخصية الفرد (أ) وبهذه الطريقة يمكن أن نشخص أو نوجه أو نرشد الشخص ، أى يكون في إمكاننا أن نعرف شيئاً عن جوانب القوة أو الضعف عند الفرد . ومثل هذه الدراسة هي نوع من الاهتمام بالفردية التي هي هدف دراستنا للشخصية .

ولكن رغم أهمية الخطوة التي خطاها علم النفس الفارق ، إلا أن ارتباطه بالنظرة التقليدية لعلم النفس لا يزال واضحاً ظاهراً فهو : (أ) يسير على نفس النمط الذي يسير عليه علم النفس العام ، فتختار ظاهرة أو صفة مفردة يقتنع بإمكان دراستها مستقلة . أى أنه يهتم بالصفة المفردة الواحدة ، أكثر مما يهتم بالفرد ككل ، ويقوم بدراسة توزيع هذه الصفة على الجموع العام من الناس الذين أمكن تطبيقها عليهم ، بشكل يسمح بمعرفة الفروق الفردية أو الانحرافات الظاهرة عن المتوسط أو عن القانون العام بالنسبة لهذه الصفة أو تلك . (ب) يضاف إلى ذلك أن علم النفس الفارق قد أغفل دراسة الفرد كفرد . فالفرد في نظره وسيلة وليس غاية . إنه يركز اهتمامه على توزيع السمة أو الوظيفة التي أمكن عزلها ودراستها ، وليس حول الفرد الذي يمتلك هذه السمة أو هذه الوظيفة . (ج) يضاف إلى ذلك أيضاً أن البروفيل الذي يحدد لنا موضع الفرد بالنسبة لمعايير الجماعة فيما يتصل بالسمات المختلفة التي أخذت موضوعاً للدراسة ، لا يكشف شيئاً عن التنظيم الداخلي لهذه

السمات، أو للفرد نفسه فالبروفيل قد يكشف عن سمات الشخصية ، ولسكنه في الوقت نفسه لا يكشف عما هنالك من تنظيم داخلي بينها .

(ب) دراسة الأنماط :

ودراسة الأنماط تعف موقفاً وسطاً بالنسبة لمشكلة الفردية ولا شيء أكثر من ذلك . فعالم نفس الأنماط قد تغلّى عن فكرة المتوسطات والانحرافات عنها ، لأنه يريد وضع تصنيفات للطبيعة البشرية . ولسكنه في الوقت نفسه ، لم يصل إلى اكتشاف الحقيقة الهامة في دراسة الشخصية ونعني بها الفردية أو أن كل فرد يعتبر وحدة في ذاته . ومن هنا كان الموقف الوسط الذي اتخذته نظرية الأنماط . فالنمط لا يعني شيئاً أكثر من أن بعض الناس يشبهون أناساً آخرين في سمات معينة فمن الممكن مثلاً القول بأن هذا الشخص (١) يندرج تحت النمط المنطوي أو تحت النمط المنبسط أو المتعادل ، أو أنه من النوع النسلطي أو أنه من النوع الخفي الأسامي أو من النوع البدني أو الهزلي أو الرياضي إلى آخر هذه الأنماط التي يمكن أن يندرج تحنها أي فرد .

فالمشكلة بالنسبة لنظرية الأنماط هي أنه من الممكن أن نصنف الفرد تحت عديد من الأنماط ومع ذلك لا نمس الفرد نفسه كفرد ، فهذا الشخص (١) مثلاً يشبه هذه المجموعة من الناس في الإطواء ، كما يشبه مجموعة أخرى في بعض الخصائص الجسمية ، ويشبه هذه المجموعة الثالثة في بعض الصفات العقلية أو الخلفية . كل هذا دون أن نمس الشخص نفسه . أي أننا ربطنا بين وظائفه العقلية مثلاً ووظائف مشابهة لها عند أفراد آخرين ، ودون أن نفكر في ربطها ببقية الوظائف العقلية عند الفرد نفسه ، أو ببقية الوظائف الحيوية الخاصة به . هو بالذات كفرد . ومعنى ذلك بعبارة أخرى ، أن علم نفس الأنماط . شأنه شأن علم النفس العام — يتعامل مع صفات مجردة وميزته

الوحيدة - كما يقول البورت - هي أن السمات المجردة التي يدرسها لا ينظر إليها على أنها موزعة توزيعاً اعتدالياً كلياً عاماً ، وإنما توجد لدى بعض الناس فقط .

(ح) علم نفس الجشلت :

ويعتبر علم نفس الجشلت ثورة على علم النفس القديم الذي كان يهتم بدراسة العناصر الجزئية المستخلصة من خبرة الفرد . وقد ركزت نظرية الجشلت اهتمامها على السكليات بدلا من الجزئيات ، ووضعت مجموعة من القوانين الهامة تتصل بعملية الإدراك الحسى . وقد لقيت هذه القوانين اهتماماً كبيراً من الباحثين في علم النفس ، وانتقلت بعد ذلك إلى مجالات أخرى كالتعلم وعلم النفس الاجتماعي ودراسة الشخصية ؛ وقد حددت هذه المدرسة العلاقة بين الكل والجزء . فالإدراك أساساً هو إدراك لكليات وليس إدراكاً لجزئيات ، وأن الجزئيات ليس لها قيمة في ذاتها ، وإنما تستمد قيمتها وخصائصها في الكل الذي تنتمى إليه . وقد كان لمثل هذه الأفكار في مطلع هذا القرن صدى كبيراً في كثير من مدارس علم النفس المعاصرة .

وأهمية هذه النظرية بالنسبة لموضوع الشخصية هي أنها نقلت الاهتمام من الجزئيات المستقلة المنفصلة إلى دراسة السكليات أو شبكة العلاقات والوظائف داخل الكل أو داخل المجال الحيوى . ويمكن أن نلاحظ ذلك بوضوح في عبارة كوهلر ، أحد مؤسسى هذه المدرسة : « قد يكون من المفيد أن ندرس مثلاً قلب مجتمعة ولكن من الأفيد - من الناحية الوظيفية - أن ندرس قلباً واحداً في علاقته بالرئتين ، أكثر من أن ندرسه في علاقته بالقلوب الأخرى » . ويعلق البورت على ذلك بقوله : إن كلا من علم النفس العام وعلم النفس الفارق ، اهتماماً بالقلوب بعيدة عن وضعها الطبيعي . أما سيكلوجية الجشلت فقد هدفت إلى تركيز الاهتمام على وظائف الكائن الحى

المعزى من حيث هو ، ومن حيث علاقتها ببعضها البعض داخل إطار هذا الكل الذى تلتصق إليه .

وثمة فاحية أخرى يمكن أن تفيد منها سيكولوجية الشخصية من نظريه الجشملت ونعني بها ذلك التمييز الذى وضعه كيرت ليفين ، — أحد أقطاب مدرسة الجشملت والذى طبق مبادئها على علم النفس الاجتماعى ودراسة الشخصية . فقد ميز بين النمط العائلى genotype والنمط الوصفى phenotype . فمن حين نلاحظ تشابهاً فى مظهر مظاهر السلوك لدى أفراد مختلفين ، فإن هذا التشابه يكون نمطاً وصفياً ظاهرياً ، دون أن يكون بالضرورة نمطاً عائلياً أو يرجع إلى نفس النمط العائلى . فاق قد يبدو لنا أنه نفس النتيجة أو نفس الأثر ، فإنه قد يرجع إلى أسباب أو علل مختلفة اختلافاً جوهرياً . فقد يكون هناك شخصان منطويان (وهذا هو النمط الوصفى الظاهرى) ، لكن سبب الانطواء عند أحدهما قد يرجع إلى عوامل وراثية ، بينما قد يعزى عند الآخر إلى خبرات مؤلمة مرت به . وبالعكس قد يؤدى نفس النمط العائلى الواحد ... ، (يمكن مثلاً عامة من العاهات — إلى جعل نمط حياة أحد الأفراد يتصف بالحنج والازواء والإحساس الزائد عن الحد بالذات ، بينما يؤدى بالآخر إلى التمويض الذى قد يتخذ مظاهر إيجابية كزيادة بذل الجهد والنجاح فى العمل ، أو قد يتخذ مظاهر سلبية كالتسول مثلاً . وهذا التمييز الذى وضعه ليفين يسمح لنا بالنظر إلى الشخصية بشكل أكثر مرونة ويجعلنا نفسرها داخل إطار مجالها الحيوى الذى توجد فيه ، ودون الاقتصار على الربط بين المثير والاستجابة وحدهما ؛ فنفس السبب الواحد قد يحدث — لدى الأفراد المختلفين — آثاراً مختلفة متناقضة .

وإذا تأملت الإفادة من بعض قوانين مدرسة الجشملت بالنسبة لدراسة الفردية واضحة ظاهرة ، إلا أن موضع اهتمام هذه المدرسة قد تركز أساساً

على موضوعات كالإدراك والبحث عن القوانين العامة الكلية التي تخضع لها هذه العملية . ولم يكن موضوع الشخصية أو الفردية مثار اهتمام حقيقي لديهم . حقيقة إن القليلين من أنصار هذه المدرسة — من أمثال كيرت ليفين — من وجه اهتمامه شطر الشخصية ، ولكن الأثرية ، لم تهتم بدراسة هذا الموضوع داخل مجال بحثهم .

(و) علم النفس الإكلينيكي :

يقوم نفر كثير من علماء النفس اليوم بالعمل الإكلينيكي ، فيعملون في مستشفيات العلاج النفسي ومراكز الخدمة الاجتماعية والمدارس والمؤسسات والسجون والقوات المسلحة كإخصائيين نفسيين . ويطلق على عملهم هذا اسم « إكلينيكي » لأنهم — كالأطباء — يتعاملون مع الحالات الفردية ، أملاً في الوصول بهم إلى حالة التوافق أو الصحة النفسية . وعلى الرغم من أن عالم النفس الإكلينيكي يحتاج إلى دراسة وإعداد في علم النفس العام وعلم النفس القسبولوجي والتجريبي والاجتماعي — وجميعها تتعامل مع معايير عامة وجمعية — إلا أن تركيزه الأساسي ينصب على الفرد الذي يقوم يدراسته .

وقد يبدو هذا حلاً لمشكلة الفردية . فعالم النفس الإكلينيكي يعني بالفردية أكثر مما يعني بها علماء النفس الآخرون الذين يهتمون بالبحث في المبادئ العامة ، ولكن قليلاً من التعمق في موقف الإكلينيكي ، يوضح لنا أن الأمر أكثر تعقيداً من هذه النظرة السطحية . فكثير من علماء النفس الإكلينيكي لا يتقدمون إلى أبعد من مرحلة علم النفس الفارق فهم يعطون الاختبارات ويضعون الدرجات على بروفييل ويغفلون — في الأغلب — الفرد من حيث هو فرد ، والذي ينتهي به الأمر إلى أن يصبح في نظرهم مجموعة من الأرقام والدرجات .

وباختصار . فعلى الرغم من أن علم النفس الإكلينيكي يهتم بدراسة الحالات الفردية ، إلا أن الأسلوب الذي يتبعه في دراسة الفرد ، ينتهى به إلى الاقتراب من الفروع الأخرى لعلم النفس التى تطبق الاختبارات وتقارن نتيجة الفرد بالمعايير الموضوعية فالانحراف عن المعايير السكّية أو الجمعية لا يزال هو الشغل الشاغل لعلم النفس الإكلينيكي .

ومع ذلك فإن الإكلينيكي يعترف أن الكائنات الإنسانية لا يمكن معرفتها تماماً من خلال الدراسة الإحصائية . فالإنسان نمط فرد فى ذاته . وقد دعا هذا إلى قيام مبحث آخر جديد يختص بدراسة الفردية وهو ما أسماه البورت باسم « علم نفس الشخصية Personalistic Psychology »^(١) .

(هـ) علم نفس الشخصية :

ومن هنا ظهرت الحاجة إلى الاهتمام بالفردية وقيام علم يختص بمجاله أساساً بدراسة الشخصية . والظرة الرئيسية لهذه المدرسة هى أن كل وظيفة عقلية تكون متضمنة أو كاهنة فى حياة شخصية . وليس هناك - بالمعنى المحسوس لهذه الكلمة - أشياء مثل الذكاء أو الإدراك المسكان أو التمييز اللوني ، وإنما هناك أفراد قادرون على القيام بمثل هذه الوظائف أو هذه الألوان من النشاط أو لديهم مثل هذه الخبرات وليس من الصواب أن نتحدث عن نمو مهارة ما أو محصول لغوى أو معرفة ، إلا داخل إطار الشخص كسكل . فهذه جميعها تعتبر جزءاً من نموه ، وهى تستلزم خصائصها وصفاتها من السكل الذى تنتمى إليه كما يقول الجشلت . ومن خلال نمو الفرد ، تنمو هذه المهارة ويتسع هذا المحصول اللغوى للفرد .

(1) Allport G.W. Pattern and Growth in Personality. New York. Holt, Rinehart and Winston 1961. pp. 15 - 21.

والحقيقة أن جميع الحركات السابقة قد ساهم كل منها بقدر في ظهور علم دراسة الشخصية وتطوره . وأصبح هذا العلم فرعاً هاماً من فروع علم النفس ، وأفردت له المجلات العلمية الخاصة مثل Personality ، كما أفردت له المجلات الأخرى مثل Psychological Abstract و Annual Review of Psychology مكاناً خاصاً تحت اسم الشخصية ، . بل أصبحت هناك مجلات أو دوريات تختص كلها أو جزءاً منها على الأقل ، بأبحاث الشخصية . وبدأت تظهر المكتتب العديدة عن نظريات الشخصية ومحدداتها وبنائها ونموها .

يقول مير في (١) : « إنه إذا كان عالم النفس يؤكد الوظائف الأكثر تعقيداً ، ويرغب في أن يرى جميع العلاقات والروابط الداخلية داخل الكائن الحي العضوى دفعة واحدة ، وكذلك تسلسل القوانين التي تحكم هذه العلاقات ، فلا بد أن يتم ويعنى بـ سيكولوجية الشخصية . فسيكولوجية الشخصية يمكن أن تكون إذن هي هذا الفرع الخاص من علم النفس العام الذي يؤكد الشكل والعلاقات العضوية داخل هذا الشكل . ويذهب « البورت » الذي أكد وحدة الفرد إلى أبعد من ذلك بقوله : « سوف يأتي اليوم الذي ننظر فيه إلى الصياغات السيكلوجية على أنها غير صادقة ما لم تكن تلائم الأنماط الشخصية للوظائف والاتجاهات . فعلم النفس العام الجديد سوف يصبح إذن « نظرية في الشخصية » .

وقد لا نذهب في الوقت الحاضر إلى مثل هذه النظرة البعيدة التي ذهب إليها البورت ، وإنما ندعو إلى ضرورة الاهتمام بفردية الكائن الحي العضوى أو وحدته ، مثلما نتم بالمبادئ أو القوانين العامة . وليس في هذا الاهتمام بالفردية الذم ، ندعو إليه سيكولوجية الشخصية أى إغفال للقوانين العامة للسلوك ، وبخاصة إذا

(1) Murphy, G. : Personality : A. Biosocial Approach to Origins and Structure. New York. Harper and brothers Publishers 1947.

نظراً إلى هذا الفرد ككل ، وإلى ما هنالك من تنظيم دينامي بين أجزائه النفسية والجسمية المختلفة .

الشخصية بين العلم والفردية :

وعند دراسة موضوع الشخصية نعرضنا مشكلة في غاية الأهمية ، ونعني بها نظرة العلم إلى هذه الدراسة . إن علم النفس - منذ أصبح علماً من العلوم - صار موضوعه دراسة الظواهر النفسية وملاحظتها ، والكشف عن القوانين العامة للسلوك وقد وجه اهتمامه نحو ظواهر وعمليات معينة كالإدراك والتذكر والتفكير والتخيل والتصور والانفعال وغيرها ، وقام بملاحظتها على عدد كبير من الأفراد ، واستخلص القانون أو القوانين العامة التي تخضع لها هذه الظواهر أو هذه العمليات . وعن طريق عمليتي التجريد والتعميم ، أمكن لعلم النفس أن يبلّغ أهدافه ، وأن يصوغ القوانين العامة للسلوك على نحو ما فعلت العلوم الأخرى كعلم الطبيعة بالنسبة للمادة موضوع دراستها .

وفي الطرف الآخر ، هناك حقيقة ثابتة لا يمكن إغفالها أيضاً في دراسة الشخصية ألا وهي الفردية . إن الفرد هو السمة المميزة لكل فرد . فالإنسان مخلوق فريد في قوى الطبيعة ومن المستحيل أن نجد شخصيتين متشابهتين تمام التشابه ، حتى التوائيم المتماثلة . والناس في تفردهم أشبه بيهيمات الأصابع . فمن المستحيل أن نجد بصمتين متشابهتين لشخصين مختلفين . وعلم نفس الشخصية يركز اهتمامه على الفردية المميزة لهذا الشخص عن ذاك الآخر . فنحن حين نقوم بدراسة الشخصية ، لا نكون في الحقيقة ، إزاء شخص مجرد بل إزاء شخص محدد بالذات ، أي إزاء فرد يعتبر مشكلة بالنسبة لنا ، كما أن حل هذه المشكلة ، يمكن في هذا الفرد بالذات . فالخاصية المميزة للإنسان هي فرديته ، أعني اعتباره مخلوقاً فريداً في الطبيعة ، وأنه مستقل مكانياً عن غيره من الأفراد ولا يشبه تماماً أي فرد آخر ، وأنه يسلك في مجاله الخاص في الحياة ، وعلى طريقته الخاصة ، وأنه يخضع في سلوكه لعوامل متعددة كالجينات والتكوينات

البيولوجية والغددية والتي تختلف اختلافاً كبيراً من شخص لآخر ؛ هذا بالإضافة إلى اختلاف الظروف البيئية التي يعيش فيها . وهذا كله من شأنه أن يجعل النمط مميزاً فريداً لكل فرد . ومعنى ذلك أن المعرفة السيكلوجية لا يمكنها بحال من الأحوال أن تغفل دراسة هذه الفردية ، وإلا فإنها لا تصبح معرفة سيكلوجية بالمعنى الدقيق ، طالما أن كل سلوك هو سلوك فرد بالذات ، ندخل معه في علاقات وصلات ؛ سلوكي وسلوكك باعتباري أو باعتبارك شخصية متميزة مستقلة عن الآخرين .

تلك هي المشكلة التي تواجهها دراسة الشخصية . فعلم النفس - كعلم - يميل إلى إغفال دراسة الفردية على أساس أنه لا يعنى إلا بدراسة المبادئ العامة التي يمكن استخلاصها من دراسة حالات جزئية عديدة ، ووضع معايير عامة يمكن أن تنطبق على الحالات الجزئية . فهدف علم النفس - كعلم - هو القانون العام وليس الفردية . وبعبارة أخرى ، فإن المشكلة التي واجهت دراسة الشخصية هي : هل هذه الدراسة علم أم فن وتكنولوجيا وتاريخ حياة (١) . إن الخبرة العملية لعالم النفس في الوقت الحاضر تقوده إلى البحث عن عمليات مشتركة بين الأنواع وإهمال النمط المتفرد للنمو . وعلى حين يعرف عالم النفس أن موضوع الشخصية من الموضوعات الهامة التي يضطلع بدراستها ، فإن عاداته في التفكير والاستدلال تقوده إلى أن يدرس العقل عموماً ، بدلا من دراسة أي عقل خاص . ثم إنه بالإضافة إلى سعيه وراء القوانين العامة للسلوك ، تدفعه عادات تفكيره أيضاً إلى انتزاع جانب واحد من طبيعة الفرد ويعكف على دراسته فهو يقطع جانباً ويخصه بالبحث ثم يعود إلى جانب آخر بعد ذلك ويخصه بالبحث وهكذا ، وهو لا ينظر إلى هذه الجوانب على أنها متشابهة

(1) Allport, G. W. : Personality. A Psychological Interpretation. New York: Holt 1937.

Allport, G.W. : Pattern and Growth in Personality. New York Holt, 1961 ,

أو تفاعل فيها بينها داخل الفرد الواحد ، بقدر ما يهتم بالنظر إليها من حيث هي خصائص متشابهة أو مختلفة لدى الأشخاص المختلفين . وتكون النتيجة أننا غالباً ما نرى شخصية الفرد باعتبارها رسماً بيانياً رسم بواسطة مجموعة من الإحداثيات الخارجية ، وليس بينها وبين بعضها علاقة أو استمرار في الزمان وليس فيها حركة أو حياة وليس فيها تغير أو تفرد .

ويمكن أن نوضح المقصود من ذلك بمثال نستمد من البورت . لنأخذ الرئتين مثلاً . رئتي ورثتيك . فليست هناك علاقة وظيفية حيوية بين رئتي ورثتيك أو بين عمليات الهدم والبناء في المخ عندي . وعمليات الهدم والبناء في المخ عندك ؛ ولكن رئتي تؤثران في عمليات الهدم والبناء عندي ؛ كما تؤثر رئتيك في عمليات الهدم والبناء عندك حاجتي إلى البوتاسيوم تتفاعل مع حاجتي إلى الصوديوم . وهذه الحاجات يمكن أن تقارن بالحاجات الكيميائية الحيوية عندك ، ولكن ليس لها علاقة وظيفية عضوية بحاجاتك ، إنها استعدادات وراثية وخبرات سابقة ومزاجي وقدزني العقلية وانفعالاتي ودوافعي وذاكرتي وخيالي ، هي التي تمتزج معاً في وظائف فردية وتخرج نظاماً موحداً فريداً يتألف من عدد كبير من الأنظمة الثانوية .

إن العلم يقوم أساساً على دراسة سرعة نبضي ومقارنتها بسرعة نبضك ، مقارنة انفعالاتي بانفعالاتك وانفعالات الآخرين ، مقارنة طولي بالمعايير الموضوعية للطول على عينة كبيرة ومختلفة الأفراد في البيئة . والعلم نادراً ما يوجه نظره نحو كنفرد ليدرس العلاقة بين نبضي وانفعالاتي من حيث هي نمط متفاعل يحجة أن العلم يهتم فحسب بالقانون العام .

أما علماء نفس الشخصية — وفي مقدمتهم البورت — فيرون أنه لفهم خاصية من خصائص سلوك فرد ما ، فإن طريقة دراسة هذه الخاصية ليست هي دراسة آلاف آخرين من الأشخاص لبيان مدى تشابه هذا الشخص مع
٢ — سيكولوجية الشخصية

غيره من الأشخاص ، وإنما الأفضل هو أن ندرس هذا الجانب من شخصية هذا الفرد في علاقته بشخصيته ككل (١).

وهكذا يعارض علماء نفس الشخصية - وفي مقدمتهم البورت - إغفال العلم لدراسة الفردية ، فهم يرون أن إبعاد الفردية نهائياً من الدراسة ، يفسد إغفالاً للحقيقة الهامة التي تقوم عليها الشخصية وبعبارة أخرى ، إن علم النفس يضحي إذن تحت ظروف الرغبة الملحة للوصول إلى القوانين العامة عل نحو ما يفعل علم الطبيعة - بالهدف الأساسي من الدراسة وهي دراسة الفرد . ويعارض البورت في هذا الصدد أيضاً وجهة النظر التي يقررها « أرنك » والتي تذهب إلى أن الفرد في نظر العالم ، ليس سوى نقطة تقاطع عدد كبير من المتغيرات الكمية . وهذه العبارة تعني في نظر البورت أن الباحث لا يهتم بالعلاقات أو الروابط المتبادلة بين الأجهزة المختلفة المكونة لشخصية الفرد ، وإنما ينحصر اهتمامه فحسب في الأبعاد المستقلة التي بواسطتها يمكن مقارنة مختلف الأفراد بعضهم ببعض . فهو يهتم بالقلوب عموماً (قلبي وقلبك) والرتنين عموماً (رتني ورتنيك) دون أن يعنى بالتفاعل المتبادل بين قلبي ورتني أو قلبك ورتنيك . إنه يهتم ببعض السمات (كالانطواء مثلاً) عندى وعندك ويقارن درجة كل منهما بالآخرى ؛ ولكنه لا يهتم بكيف تتفاعل هذه السمة مع غيرها من السمات التي توجد عندى أو توجد عندك . ومع ما لدى أولديك من قيم وأساليب الحياة . فالعالم حسب هذه النظرة لا يهتم بنظام الشخصية ككل ، بل بالأبعاد المشتركة بين الأفراد فاهتمام العالم إذن موجه نحو دراسة الفروق بين الأفراد وليس نحو دراسة الفروق داخل الشخص الواحد . ويعلق

(1) Sanford, Nevitt : Personality : Its place in Psychology. in Koch, Sigmund (ed) Personality : A study of Science vol 5. Mc. Graw-Hill Book Comp^y 59y. 91pp: 488-592.

البورت على رأى إيزاك بقوله : « كيف تستقيم مثل هذه النظرة التى يذهب إليها إيزاك وتعريفه الذى أورده فى كتابه « بناء الشخصية الإنسانية » من أنها « تنظيم أكثر أو أقل ثباتاً واستقراراً لخلق الفرد ومزاجه وعقله وجسمه » ، والذى يملئ على الفرد تكيفه المميز مع البيئة (١) .

ولقد عرضت عدة حلول لهذه المشكلة بين العلم والفردية :

فهنالك الرأى الذى يذهب إلى أن العلم يختص بالعمومية ، بينما الفن والدراسات التكنولوجية والتاريخ فتختص بالفردية . وهذا الرأى يقرر صراحة أن من الضرورى أن نعترف بحدود العلم ، وأنه فى ضوء هذا التحديد لا يمكن أن تدخل ضمنه دراسة الفرد كفرد . فجال هذه الدراسة هو الشعر والدراما وتاريخ الحياة . أى أن العلم على حق فى استبعاده لدراسة الفردية .

ولكن مثل هذا الرأى يدعو - فى نظر البورت (٢) - إلى اليأس . فعلم النفس - وهو الذى لا يزال علماً ناشئاً - يخفى السيطرة على كل الظواهر المجردة والمحسوسة . ويعتبر من السابق لأوانه أن يقتصر موضوع علم النفس على البحث عن القانون العام وحده ، وإغفال الفرد الذى تجرى فيه هذه الظواهر النفسية بشكل فريد ومتميز . ولستنا فى حاجة إلى تأكيد أن الفرد هو الذى يحيا باستمرار هذه الظواهر النفسية التى هى موضوع دراسة العلم ، والتى يحاول أن يستخلص القوانين التى تخضع لها كالإدراك والتذكر والتفكير والتصور والتخيل وغيرها . وأنه بدون هذا الفرد لا يمكن أن تقوم مثل هذه الظواهر

(1) Allport G. : Pattern and Growth in Personality. Holt 1961. Footnote p. 8. see also. H. J. Eysenck : The Scientific study of Personality. New York Macmillan 1952, and The Structure of Human Personality London: Methuen.1970.

(2) Alport G. Pattern and Growth in Personality. N. Y. Holt, 1961. pp. 11-12.

والعمليات ولعل هذا الرأي الذى يذهب إليه البورت يتفق ورأى « صموئيل بيلي » الذى انتقد - منذ أكثر من قرن مضى - علم النفس لاهتمامه فقط بكل ما هو عام بين أفراد الجنس البشرى ومعالجته للشخصية بشكـل عارض وباقتضاب ، بما لا يتناسب وأهمية الموضوع .

وثمة رأى آخر يذهب إليه جيلفورد (١) : يقول جيلفورد بإمكان قيام نظامين متميزين ومنفصلين فى علم النفس . أحدهما يكرس نفسه لدراسة القوانين العامة nom·thetic ، والآخر يكرس نفسه لدراسة الحالات الخاصة أو الفردية Idiographic فالأول يهتم بدراسة القوانين العامة التى تنطبق على المجموع العام من الناس ، وهو بهذا المعنى يمثل النظرة غير الشخصية فى علم النفس ؛ بينما الثانى يعنى بالأفراد ومن ثم يمثل النظرة الشخصية التى تهتم بالفرد .

ويذهب جيلفورد إلى أن وجهة النظر غير الشخصية والبحث عن المبادئ العامة تمت بصلة إلى العلم الأساسى ، على حين أن الاتجاه الشخصى والاتجاه نحو الفرد والحالات الجزئية ، فيمت بصلة إلى الفن والدراسات التكنولوجية . ففي العلم ينظر إلى الحالة الفردية باعتبارها مجرد فرصة للقيام بملاحظات جديدة ، وبدون تكرار الظاهرة ودراستها على حالات عديدة ، لا يقوم العلم . وعند بلوغ العلم هدفه النهائى ، يميل إلى التعميمات على حالات أخرى تندرج تحت نفس أنواع الظواهر التى سبق دراستها . أما الاتجاه الآخر ، وهو الاهتمام بالجزئيات ، فهو طبيعى ، وذلك عند التعامل مع مشكلات عملية تتصل بهذه الحالات الخاصة ، كمشكلات التكيف الشخصى ومشكلات التكيف المهنى ومشكلات السلوك والتربية وغيرها . وفى هذا المجال ، يمكن للباحث

(1) Guilford, J. Paul : Personality. New York , Mc Graw - Hill Book Company 1959.

التكنولوجيا أن يفيد - بل هو يفيد بالفعل - من المعلومات والأفكار التي تستمد من الاتجاه نحو المبادئ العامة . وقد يشعر الباحث التكنولوجي بأن هلى العالم - من أجل أن يكون عوناً له - أن يتخذ وجهة النظر الشخصية . فما يحتاج إليه التكنولوجي هو معلومات أكثر عن النوع الذى يدرسه ، ولكنه يكون مخطئاً بالفعل إذا تطلب من العالم أن يتخذ وجهة النظر الفردية . فالمعلومات التي تتصل بالقوانين والمبادئ العامة تسهم كثيراً في فهم الأفراد ؛ بينما المعلومات التي تتصل بالحالات الجزئية أو الخاصة لا تقدم شيئاً عن الناس عامة وإنما تتصل مباشرة بالحالات الفردية .

ويرفض البورت مثل هذا الفصل الحاد بين هذين الاتجاهين داخل علم النفس ؛ ومن ثم يوافق على رأى السيكتري الفرنسي « عزام Azzam » الذى كتب منذ سنوات طويلة في كتابه « الشخصية بين الصحة والمرض » أن علم الشخصية لا يمكنه أن يسير بالعموميات وحدها على نحو ما هو الحال بالنسبة لعلم النفس ، ولا بالخصوصيات وحدها على نحو ما هو الحال بالنسبة للفن ؛ إنه يحتل مكاناً وسطاً بين الاثنين . فليس ثمة سبب يحول بيننا وبين التعلم من كل تعميم عن الطبيعة الإنسانية وفي نفس الوقت نلتبه للفاهيم والطرق التي تمكننا من فهم نمط الفردية (١) .

وثمة رأى ثالث يقدم لحل مشكلة العلم والفردية ، ويقوم على أساس مقارنة الفرد بمجموعات ثلاثة من المعايير التي أوضحها كلوكهون وبورى وشليدر في كتابهم : الشخصية في الطبيعة والمجتمع والثقافة (٢) . لقد ذهب هؤلاء إلى أن كل إنسان هو في بعض نواحيه :

(1) Alport G. : Pattern and Growth In Persouality. New York. Holt. 1961 p. 12.

(2) Kluckhohn, C. Murray, H.A. and Schnider, D.M. : Personality in nature, Society, and culture. New York, Knopf 1953 p.53.

(أ) يشبه كل الناس (معايير كاية عامة)

(ب) يشبه بعض الناس (معايير جمعية)

(ج) لا يشبه أى إنسان (معايير خاصة فردية)

ويعتقد البورت أن هذا الرأى - رغم ما قد يمكن أن يوجه إليه من مآخذ - صادق ومفيد فى حل مشكلة العلم والفردية . فهو رأى صادق من حيث أن علم نفس الشخصية يمكن أن يفيد من كل هذه المعايير الثلاثة على النحو التالى :

(أ) المعايير السككية : فنحن حين نقول إن شخصاً ما طويل القامة أو سريع الحركة والنشاط ، أو أن نسبة ذكائه هى ١٢٠ مثلاً ، إنما نقارن سلوكه أو ذكائه بالمجموع العام من الناس الذين نعرفهم أو قننا بقياس أطوالهم أو سرعة نشاطهم أو ذكائهم . فهناك معايير موضوعية ويقاس الفرد بالنسبة لها .

(ب) المعايير الجمعية : والمعايير السككية هى فى الحقيقة أقرب إلى أن تكون معايير جمعية ؛ فنحن حين نقارن شخصاً ما فى سمة جسمية أو عقلية أو خلقية مثلاً ، إنما نقارنه بمعايير الجماعة التى يذتمى إليها ، وليس بمعايير عامة للناس جميعاً ؛ فإذا قلنا إن هذا الشخص نسبة ذكائه ١٢٠ أو ٨٠ مثلاً ، كان معنى ذلك أنه أعلى أو أقل من متوسط عينة التقنيين .

- وهذه المعايير الجمعية مهمة على وجه الخصوص حين نتحدث عن شخص ما مثلاً بأنه مثال لرجل العمل ، أو أنه من النوع الرياضى ، أو أنه من نوع حالات الهوس والاكتئاب . ومثل هذه العبارات تعنى أن لديه مجموعة من الصفات التى لا تختلف كثيراً عن الصفات التى توجد لدى غالبية أفراد الجماعة التى يقارن بها . وبالمثل حين نقول إنه ليس رياضياً ، أو أنه شاذ ، فهذا يعنى

أنه لا يلتصق إلى جماعة مرجعية معينة نريد مقارنته بها . وسواء كان يشبه أو يختلف عن مجموعة ما ، فإننا نستخدم المعايير الجمعية هنا كأساس لتقدير طبيعة الفرد .

(ج) المعايير الفردية : وبعد أن نصبح أكثر ألفة بشخص ما ، فإننا نبنى توقعاتنا بالنسبة له على أساس وجود تنظيم معين لشخصيته يتسم بالثبات النسبي وتتخذ من أنماط سلوكه واتجاهاته وميوله معياراً للحكم على سلوكه . وهنا تكون حقائق السلوك التي يتميز بها الإنسان من وجود فروق فردية بين الناس ، ووجود قدر من الثبات النسبي والتغير في سلوك الفرد ، ماثلة أمام أعيننا في الحكم على شخصيته ، فإن طابق سلوكه توقعاتنا ، فإننا نقول إن ذلك يتفق وسماته المميزة له ، وإذا لم يتطابق سلوكه وتوقعاتنا عنه ، فإننا نقول إن سلوكه لا يتفق وطبيعته .

ومن الواضح أن المعايير السكلية والجمعية هي موضع اهتمام العلم الذي يعني بالقوانين والمبادئ العامة ، بينما المعايير الفردية فإنها نردنا إلى مفهوم العلم الذي يهتم بدراسة الحالات الفردية . وسيكولوجية الشخصية لا يمكنها أن تقوم على العموميات وحدها ، ولا على الخصوصيات وحدها ، وإنما تشغل مكاناً وسطاً بينهما تقيّد من كل منهما على السواء .

ويقبل البورت مثل هذا الرأي ولكن مع توكيد أنه رغم أن الفرد له صفات وخصائص مشتركة مع جميع أفراد الجنس البشري ومع أفراد الجماعة التي ينتمي إليها ، إلا أنه يندسجها جميعاً في نظام فريد متميز . فالشخصية إذن هي نظام كلي موحد . ومن حيث هي كذلك ، فإنها تصبح موضوعاً للدراسة العلمية .

والواقع أن ليس ثمة تعارض حقيقى بين النظرتين السكلية والفردية في دراسة

الشخصية . فالفرد من حيث هو فرد يمكن أن يكون موضوعاً للدراسة العلمية التي تهدف إلى البحث عن القوانين العامة التي هي موضوع هذه الدراسة . والحقيقة أننا نفيد من معرفة هذه القوانين العامة عندما نستخدمها في توضيح أسباب السلوك الفردي عند هذا الشخص أو ذاك ، والذي يحيا الظواهر النفسية بطريقة فريدة متميزة ، والذي يعتبر هو في ذاته كلاً من حيث تنظيمه وتعبده .

لماذا نعزى الشخصية إلى الإنسان ؟ :

وتقفز إلى الذهن أحياناً بعض التساؤلات المحيرة ، والتي قد لا يجد لها الإنسان جواباً شافياً . من ذلك مثلاً : هل يقتصر مفهوم الشخصية على الإنسان وحده ؟ ؛ وهل يمكن أن نعزو للحيوانات شخصية كما نعزوها إلى الإنسان ؟ ؛ وهل للجملادات أيضاً شخصية ؟ . إن الإجابة على مثل هذه التساؤلات قد تتضح لنا إذا نحن بحثنا خصائص السلوك الإنساني ، والتي في ضوئها نعزو للإنسان شخصية .

إن أول حقيقة تستلقت النظر هي وجود الفروق الفردية الواضحة بين الناس . فليس ثمة شخصان هما نفس أنماط السلوك تماماً ، حتى ولو كانا نوابين متشابهين . وهذه الفروق الفردية نلسمها واضحة في النواحي الجسمية والمزاجية وفي الذكاء وغير ذلك من مظاهر السلوك الإنساني . والفردية التي يتميز بها الإنسان هي التي جعلت الملاحظين للسلوك البشري يذهبون إلى أن الناس يسلكون بشكل مختلف كل عن الآخر ، لأن لكل منهم شخصيته التي تختلف عن شخصية الآخر . ولو كان جميع الناس متشابهين تماماً وفي كل شيء ، لما كان ثمة احتمال لظهور مفهوم الشخصية إلى الوجود .

أما الحقيقة الثانية التي يتميز بها السلوك الإنساني فهي أن ثمة ثباتاً إلى حد ما

فى سلوك الفرد ، بشكل يسمح لنا أن نقتبأ بسلوكه المقبل ، فإذا لم يوجد هذا القدر المعقول من الثبات فى السلوك ، لما أمكن أن نعرف الناس من يوم لآخر ، ولما أمكن التنبؤ بسلوكهم فى ضوء خبراتنا السابقة بهم . حقيقة قد يبدو على الفرد بعض مظاهر السلوك الغريبة أو غير المنتظرة منه ، وفى مثل هذه الأحوال نجد أنفسنا نميل إلى تبرير مثل هذه التصرفات غير المتوقعة بقولنا إنه ليس طبيعيا اليوم ، أو أنه على غير عادته ، أو أنه ليس هو هذا الإنسان الذى نعرفه . فكأن هناك نمطا ثابتا إلى حد ما من السلوك متوقع من الفرد ، وفى ضوءه نتعامل معه ونفسر سلوكه . وبسبب هذا القدر المعقول من الثبات فى السلوك ، ظهر الاعتقاد بأن من المفيد إقامة نظام نفسى على أساسه أفعال الفرد وتصرفاته وتنبأ بها فى مستقبل علاقتنا به . ومثل هذا النظام الذهنى هو الشخصية .

والحقيقة الثالثة والى قد تبدو متعارضة مع الثانية ، فهى أن السلوك الإنسانى قابل لأن يتعدل ويتغير . فالإنسان ليس جامداً فى سلوكه وتصرفاته . ولو كان سلوكه من النوع الجامد الذى تحدده الغريزة وحدها على نحو ما نجد عند المستويات الدنيا من الحياة ، لما أمكن أن نصادر على وجود الشخصية . وهذه القابلية للتعدل والتغير هى التى تتجلى فيما يكون عليه الإنسان من مرونة فى السلوك ، ونتيجة لما لديه من ذكاء ، وهى التى تجعل عملية التطبيع الاجتماعى وتعلم ألوان السلوك المختلفة ممكنة . فهذه القابلية للتعدل والتغير هى التى تساهم بقدر ملحوظ فى اختلاف مظاهر السلوك من فرد لآخر ، وتجعل شخصيته تختلف عن شخصية الآخر . وليس ثمة تناقض فى الحقيقة بين قابلية السلوك للتعدل والتغير وما نكون عليه أنماط سلوك الفرد من ثبات نسبى على نحو ما يتضح لنا فى سمات الشخصية .

تلك أهم الخصائص التى يتميز بها السلوك الإنسانى ، والتى على أساسها

صادر الناس على وجود الشخصية بالنسبة له . فإذا كان الناس متشابهين إلى درجة كبيرة ، وإذا كان سلوكهم لا يتصف بالثبات النسبي الذي يسمح لنا بتقدير من التنبؤ عما سيكون عليه سلوكه في مواقف أخرى ، وإذا كان سلوكهم من النوع الجامد الذي لا يقبل التعديل والتغيير نتيجة الخبرة والتعلم ، لما أمكننا التحدث عن وجود الشخصية .

في ضوء تلك الخصائص نستبعد الشخصية عن الجمادات . فالسكانات النفسية وحدها هي القادرة على القيام بالسلوك . وأما بالنسبة للحيوانات ، فالحقيقة أنها تتميز بخصائص شبيهة بتلك التي سبق الإشارة إليها وهي الفروق الفردية والثبات النسبي في نمط السلوك والقابلية للتغير نتيجة الخبرة والتعلم . ولذلك يرى البعض ، كي يتسقوا مع أنفسهم ، يذهبون إلى القول بأن للحيوانات - أو على الأقل الحيوانات العليا - شخصية . فهناك فروق فردية واضحة بين أفراد الشمبازي ، كما أن لها أنماطاً ثابتة نسبياً من السلوك ، كما أن سلوكها قابل للتغير بشكل ملحوظ نتيجة التعلم والخبرة . أما الحيوانات الدنيا ، فإن سلوكها تحدده الغريزة إلى درجة كبيرة ، ومن ثم يصعب أن نقول بأن لها شخصية .

وقد أثار البورت (١) (١٩٦١) هذا السؤال : هل للحيوانات شخصية ؟ وقد أجاب قائلاً بشيء من التحفظ ، بالإيجاب . فالحيوانات لديها - حسب تعريفه للشخصية - أشكالاً مبدئية من الأجهزة النفسية الجسمية الموروثة والمكتسبة ، والتي تملي على الحيوان نشاطه الخاص (المميز) وإن كنا لا نعرف شيئاً عن أفكاره . ويقف البورت عند هذا الحد ولا يذهب إلى أبعد

(1) Allport G.W. : Pattern and Growth in Personality. New York. Holt, Rinehart and Winston 1961.

من ذلك . ذلك أن الفردية النفسية الجسمية للحيوانات الدنيا بدائية إلى درجة كبيرة ، ولا يمكن أن تفيدنا على نحو ما نجد في شخصية الإنسان ، بل إنه يذهب إلى القول بأن الفرق بين أى نوعين من الحيوانات الفقرية التى هى دون البشر ، ليس أكبر من الفرق بين أى إنسان وآخر . فالتكوين المعقد بشكل هائل للمخ الإنسانى - على عكس ما نجد فى الفقرات الأخرى الأبسط - تسكويننا - يؤيد هذا القول .

ورغم ما قد يذهب إليه بعض علماء النفس من عزو الشخصية إلى المستويات العليا من المماسكة الحيوانية ، إلا أنه عالم نفس الشخصية لم يحرص أى جهد من جانبه لدراسة هذه الناحية ، حيث اقتصرت البحوث والدراسات فقط على الإنسان وحده . وإذا سوف نقهر حديثنا هنا عن شخصية الإنسان وحده .

الفصل الثاني

تعريف الشخصية

كان الاهتمام بالفرد في المجتمعات القديمة قليلاً ، ولذا كان من الطبيعي أن يقل الاهتمام بدراسة الشخصية لعلاقتها الوثيقة بالفردية . ومع تطور المجتمعات وتعدد المشكلات الإنسانية في العصور الحديثة وظهور الاتجاهات الديمقراطية ، أخذ الاهتمام بالفرد يزداد بشكل ملحوظ ، كما أخذت الحاجة تظهر بوضوح لفهم طبيعة الشخصية الإنسانية .

ولفظ « شخصية » من الألفاظ الدارجة على لسان معظم الناس . فـكثيراً ما نسمع شخصاً يصف شخصاً آخر بقوله : « إنه شخصية جذابة » ، أو « شخصية سمجة » ، أو « شخصية قوية » ، أو « شخصية ضعيفة » ، أو « لا شخصية له » ، أو أن له شخصيات متعددة . ولشيوع اللفظ على ألسنة الناس وفي الكتب والمجلات والصحف اليومية ، أصبح يبدو لنا بسيطاً ومفهوماً لا يحتاج إلى تعريف أو إيضاح . وقد يكون ذلك صحيحاً إلى حد ما من الناحية العملية . فقلنا يسألنا إنسان عما تعنيه بـ« شخصية » ، ولكنه الأمر يختلف اختلافاً كبيراً إذا انتقلنا إلى مجال العلم . فإذا سألت شخصاً أن يحدد لك اللفظ تحديداً دقيقاً ، فإنك تصل إلى تعريفات مختلفة وكثيرة للفظ ، تختلف من شخص إلى آخر ، ومن باحث إلى آخر . ولذلك كان من الضروري أن نحدد اللفظ ، إذ هو في الواقع غير محدد ، على عكس ما يبدو لمعظم الناس .

وتعريف الشخصية مسألة افتراضية بحثية ، فليس هناك تعريف واحد صحيح ، والباقي تعريفات خاطئة . والوقوف عند تعريف مقبول يرتضيه

الباحث يقتضى منه دراسة مختلف التعريفات التى وضعت لدراسة الشخصية ،
وأن الطبيعى أن يكون لمصطلح واسع الانتشار « كالشخصية » تعريفات
كثيرة متعددة ومختلفة [لقد أورد « جوردون البورت » فى كتابه الشخصية
(١٩٢٧) (١) ما يقرب من خمسين تعريفاً أو معنى مختلفاً للشخصية ، وبعض
هذه المعانى لاهوتى ، وبعضها فلسفى وبعضها اجتماعى ، وبعضها سيكولوجى .

_ ويذهب البورت إلى أن كلمة « شخصية » Personality بالإنجليزية
أو Personalité بالفرنسية أو Persönlichkeit بالألمانية تشبه إلى حد بعيد
« personalitas » فى اللغة اللاتينية فى العصور الوسطى . أما فى اللاتينية القديمة ،
فقد كان لفظ « برسونا » Persona وحده هو المستخدم . ويتفق الجميع على
أنه كان يعنى « القناع » . ولقد ارتبط هذا اللفظ بالمسرح اليونانى القديم ،
إذ اعتاد ممثلو اليونان والرومان فى العصور القديمة ارتداء أفعنة على وجوههم
لكى يعطوا انطباعاً عن الدور الذى يقومون به ، وفى الوقت نفسه لى يجعلوا
من الصعب التعرف على الشخصيات التى تقوم بهذا الدور . فالشخصية ينظر
إليها من ناحية ما يعطيه قناع الممثل من انطباعات ، أو من ناحية كونها غطاء
يختفى وراءه الشخص « الحقيقى » . ويتفق هذا القول مع التعريفات التى تنظر
إلى الشخصية من ناحية الأثر الخارجى الذى تحدثه فى الآخرين ، وحيث
ينصب الاهتمام على المظهر الخارجى أكثر مما ينصب على التنظيم الداخلى .
ومع مرور الزمن ، أطلق لفظ « برسونا » على الممثل نفسه أحياناً ، وعلى
الأشخاص عامة أحياناً أخرى . وربما كان ذلك على أساس أن « الدنيا
مسرح كبير ، وأن الناس جميعاً ليسوا سوى ممثلين على مسرح الحياة » .

(1) Allport G. : Personality : a Psychological Interpretation New
york, Holt, 1937.

ولعل أقوى المؤثرات في استمرار وبقاء فكرة القناع هذه عبر الأجيال القديمة ، فلسفة أفلاطون التي تمثل أصدق تمثيل للفلسفة المثالية ، والتي مازالت قائمة حتى الآن ؛ إذ لا يزال البعض يعتقد أن الشخصية ، هي مجرد الواجهة التي يفترض أن يكن وراءها جوهر ما .

وقد ورد لفظ الشخصية - على نحو ما أوضح البورت - في كتابات ششرون بأربع معاني مختلفة تستمد جذورها من فكرة المسرح . والجدير بالذكر أن هذه المعاني تشتمل على جميع الأفكار الحديثة لهذه الكلمة . فالشخصية يمكن النظر إليها باعتبارها :

(أ) الفرد كما يظهر الآخرين ، وليس ما هو عليه في الحقيقة . وهي بهذا المعنى تتصل بالقناع .

(ب) مجموع الصفات الشخصية التي تمثل ما يكون عليه للفرد حقيقة . وهي بهذا المعنى تتصل بالممثل .

(ح) الدور الذي يقوم به الفرد في الحياة سواء كان دوراً مهنياً أو اجتماعياً أو سياسياً .

(د) الصفات التي تشير إلى المسكينة والتقدير والأهمية الذاتية . وهي بهذا المعنى تشير إلى المركز الكبير الذي يحتله الفرد مثلاً حين نتحدث عن شخص ما بأنه « شخصية كبيرة » ، وبسبب هذه الدلالة التي تتصل بالقيم ، فإننا لا نقابل مثل هذا التعريف الأخير عادة بين التعريفات العلمية ، وإن كنا نقابله في الاستعمال الدارج حين نشير إلى شخصية ما ذات حيئية ومكانة .

« وأقدا اكتسب لفظ الشخصية في اللغة الدارجة معاني كثيرة مختلفة ، كما عرف أيضاً تعريفات علمية كثيرة فإذا نظرنا إلى التعريفات الدارجة ، نجد أن أكثرها شيوعاً هي تلك التي تنظر إلى الشخصية من حيث قدرة

الفرد على التأثير في الآخرين، وذلك على نحو ما يتضح مثلاً حين نتحدث عن شخص ما بأنه قوى الشخصية، ونقصد بذلك أن له تأثيراً واضحاً على الأشخاص الآخرين الذين يتصل بهم. وكان من الطبيعي أن يرتبط بمثل هذه التعريفات بعض الصفات الأخرى كالعُدوانية مثلاً. فالشخصية القوية قد تتضمن أن لديه من القوة ما يجعله يفرض نفسه على الآخرين، بينما الشخصية الضعيفة، فإن من السهل التأثير عليها أو بعبارة أخرى أنها تفتقر إلى نواحي القوة التي تمكنها من فرض تأثيرها على الغير.

وإلى جانب هذه التعريفات الدارجة، هناك تعريفات أخرى علمية. ويجدر بنا أن نشير إلى بعض هذه التعريفات التي قدمها بعض علماء النفس، فقد تكشف لنا عن الاتجاهات التي سار فيها تفكير هؤلاء العلماء في نظرتهم للشخصية. لقد أورد ستاجنر^(١) بعض هذه التعريفات من ذلك مثلاً تعريف ديمورتن برنس، Morton Prince (١٩٢٤) للشخصية بأنها «مجموع ما لدى الفرد من استعدادات ودوافع ونزعات وشموات و«غرائز» فطرية وبيولوجية، كذلك ما لديه من نزعات واستعدادات مكتسبة»، ومثل هذا التعريف يعطي أهمية للنواحي الداخلية في الشخصية. أما تعريف كيمف (١٩١٩) Kempf للشخصية فهو أسلوب التوافق العادي الذي يتخذه الفرد بين دوافعه الذاتية المركز ومطالب البيئة. ومثل هذا التعريف يعطي اهتماماً لأسلوب توافق الفرد مع البيئة.

أما فلويد ألپورت Floyd Allport فقد أشار في كتابه علم النفس الاجتماعي^(٢) (١٩٢٤)، إلى أن الشخصية هي «استجابات الفرد المميزة

(1) Stagner, R. : Psychology of Personality : Mc. Graw-Hill Book Company Inc. New York 3rd ed 1961.

(2) Allport, Floyd. : Social Psychology. Boston, Milflyn 1924.

للمثيرات الاجتماعية ، وكيفية توافقه مع المظاهر الاجتماعية في البيئة . ولقد لفت وطسن الأنظار إلى الخلق باعتباره جزءاً من الشخصية . فالشخصية تتضمن - في نظره - ليس فقط هذه الاستجابات (ويعنى بها الخلق والعرف) ، بل وأيضاً التوافقات الشخصية للفرد وقدراته وكذلك تاريخ حياته .

— وإذا نظرنا إلى هذه التعريفات التي قدمها بعض علماء النفس ، نجد أنها تتمايز في مجموعتين : إحداهما تنظر إلى الشخصية ككثير ، أى من حيث قدرة الفرد على إحداث التأثير في الآخرين ، والأخرى تنظر إلى الشخصية كاستجابة ، أى من حيث السلوك الذي يستجيب به الفرد وما يقوم به من أفعال في المواقف البيئية المختلفة . والحقيقة أن ليس ثمة تعارضاً حقيقياً وضرورياً بين هاتين المجموعتين . فتأثير فرد ما في الآخرين وقيمة هذا التأثير ، إنما هو دالة أو وظيفة لسلوكه واستجاباته أيضاً . ومع ذلك ، فهناك فروق واضحة بين هذين النوعين من التعريفات . وقد يكون من المفيد أن نناقش — مع ستاجنر — هذين النوعين من التعريفات ، فقد لا يصلحاً معاً لوضع أساس لتعريف على سليم للشخصية مما قد يمهّد السبيل إلى وضع تعريف آخر أكثر دقة .

١ - الشخصية كثير :

وتعريف الشخصية كثير ليس قاصراً على التعريفات الدارجة ، بل نجده أيضاً لدى بعض علماء النفس . وهذه نتيجة طبيعية لمواقف الحياة اليومية التي يفيد فيها استخدام مثل هذه الفكرة . من هذا القبيل ما أورده « جوردون البورت » تحت اسم « التعريفات الحيوية الاجتماعية » التي تركز على المظاهر الخارجية للفرد ، وقدرته على التأثير في الآخرين ، أو ما يعرف باسم « قيمة المثير » . ومن أمثلة هذا النوع من التعريفات قوله : « الشخصية هي مجموع

ما يحدثه الفرد من تأثير في المجتمع ، أو في العادات أو الأفعال التي تحدث أثرها بنجاح في الآخرين ، أو هي تأثيرك في الآخرين ، وهذا النوع من التعريفات وثيق الصلة أيضاً بالمعنى الأصلي للقناع أو الغطاء الخادع . فنكتشف ما نلبسها في حياتنا اليومية إلى أن نغلف أنفسنا وذواتنا الحقيقية بخلاف خادع ونلبسها ثوباً آخر لتبدو للعالم في مظهر يتفق والجماعة .

ويستند المؤيدون لهذا النوع من التعريف بالتأثير الخارجي ، إلى أنه من خلال الأحكام التي يصدرها الآخرون علينا ، ومن خلال تأثيرنا فيهم ، يمكننا أن نعرف شخصياتنا ، إذ كيف يتسنى لنا أن نعرف أنفسنا ، ما لم نحدث أثراً في الآخرين . هذا صحيح . ولكن الأخذ بمثل هذا التعريف يشير صعوبات ومشكلات كثيرة منها :

١ - أنه يشير إلى أجزاء معينة فقط من نمط حياة الفرد ، وعلى وجه الخصوص إلى حيويته وقدرته على التعبير والتأثير في الآخرين .

٢ - أنه ينظر إلى الشخصية من حيث قدرتها على التأثير في الآخرين ، وليس من حيث تنظيمها الداخلي فنظرتها إذن نظرة سطحية خارجية . وهذا العيب يظهر في كتابات هؤلاء الذين يأخذون بوجهة النظر الحيوية الاجتماعية والتي تتعارض مع وجهة النظر الحيوية الفيزيائية التي تذهب إلى أن الشخصية هي - من الناحية السيكلولوجية - الفرد كما هو ، بصرف النظر عن الأسلوب الذي يدرك به الآخرون سماته أو بصرف النظر عن تقديرهم لهذه السمات .

٣ - أن التطبيق الجامد لوجهة نظر الشخصية كثير ، يؤدي - كما يذهب ستاجنر أيضاً - إلى موقف غريب كل الغرابة ، يكون فيه للفرد الواحد عدداً غير محدود من الشخصيات : شخصية بالنسبة لكل فرد من الأفراد الذين يتصل بهم ؛ لأن كل واحد منهم سوف يتأثر بشخصيته تأثيراً مختلفاً ،

٤ - سيكلولوجية الشخصية

وسوف تكون لشخصيته قيمة تأثيرية مختلفة . فالشخص الواحد سوف لا يقيم بنفس النظرة من أمه وزوجته وموظفيه وزملائه ومنافسيه . فتعريف الشخصية على هذا النحو يكون مستحيلا .

٤ - إن الأثر السكلي الذي يحدثه الفرد في المجتمع سوف يؤدي إلى تمييز خطير بين درجات أعلى أو أقل في الشخصية . فالأفراد المختلفون لهم درجات مختلفة متفاوتة من الفاعلية والتأثير في المجتمع الذي يعيشون فيه . فإحدى نجوم السينما التي تكثر الصحف نشر صورها يكون تأثيرها على هذا الأساس أكبر من تأثير العالم الذي يكرس كل حياته ووقته في القيام ببحوثه العلمية في معمله ويبعداً عن الأضواء . ولذلك نجد أن وجهة النظر الحيوية الفيزيائية تعارض فكرة التأثير هذه ، وتجعل لكل إنسان شخصيته بهصرف النظر عما يحدثه من تأثير في الآخرين . فالتأثير ليس بأى حال من الأحوال معياراً لوجود الشخصية .

٥ - إن من المستحيل أن ننكر أن لكل فرد صفات وخصائص متميزة وشخصية مستقلة عن ملاحظات الناس له . صحيح أن الإنسان لا يعيش بمعزل - في العادة - عن الآخرين ، بل يعيش في مجتمع . ولكن ليس من الضروري أن يقوم الناس بملاحظة الفرد حتى تصبح له شخصية . حقيقة إننا نفيد من الملاحظات التي يقدمها الآخرون ، والتأثيرات التي تحدثها في الآخرين كجوانب نكتسب منها معلومات عن شخصية الفرد . ولكن هذه الملاحظات وهذه التأثيرات ليست هي المصدر الوحيد للمعلومات ، ولا ينظر إليها في العادة على أنها هي الشخصية . فالشخصية شيء نسلم بوجوده حقيقة داخل الفرد ، بهصرف النظر عن تأثر الآخرين به . ، إن حياة شخص ما في جزيرة نائية بعيداً عن الناس تحت ظروف خاصة لا تنفي عنه وجود الشخصية . ،

لهذه الأسباب وغيرها يعترض «جوردون البورت» بشدة على هذا النوع من التعريفات ، ويذهب إلى أنه لا يفيد عالم النفس كثيراً . فإلما ينظر الباحث إلى الشخصية نظرة مباشرة كما يفعل مع أية حقيقة موضوعية أخرى ، فسوف يخضع لاعتبارات السمعة والمكانة والتقدير الخاطئة والشائعات والفاعلية الاجتماعية .

٢ - الشخصية كاستجابة :

وتلافياً للصعوبات التي واجهت علماء النفس في تعريف الشخصية كثيراً ، ظهر كرد فعل - اتبناه آخر ينظر إلى الشخصية كاستجابة ، فهذا «فلويد البورت» في كتابه السابق الذكر «علم النفس الاجتماعي» يعرف الشخصية بقوله : «إنها استجابات الفرد المميزة للثيرات الاجتماعية ، وأسلوب توافقه مع النظام الاجتماعية في البيئة» . شخصية الفرد إذن هي «الثقافة» وظيفته سلوكه واستجاباته للبيئة المختلفة .

والحقيقة أن هذا النوع من التعريفات يعتبر - كما يقول ستاجنر - تقدماً ملحوظاً بالقياس إلى الاتجاه الخارج . ذلك أن الشخصية أصبحت ترتبط هنا بمظاهر موضوعية سلوكية يمكن دراستها وقياسها بمختلف وسائل القياس التي يستخدمها علم النفس العالى .

ولكن يعترض على مثل هذه التعريفات بالاستجابة بأن التعريف قد يصبح عاماً وشاملاً يغطي جوانب أكثر مما يمكن التعامل معه في الواقع . فتعريف وطسن الذي يذهب إلى أن الشخصية هي كل ما يفعله الفرد من أنشطة يمكن ملاحظتها على مدى فترة طويلة من الزمن تسفي للوصول إلى معرفة ثابتة عنه يعتبر من هذا القبيل .

كما أن تعريف جاثرى (١) للشخصية بأنها العادات و نظام العادات ذات الأهمية الاجتماعية والتي تكون ثابتة وتقاوم التغير ، يشير أيضاً بعض المشكلات ، فهو يتحدث عن نظام العادات ذات الأهمية الاجتماعية . فسادا يكون عليه الأمر بالنسبة للعادات التي ليست لها أهمية اجتماعية . فبعض الناس مثلاً اعتاد الوقوف أمام المرأة والضحك لصورهم عندما يكونون على أفراد وهي عادة من الواضح أن ليس لها قيمة اجتماعية ، وإن كانت ذات دلالة بالنسبة لشخصية الفرد .

ثم إن الشخص الواحد حتى حين يواجه بنفس المثير ، لا يستجيب دائماً بنفس الاستجابة . كما أنه شخصين مختلفين قد يستجيبان بنفس الأسلوب أو نفس الاستجابة ، ولكن لأسباب مختلفة تماماً . فعدم الثبات في استجابات الفرد الواحد أحياناً ، وتشابه استجابات الأفراد المختلفين أحياناً أخرى ، يوحى بضرورة تعديل نظرتنا للشخصية كاستجابة .

وربما كان « جاثرى » يهدف من وراء تعريفه هذا إلى الجمع بين التعريفات التي تنظر إلى الشخصية كمثير ، وتلك التي تنظر إلى الشخصية كاستجابة . فقول « ذات الأهمية الاجتماعية » يبدو أنه مرادف « التأثير الذي يحدثه الفرد في الآخرين » . فتكأنه يريد أن يحتفظ بالميزة العملية للتعريفات الدارجة ، ويعدل أو يضيف في الوقت نفسه المزايا العلمية للاتجاه الذي يرتبط بالسلوك الذي يمكن إخضاعه للبحث التجريبي .

وتعريف الشخصية بالاستجابة قريب من هذا النوع من التعريفات التي

(1) Guthrie, E. R : Personality in terms of associative learning.
in J. Mc. V. Hunt. : Personality and behavior disorders. New
York, Ronald 1944.

أشار إليها «إيزنك» (١) بصدده حديثه عن نظريات تنظيم الشخصية ،
بالتعريفات التجريبية التي تؤكد «الأفعال السلوكية» في مقابل تعريفات
أصحاب النظريات التي تؤكد المفاهيم الدينامية .

ومن الممكن القول بأن معارضة الاتجاهين السابقين في تعريف الشخصية
كثير أو كاستجابة ، ترجع إلى أن كلا منهما يؤكد الجوانب السطحية الظاهرية
للشخصية . فهى تعريفات أقرب إلى تعريفات القناع أو الواجهة التي تحدث
أثرها في الآخرين . أما جوهر الشخصية أو تنظيمها الداخلى الذى يكمن وراء
هذه الواجهة ، فهو ما تغفله هذه التعريفات . ولذلك اتجهت الدراسة نحو
التركيب أو التنظيم الداخلى للشخصية والذى يمكن أن يستدل عليه من السلوك
الظاهرى للفرد .

٣ - الشخصية كمكون افتراضى داخلى :

ويفضل معظم علماء النفس تعريف الشخصية كوحدة موضوعية أو شىء
له وجود حقيقى . فهم يسلون أن الإنسان متصل بالعالم المحيط به ، يتأثر به
ويؤثر فيه فى كل مرحلة من مراحل حياته . وعلى ذلك ، فالشخصية لها تاريخها
الماضى وحاضرها الراهن . فهى - على حد قول وليم شتينر - «وحدة
دينامية متعددة الأشكال» .

وهذا النوع من التعريفات ينظر إلى الشخصية باعتبارها تنظيمًا داخليًا
يمكننا من تفسير مظاهر السلوك المختلفة للفرد . فهى نوع من الوحدة
الداخلية التى تحدث التآزر والتكامل بين جميع أفعال الفرد . ومن قبيل هذا
النوع من التعريفات تعريف «وارن» ، بأن الشخصية هى التنظيم العقلى الكامل
للكائن الحى فى أية مرحلة من مراحل نموه وهى تتضمن كل مظهر من مظاهر

(1) Eysenck, J. H.: The Structure of Human Personality. London.
Methuen 1970.

الشخصية الإنسانية : عقله ، ومزاجه ، ومهارته ، وخلقه ، وكل اتجاه كونه خلال حياته (١) ، وكذلك تعريف إيزنك للشخصية بأنها « التنظيم الأكثر أو الأقل ثباتاً واستمراراً لخلق الفرد ومزاجه وعقله وجسمه ، والذي يحدد توافقه المميز للبيئة التي يعيش فيها ، وهو يعنى بالخلق التنظيم الأكثر أو الأقل ثباتاً واستمراراً للسلوك النزوعي الإرادة . بينما يعنى بالمزاج التنظيم الأكثر أو الأقل ثباتاً واستمراراً لسلوكه الوجداني (الانفعال) ، ويعنى بالعقل « التنظيم الأكثر ثباتاً واستمراراً للسلوك المعرفي « الذكاء » ، على حين يعنى بالجسم التنظيم الأكثر أو أقل ثباتاً واستمراراً للتكوين البدني والغددى والعصبى للفرد (٢) .

— غير أن بعض علماء النفس المحدثين يعارضون مثل هذه النظرة إلى الشخصية كتركيب أو تكوين داخلي ، وذلك على أساس أن مثل هذا التكوين الداخلي لا يمكن إخضاعه للدراسة العلمية فنجن لا يمكننا أن نعرف « الوحدة الدينامية المتعددة الأشكال » ، والتي نقول عنها إنها توجد حقيقة . فالتركيب الداخلي - حتى إذا كان له وجود حقيقة ، لا يمكن دراسته مباشرة (وقد أدت هذه النظرة إلى البحث عن تعريفات إجرائية للشخصية . فقد ذهب البعض إلى أن ما نعرفه عن الشخصية هو « تحديد » لإجراءاتنا ، / فتعريف الشخصية حسب هذه النظرة لا يكون مفيداً من الناحية العلمية ما لم يوضع في عبارات إجرائية ، أى في عبارات تسمح بملاحظة الظاهرة وإعادة خلقها كي تسنى دراستها دراسة تجريبية مبنية على الملاحظة والقياس . ويسمى هذا النوع من التعريف « بالتعريف الإجرائي » ، نظراً لأنه يقتصر على العمليات أو الإجراءات التي يقوم بها العالم أو الباحث للحصول على الظاهرة التي

(1) Warren, H.C. (ed). Dictionary of Psychology. Boston, Houghton Mifflin 1934. p. 197.

(2) Eysenck, J. H.: The Structure of Human Personality. London, Methuen 1970.

يدرسها، وحسب هذا النوع من التعريفات الإجرائية تعتبر جميع التعريفات التي تحدد الشخصية من حيث هي تركيب داخلي خرافة، أو هي مجرد تكوين ارتباط باسم من الأسماء . وقد قدم « ماك كليلاند » في كتابه الشخصية (١) مثل هذا التعريف الإجرائي . فالشخصية هي ذلك « المفهوم الأكثر تناسبا لسلوك فرد ما في جميع تفاصيله التي يمكن للعالم تقديمها في لحظه ما » .

ومع أهمية التعريف الإجرائي للظاهرة، إلا أننا نلاحظ اقترابه من التعريفات « بالآثر الخارجي » الذي يحدثه الفرد في الآخرين . فالشخصية ليست سوى ما يقوم الآخرون بملاحظته وتسجيله من إجراءات يقوم بها الفرد وتأثير ذلك في إدراكات الآخرين . الذين هم في هذه الحالة ، العلماء . إن الشخصية ليست ظاهرة يمكن ملاحظتها مباشرة ، وإنما هي تكوين افتراضي نفترض وجوده ، وفي ضوءه يمكن أن نفسر مظاهر السلوك المختلفة . فعلى الرغم من أننا نقول أحيانا أننا نلاحظ شخصية فرد ما ، إلا أننا في الحقيقة نلاحظ سلوكه ونستخدم هذه الملاحظات لعمل استدلالات عن شخصيته . فالشخصية هي على هذا الأساس مكون افتراضي أو هي تجريدي على . وهذا ما يمكن أن نلاحظه سواء بالنسبة للتفكير العادي أو التفكير العلمي .

وثمة موقف قريب من هذا الموقف الإجرائي ، وهو موقف هؤلاء الذين يذهبون إلى عدم الالتجاء إلى استخدام مفهوم الشخصية إطلاقا . فبعض أصحاب نظرية المشير والاستجابة مثلا يذهبون إلى أن ليس ثمة حاجة لأن نشغل أنفسنا بتغيرات متدخلة أو وسيطة ، كالشخصية ، إذا أمكننا أن نعرف المشير والاستجابة . وهذه هي نظرة السلوكيين المتطرفين الذين لا يسمحون

(1) Mc Clelland, D. : Personality. New York. William Sloane Assoc. 1951.

إلا بدراسة السلوك الخارجى الذى يمكن ملاحظته وإخضاعه للدراسة .
أما الشخصية كشيء داخلى أو كسكون افتراضى فإنه لا يفيدنا فى شيء وبالتالى
لا وجود له .

وعلى الرغم من أن هذا يعد هدفاً لبعض علماء النفس ، إلا أن التكوينات
الافتراضية أو التجريدات تعتبر مع ذلك حقائق موجودة فى العلم إن العلم
يعالج فقط ما هو حقيقة ، . ولكن هذه الحقيقة قد تكون مجردة إلى حد
بعيد . فليس هناك إنسان شاهد الألكترون مثلاً . ولكن العالم يضع نظرية ما ،
وفى ضوءها يذهب إلى أنه إذا كانت للألكترونات خصائص معينة ، فسوف
تنتج عنها إذن نتائج معينة . وتصمم التجارب لملاحظة هذه النتائج . فالألكترون
الحقيقى هو تجريد فقط ، وليس موضوعاً للتجربة . وبنفس الطريقة ، فإن
الشخصية الحقيقية تجريد من ملاحظات عديدة لسلوك الأفراد المختلفين .
أما قيمة النظرية ، فهذه تتوقف على مدى نجاحها فى مساعدتنا على فهم سلوك
الفرد والتنبؤ بما سوف يقوم به .

وفى ضوء ما سبق ، يمكن أن نحدد الصفات المختلفة التى يجب أن يشتمل
عليها المفهوم البسيط للشخصية ، وهذه أهمها :

١ - الشخصية وحدة مميزة خاصة بالفرد حتى ولو كانت هناك سمات
مشتركة بينه وبين غيره من الأفراد .

٢ - الشخصية تنظيم وتكامل حتى ولو لم يتحقق هذا التكامل دائماً ،
فهو هدف يسعى الفرد دائماً إلى تحقيقه .

٣ - الشخصية تتضمن فكرة الزمن . فالشخصية لها تاريخ ماضى
وحاضر وأمن .

٤ - الشخصية ليست مثيراً ولا استجابة وإنما هي مكون افتراضى .

وفى ضوء هذه الصفات يمكن تعريف الشخصية بأنها ذلك التنظيم

أر تلك الصورة المميزة التي تأخذها جميع أجهزة الفرد المسئولة عن سلوكه خلال حياته . وربما كان تعريف جوردون البورت (١) تعريفاً مناسباً لهذا الغرض . فبعد أن استعرض البورت شتى التعريفات ، وحصل إلى تعريف في ضوء المتغيرات الوسيطة أو التكوينية الافتراضية . وقد عرف الشخصية بقوله : « هي ذلك التنظيم الدينامي الذي يكمن بداخل الفرد والذي ينظم كل الأجهزة النفسية الجسمية التي تملي على الفرد طابعه الخاص في السلوك والتفكير » .

ومن الواضح أن هذا التعريف يتجنب الكثير من الصعوبات التي واجهتنا في التعريفات السابقة . فهو يدرك الطبيعة المتغيرة للشخصية وذلك في قوله « ذلك التنظيم الدينامي » ، كما أنه يركز الاهتمام حول الجانب الداخلي أكثر من اهتمامه بالمظاهر الخارجية السطحية . ويمكن أن نوضح المفاهيم الأساسية التي يتضمنها هذا التعريف (٢) .

فالتنظيم الداخلي يعيد التعريف عن النظرة الدارجة التي تنظر إلى الشخصية باعتبارها مجرد مجموع أجزاء . والمشكلة الأساسية في علم النفس هي التنظيم العقلي (أي تكوين أنماط أو أنظمة متسلسلة من الأفكار والعادات التي توجه النشاط دينامياً) . فالتكامل والعمليات التنظيمية الأخرى تعتبر ضرورية لتفسير نمو وبناء الشخصية . ومن هنا كان من الضروري أن يتضمن التعريف فكرة التنظيم . وهذا اللفظ يتضمن أيضاً العملية البديلة لاختلال التنظيم أو عدم التنظيم ، وبخاصة عند الشخصيات الشاذة التي تتميز بعدم التكامل الواضح الملحوظ .

(١) Allport, G. W.: Pattern and Growth in Personality. New York. Holt, Rinehart and Winston 1961. pp. 28-29.

(٢) أنظر أيضاً د . محمد عماد الدين اسماعيل : الشخصية والعلاج النفسي . مكتبة النهضة

أما النفسية الجسمية فتذكرنا بأن الشخصية ليست كلها عقلية ، أو كلها عصبية (بدنية) . فتنظيمها يتضمن عمل كل من « العقل » و « الجسم » في وحدة لا سبيل إلى انفصامها .

أما الأجهزة فتعنى وجود نظام معقد من العناصر التي تكون في تفاعل متبادل . فالعادة نظام ، وكذلك المشاعر والسمات وأسلوب السلوك . وهذه الأنظمة كائنة في الكائن الحي العضوي . فالأنظمة أو الأجهزة هي « إمكاناتنا للنشاط » .

وكلمة تملى على الفرد نتيجة طبيعية لوجهة النظر الحيوية الفيزيائية فالشخصية شيء ، وتعمل شيئاً . فالأجهزة النفسية الجسمية السكائمة ، حين تستدعى للعمل ، إما أن تحرك أو توجه النشاط الخاص أو التفكير . وجميع الأجهزة التي تمثل الشخصية يمكن النظر إليها كنزعات محددة ، وهي عندما تستثار بالمثيرات الملائمة تحدث تأثيرها الموجه على كل الأفعال التوافقية والتعبيرية التي بواسطتها تعرف الشخصية .

أما الطابع الخاص فمن المعروف أن كل سلوك وكل فكر يمكن أن يعتبر طابعاً يميزاً للفرد . وحتى الأفعال والمفاهيم التي يبدو في الظاهر أننا نشارك فيها الغير هي في الحقيقة فردية مميزة .

أما السلوك والتفكير فهما يشيران إلى كل ما يمكن لفرد ما القيام به . إن كل ما يفعله الفرد هو في الأصل من أجل التكيف مع البيئة المحيطة به . وليس من الحكمة أن نعرف الشخصية فقط في ضوء التكيف . فنحن ليس فقط نوافق مع البيئة ، بل وأيضاً نفكر ملياً فيها . فنحن نهدف إلى السيطرة عليها وننجح أحياناً . فالسلوك والتفكير إذن يدفعان إلى البقاء والنمو . فهما أساليب توافق واتساع تثيره المواقف البيئية التي توجد فيها ، والتي تختارها ونوجهها دائماً الأجهزة النفسية الجسمية التي تولف وتشكل شخصياتنا .

الفصل الثالث

محددات الشخصية

يذهب كلوكهون ومورى وشليدر في كتابهم «الشخصية في الطبيعة والمجتمع والثقافة» إلى أن كل إنسان هو في بعض نواحيه :

(أ) يشبه كل الناس .

(ب) يشبه بعض الناس .

(جـ) لا يشبه أى إنسان .

أولاً : أما أنه يشبه كل الناس ، فهذا ما نلحسه في نواحي متعددة منها :
أن بعض محددات الشخصية عام بين الناس جميعاً . فهناك مظاهر وسمات مشتركة في الإرث البيولوجي لجميع الناس ، وفي البيئة الطبيعية التي يعيشون فيها ، وفي المجتمعات والثقافات التي ينتمون إليها . ومع كون هذه الحقيقة بالغة الوضوح ، فلن هذا الوضوح نفسه هو الذي يجعلنا نؤكد أهميتها ، لأننا نميل عادة إلى الالتفات إلى كل ما هو غير عادي ، وإلى أن نبرز الاختلافات والفروق بين الأفراد والمجتمعات بعضها وبعض ، ونغفل الإرث المشترك بينهم جميعاً . ومن الممكن أن يتكشف جانب كبير وهام من المحددات غير المعروفة للشخصية ، إذا ما وجهنا اهتمامنا إلى دراسة هذا القدر المشترك بين الناس جميعاً .

فكل فرد منا له نفس التكوين العضوي والبيولوجي الذي للآخرين . فكل فرد منا لديه نفس الأجهزة العضوية المختلفة التي يشترك فيها الناس جميعاً كالجهاز الهضمي والتنفسي والغددى وغيرها من الأجهزة . كما أن كل فرد منا

يمر بخبرة الميلاد، ويتعلم أن يتحرك في البيئة التي يعيش فيها، ويكتشف هذه البيئة، ويحمي نفسه من التغيرات الطبيعية ومن الإحباطات الخطيرة التي قد يتعرض لها. كما أن كل فرد منا يخبر ضغط الحاجات الأولية ويتعلم طرق خفض هذه الحاجات وهو يقوم بهذا كله منذ ولادته حتى وفاته — كعضو في مجتمع. وهو إذا كان يشارك النوع الحيواني في بعض هذه النواحي إلا أن له حاجاته الخاصة. فهو يشارك أفراد جنسه في اعتدال القامة، وفي نمو وتطور جهازه العصبي الذي يسمح له بالقيام بالكثير من العمليات العقلية المعقدة كالكلام والتعلم على مستوى عال (١).

وبالإضافة إلى ذلك، فهو يشبه كل الناس من حيث هو كائن حي اجتماعي، عليه أن يتكيف مع الجماعة التي يعيش فيها، ويتخضع لشروط التفاعل والعلاقات المتبادلة مع الآخرين في المجتمع، كما أنه يشبههم جميعاً من حيث أنه يخضع مثلهم لمطالبات الثقافة، فكل إنسان يولد ضعيفاً لا حول له ولا قوة، ويعيش في عالم مليء بالتهديدات التي قد تعرض حياته للخطر. ولا شك أن النوع الإنساني كان من الممكن أن يتعرض للانقراض ما لم تسكن هذه الحياة الاجتماعية. فالتكيف الإنساني للبيئة الخارجية يتوقف على هذا السند المتبادل الذي هو الحياة الاجتماعية، كما يتوقف أيضاً على الثقافة. وإذا كانت بعض أنواع الحشرات والحيوانات تعيش معاً في جماعة، دون أن يكون لها مثل هذه الثقافة، فإن قدرتها على الحياة تكمن في أعماط السلوك الغريزي الموروثة. أما الحيوانات العليا والإنسان، فإن عاداتها وسلوكها أقل جموداً، ويمكنها أن تتعلم الكثير عن طريق الخبرة. والمجتمعات الإنسانية تعتمد في وجودها على الثقافة التي يمكن أن تعتبر مستودعاً كبيراً نودع فيه حلول المشكلات

(1) Kluckhohn, C., Murray, H. A. and Schneider, D. M.,: Personality in Nature, Society and Culture. New York, Knopf, 1953.

التي قد يواجهها الإنسان . فهي مليئة ليس فقط بما نتعلمه من الأحياء في المجتمع ، بل وأيضاً من خبرات السابقين وخبرات أناس يحيون في مجتمعات وشعوب أخرى .

ثم هو بالإضافة إلى هذا وذاك ، يشبه كل الناس من حيث تعرضهم جميعاً لنواحي الإشباع والحرمان فهم جميعاً يتعرضون لنواحي الإحباط في البيئة المادية (كالجو والعوائق المادية والطبيعية) ونواحي الإحباط المتصلة بالنواحي الفسيولوجية (من مرض وعجز بدني) ، كما قد تعني الحياة الاجتماعية بالنسبة لهم وجود بعض التضحيات وتحمل بعض المسئوليات .

ومع كون هذه الحقائق موجودة ومعروفة في الحياة الإنسانية ، إلا أنها نادراً ما ينظر إليها باعتبارها ظاهرة تستحق الالتفات ؛ فنحن نميل إلى اعتبارها خلفية ، نسلم بها كالهواء الذي نستنشقه سواء بسواء .

ثانياً : أما أنه يشبه بعض الناس ، فهذا ما نلاحظه في تشابه بعض سمات شخصية مع أعضاء الجماعات أو مع أعضاء معينين من جماعات معينة . فالبجاعة مثلاً ، بصرف النظر عن المجتمعات التي يلتزمون إليها ، يميلون إلى أن تكون بينهم صفات مشتركة . ونفس القول يصدق على بدو الصحراء . كما أن رجال الفسك والرياضة بينهم في الأغلب سمات مشتركة .

ونحن حين نتحدث عن الأنماط ، إنما نعني ضمناً أن هذا الفرد يشبه مجموعة معينة من الناس تتصف بصفات خاصة ، وذلك على نحو ما نتحدث عن شخص معين بأنه من النمط البدني أو المزلي أو الرياضي أو أنه من النمط المنطوي أو المنبسط ؛ إنما نشير في هذه الحالة إلى تشابه مع بعض الناس في صفات جسمانية أو نفسية معينة . ونحن حين نتحدث عن مجموعة الأعراض العصائية أو الذهانية عند أفراد مجتمع ما ، فإن هذا يذكرنا أيضاً بأفراد آخرين

يعانون من نفس هذه الأعراض في مجتمعات أخرى لوجود قدر مشترك ،
من الصفات بين هذه المجموعات المرضية المختلفة .

ثالثا : أما أنه لا يشبه أى إنسان ، فهذا ما يتضح من أن لكل فرد طريقته
وأسلوبه الخاص في الإدراك والشعور والسلوك والذي يطبعه بطابع مميز
لا يتكرر لدى أى فرد آخر وبنفس الصورة . وقد يرجع ذلك في ناحية منه
إلى هذا التجمع الفريد للإرث البيولوجى الذى يرثه الفرد من الأبوين ، كما قد
يرجع أيضا إلى التفاعلات العديدة المتتابغة بين السكان الجلى الناجم والمواقف
البيئية المختلفة منذ الولادة وما بعدها . ثم إن الخبرات المختلفة التى يتعرض
لها كل فرد منا ، قد تسهم إلى حد بعيد في هذا الاختلاف الظاهر في شخصيات
كل فرد . فهذا طفل عانى في طفولته آلام الضياع والجوع ، وذلك آخر فقد
أمه في الوقت الذى هو في أمس الحاجة إلى حبها وعنايتها وقامت على رعايته
جدته المسنة ، وذلك ثالث يتزوج أبوه من زوجة أخرى ، ويترك لها أمر
رعاية الطفل ، وقد تسمى معاملته وتقسوعليه ، ورغم أن شخصيات الأمهات
الذين يمرون بمثل هذه الخبرات والمشكلات قد تشابه في بعض نواحيها ،
إلا أن شخصية كل فرد منهم تختلف اختلافا واضحا عن شخصية الآخر ،
بسبب أن الموقف المؤلم يكون له تأثير فريد ومتميز في كل منهم ، وبسبب
أن كل شخصية تستجيب بطريقة فريدة ومتميزة كذلك . وهكذا يمكن
القول بأن كل شخصية هى صورة فريدة لا يمكن أن تتكرر ، ولا يمكن
أن يكون هناك إنسان يشبه تمام الشبه أى إنسان آخر . وقد أصبحت هذه
الناحية حقيقة بالغة الوضوح لا تحتاج إلى مزيد من البيان والتفصيل .
فالفروق الفردية بين الناس سواء في النواحي الجسمية أو العقلية أو المزاجية ،
أصبحت حقيقة مسلم بها . ولم تعد هذه الفروق — كما كان ينظر إليها البعض

قديمًا - شوائب وأخطاء في القياس ، بل أصبحت حقائق علمية يسلم بها العلم .
وقد ذهب كلوكهون ومورى وشفيدر إلى أن تكوين الشخصية يمكن
النظر إليه في ضوء محددات أربعة وما بينها من تفاعلات . وهذه (المحددات
الأربعة هي :

(١) المحددات التكوينية (البيولوجية)

(ب) محددات عضوية الجماعة

(ح) محددات الدور الذي يقوم به الفرد

(د) محددات الموقف

وهذا التصنيف يساعد - في نظرهم - على معرفة من أى النواحي يشبه
الفرد كل الناس أو بعض الناس ، أو لا يشبه أى إنسان على الإطلاق ، كما أنه
يساعدنا أيضا على توضيح المحددات المختلفة للشخصية . وفي هذا الفصل سوف
نعرض المحددات التكوينية وحدها ، أما بقية العوامل فسوف نعرضها
في الفصل التالى .

المحددات البيولوجية للشخصية :

يميل بعض علماء النفس إلى تأكيد أن « الطبيعة الإنسانية » إجتماعية
في أساسها ، وأن الأساس البيولوجى للسلوك هو القدر المشترك بين الإنسان
والحيوانات الأخرى . ومع ذلك ، يجب أن نؤكد منذ البداية أن التأثيرات
الاجتماعية يمكن أن تحدث أثرها فى الكائن الحى البيولوجى ، مثلما تحدث
الاختلافات فى التكوين البيولوجى والجسمى للفرد ، واختلافات فى استجاباته
للظروف الاجتماعية التى يعيش فيها . ولذلك - فحتى عالم النفس الاجتماعى -
لا يمكنه أن يغفل أهمية الجوانب البيولوجية فى دراسة الشخصية .

الاتجاه البيولوجي في دراسة الشخصية :

يذهب « وليم روجر » (١) إلى أن إدخال المجال البيولوجي في دراسة الشخصية ، من شأنه أن يوسع أفقنا ونظرتنا لهذا المجال الجديد الذي لا يزال في المهد . ويستمد الاتجاه البيولوجي الكثير من أفكاره من علم البيولوجيا وعلم الفسيولوجيا وما يتصل بهما ، في نظريتهما للشخصية وكيف تتكون وكيف تنمو وكيف تتعدل . ويقول « إيزيك » في كتابه « الحقيقة والوهم في علم النفس » (٢) ، إن من الأهمية بمكان الربط بين علم النفس وبين علم وظائف الأعضاء وعلم الأعصاب والبيولوجيا ربطا وثيقا . وإذا كان ت . هـ . هكسلي قد قال إنه « لاذهان بدون عصاب » فقد قصد بهذا أنه لا توجد أحداث عقلية بدون الأحداث الفسيولوجية أو العصبية الكامنة وراءها ، والتي يمكن أن تفحص وتقاس بالعلم الفيزيقي . ولكن لا يزال بعيداً هذا اليوم الذي سيمكن فيه من أن نحقق هذا بطريقة لا لبس فيها ، خصوصاً فيما يتعلق بمفاهيم الشخصية .

والكائن الحي وحدة متكاملة . ولكن سواء اتجه نظرنا ناحية الجهاز العظمي أو العضلي أو الدوري أو التنفسي أو الغددى أو العصبي أو حتى ننو الفحص الميكروسكوبي للدم ، فإن الفروق الفوقية الواضحة بين الناس في هذه النواحي المختلفة ، هي أول ما يجذب انتباهنا . فهناك اختلافات مورفولوجية هائلة بين العاديين من الناس . فالأجهزة الجسمية تختلف اختلافاً كبيراً من

-
- (1) Roger, J. Williams. : The Biological Approach to the Study of Personality. In James, A Dyal : Readings in Psychology : Understanding Human Behavior. Mc. Graw-Hill 2nd ed. 1967.
(2) Eysenck, J.H. : Fact and Fiction in Psychology. Pelican Book. Penguin 1965.

انظر أيضاً الترجمة العربية لكتاب الحقيقة والوهم في علم النفس ترجمة قديري صفى ورؤف نظامي دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩ ،

الشكل والحجم . فالقلوب مثلاً تختلف بعضها عن بعض مورفولوجياً ، كما تختلف في قدرتها على ضخ الدم . والأمير بالمثل بالنسبة للغدد وغيرها .

وإلى جانب هذا التمايز الواضح في النواحي المورفولوجية ، هناك أيضاً تمايز ليس أقل وضوحاً في النواحي الفسيولوجية والكيميائية الحيوية . فقد وجد في إحدى الدراسات للمصاراة المعدية فروقاً واضحة في مقدار ما تفرزه المعدة من هذه المصاراة .

ثم إن العمل الزائد الذي قام به ثرستون على القدرات العقلية الأولية ، والذي يتضمن أن بعض الأفراد أقوى في القدرة العددية منه في القدرة على الطلاقة اللفظية أو التصور البصري المكاني ، على حين أن البعض الآخر أقوى في القدرة على الطلاقة اللفظية منه في القدرة التذكرية أو الاستنباطية قد يفتح المجال أمام العديد من الدراسات التي قد تتجه إلى دراسة تشرح المنح الإنسانية لعلها تقف على أساس بيولوجي لهذه الاختلافات ، إلى جانب الأساس السيكلوجي .

وإذا كان علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية يذهبون إلى أن الثقافة هي العامل الوحيد المؤثر في شخصية الفرد ، وإلى أن التشابه بين أفراد المجتمع الواحد مرده إلى التنشئة الاجتماعية ، فليس معنى ذلك أن الفروق والتمايزات الموروثة والبيولوجية التي نولد مزودين بها قد ذهبت وانتهت نتيجة لتوافق الأفراد داخل الإطار الثقافي الذي يعيشون فيه .

والحقيقة أن السكان الحي يمثل وحدة متكاملة لا يمكن الفصل فيها بين مكوناته البيولوجية والتأثيرات البيئية التي يخضع لها سواء قبل الولادة أو بعدها . وإذا كان للثقافة تأثير عميق في حياة الفرد ، فإن للمحددات البيولوجية تأثير مماثل كذلك . ولكن المشكلة التي تواجه العلماء هي في الدور النسبي لهذه العوامل البيولوجية والبيئية في خلق الشخصيات المتمايزة . أما أنصار الانحياز البيولوجي

٥ — سيكولوجية الشخصية

فهم أقرب إلى تأكيد العوامل البيولوجية على البيئية ، بينما أنصار الاتجاه الاجتماعي أكثر تأكيداً للعوامل البيئية منهم للعوامل البيولوجية . ويمكن أن نشير هنا إلى موقف «وليمز روجر» الذي هو أقرب إلى تأكيد العوامل البيولوجية ، وذلك في قوله « يبدو من المحتمل أن الجهاز الغددي المتميز لدى الفرد ، والتكوين المورفولوجي لمخه ، وجهازه العصبي المتميز ، يعتبر أكثر أهمية من التدريب على الإخراج أو الفطام أو غيره من العمليات التي تتخذ في تربية الطفل وتشجته الاجتماعية . ومع ذلك لا يمكننا أن نقرر ، كحقيقة قاطعة ، أن الفروق في مورفولوجية المخ أو في الأجهزة الغددية ذات صلة كبيرة بالفروق في الشخصية . كما أنه ليس لدينا من ناحية أخرى دليلاً قوياً ، على أن التدريب على الإخراج له أية آثار جوهرية على نمو الشخصية . فكل ما نقوله هو من قبيل الحدس لحسب . وعلى كل فلا تزال دراسة الشخصية في مرحلة طفولتها المبكرة » .

ويركز أنصار الاتجاه البيولوجي في دراسة الشخصية اهتمامهم على مجالات متعددة أهمها :

١ - دراسة الوراثة : فالأفراد يختلفون بعضهم عن بعض تحت تأثير العوامل الوراثية ، وبصرف النظر عن الظروف والتأثيرات البيئية المحيطة بهم .

٢ - دراسة الأجهزة العضوية ، والعلاقة بين وظائفها وأنماط الشخصية .

٣ - دراسة التكوين البيوكيميائي والغددي للفرد .

وسوف نوضح كل نقطة على حدة :

أولاً - الوراثة :

والكائنات الإنسانية - شأنها في ذلك شأن غيرها من الكائنات الحية -

تخضع لقوانين للوراثة . أما ما هي هذه القوانين وإلى أي مدى تحدث أثرها في النواحي الجسمانية والعقلية والمزاجية والشخصية ، فهذا ما بدأ العلم يكشف عن بعض خفاياه منذ أيام « تشارلس دارون » و « جريجور مندل » . وهذه المسألة بالغة التعقيد ولا يسعنا إلا الاعتراف مع تشارلس دارون بأن « موضوع الوراثة كله موضوع عجيب » . وقد يظهر الكثير من الخلط بين الباحثين في الدور الذي تقوم به الوراثة في تحديد السلوك ، ولعل مرجع ذلك افتقارهم إلى الكثير من الحقائق المناسبة في هذا المجال . ويتعرض كتاب السير ونوارخ الحياة والروائيون إلى الكثير من ألوان النقد عندما يقررون مثلاً أن شخصية ما قد ورثت - ليس فقط صفات جسمانية معينة (كاللون الشعر - مثلاً) ، بل وأيضاً صفات سلوكية معينة كذلك (كالثورات الدفاعية) عن أحد الأجداد ، دون أن يستندوا في ذلك إلى أدلة قوية تدعم أقوالهم وكثيراً ما نسمع من رجل الشارع أقوالاً شبيهة بذلك سواء عن نفسه أو عن الآخرين . وغالباً ما يعزو الفرد السمة السالبة عنده إلى عوامل الوراثة حتى يخرجها من نطاق قدرته على التحكم فيها وضبطها وإعادة تربيتها وتوجيهها . وإذا ركبنا جانباً أقوال غير العلماء ، فإن «غالبية» العظمى من علماء الوراثة يتفقون على أن التشابهات السلوكية داخل الأسرة الواحدة - إذا أخذت بذاتها - ليست دليلاً كافياً للقول بأن الوراثة وحدها هي السبب في حدوثها .

ومن الملاحظ أن علماء النفس الأمريكيين لم يوجهوا اهتماماً كبيراً لدراسة الأساس الوراثي للسلوك عند الإنسان والحيوان ، إذا قورن ذلك باهتمامهم الكبير بدراسة التعلم وأثر البيئة في تعديل سلوك الكائن الحي . وإذا كان الكثيرون منهم يدافعون عن الدور الذي تقوم به العوامل البيئية ، أكثر من دفاعهم عن دور العوامل الوراثية في تحديد سلوك الفرد ، فما لا شك فيه أن أية سمة من السمات الجسمانية كانت أو عقلية أو مزاجية ، لا يمكن أن تعزى

إلى العوامل الوراثية وحدها ، أو إلى العوامل البيئية وحدها ، وإنما تفاعل هذين العاملين معا . وللتقدير الكامل لهذه الحقيقة ، يجب أن نشير إلى أن بيئة الفرد التي نعيشها هنا تبدأ منذ اللحظة الأولى للحياة داخل الرحم ، وليست قاصرة لحسب - على نحو ما قد يفهم البعض - على البيئة الخارجية بعد الولادة . فالبيئة داخل الرحم - وهي التي تتحدد بشكل أرى بالنواحي الفسيولوجية للأم - تلعب دوراً هاماً في الحياة الجنينية للطفل . فالغلبة الناتجة بعد الإخصاب وما تحمله من موروثات من جانب كل من الأم والأب ، لا يمكن أن يكتب لها الحياة ما لم تتوفر لها مثل هذه البيئة المناسبة داخل الرحم بما فيه من حرارة ووقاية وتغذية ودفء إلخ . ومن المعروف أيضاً أن إصابة الأم بالحصبة الألمانية في الأسابيع الأولى من الحمل قد ينتج عنها إصابة الطفل بالصمم أو العمى .

ومع أن أبة سمة هي نتيجة التفاعل المتبادل بين العوامل الوراثية والبيئية ، إلا أن الدور الذي تقوم به هذه العوامل يختلف من سمة إلى أخرى . فنحن نكون أميل إلى البحث عن العوامل الوراثية من أجل تفسير لون العينين أو لون البشرة ، بينما نكون أميل إلى الرجوع إلى البيئة لفهم أساليب اللغة التي يستخدمها الطفل أو سلوكه الجانح أحياناً . وقد نذهب إلى أن من الممكن في يوم من الأيام إحداث تغيير في لون العينين باستخدام الوسائل البيوكيميائية المناسبة . خلال فترة الحمل ، ولكن حتى يأتي هذا اليوم ، فإن أثر البيئة لا يزال يبدو ضئيلاً بالنسبة لهذه التغييرات .

ميكازمات الوراثة :

ودراسة ميكازمات الوراثة عند الإنسان محوطة بالغموض وذلك لتعذر إخضاعها للتجريب . وإذا كانت تجارب السلالات على الحيوان قد كشفت

عن بعض النتائج ، فإن من الصعب إجراء ما يماثلها على الإنسان . وحتى إذا تيسر القيام بذلك ، فتمه صعوبات أخرى تواجهنا في هذا الصدد ، منها أن الإنسان أبداً في إنتاجه من الحيوان مما يجعل دراسة السلالات الإنسانية تحتاج إلى أجيال متعاقبة ، إذا قورنت بما تحتاج إليه دراسة السلالات الحيوانية — عند الفيران مثلاً — من وقت قصير نسبياً . ومن هنا فإن كثيراً من معلوماتنا عن الوراثة مستمد من كائنات حية أخرى غير الإنسان .

ومن المعروف أن الخصائص التي يرثها الإنسان تتحدد منذ اللحظة الأولى التي يتم فيها اتحاد البويضة الأنثى بالحيوان المنوي الذكري . وهذه الخصائص تتوقف على الجينات التي هي حاملة الاستعداد الوراثي عند الفرد ، والتي هي عبارة عن بقع صغيرة مستديرة توجد على الكروموزومات . والخلية تتكون من ٤٦ كروموزوم نصفها مورث من جانب الأم ، ونصفها الآخر من جانب الأب . فمبكك إذن ٢٣ زوجاً من الكروموزومات . وكل واحد من هذه الأزواج يأتي من جانب أحد الأبوين ؛ ومن المعروف أن ٢٢ زوجاً منها غير محدد للجنس ، أما الزوج المنبقي فهو المسئول أساساً عن جنس الفرد . وتعطى الأم دائماً ما نسميه باسم الكروموزوم المحدد للجنس ، وهو الكروموزوم X أما الأب فقد يعطى إما كروموزوم الجنس X أو الكروموزوم Y . فإن أعطى الكروموزوم X كان الجنين أنثى . وإن أعطى الكروموزوم Y كان الجنين ذكراً (١) .

والجين السائد هو الذي يحدد الخصائص المحددة بعرف النظر عن الجين المتنحي الذي تقترن به . أما الجين المتنحي ، فهو على العكس ، يجب أن يتزاوج

(1) Darlington, : C. D. Genetics and Man. Penguin Books- 1966. chp. 15.

من حين آخر من نفس النوع قبل أن تتاح الفرصة للخصائص المرتبطة به. أنه
تظاهر إلى حين الوجود. وهناك مجموعة من السمات يكون لها الغلبة باستمرار.
فاللون البني للمعين يكون له الغلبة على اللون الأزرق. كما أن الشعر المجمع يسود
على الشعر المسترسل.

بعض الأساليب التي استخدمت في بحث العوامل الوراثية عند الإنسان :

١ — شجرة العائلة : وقد لجأ الباحثون إلى عدة طرق لدراسة الوراثة عند
الإنسان أولها الملاحظة المباشرة للعائلة وقد بدأ كانت الدراسات التي من هذا
النوع تشمل أعداداً كبيرة من الأقارب ، ولكن الباحثين المحدثين لا يذهبون
إلى مثل ذلك دائماً . فمن الممكن الوصول إلى معلومات مفيدة من دراسة
أعداد قليلة من أفراد الأسرة وإخضاعهم للملاحظة الدقيقة . وتقل الأخطاء
إلى أكبر قدر ممكن إذا اقتصرَت الدراسة على هؤلاء الأعضاء الذين يمكن
ملاحظتهم بدقة . وثمة مجموعات مزدوجة يكون لها أهمية في البحث
كالأخ — الأخت — الوالدين — الطفل .

٢ — التوائم : ومن أهم الدراسات وأمتعها — وإن لم تكن دائماً قاطعة —

تلك التي تجرى على التوائم . وطرق التحليل هنا تتطلب المزيد من الدقة قبل
القيام بأية استدلالات ، لأن بيئة التوائم المتشابهة — والتي هي في الأصل
بويضة واحدة وانقسمت قسمين — يحتمل أن تكون أكثر تشابهاً من بيئات
الإخوة العاديين . وقد اقترح جالتون مقارنة التوائم المتشابهة بالتوائم العادية
غير المتشابهة — وهما بويضتان خصبنا في وقت واحد — من أجل دراسة
آثار كل من البيئة والوراثة . وقد تم إجراء الكثير من الدراسات على تمايز
هذين النوعين من التوائم . ومن الممكن الآن تصنيفهما بدرجة كبيرة من
الدقة . ومع ذلك فالتوائم غير المتشابهة قليلاً ما تعطى معلومات عن وراثة

منمة معينة أكثر مما يعطيه زوج من الإخوة العاديين ، ولد أحدهما بعد الآخر ،
في ولادات مختلفة .

٢ - وراثة بعض السمات العادية :

(١) الذكاء : ووراثة الذكاء قد عولجت بطرق متعددة . فالدراسات
القديمة التي قام بها جالتون اعتمدت على التقديرات النوعية أو الكيفية .
ولكن بعد ظهور اختبارات الذكاء وانتشارها ، استخدمت الأساليب
الإحصائية المختلفة في معالجة نتائجها ، وأصبح من الممكن الاعتماد على التقديرات
الكمية الدقيقة وإيجاد معاملات الارتباط بينها . ومن ثم ، ظهرت دراسات
عدة على التوائم المتشابهة وغير المتشابهة ، وعلى الإخوة العاديين والأقارب
من درجات مختلفة ، وعلى أفراد لا تربطهم ببعض أية رابطة قرابة .

ودرجة التشابه العقلي للإخوة العاديين في العينات العشوائية كانت
في الأغلب ٠,٥ ، رغم أنها في بعض الدراسات كانت أقل من ذلك . وهذه
الدراسات قد دعمتها تلك التي أجريت على التوائم ، والتي أوضحت أن التوائم
المتشابهة الجلس أعلى ارتباطاً من التوائم المختلفة الجلس . فعلى حين تبلغ
معاملات الارتباط بين التوائم غير المتشابهة حوالي ٠,٧ ، إذا بها في بعض
الدراسات على التوائم المتشابهة تتراوح بين ٠,٨ و ٠,٩ . أما أنها لا تصل إلى
الواحد الصحيح فهذا يشير إلى وجود تأثيرات أخرى تلعب دورها غير
العوامل الوراثية .

(ب) المهارات الخاصة : ودراسة المهارات والاستعدادات الخاصة يمكن
أن تمدنا بالكثير من المعلومات في هذا الصدد . والمهارات والاستعدادات
الخاصة كالقدرة الميكانيكية مثلاً يمكن قياسها بسهولة كبيرة نسبياً . ومن ثم
تصبح أسلوباً مناسباً للدراسة . ولكن القليل جداً من الدراسات هو الذي

أجرى في هذا المجال ، إذا قورن بالعديد من الدراسات التي أجريت في مجال الذكاء . ومن المهارات الخاصة التي درست ، القدرة الموسيقية ، على الرغم من تدخل عدد كبير من العوامل في هذه المهارة كإحساس الجمالي وإدراك النغمة والمهارة اليدوية .

ورغم المعرفة الجيدة بأن ثمة تشابهاً يوجد داخل بعض الأسر فيما يتعلق بالقدرة الموسيقية كأسرة موزرات وباخ وغيرهما من كبار الموسيقيين ، إلا أن القليل جداً من الدراسات الموثوق بها ، هو الذي أجرى في هذا المجال .

٤ - وراثـة الانحراف الإجتماعي لدى بعض الأسر :

ومن بين الأسر التي درست على نطاق واسع ، والتي استند إليها أنصار الوراثة في القول بوراثة بعض مظاهر الانحراف والضعف العقلي ، أسرة السكاليك ، وأسرة « الجوكس » . والأسرة الأولى تسبب إلى الجدة الأكبر « مارتن كالبيك » الذي كان جندياً في جيش التحرير بأمريكا . وقد اتصل هذا الرجل بفتاة ضعيفة العقل ، وأنجب منها طفلاً خرج ضعيف العقل . وبعد الحرب تزوج من فتاة من أسرة عادية وأنجب منها طفلاً كان عادياً . وقد تتبع الباحثون سلالة كل فرع لما يقرب من مائتي عام . وقد لاحظوا أن الفرع الذي ينتمي إلى الجدة الضعيفة العقل ، لم يكن به عادياً إلا عدد قليل جداً أما الباقيون فكانوا ضعاف عقول أو مجرمين أو خارجين على القانون . أما الفرع الآخر فلم يكن به شاذاً إلا عدد قليل جداً ، أما الباقيون فكانوا من قادة المجتمع وساسته ورؤسائه . أما أسرة الجوكس فهي أسرة اشتهر أفرادها بالإجرام والخروج على القانون بشكل استلقت نظر الباحثين .

وبعض الدراسات القديمة عن دراسة النزعات المضادة للمجتمع قام بها

جورنج (١٩٢٥) ويوجد ارتباط بين السمات الإجرامية لدى الأقارب المجرمين ، كما قام روزانوف (١٩٤١) بدراسة على التوائم اللذين كان أحدهما على الأقل منهما في جريمة قتل . وقد كشفت هذه الدراسة عن اتجاه أو نزعة عائلية نحو الجريمة . وقد أجرى الكثير من البحوث في ألمانيا وعلى مشكلات عائلية وكانت الدراسة تشمل الأسرة كلها . وقد كشفت نتائج هذه الدراسات أيضاً عن وجود ارتباط ملحوظ بين أفراد الأسرة بالنسبة للنزعات أو الاتجاهات المضادة للمجتمع .

غير أن مثل هذه الدراسات جميعها ، يجب أن تؤخذ نتائجها بشيء كثير من الحذر ، لأن معايير التلاؤم الاجتماعي تختلف من بيئة لأخرى ، ولأن البيئة ذاتها تعتبر عاملاً هاماً جداً في تشكيل شخصية الفرد فيما يتصل بنزعاته المضادة للمجتمع . ومن الملاحظ أن تحليل جماعات الناس الذين يعيشون في مستويات اجتماعية واقتصادية منخفضة جداً تكشف غالباً على نسبة عالية من الاجرام ومن المحتمل جداً - كما حدث في إحدى الدراسات التي أجريت بمدينة شيكاغو ، أنه إذا تحسنت الظروف الاقتصادية لهؤلاء الناس بشكل ملحوس ، أن تقل هذه النزعات المضادة للمجتمع أو تختفي .

من كل ما تقدم نجد أن أدلة الوراثة وحدها ليست قاطعة في وراثة السمات المختلفة عادية كانت أو منحرفة وأن هذه الأدلة لا تنفي أو تستبعد أثر العوامل البيئية . وهذا ما يدعونا إلى إلقاء المزيد من الضوء على مشكلة الوراثة والبيئة .

بين الوراثة والبيئة :

لقد احتدم النقاش بين علماء الوراثة وعلماء البيئة . وحاول كل منهما

أن يدافع عن وجهة نظره ويبين أهميتها وفي نفس الوقت يقلل من قيمة العوامل الأخرى .

فلقد كان من نتيجة النجاح الساحق الذي أحرزه علم البيولوجيا وعلم الطب وتأثرهما بنظرية دارون ، خلال المائة سنة الأخيرة ، أن اتخذ أنصار الوراثة موقفاً متطرفاً ، وأكدوا تأكيداً قاطعاً أهمية العوامل الوراثية .

ويمثل هذا الاتجاه تلك العبارة التي يقول فيها ويجام A.E. Wiggam : إن الوراثة - وليست البيئة - هي الصانع الرئيسي للإنسان . . . ومن الممكن القول بأن كل ما يطرأ على العالم من تعاسة وهناء لا يرد إلى البيئة . فالفروق التي توجد بين الناس ، إنما ترجع إلى الاختلافات في الخلايا الجرثومية الموروثة التي نولد مزودين بها .

فالشخصية على هذا الأساس « معطاة بشكل محدد منذ الولادة فهي تفسر في الأغلب كنتيجة لعملية نضج بيولوجي إلى حد بعيد .

وقد رد أنصار البيئة على هذا الموقف ، بموقف متطرف كذلك ، يتمثل في عبارة وطسن المشهور ، « إعطوني مجموعة من الأطفال الاصحاء سليمي البنية ، وأنا كفيل أن أخرج منهم الطبيب والمحامي والفنان والتاجر ورئيس العمل ، بل والشحاذ واللص ، بصرف النظر عن استعداداتهم وميولهم وقدراتهم وأعمال آبائهم وأصولهم الوراثية .

فليس ثمة شيء اسمه وراثة القدرات أو المهارات أو المزاج أو التسكوين العقلي . . . الخ ، .

ومن الممكن القول بأن معظم علماء النفس يميلون إلى توكيد العوامل البيئية رغم أنهم لا يصوغون عباراتهم في صيغ متطرفة على النحو الذي وجدناه عند وطسن . وقد يرجع سبب ذلك إلى ما يكون عليه الطفل في بداية أمره

من مرونة وسرعة تعلم وسرعة اكتساب الكثير من العادات عن طريق
الاقتران الشرطى أو غيره من عمليات التعلم ، كما يرجع أيضا إلى تفضيل
العلماء الرجوع إلى الأسباب الظاهرة ، بدلا من الأسباب الخفية غير الظاهرة ،
فهم يميلون في كل حالة تقريبا ، إلى عزو خصائص الشخصية إلى الاقتران
الشرطى والتقليد وغيره من صور التعلم وهي جميعها عمليات ظاهرة يمكن
إخضاعها للتجريب ولما كانت التغيرات المحتملة في المؤثرات البيئية لا حصر
لها من حيث العدد ، فمن الممكن الآن أن نرجع إليها جميع الاختلافات
التي توجد بين الناس دون التورط في البحث عن تفسيرات خفية وغيبية
في طريق الوراثة .

والحقيقة أن أنصار الوراثة لا يذهبون إلى أن الشخصية موروثة ، بل
يميلون إلى القول بأن ليس ثمة مظهر من مظاهر الشخصية يمكن أن يخلو من
تأثيرات الوراثة ، والتي تحملها الجينات ومعنى ذلك أيضا أنه إذا كانت كل
خاصية تتأثر إلى حد ما بالجينات ، فاتها يمكن أن تتأثر أيضا بالظروف البيئية
المحيطة : مادية واجتماعية .

وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن هناك مجموعة كبيرة من العوامل يمكن
الرجوع إليها في تفسير شخصية معينة . وهذه العوامل تجمع بين العوامل
الوراثية والبيئية معاً ، فالعوامل الوراثية يمكن أن تمدنا باحتمالات كثيرة للغاية
لتفسير كل من التشابهات والاختلافات بين الافراد داخل الاسرة ، كما أن
البيئة وما يتصل بها من عمليات تعلم ، تمدنا كذلك باحتمالات أخرى لا حصر لها ،
وطالما أن كل صفة من المحتمل أن تتأثر بالمحددات الأساسية الكامنة في الجهاز
التكويني ، كما تتأثر في الوقت نفسه بمجرى حياة الفرد في بيئة مليئة بالمثيرات .

نظن المستحيل إذن غزو أية سمة مفردة من سمات الشخصية إلى الوراثة وحدها .
أو إلى البيئة وحدها . فهما متضامتان معا منذ بداية الحياة . ومن الممكن
القول إذن أن الشخصية هي دالة أووظفية للعوامل الوراثية والبيئية معا ،
وأن العلاقة بين هذين العاملين ليست علاقة إضافة ، بل هي علاقة ضرب
وحاصل ضرب . بمعنى أنه إذا كان أحد طرفي العلاقة يساوى صفراً . كانت
النتيجة تساوى صفراً كذلك ولا يكون ثمة وجود للشخصية . وهذا ما عبر
عنه الجورت بقوله الشخصية هي دالة (الوراثة) \times (البيئة) .

ولكن ثمة مشكلات كثيرة تظهر في تحديد أهمية كل من الوراثة والبيئة
ذلك أن الخصائص التي تحدثها الجينات ، قد تحدثها أيضاً القوى الموجودة في
البيئة . مثال ذلك في مجال الشخصية إن الفرد قد يكون عدوانياً أو منطوياً
إما بسبب الصفات الموروثة أو بسبب نواحي الإحباط المتكررة التي يتعرض
لها في البيئة . والنتيجة المنطقية لذلك هي أن إحدى الشخصيات قد تحدثها
العوامل الوراثية أكثر من العوامل البيئية ، بينما في حالة أخرى يكون تأثير
العوامل البيئية أكثر وضوحاً من العوامل الوراثية . وقد نصل إلى مثل هذه
النتيجة بعد الدراسة المستفيضة لتاريخ حياة الفرد ، ولكن من المستحيل
صياغة قاعدة عامة تتصل بوزن كل من العوامل الوراثية والبيئية في
حياة الفرد . فلدى بعض الناس قد يغلب تأثير التعلم على تأثير الوراثة ، على
حين لدى البعض الآخر قد يفوق تأثير العوامل الوراثية تأثير العوامل
البيئية .

والحقيقة أن الوراثة هي في نظر الكثيرين بمثابة المشجب الذي يعلق عليه
الباحثون تفسيراتهم حين يعجزون عن أن يجدوا تفسيراً آخر مقبولاً يردون

إليه السلوك . وهم في مأمن من التحقيق طالما أن أسلاف الفرد يكونون في الأغلب في موقف لا يسمح لهم بالرد على مثل هذه التفسيرات . وإذا كان معظم علماء النفس مقتنعين بالدور الذي تلعبه الوراثة في الذكاء إلا أنهم ليسوا كذلك فيما يتصل بجوانب الشخصية المختلفة . والواقع أن تقرير هذا الدور يتوقف إلى حد ما على التعريف الذي يتخذه الباحث للشخصية . فإذا نظر إليها على أنها النمط الداخلي من المعتقدات والتوقعات التي تكونها الذات في صلتها بالبيئة ، فإن مثل هذا التعريف يفتح المجال أمام العوامل البيئية . أما الانجاء الذي يؤكد ناحية المزاج - أي الاستجابات الانفعالية الوجدانية من حيث عمقها وسعتها فإنه يفتح المجال أمام الفروض الوراثة ، ولو أن الحقيقة هنا لا تزال غامضة إلى حد ما .

الدراسات المؤيدة للعوامل الوراثة :

أوضحنا أن جمع الحقائق اللازمة لتوكيد النواحي الوراثة عند الإنسان أمر بالغ الصعوبة . ومع ذلك ، فإن معظم الدراسات ركزت في هذا العدد على نواحي ثلاثة :

- (أ) مقارنة التوائم المتشابهة وغير المتشابهة والأخوة العاديين .
 - (ب) مقارنة التوائم المتشابهة الذين فصلت بينهم ظروف الحياة منذ الطفولة المبكرة .
 - (ج) الدراسات التي أجريت على الحيوانات .
- وسوف نشير باختصار إلى كل منها :

(أ) دراسات التوائم المتشابهة وغير المتشابهة والأخوة العاديين :

قام الباحثون بدراسات متعددة على التوائم بحكم اتحاد وراثتهم

في العادة . وقد أدت نتائج البحوث إلى اتفاق واضح بين التوائم في الصفات العقلية المختلفة . غير أن البعض يعترض على الأخذ بهذه النتائج كما هي نظراً لاتفاق التوائم أيضاً في البيئة منذ اللحظة الأولى التي تبدأ فيها الحياة داخل الرحم ، بمعنى أن أى تشابه بين التوائم يمكن أن يعزى إلى الوراثة مثلما يمكن أن يعزى إلى البيئة .

وقد ميز الباحثون في دراساتهم بين نوعين من التوائم : توأم متشابهة أو متحدة وهي حالة فريدة في علم الحياة يكون فيها لشخصين نفس التكوين الوراثي حيث تكون هناك بويضة واحدة انقسمت قسمين أما التوائم غير المتشابهة أو المختلفة فهي الناشئة عن إخصاب أكثر من بويضة في وقت واحد وتنمو كل منها منفصلة عن الأخرى وواضح إذن أن نمط الجنينات أو حمولة الاستعداد الوراثي يكون متفقاً تماماً في حالة التوائم المنحدرة .

ويقول أيزنك في كتابه ، الحقيقة والوهم في علم النفس ، (١) : إذا ما قدرنا أن هذه السمة مورثة كلية ، فلا بد جندئذ من أن تظهرها التوائم المتشابهة بنفس الدرجة من الدقة ، بينما التوائم غير المتشابهة وهي تنقسم السمت المورثة بدرجة أقل بكثير ، لا بد أن تختلف كلا التوأمين كثيراً عن بعضهما بالرغم من أن هذا الاختلاف أقل بالطبع من ذلك الموجود بين أساس لا يربطهم ببعض رابطة . أما إذا كانت السمة لا ترجع بأى حال إلى الوراثة ، حيث تكتسب البيئة بالنسبة لهذه السمة كل الأهمية ، فإن التوائم المتطابقة ينتظر ألا تبدى أى تشابه يزيد عما لدى التوائم غير المتشابهة . وتثار المشكلة بشكل ظاهر حين تواجه بسمة تتحدد جزئياً بالوراثة وجزئياً بالبيئة .

(١) أيزنك : الحقيقة والوهم في علم النفس ، ترجمة قدرى حنفى ورؤوف نظير ، دارالمعارف

ففي مثل هذه الحالة لا بد أن تكون التوائم المتشابهة أكثر تطابقاً من التوائم غير المتشابهة ، ولكن الاختلاف سيكون أقل مما لو كانت السمة موروثية كلية . وفي إمكاننا أن نستخدم الاختلاف في التطابق بين التوائم المتشابهة في جانب والتوائم غير المتشابهة في جانب آخر لكي نقدر بدقة ما للوراثة من أهمية في تحديد هذه السمة .

وعلى ذلك ، يمكن أن نعرف الوزن النسبي لبكل من الوراثة والبيئة ، إذا قارنا درجة التشابه بين زوج من التوائم المتشابهة وزوج من التوائم غير المتشابهة . وقد قام د هولزنجير ، بحساب معامل الارتباط للصفات الجسمية (الطول والوزن... إلخ) والصفات العقلية (الدكاء والتحصيل الدراسي... إلخ) والصفات الخلقية (قوة الضبط والاندفاع في تنفيذ الرغبة... إلخ) في مجموعة في التوائم المتحدة ووصل إلى النتائج الآتية (١) .

الصفات	متوسط معامل الارتباط للتوائم المتحدة	متوسط معامل الارتباط للتوائم المختلفة	الفرق
جسمية	٠,٩٤	٠,٥٨	٠,٣٦
عقلية	٠,٨٨	٠,٦٤	٠,٢٤
خلقية	٠,٤٧	٠,٤٥	٠,٠٢

وتدل هذه النتائج عن أن الفرق بين مجموعتي التوائم يرجع بعضه إلى الوراثة ، كما يدل على أن بعض الصفات العقلية أكثر خضوعاً لآثار البيئة من الصفات الجسمية وأن الصفات الخلقية أكثر من كل من الجسمية والعقلية قابلية للتأثر بالبيئة .

(١) د . عبد العزيز الومى : أسس الصحة النفسية ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤ م ص ٣٥

ويعزى هذه النتائج ما قام به ايزنك (١) في دراسة على التوائم المتحدة، وغير المتحدة من حيث درجة التشابه في الذكاء والانبساط والنشاط التلقائي وقد وصل ايزنك إلى النتائج الآتية :

الصفات	التوائم المتحدة	التوائم المختلفة
التشابه في الذكاء (الارتباط)	+٠,٨٢	+٠,٣٨
التشابه في الانبساط	+٠,٥٠	-٠,٣٣
التشابه في النشاط التلقائي	+٠,٩٣	+٠,٧٢

أن درجات التوائم المتحدة، في الذكاء ومقاييس النشاط التلقائي متشابهة إلى حد بعيد والارتباط بينهما عال ، كما لو كان الواحد منهما قد أعاد إجراء الاختبار نفسه مرة أخرى . أما بالنسبة للتوائم غير المتحدة ، فإن درجة التشابه بينهما أقل بدرجة ملحوظة . فإذا نظرنا إلى سمات الشخصية نجد أن الوراثة تحدث إلى حد ما بعض التشابه وإن كان أقل درجة من المقاييس الأخيرين . ويجب أن نشير هنا أيضا إلى الوزن الكبير للوراثة في تحديد مقاييس النشاط التلقائي ، طالما أن أسلوب الاستجابة التلقائي هام في تحديد سمات الشخصية الأخرى . ولقد أوضح باحثون آخرون أن التوائم المتشابهة أكثر تشابها من التوائم غير المتشابهة في الميول المهنية وأنماط التداعي الجروفي وغيرها من الصفات الأخرى للشخصية . وعلى هذا الأساس يتبين أن اختلافات الوراثة تلعب دوراً رئيسياً في تحديد الشخصية .

وفي دراسة أخرى قام بها كاتل و بليوت و بيلوف على ٥٢ زوجاً من التوائم المتشابهة و ٣٢ زوجاً من التوائم غير المتشابهة و ٩١ زوجاً من الأخوة العاديين

(1) Eysenck, H. J.: The Inheritance of extraversion-introversion, Acta Psychol., 1956, 12, 95-110.

الذين يربوا معاً و٣٦ زوجاً من الأطفال الذين لا تربطهم رابطة ولكن تربوا معاً في بيئة واحدة و٤٠٠ طفلاً أخذوا من المجموع العام من الناس أعني لا تربطهم ببعض أية رابطة كما لم يربوا معاً في نفس البيئة . وقد أمكن بهذه العينة إجراء مقارنات عديدة بين المجموعات المختلفة (١).

وقد وصل كاتل وزميلاه إلى النتائج الآتية :

- ١ - أن الوراثة أكبر وزناً من البيئة في تحديد سمات مثل السيكلوثيرميا (سهل المعاشرة ، عطوف معبر عن نفسه) ضد الشيزوثيرميا (عدواني ، ناقد) .
- ٢ - أن الوراثة أكبر وزناً من البيئة في تحديد هما أسماء باسم السيكلوثيرميا المقامر (الذى يميل إلى مقابلة الناس ، ومواجهتهم . المندفع . اللطيف) ضد الشيزوثيرميا المنعزل (الخجول . الجبان . العدواني المكبوت) .
- ٣ - أن الوراثة أكبر وزناً في تحديد الذكاء ، وهذه النتيجة الأخيرة لا تثير الدهشة وربما كانت تثير الشك في المنهج إن كانت غير ذلك .
- ٤ - أن البيئة كانت أكثر تأثيراً وفاعلية في سمات مثل الرفقة والعصاوية العامة وقوة الإرادة والتحكم فيها والجدية والتزم . أما في التوازن النفسي وفي وزن الوراثة والبيئة فقد أنضح في سمات مثل السيطرة والخلق الاجتماعي والتطابق اللشط .

ويرى ستاجنر (٢) أن من الصعب أن نخلص بنتيجة من مثل هذه الدراسة

(1) Catell, Raymond, B. Duncan B. Blewett and John R. Beloff :
The inheritance of personality : a multiple variance determination of approximate nature-nature ratios for primary personality Factors in Q-data. Amer. J. hum. Genet, 1955 7, 122-146.

(2) Stagner R. : Psychology of personality. Mc Graw-Hill Comp. 1961, p. 366

التي قام بها كانل وزميلاه بسبب التسمية المختلطة إلى حد ما للمسات . ومن المفروض في ضوء المهبج المستخدم أن تكون كل سمة من السمات مستقلة عن الأخرى . ومن هنا فإن تداخل الأسماء والصفات الوصفية قد أدى إلى صعوبة الفهم . ومن الممكن في نظر ستاجنر أن تتوقع من اللاحية المنطقية أن السمات التي تتضمن نعبئة الطاقة والاستجابة الانفعالية يمكن أن تكشف عن وزن أكبر للوارثة، بينما الميل إلى الاجتماع والخلق والتشابه في النمط يمكن أن يكشف عن وزن أكبر للبيئة والخبرة . وهذه الصورة المبسطة التي قدمها ستاجنر تتفق مع بعض المادة التي قدمها كانل وتتناقض مع بعضها الآخر . واشتقاق أن الأمر لا يزال يحتاج إلى مزيد من البحث لتوضيح الوزن النسبي لـ من الوراثة والبيئة بالنسبة لهذه السمات .

(ب) التوائم المتشابهة التي نشأت في بيئات مختلفة . وقد قام بعض الباحثين بالنصليين التوائم وتريتهم في بيئات مختلفة من حيث أسلوب المعاملة والتعليم والمستوى الاجتماعي والاقتصادي . والفكرة الرئيسية التي تقوم عليها هذه الدراسات هي أنه إذا كانت الجينات هي التي تحدث الأثر الفعال والأسمى ، فمن المتوقع أن نجد التشابه قويا وواضعا بين التوائمين حتى ولو اختلفت أساليب التنشئة وخبرات الحياة لكل منهما اختلافا ملحوظا ومثل هذه الدراسات لم تجر على عينات كبيرة ، وإنما تمت على عدد قليل جداً من التوائم . وقد تبين من دراسة هذه الحالات القليلة ، أن التوائم التي فصلت لا يزال التشبه بين واحد منهما والآخر كبيراً جداً في الخصائص التشريحية ، وفي الأمراض والاضطرابات العنصرية . أما بالنسبة للذكاء فكانت النتائج مختلفة إلى حد ما فقد كان التشابه كبيراً ، في معظم الحالات ، بينما في عدد قليل من الحالات

أدت المادير المختلفة من التربية إلى اختلاف ظاهر بين التوائم . وفي مجال الشخصية كان التشابه ملحوظاً ، ولكن ليس إلى الحد الذي يعزى كله إلى الجينات .

وعلى العموم يمكن القول بأن النتائج التي تجمعت في هذا الصدد تشير إلى أن الوراثة تلعب في تشكيل المواد الخام للشخصية ، — إذا استعملنا مصطلح البورت — دوراً أكبر مما نحدثه بالدسبة للجوانب الأخرى .

ومن الدراسات الهامة في هذا الصدد تلك التي قام بها «نيومان وفريمان» وهولزنجير . فقد أجروا تجاربهم على ٥٠ طفلاً من التوائم غير المتشابهة من نفس الجنس و ٥٠ طفلاً من التوائم المتشابهة ، وربوهم معاً ، كما قاموا أيضاً بدراسة الفروق بين ١٩ زوجاً من التوائم المتشابهة الذين تربوا في بيئات مختلفة ومعظم هذه التوائم الأخيرة انفصل كل توأم منها عن أخيه سنوات طويلة (من ١٢ سنة إلى ٥٣ سنة) ودرسوهم وهم كبار كامل النور . وكان نصف هؤلاء قد انفصل التوأم عن أخيه خلال السنة الأولى من الحياة و ٧ منهم انفصل التوأم عن أخيه في سن الخامسة ولم تكن هناك فروق جوهرية بين هؤلاء الأخوة من حيث الدين أو التكوين السلالي ، كما أن البيئات المنزلية لم تكن مختلفة اختلافاً جوهرياً (١) .

وقد أشار نيومان إلى دراسة قام بها على فتاتين من التوائم المتشابهة وقد تربت كل منهما منفصلة عن اختها ابتداء من سن ١٨ شهراً والتقينا ثانية وهما في سن ١٨ سنة . وقد عاشت الأولى في أسرة من الطبقة الوسطى في أحد أحياء

(1) Newman, H. N., Freeman, F. N. and K. L. Holzinger: Twins, a study of heredity and environment, Chicago, Univ. of Chicago Press 1937. see also: E. L. Thorndike: Herdity and Environment, Engenical News 1944. , 29. , 39-45.

لندن المزدحم بالسكان ، وحيث كانت مستويات المعيشة — بسبب الحرب العالمية الثانية — منخفضة نسبياً . على حين نشأت الثانية في بيئة اجتماعية على مستوى اقتصادى عالى حيث عاشت في كندا لدى إحدى الأسر من الطبقة العالية ونالت حظاً من التعليم الأكاديمى .

وقد لاحظ نيومان وفريمان وهولونجر عند دراستهم لمائتين الفتاتين أنهما تشابهان في المزاج والصفات الإنفعالية ، ولكن كان الاختلاف واضحاً بينهما في النمو التحصيلي والعقلي . ووضح أن الفروق الملحوظة في التربية والبيئة الثقافية كان لها أثر كبير في اختلاف الفتاتين في التحصيل العقلي وهما في الأصل متشابهتان في ناحية المواهب الموروثة . ومع ذلك ، فقد أوضح مولر وبيركس (١) أن نيس كل التوائم المتشابهة التي نشأت في بيئات مختلفة يظهر لديها اختلاف واضح ملحوظ في النواحي العقلية . ولكن الحقائق تشير على وجه العموم إلى أهمية البيئة في نمو مختلف مظاهر الشخصية .

ويمكن أن نشير أيضاً إلى تلك الدراسة التي قام بها شيلدز J. Shields الذي حصل على عدد كبير من هذه التوائم بعد نداء عن طريق التلفزيون . فوجد أن التوائم المتشابهة مازالت شديدة التشابه مع بعضها أكثر من التوائم الأخوة ، رغم أن الأخيرة قد نشأت معاً . وقد وجد شيلدز عندما قارن قوائم المطابقة التي نشأت سوياً مع تلك التي نشأت منفصلة أنه فيما يتعلق بالذكاء والإبساطية والعصاوية ، فإن التوائم التي نشأت منفصلة عن بعضها ، كانت أكثر تشابهاً من التوائم التي نشأت معاً . وفي هذا تركيبة كاملة لطريقة التوائم وإجابة مقحمة على النقد الموجه للدراسات التي تستخدم المقارنات

(1) B.S. Burks and A. Roe: Studies of Identical twins reared apart. psychol. Monogr. 1949, 63, No. 5.

حين التوائم المتطابقة والأخوية عندما ينشأ كلا النوعين معاً (١).

(ح) الدراسات التي أجريت على الحيوان :

والاختبار النقدي لآية نظرية تقول بوراثة جوانب معينة من الشخصية الإنسانية ، يمكن أن يتم في ضوء التجارب التي تجرى على الحيوان . ولاستخدام الحيوانات في هذا النوع من الدراسة ميزان : الأول : أن من الممكن ضبط العوامل الموروثة خلال عملية انتقاء السلالات وهو أمر يكاد يكون مستحيلاً بالنسبة للإنسان . الثانية : أن من الممكن فرض ضوابط دقيقة على البيئة أبعد بكثير مما يمكننا القيام به بالنسبة للإنسان . فمن الممكن مثلاً إخضاع الحيوان لظروف أو ضغوط خفيفة أو غير خفيفة وبشكل لا يتيسر القيام به بالنسبة للإنسان .

وتوحي البحوث التي أجريت على حيوانات متعددة كالقطط والفران والكلاب والشمبانزي وغيرها ، وجود أنماط ثلاثة متميزة من السلوك والذي يمكن رده إلى عوامل وراثية وهي الخوف والعدوان والميل إلى الاجتماع ، فتسكن السكائن الحي يجعله - على ما يبدو - يستجيب - وحسب الظروف التي يوجد فيها - باستجابات الخوف أو العدوان أو الاجتماع مع الغير دون حاجة إلى تعلم كيفية القيام بمثل هذه الاستجابات ، فلم يتعلم الفأر مثلاً أن يصرخ في موقف الخوف أو يقرض وبعض في موقف الغضب أو يتحرك تجاه فأر آخر عندما يبحث عن الدفء والطمأنينة . وليس من شك أن التعلم يعدل من صورة هذه الاستجابات ، كما يحدد أيضاً أنواع المواقف التي تقدر على إثارها . ولكن التعلم نفسه لم يخلقها أو يوجد لها . فالأنماط الأساسية تتوقف على عوامل جينية لم تتضح بعد وضوحاً كافياً .

(١) ابن بك : الحقيقة والوهم في علم النفس ، مرجع سابق ، ص ٦٦ .

وسوف نشير باختصار إلى نماذج من هذه التراثات والتي تفيد أن الخوف والعدوان والميل إلى الاجتماع مكونات هامة للزوج .
الخوف : هل ثمة دليل على أن بعض الأفراد يولدون أكثر استعداداً للخوف من البعض الآخر ؟

إن إحدى الوسائل لدراسة هذه المشكلة ، هي افتراض وجود فروق فردية في الخوف ، وأن هذه الفروق تقوم على أسس وراثية . فإذا كان الفرض صحيحاً ، فإن من الممكن ، خلال عملية ألتقاء السلالات أن نحصل على سلالات تختلف بعضها عن بعض في هذه الناحية . وقد قام كلفن هول (١) .
بجمع المادة التي تدعم هذا الفرض .

حدد هول ، أولاً المقصود باستجابة الخوف . واستناداً إلى الملاحظات التي قررها الباحثون الذين يستخدمون الفيران في تجاربهم المعملية ، تبين له أن أحسن وسيلة لإحداث الخوف عند الفأر هي وضعه في مكان غريب عليه كما تبين له أيضاً أن الفأر يكشف عن خوفه بمقدار ما يفرزه من إخراج ومن امتناعه أو كفه عن تناول الطعام . وهذا سلوك شبيه بما نجده أحياناً عند الإنسان .

وقد استخدم هول ، ما أسماه باسمه الموقف المفتوح ، أو غير المقيد ، حيث كان يضع الفأر وحده في مدخل مضى قطره حوالي ٨ بوصات ، وكان الطعام في متناول يده ، وكان يترك الفأر وحده في هذا الموقف يوماً لمدة دقيقتين ، ولفترة ١٢ يوماً متتابعة وكان يلاحظ سلوك الإخراج وتناول الطعام خلال هذه الفترة . وقد أمكنه الحصول على تقديرات أو درجات

(١) Hall, Calvin, S. : Temperament : a Survey of Animal Studies. Psychol. Bull. 1941, 38, 909-943.

سلوك الحيوان بالنسبة لهاتين الناحيتين اللتين يمكن اتخاذهما كقياس للخوف عند الفئران . ولما كان معامل الارتباط بين درجات هذين المتغيرين من السلوك مرتفعة ، فقد اكتفى هول باتخاذ سلوك الاخراج كقياس للظاهرة التي يقوم بدراستها . ومن ملاحظاته أيضاً أن معظم الفئران عندما توجد في مواقف كهذه يزداد عندها مقدار ما تدره من بول ، ولكنها بعد عدة محاولات ، تبدأ في التكيف مع الموقف ويصبح الاخراج عندها عادياً . وبالطبع يختلف عدد المحاولات اللازمة لحدوث مثل هذا التكيف من فأر لآخر داخل المجموع العام من الفئران .

وبملاحظة الفئران في الموقف المفتوح ومراقبة أدلة الخوف والقلق عندها ، أمكنه الكشف عن تلك التي تكون درجاتها مرتفعة نسبياً في أدلة الخوف ، وكون منها مجموعة سميت باسم « المجموعة الانفعالية » ، وهي مجموعة هيابة شديدة الخوف كما أمكنه في الناحية الأخرى ، تكونين مجموعة ثانية تكون درجاتها منخفضة نسبياً في أدلة الخوف وسماهما باسم « المجموعة غير الانفعالية » . وقد قام بتربية كل مجموعة منها على حدة ، وكان يسمح بالتزاوج داخل المجموعة الواحدة ولا يسمح بالتزاوج بين المجموعات . وقد اتبع نفس الأسلوب بالنسبة للأجيال المتعاقبة . فكان يستبعد في المجموعة الانفعالية أقلها درجات في أدلة الخوف ، ومن المجموعة غير الانفعالية أعلاها درجات ، ولا يسمح لها بالاختلاط لإنجاب الجيل التالي إلا وفق النظام المتبع في التجربة . وهكذا حتى وصل إلى الجيل التاسع حيث لاحظ قدرأ من الثبات في النتائج . فكانت درجة المجموعة الانفعالية حوالى ١٠ درجات ، بينما درجة المجموعة غير الانفعالية لم تزد كثيراً عن درجة واحدة . وبمباراة أخرى أنه كلما تقدمت تجربة التهجين ، فإن السلالتين تباعدان أكثر وأكثر حتى ابتعدتا عن بعضهما تماماً قرب النهاية .

وقد اختبر كلفن هول الفرض القائل بأن هذه الفروق يمكن أن ترجع إلى عوامل أخرى غير الوراثة . فقام بنهجين المجموعتين ابتداء من الجيل العاشر . وقد تشابهت نتائج التهجين مع جيل الآباء الأصلي .

و خلاصة القول إن حقيقة إمكان استخدام التهجين لإنتاج سمة معينة كالخوف ، تكفي لإثبات أن الوراثة تلعب دوراً قوياً في تكوين هذه السمة . ويذهب ايزنك في سياق تعليقه على تجربة هول قائلاً : إن تحديد هذه السمة في الفيران لا يعنى بالطبع أن ما يصح لدى الفأر يكون صحيحاً بالضرورة لدى الإنسان ، ولكننا نعرف أنه حتى لدى الإنسان ، فإن التبرز والتبول كثيراً ما يكونا نتيجة انفعالات أخوف الشديد القوية . ولذلك فهناك تشابه وثيق بين الاثنين . وقد رأينا أن هناك طرفاً أخرى مثل طريقة التوائم قد أظهرت حين طبقت على الإنسان ، أن الانفعالات أو العصائية مورثة في حقيقتها . ولهذا يمكن القول إنه في الإمكان استخدام هذا النوع من الطرق المطبقة على الحيوان لدعم الدلائل المستخلصة من التجارب التي تبغى مع الادميين (١) .

العدوان : ونحن في الأغلب نستجيب للإحباط بالعدوان . ويبحث الإنسان عادة عن وسائل مناسبة لضبط العدوان داخل الأسرة وفي المجتمع ومع ذلك ، فالسؤال الذي تبادر إلى الذهن هل الإنسان عدواني بطبعه أم أن الظروف هي التي تجعله عدوانياً ، وهل هو يبحث عن المواقف التي يسلك فيها بشكل عدواني أم يجب أن يستثار من أجل أن يصبح عدوانياً ؟ وحتى إذا كانت الاستثارة ضرورية فهل يختلف الأفراد - بسبب العوامل التكوينية - في استعدادهم للإستثارة وباختصار هل العدوان مكون مزاجي ؟ لقد أكد علماء النفس منذ وقت بعيد أهمية الإحباط في تحليهم للعدوان

(١) ايزنك : الحقيقة والوهم في علم النفس ، مرجع سابق ، ص ٦٨

جند الانسان . وقد أقام د. دولارد وميلر ، (١) نظريتهما على أساس أن
الاحباط يولد العدوان . ومع ذلك في عالم الحيوان ، هناك من الأدلة
ما يوحي بأن السلوك العدواني يتأثر إلى حد كبير بالعوامل الوراثية . فمن
بين أنواع خاصة من الحيوانات نلاحظ باستمرار وجود فروق طبيعية
في السلالات في ناحية العدوان . والناس عادة يختارون سلالات معينة من
الكلاب ، لأنهم يكونون على ثقة - بدرجة معقولة - من درجة ونوع العدوان
الذي يكشف عنه كبار الحيوانات من هذه السلالة . ومن الممكن أن نشير
إلى تجربة قام بها فردريكسون (٢) ، لمعرفة أساس العدوان عند الحيوانات .
لقد قام بهذه التجربة على الفيران . وكانت المشكلة موضوع البحث هي
هل الفأر بطبعه عدواني ودون ما حاجة إلى وجود أى استثارة ملحوظة
تدفعه إلى العدوان لقد ربيت أزواج ثلاثة من ذكور الفيران ، أخذت صغيرة
من بطن واحدة وفطمت عن الرضاعة بعد الأسبوع الثالث ثم وضعت منعزلة
لمدة يومين قبل وضعها في أقفاص التجربة . وكان قفص التجربة يتسكون من
غرفتين ، ب بينهما ممر ح . وكان يوضع في كل غرفة فأر ويسمح له بالتحرك
بحرية داخل الغرفتين والممر . وكان الطعام والشراب متوفراً باستمرار أمامهما .
وكان كل فأر يظل بالقفص لمدة عشرين دقيقة كل يوم وفي الأيام الأولى
من التجربة لم يبد أى من الفأرين أى سلوك عدواني ، بل العكس كانا متحابين
ومع ذلك ، في اليوم الحادى عشر بدأ أحد الفأرين يقا تل الآخر . وفي اليوم

(1) Dollard, John. et al: Frustration and Aggression. New Haven, Conn.: Yale Univer. Press 1939.

(2) See Baughman, E Earl, 2 Welsh, George.. Personality : A Behavioral Science. New Jersey Prentico - Hall Inc 1962 chp. 5.

الثالث عشر بدأ القارين يتقائلان ولقد استمر القتال بينهما في الأيام التالية - إلى أن انتهت التجربة . ومع ذلك لم تبد أنى هذه السلالة من الفيران ، أى ، عدوان ملحوظ ، رغم ظهور العدوان عندها حين تتغير الظروف وتصبح في حالة جوع .

إن مثل هذه التجارب لا تجيب عن كل الأسئلة الخاصة بالعدوان ، ومع ذلك ، فهي تجعلنا ننظر إليه كشئ أكثر من مجرد استجابة إلى إحباط الدافع أو الحاجة الأولية . ونعتقد أن الأدلة الكثيرة تشير إلى أن العدوان مكون من مكونات المزاج وهو مكون يظهر تحت ظروف الاحباط ، مثلما يظهر أيضاً تحت ظروف ليس فيها إحباط .

الميل إلى مشاركة الجماعة :

لقد شغلت دراسة الخوف والعدوان جانباً كبيراً من اهتمام السيكلوجيين أما المظاهر الإيجابية لاستجابة الانسان واهتمامه بالمخلوقات الأخرى ، فلم تحظ بكثير من الاهتمام . وإذا كان لدينا نمط استجابة كامن يدفعنا إلى الحرب بما هو مخيف ، وآخر يدفعنا إلى الهجوم على ما هو غير مرغوب فيه ، أفليس من الممكن أن يكون لدينا أيضاً استعداد ثالث يدفعنا إلى مشاركة الآخرين من نفس النوع . أن مثل هذا الاتجاه الإيجابي نحو الآخرين من أجل إشباع الحاجات نتيجة التفاعل الاجتماعي مع الآخرين هو ما نسميه بسلوك مشاركة الجماعة .

ويبدو أن التجارب على عضوية الجماعة أصعب بكثير من التجارب على الخوف والعدوان وقد يرجع ذلك إلى صعوبة وضع معايير صدق للحكم . عما إذا كان الحيوان يشارك في الحقيقة عضوية الجماعة . فمثلاً كيف نعرف - عندما يقترب شهابانزى من آخر - ما إذا كانت تحركه عضوية الجماعة أم الجلوس أم أية حاجة أخرى . ولعدم وجود التجارب في هذا الصدد ، يكتفي

الباحثون بالملاحظة العادية لسلوك الحيوان ولو رجعنا إلى تجربته فردريكسون السابقة الذكر فلاحظ أن الفأر في الأيام الأولى كان يتجه تلقائياً نحو الفأر الآخر ويبدى نحوه التعاطف. واستمر الحال على هذا المنوال لفترة بين ١٠-١٢ يوماً. ورغم أنه قد بدأ العراك، إلا أنها لم يتعاركا باستمرار أو تخلياً عن سلوك المشاركة من حين لآخر، فهل يختلف كثيراً هذا التناوب في سلوك الفيران بين المدبران والمشاركة في عضوية الجماعة عن سلوك صغار الأطفال الذي نلاحظه عادة والذي يذلل فيه الطفل من الشجار إلى المصالحة والانضمام إلى الجماعة، وهل يختلف هذا كثيراً عما نلاحظه أحياناً في سلوك الكبار.

وبعد أن أشرنا إلى الدراسات المتصلة بالوراثة عند الإنسان والحيوان، فإن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو كيف تحدث التأثيرات الوراثية أثرها في تشكيل سمات الشخصية. يذهب أيزنك إلى أن أهمية هذه الدراسات الخاصة بالوراثة إنما ترجع إلى أنها تشير بقوة إلى ضرورة وجود بعض الجذور البيولوجية خلف الشخصية والسلوك. ومن الواضح أنه لا يمكن تصور أن سمات الشخصية مثل الانبساطية والانفعالية يمكن أن تورث دون التسليم بوجود بعض الأسس الفسيولوجية والبيوكيميائية والعصبية التي تنتجها بالفعل. أو على الأقل تشكلها المورثات الحاملة لاستعداداتنا الوراثية، وبعبارة أخرى فإننا لا نقول بأن السلوك نفسه هو المورث ولكن تركيبات معينة في الجهاز العصبي المركزي أو الجهاز العصبي المستقل هي التي تورث بدورها عند ما تتفاعل مع البيئة تلعب دوراً هاماً في تحديد السلوك (١)

ونختتم حديثنا عن الوارثة بقولنا إن لكل فرد منا نمطاً وراثياً فريداً.

(١) أيزنك : الحقيقة والهم في علم النفس ، مرجع سابق ص ٦٨ .

أعني أساساً وراثياً لهذه الشخصية الفريدة النامية . والنظرة الحديثة فيما يتعلق بالتأثيرات الوراثية هي أنها يمكن أن تحدد الصفات العامة أو صفات الجماعة أو الصفات المميزة للفرد . فنحن جميعاً بشر بحكم وراثتنا ، ونحن بيض أو سود ، طوال القامة أو قصار القامة بحكم وراثتنا ، كما أن لنا وجوهنا وأصواتنا وملاعنا الأخرى المميزة ، أيضاً بحكم محدداتنا الوراثية . غير أن مثل هذا القول لا ينفي الدور الهام الذي تقوم به البيئة . فحتى التوائم المتشابهة يوجد بينها بعض الفروق التي ترجع إلى التعلم والتأثيرات الاجتماعية الأخرى . وكلما أصبحت الوظائف أكثر تعقيداً ، زادت الفروق التي يمكن أن تعزى إلى البيئة . فالنزعة إلى الخوف بسهولة ، يمكن أن تكون موروثية ، ولكن عدد الأشياء التي تثير الخوف والقلق ، وعدد مرات الانسحاب من المواقف العادية يمكن أن تتأثر تأثيراً عميقاً بواسطة عملية التعلم والاكتساب من البيئة .

ثانياً : دراسة الأجهزة العضوية وعلاقتها وظائفها بأنماط الشخصية :

وللتنبؤات جهاز عصبي مركزي يتكون أساساً من مسالك عصبية طويلة تصل ما بين كل أجزاء الجسم والمخ . . وبالإضافة إلى الجهاز العصبي المركزي هناك الجهاز العصبي المستقل الذي يختص بأنشطته لا إرادية معينة لازمة لاستمرار حياة الكائن . فهو مثلاً الذي ينظم دقات القلب ويجعلنا نستمر في التنفس ونحن نيام ، وهو الذي يتحكم في مساحة إنسان العين كرد فعل للضوء الساقط على العين ، كما أنه هو الذي يتحكم في درجة توصيل الجلد للسكر بآلية فيزيولوجية في حالة الاضطراب أو الانفعال أو الخطر ويقللها في حالة السكون . وهذا الجهاز العصبي المستقل ينقسم بدوره إلى قسمين السمبثاوي والباراسمبثاوي . والاول هو جهاز الطوارئ الذي يعد الجسم للقتال أو للهروب والذي يوقف الهضم ويزيد من دقات القلب ويزيد من معدل سرعة التنفس

ويعد الجسم بطرق عديدة أخرى لمواجهة الأوضاع الخطيرة التي تواجه الفرد. والجهاز الباراسمبثاوى متناقص في عمله لعمل الجهاز السمبثاوى ويؤدى إلى آثار عكسية تماماً. فهو يبطئ من سرعة التنفس ويقلل من دقات القلب. وله في كل الأحوال الأثر العكسى السكامل للجهاز العصبى السمبثاوى وهو جهاز حيوى لسكى يعيش السكائن الحى عيشة هادئة آمنة تحفظ له بقاءه (١).

وبسبب هذه العلاقة الوثيقة بين نشاط الجهاز العصبى المستقل والانفعال. أخذ علماء النفس منذ سنوات بعيدة يبحثون عن الروابط بين الاستجابات. التلقائية والسمات المزاجية. ويمكن أن نشير فى هذا الصدد إلى دراسات كمف (١٩١٩) (٢) ودارو (١٩٣٢) (٣) و فريمان (١٩٤٨) (٤) على وجه الخصوص.

إن استجابة الجسم للإحباط ثم عودته إلى حالة التوازن الداخلى من الأمور الهامة بالنسبة للشخصية. لقد فرض فريمان على مفحوصيه إحباطات تجريبية معينة، ثم قاس عودتهم إلى حالة التوازن الداخلى خلال نشاط الجهاز العصبى المستقل. وقد كشفت الدراسة عن وجود عمليتين مترابطتين هما عملية إثارة الحافز أو الدافع والأخرى هى التحكم فى تفريغ الطاقة. فالأشخاص الذين تكون لديهم إثارة الحافز قوية يمكنهم بسرعة تعبئة طاقتهم، استجابة لوجود المثير المخيف أو المهدد (أو هدف إيجابي) وإن لم يدرس فريمان هذه الناحية (٥)، أما هؤلاء الذين يكون تحكمهم فى تفريغ الطاقة

(١) ابزنك، المرجع السابق.

(2) Kempf E. J. Autonomic functions and the Personality. Nerv. ment Dis. Monogr. 19١9 no. 28.

(3) Darrow. C.W. Reaction Tendencies relating to Personality. in K.S. Lashley: Studies in the Dynamics of behavior, Chicago: Univer. of Chicago Press 1932.

(4) Freeman. G. L. Energetics of Human Behavior. Ithaca, New York. Cornell Univer. Press 1948.

عالياً ، فإبهم يحولون دون التعبير عن إثارة هذه الطاقة في فعل صريح ، إلا إذا كان احتمال النجاح في العمل مؤكداً . وقد توصل فريمان من ذلك إلى وضع نظرية تصنف الناس من الناحية المزاجية وفق موضعهم من متغيرات ثلاثة هي : إثارة الدافع والتحكم في تفريغ الطاقة ، والقدرة على التميز (وهذه الأخيرة تعتبر ضرورية نظراً لأن الفرد يستخدم معلومات من البيئة ، كما أن الإثارة تتوقف على إدراك المثيرات الدالة . أما التحكم فيتضمن تقييم نتائج العمل) .

فن المحتمل أن نجد أشخاصاً تكون استئارة الحافز عندهم قوية سريعة ، بينما تحكمهم في تفريغ الطاقة ضعيف . وهؤلاء من السهل عليهم إارتكاب الجريمة ، كما أن قدرتهم على التوافق مع البيئة وضبط النفس تكون ضعيفة (على نحو ما هو الحال لدى السيكيوماتين) وبالمثل يمكن أن نجد أشخاصاً تكون استئارة الحافز عندهم ضعيفة وقدرتهم على التحكم في تفريغ الطاقة قوية . وهؤلاء يبدون كما لو كانوا لا يريدون عمل أى شئ . ما ، أى كما لو كانوا متبلدين ، وهم يخافون من عارلة القيام بأى عمل ، فهم أقرب إلى الشخصيات المرضية .

أما النوع الثالث الذين تكون استئارة الحافز عندهم قوية وقدرتهم على التحكم في تفريغ الطاقة قوية كذلك ، فهؤلاء أكثر نجاحاً ، لأن الفرد منهم يبذل جهداً وطاقة دون أن تذهب هذه الطاقة أو هذا الجهد هباء . وهو يعتمد بالطبع على قدرته على التمييز أو الذكاء .

وثمة رأى آخر يذهب إلى أنه على الرغم من أننا جميعاً نتشابه في ميكانزمات الجهاز العصبي المستقل وفي الوظائف العامة للاستجابة ، إلا أن لكل فرد منا ميل إلى أن ينمى لنفسه نمطاً ثابتاً من الاستجابة للمثير الذى يؤدي إلى إثارة الجهاز العصبي المستقل فهذا الشخص مثلاً يستجيب لمواقف التهديد بحدوث تغيرات في سرعة ضغط الدم ، وذلك الآخر بسرعة دقات القلب والثالث

بتغيرات في استجابة الجلد للجلفانومتر وهكذا وقد ذهب إلى هذا الرأي الذي ينادى بالتخصص في استجابة الجهاز العصبي المستقل كل من جون ليسى وفان ليه (١) J. Lacey and Van Leh وقد يبدوا هذا الرأي غريبا ، ولكنه يبدو مقبولا مع ذلك . فلدينا ميكانيزمات كلامية متشابهة . ولكن لكل منا طابعاته الكلامية الخاصة والمميزة له عن بقية الأفراد .

وإذا كان من السهل أن ندرس الجهاز العصبي المستقل بسبب ارتباطه المباشر بالظواهر الانفعالية وظواهر إثارة الحافز ، إلا أن من المهم ألا ننسى أن نشاط هذا الجهاز نفسه — والذي يعمل من ذاته بدون تدخل منا وفي بعض الأحيان بغير علمنا يخضع نتيجة اتصاله بالجهاز العصبي المركزي لتكييف وتنظيم سيطرة المخ .

لقد أشار بافلوف إلى نظرية الإثارة والكف اللحائي . وقد أجرى تجاربه على الكلاب ، ومن ثم فهي قليلة القيمة بالنسبة للإنسان ، وإن كانت قد وجهت الانتباه إلى الدراسات على الإنسان . فقد قدم إيزنك (١٩٥٥ — ١٩٥٦) نظرية عن الإنطواء — الانبساط تقوم على افتراض اختلاف الناس فيما بينهم في عملية الكف اللحائي .

والفكرة الرئيسية عند إيزنك هي فكرة « كف الإستجابة » ، فعظم الناس حين يطلب إليهم مواصلة الاستمرار بعمل بسيط والقيام به عدة مرات متتالية سرعان ما يظهر لديهم نوع من المقاومة . ويختلف الناس فيما بينهم في سرعة

-
- (1) Lacey, John. I. and Ruth Van Leh : Differential emphasis in somatic response to stress psychosom Med '1952. 14. 71-81.
 - (2) Eysenck, Hans. J.: Cortical inhibition: figural after effect and theory of Personality, J. abnorm. soc. Psychol. 1955. 51. 94-106
 - (3) Eysenck, Hans. J.: The Inheritance of extraversion-introversion. Acta. Psychol., 1956. 12. 95-110.

تكوين هذه المقاومة وقوتها . وعلى هذا الأساس صاغ ايزنك نظريته لتفسير اتجاهات معينة في الشخصية ، ونظريته في الواقع جديرة بالاهتمام وإن لم تقدم شيئاً عن الأساس الفسيولوجي الذي تقوم عليه .

وقبل عام ١٩٥٠ لم تكن الدراسات التي استخدم فيها رسام المنح الكهربى E.E.G., Electroencephalogram بذات قيمة كبيرة ، كما لم تكن نتائجها مشجعة ويمكن في السنوات الأخيرة كانت نتائج هذه الدراسات ذات أهمية كبيرة . فقد وجد ارتباط موجب بين الذبذبة ألفا وتقدير المزاج (+٠,٤٦) . فالأشخاص الذين تكون الذبذبة ألفا عندهم عالية يعطون تقديرات عالية في النواحي المزاجية ، إذ يكونون أميل إلى الاندفاع وأحوج إلى الضبط والتحكم ، بينما الأشخاص الذين تكون عندهم الذبذبة ألفا منخفضة ، يكونون أميل إلى الحذر والتروى وإلى الكف . كما كشفت دراسات شبتون ووالتر (١٩٥٧) ووير (١٩٥٧) (١) عن أن الأشخاص الذين يعطون أنواعاً مختلفة من الاستجابات في رسم المنح يكشفون عن أنواع مختلفة من السلوك الصريح . ومع ذلك ، فإن المادة التي بأيدينا والتي تتصل بالشخصية لا تزال تحتاج إلى مزيد من الدراسات والإيضاح .

وثمة ناحية حديثة ، ولكنها جديرة بالاهتمام ، ونعني بها إصابات المنح وأثرها في الشخصية . إن الإصابات التي تصيب المنح قد تؤثر في الشخصية بشكل مباشر وأولى أو بشكل غير مباشر وثانوى عن طريق استجابات نفسية معقدة كالخوف الشديد أو الجبن . مثال ذلك ، قد يصاب الشخص بمعنى نصفي Hemianopsia نتيجة إصابة في المنطقة القذالية بمؤخرة الرأس ولا يلاحظ أبداً هذا العيب البصرى لكن بعد أن يوضح الفحص الثيرولوجى وجود هذه المنطقة العمياء ، فإن الفرد قد يصبح أكثر انشغالا بالحالة وأكثر قلقاً ،

(1) See Stagner, Ross : Psychology of Personality. p. 377.

وقد يخاف من عبور الشارع ، وقد يضيق بالتالى من نطاق علاقته الاجتماعية مع الناس . وفى هذا المثال نجد أن الإصابة ذاتها لم يكن لها فى بداية الأمر تأثير مباشر على الشخصية ولكن الخوف الذى أثر حول اكتشاف الإصابة هو الذى أحدث رد الفعل السيكولوجى فى أوضح صورة .

وإصابات المخ تباين وتختلف تبعاً لنوع الإصابة التى إما أن تكون نتيجة حادث أو التهاب أو نتيجة ورم أو نزيف أو انسداد أو زيادة أو نقص فى التغذية من أية جهة ، وكذلك تبعاً لجزء المخ أو المنطقة الخاصة التى لحقتها الإصابة . وهذه الإصابات يكون لها تأثير واضح على الشخصية . فأورام المخ قدمت للإكسيليكى قدراً كبيراً من المادة التى تتصل بعمل المخ ووظيفته . ومن الدراسات التى أوضحت أثر الإصابة على إستجابات الفرد ما قام به وهارور أيركسون ، بعبادة بنفيلد التابعة للمعهد النيرولوجى بمدينة مونتريال مستخدماً لإختبار بقع الحبر لوروشاخ على مجموعات من ٢٥ مريضاً بأورام المخ ، وقد كشفت الدراسة أن إستجابات المرضى للإختبار تختلف اختلافاً كلياً عن إستجابات العاديين . فقد كشفوا عن ضيق أو تحديد ظاهر جداً فى الإستجابة سواء بالنسبة للعدد الكلى للإستجابات أو بالنسبة لقائمة خاصة من قوائم الإختبار ، مما يكشف عن ضيق فى الشخصية إلى درجة كبيرة .

وبعد إزالة الورم كشف الإختبار عن تحسن فى تقديرات الأفراد إلى حد ما . وقد كشف التشخيص الفارق الذى استخدم فيه إختبار رورشاخ عن فائدة كبرى فى التمييز بين تغيرات الشخصية التى ترجع إلى إصابة المخ وحالات ذهان الهوس والإكتئاب والفصام والعصاب . ولكن مثل هذه الدراسات لاتزال فى بدايتها وتحتاج إلى المزيد من الدراسة .

وصدمات المخ ووضوحه قد تؤثر فى جوانب الشخصية . فالضربة التى تهد تصيب الرأس قد تحدث تغييراً دقيقاً فى الشعور ، وينتقل الفرد من حالة

الوعى ووضوح المعرفة إلى حالة عدم الوعى الكامل أحيانا . وقد يعزى ذلك إلى إرتجاج بسيط simple concussion فى المخ . وقد يعود الشعور بعد عدة ثوان ولا يترتب على هذه الضربة أية تأثيرات مرضية . أما إذا كانت الضربة قوية وعنيفة فقد تحدث رضوضاً فى المخ contusion وتطول فترات فقدان الوعى وتترك آثاراً بعدية واضحة عادة .

والأشخاص الذين يتعرضون لإرتجاجات أو رضوض متعددة فى المخ قد يكشفون عن صورة أكليينكية متميزة . فبعد كل إصابة وخصوصا بعد الإصابة الثالثة أو الرابعة يشكو المريض من صداع مستمر يزداد مع كثرة استخدام العينين . كما يتجنب المريض إتخاذ وضع الميل إلى أحد الجوانب بسبب إزدیاد الصداع أو الشعور بالدوخة . كما قد يصحب ذلك سرعة القابلية للتعب ونقص المبادأة والخول . وقد يكشف الفحص النفسى عن ضعف بسيط فى القوى العقلية فى مجالات كالذاكرة والحفظ والانتباه ويزداد الأمر وضوحا بإزدیاد الحالة . وقد يبدى المريض خلال السنة الأولى من إضطرابه قلقاً غير ثابت ويتجنب القيام بأى نشاط أو جهد . وأحسن دليل إيجاز للكشف عن مثل هذه الحالات هو رسام المخ السكرى ، وكذلك التاريخ الدقيق الذى قد يكشف عن الإصابات المتكررة . وقد كشف هـ بـ وبنيارد ، عن حالة شاب أصيب فى الفص الجبهى الجانبى وهو فى سن السادسة عشرة وظل عشرة سنوات يعانى من إصابته بالصرع . وأجريت له عملية جراحية وهو فى سن السابعة والعشرين ، وقد تغيرت حالة المريض من شخص قلق مضطرب متبلد غير مبالى ، صرعى كثير النسيان ، إلى شخصية لطيفة محبوبة من المرضى . ولم تسكن تأتیه النوبة الصرعية إلا مرتين فقط كل ١٥ شهراً .

وبالإضافة إلى الأورام والإصابات هناك أيضا التهابات الدماغ . فالإلتهاب السحائى الشديد قد يحدث تغيرات ملحوظة وحادة فى الشخصية

لذا يصبح المريض قلقاً مضطرباً ، يفقد التحكم وال ضبط تماماً ، يصرخ ويعتدى
ربما بسبب الصداع الشديد .

ثالثاً : دراسة التكوين البيوكيميائي والغددى للفرد :

وتكشف دراسة الأشخاص الذين يعانون من إختلال فى إفرازات
الغدد عن أدلة قاطعة على وجود تأثيرات واضحة للهرمونات فى الشخصية .
وقد ذهب البعض إلى وضع نظريات خيالية تذهب إلى أن الشخصية العادية
هى أيضاً نتيجة إفرازات الغدد . ومن بين هؤلاء الذين بالغوا فى أهمية إفرازات
الغدد الصماء فى تحديد الشخصية « لويس برمان » (١) الذى نشر كتابين هما
« الغدد منظمة الشخصية » ، والثانى « خلق جديد فى السكائنات الإنسانية » (٢) .
وقد ذهب إلى أن علم دراسة الغدد يلعب دوراً رئيسياً فى تحديد الشخصية
يفرق الدور الذى يلعبه أى عامل آخر . وقد ذهب أيضاً إلى أن العصابى
والذهانى بل والمجرم هم فى الحقيقة ضحايا اضطرابات إفرازات الغدد ويمكن
علاجهم عن طريق علاج الغدد ذاتها . كما أشار إلى إمكانية التحكم فى عملية
النضج من خلال التحكم فى إفرازات الغدد الصماء . ولكن البعض من أمثال
هوسكينس Hoskins يقف موقفاً معارضاً ويرد على ذلك بقوله « إن الأمر
يتطلب منا قبل أن ننظر إلى علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الإجرام على أنها
جوانب خاصة لعلم الغدد ، أن نقوم بجمع الكثير جداً من الحقائق التى تؤيد
هذا الرأى وبشكل أكثر مما هو موجود لدينا الآن » (٣) .

(1) Berman, Louis: The glands regulating Personality (2nd ed) New York, Macmillan 1928.

(2) Berman, Louis: New Creations in Human Beings, New York, Doublday 1938.

(3) Hoskins, R.G. : Endocrinology. New York Morton 1941,

وقد أخذت دراسة العلاقة بين وظيفة الغدد والشخصية صوراً متعددة كان أقدمها الملاحظة الإكلينيكية لأشخاص يعانون من نقص إفرازات الغدد . ثم أتت بعد ذلك الدراسات التي أجريت على أشخاص أزيلت بعض الغدد عندهم لأسباب طبية أو مرضية . وأخيراً أتت الدراسات التجريبية التي تجرى على أشخاص يحقنون بهرمونات تحت ظروف تجريبية دقيقة مضبوطة ثم ملاحظة ما يطرأ عليهم من تغيرات . وكانت معظم التجارب التي تجرى على الحيوانات في هذا الصدد تنصب على إزالة الغدد دون أن تكون هناك أسباب مرضية بالطبع . وقد أمكن الوصول إلى حقائق على جانب كبير من الدقة والاهمية تتصل بطبيعة النتائج المتوقعة عند وجود زيادة أو نقصان في هرمون غدة بالذات .

ومع ذلك ، فإن الدراسات لم تتوصل إلى أي نمط واضح يحدد آثارها على الشخصية ، بل أصبح الموقف فيما يتصل بالشخصية غامضاً ومعقداً . وقد علق كليجهورن Cleghorn (١٩٥٢) على ذلك بقوله : لا يمكننا أن نزيل أثر التغيرات في البيئة الكيميائية الداخلية عن الزاد الوراثي للفرد ، وعن خبراته السابقة (أنظر ستاجز : سيكولوجية الشخصية ص ٢٧٩) ومع ذلك ، فهناك العديد من الدراسات التي أجريت على بعض الغدد والتي وصلت إلى نتائج هامة ، من ذلك مثلاً :

الغدة الدرقية : Thyroid Gland

وتوجد في مقدمة الجزء الأسفل من الرقبة . ووظيفتها تخزين مادة اليود وإفراز هرمون الثيروكسين الذي يؤثر في عمليات النمو وعمليات الهدم والبناء كما أنها تؤثر وتتأثر بإفراز غيرها من الغدد الصماء وخاصة الغدة النخامية . والإضطرابات التي تصيب وظيفة الغدة الدرقية تكون إما بنقص إفراز

هذه الغدة أو زيادته . والأشخاص الذين يعانون من نقص إفراز الدرقية يتكاثرون أميل إلى الخمول والبلادة والغباء ، وكأنهم في سبات عميق . كما أنهم من النوع المكتئب المتبرم الكثير الشك وهي صورة أقرب إلى المزاج الفصامي عند كرتشمير . أما الأشخاص الذين يعانون من زيادة إفراز الدرقية فيلاحظ عليهم الميل إلى زيادة التوتر العصبي وشدة الإستنارة والقلق ، كما تزداد لديهم شدة إستجابة الجهاز العصبي المستقل ، فيكون المريض كثير الحركة زائد النشاط لا يستقر له قرار ويكاد يكون في حالة توتر مستمر .

ومن الممكن القول بأن ما يعثرى إفراز الدرقية من نقصان أو زيادة يؤثر في الحالة الانفعالية والعكس أيضا صحيح . فقد بيئت الدراسات السيكوسوماتية أن التوتر الانفعالي المستمر يؤدي إلى تضخم الدرقية وزيادة إفرازه مما يزيد بدوره من شدة الانفعال وحدته . وكذلك قد يؤدي الإنبساط المزمن إلى خفض نشاط الغدة الدرقية . وفي ضوء هذه الملاحظات لا نستطيع الجزم بأن الشخصية خاضعة في تكوينها وتطورها للغدد الصم خضوعا حتميا ، بل يجب النظر إلى الشخصية بوصفها وحدة جسمية نفسية تتبادل فيها آثار العوامل الانفعالية والعوامل البيولوجية (١) .

الغدة الأدرينالية أو فوق الكلوية : (The Adrenals (Supra-Renal Glands)

وهناك فوق كل كلية توجد غدة تعرف بالكظر أو بالغدة الأدرينالية . وتتكون كل غدة من عضوين متميزين خارجي ويسمى القشرة Cortex ، وداخلي ويسمى اللب Medulla وكل من هذين الجزئين يختلف تماما عن الآخر من حيث بنائه ووظيفته . هرمون القشرة يساعد على مواصلة بذل الجهد العضلي وعلى مقاومة العدوى . ويترتب على ضعف نشاط هذا الهرمون ونقصه

(١) دكتور أحمد عكاشة : علم النفس الفسيولوجي ، دار المعارف بمصر ١٩٦٨ ، ص ١٣٢ .

الإحساس بالضعف والكسل وعدم الإهتمام بالجلوس الآخر وهبوط عام في الحيوية والنشاط وقساد الحكم وعدم الميل إلى التعارن وقلة الصبر ، بينما يترتب على زيادة نشاط هذا الهرمون زيادة مظاهر الحيوية وزيادة مظاهر الرجولة سواء عند المرأة أو الرجل .

أما هرمون اللب واسمه الأدرينالين فيسبب زيادته عن حد الاتزان إزدیاد ضربات القلب وإزدیاد عمل الرئتين وإزدیاد إفراز السكر من الكبد وإزدیاد إفراز العرق وإتساع حدقة العين وإندفاع الدم للمخ والعضلات بحيث يلمشط العضلات الخارجية ويحدث تأثيراً مضاداً على بعض الأعضاء الداخلية كالمعدة . فكأن وظيفة الأدرينالين هي تنشيط السكان الحى تنشيطاً عاماً ، وغايتها أنها في حالة وقوع السكان الحى في مأزق يريد التخلص منه إما بالهرب أو المقاتلة والهجوم ، تساعد على سرعة التخلص أو سرعة المقاتلة . وظيفة الأدرينالين يريد من كفاءة السكان الحى لتحقيق هذه الغاية (١) .

الغدد الجنسية : Gonads or Sexual Glands

وهي الخصيتان عند الذكر والمبيضان عند الأنثى . وتفرز هذه الغدد التناسلية هرمونات أهم وظائفها هي الخواص الجنسية الثانوية (خشونة الصوت عند المرافق ونبت الشعر في مواضع مختلفة من الجسم) . وكذلك من الصفات السيكلوجية الميل الاستقلالى والميل للإعتداء وحب الزعامة والميل للمخاطرة والميل نحو الجلوس الآخر . أما عند الفتاة فتتضح هذه الخواص الجنسية الثانوية في نبت الشعر في مواضع معينة من الجسم أيضاً وكبر الثديين ونشاط الغدد البنية والميل إلى الجلوس الآخر . وهذه الهرمونات بنوعها موجودة في كل من الرجل والمرأة . غير أنه تغلب الهرمونات الذكورية عند الرجل

(١) دكتور عبد العزيز القوصى • أسس الصحة النفسية • مكتبة النهضة المصرية .

والهرمونات الأنثية عند الأنثى ويمزى إلى هذا في نظر بعض المفكرين وجود الصفات الأنثية عند بعض الرجال وبعض الصفات الذكورية عند بعض النساء .

ويلاحظ أنه في حالات الإخصاء في الحيوان ، أن يصبح الحيوان أكثر ميلا إلى الهدوء وأقل عدوانا وأقل نشاطا . والدراسات التي أجريت على الأغوات من الرجال أوضحت أنها تفقد الكثير من صفات الرجولة ، فتقل من مستوى الطاقة ومن الاستجابات الانفعالية وتجعلهم على قدر من نعومة الصوت والخلول والإنصراف عن النزعات الجريئة (١) .

وقد لوحظ في الحيوانات أن زيادة نشاط غدد الجس عند الذكور يؤدي إلى زيادة الدافع الجنسي وإلى زيادة ملحوظة في الميل إلى السيطرة والعدوان . ومن الممكن ملاحظة مثل هذه الآثار على الشخصيات الإنسانية نتيجة حقن البعض بهرمونات ذكورية ، وإن كانت النتائج لا تزال تحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة .

والخلاصة ، أن الغدد لها تأثير واضح على سمات الشخصية . ولكن ليس معنى ذلك أن هناك ارتباطا بين سمات معينة في الشخصية وهرمونات غددية معينة كذلك . فنفس الهرمون الواحد قد يؤدي إلى اضطرابات مختلفة عند الأفراد المختلفين . فهرمون الكورتيكوتروفين Corticotrophin والذي يرمز إليه بالرموز ACTH اختصاراً للمصطلح Adrenocorticotrophic Hormone قد يسبب هوساً أو إكتئاباً .

وقد سبق أن أوضحنا في بدء حديثنا عن المحددات البيولوجية أنه بالإضافة إلى ما تحدده الغدد من نتائج في الشخصية فإن التكوين البيوكيميائي للجسم يحدث

(١) المرجع السابق .

تأثيراً واضحاً كذلك، وقد ذهب العالم البيوكيميائي المشهور «وليمز روجرز» (١) إلى أن كل فرد هو في بعض نواحيه فريد متميز في تكوينه البيوكيميائي، فلكل فرد وظائفه الغددية المتميزة وحاجاته الغذائية الخاصة كذلك. فما يعد وجهة غذائية مناسبة لفرد ما، قد لا تكون كذلك بالنسبة لفرد آخر.

وبذلك نكون قد أوضحنا المحددات البيولوجية في الشخصية والتي عرضنا فيها لأثر الوراثة ودراسة الأجهزة العضوية وعلاقة وظائفها بأنماط الشخصية ثم أخيراً لدراسة التكوين البيوكيميائي والغددى للفرد. ولكن الشخصية لا تخضع للعوامل البيولوجية وحدها بل هناك مجموعة أخرى من العوامل ليست أقل تأثيراً ووضوحاً في تكوين الشخصية وهي ما ندرجها تحت المحددات البيئية بأنواعها المختلفة.

(2) Roger. J. Williams : The Biological Approach to the Study of Personality. in James, A. Dyal : Readings in Psychology : Understanding Human Behavior. Mc Graw-Hill 2nd. Ed 1967.

الفصل الرابع

محددات الشخصية (تابع)

محددات عضوية الجماعة

عرضنا في الفصل السابق للمحددات التكوينية للشخصية ، وأوضحنا الدراسات التي تعطي أهمية كبيرة لنواحي الوراثة والأجهزة العضوية للفرد وعلاقة وظائفها بأنماط الشخصية ثم التكوين البيوكيميائي والغددى للفرد . وفي هذا الفصل والفصل الذي يليه نعرض للمحددات الاجتماعية التي تحدث أثرها في شخصية الفرد . وسوف نلقى الضوء على المكونات الثلاثة الباقية التي أشار إليها كوكهون وهوري وشنيدر وهي : محدّدات عضوية الجماعة والدور الذي يقوم به الفرد ثم محدّدات الموقف .

محددات عضوية الجماعة :

وإذا كانت التكوينات البيولوجية للفرد تتحدد إلى درجة كبيرة شخصية الفرد ، ونجعلنا على يقين من القول بوجود فروق فردية مزاجية ملحوظة لدى الأفراد المختلفين ، تؤثر بدورها تأثيراً واضحاً في نمو شخصية الفرد ، إلا أن الشخصية ليست شيئاً ثابتاً لا يقبل التغير منذ الولادة، فمن الخصائص الأساسية للإنسان ، قدرته على التغير نتيجة ما يمر به من خبرات وتعلم . وإذا كان سلوك الحيوان يتحدد إلى درجة كبيرة بغيراته، بحيث لا نحتاج إلى معرفة الشيء الكثير عن تاريخ حياة الحيوان من أجل التنبؤ بسلوكه ، فإن الأمر يختلف بالنسبة للإنسان حيث نحتاج إلى معرفة تفصيلية عن خبرات الفرد الماضية وبيئته وثقافته التي نشأ فيها من أجل الحكم على سلوكه ونمو شخصيته . وبدون هذه المعرفة ، يتعذر علينا فهم حتى أبرز الخصائص في شخصية الفرد .

وفي ضوء ما تقدم يتضح لنا أن من المتعذر علينا تفسير سلوك الفرد ونمو شخصيته ، دون أن ندخل في الإعتبار البيئة التي نشأ فيها . ولسهولة دراسة هذه المؤثرات في الشخصية ، قسم لويس ثورب^(١) البيئة إلى أقسام ثلاثة هي في الحقيقة مترابطة بشكل وثيق ، وهذه الأقسام هي البيئة الطبيعية والثقافية والاجتماعية .

أما البيئة الطبيعية فيتضح أثرها إذا نظرنا إلى إختلاف أساليب تكيف الناس ومعيشتهم وطرق مواجهتهم للحياة في البيئات المختلفة . فعلى الرغم من تشابه الناس في حاجاتهم ودوافعهم الأساسية ، إلا أننا نلاحظ أن ثمة إختلافاً واضحاً بينهم في طرق مواجهتهم وإشباعهم لهذه الحاجات . فالبدو في الصحراء ، والأسكيمو في المناطق القطبية ، هم إلى حد بعيد تتاج هذه البيئات الطبيعية المختلفة ، فنمو أجسامهم وطرق معيشتهم وأساليب حياتهم تأثرت إلى حد بعيد بالبيئة الطبيعية المحيطة بهم . فالجو والحرارة يجعلان بعض الناس سمر البشرة ، على حين يجعلان البعض الآخر بيض البشرة .

أما البيئة الثقافية فلها تأثير واضح جداً في نمو الشخصية . فآثر الثقافة في تكوين الشخصية لا يمكن إنكاره . والبيئة الثقافية أو الحضارة التي تنبع من البيئة ، يعتبرها البعض العامل الأساسي في تشكيل الشخصية بالمعنى الدقيق . وقد ورد في ذلك العديد من الأقوال منها مثلاً : « إنه بدون الحياة الثقافية لا يكون لدينا أفراداً ، بل كائنات حية عضوية أو ذوات سيكويولوجية » ، « إن عامل التطبيع الإجتماعي هو الذي يحول الفرد من كائن حي بيولوجي إلى كائن حي إجتماعي يعيش في بيئة يؤثر فيها ويتأثر بها » ، « إن الشخصية لا يمكن

(1) Thorpe, Louis P. and Schmuller, Allen M.: Personality : An Interdisciplinary Approach. New Jersey, D. Van Nostrand Company, 1965,

غزلها عن الإطار الحضارى الذى نشأت فيه بنوع من الجراحة التى تقضى على حياة الفرد .

أما البيئة الإجتماعية ، فإن المجتمع الإنسانى يعرف عامة بأنه جماعة منظمة تعيش فى مكان معين وتشارك فى مجموعة من الإتجاهات وأنماط السلوك والأهداف . وتعتبر الجماعة الإجتماعية بالنسبة للفرد أحد النقاط الهامة فى نمو شخصيته فالمجتمع على نحو ما يقرر أكرمان Ackerman هو البيئة أو الوسط الغذائى الذى تنمو فيه وحدة الفرد وشخصيته بالتدرج وجوهر كل مجتمع هو الذى يشكل محتوى هذه الوحدة . وحين ينمو الفرد ، فإنه يصبح فى الوقت نفسه وحدة فردية وإجتماعية معا . وهذان المظهران لوحدة الشخصية يتمثلان فى المظهر الأكثر إستمراراً والأقل قابلية للتعديل فى بناء الشخصية .

الثقافة :

إن الهدف هنا هو دراسة العلاقة بين الثقافة والشخصية . ولكن يجدر بنا أن نشير أولاً إلى إشارة مختصرة إلى المقصود بالثقافة . فالثقافة لها تأثير واضح فى تشكيل شخصية الفرد . فالاسترالى المولد تختلف شخصيته عن شخصية الأمريكى وشخصية أبناء فرنسا تختلف عن شخصية المستوطنين الفرنسيين فى كندا مثلاً . وحين الاختلافات فى الثقافات الفرعية من شأنها أن تحدث اختلافات واضحة بين الافراد . فشخصية نجوم السينما تختلف عن شخصية العلماء الذين يكرسون حياتهم للعلم ، على الرغم من إلتئامهم جميعاً للمجتمع واحد . لقد قدمت تعريفات كثيرة للثقافة . وفى أساساً نتاج إنسانى للتفاعل الاجتماعى بين أفراد مجتمع من المجتمعات ، وتوفر أنماطاً إجتماعية عامة مقبولة يستجيب الأفراد فى ضوئها لحاجاتهم البيولوجية والاجتماعية ، وهى تنتقل من جيل إلى جيل فى المجتمع وتتراكم نتيجة هذا الانتقال ، وهى محملة بالمعاني

التي يعبر عنها الأفراد بلغتهم بما فيها من رموز ، ولذلك فهي ليست فطرية ، وإنما يكتسبها الفرد من سياق نموه وسط الجماعة . ولهذا فهي أساس يؤثر في تكوين شخصية كل فرد ينمو وسط هذه الجماعة ، وتعتمد في وجودها واستمرارها على استمرار المجتمع وإن كان هذا الوجود وهذا الاستمرار لا يتوقفان على وجود فرد بعينه أو جماعة بعينها ، (١) .

ويعرف كلوكهون الثقافة بأنها « أساليب الحياة المختلفة التي توصل إليها الإنسان عبر التاريخ - الظاهر منها والضمني ، العقلي منها واللاعقلي ، والتي توجد في وقت معين والتي تكون أساليب إرشاد وتوجيه لسلوك الأفراد في المجتمع (٢) » . فالثقافة هي بلا أدنى شك من محددات عضوية الجماعة ، بل هي أهمها جميعاً . وحين نقول أن الثقافة تحدد ، فإن هذا بالطبع أسلوب مجرد في التعبير . فالذي نلاحظه بالفعل هو التفاعل بين الأفراد بعضهم وبعض . فنحن لا نرى أبداً الثقافة ، مثلما لا نرى أبداً الجاذبية . فالثقافة مكون إفتراضي يساعدنا على فهم انتظامات معينة في الأحداث الإنسانية، كأن الجاذبية مكون إفتراضي يساعدنا على تفسير وفهم انتظامات معينة في الأحداث الطبيعية .

وقد قدم « جان كلود فيالو » في كتابه « الشخصية (٣) » ، تعريفاً للثقافة في قوله أنها « مجموعة المعايير والقيم ، ومعايير السلوك التي تترجم أسلوب حياة الجماعة » . وهذه الفكرة مهمة وفائدة ملحوظة في تحليل التنشئة الاجتماعية

(١) د . محمد المادى عفيفى : التربية والتنشئة الاجتماعية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ،

١٩٦٤ ، ص ٦١ .

(2) C. Kluckhohn & W. Kelley : The Concept of Culture. in Linton R. (ed): The Science of Man in the World Crisis, New York, Columbia Univ. Press, 1945 p. 97.

(3) Fillo. J. C. : La Personnalité. Que Sais-Je ? No 758. Presses Universitaires de France 1959.

للشخصية الفردية، كما أن لها بالإضافة إلى ذلك محتوى نفسى اجتماعى فى أساسه، ولفظ «ثقافة» على نحو ما هو مستخدم فى علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعى يعنى كل ما يشارك أو يدخل مباشرة فى سلوك أعضاء الجماعة. فاللفظ «ثقافى» يمثل إذن «الجانب الاجتماعى»، على نحو ما هو موجود فى أنوان السلوك الفردية. ويقول هيرزكوفيتز M.J. Herzkovitz أحد الرواد الأول للأنثروبولوجيا الثقافية «الثقافة هى أسلوب حياة الناس، بينما المجتمع هو المجموع المنظم للأفراد الذين يتبعون أسلوباً معيناً فى الحياة». وببساطة يمكن القول بأن المجتمع يتكون من أفراد، وأن الأسلوب الذى يسلكونه هو الذى يمثل الثقافة.

ويذهب البعض (١) إلى تقسيم محتوى الثقافة إلى ثلاثة أقسام على أساس مدى إشتراك أفراد الجماعة فى عناصر كل قسم منها. وهذه الأقسام هى:

١ - عموماً: الثقافة: وهى الأفكار والعادات والتقاليد العاطفية المختلفة وأنماط السلوك وطرق التفكير التى يشترك فيها جميع أفراد المجتمع العاقلون. وهذه العموميات تختلف من ثقافة إلى أخرى. وهى التى تكون الأساس العام للثقافة التى تتميز به عن ثقافة أخرى. وعموميات الثقافة هى التى تؤدى إلى تشكيل نمط مشترك من الاتجاهات يمتاز به أفراد ثقافة ما عن غيرها من الثقافات؛ كما أنها تؤدى إلى ظهور الإهتمامات المشتركة التى تجمع بين هؤلاء الأفراد. وهذه حقيقة سيكلوجية هامة تبنى على أساسها وحدة الجماعة وأهدافها المشتركة.

٢ - خصوصيات الثقافة: وهى العادات والتقاليد والأنماط السلوكية

(١) د. محمد لبيب النجيجي: الأسس الاجتماعية للتربية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٧.

المختلفة المتعلقة بمباشرة إجتماعية بينها تأثير متبادل والتي حددها المجتمع للقطاعات المختلفة منه أثناء تقسيمه للعمل بين أفرادها . والعناصر الثقافية التي تشتمل عليها خصوصيات الثقافة هي في معظمها خاصة بالمهارات اليدوية وبالمعرفة الفنية . وخصوصيات المعرفة رغم أنها تكون قاصرة على جماعات معينة في المجتمع ، إلا أن فائدتها تعم جميع الأفراد . فجماعات الأطباء والمهندسين والمحامين لكل منها خصوصياتها الثقافية التي تميزها عن غيرها من الجماعات الأخرى ، ومع ذلك فأنشطتها تعم فوائدها المجتمع كله .

٣ - متغيرات الثقافة : وهي تلك العناصر التي نجدتها بين أفراد معينين واسكنها لا تكون مشتركة بين أفراد الثقافة جميعهم ، بل أنها لا تكون سائدة بين طبقة لها تنظيم إجتماعي معين . أى أن هذه العناصر ليست من العموميات بحيث يشترك فيها جميع أفراد المجتمع ، وليست من الخصوصيات بحيث يشترك فيها أفراد طبقة اجتماعية أو مهنية أو حرفية معينة . وهذه المتغيرات تمثل إستجابات مختلفة لمواقف متشابهة أو وسائل مختلفة لتحقيق أهداف متشابهة . وهذه المتغيرات تظل مترددة حائرة على سطح الثقافة حتى تتحول إلى خصوصية أو عمومية فتثبت وتستقر .

وفي ضوء ما تقدم يمكن أن نشير إلى صفات أساسية للثقافة منها :

(١) إن الثقافة مستقلة نسبياً عن الأفراد الذين يحونها ، ولو أنها لا تنحيا بدونهم . فالثقافة تتخطى حياة الأفراد وحياة الجيل من أجل البقاء والإستمرار . إلا أنها لكي تبقى وتستمر لا بد أن تحيا في أشخاص يحملونها وينقلونها في نفس الوقت من فرد لآخر ومن جيل لآخر . ومن هنا أيضاً يمكن القول بأنه في أية جماعة معينة ، لا يمكن أن يوجد شخص ما يمكنه أن يعرف كل تفصيلات الحياة في الجماعة ، فلا يوجد فرد ما يستطيع أن يلم بكل ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه ، أو حتى بالثقافات الفرعية التي تعتبر أوسم

من أن يستطيع عقل أى فرد الإسلام بها نظراً لما تكون عليه من تخصص وعمق .

(ب) أن كل ثقافة تعتبر بالنسبة لأفراد الجماعة بمثابة النماذج والمعايير التى يصرحون بها ويتقاسمونها ويشاركون فيها ، وهى تكون ضاغطة بمقادير متفاوتة . وتعتبر الثقافة من الناحية الموضوعية ، وعلى نحو ما عبر ديلتون ، (١) الصورة الإجمالية العامة للسلوك المكتسب المتعلم ونتائجه ، والذي يتقاسم عناصره المكونة له أعضاء جماعة معينة ، وتنتقل فيهم من جيل إلى آخر . وبالنسبة للفرد ، فإن أساليب السلوك والتفكير التى ينقلها المجتمع إلى الفرد تعتبر بمثابة معايير بالنسبة له ، تبين له ما هو مقبول وضرورى داخل الجماعة . وما هو ليس كذلك . ويمكن القول بأن الثقافة هى مجموع أساليب السلوك والتفكير التى تعتبر ضرورية لأية جماعة معينة .

(ج) أن الثقافة مكتسبية ، تنتقل من جيل لآخر ومن عضو لعضو . ينقلها الأفراد والجماعات ومن خلال المؤسسات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعى بين الأفراد والجماعات المختلفة . فهى إذن ليست فطرية . فها يبدو غريباً فطرياً للبعض هو فى الواقع سلوك يقوم على الإكتساب والتعلم . ويرتبط بهذه الخاصية - ونعنى بها الإكتساب - خاصية أخرى من خصائص الثقافة وهى خاصية التراكم . فالتراث الاجتماعى والثقافة تتراكم عبر الأجيال وهى تنتقل من جيل لآخر . ونحن نبني على أساس ما خلفه الآخرون لنا وما يتركونه لنا من تراث ، كما نخلف ثقافتنا وخبراتنا وتراثنا للأجيال التالية . وهكذا تستمر الثقافة مع ما يطرأ عليها من تعديلات وتغييرات تنشأ عن التفاعلات المستمرة عبر الأجيال .

(١) Linton, R: The Cultural Background of Personality, New York, Appleton-Century Crofts., 1945.

الثقافة والشخصية :

وبعد هذه النظرة المختصرة للثقافة ، لنحاول الآن النظر في مشكلة نمو الشخصية من حيث علاقتها بالثقافة وليس فقط من حيث هي استعداد في سبيل التكوين والتغيير . فالعلاقة المتبادلة بين الثقافة وتكوين الشخصية علاقة وثيقة . وهي تتم من خلال عمليات التفاعل بين الأفراد بعضهم وبعض ، وتفاعلهم مع البيئة التي يعيشون فيها . والأفراد لا تنمو شخصياتهم إلا في محيط ثقافي وعن طريق إكتساب الأفراد للنظم والعادات والتقاليد التي تسود المجتمع الذي يعيشون فيه . وإذا كانت أساليب السلوك المكتسبة هي التي تسود حقيقة ، فإن عمليات الإكتساب هذه تأخذ عادة صورة التطبيع الإجتماعي أو التثقيف الإجتماعي . أي أن إحداث تكامل بين الفرد ونمط الثقافة السائد في مجتمعه . وبعد المحيط الأسري الذي يلعب دوراً هاماً في مراحل الطفولة المبكرة — أحد العوامل الهامة في عملية الانتقال .

وليس ثمة شك أن كل فرد في المجتمع يجب أن يمر بهذه العملية الخاصة بالتطبيع الإجتماعي والتي بدونها لا يمكن أن يصبح الفرد فرداً في الجماعة ، تلك العملية التي عن طريقها ومن خلالها يتعلم الفرد صور السلوك المقبولة اجتماعياً وبالتالي يعمل على تكييف نفسه مع نمط الشخصية التي يعتبر مرغوباً فيه اجتماعياً .

وعملية التطبيع الإجتماعي هي العملية التي بواسطتها ينتقل الفرد من كائن حي بيولوجي إلى كائن حي إجتماعي يعيش في مجتمع يؤثر فيه ويتأثر به . فعملية التطبيع الإجتماعي إذن هي عملية تكوين الشخصية الإنسانية ذات الطابع المعين العام والخاص . وهذه الشخصية الإنسانية تختلف تكوينها واتجاهاتها وقيمتها من ثقافة إلى أخرى حسب مكونات هذه الثقافة وأنماطها .

ولكل مجتمع نموه التاريخي وأنماطه الثقافية العامة ومشكلاته التسمية وحاجاته ومطالبه . كما تختلف المجتمعات بعضها عن بعض حسب مستويات التعقيد أو للبساطة مما ينعكس أثره بالتالى على شخصية الأفراد . ففى المجتمعات البدائية تكون أساليب التنشئة الاجتماعية بسيطة وواضحة ، تقوم على التقليد والتلقين أكثر مما تقوم على التمييز والتفكير والاختيار . أما فى المجتمعات المعقدة ، فإن عملية التنشئة الاجتماعية تكون معقدة كذلك نظراً لتعدد المعايير والقيم والعادات وأساليب الحياة المختلفة . والمهارات الأساسية التى يجب على الفرد تعلمها لتحقيق أهداف المجتمع ومعاييره .

والشخصية الإنسانية حسب هذه النظرة هى تنظيم الفرد لأفكاره وأعماله وإتجاهاته فى العمل فى ضوء المعايير الاجتماعية والإطار الثقافى الذى يعيش فيه . وهذا التنظيم من شأنه أن يجعل شخصية الفرد وحدة فى أساسها . ولكن ليس معنى ذلك أن الفرد منفصل عن بقية أفراد المجتمع الذى يعيش فيه . فهناك مظاهر عديدة من الشخصية الإنسانية تكون مشتركة بين الفرد وبين الآخرين فى المجتمع ؛ بل هناك مظاهر معينة من الشخصية تكون مشتركة لا بين أفراد المجتمع فحسب ، ولكن بين الأفراد الإنسانيين بصفة عامة ، ومع هذا كله تبقى بعد ذلك الحقيقة الإنسانية وهى أن مجموعة الشخصية فى تنظيمها تختلف فى شخص منها فى الأشخاص الآخرين (١) .

ومرونة السكان الحى الفرد تسمح لنا بالقول ، من حيث المبدأ ، أن كل فرد يمكنه أن يسيطر على أية حقيقة ثقافية إذا أتاحت له فرصة فهمها أو المشاركة فى المحيط الاجتماعى الذى توجد فيه . ويمكن أن نشير فى هذا الصدد إلى هذا التحليل الذى قدمته « مرجريت ميد » عن أزمات المراهقة .

(١) المرجع السابق .

إن ستانلى هول وتلاميذه يذهبون إلى القول بأنها تتحدد بيولوجياً عند جميع المراهقين على حد سواء بصرف النظر عن الإطار الثقافى الذى يوجد فيه المراهق . فآزمة المراهقة فى نظر ستانلى هول - طالما أنها تتحدد بيولوجياً - تكون عامة لدى جميع المراهقين . فعدم الثبات والاستقرار الإنفعالى فى المراهقة هو إذن أمر حتى يرجع إلى التغيرات البيولوجية والغددية التى تطرأ على المراهق خلال هذه الفترة بالذات . ولكن دراسات « ميد » على قبائل الساموا وحيث لا قيود تفرض على المجلس على النحو الذى توجد عليه فى الشعوب والثقافات الغربية والمجتمعات المتقدمة ، أوضحت أن مثل هذه الأزمات لاوجود لها ، وأن فترة المراهقة فترة سرور وبهجة بالنسبة للمراهق . وليست فترة شدة وعاصفة على نحو ما ذهب ستانلى هول . ويمكن القول بأن هذه الأزمات وهذه الشدة والعاصفة تتحدد عن طريق الثقافة التى يحيا فيها المراهق وليس عن طريق التكوين البيولوجى له . فالسكان الجبى من المرونة بحيث أن هذه الخبرات الثقافية تجعله يمر بهذه الفترة الخرجة من حياته بهدوء ودون أزمات .

فالشخصية الإنسانية إذن تفهم فى ضوء الإطار الثقافى الذى يعيش فيه وفى ضوء التفاعل المتبادل بين الجزء والكل وإعتماد كل منهما على الآخر . ومن الواضح أن المنظمات التى تقوم على تنشئة الطفل تتحدد فى عمليات التنشئة الاجتماعية بالشكل الدقيق الذى تشكل فيه خبرات الطفولة عادة بطريقة ثابتة . فالطفل يواجه عادة بالعديد من مشكلات التكيف والتوافق مع البيئة فهناك المشكلات التى تتصل بحماية الذات والإبقاء عليها . فكل طفل يجب أن يتغذى وأن يلقي العناية من المحيطين به ، وأن يجنب الخطر والألم . والطريقة التى تشبع بها هذه الحاجات تؤثر فى نظرته للعالم والأشياء الموجودة فيه : هل هى مصدر خطر وقلق أم أنها ليست كذلك . ثم هناك أيضاً مشكلات

المحبة . فكل طفل يحتاج لأن يحب وأن يحب . وهو يتحمل أحياناً بعض ألوان العقاب من أجل أن يحتفظ بمحبة الآخرين له . ثم هناك أيضاً المشكلات التي تنصل بالكفاية ، أو المقدرة كالنجاح في اكتساب عادات حركية مختلفة ثم مشكلة الشعور بتقدير الذات ومشكلات الضبط والتحكم وغيرها .

وكل ثقافة لها معايير للسلوك نتم أن ينشأ الطفل وفقاً لها . ومع ذلك تتحدد المشكلات الكبرى التي تواجه الطفل والطريقة التي يمكنه بواسطتها حل هذه المشكلات ومعايير السلوك هذه ، بأسلوب التنظيم العائلي الذي يمكنه أن يكشف عن أنواع لا حصر لها من التغير .

ولكن خبرات الطفل الانفعالية لا تصدر فحسب عن البناء الأسري . بل هناك أيضاً الاتجاهات التي يكونها نحو من يرتبط بهم ويتقبل أوامرهم ونواهيهم . وقد كشفت الدراسات عن أهمية التقبل والنبذ أو الإهمال وعدم المبالاة والسيطرة والخضوع ، وبشكل ثقافة طارفاً الخاصة في هذا الصدد .

والدراسات التي قامت بها هـ مـ جـ ريت ميد ، و دـ روث بندكت ، وغيرهما من الأنثروبولوجيين ، من شأنها أن تلقى الضوء على هذه الناحية . فالطفل قد يحصل على قدر كبير أو قليل من العطف أو النبذ . ففي قبائل الأرابيش (التي قامت ميد بدراساتها في غينيا الجديدة) ، نجد الآباء يرتبطون بأبنائهم ارتباطاً وثيقاً . ومن ثم ينال الطفل الكثير من المحبة والعطف بعكس جيرانهم في النهر المندجيموز ، لا يعرف الطفل ما تسميه بالمحبة الوالدية ، كما أنه يعاني الكثير من الإهمال بل والعدوان من جانب الآباء .

ثم إن أفكار الكبار عن طبيعة الطفل تحدد الاتجاهات المختلفة في هذا الصدد . فالأرابيش الذين تتركز تربية الطفل عندهم حول تهذيبه تهذيباً جيداً ، يذهبون إلى أن للطفل نفس الحقوق التي للكبار وأنه علي قدم المساواة معهم وأنه إنسان مثلهم .

ومن ثم فإن القيود التي تفرض على الطفل في حركاته ونشاطه قليلة ، فهو لا يخضع إلا فيما ندر للقيود والنظم .

ويذهب كبل يانج في كتابه « علم النفس الإجتماعي » ، إلى ضرورة توافر عناصر معينة في كل ثقافة من أجل أن نفهم تكوين الشخصية وهذه العناصر هي الإنظام ودرجة الجود والثبات في التعلم ومقدار الإحباط الذي يتعرض له الطفل ومقدار الحب ومقدار الجزاء والضييق الخلق وفكرة الذات التي تفرض على الطفل . وليست هذه القائمة بالقائمة الشاملة . فقد درس الباحثون أيضاً في الثقافات المختلفة ، كيف يوضع الطفل في القباط ، وكيف تلبي حاجاته وما هي التأثيرات الجسمية المختلفة التي يعانها ، وهكذا فنوع العالم الذي يتصل به فيم الطفل ليس واحداً تماماً ، كما أن الاختلافات والفروق في هذه الخبرات لها تأثير كبير على نمو شخصيته . ففي الثقافات المختلفة ، توجد اختلافات واضحة في مدة الرضاعة من الثدي وكيفية تقديمه للطفل وعددها مرات الرضاعة وفي بعض الثقافات قد تستمر الرضاعة من الثدي سنوات على حين أن ثمة ثقافات أخرى تميل إلى التقليل أكثر وأكثر من فترة الرضاعة من الثدي . وبالمثل ، ففي بعض المجتمعات لا يرضع الأم طفلها إلا إذا بكى ، على حين أن في مجتمعات أخرى كالمجتمعات الفرنسية مثلاً تفرض الأم مواقيت محددة دقيقة على غذاء الطفل إيماناً منها بفائدتها لصحة الطفل .

ولسنا في حاجة إلى القول بأن جميع هذه الأساليب المختلفة من المعاملة تؤدي إلى أنواع من الإحباطات أكثر أو أقل شدة ، وإلى تضمنات للذات بدرجة أكثر أو أقل جوداً ، وإلى أساليب متعددة من إدراك العالم والبيئة المحيطة ، وبعبارة أبسط تؤدي إلى أنماط مختلفة من الشخصية . ولقد أوضحت في مذكرتي بعيدة أثر اختلاف أساليب التربية واختلاف الثقافات في شخصيات الجماعات التي قامت بدراستها ، فبينما أطفال الأيرلنديين يتميزون بالثقة

والطمأنينة ، إذ بأطفال قبائل المندجيمور يتميزون بالقلق وعدم الطمأنينة وذلك بسبب أن خبرات الطقولة كونت لدى المجموعة الأولى ميلا إلى النظر إلى البيئة نظرة ثقة وطمأنينة ، بينما كونت لدى المجموعة الثانية ميلا مستمرا نحو الدفاع عن الذات ضد كل تهديد خارجي يهددهم . ومثل هذه السمات المميزة قد تستمر مع الكبر ، فاتجاهات الأمن والطمأنينة تميل إلى الإستمرار حتى لو واجه الفرد أحيانا تؤدي إلى إحباطات شديدة قاسية ، كما تميل اتجاهات عدم الثقة إلى الإستمرار حتى لو واجه الفرد مواقف يشعر فيها بالإرتياح والأمن والطمأنينة .

الشخصية الأساسية :

وإذا وجدت معايير ثقافية متباعدة داخل ثقافة معينة تتصل بأساليب تنشئة الطفل ، فإن من الممكن القول بأنها سوف تخلق أساليب مشتركة للإستجابة ، يمكن أن تعد مسئولة بدورها عن هذا القدر المشترك من السمات الأساسية في الكبر ، بين أفراد المجتمع الواحد أو أفراد الثقافة الواحدة . فالضغوط المتتصلة التي يتعرض لها الأفراد في نمط ثقافي معين ، تؤثر بالضرورة في نمو شخصية الأفراد وتؤدي إلى ظهور سمات معينة مشتركة بين كثير من هؤلاء الأفراد داخل هذه الثقافة . وعندما يصل الطفل إلى مرحلة المراهقة والرجولة ، يمكن أن تصبح له شخصية تعكس ما أسماء البورت باسمه الشخصية القومية . وقد أشار كاردنير^(١) إلى جوهر الشخصية الأساسية عندما أراد أن يعبر عن الفكرة القائلة بوحدة ضرورية في جوانب الشخصية التي تتكون تحت ظروف ثقافية مشتركة .

وقد حدد كاردنير نمط الشخصية الأساسية بقوله : إنها الصبغة العامة

(1) Kardiner, A. : The Individual and his Society, New York, Columbia Univ. Press. 1939.

للشخصية التي يشارك فيها المجموع العام من أفراد المجتمع نتيجة الخبرات الأولى التي مروا بها جميعاً ، وتضمن هذه الفسوة النواحي الآتية :

- ١ - أن الثقافة تحدد ما يلغنه الآباء للأبناء وطريقة تلقينهم إياهم .
- ٢ - أن الثقافات المختلفة لها أساليبها المختلفة في تنشئة الطفل وتربيته والمدرّوس المختلفة التي يتلقونها الأطفال .
- ٣ - إن خبرات الطفل المبكرة ترك آثاراً مستمرة في نمو شخصيته .
- ٤ - إن الخبرات المتشابهة تميل إلى إنتاج شخصيات متشابهة داخل الثقافة الواحدة .

ويذهب جورودون البورت (١) إلى القول بأن هذه الفسوة تتضمن دورة مستمرة متصلة من جيل إلى جيل ودون إنقطاع . فالثقافة تحدد الأهداف والأساليب التي تتبع بوجه عام في تربية الطفل وتنشئته وهذه تؤدي بدورها - وداخل الإطار الثقافي ذاته - إلى تكوين نمط الشخصية الأساسية . ويعمل الكبار بدورهم على تدعيم وإستمرار ونقل هذا التقليد الثقافي الذي يجدونه عادياً ومتوارثاً بوجه عام .

وحسب هذه الفسوة التي قال بها كاردنير ، فإن الشخصية الأساسية Basic Personality تحدد بواسطة الجماعات الأولية - كالأسرة وعاداتها في التربية وتقاليدها ونظمها الأساسية - كما تحدد بالجماعات الثانوية - كالمدرسة والمنظمات الإجتماعية الأخرى - ، الدين وأعراف والقيم والمثل ، بشكل تصبح معه بمثابة همزة الوصل في التفاعل المتبادل بين الفرد والجماعة . غير أن هذه الفسوة التي وضعها كاردنير عن الشخصية الأساسية تثير

(١) Allport, G. : Pattern and Growth in Personality. New York, Holt, 1961.

بعض الفموض. فقد ذهب « جان بالاندييه » Jean Balandier إلى ، أن الشخصية الأساسية ليست هي المقام المشترك بين جميع الأفراد في جماعة معينة ، . أنها أقرب إلى أن تكون نتيجة استدلال واستنتاج فهو يتساءل : هل نفهم هذه الشخصية باعتبار أن لكل فرد شخصية أساسية إلى جانب شخصيته الذاتية الفردية على نحو ما يقول كاردنير ، أم نفهمها باعتبارها نوعاً من العقل الجمعي عند درركيم من حيث هو حقيقة إجتماعية مستقلة عن الفرد . لقد اعتقد ميكائيل دوفرين Mikel Dufrenne أن في إمكانه حل هذا الفموض والذي ظهر في قول كاردنير ، وذلك بقوله أن الشخصية الأساسية هي « معيار » أو هي نوع من المثال أو النموذج الضروري ولكنها بهذا المعنى لن يكون لها محتوى حقيقي محسوس . ويذهب فيللو (١) في حديثه عن الشخصية الأساسية إلى أن في إمكاننا الإبقاء على هذه الشخصية الأساسية إذا نظرنا إليها ببساطة على أنها مجموع السمات المشتركة بين الأعضاء الآخرين في الجماعة والتي توجد بين السمات الأخرى الأثر اصالة وفردية .

وقد علق البورت على فكرة الشخصية الأساسية بأنها فكرة سليمة تساعدنا على فهم أسباب التشابه الموجود بين الشخصيات المختلفة داخل الثقافة الواحدة ، وكذلك على فهم أسباب الاختلاف بينهم . ولكن هذه الصورة العامة تعتبر في نظره واسعة وتقريبية فحسب لا تفسر لنا الاختلاف الموجود داخل طبقة رجال الأعمال مثلاً أو طبقة الزراع في المجتمع الواحد .

ولقد أوضح البورت فكرته هذه بمثال لطفل فرنسي مثلاً . فإذا عرفنا أنه نشأ من طبقة متوسطة في أسرة باريسية ، فن الممكن التنبؤ (على وجه التقريب) ، أنه سوف يتلقى نمطاً معيناً من التدريب على النظافة والنظام

(١) Pille J.C.: La Personnalité. , Presses Univeriatares de Francs. 1959.

والتقاليد والقيم الاجتماعية وفي ضبط العدوان ونمو النواحي المزاجية والمعادن الاقتصادية والظرة العامة للأمور . وعندما يكبر هذا الطفل ، فإن من الممكن النظر إليه كنموذج فرنسي لجميع سمات الشخصية القومية الفرنسية .

ولكن المشكلة هنا هي أننا نخلط بين الثقافة الحقيقية والبناء الثقافي فنحن نسي أن تربية هذا الطفل لا تنفق تماماً ونموذج البناء الثقافي ، وأن النتائج أو التكوين النهائي لشخصيته سوف يتأثر بحالاته المزاجية الموروثة وخبراته المكتسبة في البيئة . ومن ثم فقد ينهى به الأمر إلى تكوين يختلف إلى حد ما عن البناء الثقافي النمطي للبيئة الفرنسية . ففكرة الشخصية الأساسية الجمعية فكرة قد تؤدي إلى الخطأ ما لم ندخل في الاعتبار الاختلافات والتباينات الموجودة دائماً في الثقافة الحقيقية المرنة وفي أساليب تربية الطفل .

إن الأبحاث والنظريات التي تتصل بالشخصية الأساسية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنظرية فرويد . فطالما أن المعالم الرئيسية للشخصية توضع أسسها في السنوات الأولى من حياة الطفل ، فإن في التدريب الأساسي الأولى الذي يلقاه الطفل في هذه المرحلة يكمن التكوين الهام للشخصية الأساسية . والواقع أن ما يتلقاه الطفل في هذه المرحلة أن هو إلا مجموعة من العادات والقواعد التي تتصل بالوظائف والحاجات الجسمية والتي تنعكس آثارها على شخصيته : كيف ينام ، وأين ينام ، وكيف تتم عملية الرضاعة ، وهل يرضع في مواضع محددة أم حسب حاجته إلى الرضاعة ، ومتى يقطع وكيف يقطع ، وهل يوقع به العقاب وكيف يعاقب ، وماذا يحدث إذا اشتدت سموات غضبه أو إذا بلل نفسه أو إذا تبرز على نفسه ، وكيف تسير عادات التدريب على الإخراج إلى آخر هذه الأمور . والإجابة عن هذه الأمور التفصيلية يبحث عنها هؤلاء الذين يذهبون إلى أن الشخصية الأساسية يتم وضعها في هذه السنوات الأولى من حياة الطفل .

والحقيقة أن فكرة الشخصية الأساسية - والتي تؤدي بدورها إلى فكرة الشخصية القومية - لها قيمتها وأهميتها سواء أخذنا بنظرية التحليل النفسي أم لم نأخذ بها . فأي نوع من التدريب الملتصق الموحد خلال هذه المراحل الأولى من الحياة ، من شأنه أن يؤدي إلى قدر من التشابه في نمط شخصيات الأفراد .

* وخلاصة القول : أن الثقافة تشكل الشخصية أساساً ، لأنها تقدم حلولاً جاهزة ومدروسة من قبل لكثير من المشكلات التي يواجهها الفرد في الحياة في هذه الثقافة . ولا يمكننا أن نتظر من الطفل أن يخترع لغة مثلاً أو يكون أخلاقاً أو حتى هلياً جديداً كل الجدة ، بل لابد أن يعتمد على خبرات المجلس البشري الذي يلتمى إليه . فالثقافة تمد الفرد بالحلول السابقة المختزنة للعضى والتي فيها نجد الحلول لكثير من المشكلات التي يمكن أن تواجهها .

والعناصر المكونة لثقافة ما يجب أن تكون منسقة منطقياً أو متطابقة في المعنى إلى حد ما ، وإلا فإن حملة الثقافة يحسون أنهم مدفوعين أو منساقين على غير هدى وفي عالم خواء . وكذلك بالنسبة للشخصية ، يجب أن يكون السلوك منتظماً بدرجة معقولة أو يمكن التنبؤ به ، وإلا فإن الفرد سوف لا يحصل على الإستجابات المتوقعة من الآخرين . وبعبارة أخرى ، أن الحياة الإجتماعية أو المعبشة في عالم إجتماعي تتطلب إقامة معايير داخل الفرد ، ويكون متفقاً عليها بشكل عام بين الأفراد الذين يحبون معاً ويعملون معاً في جماعة واحدة .

ولكن الثقافة ليست التأثير الوحيد الذي يفرض بشيء من الثبات تقريباً على جميع أفراد جماعة ما منظمة وثابته نسبياً . فهناك عوامل أخرى قد يكون لها تأثيرها ، ولكن معرفتنا بها ليست واضحة ومحدودة من ذلك ، مثلاً

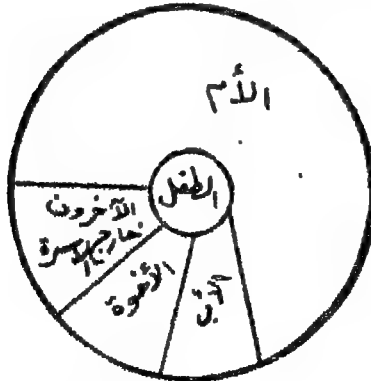
الآثار التي تفرضها الضغوط المستمرة للبيئة الطبيعية على الشخصية . هل المعيشة مثلاً في بيئة ممطرة باستمرار ، تجعل الناس أميل إلى الاكتئاب والسلبية بينما المعيشة في بيئة معتدلة مشمسة تجعلهم أميل إلى الإبتهاج والحياة ، وما هي التأثيرات المختلفة للمعيشة في دار في بطن جبل والمعيشة في سهل منبسطة أو على هضبة .

الأسرة كبيئة تعليمية :

ومن الأمور الأساسية في دراسة الشخصية معرفة الشيء الكثير عن الأسرة التي نشأ فيها الفرد ، التي تعكس عليه ثقافة المجتمع الذي نشأ فيه ، وذلك قبل أن نفسر تفسيراً صحيحاً لماذا كشف هذا الفرد عن هذه الخصائص أو هذه السمات المميزة له . فأسرة الفرد تلعب دوراً هاماً وجرمياً في تشكيل شخصيته فهي التي تنمي وتجدد في العادة الوسائل العديدة لخبراته وهي التي من خلالها تم عملية التطبيع الإجتماعي التي تلعب دوراً كبيراً في تشكيل شخصية الفرد . وعالم الطفل يكون في بداية الأمر قاصراً على هذه التأثيرات الهامة الصادرة أساساً من داخل الأسرة . فهي التي تشكل بالتدرج شخصيته من خلال العديد من الخبرات التي يتلقونها من هذه البيئة الصغيرة ، ولكن الطفل بدوره - ونتيجة للتفاعل المتبادل بينه وبين الأسرة - يبدأ يحدث أثره في الأسرة ويعدل من نمط العلاقات القائمة داخلها .

ولست علاقات الطفل واحدة بجميع أفراد الأسرة فتأثير الأم لا يعادله تأثير آخر خصه ما خلال الفترة الأولى من حياة الطفل ، ثم يبدأ يظهر تأثير الأب والاختوة . ثم هناك أيضاً الآخرون خارج نطاق الأسرة . والفكر التالي يمثل علاقة الطفل بأفراد أسرته وبالأخريين في المجتمع الخارجي خلال

السنوات الاولى من حياته ، وفيه يتضح أختلاف التأثير الواقع على الطفل ومدى الدور الذي يقوم به كل فرد في حياته .
والجدير بالذكر أننا لو رسمنا تخطيطات متعددة لأطفال عديدين ، فإن الأمر يتطلب منا تعديل هذا الشكل بالنسبة لكل طفل . فكل طفل يختلف نمط علاقاته مع الآخرين ، عن الطفل الآخر .



وليس ثمة نمط محدد من حيث علاقة الطفل بالوالد أو الوالدة أو الأخوة كما أن الخبرات الأساسية للطفل الأول تختلف بالضرورة عن الخبرات الأساسية للطفل الأخير ، أو الطفل الوحيد . وحتى بالنسبة للطفل الواحد ، يختلف نمط علاقاته بالآخرين باختلاف السن وغيره من العوامل . فمع تقدم السن بالطفل ، يصبح تأثير جماعات الرفاق خارج الأسرة أكثر أهمية وبشكل متزايد ، وقد يفوق تأثير الآباء أحياناً . فالأهمية النسبية لكل من الأب والأم والآخرين تختلف باختلاف مرحلة النمو وباختلاف الجنس .

وقد كبر من معرفتنا عن نمو شخصية الفرد يرجع إلى فرويد . فمن خلال أساليب التحليل النفسي ، والتي تتضمن التداعي الحر وتحليل الحلم وميكانيك التحويل المختلفة ، غيرها من الأساليب ، تمكن فرويد من شرح خود لا شعور شخصيات مرضاه ، وأن يمد بناء تاريخها العائلي . ولقد أوضح الخبرات الإكلينيكية العديدة ومعالجة العصبيين ، أن ما يعانونه من مشكلات

نفسية وآلام ، إنما يصدر عن صراع الكبت وإخفاء اشتهايات اللذة الطفلية المتصلة بالوظائف الجسمية الأساسية . وبالطبع ليس لدى العصبي أية معرفة بطبيعة هذا الصراع ، وإنما هو يلاحظ آثاره السطحية كالأعراض المرضية وهيزها من المتاعب التي يعانى منها . ومع ذلك ، فما أن نكشف عن هذه الإشتهاءات والرغبات ، إلا ونجدها وثيقة الارتباط بالنواحي الجنسية . فهمي قد دفعت بعيداً عن الشعور ، لأنها غير مقبولة من المعايير الاجتماعية والشخصية الشعورية . ولذا فإنها تكبت في أعماق اللاشعور . وهذه الأعراض تبدو موجودة لدى العصبيين ، لأن دوافعهم الطفلية قد وجهت توجيهها غير سليم في طفولتهم المبكرة . فبسبب التدليل الزائد عن الحد أو القسوة الزائدة عن الحد أو الإحباطات المتكررة والتي تتدخل وتتعارض مع العمليات الطبيعية للنضج والإعلاء ، فإن هذه الدوافع غير المقبولة تصبح قوية وتظهر في أعراض مرضية على نحو ما يذهب فرويد .

وليس ثمة شك أن خبرات الطفولة يكون لها تأثير واضح على شخصية الفرد بعد ذلك ، بل إنه قد يكون من الصعب أحياناً على الخبرات التالية أن تحدث فيها تعديلاً جوهرياً في بعض الأحيان . فالطفل الذي يبدأ ينظر لنفسه على أنه خير مرغوب فيه أو منبوذ من أفراد الأسرة ، قد يجد من الصعوبة بمكان تغيير نظره لنفسه بعد ذلك ، حتى ولو مر بخبرات عديدة مغايرة في السكبر . فالخبرة المبكرة تكون ذات تأثير بارز أحياناً في نمو شخصية الفرد ، كما أن حدود ومحتوى هذه الخبرات يتحدد إلى درجة كبيرة عن طريق الأسرة . لقد قامت « مارجريت ريبيل (١) » بملاحظات إكلينيكية على عدد كبير

(1) Ribble M. : Infantile Experiences in Relation to Personality Development. in Hunt J. Mc. V. : Personality and Behavior Disorders. vol. I. New York, The Ronald Press Company, 1944. p.p. 621-651.

من الأطفال (٥٠٠ طفل) لمدة طويلة من الزمن . وكان الهدف الاساسى من هذه الدراسة هو ملاحظة استجابات الطفل التى قد ترتبط باضطرابات الشخصية فيما بعد . وقد ركزت اساساً على النزعات النكوصية أو الإنسحاب والنزعة إلى السلبية والاستجابات الزائدة للإحباط وإلى التغيير فى حياته الروتينية . وكانت تحاول معرفة ما إذا كانت هذه الاستجابات موجودة بدرجة مرضية عند الولادة أم أنها نمت وتطورت نتيجة الخبرات غير الملائمة بعد ذلك كما درست أيضاً كيف تتسكون العلاقة الأولية بين الطفل وأمه وأهمية هذه العلاقة بالنسبة لنمو حياته الوجدانية والاجتماعية بعد ذلك .

وكان منهجها هو ملاحظة التتابعات فى نمو علاقة الطفل بالأم خلال فترات طويلة من الزمن ، بدلاً من دراسة الاستجابات المباشرة لأى موقف مصطنع وغير طبيعى . وقد أجريت الدراسة على أطفال ولدوا فى مستشفيات ثلاثة للولادة تختلف فيها أساليب الرعاية للطفل ، كما درست أيضاً أطفالاً ولدوا فى بيوتهم . كما قامت أيضاً بدراسة شخصيات مجموعة صغيرة متعاقبة من الآباء ، قبل وبعد ولادة الطفل ، لمحاولة إلقاء الضوء على البيئة الوجدانية التى قد تؤثر على الطفل ، كما درست أيضاً بعض الأمهات المتعاونات . فبحثت طفولتهن والإشباع الوجدانى فى الزواج ومدى ترحيبهن لتقبل دورهن الأنثوى على نحو ما يتحدد فى أنشطة حياتهن اليومية . كما درست نفس هذه النواحي عند الآباء . وبالإضافة إلى ذلك ، درست ودليل ، أيضاً العلاقة غير المباشرة للآباء بالطفل عن طريق الدعم الوجدانى الذى كان يعطيه للأم أثناء فترة الحمل والشهور الأولى من حياة الطفل .

وقد أعطت اهتماماً كبيراً لحالات القلق عند الطفل ، كما لاحظت علامات الأمن وعدم الأمن والحصول على اللذة إلى آخر هذه العوامل المختلفة

ذات التأثير البالغ في نمو الطفل من خلال علاقته بالأم والمحيط الذي يعيش فيه .

وقد كشفت هذه الدراسة أن كثيراً من صفات شخصية الطفل وثنائتها يتوقف على الارتباط الوجداني بالأم . فهذه الرابطة هي بمثابة الشحنة الوجدانية التي تنمو بالتدريب من خلال الإشباع المتكررة التي يستمدّها من الأم . وقد درست طبيعة هذه العلاقة النامية ، وأشارت إلى وجود أنماط ثلاثة من الخبرة الحسية ذات التأثير في تكوين هذه العلاقة وهي الخبرة اللمسية والخبرة الحركية . الإحساس بوضع الجسم والصوت . وقد أكد الباحثون أهمية هذه الخبرات الحسية المختلفة وإن لم يوضحوا أهميتها الخاصة في تكوين العلاقة الشخصية بين الطفل والأم . فالإحساس باللمس قد يكون واجتساحاً نسبياً حول الرأس والوجه . ولكنه يحدث الإستجابة السريعة عند الطفل الصغير إذا استثيرت المنطقة القمية . كما يجد الطفل الأشباع الحركي حين ترتفع الأم أو تهزه بين يديها ويكون الإحساس بوضع الجسم ظاهراً وواضحاً أيضاً ، وقد ذهب البعض إلى أن الخوف من السقوط يمكن التغلب عليه بشكل طبيعي بواسطة إحساس الطفل بالراحة في الموضع ، ويرتبط بهذه الناحية الأخيرة أيضاً سماع الطفل لصوت الأم . فهو عند سماعه صوتها تهدأ ثورته الإنفعالية ويخفّ البكاء .

ونادراً ما يصرح - حتى لدى خبراء نمو الطفل - أن مثل هذه الأنشطة الأولى البسيطة للأم تعتبر عاملاً حيوياً هاماً في إحداث تكامل الشخصية بعد ذلك . ولقد وجدت ريبيل أن الأمهات المضطربات إنفعالياً واللاتي يرفضن الطفل - شعورياً أو لا شعورياً - غير قادرات على القيام بدور الأمومة . ومن الملاحظ أن صغار الأطفال الذين لا يجدون رعاية مناسبة أو الذين يفقدون

لجأة هذه الرعاية ، إما أن يصبحوا سلبيين أو تبدو عليهم أعراض الاكتئاب . وقد تظهر هذه السلبية حتى عند صغار الأطفال في صورة رفض الرضاعة أو فقد الشبهة للطعام أو العجز عن تمثيل الطعام . كما تتضح أيضاً في كثير من ألوان النشاط الأخرى كرفض اللعب أو رفض مشاركة الأطفال الآخرين نشاطهم . أما صورة الإكتئاب فقد يكون لها تضمينات أشد وقعا من السلبية . ففي موقف الرضاعة مثلا قد يستجيب الطفل للموقف بحركات قليلة ثم سرعان ما ينطد في سبات عميق لا يستيقظ منه إلا الرضعة التالية ، بل قد تلجأ الأم إلى إيقاظه قسراً .

كل هذا يشير إلى أثر الأسرة في نمو شخصية الطفل وبخاصة أثر الأم في السنوات الأولى من حياة الطفل ، وهذا الأثر لا يمكن إخفاؤه بل إن آثاره تتضح بعد ذلك في سلوك الكبار .

وفي دراسة قام بها ستوت Stott (أنظر ثورب ص ١٤٨) حول العلاقة بين توافق الشخصية والموقف الأسري لأطفال يديئات مختلفة ، وجد ميلاً ملحوظاً إلى أن الأطفال الذين هم من بيوت يرحب فيها الآباء بأصدقائهم ويقضون معهم أوقاتاً طيبة ويشاركونهم أفراحهم ومتاعبهم أن يكونوا أكثر توافقاً من الناحية الشخصية وأكثر نجاحاً من الناحية الاجتماعية .

ويصف الأفراد الذين من هذا النوع بأن لديهم كفاية ومقدرة شخصية وإحساساً بالمسئولية الشخصية في علاقاتهم بزملائهم ويقول ستوت إن الوظيفة الهامة في حياة الأسرة الحديثة هي وظيفة نفسها من حيث طبيعتها : الحياة

الآلية تواجه المطالب الإنسانية الأساسية بصورة مباشرة أكثر مما يمكن أن يحدث في أي مجال آخر في الحياة . وفي حياة الأسرة يتوفر الإطمئنان والامتثارة والتوجيه الذي يحدد إلى درجة كبيرة ما إذا كان الطفل سوف ينمو شخصية حسنة التوافق ومفيدة من الناحية الاجتماعية .

ووجهة النظر هذه يؤكدها سول Soul (المرجع السابق) الذي يعتقد أن كل فرد هو تجمع وجداني فريد حول نواة هي لب الشخصية ، يصدر عن التأثيرات الدينامية والخبرات التي تمر به في طفولته . وهذا التجمع الوجداني الفريد يشكل نمو الشخصية ويكون بمثابة مفتاح لفهم مشكلاته الوجدانية . والامر يتطلب في نظره بيتاً مستقراً وأماً حنونة عاقلة من أجل إخراج شخصية متزنة متوافقة .

الآلية وحاجات الطفل:

نحن نرى في الآلية يشبع الطفل حاجاته النفسية إذا أريد له أن ينمو نمواً نفسياً سليماً . فكمما تظهر التغذية والظروف الصحية الملائمة أمراً ضرورياً لنمو جسم سليم ، فكذلك تعتبر الخبرات النفسية المناسبة أمراً ضرورياً كذلك لنمو شخصية سوية متكيفة . فالطفل يواجه في المنزل أولاً ، المواقف التي تؤدي إلى ظهور التوتر ، كما أنه يتعلم فيه أيضاً كيفية مواجهة هذه المواقف وكيف يفعل على خفض حدة التوتر .

والرعاية المعقولة التي ليس فيها إفراط أو تفريط ، يكون لها أثر واضح في تنمية شخصية الطفل بصورة متوافقة . أما الطفل الذي يلقي المزيد من التدليل أو الذي يلقي المزيد من الإهمال والتنبذ ، فإنه يكون أكثر تعرضاً للمشاعر القلقة ويهدم الطمأنينة .

وطالما أن الطفل يحتاج إلى قدر معقول من الرعاية النفسية والبدنية من الوالدين ، فإن المنزل يعتبر في هذه الحالة أحد المحددات الهامة في نمو شخصية الطفل . فالأسرة تكون في مركز رئيسي يدعم أو يهدد مشاعر الطفل بالطمأنينة . فإذا كانت ظروف البيت من النوع الذي يدعم توافق شخصية الطفل بدرجة مناسبة ، فإن الطفل يسير في سبيل النمو الصحيح . أما إذا عجز المنزل عن أن يقدم للطفل الاستجابات الانفعالية المناسبة والشعور بالأمن ، فسوف ينمي عنده ميكانزمات دفاعية معينة يكون الهدف منها أحياناً التغلب على مشاعر عدم الأمن . وكما يقول « بروور ، Brower إن الطفل الذي لم يتعلم الحب في المنزل ، يستحيل عليه أن يصدق الآخرين أو أن يثق فيهم ثقة تامة . فهو قد أودى وتعرض للألم ، ولا يريد أن تتكرر معه مثل هذه الخبرات المؤلمة . فمن لدغ مرة يخاف العقارب بعد ذلك .

أسلوب المعاملة ونمط الشخصية :

أشار علماء النفس إلى أسلوب معاملة البيت والنمط المقابل له في شخصية الطفل وسلوكه . فالتبذ كنمط من أساليب المعاملة الوالدية من شأنه أن يخلق شخصية عدوانية سيئة التوافق لديها مشاعر عدم الطمأنينة ، شخصية خائفة وسادية . أما الرعاية الزائدة عن الحد ، فإنها تخلق شخصية أسلوبها طفلي ، وانطوائيه ، ليست لديها القدرة على تحمل المسؤولية ، تعاني من صعوبات التوافق . والآباء المسيطرون قد يؤدي سلوكهم إلى طبع شخصيات أبنائهم بطابع الخنوع فيكون من النوع الاتسكالي ، الخجول المؤدب . أما الآباء المتقبلون لأبنائهم فقد يطبعون شخصياتهم بطابع المتقبل للناس إجتماعياً ، المتوافق ، الوائق في المستقبل .

وليس أول على أثر سلوك الوالدين في شخصية الأبناء ، ما نراه في أحيان كثيرة

من أن الأبناء غير المتوافقين نفسياً يأتون من بيوت منهارة و بيوت كنان فيها الصراع أو الإحتكاك مستمراً بين الأبوين ، أكثر مما يأتون من بيوت كانت فيها العلاقات طيبة بين الآباء . وعندما يكون جو المنزل من النوع الذى يكثُر فيه النزاع والشقاق ، فإن الطفل غالباً ما يوزع ولاءه بين الأب والام . وفى معظم الأحيان ، لا يكون ثمة تعاون بين الآباء فيما يتصل بالأمور الحيوية التى يجب تدريب الطفل عليها وقد يتعلم الطفل إستغلال أحد الوالدين ضد الآخر أو قد يهملهما معا . وفى أغلب الأحيان ، يكون الابوان فى حالة من التوتر الإنفعالى مما يجعل تصرفانها تقسم بالعونة والحق ويجعل أسلوب كلامهما مع الطفل فيه جفاء وخشونة كما تكون طريقة حديثهما مع الطفل مقتضية ، ومثل هذا السلوك من جانب الأبوين من شأنه أن يخلق التوتر الإنفعالى فى الطامل ، ومن ثم يعوق إحساسه بالأمن الذى هو حاجة اساسية لتكامل شخصية الفرد .

والسؤال الآن إلى أى مدى تظل آثار خبرات الطفولة المبكرة قائمة فى الفرد ؟ لم يجمع علماء النفس بعد المساعدة الكافية التى تسمح بالإجابة الشافية على مثل هذه الأسئلة . ولكن هناك بعض الأفكار التى تقوم على الحدس . إن قدراً كبيراً من سلوك الإنسان يمكن أن يستدل عليه من المؤثرات الخارجية والظروف التى يعيش فيها . فإذا ظلت هذه المؤثرات والظروف قائمة وثابتة نسبياً لفترة طويلة ، فإن الاحتمال كبير أن يظل سلوك الفرد ثابتاً نسبياً . كذلك فالشخص الذى ولد وترقى فى نفس البيت ومع نفس الأصدقاء وفى نفس المدينة وفى بيئة مستقرة نسبياً ، من المحتمل أن يكشف عن تغيرات أقل فى شخصيته من ذاك الآخر الذى أنتقل كثيراً من مكان لآخر ودفعته الظروف إلى التوافق مع بيئات كثيرة متعددة فالبيئة المستقرة نسبياً من شأنها أن تخلق نوعاً مستقراً نسبياً من الشخصية

وبالمثل يعتبر سن الفرد وقت حدوث التغير في البيئة عاملاً هاماً ، فالاستجابات المتعلقة لفترة طويلة من الزمن تكون أكثر مقاومة للإنطفاء والتغير ، من أنماط السلوك التي مارسها الفرد مرات قليلة نسبياً . وشخصية الرجل ذى الخمسين ربيعاً أقل قابلية للتغير وأكثر مقاومة له عن شخصية المراهق في الخامسة عشرة من عمره . وليس معنى ذلك أن رجل الخمسين لا يتغير بالطبع أو لا يمكنه أن يغير سلوكه . إنه يغيره ، ولكن التغيرات التي تحدث لا تكون في الأغلب الاستجابات الأساسية المناصلة والتي أصبحت مميزة لشخصيته .

والطفولة المبكرة والمتأخرة هامة بلا شك بالنسبة لنمو الفرد بعد ذلك ، على الأقل لأنها تكون في أوائل الحياة . ففي الطفولة يتعلم الطفل أن يتوافق مع بيئته وأن يتفاعل مع الناس . وهذا التعلم يمكن أن يكون ثابتاً ومستقراً إذا كانت البيئة متماسكة ومنسقة ، وإذا كان الثواب والعقاب يقدمان بنفس الطريقة الثابتة المنسقة الصحيحة . وجانب كبير من تعلمنا المبكر يكون أيضاً أنماطاً . فبالإضافة إلى المهارات الحركية المتعددة . تكتسب أيضاً استجابات وجدانية عريضة ، نحب ونكره ونكوّن اتجاهات نحو الأشياء والأشخاص الذين نتعامل معهم وتكون هذه الاستجابات الوجدانية المتعلقة من النوع الذي يقاوم الإنطفاء إلى حد بعيد .

التطبيع الإجتماعي وأثره في شخصية الطفل :

والتطبيع الإجتماعي للطفل يعتبر إحدى الوظائف الأساسية للأسرة . فهي المسؤولة الأولى عن تعليم الطفل كيف يسلك ، بحيث يمكنه أن يتكيف مع الثقافة التي يعيش فيها والذي تعد الأسرة جزءاً منها . ولتحقيق هذا الهدف فإن على الأسرة أن تعلم الطفل متى وكيف يكبت دوافعه الفطرية ، ومتى وكيف يعبر عنها . لجميع الأطفال مثلاً يبدون سلوك الخوف ، ولكن

الأسرة تبدأ منذ وقت مبكر تعلم صغارها كيف يتصرفون هذه الاستجابة أو كيف يبدونها بشكل مقبول إجتماعيا . والأمور بالمثل بالنسبة للعدوان وحب الاستطلاع . ويمكن القول بأن الأسرة هي العامل المسئول عن تنسية نواحي التحكم أو ضبط الحكماء في كل طفل . فمن طريق تعلم الطفل تناول الطعام والإخراج والتعبير عن العدوان والحب وغيرها من الأشياء داخل الحدود التي تفرصتها الثقافة ، أن يصل الطفل إلى الحد الذي يمكنه عنده الدخول في الإطار الثقافي للمجتمع الكبير الذي يعيش فيه .

وليس ثمة شك في اختلاف الأسر بعضها عن بعض داخل المجتمع الواحد ، كما أن ليس ثمة شك أيضا في اختلاف المجتمعات واختلاف الثقافات . وهذه حقائق أوضحها علماء الأنثروبولوجيا ، كما أوضحها علماء النفس كذلك . ورغم أن تكوين الأسرة ليس واحداً في كل مكان ، إلا أن أسرة الفرد هي في العادة التي تحدد نمو شخصيته وترسي أساسها .

ولقد قام الأنثروبولوجي « جون هوبكنج » والسيكولوجي « إرفين تشيلد » بمقارنة تقارير جمعت عن تربية الطفل في المجتمعات البدائية ، بالمادة التي جمعها من الأسر من الطبقة الوسطى في الولايات المتحدة خلال عام ١٩٤٠ . وكان اهتمامها يصب على دراسة كيف أن تدريب الطفل وتربيته في كل من هذه الثقافات ترتبط بخصائص شخصية الكبار . وقد أعطى الباحثان اهتماما خاصا للتدريب على التغذية وضبط عملية التبول والسلوك الجسدي وضبط العدوان ونمو الاستقلال والاعتماد على النفس فلاحظا مثلاً فيما يتعلق بالتغذية ، أن الأمهات في كل المجتمعات البدائية تقريبا أكثر تسامحا في اتباع الطفل من الأمهات الأمريكيات ، باستثناء نساء جزر المراكز الثلاث يعتقدون أن الرضاعة تقلل من جاذبيته . كما لاحظا أيضا أن معظم المجتمعات البدائية

تستمر فيها الرضاعة حتى العام الثانى أو الثالث بينما يتم الفطام فى المجتمع الأمريكى خلال العام الاول .

وكذلك بالنسبة للتدريب على التبول . فبعض القبائل البدائية تبدأ التدريب فى سن مبكرة جداً بحيث تتوقع من الطفل ضبط المثانة خلال النصف الثانى من السنة الأولى وإلا أوقعت به العقاب الشديد على نحو ما تجد عند قبائل التانالا ، فى مدغشقر . والأمير بالمثل بالنسبة للسلوك الجلسى . فالطفل فى كل مكان شغوف باستطلاع جسمه وتكشف المواضع التى تجلب اللذة . وبعض المجتمعات تتسامح فى مثل هذا السلوك ، بينما بعضها الآخر يقرض على الطفل الكثير من الضبط . وكذلك بالنسبة للعب مع الجنس الآخر . فبعض القبائل البدائية تفضل فصلاً تاماً بين البنين والبنات فى اللعب حتى فى مراحل الطفولة وكذلك بالنسبة للعدوان ، فلا يوجد مجتمع واحد خال من السلوك العدوانى . ومع ذلك تختلف المجتمعات فيما بينها إختلافاً ملحوظاً فى مقدار ونوع العدوان الذى تسمح به للطفل .

وبالمثل بالنسبة للإعتماد على النفس والإستقلال ، فالأطفال فى أى مجتمع يجب أن يتعلموا بالطبع ، أن يصبحوا أكثر استقلالاً واعتماداً على أنفسهم مع تقدم السن وقد يكون هناك علاقة مباشرة بين تعقد المجتمع وطول فترة الإعتماد على الأسرة . ففى المجتمعات الحديثة ، حيث الثقافة أكثر تعقيداً وحيث إعداد الفرد لدوره فى الحياة يتطلب فترة طويلة من الزمن ، نجد أن الطفل فى المدنية الحديثة أكثر اعتماداً على الأسرة وفترة أطول من الطفل فى المجتمعات البدائية .

وبعض المجتمعات التى تدلل الطفل وتسمح له بالسلوك الانسكالى خلال سنوات طفولته الأولى ، تغير من اتجاهها نحوه . — ولجأة أحياناً — عندما يكبر ويصبح قادراً على الإستقلال والإعتماد على النفس .

ولست نمة شك أن مثل هذه الدراسات عبر الثقافات (١) ، والتي يمكن أن تتم بين شعوب بدائية وأخرى متحضرة ، أو بين شعوب من ثقافات مختلفة تكون ذات أهمية كبيرة . ومع ذلك ، فمن الواضح أننا نواجه مباشرة عند القيام بمثل هذه الدراسات بالاختلافات الواضحة بين الثقافات الفرعية داخل هذه المجموعات الكبيرة . ومثل هذه الصعوبات تجعل التعميم ، بالنسبة للمجتمع الكبير ، أمراً صعباً .

وعلى كل حال يمكن القول بأن الأسر في الثقافات المختلفة تقوم بمسؤوليتها في تنشئة الطفل بأساليب مختلفة من التدريب . وهذه الأساليب التي تتبعها الأسرة في تنشئة صغارها ، تهدف من ورائها إلى تنمية صفات الشخصية التي ترى أنها ضرورية ومقبولة وهامة في الكبير .

والسؤال الآن ما أثر هذا التدريب في تشكيل الشخصية ؟

تتضح أهمية هذا التدريب في نواحي أهمها : الضبط وتنمية الذات ونمو فكرة الذات عند الطفل ، وسوف نشير باختصار إلى كل ناحية منها :

(١) الضبط :

إن إمكانيات الطفل على ضبط سلوكه تكون كامنة لديه . وهو يكشف بأدلة بسيطة عن هذه الإمكانيات في حياته المبكرة . ذلك أن الطفل في بداية أمره يستجيب مباشرة للثيرات المختلفة التي تفرض عليه . فهو يصرخ ويهز يديه ورجليه ويتبول ويتبرز وينام ويعبر عن أى سلوك آخر يتطلبه الموقف بشكل مباشر . ويمكن الإستمرار في القيام بمثل هذه الألوان من السلوك والاستجابات المباشرة بعد مرحلة الطفولة المبكرة ، أمر لا يمكن لأي مجتمع أن يتحمله حتى أبسط المجتمعات البدائية . ومن هنا

(1) Price - Williams D. R. : Cross - Cultural Studies, Penguin Books, 1969.

يؤخذ الطفل بنوع من التدريب ويشجع على ضبط دوافعه التي نعلم أنه قادر على التحكم فيها ، وكثير من أساليب تنشئة الطفل وتدريبه تهدف إلى تحقيق هذه الغاية ، أعني تنمية نظام من الضبط المناسب لدى الطفل . وقد اعتبر فرويد هذه العملية النواة أو الجزء المسيطر في الشخصية كلها .

ويستخدم الآباء أساليب شتى لبلوغ هذه الغاية وتنمية عملية الضبط عند الطفل . فأحياناً يلجأون إلى الثواب وأحياناً إلى العقاب ، وأحياناً إلى التغليل والتفسير ، وأحياناً إلى المثال والنموذج الذي يحتذى به الطفل . ومع ذلك ، فبعض الآباء يعتقدون المشكلة بالنسبة للطفل . كأن يكون سلوكهم تجاه الطفل لا يتسم بالثبات والاستقرار . فيقبلون منه اليوم نفس السلوك الذي رفضوه بالأمس ، مما يوقع الطفل في حيرة من أمره . كما أن البعض الآخر يخلق مشكلات للطفل كأن يسمح له بالقيام - أو أن يشجعه على القيام - بألوان من السلوك تتنافى ومعايير المجتمع الكبير . ففشل الآباء في تحقيق الضبط المناسب على السلوك العدواني عند الطفل من شأنه أن يخلق للطفل مشكلات عديدة مع المجتمع عندما يكبر .

(ب) تنمية السمات :

هناك أهداف أربعة يهدف الآباء إلى تحقيقها في تنشئة الطفل وبدرجات مختلفة من الوعي الشعوري من جانب الآباء أنفسهم ، وهذه الأهداف هي :

- ١ - محاولة تيسير نمو السلوك الطبيعي والتلقائي للطفل والذي يعتبرونه سلوكاً مقبولاً (كالخوف من الأشياء الضارة والخيفة) .
- ٢ - محاولة إستبعاد السلوك الطبيعي والتلقائي للطفل والذي يعتبرونه سلوكاً غير مقبول (كالخوف من الأشياء العادية والمألوفة) .
- ٣ - محاولة تنمية بعض أنماط السلوك المقبولة ولو لم يكن لدى الطفل اتجاه تلقائي نحوها (كالأمانة أو الرجولة عند الذكور) .

٤ - اتخاذ المقاييس الوقائية التي يمكن أن تؤدي - عندما إلى عدم تكزين بعض أنماط السلوك غير المقبولة رغم أن الطفل لم يكشف بعد عن مثل هذه النزعات (كعدم الأمانة) .

فالآباء في تربيتهم للأبناء يحاولون عادة تنمية السمات المقبولة ، وفي نفس الوقت يحاولون دون تنمية السمات غير المقبولة . وعندما يبلغ الطفل مستوى القدرة على ضبط سلوكه والتحكم فيه ، فإنه يستطيع أن ينمي بنفسه العديد من السمات التي تشكل شخصيته .

ويحاول الآباء في بعض الأحيان إستثارة السمات التي يرون أنها تعبر عن نفسها بشكل طبيعي وتلقائي ويتطلبون من الطفل التمييز بين المواقف المختلفة التي يكون فيها مثل هذا السلوك مقبولا ، والتي لا يكون فيها مقبولا . فالطفل مثلا قد لا يعبر عن خوفه الطبيعي في بعض المواقف التي تتطلب منه بالضرورة مثل هذا التعبير (حين تكون هناك سيارة بسرعة متجهة نحوه مثلا) ، بينما يعبر عن مثل هذا الخوف وبصورة واضحة في مواقف ليس فيها أى خطر محقق عليه (كسقوط شيء ما محدثا صوتا عاليا بالقرب منه) . فجزء من تدريب الآباء للأبناء يتصل يربط الإستجابات الفطرية والمتعلمة بالمشيرات المناسبة لها .

وعند عملية تدريب الطفل على ضبط نفسه ، قد تنمى الأسرة بعض الاتجاهات بطريقة لا شعورية . فمثلا عند تدريب الطفل على عادات التغذية أو الإخراج ، قد تنمى الأسرة على توكيد ناحية النظافة ، فيتكون لدى الطفل إتجاها عاما نحو النظافة ويصبح هذا الإتجاه أحد سمات شخصيته البارزة . وبالمثل قد تكون لدى الطفل ، نتيجة إستجابة لمطالب الآباء في مواقف أخرى ، صفات السلبية أو العناد أو مقاومة السلطة والتي تتضح في مجالات عديدة من سلوكه بعد ذلك . وقد يدرك الآباء أن كثيراً من سمات شخصية

أبنائهم ، هي نتيجة فرعية للأساليب التي أنبغوها في تربيتهم طوًلا الأبناء ، ولعل هذا هو أحد أسباب تفقد أساليب التربية اليوم وبشكل جعلها موضع إهتمام الكثيرين من الباحثين وعلماء التربية وعلماء النفس والإجتماع ،

وبالإضافة إلى ذلك ، هناك بعض السمات التي لا تظهر بصورة عرضية ، وإنما يحاول الآباء عن قصد تنميتها لدى الأبناء نظراً لما يرون فيها من نواحي إيجابية يحبون غرسها في نفوس أبنائهم . فبعض الآباء يعطي سمات معينة قيمة كبيرة ، ومن ثم يحاولون تنميتها لدى الأبناء . فإذا كان الأب مثلاً يعطي وزناً كبيراً لصفات الجدية والحشونة والقوة عند الذكور ، فقد يسلك بشدة وصرامة مع أبنه ، إعتقاداً منه أن ذلك سوف يجعل منه شخصاً جاداً صارماً ويخلق منه رجلاً . غير أن مثل هذا الأسلوب وإن أفاد أحياناً ، فقد لا يفيد أحياناً أخرى . وحتى إذا أثمر مع الطفل ، فقد تنجم عنه نتائج فرعية لم تكن في حسابان الآباء . فقد ينشأ الطفل جاداً وصارماً ، ومع ذلك يبدى مشاعر الكراهية والإحتقار لسلوك الآباء الجاف نحوه إبان طفولته ومعاملتهم له بجفاء وقسوة .

وعلى العموم ، فالآباء وهم يربون أبنائهم ينظرون إلى الشخصية من ناحية السمات ويصفون الابن مثلاً بأنه ذكي نشيط أو غبي كسول ، بأنه أمين أو خائن ، حساس متقلب المزاج أو ثابت إنفعالياً ، بأنه يوثق به أو بأنه لا يعتمد عليه . وكما يحاول الآباء تنمية بعض السمات الإيجابية وعن قصد كالأمانة مثلاً ، فإنهم يحاولون بالمثل وقاية الطفل من بعض السمات الأخرى التي يعتبرونها ضارة (كالخيانة مثلاً) فيحاولون دون تنميتها لدى الطفل

(ج) نمو فكرة الذات عند الطفل :

وإذا كانت الأسرة تؤثر في الطريقة التي يضبط بها الطفل سلوكه وفي

المصبات التي ينميتها أو يستبعدا ، فإنها تمده أيضا بالخبرات التي منها يكون فكرته عن نفسه وعن الآخرين . وفكرة المرء عن نفسه هي نمط إدراكه لذاته . وعندما يريد الفرد أن ينقل إلى الآخرين جوهر مفهومه لذاته ، فإنه في العادة لا يقدم هذا المفهوم في كلمة واحدة ، بل في مجموعة من العبارات التي يصف بها ذاته وحتى بهذه الطريقة ، فإنه يكشف فحسب عما يعرفه عن ذاته . ولكن من الممكن أيضا الاستدلال عن فكرة المرء عن نفسه من سلوكه الذي نلاحظه والذي يتميز عن الصورة اللفظية التي يقدمها الفرد عن نفسه . فقد يكشف هذا السلوك عن مشاعر الذنب أو عن أنه يستحق توقيع العقاب ، رغم أنه لا يعبر لفظياً عن مثل هذه الأفكار .

والواقع أن الطفل يتعلم أن يرى نفسه من خلال ملاحظته كيف يستجيب الآخرون لسلوكه . وهذه الطريقة يضع أساس فكرته عن نفسه . فإدراك الطفل لكيفية استجابة الآخرين لسلوكه ، يمدّه بمعرفة ما إذا كان هذا السلوك حسناً ومقبولاً أم أنه غير مقبول وسىء . ومن هذه المعرفة يمكنه أن ينمي فكرته عن أي شخص هو . فالطفل إذن يؤثر بسلوكه في الآخرين ، ومن استجاباتهم لهذا السلوك وأثره فيهم ، يمكنه أن يكون فكرة عن نفسه ولما كان أفراد الأسرة هم الذين يسيطرون في السنوات الأولى من حياة الطفل على بيئته السلوكية ، فمن الواضح إذن أنهم يقدمون له الخبرات الأساسية التي من خلالها يكون فكرته عن نفسه . وتعتبر إنجازات الآباء في هذه المرحلة ذات أهمية بالغة في تكوين هذه الفكرة . فإذا كان الجو السائد في المنزل هو الهذم مثلاً فقد يميل الطفل إلى تفسيره بأنه غير متقبل من أفراد الأسرة وأنه غير جدير بحبة الكبار ، أو أنه غير مرغوب فيه من جماعة الأسرة وسوف يدمج الطفل هذا الاعتقاد في فكرته عن نفسه . أما إذا كان الجو العام المتأيد في الأسرة هو المحبة ، فإنه يوحى للطفل بأنه متقبل وأنه جدير

بمحبة الآخرين له وأنه مرغوب فيه من أفراد الأسرة . وسوف يدمج الطفل أيضا مثل هذا الاعتقاد في فكرته عن نفسه .

والحقيقة أن مثل هذه الاتجاهات التي يكونها الفرد عن نفسه في هذه الفترة المبكرة من حياته ، تكون ذات أهمية كبيرة ، لأن من الصعب تعديلها متى تكونت وتصلت في النفس . فكم من أشخاص نعرفهم ونعرف مقدار ما يتمتعون به من ذكاء وقدره تكفي لشق طريقهم في الحياة بنجاح ، ومع ذلك فإحساسهم بضعف ذواتهم وعدم تقديرهم لأنفسهم حق قدرها ، يجعل دون بلوغهم مستوى الكفاية والقدرة . ولذا نجدهم لا يعززون ما أصابهم من نجاح إلى ما لديهم من مواهب وذكاء بقدر ما يعزونه إلى الحظ والصدفة .

وفي ضوء ما تقدم يتضح لنا مقدار ما تسهم به الأسرة في بناء شخصية الفرد ودور هذه الأسرة في نقل الثقافة إليه وتشكيلها لشخصيته داخل الإطار الثقافي للمجتمع الذي يعيش فيه .

الفصل الخامس

محددات الشخصية (تابع)

محددات الدور والموقف

في الفصلين السابقين تحدثنا عن العوامل التكوينية البيولوجية وعن عضوية الجماعة كمحددات هامة للشخصية، وفي هذا الفصل نعرض لمحددين آخرين هما الدور الذي يقوم به الفرد ثم محددات الموقف .

الدور الذي يقوم به الفرد :

وهذا هو العامل الثالث الذي أشار إليه كلوكهون ومورى وشنيدر في حديثهم عن محددات الشخصية . ولهذا العامل أهميته . ذلك أننا في دراستنا للشخصية ، كثيراً ما نركز اهتمامنا على الفرد ، نحاول أن نفهم كيف ينمى الأنماط المنتظمة من الاستجابات والتي نستدل منها على سماته وفكرته عن ذاته كما نستخدم عادة التكوينات الافتراضية لتفسير سلوك الفرد ، فنقول إن فلانا يسهل التأثير عليه لأن ذاته ضعيفة مثلاً ولكن في غمرة إهتمامنا بهذه التكوينات الافتراضية للشخصية في تفسير السلوك ، قد ننسى الظروف البيئية التي يعيش فيها الفرد . ومن هنا كان من المفيد أن ندرس فكرة الدور الذي يؤديه الفرد في الحياة ، طالما أن الدور يشير إلى كل من الفرد والمحيط الإجتماعي الذي يوجد فيه . ففهوم الدور يذكرنا باستمرار ، أنه لفهم سلوك فرد ما ، يجب أن ننقب في الوقت نفسه إلى خصائص شخصيته وإلى الموقف الإجتماعي الذي يوجد فيه .

وفكرة الدور، تمدنا بأداة تفيد خصوصاً في تحليل عملية التطبيع الإجتماعي

والتثقيف . وكما أوضح «جورج ميد» ، فإنها تسمح لنا بربط السلوك الفردى بمعايير جماعة معينة تتصل بالسلوك المتوقع ، من الفرد حسب سنه وجنسه وتخصصه المهنى والوظيفى وحالته المدنية . وحتى لو لم يكن هناك دائماً تطابق مع النمط المثالى للسلوك المتوقع من الفرد ، إلا أن الفرد يعرف ويدرك مثل هذا النمط المثالى من السلوك سواء بالنسبة له أو للآخرين .

فالدور هو نوع متشكل من المشاركة فى الحياة الإجتماعية او هو ببساطة — كما عبر عنه جوردون البورت — ما يتوقعه المجتمع من الفرد الذى يحتل مركزاً معيناً داخل الجماعة .

ويحدد كل مجتمع من المجتمعات الأدوار الإجتماعية التى يتوقع من أفرادها القيام بها فى حياتهم العادية . لناخذ أسرة ما على سبيل المثال . إن الأب ينتظر منه أن يترك المنزل فى الصباح لكي يذهب إلى عمله ليد الأسرة بالمال الذى تحتاج إليه وأن يقوم برعاية الأطفال وتوجيههم والإشراف عليهم عندما يكون بالمنزل والأم ينتظر منها أن تقوم بدور آخر يتلخص فى أداء الواجبات المنزلية ورعاية الصغار وإعداد الطعام وتهيئة الجو العائلى الطيب . أما الأولاد فدورهم يتلخص مثلاً فى إطاعة الآباء وأداء واجباتهم المدرسية . والإبن الأكبر يتوقع منه أن يساعد أباه فى رعاية أخوته الصغار والمشاركة فى تحمل المسؤولية فى الأسرة . والولد الذكر يتوقع منه أن يقوم بدور الصبية العاديين بينما تعد الفتاة للقيام بدور الأنثى وتعلم أعمال البيت . وهذا التفاعل المتبادل بين هذه الأدوار المختلفة دقيق للغاية ويكون مانسبه باسم النظام الإجتماعى للأسرة .

والطفل عندما يتعلم القيام بدوره فى الأسرة يتعلم فى الوقت نفسه الأدوار التى يقوم بها الأب والأم والأخوة الكبار فأدوارهم متبادلة مع دورهم .

في نظرة بمثابة نماذج يقوم بتقليدها . وتحدث جميع هذه الأدوار أثراً هاماً في عملية التطبيع الإجتماعي والتثقيف الذي يحتاج إليه في حياته بعد ذلك (١) . ومن الواضح أن للفرد الواحد مجموعة كبيرة من الأدوار في حياته الإجتماعية . فالأب مثلاً بعد خروجه من المنزل والذهاب إلى عمله يقوم بدوره كوظف أو كعامل أو كهندس أو طبيب ، أى أنه يقوم بالدور الذي يتوقعه منه المجتمع في مجال العمل . وهو حتى يعود إلى بيته نجده يمارس دوره كأب من حيث الإشراف على تربية الأبناء ورعاية الأسرة ، ثم بعد ذلك قد يكون عضواً في نادٍ وبشارك في ألوان النشاط المختلفة لهذا النادى أو قد يكون عضواً في جماعة دينية إلى آخر هذه الأدوار العديدة التي يقوم بها في المجتمع . والأمثلة بالمثل بالنسبة للأم والأولاد ولأى فرد آخر في الحياة فحياة كل فرد يمكن النظر إليها على أنها سلسلة من الأدوار المتتابعة التي تربط الفرد بمجموعة من النظم الإجتماعية المختلفة . ولكن قد يحدث أحياناً صراع وتعارض بين هذه الأدوار المختلفة التي نقوم بها في حياتنا . وكثيراً ما نسمع عما يظهر من تعارض أحياناً بين دور المرأة الموظفة ، أعنى بين ما يتطلبه منها دورها كأم من رعاية الأطفال والإشراف على تربيتهم وبين دورها كوظيفة .

ويمكن أن نميز بين لفظين يستخدمان أحياناً بمعنى واحد . الأول هو المركز أو الوظيفة Position والثاني هو الدور role فالمركز هو المكان الذي يحتله الفرد في المجتمع على أساس العمر أو الجنس أو المولد أو المهنة أو الزواج ، بينما الدور هو السلوك الذي يقوم به الفرد في كل مركز إجتماعي يشغله . وكل من المركز والدور نتاج إجتماعي ولا يوجد أحدهما بدون الآخر . وقد عرف ليلتون (٢) المركز بأنه المكان الذي يشغله فرد معين في نظام معين في وقت

(1) Mead G. H. : Mind, self and Society. Chicago : Univer. of Chicago Press, 1934.

(2) Linton, R : The Cultural Background of Personality. New York, Appleton Century Crofts 1945, pp. 76-77.

معين بينا الدور الإجتماعى هو المجموع السكى للأنماط الثقافية التى ترتبط
بمركز معين .

ومن المعروف أن المؤسسات والمنظمات أو الجماعات يكون بها عادة مراكز
عديدة تساعد فى مجموعها على تحديد طبيعة هذه المؤسسة أو المنظمة أو الجماعة
وتسيير العمل فيها بانتظام . ويحتل الأفراد عادة هذه المراكز . ونحن عندما
نريد وصف مؤسسة ما . فإننا نصفها عن طريق وصف المراكز التى أوجدتها
لتحقيق أهداف هذه الجماعة . فهناك رئيس مجلس الإدارة ، وهناك المدير
ونائب المدير والسكرتير والحارس الخ . ومن الممكن القول بأن كل هؤلاء
الأشخاص يحتلون مراكز معينة ولكن لا يمكن القول بأنهم يحتلون أدواراً
معينة غير أنه فى تحركاتهم وعملهم فى مراكزهم ، يحاول كل فرد منهم أن يقوم
بالدور الذى يتوقع منه أو الدور الذى يراه متفقاً والمركز الذى يشغله . وقد
يحتل شخص ما مركزاً من المراكز ولكنه يفشل فى القيام بالدور الذى
يتطلبه منه هذا المركز ، أو الدور الذى يتوقعه الناس من شغل هذا المركز .
فهو مثلاً رئيس مجلس إدارة مؤسسة ما ، ولكنه لا يقوم بدوره كرئيس مجلس
إدارة على نحو ما هو متوقع منه . ولناخذ مثلاً آخر أقرب إلينا من الناحية
النفسية . الابن الأكبر فى الأسرة الذى يحتل مركز الولد الأكبر ، ينتظر
منه أن يقوم بدوره كإبن أكبر وأن يتحمل قدراً من المسؤولية مع الآباء .
أما إذا كان سلوكه طفلياً أو من النوع الإنسكالى الذى لا يوثق فى قدرته على
تحمل المسؤوليات البسيطة التى تتطلبها الأسرة منه فن الممكن القول أنه غير
قادر على القيام بالدور الذى يتفق ومركزه فى الأسرة . وباختصار يمكن
القول بأن المركز يرتبط ببناء جماعة ما أو منظمة ما ، بينما الدور يرتبط بسلوك
الشخص الذى يشغل مركزاً ما .

وغنى عن البيان أن الأدوار الإجتماعية التى يقوم بها الأفراد تختلف

بأختلاف الثقافات التي يحبون فيها فدور الولد في المجتمعات الحضرية المتقدمة يختلف عن دور الولد في المجتمعات الريفية . فبينما لا يزال ينظر إلى الولد في سن الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة في المجتمعات الحضرية والمتقدمة على أنه لا يزال صغيراً ، يقوم بدور الصغار في مثل سنه ، وبحاجة إلى قدر من رعاية الأسرة والوالدين له ، إذ يزميله الذي في مثل سنه في المجتمعات الريفية ينظر إليه على أنه قد أصبح رجلاً أو على عتبه الرجولة وأنه قادر على القيام بأدوار الكبار . وإذا يسهل إليه بالكثير من الأعمال التي يقوم بها الكبار في الأسرة من فلاحه للأرض ورعاية الحيوان في الحقل وكانت بعض الأسر الريفية إلى عهد قريب تزوج أبناءها في مثل هذه السن المبكرة ، وفي هذا أهتمام واضح منها بأنه قد بلغ مبلغ الرجال . والأمر بالمثل بالنسبة للفتاة .

ويميز البورت (١) معان أربعة للدور هي : -

١ - توقعات الدور : وتكمن توقعات الدور في النظام الاجتماعي وهي بمثابة ما تقرره الثقافة أو الثقافات الفرعية من توقعات الفرد سواء كان أباً أو أمّاً أو تلميذاً أو صانعاً أو طبيباً أو مهندساً الخ . وبعبارة أخرى أنها تقرر ما هو متوقع من كل فرد يشغل مركزاً معيناً داخل النظام الاجتماعي .

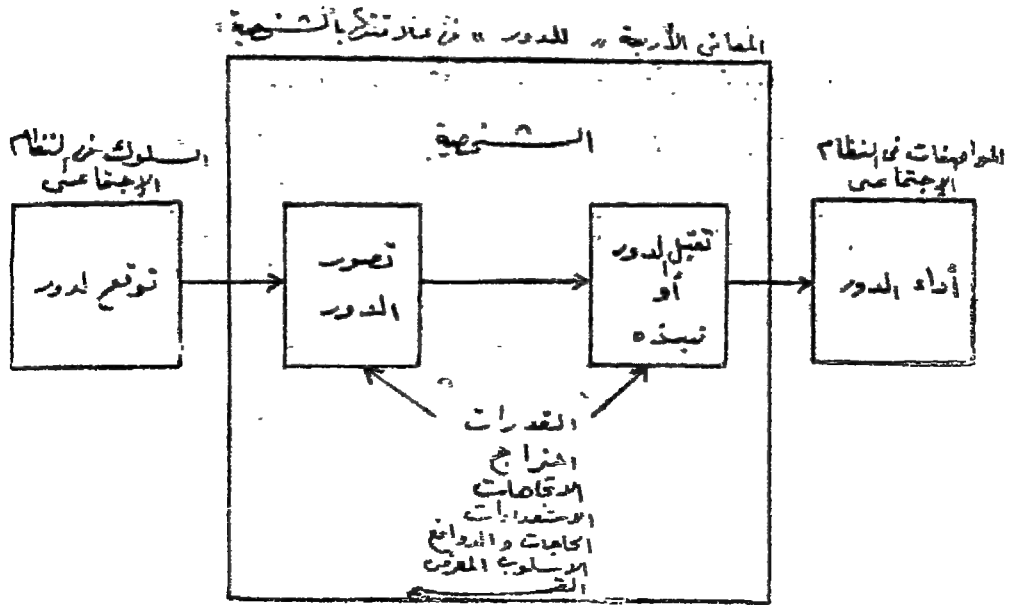
٢ - تصور الدور : هي الصورة التي لدى الفرد - أباً معيناً أو مدرساً معيناً أو طبيباً معيناً - عن دوره الذي يقوم به وهل تتفق أو لا تتفق وتوقعات الدور . ومن الممكن القول على وجه العموم أن الأب أو المدرس يعرف تماماً ما هو متوقع منه ، ولكن المشكلة تكمن في ماذا يتوقع هو من نفسه . فهو يحدد دوره على طريقته الخاصة . فقد يعتقد أب من الآباء أن دوره هو الإشراف الجيد وفرض الرقابة على ابنه المراهق ، بينما يعتقد أب آخر أن

(1) Allport, G : Pattern and Growth in Personality. New York, Holt., 1961, chp. 8.

دوره هو التوجيه وترك الحرية للإن أن يعبر عن نفسه . وقد يتصور مدرس من المدرسين أن أداءه لدوره يقتضى عنه أن يكون حازماً شديداً ، بوقع العقاب على التلميذ المخالف داخل الفصل ، بينما يتصور مدرس آخر أن دوره هو دور الأب المتسامح الذى يأخذ بيد أبنائه التلاميذ ويعاونهم على مواجهة الصعوبات التى تواجههم فى حياتهم المدرسية . وتصور كل فرد منا للدور الذى يقوم به ، يتوقف على عوامل عديدة كاتجاهات الفرد وإستعداداته ودوافعه وقيمه وغيرها .

٣ - تقبل الدور : بعض الناس يتقبل أحياناً الدور الذى يقوم به (سواء حدد هذا الدور فى ضوء توقعات الآخرين أو فى ضوء فكريتهم عن أنفسهم) والبعض الآخر لا يشغل نفسه كثيراً بهذا الدور الذى يقوم به ، بينما البعض الثالث قد يكره أحياناً الدور الذى يقوم به فى الحياة . فبعض السيدات يرحبن ويحببن دورهن فى الحياة كأمهات بينما البعض الآخر كارهات لدورهن هذا ، ساخطات عليه . والبعض يرحب بالوظيفة التى يقوم بها وينظر إليها نظرة تقبل ، والبعض الآخر كاره لها وللدور الذى يقوم به .

٤ - أداء الدور : وأداء الفرد لدوره الذى يتوقع منه أو اختاره فى ضوء فكرته عن نفسه يتوقف على عوامل عديدة منها هل هو متحمس له أم غير متحمس ، هل هو متعاون أم كاره ، وتوقعات الدور وحدها لا تكفى ، فتوقعات الدور تختلف باختلاف الأفراد أنفسهم . فتوقعات دور التلميذ تختلف عن توقعات دور الأم أو دور الموظف أو دور الطبيب ، ولذا فإن أداء الدور يتوقف على العوامل السابقة المختلفة من توقعات الدور وتصور الدور وتقبل الدور وما يصحب ذلك كله من سمات شخصية الفرد التى تساعد فى أداء دوره . والشكل الآتى قدمه البورت لتوضيح موضع هذه المفاهيم الأربعة للدور :



وبالنظر إلى هذا الشكل يتضح أن هناك معنيين لمفهوم الذات يتصلان بالنظام الاجتماعي (وليس بالشخصية) الأول هو توقع الدور الذي يمكن إعتباره فقط كنموذج خارجي ومثير (ويمكن إعادة تفسيره وتعبئه أو رفضه بواسطة الفرد) والثاني هو أداء الدور الذي يمكن إعتباره نقطة التقاء نظام الشخصية والنظام الاجتماعي والأداء يتم عن طريق الشخص ولكنه يؤثر في النظام الاجتماعي، ويمكن أن يقيم كجزء من النظام الاجتماعي. وهناك معنيان آخران للدور يتصلان بالشخصية وهما: تصور الفرد لدوره وكيفية تحديده له في الحياة والآخر تقبل الفرد لدوره أو نبذه إياه.

ويمكن القول بوجه عام، إن هؤلاء الذين يدركون أدوارهم على نحو ما يدركها المجتمع، والذين يتقبلون أدوارهم في الحياة، هم أناس بمسألون إن تقبل البناء الاجتماعي القائم. أما الذين يبنون إعادة تحديد دورهم

أو يكرهون القيام بهذه الأدوار — سواء من حيث مفهومه الشخصي أو الإجتماعي ، فهم أناس ناثرون على دورهم في الحياة ومتحدون عليه ، وغير متقبلين للنظام الإجتماعي الذي يعيشون فيه بوجه عام . ولكن ليس معنى ذلك أن كل شخص راض عن دوره ومتقبل له يعتبر من النوع المحافظ . وأن كل شخص ناثر على دوره ، غير راض عنه يعتبر من النوع المتحرر . بل تبدو هذه كنزعة عامة تسير في هذا الاتجاه بحسب .

كيف يكتسب الطفل دوره في الحياة :

إن الطفل حديث الولادة لا يولد مزوداً ب ذخيرة من الأدوار التي يقوم بها في حياته ، وإنما هو يكتسب هذه الأدوار خلال عملية نموه وتربيته . فجزء هام من عملية نموه وتطبيع الإجتماعي يتلخص في تعلم كيفية القيام بمجموعة من الأدوار التي سوف تساعد على أن يحدد نفسه ودوره ككائن حي فرد متميز عن غيره من الأفراد . فهو يتعلم ليس فقط النواحي المتصلة بعملية التغذية والإخراج وضبط العدران والإعتماد على النفس ، بل ويتعلم أيضاً الكثير من ألوان النشاط الأخرى التي يطلق عليها « بوهمان وولاش » اسم سلوك الدور Role - Behavior ^(١) وليس ثمة شك أن قدراً كبيراً من هذا التعلم يتم داخل جدران الأسرة . وهذا التعلم يتم عادة إما بشكل مقصود أو بشكل عارض أو عن طريق التقليد . ففي التعلم المقصود يحاول حملة الثقافة في المجتمع نقل أفعال ومعلومات معينة إلى الطفل متخذين من التدعيم وسيلة لذلك . فبعض الثقافات تؤكد ناحية الثواب من أجل بعث الطفل على القيام بالسلوك المرغوب فيه على حين يؤكد بعضها الآخر ناحية العقاب من أجل منع الطفل عن القيام بالسلوك غير المرغوب فيه .

(1) Baughman , E. E. & Welsh, G. S. : Personality : A Behavioral Science. Prentice Hall. New Jersey 1962:

أما التعلم الطارضي فيه يلتقط الطفل الوانا من السلوك ويتعلمها حتى ولو لم يكن لديه قصد تعلمها أما التقليد فيقتصر على الحالات التي يقوم فيها الفرد من وهي ومعرفة بتقليد سلوك الدور الذي يريد القيام به وذلك بتقليد شخص آخر .

وأيا كانت الوسيلة المتبعة ، فإن الطفل يكتسب من خلالها الوانا عديدة من سلوك الأدوار المختلفة التي يقوم بها في حياته . ولعل أول دور يقوم به الفرد داخل الأسرة هو دوره كطفل . ويتحدد هذا الدور بيولوجيا وثقافيا بالطريقة التي يترى بها الطفل وبالتفاعلات مع الآخرين ولإستجاباتهم لمظهره وسلوكه . ومع النمو تبدأ أهمية الجنس تظهر في تحديد الدور الذي سيقوم به الطفل في حياته ، كما يتخذ الجنس أهمية كبيرة في نظر القائمين في تربية الطفل بمعنى ضرورة أن يسلك الولد كولد والبنات كبنات . وقد يشغل الآباء عادة بتعليم أولادهم الذكور القيام بدور الذكور والبنات القيام بدورهن كبنات ، وهذا التدريب نفسه يتأثر إلى حد بعيد بمفهوم الآباء انفسهم عن دور كل من الذكور والإناث في الحياة . وهناك بعض المفاهيم الشائعة التي قد تحدث أثرها في تربية الآباء للأبناء وفهمهم لدور كل من الجنسين . ففي بعض الثقافات يسود الاعتقاد أن البنات هن الجنس الأضعف وأنهن الجنس الأسرع نضجا وأن الأولاد الذكور هم الأكثر ميلا إلى العدوان وقد تؤثر هذه المفاهيم الشائعة في نظر الآباء لدور كل من الجنسين ونظرتهم له .

وإذا كان عامل الجنس عامل محدد للدور الذي يقوم به الفرد في الحياة فهناك أيضا عامل آخر هو الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد . فسلوك دورنا الاجتماعي يتوقف إلى حد بعيد على عضوية الطبقة الاجتماعية التي ننتمي إليها وإن كان بعض الأفراد يمكنهم الانتقال من طبقة اجتماعية إلى طبقة اجتماعية أخرى وإذا كان المركز الاجتماعي للفرد يتحدد إلى درجة كبيرة

في المجتمعات البدائية بمامل السن والجنس ، فإن الأمر يختلف في المجتمعات الحديثة حيث تلعب عوامل أخرى بعد أكثر أهمية من السن والجنس مثل الأسرة التي ينتمي إليها وحظها من السراء والجلاء أو نوع العمل الذي يقوم به الفرد أو حظه من الذكاء وما لديه من استعدادات وقدرات الخ .

ماذا يعنيه القيام بسلوك الدور بالنسبة لنمو الشخصية :

يتضح ذلك في نواحي :

١ - الضبط : وترجع إحدى الاستدلالات الهامة على نمو الشخصية إلى قدرة الفرد على الضبط والتحكم في تشكيل سلوكه . فمنحن نستدل على هذا النمو ، من حكمنا على قدرة الفرد على القيام بعدد من الأدوار وما يتطلبه كل منها من الوان السلوك المختلفة . وقد سبق أن ذكرنا أن الطفل الصغير في بداية عهده بالحياة يكون له دور واحد هو دوره كطفل ، ثم مع النمو والنضج وتعرضه للمواقف المختلفة ومروره بالعديد من الخبرات في مواقف الحياة الاجتماعية وتفاعله مع الآخرين ، فإننا نتوقع منه أن ينمي سلوكه بشكل يتفق والأدوار التي يفترض منه القيام بها في المواقف المختلفة . فإن جاءت نواتنا في محلها ، قلنا أن الفرد قادر على تشكيل سلوكه بنجاح وفاعلية ، فالقيام بسلوك الدور معناه إذن وجود قدر من الضبط والتحكم وقدرة على تشكيل سلوك الفرد بما يتفق والأدوار التي يفترض القيام بها وليس ثمة شك أن مثل هذا الضبط يمكن أن يعد مقياساً من مقاييس نمو الشخصية .

٢ - تنمية السمات : وثمة علاقة وثيقة بين سمات الشخصية وسلوك الدور . والواقع أنه إذا ركزنا الإهتمام عند الحديث عن سلوك شخص ما على البيئة ، فإننا في هذه الحالة نتحدث عن سلوك الدور الذي يقوم به الفرد ، أما إذا ركزنا الإهتمام على الشخص نفسه ، فإننا نكون أميل إلى

الحديث عن سمات هذا الشخص . وليس من شك أنه خلال تعرض الفرد المتكرر لأنواع معينة من المواقف ، فإنه يبنى طرقاً ثابتة للاستجابة لهذه المواقف ، وهذه الطرق هي التي يزودنا بأساس للاستدلال على وجود سمات معينة عنده .

وقد تواجهنا بعض الصعوبات أحياناً عند تفسير سلوك الدور الذي يقوم به فرد معين . فقد نواجه أحياناً ببعض الوان السلوك المتعارضة أو المتناقضة في الظاهر ، فالشخص قد يكون قاسياً رصارماً مع رؤسائه ، رقيقاً رحيماً مع زوجته وأولاده ، ولكن من الممكن تفسير ما قد يبدو من تعارض في الظاهر في سلوك الفرد بالرجوع إلى فكرة مطالب الدور فهذا الشخص الذي نصف سلوكه بالشدّة والقسوة مع رؤسائه ، نجد أن مطالب الدور الذي يقوم به كرئيس عمل وما يقتضيه منه هذا الدور من حسن سير العمل هي التي تدفعه إلى اتخاذ مثل هذا الموقف المتشدد مع رؤسائه ، بينما هو نفسه يقوم في البيت بدوره كآب وهو دور يتطلب منه أن يكون رحيماً بأبنائه عطفواً عليهم . فما قد يبدو لنا أحياناً أنه تناقض ، إنما يرجع في الحقيقة إلى أننا لا ندخل في الاعتبار مطالب الدور الذي يقوم به الفرد . والحقيقة أن عجزنا عن التقدير الصحيح لمطالب الدور وخصوصاً فكرة الشخص عن السلوك الصحيح للدور الذي يقوم به هو الذي يوقعنا في الخطأ في الحكم وتوكيد عدم الثبات في السلوك وسمات شخصية الفرد :

٣ - نمو فكرة الذات : ونحن في قيامنا بسلوك الدور ، إنما نصدر في سلوكنا عن نظرتنا لانفسنا وفكرتنا عن ذواتنا ، وما نعتقد أنه يمثل مطالب الدور الذي نقوم به . ومن الطبيعي أن يتعرض الطفل في نموه لعدد من مطالب الدور حتى ينمو نمواً سليماً . فإذا استمر المحيطون به ينظرون إليه كأنما يرفع تقدم السن به ورغم ما طرأ عليه من نمو وتغير جسمي ، فقد

يحدث له تثبيت عند هذا المستوى الطغلى . وفي بعض المواقف نجد أنفسنا مرتبطين بفكرتنا عن أنفسنا ، ولكن في الوقت نفسه ، نريد أن نراعي مطالب الآخرين . وقد يوقعنا سلوك الدون أحياناً في صراع . فقد يصر البعض على عمل ما يعتقد أن يتفق وفكرته عن نفسه ، على حين أن البعض الآخر يميل إلى مسايرة الجماعة ، بينما يحاول البعض الثالث أن يجد حلاً وسطاً لا يترتب عليه فقدان تقدير المرء لذاته أو البعد عن الآخرين .

محددات الموقف :

وأخيراً نأتى إلى المحدد الرابع من محددات الشخصية على نحو ما وضعها كلوكهون ومورى وشنيدر ونعنى به محددات الموقف . وما أكثر المواقف التى يمر بها الفرد فى حياته وما أكثر تأثيرها فى شخصيته . وبالأطبع لا يمكن النظر إلى الشخصية كما لو كانت مستقلة عن المواقف التى تمر بها أو توجد فيها . ففى العمليات البيولوجية أو الفسيولوجية تتطلب وجود أجزء داخلية أو عوامل بيئية ومواقف تتحقق فيها ، فعملية التنفس مثلاً تتضمن وجود رئتين داخليتين وفى الوقت نفسه وجود هواء خارجى لازم لعملية التنفس ، وعملية الهضم هى الأخرى تتضمن وجود الإحساس الداخلى بالجوع وفى الوقت نفسه تتطلب وجود الطعام اللازم لإشباع هذا الدافع . وهذه العوامل الداخلية والخارجية معاً يتم إغلاق دائرة السلوك . وكما يقول جون ديوى (١) إن الأمانة والمحبة والشجاعة والبخل والمسكر وعدم تحمل المسؤولية أو تحملها ليست بمتلكات خاصة بالفرد ، بل هى توافقات أو تكييفات فعلية لقدرات الفرد مع قوى البيئة . فليس ثمة شئ يمكن أن يعد ذاتياً أو شخصياً دون

(١) Dewy, J. : Human nature and Conduct. New York. Modern Library 1950 . p. , 16

أن يكون في الوقت نفسه إنعكاساً للبيئة المادية والاجتماعية والثقافية والمواقف التي يمر بها الفرد .

ولعل هذا القول يذكرنا بما قاله « ولیم جیمس » في حديثه عن تنوع الذوات ، بأن لكل فرد منا ذوات متعددة بقدر ما هناك من جماعات متعددة من الناس نهم بمعرفة رأيهم فينا أو بعبارة أخرى بقدر ما هناك من مواقف متعددة تتعامل معها .

وليس من شك أن سلوك الفرد قد يتعدل حسب ظروف الموقف الذي يوجد فيه . وقد ذهب البعض إلى أن استجاباتنا لإختبارات المواقف أو الاستفتاءات أو أسئلة المقابلة قد تختلف حسب ظروف الموقف . فلو أن سؤالاً مثل « هل تحب غزالة الغرباء » قد وجه لشخص متقدم لشغل وظيفة تتطلب حسن التعامل مع الناس ، فقد يجيب بالإيجاب ، لا شيء إلا للحصول على الوظيفة ، بينما قد يجيب بالنفي لو أن نفس هذا السؤال قد وجهه إليه طبيب نفسى يقوم بمعالجته ، لأن الغرباء يشيرون في نفسه القلق والاضطراب ويجعلونه يحس بمشاعر النقص .

وهناك العديد من الأمثلة على إختلاف السلوك باختلاف المواقف . وهناك نزعة ملحوظة لدى الباحثين النظريين إلى القول بأن ليس ثمة « ثبات داخلي في الشخصية » وأن كل شيء يتحدد بالموقف الذي يوجد فيه الفرد . وقد ذهب بعضهم إل القول بأن لا معنى حتى لإجراء إختبارات الشخصية داخل الفصل أو داخل جدران المعمل ، لأنه ليس هناك ما يلبي عما سيكون عليه سلوك هذا الفرد خارج الفصل أو خارج المعمل أو في مواقف جديدة غير متوقعة . وتجربة « هارتشورن وماي » على الأطفال تشير إلى ذلك . والفرد نفسه لا يعرف ما إذا كان يسلك بشجاعته أم ستخونه شجاعته ، هل سيتحمل مسؤولياته الجديدة أم سوف لا يقوى على تحمل هذه المسؤوليات ومن هنا

يسعى هؤلاء اهتماماً كبيراً للمواقف المختلفة التي يوجد فيها الفرد . ولسنا في حاجة إلى القول بأن مثل هذه الآراء — ولو أنها تحوى جانباً من الحقيقة — إلا أنها لا تحوى الحقيقة كلها . فاختبارات الشخصية التي تجري داخل جدران الفصل أو في العيادات النفسية تكشف عن قدر من الثبات في الشخصية ينعكس أثره في سلوك الفرد في مواقف أخرى في الحياة الخارجية أو في المواقف الجديدة التي يمر بها .

وهناك حقائق ثلاثة أشار إليها البورت عند النظر في محددات الموقف :
الحقيقة الأولى : أن معظم الناس عندما يواجهون بمواقف جديدة غريبة عليهم ، يميلون إلى التحفظ في السلوك أو الانسحاب أو بعبارة أخرى يميلون إلى تجنب اتخاذ موقف إيجابي نشط . أما في المواقف المألوفة فأنهم يكونون عادة أكثر فاعلية ونشاطاً وتعبيراً عن أنفسهم . وفي ضوء هذه الحقيقة فإننا نميل إلى تحقيق ذاتنا ، وإذا عجزنا عن ذلك — على نحو ما قد يحدث في المواقف القريبة — فإننا نميل إلى الانسحاب .

الحقيقة الثانية : أن صغار الأطفال ، « موقفيون » أكثر من الكبار . فهم يعبون الموقف المباشر الذي يملكون به فهم في حالة مرحهم ، يمرحون بصخب ، وفي حالة خوفهم يخافون بشدة . كل ذلك حسب المواقف المباشرة وكأنهم يفتقرون إلى « الشخصية الداخلية » حتى يملكون بمثل هذه المواقف ، ومن الواضح أن الكبار عامة أقل خضوعاً للموقف من الأطفال .

الحقيقة الثالثة : أن معظم الناس يقومون بدور كبير في خلق المواقف التي يستجيبون إليها فالشخص الذي يحب الحفلات والاجتماعات يسعى إلى عقد هذه الحفلات والاجتماعات . وقد يفسر مرحة وسروره بأنه نتيجة للموقف ولكن ليس الموقف نفسه نتيجة لعوامل تتصل بشخصيته هو أيضاً .

وباختصار إن المواقف التي نجد فيها أنفسنا ، غالباً ما تكون نتيجة مباشرة لشخصياتنا .

ولكن هل يمكن تحديد مقدار ما يرجع من السلوك إلى الشخصية الداخلية ، ومقدار ما يرجع منه إلى الموقف الخارجى ، وإخضاع ذلك إلى الدراسة التجريبية ؟

لفرض أننا جمعنا مجموعة من الناس فى مكان واحد وأعطيناهم عملاً مشتركاً لأدائه ، فإننا نلاحظ ميل البعض إلى تزعم الجماعة وقيادتها وميل البعض الآخر إلى اتخاذ موقف التبعية . فهل القيادة والتبعية هنا ترجع إلى سمات معينة فى الشخصية أم هى نابعة عن الموقف الذى يوجد فيه الفرد .

وفى مجموعة الدراسات الدقيقة التى قام بها Mann ، انتهى إلى أن الشخصية الداخلية ، هى بالطبع شرط القيادة والزعامة بالدرجة للفرد . فالأذكىاء ، حسنو التوافق والذين يسهل عليهم الاندماج مع الآخرين ، هم أكثر ميلاً إلى أن يصبحوا قادة فى الجماعة . ويدعم مثل هذا القول وجود سمات أخرى ، مثل السيطرة والذكورة وغيرها . ورغم نظرنا إلى مثل هذه الاتجاهات ، على أنها اتجاهات صحيحة إلا أنها ليست صفة العمومية بحال من الأحوال . فالشخصية الداخلية ، هى أحد العوامل المحددة للقيادة ، ولكنها ليست بالتأكيد العامل الوحيد . فالموقف الذى يوجد فيه الفرد يلعب دوراً هاماً فقد يكون الفرد قائداً فى موقف ، تابعاً فى موقف آخر ، رغم توفر شروط القيادة لديه فى كلا الحالين . وفى المواقف غير المتشكلة - كالمناقشات المفتوحة مثلاً - فإن سمات الشخصية تكون أكثر وضوحاً فى تحديد الدور الذى يقوم به الفرد أما فى المواقف التى تتصل بمشكلات فنية أو ميكانيكية ، فإن دور السمات الشخصية فى هذه الحالة يكون أقل .

وإذا كانت الشخصية (كنظام من السمات الداخلية) ليست هي المحدد الوحيد للسلوك في الجماعات الصغيرة ، فما الذى نحتاج إلى معرفته أيضاً من أجل التنبؤ بدقة بما سيقوم به الفرد من سلوك .

لقد وجد د كوش ، أن هناك علاقة ثابتة (ولكن ليست كبيرة) بين حاجات الفرد وسماته وبين مايقوم به داخل الجماعات . وكانت السمات التى قاسها تتضمن العلق والتعبير الانبساطى عن الانفعال والعدوان والسيطرة والمسارة والتفاؤل .

حقيقة إن من المفيد معرفة موضع الفرد من هذه السمات ، ولكن لكي يكون التنبؤ بما سيكون عليه سلوك الفرد وسط جماعة ما ، على درجة كبيرة من الثقة ، يلزم أن نعرف أيضاً : (ا) الأساليب الدفاعية التى يستخدمها الفرد (ب) كيف يدرك الآخرين فى الجماعة ؛ هل يحبهم وهل يظن أنهم يشبهونه ؛ هل يظن أن الجماعة جديرة بالتقدير ؛ (ج) ما الضغط الفعلى الواقع عليه ، هل ينتظر منه قيادة الجماعة أو ما هو الدور الذى يقوم به داخل هذه الجماعة .

إذن يلزم معرفة محددات الموقف إلى جانب معرفتنا بسمات شخصية الفرد من أجل أن يتكون التنبؤ بالسلوك أكثر دقة . ومن هنا يذهب البورت إلى وضع شروط أربعة لنسكن من التنبؤ بما يستطيع الفرد القيام به فى موقف من المواقف .

١ - خصائص الشخصية المستمرة .

٢ - الأساليب الدفاعية التى يستخدمها الفرد ودرجة تغليفه لذاته .

٣ - كيف يدرك الموقف الراهن ومقدار تبيده لهذا الموقف

٤ - ما الدور الفعلي الذي يقوم به في الموقف وما الدور المنتظر منه القيام به (١) ،

وبشئ من التحقق نلاحظ أن الشرطين الثالث والرابع يتوقعان على الشرطين الأول والثاني ، فلا يمكن لشخص ما أن يدرك الموقف الراهن أو أن يقوم بما يتطلب منه فعلاً ، إلا في ضوء قدراته وإستعداداته أى أن الشخصية ذاتها تعتبر عاملاً متضمناً في الموقف ذاته .

وقبل أن نختتم حديثنا عن الموقف ، يمكن أن نشير إلى أن محددات الموقف ، قد تتضمن أشياء يمكن أن تتكرر مرات عديدة ، مثلما تتضمن أشياء قد تحدث مرة واحدة . فن المعروف لنا جميعاً أن اكتمال جماعة الأسرة يلعب دوراً هاماً في تشكيل شخصية الفرد وهذه التأثيرات الأسرية ترتبط بما تقرره الثقافة من أدران يقوم بها الآباء والأبناء . لكن قد تحدث أحداثاً فردية ليست ذات طابع عام ، ومع ذلك يكون لها تأثير محدد بالنسبة لشخصية الأفراد . من ذلك مثلاً الطلاق أو كون الأب متقدماً في السن على الأم بكثير ، أو أن عمل الأب يقتضيه التغيب عن البيت لفترات طويلة من الزمن أو كون الطفل هو الطفل الوحيد أو الطفل الأول أو الطفل الأخير أو كونه الذكر الوحيد على مجموعة من الإناث أو الإناث الوحيدة على مجموعة من الذكور . فمثل هذه المواقف الخاصة تلعب دوراً هاماً كذلك في تحديد شخصية الفرد .

توافيق المحددات بعضها على بعض :

تلك هي المحددات الأربعة للشخصية كما وضعها كلوكهون ومورى وشيلدر وهي المحددات التكوينية ومحددات عضوية الجماعة ومحددات الدور ومحددات الموقف ولكن هذه المحددات لا تعمل مستقلة إحداها عن الأخرى بل تعمل متوقعة أحدها على الأخرى فهناك ارتباط واضح بين هذه العوامل بعضها وبعض

(1) Allport, G. : Pattern and Growth in Personality. New York, Holt, 1961. p. 179-180.

وهذا الارتباط يتضح لنا في عديد من الأمثلة . فالملاقات بين المحددات الثقافية والدور والمحددات التكوينية تتضح حين نلاحظ مثلاً أن الطفل في كل مجتمع يتطبع إجتماعياً بصورة مختلفة حسب جنسه ذكراً أو أنثى وكذلك حسب سنه . ومن هنا نجد تمايزات بين شخصيات الرجال والنساء من ناحية وبين شخصيات الأطفال الكبار والصغار من ناحية أخرى .

كما أن العلاقة ظاهرة وواضحة بين المحددات التكوينية والمحددات البيئية والثقافية والإجتماعية . فمكون الإنسان نفسه حيوان ثدي له القدرة على إنتاج الجلوسين ، يخلق لديه الاستعداد الأساسي لإرساء مبادئ الحياة الإجتماعية كما أن طفولة الإنسان الأولى وما هي عليه من ضعف وما تحتاج إليه من رعاية طويلة الأمد لعلمنا أطول مدة طفولة بين السكائنات الحية جميعها ، تدفع الإنسان إلى تكوين الجماعات الأسرية . ومن خلال قيام هذه الجماعات الأسرية تحدث عملية إجتماعية مختلفة كالتلاصق والتنافس والميل إلى المشاركة وغيرها ، وجميعها تتم داخل الإطار الثقافي للأسرة التي يعيش فيها الطفل .

ثم إن الاتجاهات التي تظهر في المجتمع نحو بعض أفراد أو بعض جماعته كالاتجاهات نحو النساء والأطفال والعجزة والمسنين والضعفاء ، سوف تتأثر أيضاً بعوامل كالسن والجنس ، كما تتأثر أيضاً بنسبة المواليد والوفيات السائدة في وقت معين وبالإطار الثقافي السائد في المجتمع .

والارتباط واضح أيضاً بين المحددات التكوينية وكل من عضوية الجماعة ومحددات الموقف . ورغم أن التوائم المتشابهة قد تختلف بدرجة قليلة جداً من الناحية التكوينية والبيولوجية وأنها تشارك في أنشطة الجماعة التي تبدو متشابهة في الظاهر ، فإن العامل الموقف قد يحدث أثاراً مختلفة في خبرات كل منهما ، في تفاعله الإجتماعي مع الجماعة . فلو أن أحد التوأمين فصل عن أخيه لسبب أو لآخر ، ونشأ في بيئة تختلف كثيراً عن بيئة أخيه ولقي تعليماً

مدرسياً عالياً بينما حرم الآخر من هذا القدر من التعليم ، فإن الإحتمال كبير أن نجد اختلافاً واضحاً بينهما في خبراتها رغم تقاربهما في النواحي التكوينية والذكاء .

المحددات خارج الأسرة :

ومن الملاحظ أن معظم علماء النفس الذين اهتموا بدراسة محددات الشخصية ، قد ركزوا اهتمامهم على الفرد والمحددات البيئية داخل نطاق الأسرة ، على حين أن هالك عوامل أخرى كثيرة خارج الأسرة تسهم بدور فعال في تحديد خصائص الشخصية ، وهذه العوامل كثيرة ومتعددة وتتفاعل بدورها مع غيرها من المحددات . وسوف نقصر الإشارة هنا على ثلاثة من هذه العوامل تلعب دوراً هاماً في تشكيل شخصية الطفل وتسهم بدور فعال مع الأسرة في القيام بذلك وهذه العوامل هي : ١ - المدرسة والمدرس ؛ ٢ - جماعة الرفاق أو الشقة : ٣ - وسائل الإعلام المختلفة .

١ - المدرسة والمدرس :

والمدرسة هي البيئة الثانية ذات التأثير المباشر في الطفل بعد الأسرة . وتتم الدول الحديثة اليوم أن يمر كل طفل فيها على الأقل بمرحلة الإلزام حتى يتلقى الحد الأساسي من المعرفة الذي يجب أن يتلقاه كل مواطن . ولكن تأثير المدرسة لا يقف عند حد مرحلة الإلزام ، بل يستمر بعدها إلى المرحلة الإعدادية والثانوية والجامعية .

ومجموعة كبيرة من العوامل تؤثر تأثيراً واضحاً في نجاح الطفل في هذه البيئة الثانية . ولعل أهمها المقدرة اللغوية والذكاء وتفاعل التلميذ مع الآخرين وإحساسه بالنجاح أو الفشل . فاللغة هي الوسيلة الأساسية للتفاهم بين التلميذ ومدرسيه وزملائه ، كما أنها الوسيلة الأساسية لنقل الثقافة والخبرة . فالكلمات

هي أدوات نقل المعرفة ، وعن طريقها يحاول المدرس أن ينمي أنماط السلوك المرغوب فيها لدى الطفل . وبالإضافة إلى المقدرة اللغوية ، فإن الذكاء أو القدرة العقلية العامة تساعد الطفل على حسن التكيف ومسايرة المستوى التعليمي المطلوب وأنه ينمي شخصيته في ضوء تفاعله الناجح مع هذه البيئة . ومن الواضح أن التلاميذ الأغنياء ومن هم دون المتوسط في الذكاء قد يجدون صعوبة في التكيف مع هذه البيئة المدرسية ، ومن ثم فإنهم يحتاجون إلى تعليم من نوع خاص . وبالإضافة لما تقدم من عوامل هناك التفاعل مع الآخرين ومدى مشاركة التلميذ في النشاط داخل الفصل وخارجه وإحساسه بالكفاية نتيجة النجاح في الدراسة . ومن المعروف أن النجاح يولد النجاح عند الطفل ، أما الفشل فقد يشعره بالنقص وقد يدفع به إلى اتخاذ أساليب دفاعية أخرى أو أن يسلك سلوكاً جائحاً أحياناً .

وشخصية المدرس من العوامل الهامة ذات التأثير البالغ في شخصية التلميذ داخل الفصل وخارجه فهو الشخص الثاني الهام بعد الأب الذي يكون له تأثير فعال عند الطفل كما أن الطفل يحاول أن يتوحد لا شعورياً مع المدرس . ويتفق الجميع تقريباً على قبول فكرة أن المدرس بسلوكه يعتبر نموذجاً يحتذى به الطفل . وكثيراً ما يتعرض المدرس للنقد من جانب الآباء إذا انحرف في سلوكه عن المعايير الدقيقة التي يجب أن يتبعها أو يجب أن يكون عليها في نظر الآباء .

ولسكن هل إلى هذا الحد تؤثر شخصية المدرس في شخصية تلميذه . تذهب د ماري أمانورا ، في دراسة لها نشرت ١٩٥٤ - وأشار إليها بوهمان وواش في كتابها الشخصية (١٩٦٢) - إلى أن التلاميذ ومدرسيهم يميلون إلى تلبية شخصية متشابهة . فقد قامت بتطبيق مجموعة من مقاييس التقدير ، على عدد من المدرسين والتلاميذ ، تقيس ٢٢ سمة من سمات الشخصية .

أما المدرسون فقد قام بتقديرهم ثلاثة أو أربعة من زملائهم بينما التلاميذ فقد قام ثمانية منهم بتقدير زملائهم في جزء من البحث ، وقام مدرسوهم بذلك في جزء آخر ووفق نفس المقاييس . وقد وجدت إرتباطات دالة ولماكنها ليست مرتفعة ، مما يوحي بوجود قدر من التشابه بين شخصية التلميذ ومدرسه . إن المدرس المشط قد يستثير النشاط في تلاميذه ويضعهم إلى الميل الإجتماعي والتعاون والمثابرة وغيرها من الصفات ،

ولا يمكن بالطبع أن نقلل من أثر المدرس على التلميذ . فهو مصدر سلطة بالنسبة إليه . وغالباً ما يتقبل التلميذ أفكار استاذة وأراءه دون تمحيص أحياناً . وفي تجربة أجريت على ١٧٣ طفلاً من تقع أعمارهم بين السابعة والثالثة عشر ، طلب من الأطفال المقارنه بين ثلاثة خطوط مختلفة الطول وخط معيارى ثابت وتقرير أيها مساو بالضبط للخط المعيارى الثابت وكان كل طفل يقوم بالتجربة بمفرده ويسجل أجاباته كتابة . وفي جزء ثان من التجربة شارك فيها ٦٧ طفلاً من هؤلاء الأطفال وكان كل طفل يجلس في هذا الجزء من التجربة إلى جوار أحد اساتذته . وكان هناك اتفاق سابق مع الاستاد أن يعطى أجابات خاطئة في سبع مجموعات من الأثني عشرة مجموعة التي يجرى عليها التجربة . فإن غير الطفل لإجاباته في هذه المجموعات السبعة ، اعتبر ذلك دليلاً على أنه يتبع رأى مدرسه ويغير من أجاباته السابقة المدونة . وقد وجد أن حوالي ٤٣ ٪ من الأطفال غيروا رأيهم وأنبعوا رأى مدرسيهم . بينما الآخرون لم يسايروا بطريقة عمياء أساتذتهم . وقد كشفت الدراسة أيضاً أن صغار الأطفال أكثر تأثراً بأحكام مدرسيهم من الأطفال الكبار . وإذا كانت التجربة قد أوضحت وجود بعض الاتفاق والإختلاف بين التلاميذ ومدرسيهم في عملية الإدراك الحسى ، إلا أن الأمر داخل الفصل قد يختلف عن ذلك كثيراً . فقلما يناقش التلميذ

صدق الملاحظات الدراسية التي يقدمها له استاذُه، وقلما يُعتمد على عقله أو حواسه فيما يقدمه المدرس من علاقة ويتقبل هذه المعارف على أنها حقائق ثابتة لا تقبل المناقشة . ومن ثم يتقبلها دون تمحيص في أغلب الأحيان ومن هنا يتضح لنا مدى التأثير الذي يحدثه المدرس في التلاميذ وخاصة بالنسبة للصغارهم .

٢ - جماعات الرفاق :

ومع نمو الطفل اجتماعياً ، تتسع دائرة اتصالاته . فيخرج من نطاق الأسرة واللعب داخل المنزل مع إخوته ، إلى جماعات الأصدقاء والرفاق خارج المنزل . ويولي الآباء اهتماماً كبيراً بأصدقاء أبنائهم وزملائهم في اللعب نظراً لما لهؤلاء من تأثير ملحوظ في سلوك أبنائهم . وتقتصر صداقات الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة على جيرانه ممن هم في مثل سنه . وقد يصبح الأولاد في هذه المرحلة تحت الإشراف المباشر للآباء ولما أن ينمو الطفل ويدخل المدرسة الابتدائية حتى يقل الإشراف المباشر للآباء وتزداد فرص تأثير الطفل برفاقه بشكل أكثر .

والطفل في المدرسة الابتدائية ، تدور علاقاته المتبادلة مع الآخرين حول قطبين : مدرسيه وزملاء فصله . وهو وإن تأثر كثيراً بمدرسه إلا أنه ينظر إليه عادة على أنه شخص كبير ، وأنه مصدر سلطة ، وأنه يخافه ويهابه . أما زملاء الفصل فهم شيء آخر بالنسبة له ، وارتباطه بهم يختلف عن ارتباطه بمدرسه . وإذا كان تأثير المدرس يظل ساعات خلال اليوم الدراسي أو العام الدراسي فتأثير الزملاء قد يستمر طويلاً حيث ينتقل الأطفال في الأغلب معاً من سنة إلى أخرى ويستمر اتصالهم ببعض سنوات عديدة .

وليس ثمة شك أن تأثير الشقة في بعض الأحيان يكون أقوى من تأثير

الكبار أو الوالدين على الطفل فلو حدث صراع بين معايير الكبار ومعايير الشلة ، فإن الطفل يكون أميل إلى مسايرة معايير الشلة . وقد ينظر إلى ذلك على أنه تأكيداً لإستقلاله في النمو عن الوالدين ، ولكن يمكن النظر إليه أيضاً باعتباره إرتباطاً بالشلة وحتى لا يشعر بالعزلة عن الجماعة التي ينتمى إليها .

وتقبل جماعة الرفاق للطفل له تأثير قوى في نموه الإجتماعى . ويبدو أن الفرد لديه حاجة ملحة لتقبل الآخرين له ، وأن هذه الحاجة هى التي تدفعه إلى أن يحاول باستمرار إلى الإرتباط بالجماعة ومسايرتها وعمل ما يعتقد أن الجماعة تريد عمله .

٣ - وسائل الإعلام :

ووسائل الإعلام الحديثة أصبحت تلعب دوراً هاماً في تنمية شخصية الأفراد والتأثير فيهم بشكل ملموس . وليس من السهل التحكم في الوسائل الكبرى للإعلام من كتب ومجلات وصحف وإذاعة وتلفزيون وسينما وغيرها . والمعرفة التي لدينا عن كيفية تأثير وسائل الإعلام المختلفة في الشخصية لاتزال تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث ، كما لاتزال البحوث الخاصة بتأثير التلفزيون على شخصية الطفل في بدايتها . ولكن طالما ان هذه الوسائل تحيط بنا جميعاً وتحدث أثرها بصورة أو باخرى ، فلا بد من دراستها وبحوثها وإن كانت الحقائق التامة لاتزال تحتاج إلى مزيد من البحث .

الكتب والمجلات والصحف :

إن تأثير القراءة واضح في تكوين عقلية الفرد وشخصيته ونحن كثيراً ما نميل إلى تصديق الكلمة المكتوبة أو المطبوعة في كتاب أو صحيفه . وسن التحصيل هى السن التي يكون فيها الفرد عادة أكثر استعداداً لاستيعاب

الكثير من المعلومات التي في الكتب . وينقل الإهتمام بالقراءة إلى حد ما . بعد أن يبدأ الفرد يكسب قوته وتشغله شواغل الحياة ، لدرجة تقتصر معها قراءة البعض على المجلات والصحف اليومية التي تعالج موضوعات يميل إلى قراءتها .

وليس من شك أن القراءة هي التي تفتح أبواب المعرفة أمام الطفل ، وقد توحى له سلوك الدور الذي لم يكن قد فكر فيه بدونها ، قد توحى له بالمرآكز التي يأمل الوصول إليها يوماً ما عندما يكبر . وقد يبدأ في إعداد نفسه لها ، ومن ثم تساهم القراءة في تنمية نظام القيم عنده . وبعبارة أبسط ، أن القراءة توسع من مدارك الفرد وتوقفه على كثير من حقائق العالم المحيط به . والكتب لها تأثير واضح كذلك على اتجاهات القارئ . وعندما تكون الآراء والأفكار التي يقدمها الكتاب لا تتفق وإنجازات القارئ . أو إنجازات الجماعة التي ينتمي إليها فإنها قد تثير عنده موجة من النقد .

التلفزيون والسينما والراديو :

فلما تحدث اليوم عن أثر الإذاعة في سلوك الفرد وتنمية شخصيته . ولكن الإهتمام يتركز في الوقت الحاضر على السينما والتلفزيون وبخاصة هذا الأخير باعتباره الشاشة الصغيرة التي دخلت معظم البيوت والتي يتجمع حولها الأطفال والتي يتأثرون بها تأثراً مباشراً في كثير من الأحيان . وقد ترتفع من حين لآخر أصوات تحذر من الآثار الضارة التي تتركها هذه الوسائل البصرية والسمعية الحديثة في عقول الصغار وما قد يترتب على ما تعرضه من مناظر في نفوس المراهقين والشباب . ولكن لنسأل هل حقيقة لهذه الوسائل البصرية السمعية كل هذا التأثير القوي ؟

ليس ثمة شك أن الوسائل السمعية البصرية قد أخذت تحدث أثرها

كوسائل تعليمية هامة طالما أنها موجهة نحو أهداف تعليمية مرسومة . ولكن الجدال يدور حول ما يعرضه التلفزيون عادة ، والبحوث لاتزال قليلة في هذا العدد . إن المعارضين للتلفزيون — وهم قلة الآن بعد أن أصبح وسيلة الترفيه في البيت — يذهبون إلى أن له مساوئ من الناحية الجسمية والخلقية والتربوية والاجتماعية . إذ يحبس الطفل بين جدران أربعة ويحرمه لفترة طويلة من الزمن من الخروج في الهواء الطلق . كما قد يعرض عليه أفلام الجريمة والعنف والسرقة والجنس مما قد يحدث انطباعات سيئة في نفوس الصغار . ثم أن الطفل بالإضافة إلى كل ذلك يكون مشاهدا مستقبلا وسلبيا لا يقوم بأي نشاط إيجابي ولا يكتسب خبرات إجتماعية كذلك التي يمكن أن يكتسبها من اللعب مع زملائه . أما المؤيدون فيذهبون إلى أن التلفزيون يوسع من مدارك الطفل ويفتح آفاق المعرفة أمامه ويخاطب لديه الكثير من الإهتمامات ويستثير لديه الأفكار المتنوعة العديدة ويثرى خياله ويجعل الروابط بين أفراد الأسرة أقوى خلال الاجتماعات التي يحضرونها معا ، إلى آخر هذه الأفكار التي تشير إلى أن هذه الوسائل الحديثة إذا أحسن توجيهها يكون لها تأثير قوى على شخصية الطفل .

الفصل السادس

نمو الشخصية

ونحن حين نتحدث عن نمو الشخصية فإننا نعني ضمناً أنها ظاهرة تكوينية وأنها عملية نمائية مستمرة ، وأن هناك نظاماً تابعياً من التغيرات التي تطرأ عليها خلال مراحل نموها وتطورها ونحن في دراستنا لهذا النمو ، نتتبع ظهور هذه التغيرات وتطورها ابتداء من المراحل الأولى للحياة حتى الكبر وقد ينصرف الذهن عند الحديث عن النمو إلى المراحل الأولى من حياة الفرد ابتداء من الطفولة المبكرة حتى المراهقة ، على اعتبار أن معظم تراكم الشخصية تظهر وتشكل خلال هذه السنوات الأولى من الحياة . لكن زاد الإهتمام أخيراً بالمراحل التي تلي المراهقة نظراً لكثرة المشكلات الاجتماعية والعملية المرتبطة بتقدم السن . والحقيقة أن بناء الشخصية متغير ومتطور باستمرار . وحتى مع كون التغيرات التي تحدث في الحياة المتأخرة هامشية وبطيئة إلا أنه من الناحية المنطقية على الأقل ، يجب أن نهتم بها كذلك . فالحياة مثقلة ، وما التقسيم إلى مراحل سوى أمر افتراضي نلجأ إليه فحسب بقصد التوضيح وتسهيل الدراسة .

دراسة نمو الشخصية :

يشير لازاروس (1) إلى أن دراسة النمو يمكن أن تسير في اتجاهين يكمل أحدهما الآخر .

الأول : يركز على وصف التغيرات التي تطرأ خلال فترة زمنية معينة

(1) Lazarus, Richards. S. : Adjustment and Personality. (New York Mc Graw-Hill Book Company, 1961.

بالنسبة لخصائص أو تراكيب معينة ، وذلك على نحو ما تفعل النظرية الوصفية أو الشكلية في النمو .

الثالث : يركز على دراسة الظروف الواقعية التي تؤثر في اكتساب ونمو هذه الخصائص أو التراكيب وسوف نوضح كلا منهما ، وكيف يكمل أحدهما الآخر .

الاتجاه الأول يهتم أساساً بوصف التراكيب ونموها وتطورها والتغيرات العادية التي تطرأ عليها خلال مراحل نمو الفرد . وهذه التغيرات ينظر إليها عادة على أنها تحدث بطريقة منتظمة ، وليست بطريقة عارضة ؛ كما أنها يمكن أن تصنف وفق مراحل منتظمة كذلك . ورغم وجود فروق فردية واضحة بين الأفراد في سرعة ونمط التغير ، إلا أن جميع الأفراد يمرون بنفس المراحل . وهذا التطور الذي يطرأ على التراكيب يخضع لقوانين بيولوجية عامة فهو يتبع نمطاً عاماً في الظهور عند الكائن الحي ، كما أن من الممكن صياغة المبادئ العامة التي يسير عليها النمو سواء بالنسبة للكائنات الحية عامة أو الإنسان خاصة .

ويتضح هذا الاتجاه في كثير من الدراسات البيولوجية والفسبولوجية وغيرها . فهو يمثل طريقة لتصنيف ملاحظات معينة يقوم بها العلماء على الكائنات الحية العضوية وأنسجتها في ضوء مبادئ عامة للنمو . فمن الممكن مثلاً أن نتبع - على نحو ما فعل دارون - تطور الأشكال البيولوجية ابتداءً من الكائنات الحية العضوية الدنيا إلى الكائنات الأكثر تطوراً وتقدماً . فمع التغيرات التي تطرأ على التراكيب التشريحية ، يمكن أن نلاحظ تغيرات مصاحبة في نوع الوظائف التي تقدر هذه الكائنات الحية على أدائها والقيام بها . فنوع السلوك التوافقي مثلاً يزداد بانتظام مع تطور الأنواع وتقدمها . وبالمثل يمكن أن نفيد من هذا الاتجاه في مجال الدراسات النفسية ، وفي

دراسة الكثير من العمليات كظهور العمليات الإدراكية والذهنية والحركية وتطورها ونمو الذكاء ونمو أساليب التكيف وغيرها . ويمكن أن نشير في هذا الصدد إلى الدراسات التي قام بها هاينز فرنر Heinz Werner وجان بياجيه Jean Piaget وغيرهما . فقد ذهب فرنر في دراسته للنمو المعرفي إلى أنه يسير من العمومية والإبهام إلى زيادة التمايز والتخصيص حتى يبلغ درجة عالية من التكامل . ومن الممكن أن نجد في سلوك الفرد ما ينطبق عليه مثل هذا القانون البيولوجي العام . فالطفل الصغير لا يكون في بداية أمره قادراً على أن يميز الأشياء في البيئة أو أن يميز نفسه عنها . ثم هو بالتدريج يبدأ يميز الأشخاص عن الأشياء والجمادات ، كما يمكنه بعد ذلك أن يتعرف على الأشخاص وحالاتهم المزاجية المختلفة ثم يمكنه أخيراً أن يدرك نفسه باعتباره متميزاً عن الذوات الأخرى المحيطة به . وكذلك الحال لو نظرنا إلى النمو الحركي عند الطفل نجد أن حركات الطفل تكون عامة ثم تبدأ بعد ذلك في التخصص والتمايز . فالطفل الصغير حين يريد القبض على شيء ما ، إنما يتحرك بكل جسمه ، ولكن مع النمو يبدأ يستخدم اليدين ثم أطراف الأصابع في عملية القبض . والأمثلة بالمثل بالنسبة لعملية أخرى كالكتابة .

وقد قام بياجيه بالعديد من الملاحظات والتجارب البسيطة على الأطفال ودرس الكثير من الأفكار التي تدور بذهن الطفل ، كما درس تطورها مع تقدم السن فدرس فكرة الزمان والمكان والعلية وغيرها . ولاحظ مثلاً أن الطفل يعتقد من مشاهداته للقمر أن القمر يسير معه حيثما سار ، مما يشير إلى نوع من الخلط بين الذات والموضوع الخارجي ، كما لاحظ أيضاً أن الطفل في مرحلة ما من مراحل نموه ، يمكنه أن يميز تمييزاً صحيحاً بين يمينه وشماله ولكنه لا يمكنه أن يحكم حكماً صحيحاً على يمين أو شمال شخص آخر يوقف تجاهه ، فالطفل في المراحل الأولى من النمو لا يستطيع أن يفصل

بين ذاته والأشياء الأخرى ويتصور نفسه بدور في المكان . فإدراك الطفل وفهمه للمكان أذن من النوع الذاتى المركزية (١) Egocentric حسب الإصطلاح الذى وضعه يياجيه نفسه ، ويعنى به أن حكم الطفل يقوم على اتجاه جسمه هو بالنسبة للعالم ؛ ثم مع استمرار النمو يمكنه أن يرتب الأشياء إدراكيا في المكان بصرف النظر عن وضع جسمه هو .

وهكذا يتضح لنا أن الاتجاه الأول في دراسة النمو يتميز بالبحث عن التتابعات النمائية المنتظمة لعمليات النمو ووصف العمليات المتضمنة فيها بوجه عام دون محاولة البحث عن الأسباب العلية التى أدت إلى حدوثها أو الظروف التى تحدث فيها فهو لا يسأل نفسه ما هى الظروف التى تؤثر في تقدم أو إعاقة التغيرات المميزة للنمو . فلا يسأل مثلا عن العوامل الفسيولوجية أو البيئية التى تعجل أو تحرف مظهر أو المظاهر النمائية . ومن هنا ، كان من الضروري - لتكملة فهمنا لكيف ينمو بناء الشخصية - أن يظهر إتجاه آخر يهتم بدراسة الظروف والعوامل المؤثرة في عملية النمو ، ومن ثم ضرورة الاهتمام بالمحددات المختلفة البيولوجية والاجتماعية لنمو الشخصية . ومن الممكن أن نوضح ، بمثال مستمد من نظرية فرويد في النمو النفسى الجنسى ، الفرق بين الاتجاهين وارتباط أحدهما بالآخر .

إن نظرية فرويد من الناحية الوصفية أو الشكلية تصادر على وجود مراحل نمائية عامة للقرينة يمر بها كل فرد ويستدل عليها من أنماط السلوك التى يكشف عنها الطفل خلال السنوات الأولى من حياته . ويسير هذا التقدم والنمو بشكل عادى يخضع لقانون بيولوجى عام ويمر في مراحل منتظمة ابتداء من المرحلة القمية حتى المرحلة التناسلية ماراً بالمرحلة الشرجية

(١) د . سيد محمد غنيم : اللغة والفكر عند الطفل . الكويت عالم الفكر ، المجلد الثانى ، العدد الأول ، إبريل - يونيو ١٩٧١ .

والقنينية على نحو ما هو معروف لنا جميعاً في نظرية فرويد للنمو النفسى
الجنسى .

ولكن فرويد لم يقف مع ذلك ، عند حد الوصف ، بل وجه انتباهه
إلى بعض العوامل والظروف الاجتماعية التى يمكن أن تعوق أو تحرف هذا
المسار الطبيعى للفرصة . فالتدليل الزائد عن الحد والحُرمان الزائد عن الحد
من العطف والحُزَن خلال مراحل نمو الطفل ، قد يكون له آثاره الضارة
على النمو النفسى للطفل ، وبالتالي على نمو شخصيته فيما بعد . فإذا استمرت
الأم مثلاً فى طريق التدليل الزائد بإشباع حاجة الطفل الهسية عن طريق
الإستمرار فى الرضاعة إلى ما بعد السن الذى كان من المفروض أن تتوقف
عنده الرضاعة بوقت طويل ، فإن تقدمه ونموه وانتقاله إلى المرحلة التالية
— وهى المرحلة الشرجية — يمكن أن يعاق . وهذه الإعاقة قد تتردد نتيجة
الخبرات المؤلمة والشديدة التى قد تصاحب المرحلة الشرجية فأتخاذ أساليب
شديدة فى تدريب الطفل على ضبط عمليات الإخراج مثلاً . بينما يسير جزء
من الطاقة الحيوية الدافعة (الليبدو) إلى الأمام نحو المرحلة الشرجية ، إذ
يجزء أكبر منها يظل ثابتاً عند المستوى القمى . وقد يكشف عن مصاحبات
نفسية معينة تظهر آثارها واضحة فى سلوك الفرد وشخصيته .

أما ما هى هذه العوامل التى تؤثر فى النمو ، فإن من الممكن ردها إلى
عوامل تكوينية وأخرى يثية واجتماعية .

وفى حديثنا عن سمات الشخصية أشرنا إلى هذه العوامل التكوينية ، كما
أشرنا إلى الدور الذى تلعبه الوراثة فى هذه الناحية . وإلى الأساليب المختلفة
التي تتبع فى مثل هذه الأحوال كدراسة تاريخ حياة بعض الأسر التى تتميز
بخصائص وصفات معينة . كأسرة الجوكسن التى تميز أفرادها بالشرودج على القانون

وارتكاب الجريمة ، وأثرة الكالبيكالك التي أُناحت دراستها نوعاً من المقارنة الممتعة بين فرعين مختلفين من أسرة واحدة يلتزمان إلى جد واحد هو مارتن كالبيكالك ، وكان أحد الفرعين يتميز أفرادها بالضعف العقلي والانحراف ، بينما كان الفرع الآخر عادياً . كما أجريت دراسات أخرى على أسر تميز أفرادها بالعنفية . وبالإضافة إلى ذلك ، كانت هناك الدراسات التي أجريت على التوائم المتشابهة وغير المتشابهة والإخوة العاديين ومن لا تربطهم ببعض أية رابطة قرابة .

وإلى جانب الدراسات الخاصة بالوراثة ، كانت هناك دراسات أخرى عن أثر العوامل الفسيولوجية في السلوك ، وهذا التأثير قد يكون مباشراً أو غير مباشر . ففي التأثير المباشر يمكن أن يتعدل السلوك العادى أو يتغير نتيجة تلف بصيب الأنسجة أو وظائف أو تركيب الجهاز العصبي . فاضطرابات عمليات الهدم والبناء التي تنشأ عن نقص إفرازات الغدد قد تؤثر بشكل ظاهر في السلوك ؛ كالقلق الزائد أو التبدل والخمول . كما أن تلف أنسجة المخ نتيجة إصابات عضوية أو مرض (كالزهرى مثلاً) قد يحدث فساداً في السلوك التوافقي للفرد ، وبالتالي قد يحدث تغيرات ملحوظة في علاقة الفرد بالآخرين .

أما التأثير غير المباشر فيتضح أثره عندما لا تحدث العوامل الفسيولوجية المتضمنة آثاراً سلوكية معينة ، وإنما يكون لها نتائج وآثار اجتماعية تؤثر بدورها في شخصية الفرد وتغير من سلوكه ، فالإعاقة الجسمية مثال واضح لهذا التأثير غير المباشر . فقد تحدث استجابات مختلفة في الآخرين تجعل المعوق يشعر بالعجز ويحاول تعويض القصور عنده أو الإنسحاب من تكوين روابط اجتماعية أو التمسك بأهداب أحد أساليب التكيف العديدة . وقد سبق أن أوضحنا أيضاً أن العوامل الفسيولوجية والتكوينية لا تحدث أثرها وحدها في نمو الشخصية ، بل هناك أيضاً العوامل البيئية

والاجتماعية . فالشخصية دالة أو وظيفة لهذين العاملين معاً على نحو ما أوضح البورت وغيره من الباحثين . وقد أدى زيادة الإهتمام بدراسة كل عامل على حدة إلى إغفال الأهمية النسبية للعامل الآخر والتفاعل المتبادل بينهما . فعالم النفس الفسيولوجي يميل إلى التركيز على ناحية الدراسة المستقلة للتغيرات الفسيولوجية ، بينما يميل عالم النفس الإجتماعي إلى التركيز على ناحية الدراسة المستقلة للعوامل الاجتماعية رغم معرفة كل منهما بالدور الهام الذي يحدث نتيجة التفاعل المتبادل بين هذين العاملين .

وفي دراستنا للمحددات الاجتماعية للشخصية أشرنا إلى محددات عضوية الجماعة ومحددات الدور الذي يقوم به الفرد في الحياة ثم محددات الموقف . ومن الممكن أن نضيف هنا نقطتين : الأولى تتصل بطبيعة ومدى تأثير هذه العوامل في السلوك وبالتالي في نمو الشخصية والثانية تتصل بكيفية انتقال هذا التأثير .

أما فيما يتصل بطبيعة ومدى تأثير هذه العوامل الاجتماعية في نمو الشخصية ، فإن النمط الثقافي كسكل له تأثير واضح في سلوكنا وفي نمو شخصياتنا زمانياً ومكانياً . فالأنماط الثقافية — من الناحية الزمانية — قد تغيرت وتغير باستمرار ، فما كان مناسباً لزمان مضى ، قد لا يناسب الزمن الحاضر والمرأة إلى عهد قريب لم يكن لها حق التصويت في كثير من بلدان العالم وكانت تفرض القيود على حريتها في الحركة والعمل وعلاقاتها المهنية والزواج وهذه التغيرات الزمانية التي طرأت على النمط الثقافي العام ترتبط بتغيرات في السلوك وفي خصائص الشخصية للأفراد الذين عاشوا ويعيشون تلك الحقب الزمانية المختلفة .

وإلى جانب الاختلاف الزماني للأنماط الثقافية ، هناك البعد المكاني .

ولعل أحد الواجبات الهامة لعلماء الأنثروبولوجيا هو الكشف عن هذه الثقافات المختلفة في أنحاء العالم ووصفها . وقد كشفت دراسات و مرجريت ميد ، و روث بندكت ، وغيرهما من كبار الأنثروبولوجين عن اختلافات واضحة في أنماط الثقافة في القبائل البدائية وانعكاس ذلك كله على سلوك الأفراد وبالتالي على شخصياتهم .

أما كيف ينتقل هذا التأثير ، فإن المجتمع يتبع على ما يبدو طريقتين في التأثير على الفرد لعل أقلهما خطراً بالنسبة لنمو الشخصية هو طريق التربية الشكلية التي تتم عن طريق الجهد المنظم من جانب المنظمات الاجتماعية المختلفة ، والمدرسة بوجه أخص لتعليم الأجيال الجديدة تراث الأجيال القديمة وما يزيدون عليه من خبرات الجيل الذي يعيشونه . أما الطريق الآخر — ولعله آخرها نظراً لحدوثه في سن مبكرة وتركه آثاراً ليس من السهل استئصالها من نفس الطفل — فيتم من خلال التربية غير الشكلية عن طريق عملية « التوحد » مع الكبار المحيطين به وخاصة مع الآباء وعن طريق هذه العملية يمتص الطفل الكثير من معايير الجماعة وقيمها وترسب في نفسه الأصول الثقافية التي يريد الكبار طبعها في نفس الصغير .

وقد يحدث أحياناً صراع بين ما يتعلمه الطفل في تربيته الشكلية التقليدية وما يكتشفه خلال وسائل الإمتصاص غير الشكلية . فقد يتعلم عن طريق اللفظ والتعريف أن الأمانة والنزعة الإنسانية أمور أساسية وضرورية ، ولكنه في الوقت نفسه يكتشف أن الكبار من حوله يخدعون الناس أو يسلكون تجاه بعضهم البعض سلوكاً يتنافى والنزعة الإنسانية . فهو من الناحية الشكلية يتعلم ما يجب أن يؤكد صراحة باعتباره السلوك المناسب أو القيم الضرورية ولكنه من الناحية غير الشكلية يتمثل القيم الواقعية وأنماط سلوك الآباء الكبار حوله .

والواقع أن أهم وسائل نقل الثقافة تأثيراً في نمو الشخصية هي العلاقة بين الطفل والديه . وتتضح أحد مظاهر هذه العلاقة في أساليب تربية الطفل وتدريبه خلال حياته داخل الأسرة والتي تعكس بالفعل ثقافة الأسرة وثقافة المجتمع الكبير .

أما كيف يمتص الطفل الثقافة وتصبح جزءاً من ذاته وتشكل جانباً من نمو شخصيته ، فقد قدم الباحثون في دراسة الشخصية إجابات كثيرة لتفسيرها ، نشير إلى أهمها :

إن فرويد مثلاً قدم أفكاراً محددة عن كيف ولماذا يحدث الإمتصاص . فهو يعتبره جزءاً من عملية تكوين الأنا الأعلى . ويحدث التلبس الأساسي لتكوين الأنا الأعلى عند الطفل (والذي يحوى الضمير والأنا المثلى) أثناء المرحلة القضيبية ، ويرتبط بالصراع حول عقدة أوديب والخوف المصاحب له من انتقام الأب . فقلق الإخصاء castration anxiety يؤدي بالطفل إلى البحث عن نوع من العلاقة الطيبة التي تستند إلى نوع من المهادنة مع الأب ، عن طريق إنكار الميل الجذسى نحو الأم وكتبته ، وعن طريق التوحد مع قيم الأب في عملية تعرف باسم التوحد الدفاعى أو التوحد منسج الممتدى Identification with the aggressor . فمن طريق التوحد مع المعتدى وإدماجه وأن يصبح مثله ، يشعر الطفل أنه أصبح في مأمن من أسخطار الأعداء والانتقام ، وبذلك يتخلص من الخوف والقلق . وعلى ذلك فالوليم يمتص صورته عن الأب ويصبح شبيهه . وتقوم البنت بسلوك أو عملية مماثلة مع الأم . وعلى الرغم من أن المحللين النفسيين في الوقت الحاضر يذهبون إلى أن تكوين الأنا يبدأ قبل نمو مشكلة أوديب ، ويمكن أن يتم مستقلاً عنها ، فإن محاولة حل عقدة أوديب لا تزال هي حجر الزاوية في التوحد مع قيم الأب وإدماجها في الذات .

وثمة تفسير آخر لعملية الإدماج هذه يأتي من جانب نظرية المثير والاستجابة في التعلم . فالمؤيدون لهذه النظرية يذهبون إلى أن القلق له أهمية بالغة في العملية العادية للتطبيع الإجتماعي . والآباء يعالجون القلق عند الطفل عن طريق الثواب (بالموافقة أو غيرها من الأساليب) إذا كان سلوك الطفل يتفق والنمط الثقافي ، وبالعقاب (عدم الموافقة أو غيرها من الأساليب) إذا كان سلوك الطفل لا يتفق والنمط الثقافي ، وعدم الموافقة يخلق القلق عند الطفل لأنه لا يكون بمثابة تحذير له أن الآباء قد يمسكون عن إشباع حاجاته الأولية أو قد يؤذونه بطريقة أو بأخرى .

وكلا التفسيرين السابقين يؤكد ناحية أساسية عن علاقة الطفل بوالديه هي عجز الطفل وقوة الآباء . فالآباء لهم أهمية كبيرة وهائلة في نظر الطفل ، فهم الذين يدفعون عنه ويحمونه ، وهم مصدر كل ما هو سار أو ضار . وحسب نظرية فرويد ، فالطفل يخاف انتقام الأب ، لأن الأب قوى إذا قيس بضعفه هو ، ولذا فقيم الخوف من الانتقام . أما بالنسبة لنظرية التعلم والربط بين المثير والاستجابة ، فإن الآباء قادرون على إحداث القلق لأن الطفل يعتمد عليهم كلية من أجل أمنه وطمأنينته كما يؤكد الفرويديون المحدثون أيضاً ناحية الإحساس بالعجز وعدم الطمأنينة والإحساس بالوحدة عند الفرد وبخاصة وهو صغير السن .

ولكن مع نمو الطفل ، يقل تأثير الآباء . فمع المراقبة لم تعد مصادر القوة في الطفولة تعمل بشكل مباشر . وتنوقف الطاعة هنا إلى حد بعيد على ما سبق أن حدث من امتصاص من قبل ويحس الآباء عادة بالميل المتزايد إلى الاستقلال والاعتماد على النفس . ومع ذلك ، ورغم أن قوة الكبار وسيطرتهم قد قلت إلى حد كبير حين يصل الفرد إلى مستوى البلوغ . إلا أن الشخص الناضج لا يزال يدين بالفضل للكبار في سيرة في طريق الأمن والطمأنينة

والخلاصة أنه يمكن النظر إلى نمو الشخصية في ضوء هذين الاتجاهين الوصفي الذي يقتصر على وصف تراكيب الشخصية ونموها في نظام متتابع والمراحل المختلفة التي تمر بها ، ثم الاتجاه العكسي الذي يحاول أن يبحث عن الظروف والأسباب التي أدت إلى أن يسير النمو المنتظم أو أن يحدث له إعاقات أو أن ينحرف عن سيره الطبيعي . والحقيقة أن النظرة السائدة اليوم هي تلك التي تجمع بين الاتجاهين : نصف ونفسر ؛ وبذلك نلقى الضوء على التغيرات وعلى التراكيب المختلفة التي تطرأ على نمو الشخصية .

هل الوليد شخصية :

وأول ما يتبادر إلى الذهن من أسئلة عن دراسة نمو الشخصية هو : هل الطفل الوليد شخصية ؟ ، الحقيقة أن من الصعب الإجابة عن مثل هذا السؤال . لقد ذهب ستاجنر (١) في ضوء تعريفه للشخصية بأنها : نمط الفرد الداخلي للانفعالات والأفكار والإعتقادات والتوقعات المتصلة بالشخص نفسه والبيئة التي تعيش فيها ، إلى الإجابة بالإيجاب عن هذا السؤال . إن التمييز بين الذات والبيئة يحتمل أن يتحدد بوضوح فيما بعد ، وربما خلال العام الثالث من حياة الطفل . ومع ذلك فعلى أسس منطوية بحثه ، يجب أن ترتبط الشخصية برابط وثيق بالكائن الحي العضوي . ومن ثم يمكن القول بأن لها نوعاً من الوجود منذ اللحظة الأولى للولادة . وبسبب الصدمة المؤلمة للولادة يمكن القول بأن الوليد يمكنه أن يعمم توقعاته على بيئته وأنها سوف تكون غير سارة وقاسية وهذا التوقع يخضع بلا شك للتعديل السريع ، نتيجة الخبرات السارة التي تمر في الأغلب بينه وبين الأم بعد ذلك .

ومن الميلاد وما بعده تبدأ الفروق الفردية في الشخصية تكون ملحوظة .

(1) Stagner, R : Psychology of Personality. New York. Mc Graw-Hill Book Company Inc. 1961.

فالأطفال يختلفون في كمية الصراخ والابتسامة والنشاط الحركي ، كما يختلفون أيضاً في نوع المثيرات التي تثير هذه الأنشطة . إنهم جميعاً يخضعون لمبدأ حفظ التوازن الداخلي ولكن يبدو أن كل واحد منهم يقوم به على طريقته الخاصة .

وهناك من علماء النفس من يخالف هذا الرأي . مثلاً سوليفان (١) في ضوء نظريته عن العلاقات الشخصية المتبادلة يذهب إلى أن الشخصية لا تتكون في سن مبكرة . وأن من الممكن أن تتغير في أي وقت عندما توجد مواقف جديدة تضمن علاقات شخصية متبادلة وذلك لأن الكائن العضوي البشري على درجة كبيرة من المرونة والقابلية للتشكل .

أما البورت (٢) فقد أخذ موقفاً وسطاً تقريباً . فهو يذهب إلى أن من الصعب القول بأن الوليد شخصية نظراً لإقتضاره إلى التنظيم الأسامي للأجهزة النفسية الجسمية . ومع ذلك يمكن القول بأن الوليد لديه الإمكانيات المعينة للشخصية والتي تتمثل فيما لديه من قدرات مختلفة تسير في سبيل التكوين والنمو . أي أن الوليد لديه المادة الخام ، التي تتكون منها الشخصية وأن هذا التنظيم للأجهزة النفسية والجسمية يحتاج إلى زمن .

أما المادة الخام التي يولد الطفل مزوداً بها والتي منها تنمو شخصيته فهي في نظره ، الجسم والزواج والذكاء . وهي نواحي ترتبط ارتباطاً كبيراً بالعوامل الوراثية وإن كان ذلك لا يبعد تأثيرها بالعوامل البيئية المختلفة كالنذية والصحة والمرض والتعلم .

وسوف نشير باختصار لهذه المكونات الثلاثة التي يعتبرها البورت

(1) Sullivan, H.S: The Interpersonal theory of Psychiatry. New York, Norton 1958.

(2) Allport, G.: Pattern and Growth in Personality. New York Holt, 1961.

بشأن المادة الخام للشخصية ثم نوضح أثر كل من عامل النضج والتعلم في نمو الشخصية .

إن علاقة التوافق الجسمية والمزاجية بالشخصية - موروثة منذ أيام اليونان القدامى ولدى فلاسفتهم في صورة الأنماط أو الأمزجة الأربعة . وفي حوالي سنة ٤٢٥ ق م وصف أبقراط نمطين جسميين متقابلين أطلق علي أحدهما النمط النكبي (السمين ، والقوى ، والمضلي) والنمط السلسي (الخزيل ، والضعيف) . وقد وجد أن النوع الأول أميل إلى القابلية للإصابة بالسكتة القلبية ، بينما النوع الثاني يكرن أميل إلى القابلية للإصابة بالشلل . والله وصف النوعين أو النمطين ، بإعتبارهما مختلفين من الناحية المزاجية والجسمية . وخلال القرون التي أعقبت ذلك ، ظهرت أنماط أقل أو أكثر تشابهاً بأنماط أبقراط ، بعضها يقول بتقسيمات ثنائية وبعضها يقول بتقسيمات ثلاثية .

وخلال القرن التاسع عشر ظهرت إحياءات لفكرة الأنماط القديمة وكان معظمها قريب من التقسيم الفرنسي الذي قال به روستان Rostan (١٨٢٨) والذي قسم الناس إلى أنماط ثلاثة هي : الهضمي أو الحشوي digestive والمضلي muscular والتنفسي - المخي respiratory-cerebral .

ولنتذكر فكرة الأنماط في صورتها الحديثة إلا ويذكر اسم الطبيب النفسي الألماني كرتشمير والذي تعتبر فكرته إحياء لفكرة المدرسة الفرنسية على نحو ما أوضحها روستان . غير أن كرتشمير أضاف مصطلحات جديدة تسمى النمط الحشوي باسم النمط البدني لأول مرة وأخذ بالنسبة الرياضى ، ودوالواهن ، بالنسبة للنوعين العامين الآخرين . وقد أدت دراسة كرتشمير إلى تقسيم الناس إلى نمطين كبيرين من أنماط الشخصية وذلك على أساس دراسة التكوين الجسمي والمزاجي للرضى بالجنون الدوري ١٧ - سيكولوجية الشخصية

والفصام . فقد ربط بين الشخصية الدورية المزاج وبين النمط البدني جسمياً . كما ربط بين الشخصية الفصامية المزاج والنمط النحيل . ومعنى هذا في نظر كرتشمير أن أنماط الشخصية وأنواع المرض العقلي عنده ، هي أنماط بيولوجية تتحدد بالتكوين البيولوجي للفرد أي بما ورثه الفرد من صفات وخصائص جسمية وما ورثه من نسبة إفرازات الغدد وطبيعة تكوين جهازه العصبي . وهكذا وسع كرتشمير مفهوم النمط إلى ما وراء النواحي التكوينية المورفولوجية لتشمل النواحي المزاجية في الشخصية وبذلك أفاد من عمله كطبيب عقلي في الربط بين النواحي الجسمية والمزاجية والشخصية .

ولكن دراسة كرتشمير كانت تقتصر إلى الوسائل الدقيقة لقياس الصفات الجسمية ، كما أنه أغفل عاملاً هاماً له تأثيره وهو عامل السن . فحالات الفصام تميل إلى الظهور في سن مبكرة عن تلك التي يظهر فيها عادة اضطرابات الهوس والإكتئاب ، وفي وقت تميل فيه بنية الجسم إلى الوهن والنحالة .

وثمة محاولة أخرى هامة قام بها شيلدون^(١) . وقد بدأ دراسته لهذه المشكلة عندما كان يعد رسالة الدكتوراه التي تقدم بها ١٩٢٤ . وقد اتخذ شلدون منهجاً أكثر دقة وتفصيلاً ولجأ إلى التصوير الفوتوغرافي لأعداد كبيرة جداً من الناس كان من بينهم حوالي أربعة آلاف طالب بالجامعة . وقد قسم شلدون الشخصية إلى أنماط مزاجية ثلاثة يقابل كل منها نمطاً جسمياً معيناً . وبذلك عاد إلى التقسيم الثلاثي الذي اصطنعه كرتشمير عند وضعه لنظريته (وهي : النمط : البدني والرياضي والنحيل) أما الأنماط الجسمية التي وضعها شلدون فهي :

١ - النمط الداخلي التركيب ويقابل النمط البدني عند كرتشمير . والفرد

(1) Sheldon, H. William : Constitutional Factors in Personality.
in J. Mc-V. Hunt : Personality and the Behavior Disorders ,
New York, The Ronald Press Company, 1944, vol. 1, chap. 17.

فيه أميل إلى الاستدارة الجسمية . فيكون قصير القامة نحلاً . ولكنه ضعيف نسبياً من ناحية نمو المظام والمضلات . . .

٢ - النمط المتوسط التركيب ويتقابل النمط الرياضي عند كرتشمير . والفرد فيه من النوع المتناسق المقتول المضلات القوي الجسم .

٣ - النمط الخارجي التركيب ويتقابل النمط الواهن عند كرتشمير . والفرد فيه أميل إلى الضعف من الناحية العضلية ، كما يكون واهناً في تكوينه الجسمي . وكل نمط من هذه الأنماط الجسمية يقابله نمط مزاجي أساسي وذلك على النحو التالي :

١ - النمط الحشوي الأساسي ويرتبط عادة بالنمط الجسمي الداخلي التركيب . والفرد فيه يكون أميل إلى حب الراحة والاسترخاء ، والاستجابة ببطء وحب الأكل ، كما يميل إلى الاختلاط والآلفة بالآخرين والاحساس بالحاجة إليهم عندما يقع في مشكلة . هذا بالإضافة إلى الميل إلى النوم العميق .

٢ - النمط الجسمي الأساسي ويرتبط عادة بالنمط المتوسط التركيب . والفرد فيه يكون أميل إلى توكيد الذات وحب الحيوية والنشاط البدني والحاجة إلى المراتب وحب السيطرة والمخاطرة ، شجاع يميل إلى النشاط والعمل عندما يستثار .

٣ - النمط المخي الأساسي ويرتبط عادة بالنمط الجسمي الخارجي التركيب والفرد فيه يكون أميل إلى التوتر في أغلب الأحيان وإلى سرعة الاستجابة ، قلق ، مكبوت ، كتوم ، منطوي في تفكيره ، قليل النوم ، يميل إلى الوحدة والإعزال عندما يقع في مشكلة .

وقد ذهب شلدون في دراساته الأولى إلى أن هناك درجة عالية من الإرتباط بين النمط الجسمي والنمط المزاجي ، وإن أوضحت الدراسات التي تلت ذلك مبالغة واضحة فيما ذهب إليه شلدون . وعلى العموم فهناك علاقة ظاهرة بين كل من التكوين الجسمي والمزاجي والشخصية ،

أما الذكاء وهو المكون الثالث الذى أشار إليه البورت ، فليس ثمة شك فى وجود علاقة وثيقة بينه وبين الشخصية . والسبب الذى من أجله اعتبره البورت مادة خام للشخصية هو ارتباطه الوثيق بالجهاز العصبى المركزى ، وهو جهاز مولد مزودين به شأنه فى ذلك شأن الجهاز الغددى الذى يكمن وراء البناء الجسمى والمزاجى .

ولا يمكننا القول إلى أى حد يختلف الجهاز العصبى عند فرد عنه عند آخر عند بداية حياة كل منهما . والواقع أن هناك اختلافات كبيرة فى عدد خلايا المخ الموجودة من حيث تنظيمها ، وعمليات الهدم والبناء والوصلات والروابط بينها . والدراسات التى ذهبت إلى وراثة الذكاء متعددة وهى تقوم أساساً على دراسة تاريخ حياة بعض الأسر التى يتميز أفرادها بالعبقرية أو الضعف العقلى (مثل أسرة الكاليلك) وكذلك على الدراسات التى أجريت على الحيوانات والتى تشير إلى إمكان تربية أو تنشئة سلالات ذكية أو غبية من الفئران خلال أجيال قليلة عن طريق التربية المنتقاة للفيران (تجارب تايرون ١٩٤٠ على تعلم اجتياز المتاهات) ، ثم الدراسات التى أجريت على التوائم المتشابهة وغير المتشابهة والتى تشير إلى وجود ارتباط عال بين ذكاء التوائم المتشابهة (٠.٩٠) ، على حين أن هذا الارتباط يكون أقل بين التوائم غير المتشابهة أو الأخوة العاديين (٠.٥٠) ، وأخيراً تتبع دراسة طفل معين أو أطفال معينين منذ بداية حياتهم حتى سن متقدمة ، وتقوم مثل هذه الدراسة التتبعية على افتراض أن الذكى سوف يكون فى مستقبل أيامه رجلاً ذكياً ، بينما الطفل الغبى سوف يكون رجلاً غيباً كذلك . ومن قبيل ذلك ما قام به سونتاج وباركر ونلسون (١) لدراسة « النمو العقلى ونمو الشخصية » : دراسة طويلة .

(1) Sontag L.W., Barker, C.T. & Nelson V.L. : Mental Growth and Personality development : a Longitudinal Study, Monogr. Soc. Res. Child Developm. 1958, 23, No 68.

والتي قاموا فيها بقياس ذكاء نفس الأطفال سنة بعد أخرى ابتداء من سن الثالثة حتى سن الثانية عشرة . وقد كشفت هذه الدراسة أن الذكاء على نحو ما بقيسه اختبارات الذكاء في سن الثالثة لا يفي جيداً عما سيكون عليه عند ما نعيد قياسه في سن الثانية عشرة ، إذ كان معامل الارتباط بينهما ٠٤٦ ، بينما كان معامل الارتباط بين نسب الذكاء في سن السادسة وسن الثانية عشرة حوالي ٠٧٣ . وكان الارتباط بين نسب الذكاء في سن الحادية عشرة وسن الثانية عشرة حوالي ٠٩٠ .

والذي يهمنا من هذه الدراسة هو البحث عن الأسباب التي أدت إلى فقد بعض الأطفال أو كسبهم درجات في نسب الذكاء في الأعوام المتتالية . وقد وجدت علاقة واضحة بين ذلك وسمات الشخصية . فهؤلاء الذين كسبوا درجات أكثر كانوا من النوع الذي يتميز بنط شخصياتهم بسمات كالاعتماد على النفس والمبادأة والميل إلى المنافسة ، بينما هؤلاء الذين فقدوا بعض درجاتهم كانوا في الأغلب يتميزون بسمات عكس ذلك .

إذن فالعلاقة بين الذكاء والشخصية لا يمكن إنكارها . واستغلال المواهب العقلية لدى الفرد يحتاج إلى دفعة من الجوانب المختلفة للشخصية . ففي دراسة تقيمية قام بها ترمان وأوديني ، على ٧٥٠ طفلاً من الموهوبين استمرت عشرين عاماً بعد قياسهم عقلياً لأول مرة ، لاحظ الباحثان أن بعض هؤلاء الأطفال قد نجح نجاحاً ملحوظاً في شق طريقه في الحياة ، بينما فشل بعضهم الآخر . وقد درس الباحثان أسباب ذلك رغم ارتفاع ذكاء كل من المجموعتين . وقد أمكن الكشف عن سمات مختلفة للشخصية لدى أفراد كل من المجموعتين . فالمجموعة التي شقت طريقها في الحياة ، كانت تتميز بأنها أكثر اهتماماً بعملها ، كما قدم زملاءهم بأنهم أكثر مثابرة وثقة بالنفس وأنهم أكثر تكاملاً في تحقيق أهدافهم . ومن ذلك أيضاً القدرة العقلية كـ

تعمل بكفاية يجب أن يصحبها سمات معينة للشخصية تدفعها إلى زيادة بذل الجهد والنشاط .

ومعنى ذلك أيضاً أن الذكاء لا يتحدد كلية بعمل الجهاز العصبي المركزي والعوامل الوراثية ، بل أن الدوافع وسمات الشخصية الأخرى يمكن أن تغير في النتيجة . فالمعاملة في البيت والإستثارة في البيئة والتشجيع والثواب والعقاب كلها عوامل تسهم في تقديم مستوى أعلى من الأداء بالنسبة لطفل عنه بالنسبة لطفل آخر .

تلك هي المواد الخام التي منها يتكون بناء الشخصية . أما إلى أي حد تخضع لتأثير العوامل الوراثية أو البيئية ، فقد سبق أن أوضحنا أن الشخصية أو أي نظام آخر كالعادات والسمات ، هي دالة أو وظيفة للوراثة والبيئة معاً ، وأن العلاقة بين هذين العاملين ليست علاقة إضافة ، بل علاقة ضرب وتضاعف . فإذا كان أحد طرفي العلاقة يساوي صفراً ، كان معنى ذلك أن الناتج يساوي صفراً .

النضج والتعلم

وإذا كان للوراثة تأثير هام على تشكيل الشخصية ، وبخاصة فيما يتصل بتلك النواحي التي تعتبر بمثابة المادة الخام للشخصية ، فإن الشخصية لها تاريخ ، إبتداء من هذه المادة الخام ويمر بفترة من النضج تنمو خلالها بالتدرج على نحو ما يحدث بالنسبة للقدرات الجسمية والعقلية المختلفة . ومع النضج يسير التعلم ويقوم على أساسه . ومن هنا يتبين لنا أن هذه المادة الخام التي يولد الفرد مزوداً بها ، يطرأ عليها التعديل نتيجة عوامل متعددة . وتكون نتيجة هذا كله استجابات مميزة للفرد ، تجعل منه شخصية لها خصائصها وصفاتها المميزة .

والنضج هو التفتح الطبيعي الذي يطرأ على الكائن الحي دون ما حاجة إلى

تتميز أو تفهيم أو بذل جهد من جانب الفرد. فالزاد الذي يولد للفرد موزداً به يحتاج إلى فترة من النضج كي تتضح معالمه وآثاره . وهذا ما نلحسه بوضوح في نواحي كثيرة عند السكائن الحى ، فالجهاز العصبي كسكل ينضج ويتفتح من ناحية قدرته على الاحتفاظ بآثار الخبرات والتكيف المعقول مع المواقف الجديدة . وليس يغنى علينا نواحي النضج التي تطرأ على النواحي الحسية الحركية عند الطفل والتي تظهر آثارها بوضوح في عمليات كالمشي وتسلق السلالم والتجسس على الأشياء والكلام ، وتجارب أرنولد جيول ، في هذا الصدد معروفة للجميع . فقد درب مجموعة من التوائم على صعود السلالم حين كان عمرهم ٤٦ أسبوعاً واستمر هذا التدريب لفترة ستة أسابيع ، ولمدة عشر دقائق يومياً . أما المجموعة الأخرى من التوائم فقد تركها دون تدريب أى تركها تنمو نموها الطبيعي . وقبل نهاية المدة أعطاها تدريباً لفترة أسبوعين ولمدة عشر دقائق أيضاً ثم اختبر المجموعتين من التوائم في صعود السلالم . فلم يجد فروقا محسوسة بين تلك المجموعة الأولى التي دربت قبل أن تصل إلى قدر كاف من النضج ، والمجموعة الثانية التي تركت تنمو نمواً طبيعياً وأخذت قدراً بسيطاً من التدريب ومن هنا يتبين أن التدريب الذي لا يقوم على أساس من النضج لا يكون مجدياً ، وأن التعلم يجب أن يسير النضج حتى يكون مشمراً ومفيداً .

ويساهم النضج في نمو الشخصية وذلك عن طريق كشف السمات الموروثة سواء من ناحية التركيب الجسمي أو سمات المزاج والمواهب والقدرات العامة على التعديل الذكي للسلوك . وهذه كلها تنمو وفق قدرة فائقة كامنة لدى السكائن الحى .

أما كيف تنمو الشخصية ، فهذه أساساً هي مشكلة التعلم . إن التعلم يتضمن كل صور الإكتساب والتعديل التي تطرأ على الفرد خلال مراحل نموه . فمن تعلم ما لا يحد منه من الأشياء ، تتعلم المشي والكلام والتعمق وقراءة السجلات

ونحب السكرة ، وتعلم أيضا كيف نقرأ ونكتب ونفهم حتى الخطابات وكيف
تذكر الحقائق المختلفة وأرقام التليفونات وحفظ الشعر ، وتعلم كذلك
كيف نأكل وكيف نساله في المواقف المختلفة ، تعلم الأخلاق ونكتسب
القيم والإجماعات والميول والأفكار الجديدة والمعاني واللغات الأجنبية ،
تتعلم الدوافع الجديدة المكتسبة في حياتنا وفواحي الطموح والآمال .
وباختصار نحن نكتسب سمات شخصياتنا وانجماواتنا ونرسم لانفسنا
أسلوبنا وفلسفتنا في الحياة .

وفي الحقيقة قد يتعذر على نظرية واحدة من نظريات التعلم الموجودة ،
أن تفسر كل هذه الأشياء العديدة التي نتعلمها . فهي - على نحو ما يذهب
البورت - تنظر إلى الحقائق من جانب واحد وتفتقر إلى النظرة الشاملة التي
تضم صوراً عديدة من التعلم . ونظرية التعلم التي نفسر في ضوءها نمو الشخصية
ترتبط في الحقيقة بنظرتنا لطبيعة الإنسان فإذا نحن نظرنا إليه على أن هناك
قوى خارجية تجذبه وتدفعه ، فإن مبادئ التعلم التي نفسره في ضوءها تكون
شبه ميكانيكية على نحو ما يتضح في نظرية المثير والاستجابة التي تركز على
وجود قوى فيسيولوجية بسيطة أو حوافز . وفي هذه الحالة يمكن أن نفسر
نمو الشخصية في ضوء الآثار والإقتران الشرطي وإعادة التوازن ونعطي المثير
والتدعيم والتكرار والأدوية والحداثة وكلها مبادئ معروفة في سيكولوجية
التعلم موهي مبادئ - تبدو في نظر البورت - مقبولة إلى حد ما في تفسير
التعلم عند الحيوان وعند الطفل الصغير ، ولكنها تبدو قاصرة في تفسير التعلم
عند الكبار وفي المراحل الأكثر تقدماً في نمو الشخصية والتي تتطلب النظر
إلى الشخص النامي الناضج باعتباره يتقدم ويرتقي في ناحيتي التأديب والتكامل .
والعلم هو الذي يحدد هذين النوعين من التفسير في النهاية ، ويؤدي إلى تنظيم

رغم أن هذه الأجهزة الأكثر دقة (الفايز) في ترتيب هرمي لهذه الأجهزة داخل الشخصية ككل (تسكامل) . وهذا يتطلب وجود مبادئ أخرى بالإضافة إلى نظام الحوافز وهي مبادئ تنظيمية معرفية على نحو ما يذهب البورجس . ومن المفيد أن نشير باختصار إلى نظرية البورت في التعلم عن طريق الحوافز والمبادئ التنظيمية المعرفية وأثرها في بناء ونمو الشخصية :

(١) التعلم عن طريق الحافز وخفض التوتر (١) :

يعتبر البورت الحافز Drive عاملاً أولياً في خفض الحاجة . ويستمد الحافز مصدره من مثير عضوي داخلي له إلحاح خاص . ويقوى بشكل ملحوظ حتى يدفع الكائن الحي العضوي إلى القيام بالسلوك الذي يؤدي إلى خفض حدة التوتر الناشئ . فالمثير الذي يتطلب الإشباع يحدث حالة من التوتر وعدم الاستقرار داخل الكائن الحي . وهذا المثير إما أن يعبر عن حالة إحتياج ونقص في العناصر الكيميائية للجسم كنقص كمية الغذاء أو كمية السكر في الدم ؛ أو يعبر عن زيادة الإثارة الناشئة عن ضغط الفضلات أو الإفرازات داخل الجسم كالحافز إلى التبول والإخراج أو الإشتهاء الجنسي . ونتيجة لوجود المثير من أى نوع كان ، يقوم الكائن الحي بالنشاط الذي يهدف من ورائه إلى خفض حدة التوتر الناشئ عن وجود الإثارة . وإذا تساءلنا كيف تنتهي جميع هذه الدوافع إلى خفض الدافع أو الحافز ، فإن الإجابة عن ذلك هي أن التعلم هو المسئول عن ذلك . فالتعلم هو الذي يروونا بالأساليب العادية التي نتخلص بها من حدة هذه التوترات .

وواضح أن مثل هذا الفرض الذي ذهب إليه البورت لتفسير الدوافع

(1) Allport, G. Pattern and Growth in Personality, New York, Holt, 1961, pp. 83-87.

يتجنب التضمنات الغائبة والميكانيكية لنظرية الغرائز على الأقل على نحو ما جبر عنها مكدوجل . فالحافز ، في نظر البورت ، يمكنه خفض الحاجة ، كامن في العمليات الفسيولوجية رغم أنه لا يعمل استجابة لمثيرات خاصة نوهية . وتعتبر الحوافز في نظره ، تفسيراً منطقياً لسلوك الطفل ، حيث أن الحاجات الأساسية الأولية عند الطفل تحدث عنده توترات يستجيب لها بطريقته الخاصة لتخفيض حدة التوتر الناشئ عنها . ولكن مفهوم الحافز عند البورت يفسر أساساً السلوك البسيط عند الطفل الذي تكون حركاته كبيرة وغير متمايزة . ومع ذلك عند ما يكبر الطفل تتحول هذه الحوافز إلى أنظمة دافعية متميزة ، تقدر بذاتها على تفسير الأنواع الجديدة من السلوك ، لأن التفسير بنظام الحوافز شبه الآلي ، قد يعرضنا للوقوع في الخطأ عند تفسير ألوان السلوك الأكثر تعقيداً والتي نجددها عند الشخص النامي وذلك للأسباب الآتية :

- ١ - أنه يغفل كل نشاط عقلي يقوم به الفرد .
- ٢ - أنه لا يشير إلا إلى تلك الخصائص في الجهاز العصبي التي يفترض أنها تظهر بشكل آلي .
- ٣ - أنه يهمل عوامل أخرى ذات أهمية بالنسبة لسلوك البالغ كحربة القصد والإختيار في عملية التعلم .
- ٤ - أنه يهمل جهد الفرد ونزوعه وقدرته على إدراك الشيء المناسب أو صلاحية فعل معين للأغراض التي يهدف إليها .
- ٥ - أنه ليس فيه تفسير لتوجيه فكرة الذات أو صورة الذات ، وجبها أو احمى تنقلها فكرة الحافز رغم أهمية هذه الأفكار .

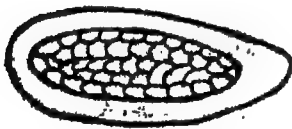
ومن ثم ينظر البورت إلى الشخص النامي باعتباره ينمو ويتغير في داخله

هاتين هما التمايز والتكامل . والتعلم هو الذى يحدث هذين النوعين من التغير فى البناء ويؤدى إلى تنظيم يتميز بربط الانظمة الأكثر دقة بعضها ببعض (التمايز) وبترتيب هرمى لهذه الانظمة داخل الشخصية ككل (التكامل) .

(ب) التمايز والتكامل :

وفكرتا التمايز والتكامل من الأفكار الهامة التى أوضحها كورت ليفين . ولو نظرنا إلى فكرة التمايز ، فإننا نلاحظ أن الطفل الصغير - إلى حد أكثر من الراشد - يمثل وحدة دينامية ، بمعنى أنه يستجيب بكل جسمه للثيرات المختلفة . فهو حين يريد أن يقبض على شئ ما ، إنما يتحرك بكل جسمه ويقوم بتلك الحركات الكبيرة للجسم . ثم هو بعد ذلك يكتسب بالتدريج القدرة على القيام باستجابات أكثر وأكثر تمايزاً ، فيستطيع استخدام اليد فى القبض على الأشياء ، ثم بعد ذلك يصبح أكثر وأكثر تمايزاً فيستخدم الأنامل فى قيامه بهذه العملية . وبذلك تصبح حركاته دقيقة تتطلب استخدام العضلات الدقيقة وحدها .

ثم إن الطفل - على عكس الراشد - لديه غسب ثباتاً وظيفياً بسيطاً على حدود الأجهزة المختلفة . أما الراشد فإن حركاته وأساليب سلوكه واتجاهاته وسماته تكون أكثر تحديداً وثباتاً وأقل إختلاطاً بالزعات غير المرتبطة بها . وقد أوضح ليفين فكرته هذه بالأشكال التوضيحية التالية :



الكل ككل



الكل ككل (الجزء والكل)



الكل ككل (الجزء والكل)

فالحُدود الفاصلة بين الأجهزة ضعيفة في الطفولة المبكرة بما يجعل الطفل يستجيب ككل للثيرات الخارجية، هذا بالإضافة إلى أن الحدود الفاصلة بين الطفل والعالم الخارجى أقل صلابة مما يجعل الطفل يستجيب لجميع أنواع الثيرات البيئية الخارجية. وهذا ما ينضح لنا فى الرسم فى شكل خطوط خفيفة سواء فى الداخل بين الأجهزة المختلفة أو فى الخارج والتي تقصّل بين الطفل والعالم الخارجى. وواضح أن ضعف الحدود الفاصلة فى الطفولة يعوق النمو الوعى بالذات بشكل واضح خلال السنتين الأوليين من حياة الطفل، فهو لا يميز نفسه بوضوح كاف عن البيئة المحيطة به.

ويمكن أن نوضح فكرة التمايز أيضاً بمثال نستمد من نمو حياتنا الانفعالية. لقد ذهبت «كاترين بر دجز» فى تفسيرها لعملية النمو الإنفعالى عند الطفل إلى أن هناك فى البداية حالة من «التهيج العام» General excitement أو حالة من الإنفعالية العامة، التى تأخذ - مع النمو - فى التمايز التدريجى. ففى حوالى الشهر الثالث تتمايز هذه الحالة العامة إلى انفعالين كبيرين هما الابتهاج والضيق. وفى الشهر السادس يأخذ الضيق فى التمايز إلى الخوف والقلق والغضب بالإضافة إلى حالة الضيق العامة. وفى حوالى نهاية العام تتمايز الابتهاج إلى حالتى الزهو والحب، هذا بالإضافة إلى حالة الابتهاج العامة. وهذا التمايز يفسر فى الحقيقة فى ضوء فكرة النضج الذى يطرأ على الكائن الحي والذى هو تفتح طبيعى لا يحتاج إلى تدريب أو مران أو كسب خبرة من جانب الفرد.

أما التكامل فهو شرط أساسى لعملية النمو. والتكامل فى بناء الشخصية يوحى بوجود تنظيم هرمى يبدأ من أبسط المستويات حتى أعلاها. وأبسط المستويات التى يبدأ عندها التكامل هو مستوى الأفعال المنعكسة.

الشرطية وهي أبسط الأنواع المكتسبة أو المتعلمة من السلوك التكيفي . وهي تتضمن إحلال مشيرات ليس من طبيعتها أن تثير الإستجابة محل مشيرات أخرى من طبيعتها أن تثير الإستجابة ، نتيجة عملية إقتران شرطي . إلى ذلك مستوى أعلى هو مستوى العادات وهو مستوى تكامل فيه الأفعال المنعكسة الشرطية ويتضمن على وجه الخصوص الإستجابات المدعمة ، كما يؤدي إلى صور نمطية من الإستجابة بالنسبة للواقف المتكررة التي هي من نوع مقشابه . أما المستوى الثالث فهو مستوى السمات . والسمات إستعدادات أكثر دينامية وأكثر مرونة تفتح على الأقل في ناحية منها من تكامل العادات الخاصة التي تعبر عن ألوان متميزة من التكيف مع البيئة . ويدخل تحت هذا المستوى الإستعدادات التي تسمى بالمشاعر والاتجاهات والقيم والعقد والميول ، وثمة مستوى رابع أعلى هو مستوى الذوات . والذوات أنظمة من السمات المنسقة فيما بينها . ولكن يبدو أنها تختلف في المواقف المختلفة . ولقد أشار ولبيم جيمس الى أن هناك ذوات إجتماعية مختلفة بقدر ما هناك من جماعات مختلفة من الناس يهتم الفرد بمعرفة رأيهم فيه . وأخيراً هناك مستوى الشخصية وهو التكامل التدريجي - وإن لم يكن تاماً بأي حال - لجميع الاجهزة التي تتصل بأساليب التوافق المميزة للفرد مع بيئاته المختلفة . وعلى هذا النحو من التمايز والتكامل يعرض لنا إيزنك فكرته عن تنظيم الشخصية والتي تبدأ بأبسط المستويات ، وهو مستوى الإستجابات النوية ، ثم تتكامل فيما بينها حتى تصل إلى مستوى النمط (١) ، وكذلك ما عرضه البورت (٢) عن فكرة التكامل .

(1) Eysenck, H.J.: The Structure of Personality. London. Muthuen & Co LTD. 1970 chp. 1, p. 13.

(2) Allport, G.: Pattern and Growth in Personality. Holt. 1961 P. 101.

وفي ضوء فكرة التمايز والتكامل يتبين لنا تصور التفسير بالنظريات
شبه الميكانيكية وضرورة الإلتجاء إلى مبادئ إضافية للتعلم . وقد أشار
البورت إلى نوع من التعلم المعرفي أو التنظيمي يوضح في ضوءه نمو الشخصية
في مراحلها الأكثر تقدماً وتطوراً

(٢) التعلم المعرفي (التنظيمي) :

والحقيقة أن عمليتي التمايز والتكامل هما نتيجة عملية تعلم معقدة . وإذا
كانت المبادئ شبه الميكانيكية كالاشرط والتدعيم والحافز يمكنها أن تفسر
بعض أنواع التعلم ، إلا أنها لا تفسر تماماً كل التغييرات العديدة التي تحدثها
الخبرة في نمو الشخصية . فهي في الحقيقة تقدم فقط ، فقط بداية يمكن أن
تفيد في التعلم عند الحيوان والطفل ، ولكنها لا تفيد كثيراً في تفسير التعلم عند
الإنسان . فكما يقول رازران Razran « إن العمليات شبه الميكانيكية يمكن
أن تنطبق على المستوى غير الفطن ، من التعلم ، حيث تدع جانباً دور الفهم
والقصد ومناسبتها للذات . ولذلك ، ومن أجل تنوع الأشياء التي يتعلمها الفرد
مع نمو شخصيته من مهارات ومعرفة واتجاهات وميول وآمال ومخاوف
وحب وكراهية الخ ، يقدم البورت مبادئ أخرى تتطلبها عملية التعلم في
نمو الشخصية . وقد أشار البورت إلى الأهمية الكبرى للنواحي الآتية :

١ - الاستعداد للتعلم : إن الظروف التي يوجد فيها الفرد تخلق عنده

إستعدادات قد تؤثر في المجري العام لعملية النمو . فالطفل الذي ينشأ في بيئة
غير مستقرة وغير ثابتة في أساليب معاملتها له ، والتي أحياناً تمنحه العطف
والحبة وأحياناً النبذ والشدة ، لا يعرف أين يقف في مثل هذه البيئة . فالعمل
الذي قد يجلب عليه السخط والأذى ، قد يكون هو نفسه موضع الإستحسان
والرضا . فمثل هذا الطفل تتكون لديه بذور الشك وعدم الثقة . وقد يصبح
هذا اتجاهًا يؤثر في نمو المستقبل ، بعكس الطفل الذي ينشأ في بيت يمنح الحب

والعطف ويقسم فيه سلوك الآباء بالثبات ، فإنه تسكون لديه ولا شك بذور الثقة ، وقد يصبح هذا اتجاهاً يمكن أن يؤثر في نموه المقبل نتيجة تعميم خبرات المنزل على الآخرين خارج المنزل . وليس من شك أن بذور الثقة إذا ما تم وضعها خلال السنوات الأولى من حياة الطفل ، فإنه يسهل عليه بعد ذلك نقلها إلى المجتمع الخارجى في علاقاته مع الآخرين خارج المنزل . كما يسهل عليه الإلتواء إلى جماعات أخرى خارج المنزل وبشكل يسهل معه حدوث الفطام النفسى والاستقلال الذاتى ، بينما بذور الشك ، قد تلازم الفرد طول حياته ، وقد تصبح استعداداً يحول بينه وبين تسكوين روابط وثيقة مع المجتمع الخارجى .

٢ - الاستبصار : وهو المبدأ الذى تقوم عليه نظرية الإدراك والتعلم عند مدرسة الجشطلت . والإدراك هو عبارة عن إدراك العلاقات بين العناصر والأشياء وهو نوع من الفهم الفجائى أو الإدراك الفجائى لما تنطوى عليه المشكلة من دلالات ومعانى ، بعد عدة محاولات فاشلة قد تطول وقد تقصر . وتجارب الجشطلت فى التعلم كثيرة من أهمها تلك التى قام بها كوهلر ، على الشمبانزى وفيها أوضح كوهلر أن التعلم لا يتم عن طريق المحاولة والتخطأ على نحو ما ذهب ثورندايك ، وإنما عن طريق الفهم وإدراك العلاقات . وتؤكد نظرية الجشطلت أن الحل الذى يصل إليه الفرد عن طريق الفهم والاستبصار فى موقف ما ، قد يفيد فى مواقف أخرى جديدة تختلف عن الموقف الأصيل بعض الاختلاف أى أن التعلم بالاستبصار ينتقل أثره إلى مواقف جديدة أخرى لأنه يعتمد على الفهم وعلى إدراك العلاقات بين عناصر الموقف . وليس من شك أن هذا المبدأ من مبادئ التعلم له أهمية فى نمو الشخصية وتطور إدراكها للمواقف الخارجية المختلفة وأسلوب مواجهة الفرد لهذه المواقف . فالأسلوب القائم على المبادئ الشرطية أو الإقترافية أقل تطوراً

وأضعف أثراً في نمو الشخصية ، من الأسلوب القائم على الفهم والاستبصار .
 ٣ - التوحد أو التقمص : وعملية التوحد من العمليات الهامة في نمو الشخصية . وقد اعتبرها فرويد المبدأ الهام في عملية التعلم الذي نحتاج إليه في تفسير نمو الشخصية . وليس من شك أن الطفل في مرحلة من مراحل حياته يتوحد بشخصية الأب . ومن خلال هذا التوحد يكتسب الكثير من القيم والاتجاهات وصور التفكير وأساليب السلوك وغيرها . وهو في مراحل أخرى من نموه النفسى يتوحد بأشخاص آخرين خارج المنزل كشخصية مدتهن محبوب أو زعيم سياسى أو دينى الخ . ولكن رغم أن كثيراً من الأشياء التى نفعلها والأقوال التى نقولها ونفكر فيها والإحساسات التى نحسها ، تتأثر بمبدأ التوحد ، إلا أنه مع ذلك لا نعتبره المبدأ الوحيد ، بل هو أحد المبادئ الهامة في نمو شخصية الفرد .

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول بأن مبادئ التعلم التى تدخل في نمو الشخصية ، تفيد في الحقيقة من مختلف نظريات التعلم عند الإنسان ، ابتداء من الإقتران الشرطى واستخدام الحافز إلى أساليب التعلم التى تعتمد على الفهم والاستبصار وعوامل التنظيم المعرفى والتمايز والتكامل وغيرها .

الشخصية في السنة الأولى :

أوضحنا أن الطفل يولد مزوداً بخامات مستعدة للعمل . ونخضع هذه الخامات لعوامل النضج والتعلم . كما أوضحنا بعض المبادئ الهامة التى تحدث أثرها في شخصية الفرد كالإقتران الشرطى والتدعيم والحافز وخفض الحاجة والى يكون لها أثرها الواضح في الطفولة الأولى ، ثم مبدأ التكامل والتمايز والتنظيم المعرفى وجميعها يكون لها أثرها مع تقدم السن بالفرد . وفي ضوء هذا كله يمكن القول بأن الطفل في بداية الأمر ليست له شخصية ، وإنما لديه إمكانيات وخامات منها تتكون الشخصية . فهو لم يُنم بعد أساليب متميزة من التفكير والسلوك يمكن أن نحكم في ضوءها على وجود الشخصية .

ونمثل الولادة حدثاً هاماً في حياة الطفل . غمى خطوة أولى في سبيل الاستقلال والتحرر . وإذا أمكننا أن نقدر مدى ما يقوم به الفرد في سبيل تحرير نفسه من الإعتماد على الأم والبيت والقيود الثقافية ، لأدركنا أن الولادة هي الخطوة الأولى في سبيل الإستقلال والإعتماد على الذات بشكل يتزايد ويستمر مع تقدم السن بالفرد . فهو مع الولادة يستقل كلية عن الأم في عمليتي التنفس والإخراج كما يستقل منها جزئياً في عملية التغذية .

وقد يكون من الصعب أن نحدد سناً معينة عندها تبدأ الشخصية في الظهور . ولقد قام بعض علماء النفس بملاحظة أطفالهم حديثي الولادة ملاحظة دقيقة وسجلوا المظاهر المختلفة التي تبدو على الطفل ، وذلك بقصد الكشف عن التغيرات الأولى المتميزة التي تشير إلى بداية ظهور شخصية الطفل . ولم كانت دهشتهم - رغم دقة الملاحظات - أن ليس ثمة بوادر تشير إلى ظهور شخصية الطفل حتى قبل الشهر الرابع .

وإذا كان طفل الأسابيع الأولى قد يتوقف عن البكاء ويتجه برأسه نحو ندى الأم مما يمكن أن يعد سلوكاً مميزاً للتوافق مع البيئة ، وإذا كانت الإبتسامة الإجتماعية الأولى في حوالى الشهرين أو قبل ذلك تعتبر حدثاً هاماً في حياة الطفل يدعونا إلى تأريخ بداية الشخصية بها ، إلا أنه في حوالى الشهر الرابع تبدأ تظهر أساليب متميزة في الوان السلوك التي يقوم بها الطفل كسك البرازة أو الوصول إليها وغيرها . وتسكون هذه الأساليب في النصف الثاني من السنة الأولى أكثر تميزاً . ولسكن الإحساس بالذات يسكون غير موجود حتى الآن . فالطفل لا يمكنه أن يميز بين ذاته والعالم الخارجى ويسلك بطريقة حسية حركية خالصة ويفتقر إلى الرموز اللغوية . ونادراً ما يعرف ما إذا كان هو الذى يتحرك أم أن الأشياء الأخرى المحيطة به هي التى تتحرك .

وقد أوضح جان بياجيه ذلك بشيء من التفصيل وخاصة في المراحل الأولى من المرحلة الحسية الحركية والتي تشمل فترة الطفولة المبكرة من حياة الطفل .

ومن الملاحظ أن صفات الأطفال يختلفون فيما بينهم اختلافا ملحوظا في الناحية المزاجية : فالأطفال حديثو الولادة يكشفون عن أساليب مختلفة من الاستجابة لنواحي الإحباط التي قد يتعرضون إليها في التغذية . وقد يكشف أحدهم عن الوان من الاحتجاج الجسمي أضعاف أضعاف ما يكشف عنه الآخر . كما يختلف الأطفال فيما بينهم في نواحي البكاء والاستجابة للثيرات المفزعة والمثيرات المحبطة . وفي استعدادهم للإبتسام والضحك وفي مستوى الطاقة والحركة وغيرها .

ولقد أكد أنصار مدرسة التحليل النفسي أهمية الخبرات التي تمر بالطفل خلال السنة الأولى من حياته ، وذهبوا إلى أنه لكي نحصل على شخصية غير عسائية وآمنة في مستقبل حياتها ، يلزم أن يتمتع الفرد في طفولته المبكرة بنواحي أهمها :

- (أ) رضاعة طبيعية .
- (ب) فترة حضانة طويلة بشكل مناسب .
- (ج) فطام تدريجي .
- (د) نظام رضاعة يراعى فيه حاجة الطفل .
- (هـ) تدريب سهل وبطيء على عادات الإخراج والتبول .
- (و) التحرر من الضغوط والقيود .
- (ز) البعد عن العقاب .
- (ح) نوم هادئ يحس فيه الطفل بالطمأنينة (نوم مع الأم) .

وقد رُضعت هذه النواحي موضع الدراسة والتجريب ولكن لم تكشف الدراسات عن اتفاق تام بين الباحثين . فقد قام « سويل » بمقارنة شخصيات أطفال في سن السادسة مروا بمثل هذه الأساليب من التربية في طفولتهم المبكرة بشخصيات أطفال آخرين لم يمروا بها خلال نفس هذه الفترة الأولى من حياتهم . ولم تكن الفروق دالة بين المجموعتين في كثير من النواحي . وقد كشفت هذه الدراسة أيضا عن نتيجة تتعارض والفرض الأصلي للبحث . فقد كشفت عن أن الأطفال الذين كانوا ينامون مع الأم خلال العام الأول من حياتهم ، أقل توافقا وأضعف في تكوين العلاقات والروابط الإجتماعية من الأطفال الآخرين من أفراد الأسرة . وهذه الدراسة توحي أن العلاقة بين هذه النواحي وسمات الشخصية التي تظهر بعد ذلك ليست واضحة ولا محددة .

وثمة دراسة أخرى قامت بها فريدا جولدمان (١) عن العلاقة بين الرضاعة بالثدي وظهور بعض السمات « الفمية » فيما بعد خلال حياة الفرد . ولقد أخضعت المادة التي حصلت عليها من الدراسة الدقيقة لمجموعة من التكبار للتحليل العاملي ، وكشفت التحليل عن وجود علاقة واضحة ومحددة بين نوع الرضاعة بالثدي التي مر بها الفرد في طفولته المبكرة (فطام مبكر وفطام متأخر) وظهور سمات معينة للشخصية فيما بعد (والتي تتميز على التوالي بأنماط عدم الإشباع الفمي أو الإشباع الفمي) . ولقد وجدت مثلا أن مفحوصيها الذين فطموا من الثدي قبل الشهر الرابع من عمرهم كانت تبدو لديهم خصائص التكبار في التسامح والسلبية وتوقع الحرمان وجميعها خصائص تعكس عدم توقع شيء طيب من الناس حوله أو أنهم لا يمكن أن يكونوا مصدر لذة أو إشباع .

(١) Goldman-Eisler, Frieda, The problem of "orality" and of its origin in early childhood, J. ment. Sci. 1951. 97-765-782.

وعلى العموم ، فإن معظم الدراسات تشير إلى عدم وجود علاقة عليه بين أساليب التدريب المبكرة وتكوين الشخصية فيما بعد ، كما لم تكشف معظمها أيضاً عن إرتباطات واضحة ومحددة بين أساليب تدريب الطفل والاتجاهات الوالدية (١) وبمعنى آخر أن ليس ثمة فارقاً كبيراً في نمو الشخصية في مستقبل أيام الفرد ، بين أن يكون قد رضع رضاعة طبيعية أو أن يكون قد رضع رضاعة صناعية ؛ بين أن يكون قد اتبع أسلوباً محدداً في عملية الرضاعة أو أن تكون الرضاعة حسب احتياجات الطفل ؛ بين أن يكون الفطام قد تم تدريجياً أو تم فجائياً . والحقيقة أن طفل السنة الأولى من الحياة يكون من المرونة والليونة بحيث يمكن أن يتشكل ويتكيف مع أساليب التدريب ، فلا نكاد نجد مطابقة تامة بين ناحية أو أخرى من أساليب التدريب وبين سمات الشخصية التي تظهر بعد ذلك . ولمثل هذه النتيجة توصل أورلانسكي (٢) وكذلك لندسميث وشتراوس (٣) في عرضهم لنتائج البحوث التجريبية والتي خلصوا منها إلى أن ما لديهم من مادة لا يسمح لهم بالقول بوجود علاقة ثابتة بين أساليب تدريب معينة وسمات معينة في شخصية الكبار .

ولكن هناك دراسات أخرى لم تركز اهتمامها على أساليب خاصة منفصلة من أساليب تنشئة الطفل ، وعلاقة ذلك بتكوين الشخصية فيما بعد ، وإنما ركزت على عامل آخر أكثر شمولاً وإنساحاً ، وأمكن الكشف عن آثار إيجابية له في سلوك الطفل وشخصيته فيما بعد ونعني به نمط الأمومة وأسلوب وعائتها للطفل عامة وليس ثمة شك أن هناك أنماطاً مختلفة من الأمهات ..

-
- (1) Sears, E. Maccoby, E. and Levin, H.: Patterns of child Rearing. Evanston Ill.: Row. Peterson. 1957,
(2) Orlansky H.: Infant care and Personality : Psychol. Bull. 1949. 46. 1-48.
(3) Lindsmith, A. R. and Strauss, A. L.: A critique of culture- Personality writings. Amer. Social res. 1960. 81-587-600

وقد كشفت برودي (١٩٥٦) (١) في بحثها المتعمق ل ٣٢ أمّاً شابه وأطفالهن والتي وجهت فيها الاهتمام إلى نواحي التغذية والنظافة وتقديم الأشياء للطفل والتحدث إليه ، أن هناك أنماطاً مختلفة من الأمهات . فهناك النمط الذي يشتمل على الأم الحساسة لحاجة الطفل الثابتة في أسلوب معاملتها له والتي توجه قدراً كبيراً من الاهتمام إليه . وهناك بالإضافة إلى ذلك أنماطاً أخرى تتعرف عن هذا النموذج كأن تكون غير حساسة إلى الطفل غير ثابتة في أسلوب معاملتها له أو من النوع الذي تعطيه اهتماماً زائداً عن الحد .

ويبدو أن الطفل الذي يحرم في سنته الأولى من حنان الأم ولا يجد بديلاً يقوم مقامها ويعوضه حنانها ، يتأثر تأثراً واضحاً ولفترة طويلة من الزمن وربما استمر ذلك طول حياته . وقد قام « جولدفارب » (٢) بدراسة مجموعتين من المراهقين الذين أبعدوا عن أمهاتهم منذ ظهور الأولى من الحياة . وقد عاشت المجموعة الأولى في بيوت تكفلهم وترعاهم رعاية طيبة بينما عاشت المجموعة الثانية في مؤسسات أو ملاجئ . وقد ظلوا بها مدة طويلة من الزمن . وقد كشفت الدراسة عن وجود فروق دالة بين المجموعتين ليس فقط أن كانت المجموعة الثانية أقل في القدرة العقلية ، بل أيضاً أن ظهرت لديهم مجموعة ملحوظة من أعراض الحرمان الانفعالي . فقد كانت تبدو عليهم البلادة وعدم التنضج الانفعالي . كما كانت تبدو لديهم توقعات أن يكون أسلوب الناس معهم بارداً جافاً ، من النوع الذي لا يبالي بوجودهم أو يكشف لهم عن عجة وعطف . وقد يكون ذلك طبعياً بالنسبة لمولاه ،

(١) Brody, Sylvia: Patterns of mothering, : maternal Influence during infancy. New York. International Universities 1956.

(٢) Goldfarb, W.: Effects of early institutional care on adolescent Personality J. exp. Edu. 1942. 12. 106-129.

فما أن توضع بذور مثل هذه الاتجاهات في الطفولة المبكرة حتى تتأصل في نفس الطفل ويصبح من الصعب عليه تعديلها وبخاصة إذا استمر في مثل هذه الأجواء فترة طويلة من الزمن . وهذه النتائج وصل إليها أيضا باحثون آخرون فكشفوا عن الآثار الضارة التي تركها عدم الرعاية من جانب الأم والتي قد يترتب عليها ضعف ثقة الطفل بالعالم الخارجي المحيط به . ولعل هذا هو الذي دفع إريك أريكسون ، (١) في كتابه ، الطفولة والمجتمع ، إلى القول بأن أول وأهم أزمة في حياة الإنسان هي أزمة الثقة . فالتموضع بذور هذه الثقة في علاقة الطفل بالأم ، فإن البداية تكون ضعيفة وغير موفقة . وقد يتعذر على الطفل بعد ذلك أن يثق في الآخرين المحيطين به أو في العالم الخارجي من حوله .

وقد أشارت مرجريت ريبيل ، (٢) في مقالة لها عن خبرات الطفولة وعلاقتها بنمو الشخصية إلى أهمية الدور الذي تقوم به رعاية الأم . فأوضحت أن صغار الأطفال الذين لا يجدون رعاية مناسبة أو الذين يفقدون لجأة هذه الرعاية تظهر لديهم أعراض المرض النفسي ، فقد يصبح الفرد منهم سلبيا أو تظهر عليه بعض أعراض السكوت الإكتئابي . أما السلبية فأنها تتركز حول القم في صورة رفض الرضاعة أو قد ترتبط بفقد الشهية أو العجز عن تمثيل الطعام ، كما قد تظهر أيضا في كثير من الروان السلوك والنشاط على نحو ما يتضح في رفض الطفل مشاركة الآخرين ألعابهم ونشاطهم . أما السكوت الإكتئابي ، فقد تكون له آثار أكثر خطورة من السلبية . فعندما يوضع

(1) Erikson, Erik : The Child and Society. New York, Norton, 1950.

(2) Ribble, A.M. : Infantile Experiences in Relations to Personality Development. in Hunt J. Mc. V. : Personality and Behavior disorders, vol. 1, The Ronald Press Company New York 1944 pp. 621-651.

الطفل على الثدي للرضاعة فقد يقوم بحركات قليلة من المص استجابة للموقف المثير ثم سرعان ما يسكت عن الرضاعة وتأخذه سنة النوم العميق الذي لا يستيقظ منه الطفل إلا عند الرضعة التالية . وغالبا ما تلجأ الأم إلى إيقافه قسراً . وهذه الاستجابة من جانب الطفل هي في نظر ريبيل نتيجة الإحباط أو الإثارة الهامشية البسيطة جداً .

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول بأن الأسلوب العام الذي يعامل به الطفل في طفولته الأولى يسكون له تأثير أكبر من الأساليب المفردة كل على حدة . وفي ضوء معرفتنا بهذه الأساليب العامة يمكن التنبؤ بما ستكون عليه شخصية الطفل عامة . وبطبيعة الحال لن يكون هذا التنبؤ كاملاً نظراً للظروف المتغيرة باستمرار حول الفرد والتي يمكن أن تعدل من سلوكه وخصائصه . وعلى وجه العموم ، فانه عندما ينمو لدى الطفل الإحساس بالذات أو بصورة الذات ، تبدأ عملية النمو تسير في طريقها . وقد أكد فرويد أنه عندما تنمو هذه القدرات إبتداء من سن الثالثة تقريباً — يمكن أن توضع الخطوط الموجهة للشخصية فيما بعد . أى أن بناء الشخصية يمكن أن يتحدد على هذا الأساس إبتداء من سن الثالثة .

وباختصار ، يمكن القول بأن الطفل في سنته الأولى ، يكون أكثر مرونة وأكثر ليونة ، كما أنه أسرع نمواً منه في أية مرحلة مقبلة ، وليست لديه فكرة عن نفسه ولا ذكريات قديمة ولا عادات يستند إليها ، ولذا فإن كل ما يحدث من حوله بصورة تفصيلية ، أى كل ما يراه حوله ، وكيف يعامل وكيف يعامل وقت الإخراج والتبول ، يترك أثراً بسيطاً نسبياً في نفس الطفل ، وفي الوقت نفسه ، فإن نمط رعاية الأم وأسلوبها ووجودها أو حرمان الطفل منها ، عطفها له أو نبذها إياه ، كل ذلك يترك أثراً عميقاً

في نفس الطفل ويضع البذور الأولى للثقة بالآخرين والمجتمع الخارجي ،
ويعد عاملاً هاماً في بناء شخصية الفرد بعد ذلك .

والطفل في السنوات الأولى من الحياة يعتمد إلى حد كبير على الأم .
ومشكلة هذه السنوات الأولى هي إقامة هذا الاعتماد على أسس متينة
وطبيعية . وإذا تم ذلك ، يصبح الطفل في مستقبل أيامه في موقف يسمح له
بتحقيق ذاته . أما إذا لم تتحقق ذاته فإن حياة الفرد سوف تقوم على أسس من
عدم الثقة . وليس من شك ، كما سبق أن أوضحناه أن الطفل الذي يفتقر
إلى الثقة يكون دائماً الشك في الآخرين ومن الصعب عليه أن يتوافق توافقاً
سليماً مع المجتمع .

ومن الممكن أن نلخص رأى البورت في تكوين الشخصية في
النتيجة الآتية :

١ - أن الشخصية من حيث هي أسلوب متميز من أساليب التكيف
التي يقوم بها الفرد ، لا توجد عند الولادة ، وإن كان من الممكن القول بأن
بفورها توضع مع الولادة .

٢ - أن أساليب التكيف المميزة المبكرة والتي على أساسها يمكن
أن نفرق بين طفل وآخر تتضح في شدة نشاطهم التلقائي ونكراره (النشاط
الحركي) وفي تعبيراتهم الإنفعالية المزاجية . وكلا العاملين الجسمي والمزاجي
تحدده العوامل الوراثية .

٣ - أنه ليس من المحتمل قبل بداية الشهر الرابع أن يكون الطفل
قد نضج نضجاً كافياً وتعلم تكوين عادات متميزة للتكيف . ومع بداية
النصف الثاني من السنة الأولى تبدأ استجابات الطفل التوافقية المتميزة مع
العالم المادي والاجتماعي تظهر بوضوح .

٤ - أن الصفات المتميزة التي يمكن ملاحظتها في وقت مبكر من حياة الطفل تميل إلى الاستمرار وبشكل ملحوظ يسمح للملاحظ أن يتنبأ بما ستكون عليه شخصية الفرد في المستقبل .

ولكن هذه النتيجة الأخيرة يجب ألا نفهم أنها تعني أن شخصية الفرد تتحدد مرة واحدة وإلى الأبد خلال السنة الأولى من حياته . فصير أي فرد لا يتحدد ولا يمكن أن يتحدد بمثل هذه الصورة في هذه السن المبكرة ، لأن الظروف التي يمر بها الفرد بعد ذلك يمكن أن تؤثر تأثيراً عميقاً في شخصيته فسواء الظروف الصحية وتغير الظروف الأسرية والخبرات المؤلة التي يمر بها قد تغير بالفعل من مجرى نموه الذي انضح في السنوات الأولى من حياة الطفل . يضاف إلى ذلك ، أن بعض ظروف الطفل قد تحول دون تكوين الإستعدادات بنفس الثبات الذي ستكون عليه في المراحل التالية . فقدرة الطفل على الإحتفاظ بالخبرات الشعورية لا تزال بسيطة بشكل لا يسمح له بتكوين معرفة بذاته . وهذه المعرفة بالذات تلعب دوراً هاماً وجوهرياً في تنظيم الشخصية . فهي لب الشخصية . كل ذلك يجعل قدرتنا على التنبؤ بما ستكون عليه الشخصية أقل ثباتاً إذا استندنا لما هي عليه أو ما مر بها لحسب خلال السنة الأولى من حياة الطفل .

ودراستنا لنمو الشخصية يقتضى التعرض لنقطة هامة هي دراسة فكرة الذات ، فالذات - كما سبق القول - هي لب الشخصية ، بل هي أب كيان الفرد وجوده . وفكرة الذات تنمو وتتطور وتغير بمراحل متعددة . وقد أومع جوردون البورت في كتبه المختلفة نمو فكرة الذات . وسوف نشير باختصار إلى مراحل تكوين الذات عند الفرد ابتداء من الطفولة المبكرة حتى المراهقة

على نحو ما أوضحها البورت (١) .
مراحل نمو الذات :

(١) الطفولة المبكرة : من المؤكد أن الطفل ليست لديه أية معرفة عن نفسه «كذات» ، وهذا تكشف عنه الملاحظات العديدة التي قام بها علماء النفس من أمثال هاينز فريز وجان بياجيه وغيرهما . فالطفل في بداية الأمر لا يمكنه أن يميز بين نفسه والعالم الخارجي ، فهو ينظر إلى جسمه كما لو كان شيئاً غريباً عنه ، ويلعب بأصابع قدميه كما لو كانت لعبته ، أى أنه ليست لديه أية معرفة عن وجود ذات جسمية أو ذات إجتماعية . فالحدود الفاصلة بين ما هو جزء منه ، وما ليس جزءاً منه لم تتضح بعد . ويحسن أن نفرق بين الشعور والشعور بالذات . فهما ليسا مترادفين ، لا عند الطفل ولا حتى عند البالغ . فالطفل على الرغم من أنه يحس ويشعر بما يجري لديه من حالات وتغيرات نفسية ، إلا أنه يفتقر في هذه المرحلة الأولى من عمره إلى الشعور بالذات أما البالغ فلديه الناحيتين معا وإن كانتا غير متماثلتين . فهو يشعر ، كما أنه يشعر بذاته .

والطفل يكتسب الشعور بالذات بشكل تدريجي خلال السنوات الأولى من حياته . وهذه المرحلة الأولى من حياة الطفل والتي تشمل على السنتين الأوليين يسميها بياجيه باسم «المرحلة الحسية الحركية» ، وفيها يستقبل الطفل انطباعات من العالم الخارجي ويستجيب لهذه الانطباعات دون أن

-
- (1) Allport, G. : Personality : a psychological interpretation, New York. Holt, 1937 .
: Becoming : basic considerations for a psychology of personality. New Haven. Conn. Yale. Univer. Press 1955.
: Pattern and Growth in personality. New York. Holt 1951.

تكون هناك ذات وسيطة بين هذه الانطباعات وهذه الاستجابات . فهو يحس ويعبر ويستجيب للضغط الواقع على سطح الجلد ويستجيب للأصوات المادية الناعمة الصادرة عن الأم ، وزدود الأفعال الحسية الحركية هذه تدخل في كل غير متشكل ، أو « كل غير متمايز » من الذات والعالم الخارجي على حد تعبير بياجيه .

ومع استمرار النمو يبدأ الطفل يكتشف جسمه . ففي حوالى الشهر الخامس أو السادس يمسك بأصابع اليدين والقدمين ويمسك بالأشياء الصغيرة المحيطة به ، ولكن الأشياء والأصابع التي تقبض عليها هي شيء واحد بالنسبة إليه ، شيء واحد لا يمايز بعد إلى مكوناته . وهو عندما يحمل في قدميه ، يحاول أن يمسك بها وأن يضع إصبع قدمه في فمه ، وهو إن أصاب قدمه فهو يتألم دون أن تكون لديه أية فكرة عن أنه هو سبب ألمه . وقد تستثيره رؤية صورته في المرآة وهو في شهره الثامن تقريبا ، ويحملق فيها ، ويحاول اللعب معها . درن أن يدرك أن هذه الصورة التي يراها هي صورته هو . والطفل في العادة يميز صورة والديه في المرآة قبل أن يستطيع أن يميز صورته هو بوقت طويل . ثم هو حين يبدأ يتنقل في أرجاء البيت بالزحف من مكان لآخر ، قد يصطدم بأشياء كثيرة تسبب له ألما فيبدأ يدرك بالتدريج أن هناك أشياء خارجية جامدة وأن الاصطدام بها بسبب له ألما . أى يبدأ يدرك أن هناك أشياء خارجية عنه وهو يصل إلى فكرة الشيء الخارجي الذي ليس هو . قبل أن يتمكن من أن يدرك أن له ذاتا متميزة عن هذا العالم الخارجي بوقت طويل . وكما يدرك وجود الأشياء الخارجية قبل إدراكه لذاته ، فكذلك يدرك وجود الآخرين قبل إدراكه لذاته . فهو يتعرف على الوجوه المألوفة في البيت من الأبوين والإخوة ، كما يتعرف على الغرباء عن البيت . وهذا التعرف على « الغير يسبق أيضا التعرف على الذات .

ويذهب البورت إلى أن أول مظهر لفكرة الذات في هذه المرحلة الأولى هو ، الإحساس بأن له جسماً ، وأن هذا الجسم ، جسمه هو . فالطفل يستقبل سيلاً من الأحاسات العضوية الداخلية ، كما أنه يتأثر أيضاً بالكثير من المثيرات العديدة الموجودة في العالم الخارجي . وبالطبع لا يكون لهذه الأحاسات الجسمية أى أثر في تكوين الذات ما لم تكن متكررة . ومعرفة هذا التكرار للإستجابات البسيطة المتلاحقة يتطلب نضجاً مناسباً في اللحاء بشكل يسمح بالاحتفاظ بآثار الخبرات السابقة . وكما ينمو الإحساس بالذات الجسمية من الإحساسات العضوية المتكررة التي تترك آثارها في نفس الطفل ، فإنه ينمو أيضاً من الأحباطات المتكررة التي تصدر عن العالم الخارجي . فالإحساس بالذات الجسمية هو في نظر البورت وثيقة وجودنا . بمعنى أن احساساتنا وحركاتنا تمدنا بمعرفة ثابتة عن وجودنا .

ولكن رغم ما للذات الجسمية من أهمية ، إلا أنها ليست كل شيء . في تكوين فكرت الذات عند الطفل في هذه المرحلة الأولى من الحياة فهناك أفكار أخرى لها أهميتها .

هناك ثانياً هوية الذات واستمرارها : فأنت هو نفس الإنسان الذي كنت عليه وانت في سن الثالثة أو الرابعة من عمرك رغم أن كل شيء يتصل بك ، حتى خلايا جسمك والبيئة المحيطة بك قد مرت بهاتغيرات عديدة جداً . ثم أن كل فرد منا يتعرف على ذاته . فأنا أتذكر بعض الأفكار والأحداث التي مرت بذهني بالأمس ، وفي الغد سوف أتذكر بعض ما مر بي . يعني أفكار وأحداث في يومى وأمسى . وأنا على ثقة أيضاً من أن هذه الأفكار والأحداث تصل بشخص واحد هو أنا . ففكره هوية الذات تعتبر بالغة الأهمية ، طالما أن التغير هو مع ذلك القاعدة الأساسية للنمو . ورغم

ما يطرأ على أفهامنا وأفكارنا من تغيير ، إلا أن الذات تبقى هي هي مستمرة ومتصلة .

وتلعب اللغة دوراً هاماً في هذا الصدد . فعندما يبدأ الطفل التحدث والتعبير عن رغباته يستخدم من الألفاظ ما يشير إلى حاجاته ورغباته . وأنه ، أعني وهو ، يريد أن يأكل أو أن يشرب أو أن يحصل على لعبة ما . فلفظ أنا ، أو ما يشير إليه يعتبر عاملاً واضحاً في علاقته بالعالم الخارجي . ثم أن اسم الطفل الذي يتردد على مسمعه في اليوم الواحد مرات عديدة ، قد يساعده أيضاً على أن يدرك ذاته كشيء متميز ومستقل . وهذا الاسم يكتسب معنى ودلالة بالنسبة للطفل في عامه الثاني . ومع الاسم تأتي المعرفة بالوضع المستقل وأن له وجوداً مستقلاً عن وجود الآخرين يتمثل في هذه الذات الجسمية التي بدأ يحس بوجودها . وإلى جانب الاسم هناك أشياء أخرى يمكن أن تعد بمثابة نقط ارتكاز هامة للتعرف على الذات كالملابس والأشياء الخاصة . فبعض الأطفال في سن الثانية أو الثالثة قد يكشفون عن إحساس بالهوية حين ينظرون إلى بعض ممتلكاتهم الخاصة كالخذاء الجديد أو شريط الرأس أو الفستان الذي ترتديه .

وإلى جانب الذات الجسمية وهوية الذات واستمرارها ، هناك ناحية ثالثة تلعب دوراً هاماً في هذه المرحلة الأولى من تكوين فكرة الذات هي رغبة الطفل في إثبات وجوده أو تقديره لذاته . ففي سن الثانية أو الثالثة يحاول الطفل القيام ببعض الأشياء بنفسه كدفع المشاية بنفسه أو تناول بعض الأشياء واللعب بها بنفسه ، وينتقل في أرجاء البيت يستكشف ما فيه ويوجد لذة كبيرة في القيام بمثل هذه الألوان من السلوك والتي — إن أعيت من جانب الكبار — يشعر الطفل كأنها ضربة موجبة لتقديره لذاته . بمعنى أن الذات قد أحبطت وأعيت ، ونتج عن ذلك شعور بالضعف أو إحساس بالغضب ،

وبحس الطفل بذاته ويكون راعياً بها لدرجة كبيرة ، ويكون هذا السلوك راضحاً لدى طفل هذه المرحلة حتى أن البعض يسميه الحاجة إلى الإستقلال الذاتي . وهي سمة ملحوظة وبارزة في فكرة الذاتية عند طفل الثانية أو الثالثة ولذلك نجد أن نمو فكرة الذات يباغ مرحلة حساسه في حوالى سن الثانية أو الثالثة . وهذا ما يتجلى في ثورة المعارضة التى يتميز بها طفل هذه الفترة بالنسبة للطعام والملبس وإطاعة الأوامر وكل ما يريد الآباء عادة فهو ينظر إلى أوامر الكبار كما لو كانت تهديداً يهدد تكامله ، ولذلك تتضح عنده ظاهرة الرفض كما لو كان الرفض بقوله لا ، وسيلة لحماية الذات من كل ما يؤدى إلى تحقيرها .

وعلى ذلك فالمظاهر المميزة لنمو فكرة الذات في السنوات الأولى في نظر البورت هي :

- ١ — المظهر الأول : الأحساس بالذات الجسمية .
- ٢ — المظهر الثانى : هوية الذات واستمرارها .
- ٣ — المظهر الثالث : تقدير الذات .

ويذهب جورج ميد ، إلى أن الذات فى جميع مظاهرها وتكوينها هي نتاج اجتماعى . فهو يرى أن الأحساس « بالآنا » يتكون إلى حد بعيد من إتيهاات وكلام وإشارات وإيماءات الآخرين الذين يلاحظهم الطفل ويقلد حركاتهم وأفعالهم وأقوالهم ويستجيب لها . أى أن أحساس الطفل بذاته هو نتيجة لسلوك الآخرين نحوه . فالبعض يعامله كطفل أو كإن لهم ، والبعض يعامله كأخ ، والبعض كرفيق لعب ، والبعض ينظر إليه كشخص غريب عنهم . فهو لا جميعاً هم مرآة الذات والى من خلالها يكون فكرته عن نفسه .

ولكن الذات لم يتم نموها بعد ، بل أنها تتطور سريعاً . وهو تطور لا يزال بعيداً عن السكال .

(ب) مرحلة ما قبل المدرسة : لكن مرحلة ما قبل المدرسة - وهي الفترة ما بين الرابعة والسادسة - سرعان ما يفقد هويته ويختلط عنده الوهم بالحقيقة وتسيطر على العا به النوع المعروف باسم اللعب « الإيهامي » الذي يتوهم الطفل نفسه فيه فارساً أو شرطياً مثلاً ، ويخلق له من الوهم والخيال أصدقاء : أطفالاً كانوا أم حيوانات وفكرة الذات الجسمية تكون عنده أكثر وضوحاً فجميع أعضاء جسمه هي ملك خاص به وحده

كما أن طفل هذه المرحلة يكون ذاتي المركز إلى حد بعيد فالإطار المرجعي لتفكيره هي ذاته . فالقمر يتبعه في كل مكان وحينما سار . واقه موجود ليحفظه ويحميه ، كما أن وجهة نظره تعتبر مطلقة . فالآخرون يفكرون على نحو ما يفكر هو . ولذا فهو ليس في حاجة لأن يعبر عن وجهة نظره أو يفسر أقواله وعباراته للآخرين . ولكن مركزية الذات هنا ليست قائمة على معرفة بالذات أو أنها تدور حول الذات ، وإنما هي تصدر فحسب عن الطبيعة الشخصية لتفكير الطفل في هذه المرحلة .

ومن ثم ، فإن هذه المرحلة تتميز في نظر البورت بمظهرين جديدين بالإضافة إلى المظاهر الثلاثة السابقة التي تتميز بها السنوات الثلاث الأولى . وهذان المظهران هما :

٤ - المظهر الرابع : امتداد الذات واتساعها .

٥ - المظهر الخامس : صورة الذات .

فالذات تتسع لتشمل أشياء كثيرة ، كما يلعب الإحساس بالمسكية في نفس الوقت دوراً هاماً . فهذه الكرة كرتي وهذه الدراجة دراجتي ، وهذه أمي وهذا أخي وهذا بيتي الخ . وكلها تصبح امتداداً للذات وتشير أيضاً إلى اتساعها لتشمل العديد من الأشياء . وبطبيعة الحال لا تتسع ذات الصغير في هذه

المرحلة لتشمل كل ما يحيط به في دائرة عالمه الكبير على نحو ما نجد مثلاً بالنسبة للكبار ، وإنما أساس هذا الاتساع الكبير الذي سوف يحدث فيما بعد ، يتم وضع بدوره في هذه المرحلة حينما يحس الطفل بتملكه أشياء كثيرة

وبالإضافة إلى امتداد الذات واتساعها ، تأخذ صورة الذات تتضح أكثر وأكثر . فعن طريق التفاعل المتبادل مع الكبار والوالدين يمكنه أن يقارن بين سلوكه الواقعي وما هو متوقع منه فهو ولد مشاغب ووالده يريدانه ولذا هادئاً لطيفاً ولكن صورة الذات هنا ليست نامية على نحو ما في المراهقة وعلى العنوم فذور فكرة الذات كما هي وكما يريد أن تكون عليه ، تكون موجودة في هذه المرحلة .

(ج) مرحلة الطفولة المتأخرة : ومع دخول الطفل المدرسة الابتدائية أى في الفترة ما بين سن السادسة والثانية عشرة - يزداد إحساس الطفل بهويته وبصورة ذاته وبقدرته على امتداد الذات . وسرعان ما يتعلم الطفل أن ما هو متوقع منه خارج المنزل يختلف إلى حد كبير عما هو متوقع منه داخل المنزل . فمستويات الرفاق في اللعب والمشى والكلام والملبس شيء جديد عليه . ثم هو يحارل أن يدمج نفسه مع جماعات الرفاق وأن يندمج مع الشلة وفي عالم الواقع ، كما يقل لعبه الإيهامي ويزداد إحساسه بذاته الواقعية ولذلك نجده يرتبط بالمعايير الخلقية وأحكام اللعب وقواعدها ويتبعها بكل دقة . ويكون راضياً عن نفسه إذا هو تكيف مع الواقع الخارجى والأحكام الخارجية وأمزاج مع الشلة ونمت صورة ذاته .

وهذه الفترة هي أيضاً فترة نمو عقلى . وهي فترة تتميز بالمزيد من الرغبة في المعرفة وحب الإستطلاع وكثرة الأسئلة والاستفسارات وهذه هي بداية

الإحساس بمظهر جديد من مظاهر نمو الذات وهو المظهر السادس عند البورت .

٦ - المظهر السادس : الذات منطقية عاقلة .

ورؤية الذات هنا كوظيفة « الأنا » عند فرويد ، إلى تحارب أن تجد حلاً ومخرجاً للمشكلات التي تخلفها النزعات الغريزية والنزعات المسكوبة (الهوى) ثم الواقع أو البيئة الخارجية ثم الأوامر والنواهي التي تصدر عن الوالدين والمجتمع (الأنا الأعلى) . فوظيفة الذات العاقلة هي محاولة تجنب المشكلات والصعوبات التي تثيرها هذه النواحي الثلاثة ولكنها بالطبع ليست دائماً عاقلة تماماً ، بل تكون أحياناً مجرد ذات دفاعية تحاول خلق المعازير والتبريرات كي لا تفرح الذات . فهي تنكر العوائق الموجودة القائمة وتتلصص وسائل الهروب ووضع الخطط التي هي مجرد حلول مزيفة لمشكلات الحياة .

(د) مرحلة المراهقة : وأخيراً تأتي مرحلة المراهقة ، وفيها يبحث المراهق من جديد عن ذاته . فهو في طفولته المبكرة قد أحس بهويته ولكنه فقدتها ، إن شئنا القول ، في الأسرة وفي الشلة وفي الولاء لها . والآن تصبح مشكلة المراهق هي البحث من جديد عن هويته .

وكثيراً ما تواجهه المراهق في هذا الصدد صعوبات جمة تزيد من مشكلاته في هذه المرحلة . فأسلوب معاملة الوالدين له مرة كطفل ، ومرة كرجل ، من أسباب مشكلاته وعدم استقراره . فسلوكه وتصرفاته تكون أحياناً كسلوك الأطفال وتصرفاتهم ، ولكنه مع ذلك قد بلغ من الناحية الجسدية والجنسية مبلغ النضج الذي يكفي للنظر إليه كرجل .

وبصورة المراهق عن ذاته تتوقف على الآخرين وتقبلهم أو يذمهم له .

ونورة المراهق وتمرده على السلطة لهما علاقة هامة يبحث عن هويته وذاته . إنها محاولته الأخيرة للإستقلال الذاتي . وقد يلجأ المراهق إلى أساليب تكشف عن قلقه وعن بحثه عن شيء لم يصل إليه بعد . فالوان الزى التي يرتديها وتصفيف شعره بالصورة التي يقوم بها ، تقليده الأبطال المختلفين ، كل ذلك تعبير عن القلق وعدم الإمتقرار . وعادة ما ينظر الآباء إلى مثل هذا السلوك وهذه الخبرات نظرة بعيدة عن الإحترام والتقدير للمراهق ولذلك فهو يقوم به في الأغلب خارج البيت وفي صحبة الزملاء .

ويكون الصراع حول الحاجات الجنسية واضحاً . وتناقض وجدائاته وعواطفه ويتذبذب أحياناً بين الإيمان والإلحاد . وقد يجد كثير من المراهقين في الدين حلاً لمشكلاتهم كما تظهر أهداف المستقبل واضحة جلية ويحتل التفكير في المهنة التي يعد نفسه لها في المستقبل جزءاً كبيراً من تفكيره ، كما أنه يرسم للمستقبل خطة موضوعية وهو بهذا يدخل بعداً جديداً على ذاته لم يكن موجوداً من قبل في الطفولة . وغالباً ما تكون آمال الشباب بعيدة ومستويات طموحة عالية جداً . ولكن مع تقدم السن سرعان ما يتكشف البعض أن ما لديهم من قدرات واستعدادات أقل مما لديهم من آمال وأحلام ، فيعدل من صورة ذاته ومن مستويات طموحه بما يتفق وقدراته واستعداداته وهذا دليل على مستوى عال من النضج . وعلى هذا النحو يضيف البورت البعد السابع في تكوين الذات ونموها وهو .

٧ - المظهر السابع : الجوهر المميز .

وهذا المظهر الأخير يتميز بالاتجاه والقصد المعرفي مما يساعد على تحديد أهداف الفرد وليس من الضروري أن تكون الأهداف جامدة وثابتة ، ولكن فقط يوجد هدف رئيسي يهدف الفرد إلى تحقيقه . وهذا المظهر الهام في نمو الذات لم يكن موجوداً من قبل . فالطفل الصغير الذي يريد أن يكون

طياراً أو طبيباً ، ليس لديه الانجاء المتصل والجهد المتكامل بلوغ ذلك وتحقيقه . أما الشاب فهو يرسم ويخطط ويحس بالهدف وينشط إلى تحقيقه . وبالطبع يحتاج هذا كله إلى قدر من النضج في الشخصية قد لا يتجده عند جميع المراهقين . فالبعض قد يصل إلى مرحلة المراهقة دون أن يكون لديه إحساس واضح بالهدف . وهؤلاء في الأغلب لا تكون شخصياتهم ناضجة ، ولذا فإحساسهم بالذات لا يزال لجأ أولياً .

ولكن هذه المظاهر المختلفة للذات ليست متباعدة . فهي جميعاً حالات تكشف عن الذات على نحو ما نحسها ونشعر بها . كل واحدة منها مرحلة من مراحل نمو الذات . ويمكن أن نربطها بعضها ببعض تحت اسم واحد . وقد اختار البورت لها اسم الذات الممتدة المميزة *Proprium* . وقد أشار البورت إلى أنه لم يسمها الذات وكفى . لأن معظم الكتابات يطلقون اسم الذات أو الأنا على مظهر واحد أو مظهرين من المظاهر السابقة . ولذا فهو يفضل أن يضع لها تسمية جديدة تضم هذه المظاهر المتعددة للذات .

٨ - المظهر الثامن : الذات العارفة

وبعد أن حدد البورت الوظائف الموحدة المميزة المتنوعة والتي تعتبر موجودة لدينا كلها ، يتساءل عما إذا كانت لدينا بالإضافة إلى ما سبق ذاتاً عارفة يمكن أن تضاف وظيفتها إلى كل الوظائف الأخرى للذات المعقدة المميزة وتتعدها وتدرکها ؟ لقد ذهب ولیم جيمس إلى أنه لا توجد لدينا مثل هذه الذات العارفة . فهي لا توجد كشيء له كيان يمكن تمييزه عن المجموع الكلي للغيريات ، أو يمكن انتزاعه من مجرى هذه الخبرات . فكل لحظة شعورية ترتبط وتتصل باللحظة السابقة . وعلى هذا فالذات العارفة توجد بضمنحلة على نحو ما في قوله : « الأفكار نفسها هي الذات المعسكرة » .

أما معارضو جيمس، فيقولون إن مجرد سلسلة من الخبرات لا يمكن أن تتحول هي ذاتها إلى شعور أو وعى بهذه السلسلة كوحدة، كما أن الأفكار الماضية لا يمكن أن تؤخذ بذاتها على أنها هامة أو مثيرة للإهتمام، ما لم تكن هناك ذات تثير إهتمامها أو تكون هامة بالنسبة إليها. فالذات العارفة هي المحك النهائي وهي التي تلتحق كسلم نهائي لا مفر منه.

وسواء أخذنا برأى جيمس أو رأى معارضيه، فن الملاحظ أن هناك انبعاثاً بينهم في ناحية أن الوظيفة المعرفية ضرورية وحيوية بالنسبة للذات. فنحن لا نعرف أشياء نجسب، بل إننا نعرف وتعرف على الملامح التجريبية لذاتنا الموحدة المميزة؛ إنني أنا الذي لدى إحساسات جسمية، وأنا الذي ألاحظ هويتي من يوم إلى آخر، وأنا الذي ألاحظ وأفكر في تأكيد ذاتي وإمتدادها، وفيما أبديه من تبريرات، كما أرقب إهتماماتي وكفاحي وهكذا. أفكر في وظائف الخاصة الموحدة المميزة، وأكاد أدرك وحدتها الأساسية وأشعر بارتباطها الوثيق على نحو ما بالوظيفة العارفة ذاتها، (١).

ومع ذلك يتدارك البورت الأمر ويرى خطورة هذا القول إذا التزمنا بوجهة النظر الملية فإذا صرحنا بأن الذات عامل مستقل، داخل الشخصية هي التي تعرف وتريد وتهدف النج، ألسنا في خطر من خلق شخصية داخل الشخصية فإذا تساءلنا مثلاً لماذا يعمل هذا الشخص بجد، فإننا لا نفسر شيئاً إذا قلنا لأن ذاته تريد ذلك فقلنا أن الذات تفعل هذا أو ذاك، وتريد هذا أو ذاك، وترغب في هذا أو ذاك، إنما يثير مجموعة من المشكلات الصعبة التي هي أقرب إلى الفلسفة منها إلى العلم. ولذا يذهب البورت إلى أنه

(١) ج. البورت: الصبورة. ترجمة د. جابر عبد الحميد جابر وعمد مصطفى الشبيبي تحت عنوان « نمو الشخصية » ١٩٦٣.

في بناء الشخصية - إذا فهم فهمها صحيحاً - بما في ذلك البناء الموحد المميز -
سوف نجد التفسيرات التي نبحث عنها ، فليس من الحكمة أن يتخلى عالم
النفس عن مسؤولياته في تفسير مظاهر السلوك المختلفة ويعزو مشكلاتها
إلى وسائط داخلية أو إلى عامل خفي يحرك الخيوط على حد تعبيره . وإذا
كان من الممكن - لأغراض فلسفية معينة - أن ننظر إلى الذات كوحدة متصلة
ثابتة أو أن نهبط الخلود مثلاً ، فإننا في علم النفس يحسن أن نتجنب الفصل
القاطع بين الذات و كعامل ، ووظائف الأنظمة الموحدة المبررة داخل
الشخصية (١) .

(1) Allport G. : Pattern and Growth in Personality. New York.
Dok 1961.

الفصل السابع بناء الشخصية

مقدمة :

الطبيعة الإنسانية - كأي طبيعة أخرى - تقوم على تراكيب ثابتة نسبيا. ونجاح أى علم يتوقف على قدرته على التعرف على الوحدات الأساسية التى يقوم عليها هذا العلم . فبدون معرفة العناصر الكيميائية التى يتكون منها علم الكيمياء ، لتعذر قيام مثل هذا العلم . والأمور بالمثل لعلم الطبيعة فما كان يمكن أن يقوم هذا العلم بدون معرفة المادة موضوع دراسته وما كان يمكن أن يقوم علم الحياة بدون معرفة الخلية الحية التى يتكون منها الكائن الحى . فالعلم تحليلي والأمور ينطبق بطبيعة الحال على علم النفس . ولكن مشكلة هذا العلم أصعب بكثير من مشكلة العلوم الأخرى نظرا لطبيعة المادة التى يدرسها علم النفس وما هى عليه من تعقيد بالغ . ولذا فإن البعض ينظر أحيانا إلى علم النفس باعتباره لا يزال متخلفا عن العلوم الطبيعية الأخرى حيث لم يصل بعد إلى اكتشاف الوحدات الأساسية التى تقوم عليها دراسته . ولقد قدمت ابتداء من القرن الماضى اقتراحات بوحدات كثيرة يقوم عليها علم النفس كالمسكات والأفكار والغرائز والقوس المنعكس والاحساس والصور الذهنية والمشاعر والخوافز والعادات والعوامل والاتجاهات . غير أنه لم يكن ثمة اتفاق بين علماء النفس حول هذه الوحدات ولعل هذا الاختلاف فيما بينهم يرجع إلى اختلاف وجهات نظر كل منهم . فنجد دفت ، ود تشنر ، وهما من الذين اهتموا بدراسة الحياة العقلية الشعورية - اعتبروا الإحساسات والصور والمشاعر بمثابة الوحدات النهائية الأساسية . على حين أن بعض علماء النفس التجريبي يعتبرون المثير والاستجابة بمثابة الوحدات (كالحافز

والعادة) ، واتخذ علماء النفس الفسيولوجى تجمعات الخلية كوحدات ، بينما المهتمون بالإحصاء اتخذوا من العوامل وتجمعاتها وحدات لهم ، على حين اتجه علماء النفس الإكلينيكي ناحية الحاجة ، بينما اهتم غيرهم من المشتغلين بدراسة الشخصية ناحية السمات والانجهاات .

وقد كان هذا التعدد فى الوحدات ، مع ذلك ، مصدر خلط بين العلماء ولذا كان هناك رد فعل واضح من جانب بعض مدارس علم النفس الحديثة ممثلا فى مدرسة الجشتلت التى انصكرت الاهتمام بالعناصر والجزئيات وأكدت فى الوقت نفسه أهمية المجال أو الصيغة الإجمالية العامة أو النمط العام . فالوحدات الجزئية فى نظر اصحاب هذه المدرسة لا أهمية لها فى ذاتها من حيث هى جزئيات لأن الجزء يستمد صفاته وخصائصه من السكل الذى ينتمى إليه .

ومع ذلك ، فلا بد من أن يكون هناك شيء ما يفسر لنا التكرار والثبات فى سلوك الفرد . ورغم أننا لا نذهب إلى القول بأن الوحدات يمكن أن توجد فى حالة نقية أو خالصة ، فإننا نجد مع ذلك أن الشخصية تمثل بناء ثابتاً نسبياً مع الزمن وفى مجالات ومواقف مختلفة . فكيف يمكن أن نفسر هذه الحقيقة ، ما لم نبحث عن نوع من التراكيب التى تقوم عليها الشخصية .

ولذلك بدأ البحث عن التراكيب المختلفة هذه منذ وقت بعيد . ومن المهم أن نعرف كما أوضح شيوى Shuey (١) ، أن معظم الأفكار التى ظهرت فى هذا الصدد ، كفكرة الأنماط مثلاً ، لم تأت من علماء نفس أكاديميين ، بل من أناس آخرين كان معظمهم يشتغل بالطب أو الفلسفة . فنذ القرن الرابع قبل الميلاد وحتى القرن السابع عشر الميلادى ، كانت نظرية الشخصية تفسر فى

(1) See Gullford. Joy Paul : Personality, New York. Mc Graw-Hill 1959. chp. 5.

ضوء المزجة الأربعة الأساسية التي قال بها ابقراط (٤٠٠ سنة ق . م) ،
وهي الدموي والسوداوي والصفراوي والبلغمي والتي تقابل العناصر الأربعة
في الطبيعة والتي قال بها أبنادوفليس سنة ٤٥٠ ق . م والتي هي على التوالي
الهواء والتراب والنار والماء . وعلى الرغم من وضوح الصورة إلا أنه لا يمكن
الأخذ بها كما يقول البورت . فهي تقيم علم الطبيعة والكيمياء الحيوية وعلم
النفس على نفس العناصر الأربعة . وإذا كانت « وحدة العلم » يمكن بلوغها
في يوم ما ، فانها لن تكون على هذه الصورة المبسطة للغاية .

وحين فقدت الوحدات المزاجية بريقها ، ظهرت نظرية الملكات لتحل
مسرحة الفكر ما يقرب من قرنين من الزمان (في الفترة ما بين ١٦٥٠ —
١٨٥٠ م تقريبا) . فكان ينظر إلى الطبيعة الانسانية على أنها مكونة من
وحدات بسيطة سميت باسم الملكات . فكان هناك « قوى » الذكرة والتفكير
والتصور والتخيل الخ . ولقد بحث فرانز جوزيف جول (١٧٥٨ —
١٨٢٨) مؤسس علم القراءة عن ملكات ذات صلة وثيقة بالصفات الشخصية
كالغرور والصدقة . والجدير بالذكر في هذا الصدد أن جول كان مهتما إلى
درجة كبيرة بمشكلة الفروق الفردية وبحث عن تفسير لها بالرجوع إلى
الملكات . ومع ذلك فلم يكن جول مقتنعا بالملكات التي صادر على وجودها
علماء النفس في أيامه . فقد كتب يقول إننا لا نجد في أي مسكان رجلا
أو امرأة يمجد بالقهم والإرادة والإنباء والرغبة . . . أن كل انسان — فيما
عدا الأبله — يستمتع بكل هذه الملكات ومع ذلك فنصيب كل إنسان من
هذه الصفات العقلية أو الخلقية مختلف إننا نحتاج إلى ملكات يحدد
توزيعها المختلف الأنواع المختلفة من الحيوانات ونفس النسب المختلفة لها
الفروق بين الأفراد . وبذلك يمكن القول بأن جول قد سبق معاصريه بـ

طويل في معالجة مشكلة الفروق الفردية (١) .

وتحت تأثير دارون ، انتقل الإهتمام في دراسة الشخصية من المملكات إلى الغرائز . ويعتبر وليم مكيدوجل الممثل لهذا الاتجاه في علم النفس مع بداية القرن العشرين . لقد نظر مكيدوجل الى الغرائز باعتبارها الوحدات الأساسية التي يقوم عليها السلوك والتي في ضوءه يمكن تفسير شخصية الفرد . وقد دعم فرويد هذا الاتجاه حين ذهب إلى القول في تفسيره للسلوك والشخصية بوجود غريزتين هما غريزة الجنس وغريزة العدوان . غير أن نظرية الغرائز قد تعرضت إلى الكثير من النقد وخصوصا من جانب علماء الأثروبولوجيا الذين هاجموا من ناحية عموميتها جميع أفراد الجنس البشري ، كما تعرضت إلى الهجوم من جانب بعض علماء النفس الذين رأوا فيها عودة إلى تقسيم النفس البشرية إلى أجزاء وبالتالي عودة إلى نظرية المملكات .

وقد تغيرت الصورة بعد ذلك وتعددت النظريات والأراء . فصادر السلوكيون على وجود الحوافز — وهي إلى حد بعيد اشتهايات فسيولوجية — باعتبارها الوحدات الأساسية التي تقوم عليها الشخصية . بينما ذهب البعض الآخر إلى القول بوجود الحاجات والتي هي — على عكس الغرائز — ليست فطرية بالضرورة وإنما هي مجرد اتجاهات أساسية للدوافع كالحاجة إلى الخضوع والتحصيل والعدوان والسيطرة والعزلة وغيرها من الحاجات التي أوضحها موري بشيء من التفصيل .

وهذه اللامحات التاريخية تفيدنا في إعطاء صورة للبحث الذي بدأ منذ ما يقرب من النى سنة ، ولم يصل بعد إلى نتيجة . وهناك اتجاهات واقتراحات

(١) Mackinnon, Donald, W.: The Structure of Personality. in J. Mc V. Hunt. (ed) Personality and the behavior Disorders vol. 1, New York. The Roland Press Company 1944. p.p. 2-48.

تظهر باستمرار في هذا المجال الغامض . فإلى جانب الغرائز والخواطر والحاجات والقيم ، هناك العادات وزملة العوامل والمكونات الشخصية والأنماط والأبعاد والسمات . وقد يفضل واحد أو أكثر من الباحثين أحد هذه الأنواع من الوحدات ويشرع في وضع تعريفاته وتصنيفاته الفرعية لها . وحتى لو اتفق الباحثون حول تحديد نوع معين من الوحدات على غيرها ، فسوف يختلفون عادة حول الوحدات الخاصة التي يمكن تمييزها وإدراكها تحت هذا النوع .

وسوف نعرض في هذا الفصل والفصول التالية في هذا الباب لبعض الوحدات الأساسية التي تقوم عليها دراسة الشخصية .

بناء الشخصية في ضوء نظرية الأنماط

إن تصنيف الناس إلى أنماط هو الأسلوب الطبيعي الذي يلجأ إليه المبتدئون في دراسة الشخصية . والرجل العادي يقوم أيضاً بتصنيف الناس الذين يعرفهم إلى أصناف ذو أنماط . ومثل هذا التصنيف يتجه نحو التقسيم الإقتصادي ونحو إمكانية التعرف السريع على الناس . فالرجل العادي يرى أن من المناسب أن يصنف الناس في أصناف حتى يسهل عليه التعامل مع كل صنف حسب ما يترأى له . فهو يسلك بطريقة ما مع من ينتمون إلى نمط معين وبطريقة أخرى مع من ينتمون إلى نمط آخر .

ويمكنه في هذه الحالة أيضاً أن يتنبأ ويضبط سلوك الآخرين في ضوء ما يظنه أنه يمثل النمط الخاص الذي ينتمون إليه . وليس مثل هذا العمل بالأسلوب الحديث . فقد ظهر بشكل واضح في التصوير الإبدئي للشخصية الذي بدأ عند ثيوفراستس أحد تلاميذ أرسطو والذي قدم لنا ثلاثين صورة لشخصيات قام بتصويرها تصويراً أدبياً رثماً اتبع في كل منها نفس الأسلوب

الذى يتلخص في تعريف للسمة ثم وصف الشخصية التي تسود لديها هذه السمة وتعبّر من نفسها بطرق مختلفة . ومن الواضح أن ثيوفراسطس لم يصف كل الأنماط البشرية . كما أنه كان هناك تداخل ملحوظ في تلك الأنماط البشرية التي قام بتصويرها ووصفها . وقد تبع أسلوبه في وصف أنماط الشخصية الكتاب المحدثين من أمثال شوسر ، وبن جونسون وجورج اليوت وصموئيل بتلر وغيرهم .

غير أن البعض قد خرج على هذه الصورة التي رسمها ثيوفراسطس في رسم الشخصية . وكشف هؤلاء عن اعتقاد بأن لكل إنسان نمطاً ثابتاً يسلك وفقاً له ، بحيث تصبح جميع تصرفاته متسقة بعضها مع بعض ومتسقة كلها مع هذا النمط العام للشخصية . ومن أبرز هؤلاء « جان دي لا بريير » (١٦٤٥ - ١٦٩٦) والذي كانت صورته الفنية التي قدمها في الحقيقة وصفاً للأفراد أكثر منها وصفاً للأنماط . ومع ذلك كانت من العمومية لدرجة كبيرة تسمح بوضعها تحت التخطيطات الأكثر عمومية للشخصية . فبدلاً من أخذ السمة البارزة وبيان كيف تكشف عن نفسها في صور عديدة من السلوك على نحو ما فعل ثيوفراسطس ، فإن « دي لا بريير » صور التباينات السيكولوجية للكثير من السمات لدى الشخص الواحد . فثبت سمات الشخصية والتعبير عنها في أسلوب يميز من أساليب الحياة التي لها صفة العمومية كان واضحاً في كتابات دي لا بريير .

وفي ذلك يقول ما كينون (١) إن من الممكن إن نلص في الكتابات التي تصور الشخصية تصويراً أدبياً اتجاهين ضمنيّين في بناء الشخصية . الأول يتمثل في شخصيات ثيوفراسطس ويؤكد أهمية السمة السائدة كقوة ديناميّة موجهة

(١) المرجع السابق

ويعطى الشخصية ثباتها واستقرارها . والثاني يتمثل فى كتابات دى لا بريير ويؤكد وجود أسلوب فريد يميز للحياة يطبع السمات المختلفة للفرد بطابع خاص يكشف عن نفسه فى كل ما يقوم به الفرد من أعمال .

ولكن أهم ما يمكن أن يؤخذ على هذا التصور الأدبى للشخصية سواء تماثلا فى كتابات ثيوفراستس أو كتابات دى لا بريير ، هو أنه يكتفى بمجرد وصف أنماط الكائنات الإنسانية دون أن يكلف نفسه عناء البحث وراء العوامل المختلفة المتفاعلة فيما بينها والتي أدت بالشخص الى أن يصبح على هذه الحالة من الوصف الذى صارت اليه (١) .

وعبر الأجيال المتعاقبة ، حاول الباحثون وضع نظريات وطرق ووسائل لا حصر لها للحكم على الشخصية . وكان البعض قد رفض الوسائل والأساليب المعقدة التى كانت قائمة كأساليب الفراسة والتنجيم . وقد سار التقدير العلمى للشخصية سيرا بطيئا لأنه كان يشق طريقه بصعوبة بالغة بين الخرافات والمعتقدات القديمة . وقد بدأ علم النفس دراسته على أسس علمية أكثر صلابة مما أدى الى اختفاء الكثير من الأفكار ذات الطابع الأدبى وتلك التى لا تستند الى أساس علمى متين كفراسة الوجه ودراسة الجمجمة ودراسة التطوُّر والتنجيم وغيرها .

وفى ما يلى عرض لبعض نظريات الأنماط ذات الأهمية فى دراسة الشخصية :

أولا : النظريات التكوينية :

إن إحدى الإضافات الحديثة التى صدرت عن علم نفس المزاج ، القديم ، هى تلك التى تعرف باسم « علم النفس التكوينى » . وعلى نحو ما قسم القدماء

الناس إلى أنماط أربعة : دموى وسوداوى وحسفاوى وبلغمى ،
فكذلك يميل علم النفس التكويني إلى إقامة أنماط الشخصية على أساس الخصائص
المورفولوجية للجسم . فالشخصية هي في نظره التعبير المنطقي لاتجاه النمو
الجسمي والفسولوجي . وعندما أقام الأغريق القدماء نظريتهم في بناء الشخصية
على أساس سوائل الجسم كعوامل مسببة وعملية ، فقد اقترحوا بذلك من بعض
النظريات السائدة بدرجة أكثر مما كان متوقفاً . فن المعروف أن الغدد الصماء -
كالغدة الصنوبرية والغدة النخامية والإدرينالية وغدد الجنس وغيرها - تصب
مباشرة في مجرى الدم هرمونات تصل إلى كل خلية من خلايا الجسم وتستثير
بذلك أو تكبت نشاط الأعضاء المختلفة .

وقد أقام بعض علماء النفس التكويني نظرية تذهب إلى أن إفرازات
الغدد هي العامل المحدد لحدوث سمات الشخصية . وإذا كان الأقدمون قد ذهبوا
إلى أنه عندما يكون المزاج دمويًا ، فإن نسبة الدم في الجسم تزيد على نسبة
الآخلاط الأخرى ، فإن المحدثين قد حاولوا الربط بين سمات معينة وزيادة
أو نقصان إفرازات بعض الغدد كالدرقية والإدرينالية وغيرها . وتتجه بعض
الجهود في الطب الحديث إلى تصحيح بعض عيوب الشخصية وبعض الأمراض
الجسمية بتزويد الجسم بهرمونات معينة بدرجة أكثر ، أو بخفض نسبة
الإفرازات الداخلية للجسم . ولقد ظهرت بعض نظريات الأنماط التي تربط
بين نواحي الشخصية ونمو الجسم . ويمكن أن نشير إلى أهم هذه النظريات :

١ - نظرية كرتشمير :

وضع السيكانري الألماني كرتشمير نظاماً قصد به وصف التراكيب الجسمية
والمورفولوجية في علاقتها بكل من الخلق والشخصية . وفي محاولته رسم
صورة لنظريته ، وضع كرتشمير أنماطاً ثلاثة رئيسية للتكوين الجسمي هي :

النمط البدني: pyknic type ويتمثل في الشخص المعتدل الجسم ، قصير الساقين سميك العنق ، عريض الوجه .

النمط النحيل : asthenic type (وقد أطلق عليه فيما بعد اسم Leptosome physique) ويتمثل في الجسم الطويل النحيل ، طويل الأطراف ، دقيق العظام ونحيلها .

النمط الرياضي: athletic type وهو أشبه بالنوع السابق سوى أنه قوى (العضلات ممتلئة الجسم ويشبه الرياضيين في تكوين بنياتهم .

وثمة نوع رابع أسماه كرتشمير باسم Dysplastic type ويتمثل في تكوين الأشخاص الذين يقومون - ربما بسبب اختلال في إفرازات الغدد أو غيرها - في مجالات خارج نطاق المجالات الثلاثة السابقة .

وكان كرتشمير يعتقد بوجود علاقة ملحوظة بين كل نمط من هذه الأنماط الجسمية الثلاثة الرئيسية وبين الصفات المزاجية والشخصية . ورغم أنه لا ينكر وجود فروق ملحوظة في النواحي المزاجية بين الأفراد والأنماط المختلفة ، إلا أنه كان يعتقد اعتقاداً جازماً بأن أنماط الجسم ترتبط ارتباطاً وثيقاً بأنماط مزاجية وذهانية معينة . ولما كان كرتشمير قد استمد معظم مادته من دراسته لحالات الهوس والإكتئاب وحالات الفصام ، فإن من السهل أن نتبين سر ميله في تقسيمه إلى هذين النمطين المزاجيين الذهانيين .

وبمساعدة المادة التي قدمها السيكا تري الألماني دأميل كربلين ، (الذي ساهم في تصنيف الأمراض العقلية إلى كل من حالات الهوس والإكتئاب - بعد أن ضمهما معاً باعتبارهما عرضاً لحالة مرضية واحدة ، وحالات الجنون المبكر - والذى أسماه دبلويلر ، فيما بعد باسم الفصام) ، فقد حاول كرتشمير أن يوضح المشكلة بالتمييز بين هذه الأنواع الكبرى للمرض العقلي وقد وضحت اهتماماته

في بحوثه العلية التي قام بها على مجموعتين أساسيتين من حالات الذهان وهما حالات الهوس والإكتئاب وحالات الفصام . وقد شخص المجموعة الأولى بأنها تكون في حالة انبساط زائد وكثرة نشاط وحركة وهذا عظمة (صورة الهوس) ثم تنتقل إلى حالة من القلق وبطء الاستجابة والإكتئاب الزائد (صورة الإكتئاب) . والشخص المصاب بهذا المرض يتصف بوجود فترات متناقضة متتالية من الهوس والإكتئاب . أما حالات الفصام فتشترك أهراسها في تلبيل الأفكار وعدم انتظامها وعدم المبالاة والتبيل العاطفي والهلوسة ، والسلبية والاضطراب الانفعالي .

وقد بحث كرتشمير في ما إذا كانت ثمة علاقة بين هذه الاضطرابات السلوكية والخصائص الجسمية المعينة . وكان السؤال الذي وضعه موضع البحث هو هل الأفراد الذين من نمط جسمي معين يميلون إلى تنمية اضطرابات عقلية من نوع معين . وإذا كان ذلك كذلك ، فكيف يمكن تصنيف هذه الأنماط ؟ وفي دراسة قام بها على ٤٠٠ مريض عقلياً وجد أن هناك علاقة واضحة وملحوظة بين النمط الجسمي والاضطراب العقلي . وقد كانت هذه العلاقة واضحة لدرجة جعلته يذهب إلى القول بأنه عندما تكون الحالة حالة فصام ، فإن الفرد غالباً ما يكون من النوع النحيل ، أما إذا كانت الحالة هي حالة هوس وإكتئاب ، فإن الفرد يكون أميل إلى البدانة .

ولقد وجه النقد إلى دراسة كرتشمير على أساس أنها تفتقر إلى الوسائل الدقيقة لقياس الصفات الجسمية كما أنه أغفل عاملاً هاماً له تأثيره وهو عامل السن . لحالات الفصام تميل إلى الظهور في سن مبكرة عن تلك التي يظهر فيها عادة اضطراب الهوس والإكتئاب ، وفي وقت تكون فيه بنية الجسم أميل إلى الوهن والنحالة أعني في المراهقة المبكرة ، بينما حالات الهوس والإكتئاب فتكون أميل إلى الظهور في سن متأخرة .

ب - الأنماط المورفولوجية ل نكاراني :

وثمة باحث آخر في علم النفس التكويني حاول توضيح الاتجاه المورفولوجي بالنسبة للشخصية هو الإيطالي نكاراني ، بالدراسات الانثروبولوجية التي قام بها الإيطالي فيولا viola . فحاول ربط بلمية الجسم والذكاء في ضوء مقاييس كمية . ورغم معرفته أن الذكاء عامل بالغ التعقيد لا يمكن قياسه وسبر غوره بصفة واحدة أو حتى عدد من الصفات الجسمية ، فقد حاول وضع الدليل المورفولوجي . وقد ذهب في تعليقه لذلك إلى أنه إذا أمكن وضع مثل هذه القائمة من السمات الجسميه ، فإن ذلك قد يسهم في فهم التنظيم العقلي للفرد . وقد حاول صياغة الدليل المورفولوجي في أبسط صورة على النحو التالي :

$$\frac{\text{طول الأطراف}}{\text{حجم الجذع}} = \text{الدليل المورفولوجي (M.I.)}$$

$$\text{Morphological Index (M.I.)} = \frac{\text{length of two limbs}}{\text{volume of trunk}}$$

وقد أمكن لنكاراني التعرف على نمطين متميزين من الأنماط الجسمية هما :

النمط الذي يتميز بقصر الجذع مع نمو طبيعي للأطراف بشكل يجعلها تبدو معها كأنها أطول من الطبيعي . وقد أسمى هذا النمط باسم microsplanchnic (وفي هذا النمط تفوق الأقطار الرأسية على الأقطار الأفقية في الجسم ككل أو في مكوناته : الجذع والأطراف ونسب الأطراف) .

أما النمط الثاني فيتميز بكبر الجذع مع نمو طبيعي للأطراف بشكل يجعلها تبدو معه وكأنها أقصر من الطبيعي . وقد أسمى هذا النمط باسم macrosplanchnic (وفي هذا النمط تكون الأقطار المستعرضة أكبر وتسود على الأقطار الرأسية في الجسم ككل أو في مكوناته : الجذع والأطراف ونسب الأطراف) .

وقد لاحظ نكاراني في أبحاثه أن الإذكاء يميلون إلى أن يكونوا طوال

نحفاء ويكون الجذع صغيراً والأطراف قوية . أما الأغنياء فهم على العكس
يميلون إلى الضخامة وكبر الجذع كما تكون الأطراف أقل نمواً . وفي ضوء هذه
الملاحظات يذهب نكاراتي إلى أن النمط الأول دليل على الذكاء ، بينما النمط
الثاني فهو مرتبط بالغباء (١) .

ونعتبر نسبة الطول إلى الوزن في الدليل المورفولوجي أو التكويني عند
نكاراتي ذات أهمية كبيرة في الكشف عن النمط الجسمي وبالتالي تحديد نمط
الذكاء . ومع ذلك فقد حاول نكاراتي توسيع فكرته فطبق الدليل التكويني
على العصائين من أجل دراسة العلاقة بين الأنماط المورفولوجية والسمات
المزاجية وغيرها من سمات الشخصية . ففي دراسة قام بها على ١٠٠ إيطالي من
أعمار مختلفة عن سبق تشخيصهم على أنهم عصائين وجد نكاراتي :
١ - أن عدد قصار وطوال الجذع بين حالات العصاب أكبر منه بين عدد
عائل في نفس السن من الحالات العادية .

٢ - أن النمط قصير الجذع أميل إلى حالات النيراثينيا .

٣ - أن النمط طويل الجذع أكثر ظهوراً بين حالات الإضطراب
النفسى الوجداني .

وهذه النتائج تعني أن النمط قصير الجذع أميل إلى التعب والعصبية والشعور
بالإجهاد ، بينما النمط طويل الجذع أميل إلى عصاب القلق والهمستيريا .
أما النوع الذي يتناسب فيه طول الأطراف وحجم الجذع Normosplanchnics
فلديه مقاومة ملحوظة لسكل من التأثيرات المرضية الداخلية والخارجية . ويسبب
هذه القدرة على مقاومة الإحباط والصراع ، فإن الفرد من النمط العادي يكون
أميل إلى الثبات الانفعالي .

(١) Naccarati. S.: The Morphologic Aspects of Intelligence.
Archives of Psychology 1921. 6, 1-44.

ولكن نتائج الدراسات التي أجريت لمنافسة فكرة نيكاراقي لم تؤيد صحتها فقد قامت هيدبريدر (١) Heidbreder بفحص ١٠٠٠ طالب من الأمريكان البيض بجامعة ميلسوتا بقصد معرفة هل هناك ارتباط بين النمط الجسمي ومستويات الذكاء. فبعد قياس أطوال وأوزان الأفراد، أوجدت معاملات الارتباط بين الأدلة المورفولوجية ونتائج خمسة اختبارات ذكاء فكان الارتباط صفراً تقريباً. وقد انتهت إلى أن نتائج دراستها لا تؤيد ما يذهب إليه نيكاراقي من وجود علاقة بين التكوين الجسمي والذكاء. وقد كشفت مثل هذه الدراسات عن نواحي الضعف الأساسية في فكرة النمط التكويني، وذلك أن معظم الناس لا يقعون تحت أنماط تسكوبية افتراضية محددة على نحو ما يذهب نيكاراقي وغيره من أنصار فكرة الأنماط التكوينية.

(ح) الأنماط التكوينية لوليم شلدون :

وخلال السنوات العديدة التي أعقبت عام ١٩٣٨، قام شلدون بوضع نظريته عن الأنماط التكوينية والتي تعتبر أشهر النظريات في هذا المجال. وتذهب هذه النظرية في أبسط صورها إلى أن هناك مكونات جسمية ثلاثة أولية يقابلها مكونات مزاجية ثلاثة أولية كذلك. وقد عرض لهذه النظرية في بعض كتبه (٢).

(1) Heidbreder, Edna. : "Intelligence and the Height - Weight Ratio. J. of Applied Psychology 1936. 10., 52-62.

(2) Sheldon, William.H. : Varieties of human Physique. New York Harper 1940.

Sheldon, William.H. : Varieties of Temperament. New York Harper, 1942.

Sheldon, William.H. : Constitutional factors in Personality. In : J. Mc. V. Hunt. : Personality and the behavior Disorders. New York. Ronald, 1944.

وفي الجدول التالي نقدم وصفا مختصراً للغاية عن هذه الأنماط الجسمية وما يقابلها من أنماط مزاجية وسلوكية. وقد جمعنا النطين معاً تحت اسم واحد بسهولة تذكره ووصف نمط الشخصية الذي يمكن أن توصف به إلى الجدول وصفا تفصيلياً لأن المميزات السائدة لكل نمط جسمي / مزاجي على حدة . ونحب أن نشير هنا إلى أن النمط الخاص لا يكاد يوجد في الطبيعة فمعظم الناس مزيج من هذه الأنماط . (أنظر الجدول على الصفحة التالية) .

(١) النمط الداخلي التركيب / الحشوي الأساسي :

والصفات التالية هي أبرز صفات هذا النمط الجسمي / المزاجي على النحو ما يتضح في سلوك أفرادهم . ولكن ليس من الضروري أن تظهر كل هذه الصفات مجتمعة عند الفرد من أجل أن يتدرج تحت النمط بل يكفي ظهور الكثير منها . وهذه الصفات هي :

١ - الاسترخاء في الجلسة والحركة : فالشخص عندما يمشي تكون مشيته وئيدة هادئة . ويكون أحياناً متثاقلاً ومتمهلاً . وهو حين يقف ، يقف باسترخاء ويميل إلى الإستناد إلى حائط أو باب أو أى شيء آخر . وهو في الأغلب يفضل الجلوس على الوقوف

٢ - حب الراحة البدنية : وهو ليس فقط يحب الجلوس ، بل هو أيضاً في جلسته يجلس مترهلاً وفي حالة راحة تامة . كما أنه يميل إلى اختيار ملابس من النوع المريح الواسع الفضفاض .

٣ - بطء الإستجابة : يحتاج إلى وقت طويل للاستيقاظ وارتداء ملابسه والانتقال من مكان لآخر . بطيء الحركة ، بطيء في عمله . لا يمكنه أن يدخل مع بقية زملاءه في سباق جرى أو في مباراة تنس مثلاً لأن هذه الألعاب تتطلب السرعة والحركة .

علاقة النمط الجسمي بالنمط المزاجي والشخصية

الشخصية	النمط المزاجي	النمط الجسمي
الداخلي / المحشوي Endo / Viscerone	النمط المحشوي الأساسي Viscerotonia يميل إلى الاسترخاء	النمط الداخلي التركيب Endomorph يميل إلى البدانة
المتوسط / الجسمي Meso / Somatetonia	النمط الجسمي الأساسي Somatetonia يميل إلى توكيد الذات	النمط المتوسط التركيب Mesomorph يميل إلى القوة العضلية
الخارجي / الخفيف Ecto / cerebrotome	النمط الخفيف الأساسي Cerebrotonia يميل إلى الكبت	النمط الخارجي التركيب Ectomorph يميل إلى النحافة والرهق

٤ - حب الاكل : لديه شهية جيدة للطعام ويستمتع بالاكل ويميل إلى وجبات الطعام الدسمة المتعددة الالوان .

٥ - حب الاكل مع الجماعة : لا يحب الاكل وحده ، بل يستمتع بمشاركة الآخرين طعامهم . ثم إنه يجد لذة كبيرة في الشبع ولذا نجده يربط على بطنه معلناً عن أنه تناول وجبة ممتعة .

٦ - حب الحفلات المبهجة : يحب الاجتماعات ويشارك فيها بنشاط كحفلات الزواج وأعياد الميلاد . ولا يهمه ما ينفقه في إعدادها أو المشاركة فيها من وقت أو جهد .

٧ - حب الاجتماع مع الآخرين : يحب الناس ويألف الآخرين بسرعة ، كما يألفه الآخرون ومن ثم فإنه سرعان ما يكون صداقات مع الآخرين وهو من النوع الذي تعبر عنه كارين هورني بحبه ، للاتجاه نحو الناس ، فهو يشعر بالتماسة إذا أحس أنه غير مرغوب فيه .

٨ - الإهتمام بالناس أكثر من الأشياء : وهو عندما يزور معرضاً علياً مثلاً ، نجده يهتم بالأشخاص الذين في المعرض أكثر من اهتمامه بالألوان أو الأدوات المعروضة .

٩ - الهدوء الإنفعالي : هادئ ، انفعالياً ، لا يميل إلى العجلة . ففي الوقت منسج لآداء ما يريده من أعمال . ولذا لا يقلق كثيراً على إنهاء عمل ما اليوم .

١٠ - التسامح : يحب العفو عن أخطاء الآخرين واعتفارها .

١١ - الرضا عن الذات : كثيراً ما يعتقد أن الشر ينطوى أيضاً على شيء من الخير ، ولذا تجده يرضى بالكثير مما يحدث له من أحداث .

١٢ - النوم العميق : يمكنه النوم في مختلف الأجواء فلا تقلقه الأصوات

وقد يزعجه صوت المذياع ، أو التليفزيون مثلاً . وإذا حدث شيء بالليل يستحق الذكر ، فقد يعانِب الآخرين في الصباح بقوله : « لماذا لم توقظوني من النوم » .

١٣ - ذو صفة طيبة : فأية مشكلة يريد حلها ، فإنه يأخذ فيها رأى الآخرين . وعن طريق مشاركة إرادة الأغلبية ، يرى أنه قد اتخذ أحسن القرارات في مثل هذه الظروف .

١٤ - هادئ : فن السهل عليه أن ينقل مشاعره إلى الآخرين . يجب التحدث والكلام . أما الكتابة فتعجبه بالنسبة له .

١٥ - الشعور بالحاجة إلى الناس عندما يواجه مشكلة ما : فهو كالطفل الصغير لا يكتف سرّاً ، بل لابد أن يخبر به الآخرين . ولا يهمه أن يأتي العون من الآخرين . بل كل ما يهمه أنه أشرك الغير معه وبذلك يخفف من الحمل الملقى عليه .

١٦ - الاتجاه نحو الطفولة في علاقائه الأسرية : يحب الحياة ويستمتع بها بصرف النظر عن عمره الزمني . إنه إنسان حساس أيضاً لديه قدرة كبيرة على أن يرى ويسمع ويحب ويعيش ببساطة .

ويحذر بنا أن نشير هنا إلى أن شلدين يؤمن بالمتغير المتصل والذي يعني أن كل فرد توجد لديه بعض هذه الخصائص مضافاً إليها خصائص من النمطين الآخرين ومع ذلك فإن البعض يكون أكثر ميلاً إلى النمط الداخلي / الحشوي مما يجعلنا نسميه بهذا الاسم أو نلصقه إلى هذا النمط . ويذهب شلدون إلى افتراض تأثيرات واستعدادات تسكوبية نحو نمط ما أكثر منها نحو النمطين الآخرين . أما الشخصية التي تحوى نسباً متعادلة من هذه الأنماط الثلاثة فهي نادرة الوجود .

(ب) النمط الداخلي التركيب / الجسمى الأسامى :

والنمط المتوسط / الجسمى يتميز بقوة العضلات والعظام . فهو قوى يشبه لاعب كرة القدم المحترف ، عضلاته قوية وجسمه قوى . ورغم أنه قد لا يبدو طويلا ، إلا أن مظهره يبدو قويا ويتميز هذا النمط بالخصائص الآتية:

١ - تؤكد في المشية والحركة : ويدلها حركة النمط السابق هادئة متناظرة ، إذ بحركة هذا النمط قوية فهو يدفع الباب أمامه ، لا يتمهل في سير ، بل يسرع الخطى . ومن المستحيل أن يقف ساكناً لفترة طويلة فهو يحب الحركة باستمرار .

٢ - حب المخاطرة الجسمية : فبدلاً من الرغبة في الجلوس أمام منضدة مكتظة بالطعام أو الاستغراق في نوم عميق هادئ ، فإن هذا النمط يحب العمل يحب السير أو اللعب . أى يحب عمل أى شئ . بدلاً من الاستقرار والسكون . فهو يميل إلى الحيوية والنشاط . ولذا فمن أصعب الأمور عليه أن يحتجز في سرير بالمستشفى .

٣ - حب السيطرة : وهذا النمط من النوع الذى يتلهم إلى القوة والسيطرة ولذا فهو من النوع الذى يتحرك ضد الناس على حد تعبير هورنى . وهو يميل إلى المنافسة . ومن المستحيل على هذا النمط أن يقوم بنشاط دون صراع مع الآخرين من أجل السيطرة .

٤ - حب المخاطرة والاعتماد على الحظ : فهذا النمط يميل إلى الإهمال التى بها مخاطرة كقيادة السيارة بسرعة كبيرة وكذلك القيام بألوان النشاط الأخرى التى بها قدر من الخطورة .

٥ - الأسلوب الجريء في معاملة الآخرين : فمعظم أحيائه تكشف عن هذه الصفة . فهو يواجه أصحابه والغير بوجه عام بملاحظات نقدية مباشرة .

ويضعهم موضع الدفاع عن أنفسهم عما يجعله يحس بالموقف الأقوى وإذا كان النمط السابق يذل جهده ليجعله تحبه ، فإن هذا النمط يذل جهده ليجعله تحترم قوته .

٦ - الشجاعة البدنية في النزاع : إنه جندي مثالي في النزاع ، لأن بلوغ السيطرة على أفرانه هو هدفه الأسمى .

٧ - الصلاة أو القسوة من الناحية النفسية : إن ما يقوم به من عمل نحو الآخرين ، إنما هو لإشباع دوافعه الذاتية نحو السيطرة والقوة وليس لإبداء المحبة للآخرين .

٨ - خواف الأماكن المغلقة : لا يجب ألا تكن المغامرة ويميل باستمرار إلى الأماكن المفتوحة كالملاعب وغيرها .

٩ - عدم الإحساس بمشاعر الآخرين : والمناظر المؤلمة للوفاة مثلاً قد لا تثير الكثير من الإضطرابات عنده فهو يهتم بكيفية حدوث الوفاة أكثر من اهتمامه أن هناك ضحية .

١٠ - صوت جهوري طليق : وهو عندما يتحدث ويميل إلى الحديث بصوت عال ، ولذا يشعر بتقييد لحرية إذا وجد في المكتبة أو السينما .

١١ - عدم المبالاة بالألم : إن آخر ما يصرخ به هو أن هناك جرحاً يؤلمه ويؤذي به فهو لا يجب أن يصرخ علناً بأنه يتألم ، بل يجب أن يبدو أمام الآخرين بأنه قوي ورجل يتحمل الألم .

١٢ - حب الجلبة بوجه عام : يمكنك أن تسمعه وهو يدخل المنزل ويقفل الباب ويفتح الأدراج ويقوم بعمله ، وذلك بسبب ما يهدته من جلبلة وعضاضة .

١٣ - النضج في المظاهر : يبدو بوجه عام أكبر من سنه . ولذا تجدده وهو شاب يتعجل الرجولة ويخلق ذقنه قبل أن يثبت فيها الشعر .

١٤ - توكيد الذات والميل إلى العدوان : وإذا دخل في شجار مع الآخرين يجب أن يعلن عن نفسه بأنه الرجل الوحيد في المجموعة ولذا فهو يتحدى كل من يعارضه وفي صوت جهورى .

١٥ - الحاجة إلى العمل عند ما يقع في مشكلة : فإذا أخذ تقديراً منخفضاً مثلاً ، فإنه لا يرضى بذلك ويذهب إلى أستاذه ويعلن عدم رضاه عن هذه الدرجة ، فهو يريد أن يعمل شيئاً .

١٦ - الاتجاه نحو أهداف وأنشطة الشباب : وهو عند ما يشارك في أنشطة ترويحية مثلاً ، يقوم بذلك لتحقيق أهداف معينة كتوكيد ذاته كأن يقذف بالكرة أبعد من غيره أو يحرز نجاحاً أكبر . فحياته من النوع الموجه نحو هدف .

(ج) النمط الخارجى التركيب / النخى الأساسى :

و غالباً ما يكون هذا النمط من النوع النحيل الوسيم الأنيق الملبس . كما أنه فى أغلب الأحيان من النوع المفكر المحب للعزلة . وهو يجد أن أحسن ما فى العالم كامن فى نفسه وداخل ذاته . وهذه هى أهم صفاته :

١ - دقة فى المشية والحركة : دقيق فى مشيته وحركته ، أنيق فى ملبسه يزندى ملبسه ببطء ودقة وقد يلتقى نظرة أخيرة على زيه ليرى أن كل شيء على مايرام وكل عمل جسمى يقوم به يسير فى نظام . فهو عند ما يقف ، يقف منتصباً وعند ما يجلس ، يجلس معتدل القامة ، وهو حين ينام ، ينام مشدوداً ، ولا يبدو إلا نادراً فى حالة استرخاء جسمى .

٢ - سرعة الاستجابة الظاهرة : أن كل استجابة يقوم بها تتم مباشرة

وبدءه ملهوغه فهو حين يلعب التنس مثلاً ينتقل بخفه وسرعه ودقه في أرجاء الملعب ولكن أيضاً يلعب بقوة وعنف .

٣ - حب العزلة : هذا النمط يميل إلى الوحدة . ويحتاج إلى بعض الوقت كل يوم يفرد فيه إلى نفسه وهو يستمتع بالأكل بمفرده ويحب الاستمتاع بالتسجيلات الموسيقية وحده والذهاب إلى المسرح وحده ، وحب الدراسة وحده . والوحدة هي الأهر المفضل لديه .

٤ - انتباه ويقظة عقلية زائدة : فالفرد من هذا النمط يعرف كم سلماً صعد وكم سلماً يتبقى حتى يصل إلى غرفته . وحتى في المحاضرات المملة ، قلما يسرح في أحلام يقظة أو نوم . فهو متيقظ عقلياً . ونشطاً ذهنياً باستمرار .

٥ - كتمان المشاعر وكبت الإنفعالات : وهذا النمط يعتقد أن الكشف عن المشاعر فيه نوع من الضعف في التحكم وال ضبط . والخلق ولذلك فقد تزامله فترة طويلة في العمل أو تجاوزه سنوات طويلة في المسكن ومع ذلك تحس أنك لا تعرف عنه شيئاً .

٦ - ظهور مشاعر الخجل : وهو حين يتحدث اليك ، يتجنب النظر اليك مباشرة . كما أنه حين يضحك يقوم بذلك وبشيء من الوعي بالذات . ولا يسترسل في ضحكك ويضحك باستحياء .

٧ - خواف الجماعات : لا يميل كثيراً إلى الجماعات ، ولهذا فهو يتجنب الجماعات الكبيرة من الناس ويفضل عليها الجماعات الصغيرة التي تربطه بأفرادها . رابطة وثيقة . ويتركز دوره على الأنشطة التي يستمتع فيها إلى قطعة موسيقية . مسجلة أو يتحدث بأقل قدر ممكن .

٨ - استغراق في التفكير : يستحوذ عليه فكره إلى درجة كهرة

وإذا شغلته مشكلة فقد يستغرق فيها بعمق وقد لا يهتم أو يتطلع إلى جماعة الزملاء الذين يمر أمامهم .

٩ - مقاومة الروتين والعادة : لديه نزعة إلى عمل الأشياء بشكل جديد يقاوم السلوك الروتيني المعتاد .

١٠ - خواف الأماكن المفتوحة : لا يحب الأماكن المفتوحة أو الفضاء .

١١ - عدم القدرة على التنبؤ باتجاهاته : وبسبب أنه لا يكشف عن عملياته الفكرية التي تكن وراء القرارات التي يتخذها . فمن الصعب التنبؤ باتجاهاته .

١٢ - عدم الصياح أو الحديث بصوت عال : وهو بوجه عام شخص هادئ . يتحدث بصوت خفيض . لا يحب مع ذلك الكلام بكثرة

١٣ - حساسية زائدة للألم : إن الأشياء التي تؤلم هذا النمط يبدوا أنها أكثر من تلك التي تؤلم النطيين الآخرين ، فالألم بالنسبة له خبرة مؤلمة غائرة عميقة في النفس تترك آثاراً واضحة فيها . بينما الألم بالنسبة للنمط المتوسط / الجسمي فهو أمر يجب التغلب عليه وهو بالنسبة للنمط الداخلي / الحشوي فهو شيء سرعان ما يعالج ويلسى بسرعة .

١٤ - عادات النوم ضعيفة ويتعب بسرعة : فبسبب أنه لا يسترخى بحدوه فإن النوم يكون صعباً بالنسبة إليه . فهو لكي يسترخى يجب أن يخفض من تحكمه في نفسه وعقله وهو أثناء النوم يتجول بذهنه في الأنشطة التي مرت به في يومه وأمسه ويعيد بناء مشكلاته وبذلك يتبعد أكثر وأكثر عن النوم الهادئ .

١٥ - الحاجة إلى الوحدة عند الإحساس بمشكلة : إذا صادفته مشكلة يجب

أن يصبح وحده . ولا يعرف أحد من المحيطين به إلى أى حد تؤثر فيه المشكلة وما مدى ما يعاينه منها . وهو لا يحب أن يبدو ضعيفاً أمام زملائه من الرجال وطالما أن ليست لديه قوة العدوان الذى ليس لدى النمط الثانى فليست له إذن داخل نفسه .

١٦ - الإتجاه نحو المراحل المتأخرة فى الحياة : نراه وهو شاب كأنه أكبر من سنه بكثير . تبدو عليه مظاهر الرجولة . بل والكهولة أحياناً فى سن مبكرة . نراه رزيناً هادئاً مؤدباً حسن الهندام . يفضل الوحدة بينما أقرانه يهرجون .

مبدأ المتغير المتصل :

تلك هى الأنماط الثلاثة الأولية الخاصة عند شلدون . ولكنه فى دراسته لم يجد أن الأجسام البشرية - من الناحية الواقعية - لا تخضع لمثل هذا التقسيم لأنماط خاصة مجردة وإنما تشمل خصائص نمط من الأنماط على بعض سماته ومظاهر النمطين الآخرين . وقد أكد أيضاً أن اتعال الصفات الجسمية ينطبق أيضاً على النواحي المزاجية أو السلوكية . فليس ثمة شخص يبدو أنه يمثل تماماً نمطاً جسمى ، أو مزاجياً واحداً . ولكن يحوى بداخله الخصائص الجسمية والسلوكية للأنماط الثلاثة . فهو فى جزء منه داخلى / حشوى ، متوسط / جسمى مثلما هو أيضاً خارجى / مخى . ولكنه يكون فى العادة أميل إلى أحد الأنماط منه إلى النمطين الآخرين رغم احتوائه على خصائصهما . ولذلك يقوم شلدون بوضع نظام عددى من سبع درجات أى أن له مدى من ١ إلى ٧ يمكن تطبيقه على النواحي الجسمية والمزاجية على حد سواء . والعدد الأول (من اليمين) يشير دائماً إلى النمط الداخلى التركيب / الحشوى الأساسى ، بينما يشير العدد الثانى (فى الوسط) إلى النمط المتوسط التركيب / الجسمى الأساسى ، أما العدد الثالث (إلى اليسار) فيشير إلى النمط الخارجى التركيب /

النمط الأساسي . فالعدد ١ - ١٠ - ٧ يشير اذن إلى نمط. منخفض جداً في
الداخلي / الحشوى ، منخفض جداً في المتوسط / الجسمى ، بينما مرتفع جداً
في الخارجى / النمط .

والأمثلة الثلاثة الآتية لزيادة توضيح فكرة شلدون في هذا الصدد .
المثال الأول: ٧ - ١ - ٧ : يمثل فرداً لديه مقادير متساوية نسبياً من خصائص
النمط الداخلى / الحشوى والنمط الخارجى / النمط بينما خصائص النمط المتوسط /
الجسمى عنده منخفضة جداً . ويمكن أن نفترض أن مثل هذا الشخص يكون
من النوع المتناقض وجدانياً يبدو ممزقاً بين حب الناس والرغبة فى الوحدة .
ومن المفروض أنه يتذبذب بين هذين الطرفين ، ويمكن أن نقول أيضاً بأنه
يميل إلى حد ما إلى أن يكون غير سعيد وقلقاً فى حياته .

المثال الثانى : ٧ - ٣ - ١ : يمثل شخصاً مرتفعاً فى النمط الداخلى / الحشوى
ومتوسطاً فى النمط المتوسط / الجسمى ، منخفضاً جداً فى النمط الخارجى / النمط .
إنه يعمل بتحمس النمط الحشوى الاساسى واهتياجه . ولكنه عند ما يدفع
بعيداً تحت ظروف معينة ، فقد يكشف عن عدوان النمط الجسمى الاساسى .
ولكن شيئاً واحداً يبدو أنه لا يفعله أبداً هو أنه يعيش بمزول عن الناس .
فهو يريد أن يحبه الناس وإن فشل فى ذلك فقد يمارس سيطرته وقوته
عليهم .

المثال الثالث : ١ - ٧ - ١ : وهذا مثال واحد للنمط المتوسط / الجسمى الذى
لديه كل القدرات الجسمية والمزاجية للنمط المتوسط التركيب / الجسمى الاساسى
بشكل ظاهر وعلى نحو ما سبق أن أوضحنا

وفى دراساته للعلاقة بين النمط الجسمى والنمط المزاجى والسلوكى وجد
شلدون معاملات ارتباط مرتفعة بينها ويمكن أن نشير إلى هذه المعاملات فقيهاً
توضيحاً لمدى الارتباط على نحو ما وجدته شلدون .

معاملات الارتباط بين الجسم والسلوك

الأنماط الجسمية			الأنماط السلوكية
الخارجي التركيب (واهن)	المتوسط التركيب (رياضي)	الداخلي التركيب (بدين)	
		٠.٧٩	الحشوي الأساسي (يحب الناس)
	٠.٨٢	٠.٢٩ -	الجسمي الأساسي (يتحكم ويتسلط في الناس)
٠.٨٢	٠.٥٨ -	٠.٣٢ -	المنحي الأساسي (يتعاشي الناس)

غير أن هذه النتائج التي توصل إليها شلدون أثارت الكثير من الدراسات التي أيد بعضها فروض شلدون ، بينما عارضه بعضها الآخر . ففي دراسة قام بها تشيلد (١) عن العلاقة بين الأنماط الجسمية وتقدير الذات في ضوء السمات المزاجية عند شلدون ، وصل تشيلد إلى ما يؤيد فروض شلدون بوجه عام فقد طلب إلى ٤٠٠ طالباً شخصوا حسب الأدلة القياسية للأنماط الجسمية عند شلدون ، أن يملأوا استفتاءات وضعت كمقاييس لتقدير الذات . وقد وصل تشيلد إلى ما يؤيد - بوجه عام - فروض شلدون عن وجود ارتباطات بين النمط الجسمي وأنواع متعددة من خصائص الشخصية .

(1) Child L: The Relation of Somatotype to Self-Ratings on Sheldon's Temperament Traits, Journal of Personality, 1949, 50, 18, 440-453.

ومع ذلك فقد أضاف تشيلد إلى أن مقدار هذا الارتباط لا يجوز اعتبار النمط الجسمي محددًا هاماً حقيقة للشخصية .

وفي بحث آخر قام به جانوف ومساعدوه (١) عن العلاقة بين النمط الجسمي وزمن الرجوع ومقاومة الألم والسلوك التعبيري ، على ٥١ طالبا من طلاب الجامعة ، انتهى الباحث وزملاؤه إلى القول بأن النمط الجسمي ليس محددًا هاماً لقياس زمن الوجدع ومقاومة الألم .

ولكن شلدون يقوم هو الآخر بسلسلة من الدراسات المستفيضة لتدعيم تقسيمه الثلاثي للإنسان حسب الأنماط الجسمية والمزاجية . ويذهب إلى أنه ليس هناك ارتباطا (واحد في مقابل واحد) داخل هذه الصورة الإجمالية العامة . ورغم أن شخصا معينا قد يكون عضليا إلى درجة أكبر مما نجده عند الآخرين ، إلا أنه ليس هناك نمط عضلي خالص . وقد كان شلدون أسرع إلى التصريح بأن الشخص المتوسط هو صورة مؤلفة من الأنماط الثلاثة ، وأن بعض الأشخاص هم إلى حد كبير يمثلون نوعا من التوازن بين هذه الأنماط . وبعبارة أخرى فإن تصنيفه هو مجرد وسيلة يمكن أن ندرس بها أنماط الشخصية ولا بد . كما يذهب شلدون - من وجود بعض المبادئ العامة التي بواسطتها يمكن دراسة الشخصية .

ولكن ثورب وسمولار (٢) يوجهان النقد إلى تلك الصورة الإجمالية العامة لشلدون من ناحيتين : الأولى افتراض أن السمات هي نتائج الجسم ونموه ، والثانية إغفال الدور الذي تقوم به البيئة في تشكيل كل من الجسم ووظائفه .

- (1) Janoff, I. Z. et al : The Relation of Somatotype To Reaction time resistance to pain , and expressive movement. J. Pers., 1950, 18., 451-460.
- (2) Thorpe L. and Schmuller, A. : Personality: an interdisciplinary Approach. New York, Van Nostrand Company Inc. 1965.

فخصص ما مثلاً قد يكون دون العادى فى شبابه من الناحية العقلية (على نحو ما تكشف اختيارات الذكاء) ولسكنه بعد ذلك قد ينمى ذكاءه إلى درجة أعلى بكثير . فحالته دون العادية فى البداية قد ترجع إما إلى عوامل جسمية أو وجدانية . وباختصار هناك العديد من العوامل المختلفة التى يمكن أن يقال أنها تساهم فى نمط سلوك الفرد . ثم أن هناك حالات عديدة لأشخاص من النوع الرياضى ومع ذلك لا يكونون أميل إلى العدران والمنافسة بل يجدون المتعة فى الدراسة الأكاديمية والعلمية . والواقع أنه ليس ثمة دليل على وجود علاقة سبب ونتيجة بين النمط البدنى والمزاج . وحتى أعمال شلدون نفسها يمكن أن تكشف عن آثار العوامل الثقافية مثلما تكشف عن أثر العوامل الجسمية .

وبالإضافة إلى ما تقدم وبصرف النظر عن بنية جسم الفرد ، فإن التأثير الممكن للبيئة لا يمكن إغفاله والذى يعبر عن نفسه مادياً وثقافياً واجتماعياً . ففى الثقافة التى تتطلب الخضوع من جانب الطفل ، فإن الشخص الذى يفترض أن لديه نزعات للسيطرة ، يميل إلى أن يعمل بخضوع وإلا فإنه يواجه صعوبات ومشكلات مع البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها . فالسلوك يتغير ويتعدل عادة وفق مطالب الجماعة الاجتماعية الخاصة التى يعيش فيها الفرد .

ثانياً : الأنماط السيكولوجية :

(١) أنماط الميول المشتركة : لسبرانجر :

إن النظريات السابقة لأنماط الشخصية تقوم على أساس افتراض وجود علاقة بين الخصائص الجسميه والنواحي المزاجية عند الفرد . ومع ذلك فهناك نظريات تقوم على أسس سيكولوجية . ومن هذه تشير إلى نظرية الميول المشتركة لسبرانجر .

لقد ذهب سبرانجر (١) إلى أن من الممكن تصنيف الناس إلى أنماط سيكولوجية على أساس اشتراك الميول والقيم . وقد افترض سبرانجر مقدماً أن الميول السائدة للرجال والنساء هي تعبيرات عن خلقهم الموروث . فالشخصية في نظر سبرانجر ليست نتاج تفاعل بين الكائن الحي والبيئة ، بل هي تتحدد بتكوينه الوراثي . وفي ضوء نظريته هذه ، افترض سبرانجر وجود ستة أنماط مجردة من الشخصيات . وقد أقام تقسيمه على أساس إحساسها الذاتي بالقيم ، وهذه الأنماط الستة هي : النظرية والجمالية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية . ومن الممكن وصف هذه الأنماط الستة من الشخصيات على نحو ما أوضحها سبرانجر في كتابه (أنماط الناس) على النحو التالي :

١ - النمط النظري : يهتم أساساً بالمواد العلمية والبحث الموضوعي عن الحقيقة ، والوصول إلى القانون العام في الظواهر العلمية وهذا النمط من الأفراد يميل إلى إهمال المسائل السياسية والاجتماعية .

٢ - النمط الإقتصادي : يهتم أساساً بالمسائل الإقتصادية والكسب والثروة والفائدة . وصورة هذا النمط تتمثل في رجال الأعمال .

٣ - النمط الجمالي : يحب الجمال في الصوت والشكل واللون والنسب . ويميل هذا النمط أساساً إلى أن يكون غير عملي ، وليس لديه الصبر على المسائل الإقتصادية والأمور المتعارف عليها بين الناس . وهو يتطلب الحرية والتحرر من القيود .

٤ - النمط الإجتماعي : يهتم أساساً بالنواحي الإنسانية عامة . يميل إلى مشاركة الآخرين وتقديم الخدمات لهم دون تفكير فيما ينتظره من جزاء أو ما يجنيه من وراء ذلك من نفع شخصي .

(1) Spranger E. : Types of Men. Halle , Niemeyer 1928.

٥ - النمط السياسي : تحركة الرغبة في القوة ، ويندرج تحت هذا النمط المهتمون بالشئون السياسية وحركة السياسة ومصائر الشعوب وانتهاز القمص لكسب السيطرة .

٦ - النمط الديني : يرى الله في كل أمور الحياة ، ويد الله تدبير كل شئون الحياة .

ورجود مثل هذه الأنماط التي قال بها سبرانجر لا يثير الشك غالبا . وكثير من ميول الأفراد تتكامل بطريقة ما تجعلها تبدو بشكل ظاهر أنها ميول إجتماعية أو جمالية أو سياسية . ومع ذلك يمكن أن تثار اعتراضات عملية حول التعديد الضيق لأنماط الشخصية . فليست هناك ميول متباعدة ومستقلة بعضها عن بعض بمعنى أن الفرد يمكن أن ينتمى إلى نمط دون الآخر . وإنما توجد الأنماط المختلفة لدى الفرد الواحد بدرجات متفاوتة كذلك . ثم أن أنماط استجابات الفرد ليست ساكنة أو تخضع لنسق موحد ، وإنما هى تتذبذب على نحو ما تتطلب للتوافقات من موقف لآخر . فالأشخاص الذين يتميزون بكونهم إجتماعيين في بعض المواقف ، غالبا ما يسكنون من النمط الاقتصادي في مواقف أخرى . كما أن هؤلاء الذين هم في الأغلب من النمط السياسي ، قد يكشفون عن ميول جمالية واضحة في مواقف معينة ، فسلكهم يتذبذب من نمط لآخر حسب طبيعة الموقف الذى يوجد فيه الفرد .

(ب) الأنماط السيكولوجية عند يونج :

من الأفكار القليلة جداً التى تبناها علماء النفس المحدثون من بين العديد من المفاهيم التى قال بها يونج ، فكرته عن الأنماط السيكولوجية والتى تذهب إلى أن الشخصية تتحرك في اتجاهين مختلفين : انطواء أو انبساط ، فهناك نوع

من الناس لحظة الإستجابة لمثير معين ، يتخذ في أول الأمر موقف الإنسحاب أو الإحجام ثم بعد ذلك فقط يمكنه القيام بالإستجابة ، بينما هناك نوع آخر إذا وجد في نفس هذه المواقف ، يقدم على اتخاذ الإستجابة وهو على ثقة أن سلوكه سليم بشكل واضح . أما النوع الأول فيتميز بعلاقة سلبية معينة للموضوع ، بينما يتميز النوع الثاني بعلاقة إيجابية به . النوع الأول يطابق الاتجاه المنطوى بينما النوع الثاني فيطابق الاتجاه المبسط (١) .

والإتجاه المبسط يتميز باهتمام بالأحداث الخارجية وبالناس والأشياء وتكوين علاقات معهم والاعتماد عليهم . وعندما يصبح هذا الإتجاه عادة عند الفرد ، فإن يونج يصفه في هذه الحالة بالنمط المبسط وهو النمط الذى تحركه العوامل الخارجية ويتأثر إلى حد بعيد بالبيئة . والشخصية المبسطة تتحرك تجاه الناس ، تجاه العالم الموضوعى غير التأملى وحياتها تتركز حول العمل . أما الإتجاه المنطوى فهو على العكس إنسحابى ، يتجه نحو الذات ويتركز حول العوامل الذاتية . وحين يصبح هذا الإتجاه سائداً عند الفرد ، فإن يونج يصفه في هذه الحالة بالنمط المنطوى ، وهو النمط الذى يفتقر إلى الثقة في علاقته بالناس والأشياء ويميل إلى أن يكون غير اجتماعى ، يفضل التأمل على النشاط والعمل . والشخصية المنطوية تتحرك بعيداً عن الناس ، نحو الذات وتتركز حياتها حول الخبرات الشخصية إلى حد بعيد .

ورغم أن البحث السيكلوجى الحديث قد كشف عن وجود نمط ثالث

(1) Jung. C. G: Modern Man in Search of soul. New York. Harcourt, Brace & World 1933. p. 98.

أنظر أيضاً :

—————: Psychological Types. New York. Harcourt, Brace & World 1933.

بين الانطواء والانبساط - هو النمط المتعادل - فإن كثيراً من عامة الناس لا يزالون يتمسكون بالتقسيم الثنائي إلى انطوائى وانبساطى .

وفى محاولة يونج تقسيم الناس إلى أنماط كان يتعامل أساساً وسيكلوجية الشعور . فعندما نصف شخصاً ما بأنه انطوائى أو انبساطى ، فعنى ذلك أن اتجاهه الشعورى هو هذا أو ذاك . ولكن الذى يحدث عادة هو أنه بينما يكون الشخص أنبساطياً شعورياً ، نجد انطوائياً لا شعورياً والعكس ، قد يكون الشخص منطوياً شعورياً ومنبسطاً لا شعورياً ، فالشخص الجرىء فى سلوكه الشعورى ، قد تتصف نزعاته اللاشعورية بالهدوء والتأمل والاتجاه إلى الخيالات والعكس بالنسبة للشخصية الانطوائية . وعن طريق العلاقات المتبادلة بين هاتين القوتين ، فإن الشخصية الكلية تقترب - على نحو ما يقول يونج - من نقطة وسط بين القطبين وبصورة أكثر مما نوحى به الشخصية الظاهرة . وربما أمكن القول أن يونج لم يكن على خلاف كبير فى رأى مع هؤلاء الذين قالوا بوجود نمط وسط بين الانطواء والانبساط وهو النمط المتعادل وإن لم يضع يونج هذا المصطلح أو يستخدمه .

والتأيز فى الاتجاه يبدو أنه موجود مع بداية الحياة حتى يمكن القول بوجود أساس فطرى له . ويمكن أن نجد كلا الألفال المنطويين والمنبسطين فى الأسرة الواحدة مما يجعل الأمر صعباً بالنسبة للمنطويين إذ يميلون إلى أن يصبحوا فى الظلال نتيجة كون أخوتهم من النوع الإجتماعى المنبسط .

والعلاقة المبكرة المميزة للطفل الانبساطى هى مربة تكيفه مع البيئة ، وإهتمامه الزائد بالأشياء المحيطة به ولا يشعر بوجود حواجز بينه وبين البيئة التى يعيش فيها ومن ثم فإنه أميل إلى اللعب بحرية والانتقال من مكان إلى آخر والتعلم خلال كل هذه الخبرات المباشرة التى يتلقاها من البيئة ولذا يكون مألوفاً

لدى المحيطين به من أباء ومدرسين كما يقال عنه عادة بأنه حسن التوافق وقد يظن فيه أحيانا أنه أذكى مما هو عليه. في الحقيقة بسبب قدرته على أحداث التأثير الجيد في الآخرين .

أما الطفل المنطوى فهو خجول متردد ، يكره المواقف الجديدة وهو يقرب منها بحذر وبخوف أحيانا ، ويفضل اللعب بمفرده ولا يكتر من الأصدقاء ويفضل صديقاً واحداً بدلاً من العديد من الأصدقاء . وبسبب ميل الناس إلى تفضيل الإنسياط فإن أمثال هؤلاء الأطفال قد يشيرون القلق بالنسبة لآبائهم ولكنهم قد يكونون عاديين وأذكاء كأطفال النقط الأول ولكنهم يميلون إلى التأمل والتفكير ولديهم حياة تخيلية غنية .

والبالغ المنبسط إجتماعياً يقابل الناس في منتصف الطريق ويهتم بما يحيط به من أناس وأشياء . يحب المنظمات والجماعات ويميل إلى المساهمة باللشاط فيها . أما البالغ المنطوى فهو من الناحية الأخرى يمس بالوحدة والضياع في المجتمعات الكبيرة ، إحساس يخشى أن يبدو غريباً بين الناس ولذا يكون الواحد منهم في أحسن أحواله عندما يكون بعيداً عن الناس .

غير أن يونج ، في الحقيقة ، لم يقف عند حد التقسيم الثنائي للأشكال ، بل ذهب إلى القول بوجود وظائف أربعة أساسية نستخدمها في توجيه أنفسنا في هذا العالم (وكذلك بالنسبة لعالمنا داخلي) . وهذه الوظائف هي الإلهام والإحساس والوجدان والتفكير . وكل فرد يستخدم إحدى هذه الوظائف بصورة أكثر كفاية وأكثر إستمراراً واتصالاً من الثلاثة الأخرى فأحدى الوظائف تكون أكثر بروزاً وظهوراً من الوظائف الأخرى . وتسمى هذه الوظيفة الأكثر بروزاً بالوظيفة الأعلى ، بينما الأخرى بالوظائف الأدنى . وفي ضوء هذه الوظائف الأربعة يصنف يونج الناس إلى أصناف أربعة

فهناك صنف من الناس تغلب عليه الناحية الفكرية وصنف آخر تغلب عليه الناحية الوجدانية وصنف ثالث تغلب عليه الناحية الإلهامية أو الحدسية وصنف رابع تغلب عليه الناحية الحسية . والذي تغلب عليه الناحية الفكرية تقل عنده الناحية الوجدانية ، والذي يعتمد كثيراً على الإلهام لا يعتمد على الحس إلا قليلاً . فالفكر يقابله الوجدان ، والحس يقابله الإلهام (١) .

ومن الممكن أن نجد بين هذه التقسيمات إلى الوظائف الأربعة تقسيمات وسطى . فنجد الإلهام الحسى الذى يقع بين الإلهام والحس ، وكذلك الحسى الوجدانى الذى يقع بين الحس والوجدان ، وهناك أيضاً الوجدانى المفكر الذى يقع بين الوجدان والتفكير ثم هناك أخيراً المفكر الإلهامى الذى يقع بين التفكير والإلهام .

فإذا أدخلنا هذه التقسيمات الثمانية تحت النقطتين الكبيرتين والإنطوائى والانبساطى ، فإننا نحصل بذلك على ستة عشر نمطاً : ثمانية منها خاصة بالانطوائى وثمانية منها خاصة بالانبساطى وإذا قصرنا نظرنا هنا على الوظائف الأربعة الأساسية وحدها وأدخلناها تحت النقطتين الكبيرتين ، فإننا نحصل على ثمانية أنماط نوضحها باختصار :

١ - الانبساطى المفكر : يتجه تفكيره نحو العالم الخارجى ويهتم بالحقائق والمادة . ويكون تفكيره مستمداً فى الأغلب من الواقع ، ولذا فهو أميل إلى أن يكون من النوع العملى الواقعى ويكون تفكيره مع ذلك إيجابياً . فهو ينتج شيئاً إما حقائق جديدة أو أفكار جديدة . وهو عندما يقوم بعملية تحليل للمادة ، فإنه ينتهى أيضاً إلى عملية تركيب للعناصر التى قام بتحليلها . فهو يسير دائماً إلى مسالك أخرى جديدة وراء القيام بعملية التحليل . وحين

(١) د : عبد العزيز القوسى : علم النفس : أسسه وتطبيقاته التربوية . مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٤ . ص ٣٥٢ .

تخضع حياة الفرد أساساً إلى الفكر وتصبح أفعاله نتيجة دوافع يحركها الفكر والعقل ، فإن من الممكن تسمية الفرد في هذه الحالة بالنط المفكر . والنط الخالص لهذا النوع أكثر ظهوراً بين الرجال منه بين النساء اللاتي يكون لتفكيرهن عادة طبيعة حدسية .

٢ - الإنطوائى المفكر : يهتم بالأفكار أكثر من اهتمامه بالحقائق . وقد وصف يونج هذا النط الانطوائى المفكر بقوله : إن الحقائق الخارجية ليست هدف تفكيره أو مصدره على الرغم من أن الانطوائى يحب أحياناً أن يجعل الأمور كما لو كانت تبدو كذلك والنط الانطوائى المفكر أكثر اهتماماً بالعالم الداخلى منه بالواقع الخارجى . وقد يبدو الانطوائى المفكر شخصية غريبة . فهو بسبب انشغاله بالعالم الداخلى وأفكاره ، يعطى اهتماماً قليلاً للعلاقات مع العالم الخارجى . فهو لا يلاحظ ما يدور حوله أو يفهم كيف يفكر الآخرون أو كيف يحسون . أنه من النوع الخجول الصامت حتى في محبة الزملاء . ومن هذا النط الكثير من الفلاسفة الذين يعيشون على التأمل والتفكير في المشكلات العقلية والكونية .

٣ - الانبساطى الوجدانى : والانبساطى الوجدانى حسن التكيف مع العالم الخارجى ، ولا يجد صعوبة في التوافق مع البيئة وهو أميل إلى مشاركة الناس أفراسهم . يميل إلى مشاركة الأصدقاء ويجب دائماً أن يوجد مع جماعات كبيرة ويوجد في كل نشاط اجتماعى . والنط الوجدانى الذى يحس بعدم السعادة أو الظلم نكون لديه الرغبة الحقة في المساعدة ، ويقوم بعمل اجتماعى ونشاط اجتماعى كبير . وهو يتجه إلى التعبير الملبوس عن حياته الإنفعالية فنجده يميل إلى مختلف الفنون كالرقص والتصوير والموسيقى والتثيل وما إلى ذلك . وبانطلاقه في التعبير الإنفعالى ، يبدو الفرد وكأنه يفرغ شحناته

الوجدانية فلا يتبقى منها شيء لحياته الخاصة . ومعنى ذلك إنك تجدته أقرب إلى الفوران الإنفعالي في الظاهر ، وأقرب إلى الخمود الإنفعالي في الداخل (١)

٤ — الأنطوائى الوجدانى : وهذا النوع تحكمه العوامل الذاتية . وهذا النمط يختلف في الظاهر اختلافاً كبيراً عن الانبساطى الألو فى الذى يصادق الناس ، إذ غالباً ما يعطى الانطباع بالبرود وهذا النمط ينطوى على حالات وجدانية عميقة وعنيفة ، مع عدم القدرة على التعبير عنها بشكل ظاهر صريح . فهو يجب بقوة ويكره بعنف ويحزن بشدة ومع ذلك لا يعبر عن هذه النواحي الوجدانية فى أغلب الأحوال وذلك لأنه لا يتصل بالناس الاتصال الذى يمكنه من أداء هذا التعبير . وهذا النمط يميل إلى العزلة وفيها يحيا حياته الانفعالية بمختلف صورها . والسيدات أقرب عادة إلى هذا النمط من الرجال (٢)

٥ — الانبساطى الحسى : والتنوع الحسى عامة يأخذ الأمور كما هى ، ويخبر الأشياء على ما هى عليه دون زيادة أو نقصان فلا يلعب الخيال دوراً فى خبراته ، كما لا يقوم الفسك بدور فى النظر بعمق إلى هذه الخبرات أو كشف غموضها . وهذا النمط هو اذن لاعقل . فهناك منطق قليل فى خبرة الحواس . والشئ الواحد قد يثير احساسات مختلفة فى أوقات مختلفة . وهذا النوع سرعان ما يتسرب إليه الملل إذا قلت المؤثرات الحسية المحيطة به . فهو لا يصبر على طعام واحد ولا يمكنه أن يعيش فى غرفة واحدة دون أن يغير من نظامها وأثاثها تغييراً يكاد يكون مستمراً . وهذا النمط يكون سطحيّاً فى حياته الفكرية الإنفعالية ، فلا يجده عميقاً فى صداقته أو حبه أو كراهيته . وهو فى كثير من تصرفاته يبدو كالطفل الصغير السريع الملل ، المتهوِّق إلى التويع ، القليل التعمق ، الكثير التنقل من شخص لآخر ومن لعبة لآخر ومن مكان لآخر .

(١) الرجوع السابق ص ٢٥٠ .

(٢) الرجوع السابق ص ٢٤٩ .

٦ - الانطوائى الحسى : ويقوم أفراد هذا النوع بتأمل المحسوسات والإستمتاع بها فهم يحبون الإستماع للموسيقى ورؤية مناظر الطبيعة ومباهج الجمال فى صوره المختلفة ولكنهم يرون فى كل هذا انعكاسا لحالاتهم النفسية الوجدانية . فيرون فى تمايل الأغصان آلامهم ويرون فى قطرات الندى دموعهم وإحزانهم ويشهدون فى خرير المياه وانفجار البراكين فوران انفعالاتهم .

٧ - الإنبساطى الإلهامى : وهذا النمط يعيش أساسا خلال القدرة الحدسية والشخص من هذا النوع يكره الأشياء المألوفة ولا يحترم العادات ، وكل شئ يمكن أن يضجى به من أجل المستقبل ، والفرد هنا يصل فى سرعة إلى فكرة ويقوم من فوره بتنفيذها وبذلك يبدو فى تصرفاته الشئ الكثير من المغامرة . يقال إن كبار المغامرين ينتمون إلى هذا النوع . فهم يعتقدون اعتقاداً جازماً لامر د فيه لهم عنه ، أنهم سيربحون وفى الحال يلقون بالهم فى جراءة وغير تردد (١) .

وخطورة هذا النوع من الناس أنه يبذر الحب ولا يحنى الثمر ، إنه يسرف ويبدد حياته فى احتمالات . بينما يستمتع غيره فى ثمار نشاطه وأعماله . ومن المستحيل بالنسبة له أن يتم عملاً إلى نهايته أو على الأقل إلى الحد الذى يكون عنده النجاح مؤكداً . ومن الطبيعى أن تكون علاقاته الشخصية بالناس صعبة جداً . فمن الصعب بالنسبة له أن يرتبط بامرأه واحدة . كما أن المنزل سرعان ما يصبح فى نظره سجن لا بد أن يهرب منه .

٨ - الانطوائى الإلهامى : وحياة هذا النمط تتصل بالاشمور الحسى وبكل ما هو ذاتى وغريب وغير عادى بالنسبة للإنبساطى ، بمعنى أن الانطوائى الإلهامى لا يهتم بالمشكلات الحسية الخارجية . وهذا النوع من الناس يصل إلى

أحكامه في شيء من السرعة والعنف وبدون أن يعتمد كثيراً على الأدلة الحسية الواقعية . ولهذا نجده يكوّن رأياً من خبرة ضئيلة في شخص من الأشخاص . ويندفع إلى حب عنيف أو كراهية عنيفة على أساس الخبرة الضئيلة . وتجدهم ينقلبون عادة من حب شديد إلى كراهية شديدة (١)

وهذا هو النمط الذي يرى الرؤيا ، ولديه إلهامات ذات طبيعة ديبية أو كونية . ويبدو هذا النوع اليوم غريباً في عالمنا هذا ، ما لم يجدوا سبيلاً لربط خبراتهم بالحياة . وفي البيئات البدائية وغير المتحضرة يكون لمثل هؤلاء القوم شأن كبير وقيمة واحترام .

(ج) الأنماط عند إيزنك :

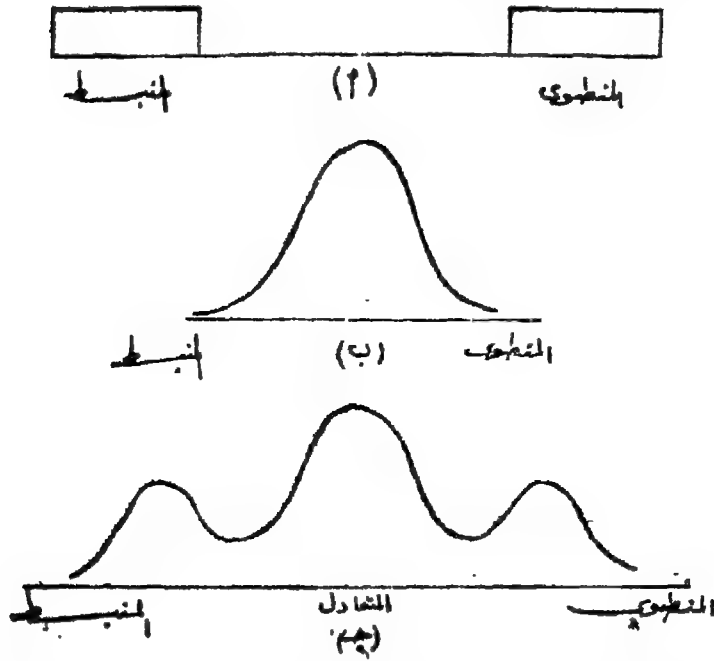
مفهوم النمط عند إيزنك (٢) : عرض إيزنك في بحثه عن نموذج لوصف تنظيم الشخصية ، لمفهومين استخدمهما منذ أمد بعيد لدى هؤلاء الذين تعرضوا لمظاهر ثبات السلوك عند الإنسان ونعني بهما مفهوم « السمة » ومفهوم « النمط » . والمفهوم الأول وجد تأييداً كبيراً عند « شليون » الذي ذهب إلى أنه ثمّة ضرورة تحتم إقامة مثل هذا المفهوم من أجل تفسير هذا القدر من الثبات النسبي الذي نلاحظه في سلوك الفرد . كما أصبحت فكرة السمة من الأفكار الشائعة جداً لدى علماء النفس من الأمريكيين بفضل كتابات جوردون ألبورت وعلى نحو ما سنوضح بالتفصيل عند الحديث عن السمات .

أما مفهوم النمط ، فقد دار حوله الكثير من الجدل وبخاصة بين علماء النفس الأمريكيين وعلماء النفس الإنجليز ، إذ لم يبرز هذا المفهوم نجاحاً كبيراً

(١) المرجع السابق ص ٣٥١ .

(2) Eysenck, H.J. : The Structure of Human Personality. , Methuen & Co. LTD. London-1970 p. 10.

لدى علماء النفس الأمريكيين الذين شاركوا ستاجنر، في إعتقاده بأن الانتقال من فكرة النمط إلى السمة يشبه بوجه عام تقدم علم النفس كعلم . وقد أوضح ستاجنر (١) . أن وجهات النظر التي أمكن لعلماء النفس الأمريكيين التعبير عنها بالنسبة للأنماط السيكولوجية يمكن تجميعها تحت هذه الأنواع الثلاثة الموضحة في الأشكال الآتية :



فالبعض لا يزال ينظر إلى الأنماط كما لو كانت خانات أو أصناف متباعدة تماماً مع خطوط فاصلة بوضوح بينها على نحو ما هو موضح في الشكل (أ) حيث يقسم الناس إلى نمطين منفصلين تمام الانفصال هما المنطوي والمنبسط . والبعض الآخر ينظر إلى مفهوم النمط باعتباره مائلا إلى حد كبير أو صغير

(1) Stagner R.: Psychology of Personality. Mc Graw - Hill Book Company Inc. , New York , 1961. p. 266.

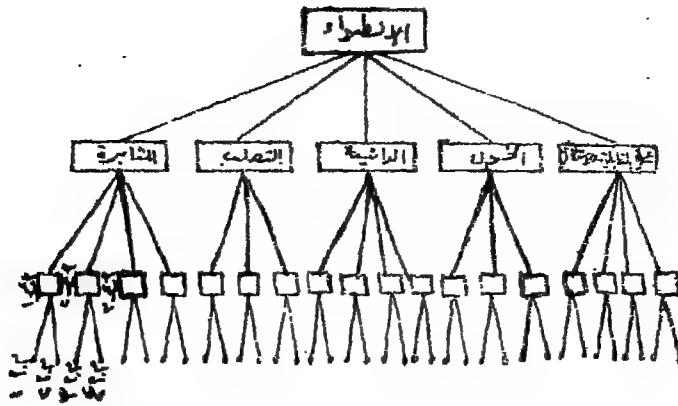
لمفهوم السمة بمعنى أن الأنماط المتباعدة توجد عند طرفي التوزيع ، بينما ينحصر بقية الأفراد إلى التوزيع الإعتدالي ويتجمعون بين النقطتين المتباعدتين على نحو ما هو موضح في الشكل (ب) ، أما البعض الثالث والآخر فيذهب إلى أن الأنماط الحقيقية تختلف عن السمات من ناحية أن توزيعها متعدد القمم multimodal وأن الناس يتجمعون في مواضع معينة تقرب من النمط الخالص على نحو ما هو موضح في الشكل (ج) .

وقد ناقش إرنست فكرة ستاجنر وأوضح أن ستاجنر أسقط من حسابه نقطتين هامتين في الوصول إلى نتيجة تتصل بأهمية مفهوم النمط كنموذج لتنظيم الشخصية .

النقطة الأولى : وهي ما نتضح في الشكلين (ب، ج)، هي أن هذين المفهومين المختلفين للنمط يرتبطان بالتوزيع الافتراضي للمجموع العام من الناس بالنسبة لهذا النمط ، أعني إما أن يكون اعتداليا أو متعدد القمم ، ولكن لا يمكن معرفة شكل التوزيع لأي نوع من الصفات العقلية دون تحديد سابق لمقياس مضبوط علياً . وإلى أن يتم وضع مثل هذا المقياس الدقيق فلا يمكن استخلاص أي شكل مناسب من أشكال التوزيع .

النقطة الثانية : أن التمييز بين توزيعات متصلة ومنفصلة (على نحو ما هو موضح في التفرة بين الشكلين (ب، ج) من ناحية والشكل (١) من ناحية أخرى تمييز صادق تماما ، ولكنه لا يصور بدقة نظريات وفروض هؤلاء الذين كانت لنظرياتهم أكبر الأثر في فكرة الأنماط الحديثة ويخص بالذكر منهم يونج وكرتشمير . إن هذا التمييز الذي قدمه ستاجنر يصور بالفعل المفاهيم الخاطئة الواسعة الانتشار لأفكار كل من هذين الرجلين وغيرهما من ساهم في هذا الجهل .

وقد نظر أيزنك إلى النمط باعتباره مجموعة من السمات المترابطة ،
مثلاً نظر إلى السمة كمجموعة من الأفعال السلوكية أو نزعات الفعل
المترابطة كذلك . وفي ضوء هذه النظرة ، فإن الفرق بين مفهوم السمة
والنمط يوجد ، لا في اتصال أو في انفصال المتغير المفترض ولا في شكل
توزيعه . وإنما في التضمن أو الشمول الأكبر لمفهوم النمط . وقد أوضح
إيزنك فكرته عن النمط وعلاقته بالسمات والعادات والاستجابات النوعية
في الشكل الآتي :



فلدينا هنا مستويات أربعة من تنظيم السلوك . في أدنى هذه المستويات
توجد الاستجابات الخاصة أو النوعية م - ا (مثير - استجابة) م - ا - م - م - ا - م
وهكذا . وهذه تمثل أفعالاً كاستجابات لاختبار تجريبي أو لخبرات الحياة
اليومية التي تظهر مرة ولكنها قد لا تكون مميزة للفرد . أما المستوى الثاني ،
فيمثل مستوى الاستجابة العادية (ا - ع ، ا - ع ، ا - ع) ، وهذا النوع
من الاستجابات يميل إلى الظهور تحت ظروف متشابهة ، أعني كتلك
الاستجابات التي تظهر عند تكرار نفس الاختبار على الفرد أو كتلك التي

تحدث في مواقف الحياة العادية حين يستجيب الفرد بطريقة عائلية ، وهذا يعتبر في نظر إيزنك أدنى مستوى للتنظيم . ومقدار التنظيم هنا يمكن أن يقاس في ضوء معاملات الثبات ، أعني في ضوء احتمال أنه عند تكرار الموقف سوف يظل السلوك ثابتاً .

أما المستوى الثالث ، فإنه ينتج عن تنظيم الأفعال المعتادة في سمات س_١ ، س_٢ ، س_٣ ، وهذه السمات - كالمثابرة وسرعة القابلية للاستثارة والتصلب - هي مكونات افتراضية نظرية تقوم على الارتباطات البينية التي نلاحظها بين عدد من الاستجابات المعتادة المختلفة وهي بلغة التحليل العامل كما يقول إيزنك تمثل عوامل جمعية group factors .

أما على المستوى الرابع ، فإن هذه السمات المختلفة التي تلتظم في نمط وهو في هذا المثال النمط المنطوي ، هذا التنظيم يقوم أيضاً على أساس الارتباطات التي نلاحظها بين السمات المتعددة التي تكون فيما بينها مفهوم النمط . ففي هذا المثال الذي يقدمه إيزنك ، فإن سمات المثابرة والتصلب والذاتية والتحمل وسرعة القابلية للاستثارة وعديد غيرها من السمات ، تكون تجمعاً من السمات المترابطة فيما بينها ، وبذلك تسمح بظهور مكون افتراضى على مستوى أعلى هو ما نسميه هنا باسم « النمط المنطوي » .

فكرة النمط - كفكرة السمة - تقوم إذن على أساس مستويات الإرتباط التي توجد بين الأفعال . أما مشكلة الاتصال والانفصال التي تحدث عنها ستاجنر . فليست مناسبة للتمييز بينهما ، هذا التمييز الذي يقوم بحسب على فكرة التضمن . ويذهب إيزنك إلى أن نموذج تنظيم الشخصية الذي يقدمه

مستند مباشرة من كتابات علماء النفس من أمثال يونج وكرتشمير والهورت وليس فيهم من يمكن القول بأنه كان من المهتمين بصورة ظاهرة ، بأساليب القياس النفسى عامة . وبالتحليل العاملى خاصة .

ولكن ستاجنر يذهب مع ذلك إلى أن مثل هذا الإستخدام لفكرة النمط على نحو ما أوضحها إيزنك لا تضيف جديداً ، بقدر ما يؤدي إلى الخلط والغموض ، وقد ظل هذا الخلاف بينهما قائماً ، وعلى نحو ما يتمثل أيضاً في اختلاف نظرة كل مدرسة من مدارسهما . فالمدرسة الأمريكية أميل إلى الأخذ بفكرة السمات بينما المدرسة الإنجليزية والأوروبية عامة لا ترى غضاضة في القول بفكرة الأنماط . والحقيقة أن فكرة النمط - كما يراها إيزنك - إنما تمثل مستوى من مستويات التنظيم في الشخصية ومن ثم فلا غضاضة في القول بمثل هذه الفكرة .

ولكن قد يتساءل البعض هل نظرية الأنماط نظرية مفيدة ؟ وإذا كانت كذلك فتحت أى الظروف يمكن أن تعد مفيدة ؟ لقد أفادت نظرية الأنماط من ناحية توكيدها لمبدأ هام هو أن الأجزاء (الأفعال النوعية والعادات والسمات والاتجاهات) إنما تتحدد صفاتها وخصائصها بالشكل الذى تنتمى إليه . فدرسة الجشطلت في علم النفس - على نحو ما أوضح ميرفى وجلسين (١) - قد وضعت أساساً طيباً للاتجاه الطوبولوجى في دراسة الشخصية . فالمكونات الخاصة بالتشكيلية العامة أو الصيغة العامة ، والعلاقة بين الشكل والأرضية ، والإغلاق تتفق جميعها وهذه

(1) Murphy, G. and Jensen F. : Approaches to personality, New York, Coward-McCann 1932.

النظرية التي تؤكد أن التنظيم الكلي إذا حدث ، يفرض قيوداً شديدة على مختلف الأجزاء المكونة لهذا التنظيم . ومن الممكن القول أيضاً بأن ليس فقط يحدد أجزاءه التي تنتمي إليه ، بل وأيضاً أن الأجزاء يمكن أن تحدد الشكل المكونة له . وبعبارة أخرى يمكن القول بأن الشخصية هي نتاج النمو التاريخي للفرد ، مثلاً هي دالة للتفاعل بين الكائن الحي والبيئة .

وثمة ناحية أخرى في صالح نظرية الأنماط يمكن أن تقوم بمثابة دفاع عنها فإذا سلمنا بأن الأنماط الخالصة نادرة الوجود ، أفليس من الممكن أن تكون دراسة مثل هذه الحالات المتطرفة ذات أهمية بالغة بالنسبة للسيكولوجي من حيث أنها تلقي المزيد من الضوء وبدرجة أكبر بكثير مما يمكن أن تحصل عليه دراسة الحالات التي تقع في المتوسط العام للمجموع الكلي من الناس . لقد ذهب ديفين ، إلى أن القوانين العلمية يمكن أن تفيد أحسن فائدة من دراسة حالة خالصة فريدة ، أكثر مما تفيد من دراسة متوسط عدد كبير من القوانين . وهذه النظرة قد تكون في صالح نظرية الأنماط ، وإن تعارضت مع الاتجاه الإحصائي . فدراسة الحالات الشاذة أو المتطرفة تلقي الكثير من الضوء على الحالات العادية أو السوية . وأهل في دراسات التحليل النفسي وعلم نفس الشواذ وعلم النفس الإكلينيكي ما يؤيد ذلك .

غير أن ستاجنر يذهب إلى القول بأنه ربما كانت القيمة الوحيدة الكبرى للوصف بالأنماط هو اعتبارها بمثابة نقط ارتكاز مرجعية للشخصيات ، فالدراسة الدقيقة لنظريات الأنماط كذلك التي قال بها يونج وكركشمير وسبرانجر وشلدون وجانيس وغيرهم ، من شأنها أن تزود السيكلوجي بعلامات أو نقاط مرجعية معينة . وبذلك يمكنه أن يوجه نفسه ، في دراسته لأي فرد ، بمقارنة

هذه الشخصية والأنماط المعيارية ، ملاحظا نواحي معينة تستدعي إلى الذهن النمط المنظوري أو الحشوي الأساسي أو الشبقي الفعي . وبذلك يمكنه أن يصل نهيا إلى وصف أكل دائم للشخصية مما لو لم تكن لديه مثل هذه الأطر المرجعية . ومع ذلك فقد لا يجد واحدة من نظريات الأنماط يمكن أن تنفيده في فهم أصل بنية الشخصية أو وضع تخطيط لتقديم النصيح أو العلاج للحالة التي يقوم بدراستها .

الفصل الثامن

بناء الشخصية في ضوء نظرية المشير والاستجابة

درج الناس منذ القديم على وصف السلوك وتفسيره في ضوء السمات :
كالمثابرة وسرعة القابلية للإيماء والشجاعة والمواظبة وغيرها ، أو وصفه في
ضوء أنماط معينة كالنمط الاجتماعي أو الرياضي أو العقلي أو المنطوي أو المبسط..
وقد أخذ علم النفس التقليدي في أغلب نواحيه يمثل هذه المفاهيم ، فقدم لنا
سمات مثل السيطرة والمثابرة والخضوع ، كما قدم لنا أنماطاً مثل الإنطواء
— الإنبساط ، الشيزوئيميا — السيكوئيميا وغيرها .

غير أن هذا التقبيل السهل لمثل هذه المفاهيم قد واجهته موجة عنيفة من
النقد من جانب علماء النفس السلوكيين الذين جاءت نظريتهم كثورة عنيفة
على علم نفس المملكات الذي كان يؤمن بدرجة كبيرة بأهمية نظام التدريب
الشكلي وإمكانية نقل أثره من موقف معين إلى مواقف أخرى بصرف النظر
عن العلاقة بين هذه المواقف .

ولقد بدأ علماء النفس السلوكيين اهتمامهم بمشكلات التعلم ، ثم وسعوا
مجال اهتمامهم بعد ذلك ليشمل أيضاً مجال الشخصية . وكنتيجة لذلك ، اتجه
اهتمامهم ككلية نحو الطريقة التي تحدث بها الاستجابة عند وجود مشير خاص .
وقد درسوا بدقة وإمعان طبيعة الاستجابات ، وأنماطها ، وكيف تثبت
وتقوم كمعادات ، وما نوع الأدلة ، أو المثيرات التي تصاحب السلوك الذي
نلاحظه ، فهم إذن وضميون . والوحدة الأساسية في نظرهم هي ارتباط
المثير — الاستجابة . ويعتبر التعلم الترابطي عندهم الوسيلة التي بواسطتها
ينمي الفرد أنماط سلوكية خاصة هي التي تعرف باسم الشخصية .

ونظرية بناء الشخصية على نحو ما عبر عنها الاتجاه السلوكي ، أقرب إلى أن تنظر إلى الشخصية باعتبار أن ليس لها بناء ثابت دائم . فالشخصية ليست شيئاً أكثر من مجرد تجميع عناصر المثير - الإستجابة .

ولقد عبر ما كينون (١) عن موقف نظرية المثير والإستجابة بقوله ، وحسب هذه النظرية ليست هناك سمات عامة إطلاقاً للشخصية ، وأن ليس هناك أشكال عامة وثابتة للسلوك يمكن أن تفسر - إن وجدت - ثبات السلوك وثبات الشخصية ، بل كل ما هنالك هو مجموعة من العادات النوعية هي عبارة عن روابط خاصة بين مثيرات معينة واستجابات متعلقة بها . فلا معنى إذن أن نتحدث عن أشخاص عدوانيين أو منسطين أو مثابرين أو متسلطين لأن مثل هذه السمات ليست صفات للأشخاص ، ولكنها صفات للسلوك الذي يصدر عن هؤلاء الأشخاص في مواقف خاصة . فإذا سلك شخص ما مثلاً بشكل عدواني في موقف أو مواقف معينة ، فإن كل ما نستطيع أن نستنتجه من هذا هو أنه سوف يسلك على هذا النحو في نفس المواقف أو في مواقف مشابهة . وبقدر ما يكون هنالك من تشابه في المواقف المختلفة ، بقدر ما يكون هنالك من احتمال ظهور السلوك على نفس النحو الذي سبق أن ظهر عليه .

فمنه المدرسة تذهب إذن إلى أن ليست هناك نزعات سلوكية داخلية وأن ليست هناك سمات عامة تتميز بها شخصية الفرد ، وإنما السمات تمثل السلوك الذي يستمد بواعثه من المواقف المثيرة الخاصة ؛ وأن سمات الشخصية هي مجرد تجميعات خاصة للسلوك بطرق خاصة متميزة . وهذه النزعات يجب أن تتعلم وتكسب . وكما يقول باتيسون إن السلوك الإنساني كله على نحو

(1) Mackinnon, Donald. W. : The Structure of Personality. In J. Mc V. Hunt (ed) Personality and the Behavior Disorders, vol. 1, New York. The Ronald Press Company 1945 pp. 3-48.

ما نعرفه . . . إما أنه متعلم أو معدل عن طريق التعلم . والتعلم هو إلى حد بعيد عملية علاقات متبادلة بين الأشخاص .

وبسبب وقوف الكثيرين من علماء النفس موقف الشك من وجود قوى داخلية أو فطرية كدوافع للسلوك فإن نظرية السمات الموحدة Unitary traits قد تعرضت لكثير من الهجوم . فهي حين ينظر إليها من ناحية السلوك المكتسب أو المتعلم ، فإنها تعتبر بمثابة أسماء مناسبة لتصنيف الأفعال الخاصة التي يقوم بها الأفراد فالسمات ليست ممتلكات للفرد ذاته بقدر ما هي أنماط في السلوك المرغوب فيه أو غير المرغوب فيه ، وفق المعايير التي يضعها القائم بتقدير هذه الأنماط في السلوك . وهذا التعريف يقدم تفسيراً لعدم الثبات الظاهر أحياناً في السلوك البشري ، فالرجل قد يكون لطيفاً مع أهل بيته ، ولكنه أشد ما يكون قسوة في المعاملة مع مرقسيه . والطفل قد يكون صادقاً في معاملته مع أبيه ، ولكنه يكذب باستمرار مع مدرسيه .

ونظراً لهذا الموقف الذي اتخذته مدرسة المثير — الإستجابة من فكرة السمات في بناء الشخصية ، وإنكارها للسمات العامة ، وتوكيدها للاحية الخصوصية ، والربط بين المثير والإستجابة في صورة روابط مستقلة وفوعية أو عادات ، فقد سميت هذه المدرسة بإسماء متعددة . فقد أطلق عليها البعض اسم نظرية العادات النوعية ، (١) أو النظرية النوعية في الشخصية (٢) ، أو النظرية المضادة للسمات . وكما سبق الإشارة ، فإن هذه النظرية قد ظهرت ، من الناحية التاريخية ، وقت الثورة العنيفة على علم نفس الممتلكات الذي يؤمن بدرجة كبيرة بأهمية نظام التدريب الشكلي وإمكانية نقل أثره من موقف معين إلى مواقف أخرى بصرف النظر عن العلاقة بين هذه المواقف . ولقد تزعم

(1) Specific Habits.

(2) Theory of Specificity

(3) Anti - Trait Theory

هذه الثورة ضد نظرية الملامكات أولا وللم جيمس ثم ثورنديك . وقد قادهما البحث إلى القول بأن أثر التدريب في موقف معين لا ينتقل إلى موقف آخر بهذه الصورة التي وصفها نظرية الملامكات . وكان من نتيجة ذلك أن وضع ثورنديك نظريته المعروفة باسم " نظرية العناصر المتماثلة " التي تذهب إلى أن أثر التدريب في موقف معين يمكن أن ينتقل إلى موقف آخر ، بقدر ما هنالك من عناصر متماثلة أو مشتركة في الموقفين .

وقد أوضح ايزنك (١) ، استناداً إلى ما كتبه البورت بصدد النظرية النوعية في الشخصية ، وجود مصادر ثلاثة أصلية استمدت منها هذه النظرية قوتها وهي :

المصدر الأول . هو نمط ثورنديك في تفسير عملية التعلم والذي ساد خلال الحقب الأولى من هذا القرن . فالتعلم يفسر في ضوء الروابط بين المثير والاستجابة على نحو ما نجده في تفسير الفعل المنعكس الشرطي . وهذه الروابط تدرك بالطبع على أنها روابط نوعية تماماً . وإذا كان تنظيم الشخصية هو إلى حد بعيد مسألة تعلم ، فإن خصوصية أو نوعية عملية التعلم ، يجب أن تتجلى إذن في النتائج النهائية للتعلم ، أعني في شخصية الراشد . وإذا كانت نظريات المثير والاستجابة في مجال التعلم قد عارضتها نظريات أخرى أكدت أن التعلم هو جزء من مشكلة أكبر من مشكلات التنظيم وبخاصة التنظيم الإدراكي ، إلا أن هذه النظريات غير النوعية والتي كانت قد دخلت حديثاً في مجال نظريات التعلم ، ومن ثم كانت إلى حد ما أقل أثراً من الناحية التاريخية - لم تكن قد وصلت بعد في مجال وصف الشخصية إلى نفس القدر من القوة الذي وصلت إليه النظريات التي تقول بالنوعية أو الخصوصية .

(1) Eysenck, H.J. , : The structure of Human Personality. London: Methuen & Co , LTD. 1970

المصدر الثاني وهو وثيق الصلة بالمصدر الأول، يتصل بالدراسات الخاصة بمشكلة انتقال أثر التدريب التي ألحنا إليها منذ حين . فقد قام ثورنديك ببحث مع ورودوث عن أثر التحسن في وظيفة عقلية ، على قدرة الوظائف العقلية الأخرى على الأداء . وقد استنتجنا من هذا البحث أن التحسن في أية وظيفة عقلية واحدة ، لا يؤدي بالضرورة إلى تحسن القدرات التي يطلق عليها نفس الاسم ، بل قد تضر بها ومعنى ذلك أن التحسن في تذكر الصعر ، لا يؤدي بالضرورة إلى تحسن في التذكر بوجه عام ، بما في ذلك تذكر الشعر والأثر والأرقام والأسماء والأشكال إلخ .

كذلك يذكر ثورنديك أن التحسن في أية وظيفة عقلية ، قلما يؤدي إلى نفس القدر من التحسن في أية وظيفة عقلية أخرى بصرف النظر عن مدى ما بينهما من تشابه ، ذلك لأن إنتاج كل مجموعة من الوظائف العقلية يتشكل بطبيعة المادة في كل حالة خاصة .

وقد أرجع ثورنديك أسباب انتقال أثر التدريب إلى ناحيتين :

(أ) أن انتقال أثر التدريب يرجع إلى تطابق عناصر المادة في الموضوعين ، موضوع التعلم الأول ثم الموضوع الجديد الذي ينتقل إليه أثر التعلم .

(ب) أن انتقال أثر التدريب يرجع إلى تطابق طريقة التعلم (١)

ويمكن إذن القول حسب ثورنديك إن التعلم نسبياً وأن ليس هناك أى أثر عام للمسلكات التي يفترض أن مثل هذا التدريب الشكلي يؤدي إلى تحسنها ، وأن آثار الانتقال التي يمكن ملاحظتها ، تعزى لا إلى عمل المملكات العقلية العامة الواسعة ، بل إلى ما هنالك من عناصر مشتركة معينة بين النشاط الأصلي

(١) د . - رمزية الغريب : التعلم - دراسة نفسية تفسيرية ، توجيهية . القاهرة . الانجلو المصرية ١٩٦٧ من ١٢٠ -

والنشاط الجديد الذى ينتقل إليه أثر التعلم . ومن أجل ذلك سميت نظرية ثورنديك باسم ، نظرية العناصر المتماثلة . وعلى حد تعبيره يمكن القول بأن «تغيراً في وظيفة ما ، قد يحدث تغيراً في وظيفة أخرى، فقط إذا كانت هناك عناصر معينة مشتركة بين هاتين الوظيفتين» . فالتدريب على الجمع يمكن أن يؤدي إلى تحسن في عملية الضرب ، لأن هناك عناصر مشتركة متماثلة في جزء منها بين هاتين العمليتين . وبنفس الصورة يمكن النظر إلى نمو الشخصية على أنه تدريب نوعي لترابطات الفرد ، وليس تحسناً عاماً لوحدات عقلية أكبر أو «ملكات» .

المصدر الثالث: يقول بالخصوصية في تنظيم الشخصية فهو ليس أقل خطراً وتأثيراً من سابقه ويتمثل في هذه المعالجة التجريبية المباشرة للمشكلة من جانب هارثشورن وهامى (١٩٢٨ و ١٩٢٩ و ١٩٣٠) . فقد قاما بتجربة على عدة آلاف من الأطفال من مختلف طبقات المجتمع الأمريكى ، بقصد قياس بعض السمات الخلقية لديهم كالأمانة والتعاون وقد أتيحت الفرصة أمام الأطفال للقيام بألوان من السلوك غير الأمين والغش وتحت ظروف تجعل اكتشاف ذلك يبدو مستحيلاً من جانب الطفل ، وإن كانا في الحقيقة قد اتخذوا كل الظروف التجريبية المضبوطة في إجراء التجربة ، ولقد وجد هارثشورن وهامى ، أن معاملات الارتباط بين الاختبارات منخفضة جداً . ووصلا إلى نتيجة هي أن سلوك الفرد خاص ومقيد بالموقف الذى يكون فيه ؛ لا سمات عامة ثابتة لدى الفرد . فالأطفال الأمانة أو المتعاونون أو المتحابون أو المتحابون في موقف واحد من مواقف الاختبار ، ليسوا دائماً أمانة أو متحابين أو متعاونين أو متحابين في مواقف أخرى . ومن ثم فقد وصلوا إلى أن الشخصية لا تتكون من سمات عامة ثابتة ، ثباتاً مطلقاً أو حتى ثباتاً نسبياً ، بل هي مجموعة من العادات

النوعية أى يتوقف على نوع الموقف . وقد قبل هذا الرأي على نطاق واسع باعتباره الوضع النهائي في جانب نظرية النوعية .

ومع ذلك ، يرى أيزنك أن هذه المصادر الثلاثة السابقة ليست بمنأى عن النقد فقد تعرضت نظرية المثير والاستجابة لكثير من النقد من جانب هؤلاء الباحثين الذين تأثروا بنظرية الجشتمت والمجال من أمثال كوهلر وكفكا وليفين وطولمان وغيرهم من وضعوا نظريات تذهب إلى تفسير الحقائق دون الالتجاء إلى الروابط النوعية التى قال بها ثورنديك ونفس الشيء يمكن أن يقال بالنسبة لمشكلة انتقال أثر التدريب والعناصر المتماثلة . ولقد انتقد ألبورت نظرية العناصر المتماثلة بإفادته بالغة ، وأوضح أن فكرة العنصر ، فكرة غامضة في كتابات الذين أخذوا بوجهة نظر ثورنديك وأن فكرة التآكل ، المزعم لهذه العناصر هي مجرد تبرير ، بعدى ، للظواهر التى نلاحظها دون أن يكون له أية قيمة تنبؤية أو إمكانية للتحقق والإثبات . وبذلك ألغى الكثير من الشك على تماسك وجهة النظر هذه ككل والتى يستتبع الأخذ بها القول بأن حلولك الإنسان يمكن النظر إليه كحزمة مفسكة من العادات النوعية غير المترابطة والمستقلة بعضها عن بعض .

أما تجربة هارتشورن وماى فقد أثبت حولها الكثير من الشك . فقد ذهبت هذه التجربة إلى القول بأن الطفل الذى يملك بغير أمانة في موقف ما ، ليس من الضروري أن يملك كذلك في موقف آخر . فالطفل قد يغش مثلاً في الامتحان ولكنه قد لا يغش في موقف اللعب ؛ وقد يكذب مع أبيه ولكنه قد لا يكذب مع أخيه . ومن تحليلهما للمادة التى حصلوا عليها استنتجا أن اختباراً ما في الخداع قد لا يكشف كثيراً عن الخداع كصفة عامة ، وأن ما يكون هنالك من تشابه في سلوك الأفراد في المواقف المختلفة ، هو بقدر ما يكون

هناك من تماثل بين هذه المواقف . وفسرا فتأنيجها - كما سبق أن رأينا - على أنها دليل ضد القول بوجود سمة عامة للخداع ، وهذا ما عبر عنه بقولهما وإن أمانة أو عدم أمانة فرد ما تتكون من مجموعة من الأفعال والاتجاهات التي تصدق عليها هذه المصطلحات الوصفية (الأمانة وعدم الأمانة) فليس هناك أطفال أمناء وأطفال غير أمناء ولكن هناك أفعال أمينة وأفعال غير أمينة . وبعبارة أخرى إن ما يسمى بالسمات العامة ليست سوى مجموعة من العادات النوعية أكثر منها سمات عامة . وقد علق ما كينون على أبحاث هارتشورن وماى بأنها كانت بمثابة ضريبة لنظرية السمات .

ولكن لبورت ينتقد النتائج التي وصل إليها هارتشورن وماى رغم ما قد يكون لها من بريق أخاذ بالنسبة للبعض . وأهم هذه الانتقادات :

١ - أن نتائج هذه الدراسة لم تثبت عدم وجود سمات لدى الأطفال ، وإنما فقط أن عدم الأمانة ، على نحو ما تقاس ، ليست نفسها سمة . فالطفل الذي لديه عادة سرقة النقود ، قد يفعل ذلك لأنه يريد أن يدخر بعض المال لشراء أدوات أو لشراء لعبة أو لينتقم بطريقة مصادرة للمجتمع أو لأنه يشعر بتقدير أقل من الناحية الاجتماعية من جانب زملائه . ولذا فهو يريد أن يشتري لهم الحلوى ليزيدوا من تقديرهم له . والطفل الذي يكذب ، قد يقوم بذلك لأنه خائف من العقاب أو لأنه لا يحب أن يؤذى مشاعر أستاذه أو لأنه في حاجة ملحة إلى التقدير والمحبة .

فكل ما كشف عنه البحث هو أن الفكرة المجردة عن الأمانة ليست سمة قوية لدى الطفل بنفس قوة الاستعدادات الشخصية الأخرى . ولكن البحث لم يثبت مع ذلك أن سرقة النقود أو الكذب عادات منفصلة غير مرتبطة بأى تراكيب أعلى في تعليم شخصية الطفل الذي يسرق أو يكذب .

٢ - انتقد إليورت النتائج التي وصل إليها هارتشورن وماى على أساس أن هذين الباحثين شرعا في دراسة صفات خلقية، تصبح أكثر تعقيدا عن طريق الموافقة أو عدم الموافقة الاجتماعية، واللبات الحلقية ليست هي اللببات الأساسية في الشخصية وبخاصة في الطفولة حيث لا يكون ضمير الطفل قويا بدرجة ظاهرة في هذه السنوات الأولى من الحياة .

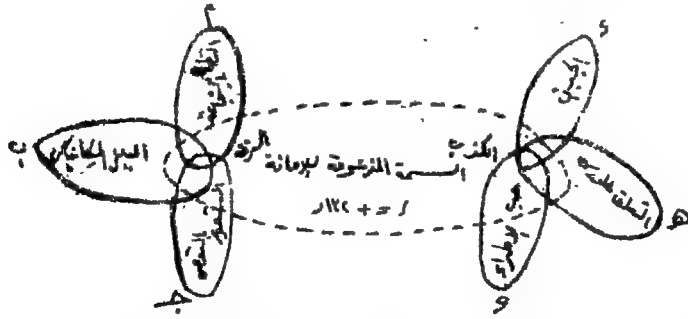
٣ - يضاف إلى ذلك أنه طالما أن مثل هذه السمات التي تظهر في المجتمع كالامانة وضبط النفس يجب أن تكتسب وتعلم، فإننا لا نتوقع أن نجدها كميات عامة لدى صغار الاطفال . ومن هنا فإن فهم عينة الدراسة على صغار الاطفال الذين كانوا بالصفوف ما بين الصف الخامس والصف الثامن، ليس اختياراً موقفاً ومع ذلك، فيما يجدر ملاحظته حتى بالنسبة لهذا المدى العمرى الضيق، فإن هناك من الأدلة ما يكشف عن أن الاطفال يصبحون أكثر ثباتاً واستقراراً، كلما تقدم السن بالطفل وبخاصة بالنسبة للمثل الاجتماعية الإيجابية .

٤ - وربما كانت أهم نقطة في نقد إليورت لدراسة هارتشورن وماى، هي أنه على الرغم من أن معاملات الارتباط بين الاختبارات المختلفة التي طبقت على الاطفال كانت منخفضة بشكل يوحى أن الاطفال ليست لديهم سمات عامة للخداع أو الغش أو غيرها من الصفات التي قاما ببحثها، فإنها مع ذلك لم تثبت أن ليست هناك سمات أخرى أوسع للشخصية . فالكذب قد لا يرتبط بالسرقة، وبهذا المعنى قد لا يكون ثمة دليل على وجود سمة عامة للخيانة . ولكن كلنا العادتين قد تكونان جزءاً متكاملًا في سمات أخرى أوسع لم توضع موضع البحث .

والشكل الآتى الذى يقدمه إليورت (١) يمثل فكرة هارتشورن وماى

(1) Allport G. : Pattern and Growth in personality. New York, Holt, 1961, p 316.

أسمة عدم الامانة وكذلك السمات الاخرى التي لم تبحث في دراستهما وليسكن وصف إلهوت إمكانية وجودها .



الشكل اليساوى المنقط يمثل السمات على نحو ما أدركها هارنشورى وماى . أما الأشكال المتصلة غير المنقطه فتمثل السمات الشخصية الممكنة التي اغفل الباحثان دراستها

وقد أوضح البورت فكرته على النحو التالى :

الطفل (أ) قد يسرق نقوداً بسبب أن لديه سمّة شخصية قوية نحو التظاهر بالشجاعة وليحظى باعجاب أفراد الشلة أو على نحو ما يقرأ فى المجلات أو كما يرى فى السينما ، بينما الطفل (ب) يسرق لأنه يهتم اهتماماً خاصاً وملحاً بشراء بعض الأدوات الميكانيكية بشكل يدفعه إلى شراء قدر منها بأكثر مما تسمح به نقوده . أما الطفل (ج) فإنه يعاني من إحساس عميق بالنقص الاجتماعى ، ولذا فهو يسرق النقود ليشتري بها حلولى لزملائه كي يحظى بتقديرهم له .

أما الطفل (د) ، فإنه لا يسرق وإنما يكذب ويغش ، لا لأن لديه سمّة عامة لعدم الأمانة ، بل لأن لديه سمّة عامة لعدم الأمانة ، بل لأن لديه سمّة عامة هى الجبن الخوف من العواقب . والطفل (هـ) يكذب لأنه يخاف أن يجرح مشاعر أستاذه الذى يحبه ويقدره ، والطفل (و) يكذب لأنه شديد التوق إلى الإطراء . فكل طفل من هؤلاء يسلك على نحو ما فعل تجاه هذه الاختبارات لا لأن لديه عادات نوعية ، وإنما لأن لديه بعض السمات المعينة المتميزة ،

ويقول ماكينون إن كل ما كشفت عنه اختبارات هارتشورن وماى هو أن السمة الخاصة بالأمانة على نحو ما تحدد فى الفاظ خلقية عادية ، وعلى نحو ما تختبر فى مواقف متفق ومتعارف عليها ، ليست واحدة من تلك التى يمتلكها الأطفال بدرجات فردية ثابتة ، وخاصة مع وجود نزعة أخرى ملحة قوية لدى الطفل ، للتعبير عن سمة أخرى غير الأمانة عن طريق سلوك الكذب والسرقة فالأطفال ليست لديهم جميعاً نفس السمة ولكن لديهم مع ذلك سماتهم الذاتية (١) .

ويذهب البورت إلى أن القول بوجود التخصيص أو التعميم فى بناء الشخصية يتوقف إلى حد بعيد ليس فقط على تفسير الحقائق الكمية ، بل على المناهج المستخدمة فاستخدام مجموعة كبيرة من الأطفال وإجراء إعداد كبيرة من الاختبارات عليها ، يعد أسلوباً مختلفاً كل الاختلاف عن دراسة عدد قليل من الأطفال دراسة متعمقة وفى سن أكثر نضجاً .

وكم ندهش من اختلاف النتائج التى تصل إليها بهذا المنهج أو ذاك الآخر فيما يتصل بثبات السمات ، كسمة الإمانة والعش . وقد أشار البورت فى هذا الصدد إلى دراسة قام بها ماكينون بالقيادة النفسية بجامعة هارفارد على مجموعة قليلة من الأشخاص إلا أكثر نضجاً (طلاب جامعة) ، ووصل فيها إلى نتائج تختلف عن تلك التى وصل إليها هارتشورن وماى . فقد أجريت التجربة على ٩٣ طالباً وكانت عبارة عن مجموعة من المشكلات التى يتطلب حلها أن ينفرد الفرد بنفسه لمدة ساعة . وكانت إجابات هذه المشكلات مسجلة فى الكراسة . وقد ترك الفاحص الأشخاص أحراراً فى الالتزام أو الخروج على

(١) Mackinnon. D.: The Structure of Personality. in Hunt J. McV. ed Personality and the Behavior Disorders, New York Roland Press Comp. 1944. vol. 1, pp 3-48.

بعض المنوعات التي تقوم على رؤية حلول المشكلات أو المسائل التي يحاولون القيام بها والمسجلة في آخر الكراسة . وكان المجرب يجلس في غرفة تسمع بالرؤية من جانب واحد . وبذلك يمكنه أن يرى كل حالة يحاول فيها الطالب أن يفش ويرجع إلى كراسة الإجابة في المشكلات غير المسموح فيها الرجوع إلى الكراسة . وقد أمكن لما كينون الكشف عن نمطين مختلفين ، وإن كان كل منهما متسق وثابت داخليا بالسمات الشخصية . نمط يحترم الاوامر ولا يفكر في الخروج عليها ونمط آخر كان يخرج على هذه الاوامر كلما تسنح له فرصة لذلك .

وقد تجلت حقيقة ثبات السمة في تجربة ما كينون في قيامه بالتنبؤ بما سيكون عليه سلوك الفرد ، وذلك بعد حوالي خمس دقائق كان يقضيها معه في مقابلة خاصة . وفي ضوء هذه الانطباعات الاولى ، كان يتنبأ بما إذا كان الشخص سوف يخرج على التعليمات أو سيلتزم بها وقد استخدم هذا الأسلوب مع ٧٤ شخصا ، وثبت صحة التنبؤ في ٦٩٪ من الحالات . وكان النجاح أكثر في ناحية عدم الغش .

وبالتأكيد ، فإن جزءاً كبيراً من السلوك يكون خاصاً بالنسبة للموقف الذي يحدث فيه . ولكن القول بمثل هذه الخصوصية في السمات ليس معناه إنكار الثبات في الشخصية . فعلى الرغم من القول بوجود الخصوصية أحيانا ، فإن البورت يصر على أن العمومية هي التي تسود في تنظيم الشخصية .

٦ - وقد أشار البورت أيضا إلى أن تفسير النتائج الإحصائية المعقدة كان إلى حد بعيد افتراضيا وتعسفيا . فعلى حين فسر هارتشورن وماي نتائجها على أنها تشير إلى خصوصية السمة ، إذ بنانا نجد أن مولر Maller (١٩٣٤)

والذى عمل معهما فى البحث ، يرى فى نفس المادة دليلا على وجود سمة علمة للخلق رمز إليها بالرمز C وعرفها ، بأنها استعداد للامتناع عن الكسب المباشر من أجل كسب لاحق ولكنه أكبر . . فهناك إذن افتراضان متعارضان صدرا عن نفس المادة ، أحدهما يقول بالخصوصية والآخر يقول بالعمومية وذلك حسب تفسير وتقييم مصفوفة معاملات الارتباط .

هذا وقد أشار البورت فى مواضع أخرى إلى أن مناهج البحث التى أدت إلى القول بخصوصية السمة ليست مناسبة لبيان نواحي الثبات الأساسية فى الشخصية . لأنه إذا كان مثل هذا الثبات موجود ، فإنه يوجد فقط فى نمط أو أسلوب الشخصية ككل وليس فى متغيرات تتنوع بطريقة تعسفية وتقاس بواسطة اختبارات واستفتاءات . ولكن حتى مثل هذه الاختبارات والاستفتاءات رغم كونها غير مناسبة ، فإنها تكشف عن بعض مقاييس الثبات فهل هناك أى معنى آخر لمعاملات الثبات النصفية للمقاييس التى كانت تتراوح بين ٠.٠٧٥ ، ٠.٠٨٥ . . .

والسؤال الذى يثار الآن هو ، إذا صرفنا النظر جانبا عن بحث هارتشورن وماى وما أحاط هذا البحث من ظروف وملابسات تتصل بصغر سن العينة وما إلى ذلك ، فهل نظرية المثير والاستجابة تنكر ثبات السلوك .

يقول شاغر ولازاروس^(١) أن الكتاب ساروا أحيانا وراء اعتقاد خاطئ بأن أنصار المثير والاستجابة ينكرون ثبات السلوك ، والمثل الواضح لهذا الخلط الذى ظهر فى هذا الاتجاه هو ما ورد فى عبارة ما كينون التى سبق الإشارة إليها عند بدء الحديث عن هذه النظرية والتى يقول فيها أنه حسب نظرية المثير والاستجابة ليست هناك سمات عامة للشخصية ، كما أنه ليست هناك صور عامة

(1) Shaffer, Wilson and Lazarus, Richard : Fundamental Concepts in Clinical Psychology , New York , Mc Graw-Hill, 1952 p.171.

وثابتة للسلوك والتي - إن وجدت - قد تفسر ثبات السلوك وثبات الشخصية ، ولكن هناك روابط مستقلة ونوعية للبشر والاستجابة أو عادات .

ويقول شاعر ولازاروس أنه عند مناقشة هذه العبارة ، من الصعب أن نرى كيف أن السمة تختلف بالضرورة عن مفهوم العادة عند السلوكي ، سوى أنه - ربما - من ناحية أن الأخيرة (العادة) نفترض وجود خاصية مكتسبة أو متعلمة ، بينما مفهوم السمة قد لا يتضمن شيئاً عن مصدره . فكلما من السمة والعادة أو نظام العادة هي استعدادات للعمل بطرق معينة إذا وجدت مواقف مثيرة معينة . والمثير ، على نحو ما أوضحنا - قد يكون بالغ التعقيد ، وقد يكون بالغ العمومية بحيث أن نزعة الاستجابة تبدو موجودة في نوع كبير من المثيرات وعلى ذلك فن الخطأ القول بأن علماء نفس المثير والاستجابة ينكرون العمومية . فأحد الاعتقادات الكبرى لنظرية التعلم هي حدوث تعميم المثير والاستجابة وقد استند شافر ولازاروس إلى بعض العبارات التي أوردها جارى وهو من كبار المدافعين عن نظرية المثير والاستجابة .

يقول جارى : . . . إن الشخصية يمكن تعريفها أنها تلك العادات ونظام العادات ذات الأهمية الاجتماعية الثابتة والتي تقاوم التغيير .

وكثير من العادات قد ينظر إليها على أنها عابرة بمعنى أنها قد يتوقع أن تتغير بسهولة مع التغيرات العامة في البيئة . فنحن نغير محل إقامتنا ولا نجد أية صعوبة في كسر عادة الذهاب إلى البيت القديم . وفصول السنة تتغير ونحن نغير ملابسنا لتتلاءم مع هذه الفصول . وهناك عادات أو نظام عادات ينظر إليها على أنها أكثر عمقا . فربة البيت التي كونت عادة النظام والترتيب في البيت ، تظل ثابتة عندها حتى أننا نتوقع أنها لا ترتاح إلا بعد أن نعيد إلى البيت نظامه الذي اعتادت عليه . والرجل السخى الكريم قد يجعلنا نحكم ، أن نقص دخله سوف لا يؤثر كثيراً على عادة سخائه .

وأنظمة العادات العميقة التي تكون الشخصية قد تتكون تحت عذبة من الظروف . ولما كانت العادات هي دائماً توافقات للتغير ، لذا فإن الشخصية ينظر إليها باعتبارها تقوم على توافقات مكتسبة أو متعلمة .

وفي ضوء ذلك يقول شافر ولازاروس : إن من الواضح أن علماء نفس المثير والاستجابة يحدون في الاستجابات وأنماط الاستجابات ، الخصوصية مثلما يحدون فيها العمومية والثبات ، لأن نفس الاستجابة قد اكتسبها الفرد وتعلمها بالنسبة لمواقف مثيرة عديدة . يضاف إلى ذلك ، إن عالم نفس المثير والاستجابة يذهب إلى أنه عند الاستجابة لحالات البواعث والدوافع ، تكون روابط المثير والاستجابة هي أكثر الوحدات ملائمة لوصف الشخصية . ويعتقد عالم نفس المثير أن من الضروري أن ندرس تكوين هذه الروابط من خلال مبادئ التعلم . والحقيقة أنه بموجب استخدام أية مكونات افتراضية كالبيوعات أو قوة العادة ، فإن معادلاته تصبح في الواقع هي المثير - السكائن العضوى - الاستجابة S.O.R . أى أنه يصادر على أنه المتغير الوسيط بين المثير والاستجابة هو السكائن الحى العضوى الذى له خصائص معينة مفترضة وكثير من نظريات المثير والاستجابة اليوم تتضمن ما هو أكثر من مجرد الروابط الآلية بين المثير والاستجابة وتميل إلى أن تصبح بدرجة أكثر أو أقل نظريات المثير - السكائن الحى العضوى - الاستجابة .

الفصل التاسع

بناء الشخصية في ضوء نظرية السمات

مفهوم السمة من المفاهيم الهامة في نظرية الشخصية . ونحن نادرأما نسأل عن وجود هذه السمات باعتبارها الوحدات الأساسية للشخصية ، ففي حديثنا الدارج بمضنا مع بعض نفترض وجود هذه السمات حين نصف شخصاً بأنه أمين ومواظب على عمله ومتفان فيه ، ولكنه خجول ومنطوٍ على نفسه . وعالم النفس يستخدم أيضاً مثل هذه المصطلحات في وصفه للشخصية أو في قياسه لها . ولكنه يدرك أن مثل هذه الأفكار الدارجة عن السمات قد تكون مدعاة للخطأ ، وأن موضوع السمات من الموضوعات التي تحتاج إلى مناقشات نقدية حتى ولو كان الأساس الذي تقوم عليه الأفكار الدارجة من السمات أساس صحيح .

ونحن حين نلاحظ سلوك شخص ما لفترة طويلة نسبياً من الزمن ، يتضح لنا بعض مظاهر الثبات والتماسك في هذا السلوك . ذلك أن بعض هذه المظاهر يميل إلى التكرار في كثير من مواقف حياة الفرد . فالفرض أننا نقوم بملاحظة سلوك صديق لنا فترة من الزمن . فنحن نلاحظ مثلاً أنه حين يريد عبور الشارع يتلفت يمنة ويسرة ليتأكد من خلو الطريق من السيارات والمركبات وأنه عندما يريد شراء شيء ما ، فإنه يأخذ في تفحصه جيداً وبدقة قبل شرائه وأنه حين يقود سيارته ، يقودها بهدوء ويتوقف عند كل بادرة خطر تلوح له وأنه حين يريد السفر إلى بلد ليست له به معارف ، فنادرأما ما يسافر قبل أن يتأكد من حجز مكان له بأحد الفنادق وهكذا ، ومن مثل هذه الألوان من السلوك ، يمكن أن نستدل على أن صاحبنا هذا من النوع الذي يتسم سلوكه بالحدز والدقة . فالحدز هنا هو اللفظ الذي يمكن أن نطلقه على هذا

الشخص نتيجة ملاحظتنا لعدد من ألوان السلوك التي يقوم بها في مواقف عديدة من حيانه والتي تكشف عن قدر معين من الثبات والتماسك يسمح لنا أن نصفه بهذه الصفة .

وقد يلاحظ أن اتجاه عالم نفس الشخصية لا يختلف كثيراً عن اتجاه عالم النفس التجريبي أو المعمل والذي يجري تجاربه في العمل على الحيوانات مثلاً لدراسة سلوكها ، فعالم النفس المعمل قد يلاحظ أن الفأر يتعلم السير في المتاهة وأنه يتعلم أن يدور يمينا في كل محاولة يقوم بها في متاهة على حرف T مثلاً وقد يستدل عالم النفس المعمل من ملاحظته لمثل هذا السلوك على أن شيئاً ما « يمكن وراء » كل هذه الاستجابات المنفصلة التي تسير في اتجاه واحد تقريباً فقد يستدل على أن الفأر « يعود الدوران إلى اليمين » وأن هذه العادة « يمكن وراء » هذا السلوك الخاص الذي يقوم به . وقد يلاحظ مثلاً أن بعض حيواناته تكشف المثيرات الغريبة بجرأة وبشكل مباشر ، على حين أن بعضها الآخر يجمجم عن القيام بمثل هذا السلوك . ومن ثم يصف بعضها بالجرأة أو الشجاعة ، على حين يصف بعضها الآخر بالجبن أو الحذر . وقد يقول إن وراء هذه الألوان من السلوك سمات الإقدام أو الإحجام .

ولكن عالم النفس التجريبي أو المعمل غالباً ما يتحدث في إطار العادات ، أكثر مما يتحدث في إطار السمات ، وسواء سماها عادات أو سمات ، فإنها تعتبر في نظره « مكونات بسيطة » أو « متغيرات متداخلة » يستدل عليها من السلوك الذي يلاحظه . ومن الواضح أن مثل هذا النمط الأساسي لطريقة تكوين المفاهيم الذي يستخدمه عالم نفس الشخصية وعالم النفس التجريبي أو المعمل متشابه إلى حد بعيد . وربما كان الفارق الاساسي بينهما هو في عمومية السلوك موضوع البحث . فعالم النفس التجريبي أو المعمل يهتم بالعادات عامة : كيف تتكون وكيف تختفي ، أما عالم نفس الشخصية فمن المحتمل أيضاً أن يكون أكثر اهتماماً بالعادات الخاصة أو الاستعدادات الشخصية التي لدى الفرد .

ولعلنا لاحظنا وجود مراحل يمكن أن يمر بها العالم من أجل الوصول إلى مفهوم السمة . وهذه المراحل ثلاثة :

المرحلة الأولى : وفيها نعزى السمة إلى الأفعال أو السلوك الذي يقوم به الفرد وتصرفاته في عديد من المواقف . ومن هذه الملاحظات قد نستدل على وجود بعض الخصائص المشتركة بينها ، ومن ثم نميل إلى وصف هذه الأعمال بصفة أو صفات معينة كأن نقول مثلاً إنه يعمل بحذر أو بثقة أو بسرعة ، ففي المرحلة الأولى من تكوين السمة . نعزو الصفة إلى السلوك ، لا إلى الشخص .

المرحلة الثانية : وفيها نعزى السمة إلى الشخص الذي يقوم بالسلوك . كأن نقول عنه إنه حذر أو واثق بنفسه أو متسرع . ومن الطبيعي أن ينتقل الوصف من السلوك إلى الشخص ، فالسلوك قد يكون وقتياً وعابراً وعند انتهائه يصبح في خبر كان . أما الشخص فهو موجود سواء قبل القيام بالسلوك أو بعده . ومن خبرتنا اليومية نلاحظ أن الناس على قدر من الثبات . فعند رؤيتنا نوع السلوك الذي يسلكه الفرد في هذا الحين ، نميل إلى توقع أن يكون سلوكه مشابهاً في المرات التالية . ومن تكرار هذا التشابه ، نميل إلى وصف الفرد بسمة ما حسب نوع الموقف الذي يوجه فيه . حقيقة قد يخرج الفرد أحياناً على هذه السمة التي نصفه بها ولكن الغالبية العظمى من هذا السلوك يمكن أن ينطبق عليها هذه السمة .

المرحلة الثالثة : تسمية المفهوم أو الصفة . فبعد أن نقرر إمكانية وصف الشخص بصفة ما نتيجة ملاحظتنا لسلوكه على فترة طويلة من الزمن ، فإننا نشير إلى هذه الصفة كشيء ما ونعطيها اسماً . فنقول إن هذا الشخص لديه سمة معينة هي سمة الحرص أو الثقة بالنفس أو التسرع أو غيرها من السمات .

تعريف السمات :

قدم علماء النفس تعريفات عديدة للسمة . وسوف نشير إلى بعض هذه التعريفات التي نعتبر بمثابة للتعريفات المختلفة التي وضعت للسمات .

عرف جوردون البورت السمة في كتابه « الشخصية » بقوله : « بأنها نظام نفسي عصبي مركزي عام (يختص بالفرد) يعمل على جعل المشيرات المتعددة متساوية وظيفياً ، كما يعمل على إصدار وتوجيه أشكال متساوية من الملوك التكيفي والتعبري » .

أما رايموند كاتل فقد عرف السمة بقوله : « إنها مجموعة ردود الأفعال والاستجابات التي يربطها نوع من الوحدة التي تسمح لهذه الاستجابات أن توضع تحت اسم واحد ومعالجتها بنفس الطريقة في معظم الأحوال » .

أما جليفورد فقد عرف السمة بقوله : « إنها أية طريقة متميزة ثابتة نسبياً ، بها يتميز الفرد عن غيره من الأفراد » .

ويبدو أن تعريف جليفورد تعريف واسع جداً وأعم من التعريفين الآخرين ويمكن تطبيقه على الخصائص الجسمية مثلما ينطبق على الخصائص النفسية . ومن هنا يمكن أن نتحدث عن سمات « بنية الجسم » أو « سمات البشرة » .

أما البورت وكاتل فقد قصرا تعريفهما في الحقيقة على النواحي السيكولوجية رغم أنهما في مواضع مختلفة من كتاباتهما لم يستبعدا الخصائص الجسمية والفسولوجية . ونحن بالمثل ، لا نقصر مناقشتنا للفظ على ناحية واحدة فقط ، وإن كنا أميل هنا إلى الاهتمام بالخصائص الانفعالية والاجتماعية للشخصية ، هنا إلى النواحي الجسمية والفسولوجية ؛ أي أننا أميل إلى توكيد السمات الملوكية لدى الفرد .

وقد وضع البورت معايير ثمانية لتحديد السمة هي :

١ - أن للسمة أكثر من وجود إسمي . (بمعنى أنها عادات على مستوى أكثر تعقيداً) .

٢ - إن السمة أكثر عمومية من العادة (عادتان ، أو أكثر ، منتظمان وتنسقان معاً لتكوين سمة) .

٣ - السمة دينامية (بمعنى أنها تقوم بدور دافعي في كل سلوك) .

٤ - أن وجود السمة يمكن أن يتحدد تجريبياً أو إحصائياً (وهذا ما يتضح من الاستجابات المتكررة للفرد في المواقف المختلفة أو في المعالجة الإحصائية على نحو ما نجد في الدراسات المعاملية عند أيزنك وكاتل وغيرهما) .

٥ - السمات ليست مستقلة بعضها عن بعض (ولكنها عادة ترتبط فيما بينها ارتباطاً موجباً) .

٦ - أن سمة الشخصية — إذا نظر إليها سيكولوجياً — قد لا يكون لها نفس الدلالة الخلقية التي للسمة (فهي قد تنفق أو لا تنفق والمفهوم الاجتماعي المتعارف عليه لهذه السمة) .

٧ - أن الأفعال والعادات غير المتسقة مع سمة ما ، ليست دليلاً على عدم وجود هذه السمة (فقد تظهر سمات متناقضة أحياناً لدى الفرد على نحو ما نجد في سمي النظافة والإهمال) .

٨ - أن سمة ما قد ينظر إليها إما في ضوء الشخصية التي تحتويها أو في ضوء توزيعها بالنسبة للجموع العام من الناس (أي أن السمات إما أن تكون فريدة أو ما سهاها البورت باسم : الاستعدادات الشخصية ، أو قد تكون عامة ومشتركة بين الناس) .

وقد أثارت هذه المعايير بعض المشكلات الهامة بالنسبة للسمات .
من ذلك .

(١) هل السمة حقيقية أم إسمية :

هل السمات استعدادات أصيلة لها وجود حقيقى عند الفرد ومن ثم تطابق نظاماً عصبياً نفسياً ، أم هل السمات مجرد تسمية افتراضية ، مجرد كلمات أو مجموعات مناسبة من الكلمات لأفعال كثيرة غير مترابطة . أشار البورت إلى بعض التعاريف التى تؤيد وجهتى النظر .

فمن أمثلة التعريفات التى تنظر إلى السمات باعتبار أن لها وجوداً حقيقياً تعريف بوجارتم F. Baumgartem الذى يقول أن السمة قوة نفسية موجهة ثابتة تحدد السلوك اللشط واستجابات الفرد .

أما التعريفات الإسمية الافتراضية فتتمثل فى تعريف ماى التى قالت أن السمات أسماء مناسبة فقط تعطى لأنماط السلوك التى يوجد بينها عناصر مشتركة إنها ليست وحدات نفسية وإنما هى قوائم لتصنيف العادات ،

وتعريف ماى يتفق وفكرة التخصيص التى حاولت هى وهارنشورن إثبات وجودها فى تجاربها التى أجريت على صغار الأطفال فى الفترة من ١٩٢٨-١٩٣٠ وعلى نحو ما سبق أن أشرنا من قبل . وحسب هذه النظرة ، فإن العادات هى التى لها وجود حقيقى أما السمات فإنها لا توجد لدى الشخص نفسه ، بل فى نظر القائم بالملاحظة ، ويعلق البورت على ذلك بقوله « انه لو وضع غريب أن تعتبر الوحدات العنصرى للسلوك (أى العادات) حقيقية ، بينا الاستعدادات الأهم والأوسع (السمات) فينظر إليها على أنها إفتراضية .

وهذه المناقشة التى دارت حول السمة وهل هى حقيقية أم إسمية ، تعتبر فى الواقع صدى للنقاش الذى دار حول تعاريف الشخصية . هل الشخصية

لها وجود حقيقى أم أنها مجرد شئ. مركب موجود فى ذهن الملاحظ.
غيب .

ويستند أنصار المذهب الإسمى فى السمات إلى النواحي الآتية :

١ - أن ليس هناك إنسان يمكنه أن يرى سمة ما فى أى شخص ، كما
لا يمكننا أن نثبت أن السمة يمكن أن تقابل تركيباً عصبياً وفسولوجياً معيناً
لدى الشخص .

٢ - أن اللغة كلها — بما فيها الأسماء التى نعطيها للسمات . إسمية . فهناك
١٧٩٥٣ إسماء للسمات الإنسانية المزعومة . وهذه الألفاظ هى بمثابة قوائم
تصنيفية غيب وليس لها وجود حقيقى لدى الفرد .

٣ - إن السمات تنتج عن ميل الفرد إلى تبسيط إدراكاته وأحكامه عن
الناس إلى حد بعيد . فالأمريكان مثلاً يميلون إلى القول عن الزوج بأنهم كسالى
وجاهلون ويؤمنون بالخرافات . وليس ثمة شك أن فى هذا القول تعميم مبالغ
فيه ولا معنى له كما أنه مدعاة للخطأ فى كثير من الأحيان .

ويفند البورت هذه الأدلة التى يستند إليها أنصار المذهب الإسمى بقوله :
حقيقة إن هذه الأقوال صحيحة وسليمة ، ولكنها لا تدل على أن الناس
محرومين من السمات . إنها تدل فقط على أننا يجب أن نحذر ضد نزعة زيادة
التبسيط فى تركيب الشخصية . فهى تحذرننا ألا نذهب إلى أن الألفاظ التى
نستخدمها تقابل تماماً الوحدات النفسية التى نحاول البحث عنها .

ومع صدق القول بأنه لا يمكن لإنسان أن يرى السمة ، فإن هذا يصدق
بالمثل على أى تراكيب أو عمليات يحاول عالم النفس معالجتها كالحواجز
والدوافع والاتجاهات وغيرها ، ولذلك يقترح البورت أن من الأفضل ،
عندما نشعر بالحاجة إلى القول بوجود بعض الاستعدادات الحقيقية لتفسير
نشاط الفرد ، أن نقول بوجود مكونات افتراضية ، نفترض وجودها
ونفسر فى ضوءها السلوك المراد تفسيره . وليس ثمة اعتراض على ذلك

في نظر البورت بشرط أن نفرق بين المكون الافتراضي والشيء الخرافي الذي لا وجود له . فالسمة رغم كونها تكوين افتراضي إلا أنها مع ذلك تعتبر استدلالاً ضمناً ، يمكن أن يثبت وجوده في يوم من الأيام على نحو ما حدث بالنسبة لبعض المكونات الافتراضية في العلوم الأخرى . فالكوكب د بلوتو مثلاً كان في يوم ما مجرد تكوين افتراضي في أذهان علماء الفلك ، ولكن بمرور الزمن أمكن للعلم أن يثبت وجوده حقيقة ، والأمور بالمثل بالنسبة للسمات . ويأمل البورت أن يصل علم فسيولوجيا الأعصاب في يوم ما إلى الكشف عن عمليات التكامل وصور التتابع التي تطابق تكويناتنا الافتراضية الراهنة .

وبعبارة أخرى نحن نذهب اليوم إلى القول بوجود السمات على أساس ما هنالك من ثبات بين الأفعال المستقلة التي نلاحظها في سلوك الفرد . وهذه الأفعال المستقلة هي نفسها ، أدلة وجود السمة ، على حد تعبير مناجير . فدليل وجود سمّة الإنعزالية عند شخص ما ، هو ما نلاحظه عليه مثلاً من تجنب الذهاب إلى حفلة يدعى إليها ، أو عبور الطريق عند رؤية شخص قادم يعرفه لأول مرة . ويتجنب التحدث معه . وتقليل اتصالاته الاجتماعية مع الناس . ورغم أن أدلة ثلاثة كهنه لا تكفي لإثبات وجود سمّة ما ، فإن كثرة الأدلة التي تشير إلى ثبات السلوك وانتظامه تجعلنا نقف على أرض صلبة في استدلالنا على وجود السمة .

وعلى اليوم فن بين كبار علماء نفس الشخصية - من أمثال البورت - من يعطى أهمية كبيرة للسمة ومن يقرر صراحة أن لها وجوداً حقيقياً وليس مجرد أسماء يضعها الباحث للتصنيف . ولذلك يقرر البورت صراحة موقفه بقوله إنه يضم صوته إلى القائلين بوجهة النظر الحقيقية للسمات (١) .

(1) Allport G. : Pattern and Growth in Personality. New York. Holt. 1961.

١ - السمات العامة أو المشتركة والاستعدادات الشخصية

يذهب البورت إلى القول بأن السمات العامة أو المشتركة *Common traits* مظاهر هام وضروري في دراسة السلوك الإنساني إلى الحد الذي دفعه إلى تعريف هذا المصطلح بتقديم عبارتين أخريين تعتبران بمثابة إعادة تحديد أو تدعيم للتعريف الأصلي .

فقد عرف السمة المشتركة بقوله أنها استعداد عام يمكن بواسطته أن تتأثر الناس فيما بينهم وبشكل مقيد . وقد زاد هذا القول تحديداً في عبارتين أخريتين هما :

السمات العامة هي إذن - مظاهر الشخصية التي يمكن أن تقارن في حيوئها معظم الناس الذين يعيشون في ثقافة معينة .

والسمة العامة هي قائمة لتصنيف الأشكال المتكافئة وظيفياً من السلوك في المجموع العام من الناس ورغم تأثرها باعتمادات اسمية متكيفة ، فإن السمة العامة تعكس إلى حد ما الاستعدادات الحقيقية والتي يمكن مقارنتها لدى الكثير من الشخصيات التي - بسبب الطبيعة البشرية والثقافة المشتركة - تشبه أساليب متشابهة من التوافق مع البيئة ولكن بدرجات مختلفة .

ولتوضيح مفهوم السمة المشتركة ، يفترض أننا نبحث في سماتنا ولتكن السيطرة ضد الخسوف ونريد أن نعرف مدى قوة هذه الصفة لدى فرد ما . فمن الممكن معرفة ذلك بمقارنة هذا الشخص بأشخاص آخرين بالصفة لهذا الهدف . ومن ثم نضع مقياساً ونحدد موضع الفرد على هذا المقياس . وبمقارنة الدرجة التي يحصل عليها هذا الفرد بالسوية المتوسطة للمجموع ، يمكن أن نعرف شيئاً عن وضعه بالصفة لمجموعة التفتين وهل هو من النوع المسيطر أم الغائب .

فهناك إذن أساس مطلق واضح يسمح بالقول بوجود السمة المشتركة

العامة . وهذا الأساس المنطقي هو ، أن الأشخاص العاديين في أية جماعة ثقافية معينة يميلون بالضرورة إلى تنمية ألوان من التوافقات السلوكية التي يمكن مقارنتها إلى حد ما بعضها مع بعض . فإذا أخذنا مثلا السمة المشتركة السيطرة ضد الخضوع ، نجد في المجتمعات التنافسية كالمجتمعات الغربية مثلا ، أن كل فرد يميل إلى أن يجد مستوى من السيطرة أو تأكيد الذات يتفق ودوره في الحياة . فهناك من يعيش في راحة تامة عن طريق الاستسلام والخضوع وهناك من يجد أن السيطرة هي الأسلوب الأكثر توافقا وتكيفاً مع مثل هذه البيئة التنافسية . وقد يتخذ البعض الأسلوب العدواني المتطرف على حين قد يتخذ البعض الآخر الأسلوب السلبي التام . والواقع أن الناس في مثل هذه المجتمعات يمكن مقارنتهم بصورة عامة بالنسبة لمثل هذا البعد وغيره من الأبعاد كالانعزالية والقلق والتعصب وغيرها ، وبالنسبة للطريقة التي يحلونها بها مشكلاتهم مع الآخرين في البيئة .

ولكن رغم وجود هذا الأساس المنطقي الذي تقوم عليه هذه السمة المشتركة للسيطرة والخضوع ، إلا أن هذه الصورة التي تقدمها لنا هذه السمة المشتركة تعد تقريبية إلى حد بعيد . فهناك أنواع لا حصر لها من المسيطرين أو القادة أو العدوانيين أو المستسلمين أو الجبناء . والمقياس العام للسمة المشتركة لا يمكنه ، ولن يمكنه ، أن يدرك الظلال الدقيقة للسمات لدى الأفراد والتي نلاحظها بشكل واضح في النوع الثاني الذي نسميه السمات الفردية أو ما هبر عنه البورت باسم الاستعدادات الشخصية (P.D.) Personal Dispositions . ورغم قبول البورت لفكرة السمة المشتركة ورغم كونها في نظره سبب الكثير من الغموض والصعوبات التي نواجهها ، إلا أنه لا يرى مفرأ من التسليم بها كأفضل شيء يمكن أن يوجد حالياً وبخاصة إذا أردنا مقارنة شخص بالآخرين . ولكنه في الحقيقة يضع هذه السمات المشتركة على مستوى أدنى من موضع السمات الفردية أو الاستعدادات الشخصية . فالسمات المشتركة في نظره أقل حقيقة وأكثر إسمية إذا قيست بالاستعدادات

الشخصية أو كما عبر البورت عن ذلك بقوله أن السمة العامة « شبه حقيقية » ،
ولكنها مع ذلك ضرورية ولازمة عندما نأخذ في دراسة الشخصية عن طريق
المقاييس والاختبارات أو مقاييس التقدير أو أى منهج آخر للمقارنة .
ومن الخصائص الهامة للسِمات المشتركة خاصية التوزيع الإعتدالى .
فالباحث ينظر عادة إلى السمة المشتركة باعتبارها سمة متصلة continuous
وأن تقديراتها تنوزع اعتداليا على شكل منحني الجرس وأن المجموع الأكبر
من الحالات يمكن أن تتجمع في المنتصف وأن البقية يمكن أن تنوزع عند
الطرفين الأعلى والأدنى . وعندما تخضع السمة للتوزيع الإعتدالى ، فإن من
الممكن تطبيق الطرق الإحصائية العادية في القياس . ويشعر الباحث عادة
بالرضا عندما يصل في دراسته إلى مثل هذا التوزيع الإعتدالى ، إذ يمكنه
أن يقارن الناس بعضهم ببعض وأن يحدد موضع الفرد بالنسبة للآخرين
في هذه السمة . فهو يعلم أن التقديرات العالية والمنخفضة هي انحرافات
هامة عن المتوسط .

ومع أن الوصول إلى التوزيع الاعتدالى يعد هدفا في كثير من الدراسات
العلمية ، إلا أن الوصول إليه في مثل دراستنا للشخصية ، ليس بالأمر السهل ،
كما أنه ليس من الميسور القول ماذا يعنيه هذا التوزيع . والواقع أنه قد يرجع
إلى ظروف كثيرة متداخلة . فمن ناحية ، قد يعكس طبيعة تفضيل المستويات
المتوسطة (غير المتطرفة) ، كما قد يعكس بالإضافة إلى ذلك الضغوط الإجتماعية
نحو التطابق أو التوافق مع المستويات المتوسطة المقبولة للسلوك ، كما قد يتأثر
هذا التوزيع أيضا وإلى حد ما بوضع الاختبار الذى يرى أن المراجعات
المتتابعة للاختبار قد تؤدي إلى أن تصبح نتائجه أكثر انتظاما . ويقول
البورت أنه ليس ثمة اعتراض على ذلك ، ولا على المنحنى الإعتدالى نفسه
الذى نحصل عليه ، طالما أن قياس السمات المشتركة ليس إلا طريقة أولية
وتقريبية لقياس الشخصية .

وباختصار ، ينظر البورت إلى السمات المشتركة باعتبارها سمات «شبه حقيقية» . أما السمات الحقيقية فهي السمات الفردية أو الاستعدادات الشخصية P.D. وقد عرف البورت الاستعداد الشخصي أو السمة بالمعنى الحقيقي بقوله أنها «نظام نفسى عصبى مركزى عام (يختص بالفرد) يعمل على إصدار وتوجيه أشكال متساوية من السلوك التمكيني والتعبيري . وعلى ضوء هذا التعريف الدقيق للسمة ، فإن السمة الفردية وحدها هي السمة الحقيقية في نظره وذلك لأسباب منها أن السمات دائماً توجد في أفراد وليست في جماعة عامة ، كما أنها تنمو وتصبح بمثابة استعداد دينامي فريد حسب خبرات كل فرد . ويتمثل الخلاف الأساسى بين السمة المشتركة والاستعداد الشخصي في أنه ليس ثمة مجال للتحدث عن توزيع اعتدالى بالنسبة للاستعدادات الشخصية طالما أن كل واحد منها خاص بفرد معين . فالشخصية العامة المتصلة ليست سمة حقيقية بالمعنى الدقيق بقدر ما هي مظهر قابل للقياس من سمات الفرد المعقدة . ومن هنا تعتبر الاستعدادات الشخصية أكثر تصوراً لبناء الشخصية ، على حين تعد السمات المشتركة بمثابة قوائم يندرج تحتها الأفراد ، وفي ضوءها يمكن مقارنتهم بعضهم ببعض . فمن طريق منهج السمة المشتركة يمكن معرفة أن هذا الفرد لديه قدرأً عالياً من القلق أو الاهتمام الجمالى أو أن لديه قدرأً منخفضاً من الرعاية أو الحاجة إلى التحصيل . ويمكن الخطورة بالنسبة للاعتماد السكلى على السمات العامة المشتركة هو أن الصورة التى نحصل عليها ، قد لا تتفق تماماً والاستعدادات النفسية العصبية للفرد . ومن هنا يأتى قول البورت بأن مقاييس السمات المشتركة مقاييس تقريبية للشخصية لحسب . والمدقق في رأى البورت يستطيع بسهولة أن يربط بين فكرته في السمات ونظريته إلى الشخصية من ناحية عموميتها وفرديتها (١) .

(١) أنظر الفصل الأول من هذا الكتاب .

وإذا كانت السمات العامة المشتركة مقاييس تقريبية ، فإن عالم النفس يمكنه اتخاذ الأساليب المناسبة التي تجعل مقاييسه أكثر دقة وأكثر صلاحية للاستخدام . فيمكنه مثلا استخدام الأساليب الاحصائية التي تحدد صدق المقياس ، كما يمكنه تقنين المقاييس على مجموعات مختلفة من الناس ، كما يمكنه استخدام أساليب التحليل العاملي كأحد الوسائل الاحصائية الهامة للوصول إلى عوامل دقيقة ، ولكن يجب أن نحذر من أن المبالغة في استخدام مثل هذه الوسائل التي هي أدوات مساعدة ولا شك - قد يؤدي إلى التقليل من أهمية المقياس الرئيسية للتفسير السيكولوجي أو أنه يعجز عن إعطاء صورة صحيحة من بناء شخصية معينة . وقد أوضح البورت المقصود من هذه النقطة بمثال من دراسة قام بها كوزراد ، حيث طلب من ثلاثة من المدرسين تقدير مجموعة من الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة بالنسبة لـ ٢٣١ سمة عامة أو مشتركة . وهذا يفترض مقدما وجود هذه السمات بدرجات متفاوتة لدى كل طفل من هؤلاء الأطفال . وفي ضوء هذا الافتراض ، كان معامل الاتفاق بين المدرسين منخفضا بالنسبة لهذه السمات العامة وكان يتراوح بين + ٠.٤ و + ٠.٧٨ . بوسيط قدره + ٠.٤٨ . وكانت معظم التقديرات تتم على أساس التخمين ، وذلك لمجرد أن البحث كان يتطلب من كل مدرس إعطاء الطفل درجة معينة بالنسبة لكل سمة .

ولكن في مرحلة من مراحل البحث طلب إلى كل مدرس أن يضع « بحمة » أمام السمات التي يعتبرها سمة مركزية أو مهيمنة بالنسبة لكل طفل . وهنا ظهر أن الاتفاق بين المدرسين في هذا الجزء من العمل كان عاليا ، إذ بلغ معامل الاتفاق بينهم + ٠.٩٥ . ولعل مرجع انخفاض معامل الاتفاق بين تقديرات المدرسين في الجزء الأول من البحث أن الأفراد كانوا يدفعون دفعا إلى الدخول في مقارنة بالنسبة لسمات عامة قد لا تنطبق عليهم انطباقا ظاهرا . أما في الحالات القليلة التي طلب فيها من المدرسين أن يضعوا « أمهات » نجمة ،

فكان مفهوم السنة العامة أو المشتركة يبدو متفقاً إلى حد كبير مع الاستعداد الشخصي المسيطر لدى الطفل .

ويذهب البورت إلى أنه ليس في ذلك ما يقلل من أهمية منهج السمات المشتركة ، بل على العكس ، فنحن حين نريد عقد مقارنة بين الناس بعضهم وبعض ، فإن هذا المنهج يكون هو المنهج الوحيد الممكن استخدامه . ولكن كل ما يهدف إليه البورت من توكيده للاستعدادات الشخصية هو بيان أن ثمة منهجاً آخر وطريقة أخرى أكثر دقة في النظر إلى الشخصية وهي طريقة النظر إلى الصورة الداخلية للشخصية من حيث هي نتاج فريد للطبيعة والمجتمع . وإذا كان اهتمامنا ينصب أساساً على دراسة بناء الشخصية وتنظيمها ، فن الواجب ألا نقف عند حد العموميات ، بل يجب أن ننظر أيضاً في هذه الاستعدادات الشخصية .

٣ - ثبات الاستعدادات الشخصية :

رُتمة مشكلة أخرى تثيرها النقطة السابقة ونعني بها ثبات هذه الاستعدادات الشخصية . لقد ذهب البعض إلى القول بأن الشخصية ليس لها ثبات داخلي إطلاقاً ، وأنها تكتسب ثباتها وتماثلها من تشابه المواقف التي تواجهها الشخصية باستمرار . وقد رفض البورت مثل هذا القول على أساس أن الشخص الذي قد يكون في وقت من الأوقات مسيطراً وفي وقت آخر مستسلماً ، والذي قد يكون أحياناً عدوانياً وأحياناً أخرى لطيفاً ، يلزم أن توجد لديه هذه النزعات المختلفة المتعارضة أحياناً داخل نفسه .

حقيقة قد تستدعي أحد المواقف ظهور استعداد شخصي ما ، على حين يستدعي موقف آخر ظهور نزعة أخرى أو استعداد شخصي آخر . هذا ما لا ينكره البورت ، وإنما يذهب إلى أن ما قد يبدو لنا سلوكاً متناقضاً ،

قد لا يكون كذلك في الحقيقة ؛ وإنما يكون مرده إلى ما نقوم به من تشخيص سطحي ظاهري أحياناً . ولتوضيح ذلك أشار البورت إلى حالة الدكتور دد ، الذي كان في منتهى النظافة فيما يتصل بشخصه وحاجاته الخاصة ، عواظب في إعداد مذكراته ومحاضراته أو تلميضمها ونبويها ووضعها في كتبها . وكانت ممتلكاته الشخصية ليس فقط منتظمة بل وأيضاً مغلق عليها ومعنى بها . وكان هذا الشخص يشرف أيضاً على مكتبة القسم ، ولكنه كان في قيامه بهذا العمل مثال الإهمال : فكثيراً ما كان ينسى باب المكتبة مفتوحاً ، ولا يسجل أسماء الكتب المعارة بدقة بما ترتب عليه فقدان بعضها ، كما يمكن يعني كثيراً بتنظيف الأتربة المتراكمة على الكتب . فهل هذا التناقض الظاهري في السلوك معناه أن الشخص يفتقر إلى ثبات وتماسك استعداداته الشخصية ؟ يذهب البورت إلى أن الأمر ليس كذلك . فهذا الشخص لديه استعدادان نمطيان متعارضان أحدهما للنظافة والآخر عدم النظافة ، وأن المواقف المختلفة تستثير لديه هذان الاستعدادان وإذا تعمقنا أكثر في بحث دوافع سلوك هذا الشخص ، أمكننا القول بأن هذه الثنائية الظاهرة يمكن أن ترد إلى استعداد شخصي واحد رئيسي تصدر عنه هذه الأساليب التي تبدو متناقضة . فالحقيقة البارزة عند هذا الشخص هي أنه ذاتي المركز ، أناني ، لا يعمل أبداً لمصلحة الآخرين ، وإنما يعمل دائماً لما فيه مصلحته الشخصية . وهذه الصفة البارزة في المركز حول الذات تتطلب النظام والنظافة فيما يتصل بشخصه ، وعدم النظام والنظافة فيما يتصل بالغير .

وقد استعان البورت في تفسير ما قد يبدو ظاهراً من تناقض بمصطلحين استعارهما من كيرت ليفين ، فهناك الاستعدادات الشخصية الظاهرية Phenotypical Personal dispositions والتي تحاول وصف السلوك على نحو ما يبدو في الظاهر ، وهناك أيضاً الاستعدادات الشخصية العلية

Genotypical Personal dispositions وهي ذات طبيعة أكثر عمقا . هذه الاستعدادات الشخصية العنصرية العميقة هي التي يحاول المحلل النفسي التعامل معها وعن طريقها يفسر الكثير من ألوان السلوك الظاهرة والتي تبدو لنا أحيانا متناقضة . ففي حالة الدكتور دد ، كانت لديه الأساليب المنظمة وغير المنظمة (وهذا هو الجانب المظهري Phenotypical) ولكن هذه الاستعدادات المظهرية المتعارضة والتي تشمل مجموعة من المواقف والاستجابات التي يقوم بها الفرد ، إنما تصدر عن استعدادات شخصية أخرى أكثر عمقا (وهذا هو الجانب العنصري Genotypical) وهو ما اسميناها في هذه الحالة باسم التركز حول الذات .

وهنا يمكن القول بأن البورت ينظر إلى بعض الاستعدادات الشخصية على أكثر أهمية من بعضها الآخر . فالسمات المظهرية والتي هي أقل ثباتاً وأكثر ارتباطاً بالموقف هي بمثابة مظاهر القناع للشخصية ، بينما السمات العنصرية فهي أكثر عمقا وأنتظاماً وأقدر على تفسير الكثير من مظاهر السلوك التي تبدو منفصلة وغير مترابطة . وبملاحظة الخصوصية والعمومية في أنماط السلوك خلال الملاحظة الاكليديكية ، يمكن التعرف على الاستعدادات الثابتة نسبياً للفعل والتي تكون تنظيم الشخصية الذي نبحث عنه .

وفكرة السمات الشخصية (مظهرية وعميقة) تبدو وثيقة الصلة بالتقسيم الثلاثي الذي وضعه البورت للسمات وهو السمات الرئيسية Cardinal والمركزية Central والثانوية Secondary . ففي كل شخصية توجد استعدادات ذات أهمية كبرى وأخرى ذات دلالة بسيطة . فأحيانا يكون لبعض السمات مركز ممتاز أو مكانة بارزة في حياة الفرد حتى يمكن أن نسميها باسم السمة الرئيسية وغالباً ما تكون هذه السمة هي المسيطرة على شخصية الفرد بحيث أن القليل جداً من سلوكه هي الذي لا يمكن رده إلى تأثير هذه السمة بطريقة مباشرة

أو غير مباشرة . من ذلك مثلاً تلك السمات التي تشتق من أسماء الشخصيات التاريخية أو الشخصيات الخرافية على نحو ما تقول مثلاً « هوميرو » أو « ماكيافيلي » أو « نابليون » أو « أوديسي » أو « سادى » . ومثل هذه السمات لا يمكن أن تظل مخفية فترة طويلة من الزمن ، والشخص يعرف بها عادة ، بل ويشتهر بها أحياناً . وتصبح هذه السمة المسيطرة بمثابة السمة البارزة أو العاطفة السائدة عنده .

ولكن ليس من الطبيعي أن نجد شخصية تمتلك استعداداً رئيسياً واحداً وواحداً فقط . ولكن في العادة يدور تركيز الحياة حول مجموعة من الاستعدادات الشخصية المركزية المتميزة . وهذه السمات المركزية تقترب عادة من تلك التي يرد ذكرها عادة في خطابات التوصية والتي يشير فيها الشخص إلى أهم الصفات المركزية البارزة عند من يوصى به .

وعلى مستوى أدنى وأقل أهمية من المستويين السابقين يمكن أن نتحدث عن الاستعدادات الشخصية الثانوية وهي استعدادات أقل عمومية وأقل ثباتاً وأقل ظهوراً في المجال من الاستعدادات المركزية ، فهي استعدادات جانبية أقل أصالة من الاستعدادات المركزية .

ويمجد بنا أن نشير إلى أن هذا التقسيم للاستعدادات الشخصية إلى هذه المستويات الثلاثة إنما هو تقسيم افتراضى والحقيقة أنها جميعاً درجات ممكنة من التنظيم ابتداء من التراكيب الأكثر بساطة وهامشية إلى تلك الأكثر شمولاً وعمقاً . ومع ذلك ، فمن المفيد أن يكون لدينا مثل هذا التمييز عندما نريد التحدث عن القوة النسبية للاستعدادات عند شخصية معينة .

دراسة الاستعدادات الشخصية :

والسؤال الذي يقاد إلى الذهن هو أنه إذا كانت هناك وسائل كثيرة ومعروفة لدراسة السمات العامة أو المشتركة من مقاييس واختبارات ومقاييس

تقدير وغيرها ، فهل هناك وسائل يمكن بواسطتها دراسة الاستعدادات الشخصية . إن علم النفس نادراً ما يركز اهتمامه على دراسة الفردية بل يركز اهتمامه على دراسة العموميات والوصول إلى القوانين العامة . ومن هنا فقد وجه القليل من الاهتمام إلى دراسة الحالات الفردية والاستعدادات الشخصية ومع ذلك فإن هذه المناهج الخاصة التي وجدت يمكن أن تفيد في الكشف عن التنظيم الداخلي للشخصية ويمكن أن تشير إلى أهم الوسائل التي تفيد في دراسة الاستعدادات الشخصية :

١ - تحديد أو تخصيص سمات مشتركة :

وأول طريقة في هذا الصدد هي بيان موضع الفرد بالنسبة للاختبار العام أو مقياس التقدير فالدرجات المرتفعة أو المنخفضة بشكل ملحوظ يمكن أن تعتبر بمثابة إشارة إلى نواحي خاصة أو استعدادات شخصية ذات أهمية بالنسبة للفرد . ويمكن أن تشير في هذا الصدد إلى دراسة كونراد السابقة الذكر والتي أدى فيها منهج التقدير بتحديد السمات البارزة لدى الطفل من بين ٢٣١ سمة مشتركة ووضع نجمة أمامها ، إلى توضيح أي هذه المتغيرات يمكن أن تعد بمثابة سمة خاصة أو مميزة للطفل . وقد تبين لنا أن اتفاق المدرسين كان عالياً بدرجة ملحوظة حول هذه السمات التي تشير إلى استعدادات شخصية (+ ٠.٩٥) وبدرجة أكبر مما كان عليه الحال بالنسبة للسمات المشتركة (+ ٠.٤٨) . فإذا أمكننا التعرف على الاستعدادات الشخصية المحتملة ، فإنه من الممكن أن نتقدم بعد ذلك ، للكشف عن لون كل واحدة كل منها على نحو ما هي موجوده عليه في حياة الفرد .

٢ - دراسة الحالة :

ومن أوضح طرق دراسة هذه الاستعدادات الشخصية ، دراسة نواحي حياة الأفراد أو دراسة الحالة الفردية . ويبدو أن هذه الطريقة يمكن أن

تصبح من الطرق العلمية الهامة إذا اتخذت الاحتياطات اللازمة لنجعل منها منهجاً علمياً . وليس من شك أن نفراً كبيراً من الأطباء النفسيين وعلماء النفس الكلينيكي والأخصائيين الاجتماعيين وغيرهم ممن يتصلون اتصالاً مباشراً بمن ذات علاقة مباشرة بالأفراد ، يفيدون فائدة كبيرة من دراسة تواريخ الحياة . وليس ثمة شك أيضاً أنها تكشف عن جوانب هامة في شخصية الفرد إذا أحسن استخدامها ، بينما لا يكون لها قيمة كبيرة ، إذا أسيء القيام بها .
وتحتوى أية حالة يتحدد بهدف الباحث . فالكلينيكي قد يوجه اهتمامه نحو دراسة المرض وتاريخه أكثر من اهتمامه بالصحة ، بينما الأخصائي الاجتماعي قد يكون أكثر اتجاهها نحو الوصول إلى الحقائق التي تتصل بميزانية الأسرة والصحة وغيرها .

ودراسة الحالة بالطبع عمل مرجعي شامل تتجمع وتلتظم فيه المادة المناسبة والهامة التي تخص حياة فرد واحد . فهي تمتاز بأنها تركز الاهتمام حول حياة الفرد المحسوسة . وإذا كان لدينا عدداً من الحالات ، فإن من الممكن عقد مقارنات فيما بينها (فيما يتصل بالفروق في الشخصية بين أفراد الجماعات المختلفة أو بين أفراد قوميات مختلفة أو سلالات عنصرية مختلفة الخ) .

وحين يقوم باحثان بكتابة تاريخ حياة فرد واحد ، فإنهما يكونان أكثر اتفاقاً في ماذا ، حدث في حياته أكثر من اتفاقهما في أسباب ، هذا الذي حدث . فتفسير العلاقات العائلية أو السببية أمر صعب ويتصل بمسألة التصورات الذهنية التي هي أساس القيام بعملية التفسير . وثمة وسائل يستخدمها السيكولوجي لتقدير صدق تفسيره نشير إلى بعضها ودون الدخول في تفاصيلها (١) ، منها مطابقة التفسير الذي يقدمه السيكلوجي للحقائق

(1) Allport. G. Pattern and Growth in Personality. New York. Holt 1961 p. 409.

المعروفة عن الحالة ، والثبات الداخلى للتفسير . فجزء من التفسير يمكن أن يقابل مع جزء آخر منه ، فإذا كانت ثمة تناقضات منطقية واضحة فإن مثل هذه التناقضات يمكن أن تثير الشك فى صدق التفسير ؛ وهناك أيضا القدرة التنبؤية للتفسير . فإذا كان التفسير يمكننا من القيام بتنبؤات صحيحة عن حياة الفرد ، فمن الممكن اعتباره تفسيراً صادقا ؛ وهناك رابعا الموافقة الاجتماعية . فإذا كان الكثيرون وبخاصة الخبراء - يوافقون على مثل هذا التفسير ، يكون هناك احتمال كبير إذن لصدق هذا التفسير . ونكون نتائج هذا المعيار أفضل إذا كانت النتائج التى نحصل عليها من هذه الوسيلة تتم بشكل مستقل من شخص لآخر .

٣ . التحقق من صدق وجود استعدادات شخصية معينة لدى الفرد :

ولنفرض كأى باحث علمي ، أننا ألقينا نظرة عامة على موضوع الدراسة ؛ فإننا نقوم بعد ذلك بافتراض وجود نضجيات أو استعدادات شخصية معينة لدى الفرد . ثم نحاول بعد ذلك أن نتحقق من صدق هذا الفرض أو تعديله إذا لزم الأمر . وقد أشار فلويد البورت إلى هذا المنهج فى دراسته لإحدى الحالات . فقد كشف طفل ما عن السلوك الآتى : كان فى المدرسة مثالا للنظام والطاعة والانقياد ، بينما كان فى المنزل مثالا للفوضى والجلبة والضوضاء ، كما كان كثير الاعتداء على أخوته الأصغر منه سنا . فمن الناحية الظاهرية كان الطفل يكشف عن وجود استعدادات متناقضة . وربما أمكن للسيكولوجي أن يفترض فرضا لتفسير هذه الحالة هو أن هناك دوافع مركزية هى السبب المحرك لهذا السلوك المتناقض وقد يكون ذلك هو جذب الانقياد . فالطفل فى المدرسة يحظى بهذه الناحية عن طريق اتباع القانون . والنظام بينما يشبع هذه الحاجة فى المنزل عن طريق الخروج على النظام ، وأحداث الجلبة والضوضاء .

وبعد أن يضع السيكولوجي مثل هذا الافتراض ، فإنه يشرع في دراسته وتحقيقه بدراسة سلوك الطفل خلال يومه ويجمع المادة التي تسمح له إما بإثبات أو دحض هذا الافتراض أو تعديله وقد يستعين أيضا بملاحظات الآخرين وأراء المدرسين والآباء ومن إليهم . فإذا كانت المادة التي يجمعها تؤيد الفرض ، قبله ، وإلا رفضه أو عدله أو بحث عن فرض آخر بدلا منه .

٤ - التحليل التجريبي لأفعال الفرد :

وإذا كان لدينا مجالا واسعا من الأفعال التي قام بها فرد واحد ، فإن من الممكن القيام بدراستها دراسة تحليلية تجريبية . فن الممكن مثلا القيام بتحليل محتوى هذه الأفعال . فالخطابات والمذكرات الشخصية والتسجيلات الشفهية خلال المقابلات والإعترافات وبعض موضوعات الإنشاء التي يكتبها الشخص مثلا يمكن أن تحلل باعتبار أنها تحوى مجموعة متتابعة من الأفكار وبخاصة ما يكشف منها عن تطور شخصية الفرد خلال فترة زمنية معينة .

٥ - الاتجاه الاكلينيكي :

ولما كان الاختصاص النفسى والموجه والمعالج النفسى يقومون بالتعامل مع الأفراد ، فهم بلا شك يصدررون أحكاما على الاستعدادات الشخصية لهؤلاء الأفراد . فهم خلال فترة المقابلة أو الاستشارة والعلاج ، يكونون مستغرقين فى الغالب فى معرفة تكوين شخصية العميل وبناءها . أنهم يفكرون بلا شك فى القوانين العامة التي يخضع لها سلوك هذا الفرد ولتكن إلى جانب ذلك يتركز اهتمامهم بشكل أكثر حول النمط الشخصى الراهن للشخصية .

الفصل العاشر

بناء الشخصية في ضوء نظرية التحليل العاملي

يذهب كاتل (١) إلى أن دراسة الشخصية مرت بمراحل انتقالية هامة. ودراسة هذه المراحل المختلفة من شأنه أن يلقى المزيد من الضوء على فهمنا لبناء الشخصية. وقد اشتملت المرحلة الأولى منها على الكثير من الاستبصارات والأفكار الأدبية والفلسفية التي شغلت أذهان الكتاب، والتي تمثل قدراً كبيراً - واسكنه غير منظم - من المعرفة الحديثة التي ظهرت قبل أن يصبح علم النفس علماً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة في أواخر القرن التاسع عشر.

وبدأت المرحلة الثانية حوالي سنة ١٨٨٠ وتتمثل في المواجهة التجريبية البحتة وبصورتها التقليدية للعمليات العقلية المختلفة. وقد بدأت في معمل «فنت» بألمانيا والتي تتمثل على وجه الخصوص في تلك الدراسات الأولى التي قام بها جيمس ماكين. كاتل عن الفروق الفردية في زمن المرجع.

وتتمثل المرحلة الثالثة في الاتجاه الإكلينيكي الذي ظهر في أواخر القرن التاسع عشر في أعمال كربلين وبلويلر ويير جايه، والذي استمر في أعمال فرويد ويونج وأدلر وغيرهم من الأطباء الذين عنوا إلى حد كبير بالدراسات النفسية. وقد بلغ هذا الاتجاه ذروته في أعمال فرويد والتي لم يستند فيها إلى التجريب العلمي بالمعنى الدقيق أو إلى التحليل الإحصائي للنتائج التي وصل إليها رغم أهمية ما وصل إليه فرويد من نتائج.

(1) Cattell, Raymond : The Scientific Analysis in Personality. Penguin Books. 1967.

وقد لاحظ الباحثون - من أصحاب الاتجاه العلمى فى الدراسة - أن التنبؤ الإكلينيكي القائم على أساس نتائج اختبارات ومقاييس موضوعية ، أقل استهدافاً للخطأ من التشخيص السيكا ترى الذى يقوم به الأطباء ، كما لاحظ البعض أيضاً أن علماء النفس الإكلينيكي والأطباء النفسيين لم يقدموا إجابة شافية على النقد الذى وجهه إيزنك والذى يقول فيه أن معدل شفاء العصبيين ثابت فعلياً سواء عولجوا بأساليب العلاج النفسى المعروفة أو تركوا دون علاج .

ولكن ليس معنى ذلك أننا نقلل من أهمية النظريات الإكلينيكية فى دراسة الشخصية ، فقد أقيمت بحوث ودراسات تجريبية قيمة على أساس بعض المفاهيم والاستبصارات الإكلينيكية الهامة . ولكن الأهم هو التمييز بين الاستبصار والخيال وهذا يتطلب الالتجاء إلى المناهج التجريبية الدقيقة .

والملاحظ أن المعالجة التجريبية استمرت لحقبة عديدة دون أن تحرز تقدماً ملحوظاً فى دراسة الشخصية . وفى هذه الأحيان كان المعتقد أن سيكولوجية الشخصية تقوم أساساً على مفاهيم التحليل النفسى . ولكن فى ربيع القرن الأخير حدث تطور ملحوظ جداً فى الاتجاه التجريبي أدى به إلى تجاوز مفاهيم وأفكار التحليل النفسى والاتجاهات المشابهة له ، وذلك بفضل تقدم التجريب واستحداث الأساليب الإحصائية المتطورة إلى حد بعيد . وأصبح فى إمكان البحث التجريبي الحديث معالجة متغيرات متعددة مما لم يكن ميسوراً بالنسبة للتجريب التقليدى . ويذهب كاتل إلى أن سبب فشل التجريب التقليدى فى إحراز تقدم ملموس فى مجال الشخصية - إذا قيس مثلاً بالتقدم الذى أحرزته الدراسات الإكلينيكية مع مطلع القرن العشرين - يرجع أساساً إلى بساطة المنهج التجريبي المستخدم والذى استمد من العلوم الطبيعية

والذى يستخدم فيه الباحث متغيرين اثنين فقط ، أحدهما المتغير المستقل والآخر المتغير التابع ، ويرى التغير الحادث فى المتغير التابع نتيجة ما يطرأ على المتغير الآخر من تغير . وكان الباحث يفترض فى هذه الحالة إمكانية ضبط جميع المتغيرات الأخرى المتدخلة . ولكن الطبيعة الإنسانية ليس من السهل إخضاعها لمثل هذا التجريب البسيط ، ولذا وجد الباحثون أنفسهم يرجعون إلى دراسة العمليات العقلية البسيطة كالإدراك والتذكر والتصور والتخيل وغيرها ، كما عاد بعضهم الآخر إلى إجراء تجاربه على الحيوانات وبخاصة الفيران ، لسهولة إخضاعها لشتى الظروف التجريبية التى يتعذر القيام بمثلها بالمسبة للإنسان .

ومن هنا ظهرت الحاجة إلى منهج تجريبى جديد يمكنه - باستخدام الأساليب الإحصائية الجديدة - أن يعالج أنماط السلوك الكلية ، بدلا من معالجة متغيرات فردية قليلة . ومن حسن الحظ ، مهدت أعمال جالتون وسيرمان السبيل إلى هذا الانجاء . ولذلك وجد علماء النفس فى الأساليب الإحصائية كمعاملات الارتباط وطرق التحليل العاملى أكبر العون لهم على القيام بدراساتهم فى هذا المجال . ولقد بدأ استخدام هذه الأساليب الإحصائية فى مجال الذكاء ، واستعان به علماء النفس بانىء الأمر فى تحليل النشاط العقلى المعرفى إلى عوامله الأولية على نحو ما نجد فى أبحاث سيرمان الذى وصل إلى وجود عاملين إثنين هما العامل العام والعامل الخاص . ثم سار شوطه البعيد بعد ذلك متمثلا فى أبحاث ثرستون والذى أمكنه باستخدام التحليل العاملى الكشف عن القدرات العقلية الأولية التى أمكنه بعد ذلك أن يخرج منها بعامل من الدرجة الثانية هو ما نسميه باسم عامل العوامل أو قدرة القدرات .

وفى حوالى ١٩٣٠ أجريت بحوث عديدة فى مجال الشخصية قام بها بيرت

ريكانل وجيلفورد وغيرهم مستخدمين طرقاً مشابهة لتلك التي استخدمت في مجال الذكاء . وذلك بقصد معرفة ما إذا كان يمكن الكشف عن الأنماط الموحدة التي يتحدث عنها الإكليديكون بأساليب القياس الحديثة . ولكن النتائج كانت بطيئة نسبياً في بداية الأمر ، وفي الفترة ما بين سنة ١٩٤٠ و ١٩٦٠ ، ظهر عدد كبير من البحوث ذات الأهمية البالغة في مجال الشخصية ، وبخاصة تلك التي قام بها كانل وتلاميذه في أمريكا ، وأيزنك ومساعدوه في إنجلترا . وقد استخدم فيها هؤلاء الأساليب الإحصائية المتقدمة وبخاصة التحليل العاملي .

ولسنا في حاجة هنا إلى الإشارة إلى رياضيات التحليل العاملي ، فهذه يمكن الرجوع إليها في كتب الإحصاء (١) ، ولكن يحسن أن نشير إلى منطق هذه الطريقة كأساس لفهم النظرية التي تفترض أن الوحدات الأساسية للشخصية هي تلك العوامل التي يكشف عنها تحليل مصفوفة معاملات الارتباط والتي نحصل عليها أساساً من تطبيق اختبارات الشخصية أو الاستفتاءات وغيرها والهدف الأساسي للتحليل العاملي هو الكشف عن العوامل المشتركة التي تؤثر في أي عدد من الظواهر المختلفة، وينتهي إلى تلخيص المظاهر المتعددة التي يحللها ، إلى عدد قليل من العوامل . فهو بهذا المعنى ينحونحو قانون الإيجاز العلمي الدقيق law of parsimony والذي يحاول رد كثرة الأشياء إلى قلة الأنواع ، وبذلك يلبه العلم إلى تجنب كثرة الأفكار التي لا حاجة إليها .

فالتحليل العاملي يطبق قانون الإيجاز العلمي في البحث عن الوحدات

(١) أنظر : د . السيد محمد خيرى : الإحصاء في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية ،

دار الفكر العربي ١٩٥٦

د . فؤاد البهى السيد : علم النفس الإحصائي وقياس العقل البعري دار الفكر

العربي ١٩٥٨ .

الأساسية في الشخصية. فهو يبحث عن أقل عدد من التجمعات التي يمكن أن تعتبر الأساس الذي يمكن وراء مصفوفة معاملات الارتباط ويمكن توضيح المقصود بالإيجاز العلمي ورد كثرة الأشياء إلى فئة الأنواع ، بهذا المثال الافتراضي البسيط المستمد من البورت . لنفرض أن بحثاً أجرى على عدة مئات أو عدة آلاف من الناس بقياس سمات سبعة . ولنفرض أن الباحث استخدم في جمع مادته اختبارات أو استفتاءات أو مقاييس تقدير . ولكن السمات السبعة هي : الزعامة ، الصداقة ، السيطرة ، السلبية ، كتمان السر ، تقلب المزاج . الثروة .

وسوف يتضح أن هذه السمات ليست مستقلة ، بل إن معظمها يرتبط ارتباطاً عالياً ببعضها الآخر . فبعض الأفراد الذين يقدرون تقديراً عالياً في السيطرة مثلاً ، يقدرون أيضاً تقديراً عالياً في الزعامة وكثرة الكلام والصداقة : وفي الوقت نفسه يميل هؤلاء الأفراد إلى الحصول على تقديرات منخفضة في سمات أخرى مثل التقلب المزاجي وكتمان السر والسلبية .

والمصفوفة الافتراضية التالية — عن البورت — (١) توضح تجميعين بين سمات سبعة هي : (١) السيطرة (٢) الصداقة (٣) الزعامة (٤) الثروة (٥) تقلب المزاج (٦) الكتمان (٧) السلبية .

مصفوفة افتراضية لمعاملات ارتباط بين سمات سبعة

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
١	١٠٠	٨٠	٧٠	٦٠	٥٠	٤٠	٣٠
٢	٨٠	١٠٠	٩٠	٨٠	٧٠	٦٠	٥٠
٣	٧٠	٩٠	١٠٠	٩٠	٨٠	٧٠	٦٠
٤	٦٠	٨٠	٩٠	١٠٠	٩٠	٨٠	٧٠
٥	٥٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	٩٠	٨٠
٦	٤٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	٩٠
٧	٣٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠

(1) Allport G. : Pattern and Growth in Personality. New York. Holt 1961 p. 325.

فقانون الإيجاز العلمى يوضح أن لدينا تجميعين أساسيين هما التجمع الذى يبدو أنه أكثر تشبهاً بالسمات الغالبة على السيطرة والزعامة وإلى حد ما الصداقة وكثرة الكلام ، بينما التجمع الثانى يشمل التقلب المزاجى وكتبان السر والسلبية ، وربما تعذر تسمية هذا التجمع الثانى الذى يمكن أن يسمى بالانسحابية أو الانطوائية الانفعالية أو التنعى .

واقد أجريت المثات من الدراسات العاملة حول متغيرات الشخصية المتعددة . ولما كان عدد المتغيرات الممكنة كبيراً جداً ، فمن الطبيعى أن يقصر الباحث دراسته للعوامل على منطقة واحدة داخل المجال الكلى للشخصية . فمثلا جيلفورد وزهرمان بدءا بـ ٧٠ متغيراً فى مجال «المزاج» ، وانهيا إلى القول بوجود ١٣ عاملاً تشمل هذا المجال كله ، ويمكن تقدير كل فرد بالنسبة لها . وهذه العوامل الثلاثة عشرة هى : النشاط العام والسيطرة والذكورة ضد الانوثة ، والثقة ضد الشعور بالنقص ، الهدوء ضد العصبية والتوتر ، الميل الاجتماعى ، التأمل ، الاكتئاب ، الانفعالية ، الضغوط ، الموضوعية ، التقبل ، التعاون والتساح .

وفى مجالات الاهتمامات الإنسانية ، قام بعض الباحثين باستخدام مقياس مكون من ١٠٠٠ عبارة تقيس أنواعاً كثيرة من الاهتمامات ، وبعد تحليل مصغوفة معاملات الارتباط إلى عواملها . أمكنهم استخراج ١٨ عاملاً هى .

الميل الميكانيكى . الميل العلمى . المخاطرة . السعادة الاجتماعية . التقدير الجمالى . التعبير الجمالى . الحاجة إلى التشكل والتنوع need for diversion الحاجة إلى الانتباه . الميل للعمل . الاهتمام بألوان النشاط الخارجية . الحافز

المادى . الدقة . التفكير . النظام . النطاق الثقافى . الميل الكسبانى .
العدوان . الميل الاجتماعى .

وهذه القائمة ذاتها تكشف عن ناحية قصور هامه فى التحليل العاملى ،
ذلك أنها لم تشمل جميع الاهتمامات المحتملة كالاهتمام الدينى مثلاً . وربما كان
سبب ذلك أن الاستفتاء الاصلى الذى طبقه الباحثون لم يكن يحوى فقرات
تتصل بالنواحي الدينية . والواقع أن العوامل هى من الاشتقاق من الدرجة
الثانية من المادة الاصلية التى تبدأ فيها . ومن حيث هو كذلك ، فهى دائماً محددة
بما تشتمل عليه الاختبارات الاصلية من موضوعات .

وثمة مجالات طموحة لتغطية جميع مجالات الشخصية تتضح فيما يقوم
به رايغوند كاتل ومساعدوه منذ وقت قريب والتي تحاول الكشف عن مجموعة
العوامل التى يُعتقد أنها تغطى مجالات الشخصية المتعددة . وسوف نشير
بإيجاز إلى بعض تلك الدراسات التى قام بها كاتل فى الكشف عن بناء
الشخصية :

إن جانباً كبيراً من أعمال كاتل كان يهدف إلى تحديد السمات . ولقد بدأ
بتلك القائمة المطولة التى وضعها البورت (١٩٣٧) لإسماء السمات والتى تحتوى
على ١٧٩٥٣ إسماً . وقد اختصر هذه القائمة عن طريق التحليل العاملى إلى
١٦٠ إسماً للسمة . ثم أضاف إليها ١١ إسماً وجد أنها هامة وأساسية فأصبح
المجموع ١٧١ إسماً للسمة . ثم بعد ذلك ، اختصر هذه القائمة عن
طريق التحليل العاملى أيضاً إلى عدد قليل من السمات سوف نشير إلى
بعضها فيما بعد .

ويعتقد كاتل أن تحديد بناء السمة والمفاهيم البنائية هو الأساس لدراسة
الشخصية . وهو فى هذا الصدد قريب الشبه من البورت فى كتاباته عن السمات

وإن كان البورت لم يستخدم الأساليب الإحصائية التي استخدمها كاتل .
فالسّمات هي التي تعطى ثباتاً نسبياً للسلوك ، ومن ثمّ تمكّننا من التنبؤ .
وكاتل يبحث عن الثبات في السلوك الذي يمكن أن يلاحظ . ويقامر بطريقة
مباشرة أو غير مباشرة .

وقد كشفت دراسات كاتل عن وجود نوعين كبيرين من السمات : السمات
المركزية Source Traits والسمات الظاهرية أو السطحية Surface Traits
والسمات الظاهرية هي تجمعات الظواهر أو الأحداث السلوكية التي يمكن
ملاحظتها ، وهي أقل ثباتاً ، كما أنها مجرد وصفية . ومن ثمّ فهي أقل أهمية من
وجهة نظر كاتل ومن ناحية أخرى ، هناك السمات المركزية وهي في
نظره التأثيرات الحقيقية التي تساعد على تحديد وتفسير السلوك الإنساني .
فالسمات المركزية هي التأثيرات الكامنة التي تساعد على تحديد السمات
الظاهرية . والسمات المركزية ثابتة وذات أهمية بالغة وهي المادة الكبرى
الأساسية التي يقوم عالم نفس الشخصيه بدراستها .

والسمات المركزية يمكن أن تقسم إلى سمات تكوينية وسمات تشكلها
البيئة . الأولى داخلية وذات أساس وراثي والثانية تصدر عن البيئة وتشكل
بالأحداث التي تجري في البيئة التي يعيش فيها الفرد .

وقد أمكن لكاتل باستخدام الأساليب الإحصائية والطرق العاملة
الكشف عن عدد من السمات المركزية التي يتراوح عددها بين الستة عشرة
والعشرين سمة مركزية وقد رمز كاتل إلى كل سمة منها برمز أو حرف
خشية أن تؤدي التسمية اللفظية لها إلى اللبس والغموض ، كما وضعها في قطبين .
ومع ذلك ، فالهدف الذي يهدف إليه الإنسان هو الذي يعطى للسمة اسمها .
وبعض الأبعاد التي وصل إليها كاتل بالتحليل العامل تشبه تلك التي وصل

إليها الاكليسيكيون بطرقهم الاكليسيكية . فثلا ما أسماء كاتل بالعامل ١ ، يقابل البعد المزاجي شيزو ثيميا ضد سيكلو ثيميا على نحو ما أوضح عنه كرتشمير والذي يقترب إلى حد ما من التمييز بين ذهان الهوس والاكتئاب وذهان الانفصام . وثمة أبعاد أخرى اشتملت عليها أبحاث كاتل كالبعد المتدرج بين قوة الأنا وضعف الأنا ، وبعد الذكاء العام وبعد الجاد ضد غير الجاد . والجدول التالي يشير إلى قائمة من السمات المركزية والتي كشف عنها استفتاء

الشخصية للكبار 16 PF Sixteen Personality Factor Questionnaire

(أنظر الجدول في الصفحة ٣٠٤)

وقد قسم كاتل السمات من الناحية الشكلية إلى أشكال ثلاثة : مزاجية ، دينامية ، قدرة . والسمات المزاجية ترتبط غالبا بالخصائص الجسمانية التكوينية والسمات الدينامية تتصل بدفع أو تحريك أو مبادأة أى فعل سلوكي . أما سمات القدرة فتقيس أو تدبر عن كفاية الشخصية في السلوك الموجه نحو حل المشكلات المعرفية .

وعند حديثه عن المادة التي نحصل عليها ونخضعها للتحليل العاملي بقصد الوصول إلى السمات المركزية المختلفة ، أشار كاتل إلى طرق ثلاثة هي :

١ - التقديرات التي يعطيها ملاحظون عن تكرار وشدة حدوث أنواع معينة من السلوك لدى الشخص الذي يقومون بملاحظته .

٢ - الاستفتاءات التي يجيب عنها المفحوص بنفسه استناداً إلى ملاحظته لنفسه أو الاستبطان .

٣ - الاختبارات الموضوعية والتي هي بمثابة مواقف مصغرة يلاحظ فيها سلوك الفرد الذي لا يعرف بالطبع أى مظهر من مظاهر هذا السلوك هو موضع اهتمام الباحث أو تقديره .

وقد أطلق كاتل على المادة التي نحصل عليها بالطريقة الأولى اسم « تقرير الحياة » أو Life-record ورمز إليه بالرمز L-data . وذلك لأنه يتصل مباشرة بسلوك الفرد في حياته الواقعية . وفي العادة يحصل السيكولوجي على مادته عن طريق شخص آخر يكون على معرفة طيبة بالشخص المراد تقدير سلوكه . ومن الممكن قيام عدد من الأشخاص بـ: ملاحظة سلوك الفرد في مواقف الحياة الواقعية وتقدير خصائص هذا السلوك أو سمات الفرد حسب مقاييس تقدير. نحدد خطواته .

أما الأسلوب الثاني الذي استخدمه كاتل بتوسيع فهو الاستفتاءات التي طبقها على أعداد كبيرة من الأفراد في مستويات عمرية مختلفة والتي في ضوءها أمكن الكشف عن عديد من السمات المركزية للشخصية . وقد رمز كاتل لهذا النوع من المادة التي نحصل عليها بالاستفتاء بالرمز data ، وفيها يقوم المفحوص بتقدير نفسه استناداً إلى ملاحظته لنفسه بنفسه . وقد تكون الملاحظات التي يصل إليها الطبيب النفسي أو العقلي في غرفة العلاج لها نفس هذه الخصائص من حيث اعتمادها على ملاحظة المرء لنفسه . ومع ذلك فقد تكون عرضة للتحريف أو المعرفة الناقصة بالذات أو الرغبة المقصودة في الخداع والتزييف . ورغم كون الاستفتاء يبدو كجموعة من الأسئلة التي يجيب عنها المفحوص عادة بنعم أو لا أو لا أدري ورغم أنه قد يبدو أيضاً عرضة للتحريف والتزييف ، إلا أن هناك في الحقيقة قدر كبير من الفن في وضع الاستفتاء في صورته التي يستخدم بها وفي اختيار الكلمات والعبارات وتوجيه الأسئلة ، وفيما يخضع له أيضاً من عمليات إحصائية كالتباعد والصدق . وجميعها تجعل درجة التحريف في الاستفتاء بسيطة نسبياً .

أما الأسلوب الثالث الذي استخدمه كاتل أيضاً في دراسته الشخصية ، فهو الاختبارات الموضوعية أو ما رمز إليه بالرمز T-data وهذا النوع من

قائمة السمات المركزية على نحو ما يقيسها اختبار الشخصية للكبار

رمز السمة	اسم السمة
A	الشيزوثيرميا
B	الذكاء العام
C	الثبات الانفعالي أو قوة الأنا
E	السيطرة
F	الانبساط
G	قوة الأنا الأعلى
H	المغامرة
I	الطراوة
L	الميل إلى الإرتياب
M	رومانتيكي (مزاج احتجاري)
N	الدهاء
O	الاستهداف للذنب
Q1	التحرر
Q2	قوة الاكتفاء الذاتي
Q8	قوة اعتبار الذات
Q4	قوة توتر الطاقة الحيوية
	ضد السيكلوثيرميا
	ضد الضعف العقلي
	ضد عدم الاتزان الانفعالي
	ضد الخضوع
	ضد الاكتئاب والانقباض
	ضد نقص المعايير الداخلية والافتقار إليها
	ضد الجبن
	ضد صلابة العود
	ضد التقبل
	ضد واقعي
	ضد السذاجة
	ضد الثقة الكاملة بالنفس
	ضد المحافظة
	ضد الافتقار إلى التصرف الذاتي
	ضد ضعف اعتبار الذات
	ضد ضعف توتر الطاقة الحيوية

الاختبارات يمثل وقتاً صغيراً يستجيب له الفرد دون أن يعرغ أى جوانب سلوكه هي موضع التقدير . وقد أدخل كاتل تحت هذا النوع مقاييس واختبارات درجتها على النظر إليها باعتبارها اختبارات إنشائية مثل اختبار بقع الحبر (روز شاخ) واختبار زوندى . كما أشار إلى أنواع أخرى كقاييس التصلب (كاتل وستيفلسون ١٩٣٤) ؛ ومقاييس الطلاقة (سيهرمان) وغيرها من الاختبارات العديدة التي ظهرت في السنوات العشرين الأخيرة والتي تجرى إما بصورة اختبارات فردية أو اختبارات جمية .

وقد استخدم كاتل هذه الوسائل الثلاثة في قياس الشخصية ، وإن كان قد ركز بطريقة واضحة على الأسلوبين الثانى والثالث . ونتيجة هذه الدراسات المستفيضة التي قام بها كاتل ومساعدوه ظهرت مجموعة من الاختبارات لقياس السمات المركزية في الشخصية والتي أصبحت في متناول المشتغلين في هذا المجال . فمن طريق الإستعانة بالاستفتاءات والتي طبقت على مستويات عمرية مختلفة ، نشر كاتل مجموعة من المقاييس أهمها : استفتاء الشخصية للرحلة الأولى (١) واستفتاء الشخصية للرحلة الإعدادية والثانوية (٢) ثم استفتاء الشخصية للكبار (٣) وهو الذى يرمز إليه بالرمز (16 PF) وجميعها تقيس بطريقة منظمة نفس العامل لأغراض ثمانية على مستويات عمرية مختلفة ابتداء من طفل المرحلة الأولى حتى الكبار .

وإلى جانب ذلك حلت نتائج الاختبارات الموضوعية وأمكن الوصول إلى عشرين عاملاً مختلفاً . وقد وضعت بطاريات من الاختبارات لقياسها

-
- (١) أنظر الدراسة التي قام بها د . عبد السلام عبد الفتار ود . سيد محمد غنيم على هذا الاستفتاء - القاهرة ١٩٦٥ .
 (٢) أنظر الدراسة التي قام بها د . سيد محمد غنيم ود . عبد السلام عبد الفتار على هذا الاستفتاء - القاهرة ١٩٦٥ .
 (٣) بمدة الخمس د - عطية محمود هنا ود . سيد محمد غنيم ود . عبد السلام عبد الفتار .
 ٢٠ - سيكولوجية الشخصية

بعضها خاص بالأطفال وتعرف باسم Children's Objective-Analytic

Battery (O A) ، وبعضها خاص بالكبار وتعرف باسم Adult Objective

Analytic (O A) Battery على نحو مما أوضحت دراسات كاتل وبوليك

وهندلباي (١٩٦٤) . وقد أوضح كاتل أن القيمة التنبؤية لهذه العوامل عالية في

مجالات متعددة؛ كما أشار في بحث له مع شابر Scheler (١٩٦١) إلى أن ستة من

هذه العوامل تميز بين العاديين والعصبيين على مستوى دلالة أقل من ١.٠٠

وفي ضوء ما قدمناه بإيجاز عن كاتل ، يمكن أن نعرف بأحد الأبعاد الأولية

للشخصية وهو البعد A (من ظ) الذي ظهر في استفتاء الشخصية للمرحلة

الأولى والمرحلة الإعدادية والثانوية واستفتاء الشخصية للكبار ، وهو الذي

يسمى باسم الشيزوثيميا ضد السيكلوثيميا : وقد وضعت أساليب السلوك التي

تتضمنها القائمة التالية على أساس ارتباطها ارتباطاً عالياً بالعامل أى على أساس

أنها أكثر أساليب السلوك تعبيراً عن هذا العامل على نحو ما توضح من دراسات

كاتل . ثم إن لكل عامل قطبين يشير كل منهما إلى ألوان متطرفة من السلوك

وتقابل الدرجة المرتفعة في الاستفتاء (+) القطب الذي كتب هنا إلى اليسار

على حين تقابل الدرجة المنخفضة (-) القطب الذي كتب هنا إلى اليمين .

ويجدر بنا أن نتحرز من القول بأن القطب الذي إلى اليسار والذي يشير إلى

الدرجات المرتفعة يمثل الجانب الأحسن من الناحية النفسية . أو أن القطب

الذي إلى اليمين والذي يشير إلى الدرجات المنخفضة يمثل الجانب السيئ من

الناحية النفسية لأن نوع السلوك المرغوب (الأحسن) يتحدد بدور الفرد في

الحياة وطبيعة العمل الذي يقوم به . ولزيد من الإيضاح بهذا العامل وغيره

من العوامل يحسن الرجوع إلى المراجع الأصلية وبخاصة ما كتبه كاتب

هذا الموضوع (١) .

(١) Cattell, R.: Personality and Motivation Structure and Measurement. Haxcourt, Brace & World 1957.

العامل A س ظ

التشبع الموجب (+)	التشبع السالب (-)
السيكولوجيا	الفيزيولوجيا
هادئ	مشاكس
سهل التكيف	جامد ، متصلب
ودود ، مبال للناس	بارد ، غير مبال
صریح ، رابط الجأش	كنوم - قلق
انفعالى ، معبر	متحفظ
سريع التصديق ، يثق بالآخرين	مبال إلى الارتياح والمكر
مندفع ، كريم	حذر ، بخيل
متعاون ، متواضع	عدواني ، مغرور
يخضع للزعات الإنفعالية الشخصية	موضوعي
مرح فكاهة	جامد الشمور

فهذا العامل يمثل التقسيم الثنائى الأساسى فى الطب النفسى بين الجنون الدرورى (جنون الهوس والإكتئاب) والفصام . والتشبع الموجب بهذا العامل يمثل شخصا أميل إلى الاتصال بالناس والاستمتاع بتقبلهم له ، متعاون مع الغير ، يثق بهم ، ودود ، سهل التكيف ، كريم مرح ، بينما يمثل التشبع السالب بهذا العامل شخصا عدوانيا مغرورا متحفظا مبالا إلى الارتياح والكتان ، قلقا ، متصليا جامدا حذرا بخيلا جامد الشمور .

وثمة أبحاث أخرى عديدة ظهرت فى مجال الشخصية ، تلفت النظر لأهميتها والأسلوب العلمى الجاد الذى اتبع فى دراستها من ذلك ، أبحاس إرنك . لقد تأثر إرنك كثيرا بأنماط يونج إلى انطوائى وانبساطى ، كما تأثر بأعمال كركشمير وأبعاده الجسمية أو التكوينية . ويعاوض إرنك بهذه كثرة

المكونات في نظرية الشخصية . فهو يحذف الإيجاز العلمى الدقيق فى بناء النظرية . وعلى أى حال ، فالنظرية يجب أن تدعم دائما بالبحث الذى يمكن إعادة إجرائه . والتحدث عن الإنسان « ككل » يعتبر أمراً غامضاً وفلسفياً فى نظره ، بمعنى أن المصطلحات ذات الأساس الفلسفى ليست مصطلحات علمية ولا تسمى « علم نفس » . ولذا فهناك حاجة إلى معرفة أبعاد الشخصية قبل بناء النظرية . وللمعالجة هذه الأبعاد يجب أن نستعمل التحليل العالمى ، رغم ما يوجهه البعض إليه من نقد ، لأنه ليس هناك منهج آخر يبدو علمياً أكثر منه . فمن الضرورى إذن وضع الحقائق الأساسية فى العلوم السلوكية فى صورة كمية .

وفى دراسته لنظرية الشخصية ، يصر أيزنك على استعمال أكبر عدد من المتغيرات يمكن الحصول عليه . فتغيرات كذلك التى نحصل عليها من التقدير الذاتى ، أو عن طريق الآخرين أو مقاييس جسمية ومقاييس جلفانومترية أو مادة من تاريخ حياة الممرّد . بمقايير ملاحظة وغيرها ، كل ذلك يعد ضرورياً إلى صورة الشخصية لدى أى كائن حى . وبالإضافة إلى إدخال أكبر عدد ممكن من المتغيرات فى دراسة الشخصية . يحاول أيزنك أيضاً الحصول على « ميار أو مجموعات ضابطة لمعد المقارنات السكّية والقيام ببحث علمى . ونتيجة لذلك ، فإن كل أعمال أيزنك تقريباً تستخدم مجموعتين تقسم ثانياً بالنسبة لأية قائمة مثل الأمانة والخيانة ، الجبن والشجاعة أو أية ناحية يقوم بدراستها .

وعلى حين يتخذ كمثل السمات كأساس فى دراسته ، نجد أن أيزنك يؤكد ناحية الأنماط وبولها أهمية كبيرة فى دراسته . فهدف أيزنك فى كثير من أبحاثه هو التعرف على الأنماط ، ووسيلته فى ذلك أيضاً الطرق الإحصائية .

تنتهى عادة بالتحليل العائلي . ولقد أمكن لأيزنك الوصول إلى أبعاد ثلاثة أولية للشخصية هي :

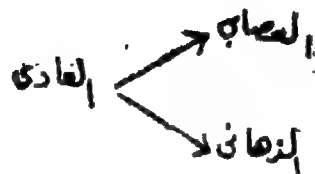
الإعطاء (أنا أعلى Super Ego) - Introversion - الإنسحاب (أنا - Id) Extraversion

Neuroticism العصائية - Non-Neuroticism اللاعصائية
Psychoticism الذهانية - Non-Psychoticism اللاذهانية

وفي كثير من أنظمة الشخصية التي تتعامل مع السلوك المنحرف ، فإن المفهوم العام قد يأخذ صورة منحني الجرس حيث يتوزع الماديون حول المنتصف ، بينما يشغل العصائيون والذهانيون الأطراف المتباعدة على نحو ما هو موضح :



وقد اقترح أيزنك صورة ثانية للعلاقة بين الماديين والعصائيين والذهائيين على هذا النحو التالي :



وثمة صورة ثالثة يقترحها أيزنك للنظر إلى الاختلافات بين الماديين والعصائيين والذهائيين .

السلوك الذهاني (ب)	السلوك المختلط ذهاني وعصابي (ح)
السلوك العادي (١)	السلوك العصابي (٢)

والشخصية في نظره يمكن أن تتحرك وتنتقل من العادي إلى العصابي ، ومن العادي إلى الذهاني ومن العادي إلى النمط المختلط . كما قد يحدث الانتقال من منطقة إلى أخرى ، كما أن الحركة العكسية ممكنة بالطبع . ورجحان وجود الحالات المختلطة يتفق والخبرة الإكلينيكية . ويعتقد أيزنك أن مادته توضح أن طريقة التصنيف إلى د إما ... أو ... ، قد انتهت . وبدلاً من ذلك يوضع الفرد على المستوى الذي يأتي قريباً من ذاته الانفعالية الحقيقية . ففي الشكل السابق نرى أن الشخص (١) عادي والشخص (ب) ذهاني ولكنه قريب من حدود النمط المختلط والشخص (ج) على الحدود الفاصلة لأن يكون من بجانب تدهائية - العصابية ولكنه أيضاً قريب من الحدود الخارجية للعاديين ، بينما الشخص (د) فيقع في منطقة العصابين الخالصة . وليس ثمة شك أن هذا مجرد تخمين وليس ظاهراً حقيقة من الناحية الإجرائية . ولكنه مع ذلك يصور بالتقريب العلاقات المتعامدة التي تستخلص من الدراسات العاملية لأيزنك . ويعتقد أيزنك أيضاً أن الأبعاد الثلاثة الأولية للشخصية ليست بالتأكيد هي كل الاحتمالات الوحيدة الممكنة ، فقد تكشف الدراسات بعد ذلك عن أكثر من هذه الأبعاد .

والنخطيط التالى ملخص يختصر للغاية لبعض أعمال أيزنك فى التحليل
العامل والنقط والسمة خلال السنوات الأخيرة .

عوامل أيزنك	عوامل الشخصية	المتعلقات السياسية
عامل عام	نمط (تجمع سمات)	أيدولوجية
عامل جمعى	سمات (تجمع عادات منتظمة ثابتة)	انحاء
عامل خاص	استجابات معتادة (تحدث فى ظروف متماثلة متشابهة)	تفكير عادى
عامل الخطأ	استجابات خاصة (عمل واحد فقط)	فكرة خاصة

فى الجانب الايمن نجد قوائم أيزنك المستخلصة من التحليل العامل واللى
استخدم فيها إلى حد ما عمل «بيرت» الذى وصل إلى أربعة عوامل ماثلة فى تحليله
للنشاط العقلى المعرفى (عامل عام وعامل جمعى وعامل خاص وعامل الخطأ)
وبالمثل وصل أيزنك إلى أربعة عوامل ماثلة فى تحليله العامل وهى العامل
العام والجمعى والخاص وعامل الخطأ . أما فى الوسط فتجد عوامل الشخصية
المقابلة للعوامل الأربعة السابقة ، فأنماط الشخصية تظهر إلى حيز الوجود عن
عوامله العامة . وقد سبق أن أشرنا إلى أنماط الشخصية التى وصل إليها أيزنك
هى الإنطواء - الانبساط ، العصاية - اللاعصاية ، الذهانية - اللاذهانية .
أما السمات فتنتج عن العوامل الجمعية . وقد ذهب أيزنك إلى أن السمات

يجب أن تعرف إجرائيا وأن نكون قابلة لأن تقاس ، وهو يعتقد أن السمات أقرب إلى عادات السلوك المتسقة الثابتة . أما العوامل الخاصة فتصدر عن الاستجابات العادية التي هي أفعال سلوكية والتي تظهر من جديد في الظروف المماثلة المتشابهة . أما عوامل الخطأ التي وجدها أيزنك والتي تمثل أدنى مستوى في الأهمية فتصدر عن الاستجابات الخاصة لأي عمل مفرد . ولا يمكن أن تستخدم بدرجة كبيرة من الدقة في مناقشة الشخصية أو نظرية الشخصية .

وفي كتابه سيكولوجية السياسة (١) يقرر أيزنك أنه وجد أربعة متعلقات سياسية تتصل بالعوامل الأربعة السابق الإشارة إليها . فالعامل الأول يبدو أنه يمثل الأيديولوجية ، أما العامل الجمعي فيمثل الاتجاه ، والعامل الخاص فيمثل التفكير العادي ، بينما عامل الخطأ فهو أى نوع من التفكير في موقف سياسي ما .

وقبل أن نختم حديثنا عن نظرية أيزنك يحسن أن نشير إلى دراسة له يشير فيها إلى نوع من الربط بين السمات والأنماط والابعاد ، وذلك حين ربط بين الأنماط المزاجية القديمة الصفراوى والدموى والسوداوى والبلغمى . وأوضح أن أصحاب المزاج الصفراوى أو الدموى يشتركون في مجموعة عامة من السمات ومن المحتمل أن يطلق عليهم بالتسميات الحديثة «انبساطيون» ، بينما أصحاب المزاج السوداوى والبلغمى يميلون إلى أن يكونوا انطوائيين . وقد أوضح أيزنك أن هذا من شأنه أن يعطينا قاعدتين مختلفتين تمام الاختلاف للتقسيم ، يمكن أن يطلق عليهما فتوية وبعديه . وطبقا للنظام الفتوى للتقسيم يمكن أن يضع الناس في أحد أرباع الدائرة الصفرى ونسميهم صفراوين أو سوداوين أو دمويين أو بلغميين . وهذه هي القاعدة التي اتبناها أصلا القدماء من أمثال

(1) Eysenck, H. J. : The Psychology of Politics. London. Routhledge 1954.

جالين . ولكن هناك رأى آخر بديل هو أن المرء يضع كل شخص في موضع محدد على متصلين كمين أو محورين . أو بعبارة أخرى :، فإن أى شخص يمكن أن يكون في أى مكان على متصل الانطواء / الانبساط ويمكن أن يكون له أى موضع محدد على متصل العصايه والانفعاليه (عدم الاتزان) / والسواء (الاتزان) . ويمكننا أن نصفه طبقا لمكانه في هذا البناء ذى البعدين ، وواضح أن كل المواضع المحتملة بمعنى أنه يمكن شغلها بشخص محدد . والأغلب أن تتجمع الأغلبية عند الأصل أى أنها لا تكون سوداوية ولا بلغمية ولا صفراوية ولا دموية . . . وهو الان رأى مقبول عامة . ولم يعد في هذه الأيام من بين علماء النفس أو الطب العقلي من يتمسك جادا بمذهب التقسيم الفئوى للشخصية . ولقد أجريت العديد من البحوث التجريبية في العشرين أو الثلاثين سنة الأخيرة والتي تم فيها تصنيف أعداد كبيرة من المفحوصين في أمريكا وإنجلترا وتم استفتاءهم حول عدد كبير متنوع من السمات وأنواع السلوك المختلفة ثم تعرضت هذه الدراسات إلى التحليلات الإحصائية والعاملية بقصد الوصول إلى تحديد الأبعاد الرئيسية للشخصية والتي أمكن الوصول منها إلى بعدين أساسيين هما بعد الإنطواء / الانبساط وبعد الاتزان / عدم الاتزان (١).

(١) أنظر أيزنك : الحقيقة والوهم في علم النفس، ترجمة قدرى حفى ورووف نظدى . دار المعارف بمصر ١٩٦٩ ص ٥٧ .

يتكون منها العقل . . ورغم أن سبيرمان لم يذهب إلى أن العوامل يجب أن تتوحد مع القدرات أو الممتلكات ، إلا أنه من الواضح أنه كان يفكر في العوامل كحقائق عليّية . وقد فسر العوامل في بداية الأمر ، كوظائف أساسية للعقل ، فالعامل العام « ع » ، هو قدرة عقلية عامة والعامل الخاص « خ » ، هو قدرة عقلية خاصة . ويذهب جيلفورد إلى أن التحليل العاملى إذا استخدم استخداماً صحيحاً ، فسوف يعطينا شيئاً أكثر من مجرد قوائم للتصنيف العقلى أو الاداءات السلوكية ، بل إن كثيراً من العوامل التى نحصل عليها من التحليل العاملى ، يمكن النظر إليها على أنها تمثل حقائق سيكلوجية . أى أن جيلفورد يميل إلى النظر إلى العوامل باعتبارها تمثل أبعاداً أساسية للعقل .

وثمة مجموعة أخرى تشكّر كل وجود حقيقى للعوامل ، فزفون مثلاً يذهب إلى أن العوامل يجب أن ينظر إليها أساساً على أنها مجرد قوائم للتصنيف العقلى أو الاداءات السلوكية . أكثر من النظر إليها كوحديات فى العقل أو الجهاز العصبى . وأنستازى تذهب إلى أن العوامل هى مجرد تصورات إحصائية ، وتذهب إلى أن النظر إلى العوامل كقدرات معناه العودة بعلم النفس مرة أخرى إلى نظرية الممتلكات . وموقفها هذا وشبهه به موقف البورت يبدو لجيلفورد كما لو كان بحثاً عن المطلق . حتى لو كانت نظرتهمما صحيحة ، فإنه لا يزال هناك - فى نظر جيلفورد - قيمة فى معرفة العوامل . ومثل هذه المعرفة تقيدنا فى أى الاختبارات نختار لتمثيل التواشى المراد دراستها . أما البورت - وهو البعيد عن الاشتغال بالتحليل العاملى - فيتفق مع أنستازى فى نظرتهم إلى العامل . فالعامل فى نظره هو أساساً نتاج رياضى وليس له أى معنى سيكلوجى .

وحسباً لهذا الجدال يذهب نومسون إلى أن العوامل معاملات إحصائية

فحسب وليس لها أية « حقيقة » أكثر مما للمتوسطات أو الانحرافات المعيارية أو معاملات الارتباط .

وليس ثمة شك أن البحث عن طبيعة العامل هو سؤال ميتافيزيقي ، ويجب ألا ينظر إلى فشل النظريين الذين يشتغلون بالتحليل العامل في الاتفاق على إجابة لمثل هذا السؤال كدليل ضد .

ولذلك يذهب « ما كينون » (١) إلى أنه ربما كان من الأنسب من الناحية العلمية أن ندرس « ما مصدر العامل أو ما الذي يجعله عاملاً ؟ » . يقول ما كينون « إن كل شيء يؤدي إلى وجود معاملات ارتباط ، يؤدي أيضاً إلى وجود العوامل . فعند ما يوجد عامل ما - بصرف النظر عن الطريقة الخاصة التي استخدمت في التحليل - ثمة دليل إذن على أن هناك أسباباً مشتركة في المتغيرات التي قمنا بتحليلها هي التي أدت إلى وجود هذا العامل » .

وهناك أوجه نقد توجه عادة إلى محاولة استخراج العوامل الأساسية للشخصية وعزلها بواسطة التحليل العامل . من ذلك مثلاً أن العوامل التي نستخرج تتوقف على السمات الخاصة المتضمنة في الاختبارات أو في مقاييس التقدير أو الاستفتاءات ؛ ومعنى ذلك أن العوامل التي يصل إليها الباحث هي محصلة الفقرات أو الوحدات التي يبدأ فيها التحليل . فلا شيء إذن يمكن أن يظهر في التحليل العامل لم يكن موجوداً من قبل في الاختبارات وكما أشار فرنون (١٩٣٨) فإن العوامل يمكن أن تنطلي فقط هذه الواجهات للشخصية التي تتمثل في بطارية الاختبارات ، ومن ثم فإن عموميتها تتحدد بشمول عينات السمات الإنسانية . وكان فرنون يعتقد أيضاً أنه طالما أن الاتجاهات

(1) Mackinnon, Donald: The Structure of Personality in J. Mc V. Hunt. (ed) Personality and the Behavior Disorders. vol I. The Roland Press Company, New York 1944. chp. 1. pp. 3-48.

الذاتية بمكر أن تحرف التقديرات ، وأن المقاييس الموضوعية الدقيقة للسلوك لم يتم وضعها بعد تماماً ، فإن أية واحدة من التحليلات العاملة التي أجريت حتى ذلك الحين لم تكشف عن العناصر الحقيقية للشخصية . كما يذهب فرنون في نقده أيضاً إلى أن أية مجموعة من العوامل المستخلصة ليست العوامل الوحيدة المستخلصة ، فإن عدداً لا نهائياً من التحليلات العاملة لأية مجموعة المتغيرات يكون ممكننا وتقرر قيمها النسبية على أسس منطقية ورياضية .

ويشير البورت أيضاً بعض التساؤلات بالنسبة لفكرة العوامل : هل من القول أن نفترض أن جميع الناس لديهم في الواقع نفس التكوين الأساسي الشخصية ؟ وهل يجب أن تكون وحدات التنظيم الأساسية للشخصية واحدة . هل جميع الأحياء ؟ وهل يجب أن تكون العوامل متماثلة سوى ما يتصل باختلاف أوزان كل منها . الواقع أن العامل في نظره هو صورة مركبة لا تشبه أى فرد بالذات .

ومن النقد الذي وجه إلى استخدام التحليل العامل في دراسة الشخصية أن الوحدات الإحصائية المكتشفة بالتحليل هي وحدات منعزلة وبعيدة عن السكان الحي الأفراد . فتقديرات اختبارات عديدة لمجموعة كبيرة من الأفراد تعالج معاً إحصائياً ويكون الخلط جيداً للغاية بينها ، بحيث أن الناتج يكون خليطاً من العوامل التي يفقد فيها كل فرد من هؤلاء الأفراد هويته . فاستعداد كل فرد قد اختلط باستعداد كل فرد آخر . والعوامل المستخلصة بهذه الطريقة الإحصائية نادراً ما تشبه الاستعدادات التي تكشف عنها الطرق الكلينيكية التي تتعمق في دراسة الفرد . وليس ثمة دليل على أن الوحدات العاملة التي يكشف عنها التحليل العامل تطابق السمات المركبة . أعني التكوين الوراثي للطبيعة الإنسانية على نحو ما يميل البعض إلى القول بذلك .

وثمة صعوبة أخرى تظهر في تسمية العوامل . فالتسمية ذاتها افتراضية ونسبية أحياناً . فقد يلجأ البعض إلى تسمية العوامل بالحروف على نحو ما فعل كاتل وسيورمان وغيرهما ، كما لو كانوا لا يجرؤون على التلفظ بأسماء هذه الحروف التي ترمز إلى العوامل .

الحقيقة أن المشكلة الأساسية التي تواجه المشتغلين في هذا المجال هي هل يمكن للتحليل العامل أن يكشف عن التركيب أو البناء الكامن للشخصية أم هل هو يعطى فحسب صورة عن التركيب المنطقي لاختبارات الشخصية المستخدمة . ومن الإنصاف القول بأن معظم المشتغلين بالتحليل العامل يعتقدون في الرأي الأول ويعارضون الرأي الثاني . فـ د كيلي ، مثلاً يعتقد أن السمات الأساسية للشخصية يمكن عزلها بطرق التحليل العامل ، كما يمكن أن نصل في نهاية الأمر إلى العدد القليل نسبياً من العناصر اللازم لوصف الشخصية وصفاً كاملاً .

ولكن بعض المشتغلين بالتحليل العامل ممن هم أشد تمسكاً بالطريقة العلمية فينظرون إلى العوامل كأنظمة من الإحداثيات أو الأطر المرجعية البسيطة لتصنيف وتفسير المتغيرات الكامنة للشخصية . فالعوامل ليست ملكات أو سمات توجد في الشخصية المحسوسة وإنما هي قوائم وصفية مناسبة تمكن القائم بالتحليل العامل من تعميم وتبسيط نتائج الاختبارات والقيام بتنبؤات على درجة كبيرة من الكفاية والدقة .

وإذا نظر إلى العوامل كنظام من الإحداثيات أو الإطار المرجعي لتصنيف وتفسير متغيرات الشخصية ، فليس ثمة داع للنظر إلى العوامل كسمات موجودة في الشخصية .. ، ويلقى ما كينون على هذا الموقف بقوله أن المشتغل بالتحليل العامل الذي يتخذ مثل هذا الموقف عليه أن يتذكر أن العوامل لا يمكن أن تعتبر حجر البناء الذي تقوم عليه الشخصية المتشكلة .

وكما ينتقد الأكلينيكيون أسلوب التحليل العامل في بناء الشخصية ، فكذلك ينتقد المشتغلون بالتحليل العامل الأسلوب الأكلينيكي لاجتماعه على الحكم الذاتي في وصف السمات الأساسية للشخصية ، فهم يذهبون إلى أن الأكلينيكين في تحليلهم للشخصية وفي تصنيفهم لسماتها الأساسية ، يفتقرون إلى المعايير الموضوعية التي تزودنا بها الطرق العاملة. ولكن الأكلينيكي يرد على ذلك بقوله أن العوامل التي يكشف عنها التحليل العامل تتوقف على فقرات الاختبار الأصلية وأن وضع الفقرات وتقرير ما يتضمن منها في الاختبار هو نتيجة حكم ذاتي من جانب السيكلوجي ، كما أنه بعد استخراج العوامل ، فإن تحديد ما تسميها يتم مرة ثانية في ضوء اعتبارات ذاتية . إن الأكلينيكي كثيراً ما يحس بالقلق حين يجد أن العوامل التي يكشف عنها التحليل العامل تفتقر إلى الدلالة السيكلوجية ، على حين أن المشتغل بالتحليل العامل ، فهو من ناحية أخرى ، لا يحس بالقلق حين يعجز عن التعرف على العوامل التي يخرج بها ، ولذلك فهو لا يجد غضاضة في إعطائها رموزاً معينة ، على نحو ما فعل كاتل وغيره ، لربطها بمتغيرات الشخصية التي وضعها الأكلينيكي ، فالعنى السيكلوجي في نظر الأكلينيكي له أهمية كبرى ، ومع ذلك ، فنحن نجد من المشتغلين بالتحليل العامل من أمثال فرستون من يصر على تفسير العوامل تفسيراً سيكلوجياً وأن يكون لها معنى سيكلوجي ، وإن لم يأخذ بهذا الرأي الكثيرون من المشتغلين بالتحليل العامل .

ويطرح ما يكون سؤالاً عن ما هي نتائج تطبيق التحليل العامل في دراسة الشخصية . ويجب على ذلك بقوله إن من المعروف بوجه عام أن تطبيق الطرق العاملة في دراسة الشخصية كانت أقل ثمرة بشكل واضح من تطبيقها في دراسة الذكاء . وهذا يرجع في جزء منه على الأقل إلى حقيقة هامة وهي أن الأدوات المستخدمة لقياس سمات الشخصية - سواء كانت مقاييس تقدير

أو اختبارات موضوعية أو استفتاءات تحسب أقل صلتاً وثباتاً من تلك التي وضعت لقياس قدره العقلية العامة . هذا بالإضافة إلى تعدد أبعاد مجال الشخصية وغموضه إلى حد بعيد . ومع ذلك ووسط هذا الغموض ، فقد بدأت تظهر بعض البوادر الهامة التي أفادت إلى درجة كبيرة من التحليل العامل في دراسة الشخصية . ولقد أشار دوفل ، Wolfe ، في عام ١٩٤٢ إلى بعض النتائج التي تسكاد البحوث تجمع عليها . فقد وجد أن هناك أكثر من ٥٠ عاملاً للشخصية وردت في الدراسات المختلفة . وقد تبين له أن بعضها لا يرد إلا مرة واحدة ، وكثير منها غير محدد ، وبعضها لا تؤيده البحوث الأخرى . وباستبعاد هذه كلها ، تبقى لديه سبعة عوامل فقط تخضع للميار وضعه هو أنها تظهر في ثلاث دراسات أو أكثر . وهذه العوامل السبعة هي :

- ١ - الإرادة W or will (وب ١٩١٥ ، ستورمان ١٩٣٥ ، كاتل ١٩٣٣ ، برودجن ١٩٤٠ ، ريبيرن وتايلور ١٩٣٩) .
- ٢ - المهارة C or cleverness (جارنيت ١٩١٩ ، كاتل ١٩٣٣ ، ريبيرن وتايلور ١٩٣٩) .
- ٣ - الخجل S or shyness (جيلفورد وجيلفورد ١٩٣٤ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٩ ، وليامز ١٩٣٥ ، مورر ١٩٤١ ، فلاناجان ١٩٣٥) .
- ٤ - عامل الثقة بالنفس A. factor of self confidence (فلانجان ١٩٣٥ ، جيلفورد وجيلفورد ١٩٣٦ ، مورر ١٩٤١ ، ماك كلوي ١٩٣٦ ، وليامز ١٩٣٥) .
- ٥ - عامل طلاقة النشاط العقلي For fluency of Mental activity (ستورمان ١٩٣٥ ، موسيه ١٩٣٧ ، جيلفورد وجيلفورد ١٩٣٦ ، ثرستون ١٩٣٤) .

٦ - عامل الإكتئاب العقلي D or mental depression (جيلفورد وجيلفورد ١٩٣٩ ، موسيه ١٩٣٧ ، ثرستون ١٩٣٤ .

٧ - عامل شدة الحساسية A factor of hypersensitivity (موسيه ١٩٣٧ ، جيلفورد وجيلفورد ١٩٣٤ . ريبرن وتايلور Reyburn & Taylor ١٩٣٩ ، وودرو ١٩٣٩) .

ويقول ولفل إن التحليل العاملى يزودنا بأداة تحليلية قوية لفصل المتغيرات الهامة للشخصية الإنسانية ، ولكن فقط إذا استخدم مع استبصار نفسى جيد وارتبط بمهارة البحث الاكلينيكي . فكثير جداً من الدراسات العاملة قد أغفلت حقيقة أن دلالة وثبات العوامل التى سوف تكتشف ، تتوقف على المعانى السيكولوجية للسمات التى تقاس ، فأفضل الأدوات الإحصائية لا يمكنها أن تدخل المعنى السيكولوجى إلى مجموعة من المقاييس لا معنى لها أو ليست مناسبة سيكولوجياً .

وليس ثمة شك أن حركة القياس العاملى قد قطعت شوطاً أبعد بكثير مما وقف عنده ولفل خلال ربع القرن الأخير على نحو ما يتجلى فى الدراسات العاملة الواسعة النطاق التى قام بها كاتل ومساعدوه ، وذلك التى قام بها إيرنك ومساعدوه على نحو ما سبق أن أشرنا فى موضعه .

الباب الثاني

قياس الشخصية

تقديم

أهمية القياس :

يستند التقدم العلمى إلى دخول أساليب القياس والتجريب فى مجالات البحث المختلفة ، فعلم الطبيعة مثلاً لم يحرز هذا التقدم الهائل إلا بعد أن أقام نظرياته على أساس من البحث والدراسة السكينة ، والناظر فى تاريخ تطور المنهج العلمى ، يلاحظ أن النظريات التى ظلت قائمة هى تلك التى استندت إلى الملاحظة الدقيقة والتجربة التى درست العلاقات بين الظواهر المختلفة . حقيقة كانت هناك نظريات عديدة ظهرت قبل استخدام القياس والتجريب ، وهذه قد تشترك فى التسمية فقط مع نظائرها التى أقيمت على أساس القياس والتجريب . ولكنها تعد مع ذلك نظريات فلسفية أكثر منها علمية . فلقد تحدث فلاسفة اليونان القدامى من أبام ديمقريطس عن الذرة ، ولكن أفكارهم ظلت مجرد تأملات فلسفية محسب ، ولم تصبح جزءاً من العلم إلا فى العصور الحديثة عندما أخضعها العلماء إلى أساليب البحث العلمى الدقيق .

وإذا كان القياس والتجريب قد عرف طريقه إلى العلوم الطبيعية من وقت مبكر ، فإن علم النفس والعلوم الإنسانية تعتبر بوجه عام حديثة العهد بهما . ولعل مرجع ذلك هو صعوبة إخضاع الظاهرة الإنسانية للتجربة والقياس . على عكس ما عليه الحال بالذنبية للمادة موضوع علم الطبيعة . ولقد كان علم النفس خلال الخمسين سنة الأولى من هذا القرن مزيجاً من التأملات والافكار الفلسفية الشائعة ، وكانت نظريات التربويين والباحثين فى مجالات التعلم والتحليل النفسى تقتصر إلى استخدام مثل هذه الأساليب العلمية الدقيقة . وقد أدرك منذ عهد قريب فساد فساد هذه الأساليب فى إخضاع الظواهر النفسية للدراسة العلمية ، فبدأت تظهر فى الآونة الأخيرة اتجاهات جديدة فى معالجة كية .

ولعل هذا الجمع بين النظرية والتجربة من الأسباب التي دفعت علم النفس خطوات سريعة إلى الأمام . فبدلاً من الاكتفاء بالتأملات الفلسفية التي لا تستند إلى التجربة ، أصبحنا اليوم نقيم دراستنا على أسس علمية تجريبية وهذا الجمع بين النظرية والتجربة يذكرنا بالقول المشهور للفيلسوف الألماني كنت : التجربة بدون نظرية عمياء ، والنظرية بدون تجربة عرجاء .

وإذا كان هدفنا الأساسي هو دراسة الشخصية سواء بقصد البحث النظري أو بقصد التطبيق الناجح في مجالات الحياة المختلفة ، فإن الأمر يتطلب منا وضع أدوات وأساليب تساعدنا على الدراسة الدقيقة والتشخيص الجيد للشخصية . وقد بدأ علم النفس في وضع الأدوات والوسائل التي أحرز بواسطتها تقدماً سريعاً إلى الأمام . ومن الواضح أن استخدام بعض هذه الوسائل قد دفع علم النفس دفعة قوية في سبيل التقدم العلمي حتى أن البعض يذهب إلى القول بأن استخدام الطرق الإحصائية المتعددة المتغيرات - والتي من أهمها التحليل العاملي - لا يقل أهمية عن استخدام الميكروسكوب في علوم الحياة . وليس من شك أيضاً أن ظهور الاختبارات المختلفة والوسائل المستحدثة في دراسة الشخصية ، قد أفاد كثيراً في مجالات عديدة سواء في مجالات البحث النظري والبحث أو في مجالات العمل الإكلينيكي أو غيرها من المجالات كالتوجيه المهني والتربوي والاختيار والتي تطبق أساليب القياس النفسي على نطاق واسع .

ولقد لعبت فكرة القياس واستخدامها في مجالات علم النفس المختلفة ، القبول لدى الغالبية العظمى من علماء النفس في المجالات المختلفة كالتعلم والفروق الفردية والميول والاتجاهات والقيم وغيرها ومن هنا ، بدأ علماء النفس في وضع الاختبارات التي تستخدم كأدوات للقياس والتي بواسطتها يمكن الوصول إلى نتائج تجريبية وكمية ، يمكن أن تعالج معالجة رياضية وإحصائية على نحو ما حدث في فروع العلم الأخرى .

ونظرة إلى تطور حركة القياس النفسى تشير إلى أن مقاييس الشخصية ظهرت متأخرة إذا قورنت بغيرها من المقاييس فى المجالات الأخرى لعلم النفس. فقد بدأ القياس فى مجالات الإدراك والتذكر واللبان والتفكير وغيرها منذ أيام فنت وفشتر. وبدأت أساليب العلم الطبيعى تظهر واضحة فى دراسة العلاقة بين المثيرات الطبيعية والاستجابات الحسية وفى دراسة العتبة الفارقة على نحو ما هو معروف فى هذا الفرع من العلم الذى سمي باسم «السبكوفيزيقا». ثم أخذ القياس يشق طريقه بعد ذلك فى الدراسات الخاصة بعلم النفس الفارق على نحو ما ظهر فى دراسات جيمس ماكين كاتل فى الفروق الفردية فى زمن الرجوع. ثم اتسع مجال القياس بعد ذلك فى دراسة الذكاء والقدرات العقلية على نحو ما اتضح فى دراسات بيليه وترمان وسيرمان وثورنديك وثرستون وغيرهم. وكل هذه الدراسات أثرت تأثيراً واضحاً فى تطور ونمو حركة القياس النفسى إلى أن وصل إلى حالته الراهنة.

وإذا كان القياس فى الشخصية قد ظهر متأخراً نسبياً بالقياس إلى بقية فروع علم النفس الأخرى، فما ذلك إلا لضعف مجال الشخصية ككل، وكثرة الأبعاد والمتغيرات التى يمكن أن تخضع للدراسة والتى يمكن فى ضوءها وصف الشخصية. ثم إلى نظرة الباحثين أنفسهم إلى إمكان أو عدم إمكان إخضاع الشخصية ذاتها للقياس. ولقد خضعت الشخصية أخيراً إلى وسائل القياس المختلفة وأخذ علماء النفس يحسون بضخامة المشكلة التى تواجههم. ومن ثم أصبحوا يهتمون بضرورة تطوير أدوات القياس وإخضاعها لأساليب البحث العلمى الدقيق حتى تصبح الصورة التى نضعها عن الشخصية أقرب ما تكون إلى الحقيقة.

طرق دراسة الشخصية :

هناك تصنيفات عديدة لأدوات ووسائل قياس الشخصية ، وهذه التصنيفات تقوم على أسس منطقية كثيرة منها :

١ - حسب النظريات التي تكمن وراء الطريقة المستخدمة في القياس (كأن تكون مستمدة من التحليل النفسى أو التحليل العاملى أو النظرية السلوكية وغيرها) .

٢ - حسب مناطق الشخصية المراد دراستها (سمات ، أفكار ، قدرات ، خيالات ، وظائف معرفية أو حركية) .

٣ - حسب نمط المثير الذى يعرض على المفحوص (ورقة وقلم ، أجهزة مادة متشكلة في مقابل مادة غامضة غير متشكلة) .

٤ - حسب نمط الاستجابة المطلوبة (اختيار مقيد بين متغيرين ، اختيار بين أشياء متعددة ، استجابات غير موجهة أصلاً كما هو الحال في كتابه تاريخ الحياة) .

٥ - حسب ظروف الإجراء (في المعمل أو في الفصل أو في مواقف الحياة العادية) .

٦ - حسب أسس التعليقات (سواء كانت الاداة مقننة أو غير مقننة ، موضوعة على أساس عقلى صرف أو على أساس تجريبي) .

٧ - حسب طريقة التفسير (مفصلة أو غير مفصلة ، كنية أو وصفية محددة بسمة واحدة أو كلية) .

٨ - حسب الأهداف التي تخدمها الاختبارات (لإختيار أو إلتقاء موظفين ، توجيه مهني ، توجيه تربوي ، أغراض إكلينيكية) .

وهناك مبادئ أخرى تفيد كأساس للتصنيف . ولكن الصعوبة في مثل هذه التصنيفات أنه إذا اتخذنا أحد المبادئ السابقة كأساس للتصنيف ، فإننا

نقل المبادئ الأخرى والتي لا تقل أهمية عن هذا المبدأ الذي اتخذناه أساساً للتصنيف .

ومن المرغوب فيه عادة اتخاذ صورة مبسطة قدر الإمكان للتقسيم . وقد اقترح روزنرفيج تقسيماً يشتمل على النواحي الآتية : طرق ذاتية وطرق موضوعية وطرق اسقاطية .

أما الطرق الذاتية فيندرج تحتها آية صورة من التقارير التي يكتبها الفرد عن نفسه سواء كان كتابة تاريخ حياة أو تقدير الذات أو ما يقرره عن نفسه في مقابلة أو عن طريق اختبار ورقة وقلم لدراسة الشخصية .

أما الطرق الموضوعية فتشتمل على المقاييس الفسيولوجية ، كما تشمل السلوك على نحو ما نلاحظه في المعمل أو في مواقف الحياة اليومية والتقديرات التي نصل إليها باستخدام الاختبارات والتجارب المختلفة .

أما الطرق الاسقاطية فيندرج تحتها أنواع ثلاثة : حركية - تعبيرية (لفتات وكتابة) ، مواد إدراكية متشكلة إلى حد ما (كاختبار رورشاخ) أو ديناميات تفهيمية (تفسير الصور ، نداعي السمكات) .

ورغم بساطة تقسيم روزنرفيج ، فإن التصنيف المناسب لاختبارات الشخصية يكون أفضل إذا نظر إليه من حيث هو نظام ملائم ومفيد أكثر منه نظاماً منطقياً غير متداخل . ولذلك يمكن أن نتخذ التقسيم التالي كتقسيم ملائم ومفيد لدراسة جوانب الشخصية . وهذا التقسيم هو :

١ - اختبارات الميول والإنجهاات .

٢ - اختبارات الشخصية .

٣ - الاختبارات الاسقاطية .

٤ - اختبارات الأداء .

ويمكن أن يندرج تحتها أيضاً أقسام أخرى كالتقنيات التعبيرية ، الأكلينيكية وغيرها .

الفصل الحادى عشر

مقاييس الميول والاتجاهات

أولاً : مقاييس الميول :

عرّف جيلفورد (١) الميل بأنه نزعة سلوكية عامة لدى الفرد للإنجذاب نحو نوع معين من الأنشطة . ويعنى بقوله « نزعة سلوكية عامة » أنه ليس شيئاً « ستر من كونه سمة عامة . كما يعنى « بالإنجذاب نحو » أن الفرد يهتم بـ « أو يتجه نحو » ، أو يبحث عن ، أو يهدف إلى الحصول على شىء له قيمة كافية بالنسبة له . وكون الفرد ينجذب نحو أنشطة معينة معناه أن الميل أقرب إلى أن يحدد ما يفعله الفرد ، أكثر مما يحدد كيف يفعله .

وتعريف الميل على هذا النحو يضعه فى المجال العام للدوافع . فالميول – كالحاجات والاتجاهات – تكون نوعاً من السمات التى يمكن أن يطلق عليها دينامية أو دافعية .

ومن المحتمل أن تكون دراسة الميول قد وجدت الدفعة القوية من الإرشاد المعنى والتربوى . فعملية تطور الاختبارات المهنية ونموها ، ربما ترجع إلى عملية الاختيار المعنى والتصنيف . فسواء من وجهة نظر العامل أو صاحب العمل أو المؤسسة ، فإن ميول الفرد واهتماماته تلعب دوراً كبيراً فى نجاحه فى العمل الذى يقوم به . فالتحصيل هو محصلة القدرة والميل . ورغم ارتباط

(1) Guilford, F. P : Personality . New York Mc Graw - Hill Book Co. Inc. 1956

القدرة والميل إيجابيا ، فإن المستوى العالى فى احدهما لا يتضمن بالضرورة مستوى عالياً فى الآخر . فالفرد قد تكون لديه القدرة الكافية للنجاح فى نشاط معين تربوى أو مهنى أو ترويحى ولكن ليس لديه الميل المقابل . وقد يكون لديه الميل ولكنه يفتقر إلى القدرات اللازمة . ولذا ، فإن قياس كلا المتغيرين يسمح لنا بالتنبؤ بصورة أكثر فاعلية ودقة لاداء الفرد مما لو اقتصرنا على أحدهما دون الآخر ،

وقد يبدو للوهلة الأولى أن الطريقة المناسبة والمباشرة لتحديد الميل هى أن نسأل الفرد عن ميله . لكن البحوث سرعان ما أوضحت أن الإجابات عن الأسئلة المباشرة للميل غالبا ما تكون سطحية وغير واقعية ولا يوثق بها ، كما أنها لا تمثل الميل الحقيقى للفرد (١) . ذلك أن تقييم الميل الشخصية لفرد ما يتطلب استبصاراً وخبرة ملحوظة قد لا تتوفر لديه . فكثير من الناس ليست لديهم المعرفة الكافية بالمهن أو الموضوعات أو الأنشطة المختلفة التى يريد القيام بها ومن ثم ليست لديهم القدرة على الحكم ما اذا كانوا يحبون او لا يحبون بالفعل كل ما يتضمنه اختيارهم . أما التقديرات التى يقوم بها الآخرون فلها قيمتها بشرط أن يقوم المقدرين بملاحظة الشخص فترة كافية من الزمن . ولكن - كقاعدة عامة - فإن مثل هذه التقديرات تكون ذاتية وتفتقر إلى الصدق . ولذا بدأ علماء النفس فى وضع مقاييس موضوعية لقياس الميل شأنه فى ذلك شأن الجوانب الأخرى للشخصية .

وثمة نواحى عديدة تساعد فى الكشف عن قوة المال لدى الفرد بالنسبة لموضوع من الموضوعات ؛ نذكر منها :

(1) Anastasi , Anne : Psychological Testing, New york: The Mac Millan Company 3rd Ed - 1968 -

١ - المعلومات أو المعرفة : من الممكن أن يتخذ مدى معرفة فرد ما بموضوع من الموضوعات كقياس لميل الفرد نحو هذا الموضوع . فلو فرضنا أن لدينا عدداً من الموضوعات وكان الفرد أكثر المأما بإحداها ، كان ذلك بمثابة دليل على ميله لهذا الموضوع .

٢ - التداعي الحر أو المقيد : عند استجابة فرد ما لكلمات مختارة اختياراً جيداً ، فإن طبيعة وتكرار استجابات التداعي قد يكشف عن نمط الميل السائد لدى الفرد .

٣ - التفضيل : الحب أو الكراهية : قد يطلب من الشخص ترتيب قوائم فقرات أو وحدات تعرض عليه بحيث لا يكون القصد من ذلك واضحاً للمفحوص . وقد تتضمن هذه صوراً من الترويج أو الواجبات الخاصة أو الموضوعات المدرسية أو الكتب وما أشبه ذلك . وتتخذ استجابات الفرد المعبر عنها وترتيبه لها وتفضيله لبعضها كقياس للميل .

٤ - الجدول الزمني : تسجيل توزيع كامل للفترة الزمنية التي يكرسها الفرد لنواحي النشاط المختلفة وأشكال الترويج مما يكشف عن أنماط ميل الفرد . وقد يكون هذا النوع من الأدلة من أنسب الأشياء التي يمكن القيام بها لدراسة الميل عند صغار الأطفال .

٥ - ملاحظة السلوك : يلاحظ سلوك الفرد بدقة وكذلك أنواع قراءاته واتصالاته بالآخرين وسرعة القشت والانتقال من عمل لآخر . وقد يلجأ الباحث عند تقييم ميل فرد ما إلى أكثر من طريقة . فقد يتخذ الباحث مثلاً الملاحظة والجدول الزمني معاً كوسيلة لتقييم ميول الأطفال . وقد اقتصرت الميول المهنية والتفضيل المهني - أي الترتيب النسبي لميل

الشخص بالنسبة لعدد من المهن - بعدد كبير من المقاييس . وغالبا ما يكون الهدف منها هو الاستخدام في عملية الارشاد والتوجيه التربوي والمهني . ويقوم تطبيق مثل هذه الاختبارات على افتراض أن الشخص - مع تساوي جميع النواحي الأخرى - سوف يكون أكثر توافقاً مع المجموعة التي نمط اهتمامهم وميلهم السائد ، يشبه نمط اهتمامه وميله السائد . ومع التوسع الهائل في النواحي المهنية أصبحت مقاييس الميل المهني تستخدم كوسائل هامة ومفيدة وظهرت اختبارات كثيرة أصبح لبعضها شهرة عالمية ويستخدم على نطاق واسع في عمليات التوجيه والارشاد والاختيار . ويقصد التعريف ببعض هذه الاختبارات سوف نشير إلى عدد منها :

اختبار الميول المهنية لسترونج Strong Vocational Interest Test

الهدف الاساسي من الاختبار هو الكشف عن مدى اتفاق ميل فرد ما ، مع ميول الأفراد الآخرين الذين يشتغلون بمهنة معينة أو الذين بلغوا فيها درجة النجاح ؛ وكذلك الكشف عن مدى الاتفاق بين ميل هذا الفرد وميول الرجال بصورة عامة أو ميول النساء بصورة عامة (الذكورة - الأنوثة) .

وكان الفرض الذي أقام عليه سترونج دراسته التي انتهت بوضع اختبار الميول المهنية هو أن المجموعات المهنية - في ضوء ميولهم وحبهم وكرهيتهم ، تفضلهم أو عدم تفضيلهم - يمكن أن تتميز إحداها عن الأخرى . بمعنى أن أعضاء مجموعة مهنية ما (ولتكن الكيميائيين مثلا) سوف تكون لهم مجموعة من الأشياء التي يحبونها أو يكرهونها ، يفضلونها أو لا يفضلونها ، والتي تختلف عن تلك التي يميل إليها أو لا يميل إليها أعضاء مجموعة مهنية أخرى مقابلة (كالحمامين مثلا) . ولإثبات هذا الفرض ، قام سترونج بمقارنة ميول مجموعات مهنية مختلفة ، لا مباشرة إحداها مع الأخرى ، وإنما بما أسماه

، الأشخاص عامة ، ، فمثلا قارن ميول المحامين بميول الناس عامة ، وقارن ميول الكيميائيين بميول الناس عامة . ووجد أنه ليس فقط تختلف ميول المحامي والكيميائي عن ميول الإنسان عامة بل وأيضا بدرجات مختلفة كذلك ، مما يكشف أيضاً عن اختلاف إحداهما عن الأخرى .

وقد إتبع سترونج في وضع مقاييس كل مجموعه مهنية الخطوات الآتية .

١ - تطبيق الاختبار على عينة من الأفراد ممثلة لمهنة من المهن ، وعلى عينة أكبر من الناس عامة ، .

٢ - تحديد عدد الذين أجابوا بأنهم يحبون أوجه النشاط المعنية أو الذين لا يهتمون بها أو لا يحبونها وذلك بالنسبة لكل فقرة من فقرات الاختبار .

٣ - بحسب تكرار كل وحدة في هذه القوائم الثلاثة وتحول هذه الأعداد إلى مئينات .

٤ - مقارنة هذه المئينات بتلك المأخوذة من الأشخاص عامة والذين أجرى عليهم الاختبار .

٥ - وبواسطة معادلة أو رسم بياني مناسب . تعين أوزان الفقرة التي تعكس مدى الفرق بين مئينات المجموعة المهنية ومجموعة الأشخاص عامة .

واختبار الميول المهنية لسترونج له صورتان : صورة خاصة بالميول المهنية لرجال Vocational Interest Blank for Men . وصورة خاصة بالميول المهنية للنساء Vocational Interest Blank for Women . قد أعد الدكتور عطيه محمود هنا الصورة الخاصة بالميول المهنية للرجال ، والاختبار

يتكون من ٤٠٠ فقرة (١) مصنفة على النحو التالي :

١٠٠ فقرة تتصل بالمهنة و ٣٦ فقرة تتصل بالمواد الدراسية و ٤٩ فقرة تتصل بأنواع التسلية و ٤٨ فقرة تتصل بنوع النشاط و ٤٧ فقرة تتصل بأنواع التماس و ٤٠ فقرة تتصل بالمفاضلة بين أنواع النشاط و ٤٠ فقرة تتصل بالمقارنة بين الميل إلى عملين و ٤٠ فقرة تتصل بالقدرات الراحنة .

وفي الأقسام الخمسة الأولى يطلب من المقحوص أن يضع علامة (✓) تحت الخانة الموضحة إلى جانب الفقرة والتي تشير إلى ما إذا كان يحب المهنة أو المادة الدراسية أو نوع التسلية أو نوع النشاط أو نوع الشخص الذي يسأل عنه أو لا يحبه أو لا يهتم به . أما في القسم الخاص بالمفاضلة بين أوجه النشاط فيطلب من الشخص (في كل من المجموعات الأربعة التي يتكون منها هذا القسم والتي تحتوي كل مجموعة منها على ١٠ أنشطة) بين الأنشطة الثلاثة التي يفضلها أكثر من غيرها من غيرها من أوجه النشاط العشرة . والثلاثة التي يفضلها أقل من غيرها ثم الأربعة الباقية التي تبقى محايدة . وفي الجزء السابع الخاص بالمقارنة بين الميل إلى عملين مثلاً بين سائق سيارة عامة ومحصل في سيارة عامة فإن الشخص في هذه الحالة عليه أن يبين هل يفضل الأول أو لا يفضل أحدهما على الآخر أم يفضل الثاني ، وأخيراً في الجزء الثامن الخاص بتقدير القدرات والصفات الشخصية ، فعلى المقحوص أن يبين ما إذا كانت كل فقرة من الفقرات الأربعين التي يشتمل عليها هذا القسم يمكن أن تنطبق عليه أو لا تنطبق عليه أو أنه غير متأكد .

وعلى الرغم من أن الهدف الأساسي لسترونج هو التنبؤ عن الملاءمة لمن

(١) نعيم أنستازي في كتابها الاختبارات النفسية الطبعة الثالثة ١٩٦٦ أن الصورة السائدة من اختبار الميول المهنية والتي تمثرت ١٩٦٦ تتكون من ٣٩٩ فقرة تتوزع على الأقسام الثمانية التي يتكون منها الاختبار .

معينة ، فإن اختياره قد استخدم أيضا للحصول على وصف عام للشخص موضوع الدراسة . ومثل هذا الوصف يتطلب تنظيم الاستجابات في ضوء سمات ذات معنى سيكولوجي . وقد أدى التحليل العاملي للمفاتيح المهنية إلى مجموعة من السمات الوصفية لاختبار الميول المهنية لسترونج . وقد أوضح التحليل العاملي التجمعات التالية لليل المهني للرجال .

المجموعة الأولى : إبداعى — علمى : فنان عالم نفس . مهنى . عالم طبيعة . طبيب أسنان .

المجموعة الثانية : فنى : عالم رياضة . طبيب . مهندس . كيميائى .

المجموعة الثالثة : مدير إنتاج .

المجموعة الرابعة : فنى على مستوى مهنى أقل . فلاح . نجار . عامل طباعة .

مدرس رياضيات — علوم . رجل شرطة .

المجموعة الخامسة : Uplift : مدير مستخدمين . مدرس علوم اجتماعية .

ناظر مدرسة . وزير .

المجموعة السادسة : موسيقى .

المجموعة السابعة : محاسب عام مؤهل .

المجموعة الثامنة : أعمال تفصيلية : محاسب . موظف مسئول . وكيل

للمزايدات . رجل أعمال بنوك .

المجموعة التاسعة : اتصالات العمل : مدير مبيعات . بائع بولصات

تأمين الحياة .

المجموعة العاشرة : لفظى : رجل إعلان . محام . محرر صحف .

المجموعة الحادية عشرة : رئيس مجلس إدارة مؤسسة أعمال .

المجموعات ١١ ، ٧ ، ٦ ، ٣ تحوى هياكل أبحاث

وتفسير هذه التجمعات صعب على الرغم من أن كثيراً من العلاقات التي توصف، يمكن أن يقبلها الفهم العادي بسهولة .

وقد أجريت دراسات عاملية عديدة لوضع أساس أكثر قوة للتصنيف . ولعل محاولة ثرستون (١٩٢٢) في هذا الصدد تعد الأولى . فقد قام بتحليل ١٨ مقياساً من مقاييس سترونج ووجد أن معامل الارتباط يمكن أن تفسر في ضوء أربعة عوامل سماها : ١ - الميل للعلم ، ٢ - الميل للغة ، ٣ - الميل للناس و ٤ - الميل للعمل .

وقد قام سترونج بأربع دراسات عاملية (١٩٤٣) تقوم على ٢٥ ، ٣٠ ، ٢٢ ٣٦ متغيراً على التوالي . وقد كشفت هذه الدراسات عن اتفاق ظاهر الواحدة مع الأخرى ومع نتائج التحليل العاملى التي قدمها ثرستون .

المقاييس غير المهنية : وبالإضافة إلى المقاييس المهنية ، فإن اختبار الميول المهنية يقدم أربعة مقاييس غير مهنية تشتمل على : مقياس نضج الميل ، مقياس الذكورة - والأنوثة ، مقياس المستوى المهني ومقياس التحصيل الأكاديمي . وسوف نلقى نظرة سريعة على كل منها .

١ - مقياس نضج الميل : وضع هذا المقياس لتحديد ما إذا كان ميل المقصوح لمهنة ما ناضجاً نضج ميول الرجال الناجحين في هذه المهنة أو أنه غير ناضج مثله في ذلك مثل ميل الصغار في هذه المهنة . وقد وضع هذا المقياس أساساً بمقارنة استجابات الأطباء المتخصصين باستجابات مجموعة من الأطباء عامة . وقد وجد بعد ذلك أن هذا المقياس صالح لأن ينطبق على مجالات أخرى للتعرف على الرجال الذين يحبون الدراسات المتقدمة من النوع الذي يتطلب التخصص الدقيق الضيق .

ولقد أوضحت الدراسات التي أجريت على هذا المقياس التغيرات في الميول

لدى رجال قراوح أعمارهم بين ١٥ - ٥٥ سنة . وأن كثيراً من التغيرات تحدث بين سن ١٥ - ٢٥ سنة إذا قورنت بالتغيرات التي تحدث بعد سن الخامسة والعشرين . وقد وضع مفتاح النضج تجريبياً بمقارنة الاستجابات إلى الفقرات لدى مجموعة من الرجال في سن ١٥ سنة وبمجموعة في سن ٢٥ سنة . ومن الممكن التلبؤ من ذلك بأن مقياس نضج الميل يكشف عن أن الميول - على أساس كى - تميل إلى التغير في اتجاه ثابت خلال الفترة بين ١٥ - ٢٥ سنة وأن معظم التغير الذى يحدث خلال الفترة من ١٥ - ٥٥ ، يحدث في حوالى سن الخامسة والعشرين . ولذلك ، فمن الممكن استخدام درجة نضج الميل لمعرفة إلى أى حد وصل ميل الفرد إلى درجة من النضج أو عدم النضج . والدرجة المنخفضة على مستوى نضج الميل تعنى أن ميول الفرد غير مستقرة نسبياً وأن من الممكن أن تتغير بدرجة ملحوظة مع تقدم السن بينما الدرجة المرتفعة على هذا المقياس فتعنى أن ميول الفرد قد وصلت إلى مستوى ثابت نسبياً وأنه إذا حدث تغير بعد ذلك فالاحتمال أن يكون تغيراً بسيطاً . ومن هنا يمكن القول بأن درجة نضج الميل يمكن أن تفيد من ناحيتين : الأولى معرفة مدى قرب ميل الشخص إلى النضج والثانية معرفة أى المهن يجب أن يتجه إليها أو يهتم بها وأيها لا يهتم بها وذلك بإضافة إلى ما نحصل عليه من درجات المقياس المفنى .

٢ - مقياس الذكورة - الأنوثة : وقد وضع هذا المقياس على أساس الفرق في استجابات الرجال والنساء لفقرات اختبار الميول المهنية . فالدرجة التى يحصل عليها المقهورض يمكن أن تتخذ دليلاً على ما إذا كانت ميوله أقرب إلى ميول الرجال أو ميول النساء . وقد وجد سترونج أن من المفيد النظر إلى الدرجة على هذا المقياس مع درجاته المهنية ليبين ما إذا كان الفرد يفضل القيام بمهنة تتصف بكثير من الميول الذكورية كالمهندسة مثلاً أو بمهنة

٢٢ - سيكولوجية الشخصية

تصنف بكثير من الميول الأتنية كالصحافة مثلاً . فبعض المهن التي يوجد لها درجات ، يمكن أن تصنف بطريقة عامة باعتبارها مهناً ذكرية أكثر ، أو مهناً أنثوية أكثر . فإذا كانت درجات الفرد عالية على الوظائف الذكرية وكان مفتاح الذكرية - الأنوثة يشير عامة إلى الميول الذكرية ، اتخذ ذلك بمثابة زيادة توكيد على صدق درجات الميول المهنية . وقد أشار سترونج إلى بعض المهن باعتبارها مهناً ذكرية من ذلك مثلاً : المهندس ، المزارع ، طبيب الأسنان . بينما في المهن الأنثوية وجد سترونج الموسيقى ، الفنان ، الصحفي . أما المهن المحايدة (لا هي ذكرية ولا هي أنثوية) فمنها عالم الطبيعة ، عالم النفس ، عالم الرياضة ، المهندس المعاري . المحاسب .

٣ - مقياس المستوى المهني : وضع هذا المقياس ليقس الفرق بين اهتمامات وميول العمال غير المهرة وغير الفنيين من ناحية واهتمامات وميول الرجال الفنيين والمهرة من ناحية أخرى . وقد بنى هذا المقياس على أساس مقابلة استجابات مجموعة من العمال الفنيين والمهرة بلغ عددهم ٤٧٤٦ مجموعة من العمال غير المهرة بلغ عددهم ٢٥٨ . فإذا حصل شخص ما على درجة عالية على مقياس المستوى المهني ، كان معنى ذلك أنه يكشف عن بعض التماسك على المستوى الفني العالي أما إذا كانت درجته منخفضة كان معنى ذلك أنه يصلح للأعمال التي على مستوى أقل في المهارة .

٤ - مقياس التحصيل الأكاديمي : وقد وضع هذا المقياس على أساس مقارنة استجابات مجموعات من طلبة الجامعة وتلاميذ المدارس الثانوية الذين حصلوا على درجات دراسية أكاديمية عالية ومنخفضة على التوالي . وعلى أساس البحوث التي أجريت بعد ذلك تبين أن هذا المقياس يعكس الميول في الأنشطة العقلية في مقابل الميول في الأنشطة العملية والتجارية التي يحتاج إلى مهارة .

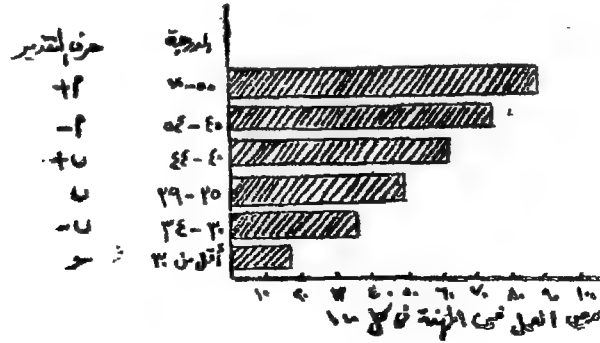
صدق وثبات الاختبار :

خضع اختبار الميول المهنية لسترونج لبرنامج متعدد الجوانب ، من البحث أدى إلى تقديم معلومات كثيرة عن صدقه وثباته .

فمعاملات الثبات الفردية - الزوجية للمقاييس المختلفة في الطبقات الأولى أعطت درجة من الثبات حوالى ٠.٨٨ . وكان واحد فقط منها حوالى ٠.٨٠ . كما كان معامل الثبات عن طريق إعادة الاختبار في المتوسط حوالى ٠.٩١ . عند تطبيقه على ١٣٩ طالباً مستجداً أعيد اختبارهم بعد أسبوعين وكذلك عندما طبق على ١٠٢ من الكبار أعيد اختبارهم بعد شهر . وقد كشفت الدراسات الطولية التي أجريت على مجموعة من الطلاب عن قدر كبير من الثبات . فكان معامل الثبات عن طريق إعادة الاختبار بعد ثلاث سنوات هو ٠.٦٨ ، وبعد ٨ سنوات كان معامل الارتباط عن طريق الإعاضة هو ٠.٦١ ، وبعد ٢٢ سنة كان معامل الارتباط هو ٠.٦٧ ، وبعد ٣٠ سنة كان معامل الارتباط ٠.٥٦ . وبوجه عام يمكن القول بأن تقديرات الميل يكون على مستوى المدرسة الثانوية أقل ثباتاً . ولكنه يبلغ قدراً ملحوظاً من الثبات في سن الجامعة (أنستازى .)

أما بالنسبة للصدق فهناك من الأدلة ما يشير إلى أن الأفراد يميلون إلى القيام بالمهن التي يحصلون فيها على تقديرات مرتفعة في اختبار الميول المهنية والاستمرار في هذه الأعمال . وإحدى الدراسات الطولية الممتدة عن هذه العلاقة ، تلك الدراسة التنبؤية على مدى ١٨ سنة والتي قام بها سترونج على ٦٦٣ طالباً بجامعة ستانفورد والذين طبقوا الاختبار لأول مرة وهم طلاب جامعه . والشكل الآتى يلخص النتائج الأساسية لهذه الدراسة في صورة خريطة توقع أو احتمال . فهناك احتمال أن ٨٨ شخصاً من كل ١٠٠ حصلوا على ٥٥

درجة أو أكثر في مقياس مهني معين ، أن يعملوا في هذه المهنة ، بينما هناك احتمال أن يعمل ١٧ فقط من كل ١٠٠ حصلوا على أقل من ٣٠ درجة في هذه المهنة . (١)



خريطة توضح تكشف عن درجات طلاب الجامعة في اختبار الميول المهنية-
لسترونج وفرس الالتحاق والبقاء في هذه المهنة لمدة ١٨ سنة بعد ذلك

أهمية اختبار الميول المهنية لسترونج :

لخص فيرجسون (٧) أهمية هذا الاختبار في النقاط الأربعة التالية:

- ١ - التوجيه التربوي
- ٢ - التوجيه المهني
- ٣ - الاختيار المهني
- ٤ - البحث

١ - التوجيه التربوي : ويهتم أساساً بالمساعدة التي تقدم للطلاب في اختيار نوع الدراسة الملائمة لهم والتي يلتحقون بها والتكيف لها والتغلب على الصعوبات التي تعترضهم في دراستهم وفي الحياة المدرسية بوجه عام . فقد يجد الطالب الذي يلتحق حديثاً بالجامعة والذي لم يقرر بعد أي الدراسات يمكنه

(1) Strong E. K. Jr. & Campbell D. P. : Manual of Strong Vocational Interest Blanks. Stanford, Calif. Stanford University Press 1966. p. 44.

(2) Ferguson, W. Leonard : Personality Measurement. New York : Mc Graw Hill Book Company Inc. 1952.

يتجه إليها أو يدرسها ، في درجات اختبار الميول المهنية لسرونج أكبر عون بالنسبة له . فإذا كشفت درجات الاختبار على أن ميول شبيهة بميول المحامين الناجحين مثلا ، فإن من الممكن أن يتخذ من ذلك ما يحفزه إلى دراسة مادة أو مادتين من مواد الدراسات القانونية ليرى ما إذا كان يحبها . فإن سار فيها كان من الممكن أن تصبح درجات سرونج دليلا على أنه يسير في الاتجاه الصحيح . وقد يتخذ الفرد في مثل هذه الحالة أحد سبيلين : إما أن يسير في الاتجاه الذي كشفت عنه درجات الاختبار أو أن يتخذ سبيلا مضادا . فالشخص يجب ألا يسير سيرا أعمى وفق مانعطة درجات الاختبار وإنما يجب عند اختيار السبيل البديل من أن تكون لديه الأسباب القوية التي تدفعه إلى ذلك .

٢ - التوجيه المهني : وقد يحدث أحيانا - وإن لم يكن دائما - أن يكون الطالب الذي اقترب من نهاية المرحلة الجامعية لم يقرر بعد نوع العمل الذي يرغب القيام به . وعلى ذلك ، فيالرجوع إلى تقديرات الفرد على اختبار الميول المهنية لسرونج ومع النظر في الاعتبارات الأخرى المحيطة به - يمكنه أن يتخذ الفرد رأيا في هذا السبيل . وكما سبق أن أوضحنا إما أن يقبل الطالب البيانات التي قدمها الاختبار أو أن يغفلها . ومع ذلك ، فإن من الأنسب أن يقتحم الطالب المجال الذي حصل فيه على تقديرات عالية وأن يفكر كثيراً قبل أن يقتحم مجالا من المجالات التي حصل فيها على تقديرات منخفضة على الاختبار ، كأن تكون لديه من المبررات القوية ما يجعله يحجم عن دخول مجال أو يقوم بمهنة حصل فيها على تقديرات مرتفعة أو تجعله يدخل مجالا أو يقوم بمهنة حصل فيها على تقديرات منخفضة .

إن ما يحصل عليه الطالب من اختبار الميول المهنية لسرونج هو معرفة ما إذا كانت ميوله - أي حبه أو عدم حبه ، تفضيله أو عدم تفضيله - تتفق أو لا تتفق وميول الأشخاص الناجحين في مهنة معينة . فمثلا يبين الطالب

ما إذا كانت ميوله تشبه أو لا تشبه ميول المحامين أو المهندسين أو علماء النفس أو رجال المال الناجحين في مهنتهم وهكذا . ونظرية سترونج التي دعمتها الحقائق التجريبية التي عكف على جمعها ما يريد على ربيع قرن ، هي أنه مع ثبات العوامل الأخرى كالقدرة مثلا ، فإن الشخص سوف يكون أكثر سعادة وبالتالي أكثر نجاحاً في مهنة ما ، يجد فيها العدد الكبير من الرجال الذين تتفق ميولهم مع ميوله . وليس معنى ذلك بالطبع أن الشخص لا يمكن أن يكون ناجحاً في عمل ما إذا كانت ميوله تختلف عن ميول هؤلاء الذين يشاركونه العمل . ولكنه قد يبدو منطقياً أنه سيكون أقل سعادة في مثل هذا العمل بما لو كان هناك عدد كبير من الناس يشاركونه هذه الميول .

وهناك نقطة يجدر الإشارة إليها وهي أن اختبار الميول المهنية لسترونج لا يعطى أى دليل على القدرة لدى الفرد . فهذه القدرات إنما تكشف عنها اختبارات القدرات أو اختبارات الذكاء . وإذا أوضح اختبار الميول المهنية أن الطالب تشبه ميوله ميول المهندسين الناجحين ، بينما تكشف اختبارات القدرات ضعف مستواه في القدرة الرياضية ، فالأجدر به في هذه الحالة أن يبحث له عن مهنة أخرى غير الهندسة . أو إذا كانت لديه القدرة ودرجة الذكاء التي تسمح له بالعمل في مجال الهندسة أو في مجال القانون ، ثم كشف اختبار الميول المهنية عن درجة عالية في الميل مع المهندسين الناجحين ودرجة منخفضة في الميل مع المحامين الناجحين ، فعلى الطالب أن يفكر جيداً في الاتجاه نحو الهندسة ، ولا يأخذ الاتجاه البديل إلا إذا كانت لديه المبررات القوية التي تدفعه إلى هذا الاتجاه .

٣ - الاختيار المهني : وضع اختبار سترونج أساساً كوسيلة تساعد طلاب الجامعة على تقرير أو اختيار الدراسة أو المهنة المناسبة . وإذا كان الاختبار يؤدي هذه الوظيفة ، فمن المعقول أن يفيد أيضاً في المساعدة في

اختبار المتقدمين للجدد للمهنة التي يمكن أن يكشف عنها الاختبار. وإذا كان الاختبار يساعد طالب الجامعة على أن يقرر أن مادة الكيمياء مثلاً هي المادة التي تتفق وخط العمل الذي يجب أن يسير فيه، فمن المعقول أيضاً أن يستخدمه الكيميائيون كوسيلة لاختبار المتقدمين لشغل وظائف في مجال الكيمياء.

وعندما يستخدم اختبار سترونج من أجل التوجيه التربوي أو المهني، وجب استخدام المعايير التي زودنا بها سترونج. ومع ذلك فعند استخدام الاختبار لأغراض الاختيار المهني، وجب أن نحصل على مادة جديدة ومعايير جديدة للصدق. وهذا أمر ضروري لبيان ما إذا كان الاختبار سيفيد أو لا يفيد من أجل تحقيق هذا الغرض. فمن الممكن أن يكون الاختبار صادقاً في اختبار موظفي شركة ما وغير صادق في اختبار موظفي شركة أخرى. وفي هذا لا يختلف اختبار الميول المهنية لسترونج عن غيره من الاختبارات الأخرى. فمن الضروري أن يعاد تقنين صدقه من جديد في كل موقف يراد استعماله فيه.

٤ - البحث :

أفاد اختبار الميول المهنية لسترونج في دراسة هذا المجال الذي تغطيه الميول وقد قام سترونج نفسه بعدد كبير من البحوث في هذا الصدد. ويمكن أن نشير إلى بعض مجالات البحث التي يفيد فيها الاختبار :

١ - فنحن نعرف الآن الكثير عن تغير الميول مع السن وأهمية ذلك في التوجيه المهني.

٢ - نحن نعرف الآن الكثير عن كيفية مقارنة اهتمامات وميول الجماعات المهنية المختلفة أحدهما بالآخرى مما يزيدنا بصيرة في عملية التوجيه المهني.

٣ — نحن نعرف الآن أن المجموعات المهنية الأعلى والادنى تختلف من ناحية الميول . وعلى ذلك ، فمن خلال الميول يمكن أن نقول شيئاً ، ليس فقط عن الاتجاه الذى يمكن للشخص أن يوجه جهوده نحوه ، بل وأيضاً أن نقول شيئاً عن مستوى المهنة الذى يهدف بلوغه .

٤ — نحن نعرف الآن شيئاً عن مدى ارتباط ميول معينة بسمات شخصية معينة وبالذكاء والقدرات المختلفة وهكذا ، فإن الميول تكون جزءاً محدداً عن الشخصية يمكن قياسه ، ولا يدرس بشكل مناسب بالأنواع الأخرى من اختبارات الشخصية .

اختبار التفضيل المهني لـ كودر :

وهذا الاختبار وضع بعد اختبار سترونج . وقد اتبع فيه كودر أسلوباً مختلفاً فى اختبار وتقدير الفقرات . وإذا كان اختبار الميول المهنية استرونج يمثل أنجهاها تجريبياً أو اختبارياً فى بناء المقياس ، فإن اختبار التفضيل المهني لكودر يمثل أنجهاها عقلياً يقوم على أسس نظرية محددة ويتجه نحو أهداف معينة دون الاستناد إلى الخبرة أو الحقائق المشتقة منها .

وقد لاحظ كودر أن اختبار سترونج من الاختبارات التى تحتاج إلى وقت طويل وجهد ، وأن وضع مقاييس مهنية تغطي المهن المختلفة الموجودة حالياً ، أمر يكاد يكون من المستحيل على إنسان القيام به . فقد استغرق سترونج ما يزيد على خمس وعشرين سنة فى وضع ٦٠ مقياساً إضافياً تغطي جانباً محدوداً من آلاف المهن الموجودة . كما لاحظ أيضاً أن بعض المقاييس الموضوعة لقياس مهن معينة يرتبط أحداها بالآخر ارتباطاً عالياً . ومعنى ذلك أن النتائج التى نحصل عليها من معرفتنا بدرجات الفرد على أحد المقاييس لن تزيد كثيراً . فتنا بدرجاته على المقاييس الأخرى . فليس ثمة كسب كبير يمكن أن يعوض

الجهد والوقت الذي يبذل في وضع المقياس ، والقيام بتقديره بعد ذلك ، ومن هنا ، كان من أحد أهداف كودر أن يؤكد منذ البداية أن أى مقياس جديد يجب الا يرتبط بمقياس آخر سبق وضعه ارتباطاً عالياً ، حتى لا تكرر النتائج التي سبق الوصول إليها من قبل . فهو يريد مقاييس لا يرتبط إحداها بالآخر . وعند اختياره لل فقرات وتقنين الاختبار ، استخدم كودر الوصف السلوكي (الصدق الظاهري) والتحليل الاحصائي من أجل الوصول إلى مجموعات يكون الارتباط الداخلي بين فقراتها عالياً ، بينما يكون ارتباطها فيما بينها منخفضاً . من هنا جاء اختياره يؤكد استقلال المجموعات إلى حد كبير بعضها عن بعض . لعل هذا هو أحد الأسباب التي من أجلها اطلق على اتجاه كودر في بناء مقياسه اسم الاتجاه العقلي . فهو قد بدأ ، لا يفرض سترونج في إيجاد الفروق التجريبية بين المجموعات المهنية المختلفة ، بل يقصد بناء مقاييس غير مترابطة أو مستقلة أحدها عن الأخرى . وهذا هدف عقلي إذا قورن بالاتجاه التجريبي لسترونج . فمكودر وضع مقاييسه دون الرجوع إلى ما يمكن أن نقيسه بالفعل في ضوء الدلالة المهنية .

ويتألف اختبار التفضيل المهني من ١٦٠ فقرة تتصل ببعض أساليب النشاط ، وهي مقسمة إلى مجموعات ، كل مجموعة منها تتضمن اموراً ثلاثة . وعلى الفرد أن يقرأ الفقرات بدقة وأن يجيب عن أى الأمور الثلاثة يفضلها أكثر من غيره ، وأياً يفضلها أقل من غيره . وهذا النوع من الأسئلة هو من نوع فقرات الاختبار المقيد forced-choice form ويختلف عن تلك التي وجدناها في اختبار الميول المهنية لسترونج . فبدلاً من أن يقرر الفرد ما إذا كان يحب أو يكره نشاطاً من الأنشطة ، فإنه — في اختبار كودر — يقرر تفضيله النسبي أو عدم تفضيله النسبي بين الأنشطة الثلاثة وذلك عن طريق ترتيبها . ويمكن

أن نوضح ذلك بمثال من أمثلة هذا الاختبار. فتلا يجد المقحوص من بين قوائم الاختبار ، قائمة الأنشطة التالية :

تشتهر بأنك رئيس معهد الأبحاث العلمية .

تشتهر بأنك مصلح إجتماعى .

تشتهر ، أنك ناقد أدبى (موضوعات أدبية) .

فعل الفرد فى هذه الحالة أن يبين أى الفقرات يفضلها أكثر من غيرها وأبها يفضلها أقل . وبالطبع نكون الفقرة الثالثة هى التى تقع فى الترتيب بين الفقرتين الآخرين . وعند التقدير تعطى الفقرة الأولى التى تدل على النشاط الذى يفضلها أكثر من غيره درجتان ، بينما تلك التى تليها درجة واحدة والتى يفضلها أقل الدرجة صفر . ومن الملاحظ أن الأنشطة الثلاثة هنا تتصل بمجالات ثلاثة مختلفة تتضمن ثلاثة مجالات مهنية يمكن أن توصف فى هذا المثال بأنها عملية واجتماعية وأدبية .

وإذا نظرنا بإمعان إلى فقرة النشاط الواحدة ، نجد أن الفرد يقوم فى الحقيقة بستة تفضيلات ممكنة . وبعبارة أخرى ، هناك طريقتان يمكن أن يتضح فيهما النشاط (أ) كاختيار أول ، وطريقتان يمكن أن يتضح فيهما النشاط (ب) كاختيار أول ، وطريقتان يمكن أن يتضح فيهما النشاط (ج) كاختيار أول . وبالإضافة إلى كل واحد منها ، هناك طريقتان يمكن أن يوضح فيها النشاط فى الاختيار الثانى ، وطريقتان يمكن أن يوضح فيهما النشاط فى الاختيار الثالث .

واختبار كودر يغطى عشرة مجالات مختلفة من النشاط وقد اعده إلى اللغة العربية الدكتور أحمد زكى صالح (١) . وهذه المجالات هى :

(١) د . أحمد زكى صالح : علم النفس التربوى : مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة التاسعة ١٩٦٦م ٢٩٥

١ - الميل للعمل في الحقل، outdoor : وصاحبه يفضل العمل في الحقل .
أغلب الوقت ومع كائنات غير إنسانية كالحيوان والنبات ، ومن أصحاب هذا
الميل الطيب البيطرى والمهندس الزراعى .

٢ - الميل للعمل الميكانيكى Mechanical : وصاحبه يفضل العمل
الآلى الميكانيكى . ومن أصحاب هذا الميل المهندس الكيميائى والمهندس
المدنى والصناعى .

٣ - الميل للعمل الحاسبى Computational : وصاحبه يفضل العمل
بالأرقام والحسابات . ومن أصحاب هذا العمل المصرف والمحاسب والمشتغلين
بمسك الدفاتر وحفظ السجلات .

٤ - الميل للعمل العلمى Scientific : وصاحبه يفضل الأعمال العلمية
والبحث العلمى والاكتشافات العلمية الجديدة . ومن أصحاب هذا الميل الطيب
والكيميائى والمشتغلين بالأجهزة الالكترونية .

٥ - الميل للعمل الذى يحتاج إلى الإقناع Persuasive : وصاحبه يفضل
التعامل مع الناس وتبنى الأفكار الجديدة وعرضها على الناس ومحاولة
اقتناعهم بها ومن أصحاب هذا الميل البائع والأخصائى الاجتماعى ومندوبى
شركات التأمين .

٦ - الميل للعمل الفنى Artistic : وصاحبه يفضل الاتجاه إلى الأعمال
الفنية من رسم وتصوير وأعمال فنية فيها إبداع ومن أصحاب هذا الميل المهندس
المعماري ومصمم الديكور والرسام والنحات والفنان .

٧ - الميل للعمل الأدبى Literary : وصاحبه يميل إلى الموضوعات
الأدبية . ومن أصحاب هذا الميل الروائى وناقده المسرح والناقد الأدبى
والمؤرخ والأدباء .

٨ - الميل للموسيقى Musical : وصاحبه يميل إلى الاستماع إلى الموسيقى أو عزفها أو القراءة عنها . ومن أصحاب هذا الميل الموسيقى .

٩ - الميل للخدمة الاجتماعية Social Service : وصاحبه يميل إلى معاونة الناس ومساعدتهم . ومن أصحاب هذا الميل الاختصاصي الاجتماعي والطبيب ورجل الدين والمرضات .

١٠ - الميل للعمل الكتابي والإداري Clerical : وصاحبه يميل إلى القيام بالأعمال المكتبية أو الإدارية . ومن أصحاب هذا الميل أعمال السكرتارية والأرشيف والأعمال الإحصائية المختلفة .

وكنا سبق أن أوضحنا ، فإن كودر أعطى وزنا قدره درجتان للنشاط الذي يفصله الفرد أكثر من النشاطين الآخرين ودرجة واحدة على النشاط الذي يفضل على واحد فقط ، وصفر للنشاط الذي يفضل أقل أو لا يفصله على أي من النشاطين السابقين .

وتستخرج الدرجات الخام الخاصة بكل ميل من الميول بعد التثبيت من صدق الإجابة وفق تعليمات خاصة بذلك عن طريق مفاتيح خاصة بالاختبار . ثم تترجم كل درجة خام إلى المقابل المائوي لها ثم يرسم بروفييل أو تخطيط الفرد العام في مختلف الميول . والتفسير المهم يتم عادة بالتعرف على أعلى تقديرين في البرو فيل ، واللذين تشيران إلى قائمة من المهن التي يعرف أو يعتقد أن هذه التقديرات تناسبها وبالإضافة إلى ذلك ، فإن المجالات التي تشير إلى أدنى اهتمام أو ميل لدى الفرد تعتبر أيضاً ذات أهمية إذ نغنى أن الفرد لا يجب العمل الذي يتطلب مثل هذا النشاط .

وقد طبق دكتور أحمد زكي صالح هذا الاختبار على مجموعات مختلفة من الأفراد ، أشار منها إلى مجموعتين : المجموعة الأولى هي مجموعة البنين وهي تبلغ

حوالى ٥٠٠ ويتراوح اعمارها الزمنية بين ١٥ - ١٩ من طلاب مرحلة التعليم الثانوى ، والمجموعة الثانية مجموعة البنات ويبلغ عددها حوالى ٤٠٠ وتقع فى مدى العمر الزمنى لمجموعة البنين . وقد استخرج المعايير الخاصة بكل مجموعة على حدة (المرجع السابق) .

وللتعرف على المجالات المهنية لا نحدد بالطبع المهنة أو المهن العديدة الخاصة التى يجب ان يقوم بها الفرد . ولذلك نجد كودر قد وضع تحت كل مجال العديد من المهن الخاصة التى ترتبط بها والتى يجب أن تلقى اهتماما من الفرد . ولما كان من المألوف أن يكشف بروفل الفرد أكثر من مجال اهتمام من التفضيل القوى ، فإن كودر يذكر عدداً من المهن التى تقع تحت الميل الممكن نحو زواج عدة من التفضيلات مثل : ميكانيكى - فنى ، ميكانيكى - على ، على - فنى ، على - خدمة اجتماعية ، ميل للاقتناع - ميل للعمل الأدبى . وهكذا . وبعض هذه القوائم قد وضعت على أساس مادة واقعية ، على حين أن بعضها الآخر قد اقيم على أساس أحكام كودر عن الثبات بين واجبات المهنة والأنشطة المتضمنة فى الاختبار .

خطوات بناء المقياس :

اتبع كودر الخطوات الآتية فى بناء المقياس :

- ١ - إعداد قائمة تتكون من ٢٠٠ وجهاً من أوجه النشاط . وهذه الأنشطة بدت - على أساس قبل - مفيدة كأدلة على تفضيل الميل . وقد رتبها كودر فى ٤٠ مجموعة كل منها من خمسة أنشطة مختلفة بحيث تكون أوجه النشاط موزعة فى كل مجموعة . وأعطى هذه الصورة من الاختبار إلى ٥٠٠ طالب بالجامعة وطلب إلى كل منهم أن يرتبها حسب تفضيله أياها وذلك فى كل مجموعة من المجموعات الأربعين .

وفي هذه الطبعة المبدئية ، بدت مجموعة من أوجه النشاط هذه ، قابلة لأن تصنف باعتبارها ميكانيكية ، في طبيعتها ، بينما بدت مجموعة أخرى أنها تقبل أن تصنف باعتبارها أدبية في طبيعتها . وباستخدام هذه الفقرات - وعلى أساس قليل - حدد أوزان الفقرات ليبين الميل للعمل الميكانيكي وتفضيله على الأنواع الأخرى من النشاط ، والميل للعمل الأدبي وتفضيله على الأنواع الأخرى من النشاط . وقد وجد كودر أن الثبات بالنسبة لفقرات المقياس الأدبي باستخدام طريقة التجزئة النصفية هو ٨٥.٠ ومن ثم اعتبره مقياساً ثابتاً بدرجة معقولة لشيء واحد هو تفضيل النشاط الأدبي . واتخذ كودر هذا المقياس نقطة ارتكاز لوضع غيره من المقاييس .

٢ - حسب كودر معاملات الارتباط بين استجابات كل فقرة من فقرات الاختبار المتئين والدرجة الكلية لمقياس الميل الأدبي وعزل الفقرات التي وجد أنها ترتبط ارتباطاً منخفضاً بالميل الأدبي وقام بدراستها . وكشفت دراسة محتوى هذه الفقرات عن وجود عدد كبير من الفقرات الدالة على تفضيل النشاط التجريبي أو العملي والذي حددته كودر بعد ذلك باسم " الميل للعمل العلمي " . وقد كوّن كودر من هذه الفقرات أساس مقياس العمل العلمي ، وحسب معامل ثباته بطريقة التجزئة النصفية ووجد أنه حوالى ٨٥.٠

٣ - فحص كودر الفقرات غير المتضمنة في المقاييس الأدبي والعلمي . واختار منها تلك التي تبدو أنها تشير إلى تفضيل النشاط الفني . وقد حدد الارتباط بين أوجه النشاط المهنية وبين هذا المقياس الجديد ، وأضاف إلى المقياس أوجه النشاط التي ارتبطت به ارتباطاً عالياً . وعند إضافة هذه الفقرات حاول كودر أن يوازن قدر الإمكان بين ارتباط هذه الفقرات والمقياس الأدبي والعلمي وذلك بقصد جعل معاملات الارتباط بينها قريبة من الصفر

وعلى نحو ما فعل أيضاً بالنسبة لكل من المقياسين الأدبي والعلمي حيث ظلت الارتباطات بينها أيضاً قريبة من الصفر .

٤ - وكان المقياس الرابع الذى وضعه كودر يهدف إلى قياس المركز الاجتماعى . واتبع فيه نفس الأسلوب الذى اتبعه فى المقاييس السابقة . ولكن المشكلة هنا كانت أكثر تعقيداً . فالفقرات يجب ألا يكون بينها أى ارتباط والمقاييس الأدبية والعلمية والفنية . وبعد تسكلة مقياس المركز الاجتماعى ، ظهر أن الفقرات المتبقية لا يمكن تصنيفها فى مقاييس أخرى ، ولذلك أضاف أوجه نشاط جديدة ولكنه وجد أنها ترتبط إلى حد ما مع هذا المقياس الأخير ولذلك أسقط كودر مقياس المركز الاجتماعى ووزع كثيراً من فقراته على مقياسين آخرين اقترح وجودهما . وتابع نفس الأسلوب من العمل إلى أن وصل إلى بناء سبع مقاييس هى : الميل للعمل الأدبى والعلمى والفنى والحسابى ومقياس الاقتناع والميل للعمل الموسيقى والميل للخدمة الاجتماعية .

وقد نشر كودر الاختبار كصورة (١) ولكن نتيجة النقد والدراسة شعر كودر بضرورة إضافة مقاييس العمل الميكانيكى والكتابى (وقد وضع كودر هذين المقياسين فى ضوء معيار ثباتهما الداخلى دون أن يهتم ببيان كيف ترتبط فقراتهما بالدرجات الكلية على المقاييس السبعة الأخرى) وأخيراً أضيف إلى الاختبار الميل إلى العمل فى الحلاء .

وقد أورد فيرجسون معاملات الارتباط بين المقاييس السبعة الأصلية وكانت منخفضة بشكل ظاهر ومعظمها كان قريباً من الصفر . وقد أشار كودر إلى أن أعلى ارتباطات وجدتها كانت بين الميل للعمل فى الحلاء ضد الميل للعمل الإقناعى (- ٤٤٩ :) والميل للعمل فى الحلاء ضد الميل للعمل الكتابى (- ٤٥٠ :)

والميل للعمل العلمى ضد الميل للعمل الاجتماعى (- ٢٤٢ .) (١) .

ويمكن القول بوجه عام أن كودر قد نجح بطريقة معقولة فى الوصول إلى هدفه وهو وضع مقاييس ثابتة من متغيرات مستقلة تقريباً . وإذا كانت هذه المقاييس تغطى الميول بطريقة مناسبة ، فإنها سوف تكون ذات قيمة كبيرة من الناحية الاقتصادية فى إعطاء الشخص فكرة عن مجالات اهتمامه واتجاهات ميوله .

وقد أورد كودر قوائم مفتوحة باليمن التى تعتبر مناسبة لهؤلاء الذين يحصلون على درجات عالية على كل مقياس من المقاييس العشرة . وقد وضعت هذه القوائم أولاً على أنها منطقى ، ولكن بعد تراكم المادة التجريبية ، أدخل عليها بعض التعديلات .

ثبات وصدق المقياس :

يتجمع ثبات مقاييس كودر على نحو ماقيست بطريقة كودر - ريتشاردسون - حول ٠.٩٠ . كما كانت معاهلات الثبات عن طريق الإعادة بعد فترات تتراوح إلى ستة فأقل ، عالية كذلك . أما الفترات الطويلة فليست هناك معلومات كافية عنها وهناك بعض الأدلة التى توحي - وبخاصة بالنسبة لتلاميذ المدرسة الثانوية - أنه تحدث تغيرات فى مجالات الميل العالية والمنخفضة عند ما يعاد إجراء الاختبار بعد سنوات (٢) .

أما بحوث الصدق فقد أجريت أساساً فى ضوء معيار الرضا عن العمل

(١) Eysenck, J. : The Structure of Human Personality, London. Methuen & Co. LTD. 1970: p. 355.

(٢) Herzberg F. & Bouton A. : A Further study of the stability of the Kuder Preference Record. Educational and Psychological Measurement, 1954, 14. 326-331.

Job Satisfaction . في تلك الدراسة الطويلة الشاملة ، طبق اختبار التفضيل لكوندر على ١١٦٤ طالباً في مدرسة مهنية . وقد أعطوا استفتاء لمعرفة رضاهم عن العمل بعد فترة من سبع إلى عشر سنوات . وفي ذلك الوقت كان ٧٢٨ منهم قد التحقوا بعمل صنف بأنه « متسق » مع أنماط الميل الأساسية و ٤٣٦ منهم قد عملوا في أعمال صنفت بأنها غير متسقة مع هذه الأنماط . وقد وجد أن نسبة العمال الراضين عن عملهم في المجموعة المتسقة كانت ٦٢٪ ، بينما نسبة العمال الراضين عن عملهم في المجموعة التي صنفت بأنها غير متسقة فكانت ٣٤٪ . ومن الناحية الأخرى كانت نسبة غير الراضين في المجموعة المتسقة هي ٣٨٪ ، بينما كانت نسبة غير الراضين في المجموعة الأخرى حوالي ٢٥٪ . وقد وجدت نتائج مماثلة في دراسات أخرى على أشخاص عملوا في مجالات خاصة مثل الأعمال الكتابية والعمال الصناعيين والموجهين للتأهيل المهني والمحاسبين وغيرها من المجالات (١) .

ثانياً : مقاييس الاتجاهات :

كانت الاتجاهات نحو الناس والأجناس البشرية المختلفة والحركات السياسية والمؤسسات الاجتماعية وغيرها من الموضوعات الهامة التي قام علماء النفس بدراساتها . وفي بداية الأمر كانت الموضوعات التي من هذا القبيل موضع اهتمام علماء النفس الاجتماعي على وجه الخصوص . ولكن المجال لم يعد قاصراً على علماء النفس الاجتماعي ، بل تعداه إلى غيرهم من علماء النفس . فنجد مثلاً علماء النفس الاكلينيكي أصبحوا في السنوات الأخيرة ، أكثر اهتماماً بالجوانب الشخصية للاتجاهات (وبخاصة دراسة التعصب) ، كما أصبحوا أكثر

(1) Kuder, G.F.: Kuder General Interest Survey, Manual, Chicago. Science Research Associates 1964.

اهتماما بالمقاييس التي يضعها علماء النفس الآخرون لفهم الفرد من الناحية الاكلينيكية.

ولقد وضعت تعريفات عديدة للاتجاهات منها تعريف اليورت للاتجاه بأنه « حالة استعداد عقلي عصبي نظمت عن طريق التجارب الشخصية ، وتعمل على توجيه استجابة الفرد للأشياء والمواقف التي تتعلق بهذا الاستعداد » . ومنها تعريف جيلفورد بأنه « حالة استعداد لدى الفرد تدفعه إلى تأييد أو عدم تأييد موضوع اجتماعي (كالاتجاه نحو التعليم) أو عمل اجتماعي (كالتحصب الإجتماعي) ومن الناحية السيكلوجية ، فإن الاتجاه يتضمن المعتقدات مثلما يتضمن المشاعر وفي هذا تمييز للاتجاه عن الميل .

ويميل البعض إلى الأخذ بالتعريفات الإجرائية التي تحاول تفسير مدلول أى مفهوم تفسيراً ينقله إلى حيز الوجود والواقع وما يمكن أن نلاحظه أو نشاهده أو نقيسه أو نتحكم فيه بالنسبة لمظاهر هذا المفهوم . وربما كان ذلك أفضل من الاتجاه إلى الفاظ مجردة غامضة أحيانا ، لشرح معنى المفهوم .

فالالاتجاه « مفهوم » يتخلله الإنسان ليصف به ترابط الاستجابات المتعددة للفرد الواحد إزاء مشكلة أو موضوع معين . فعند ما نعرض مثلا مجموعة من العبارات في استفتاء مقيد ، نجد أن الشخص يجيب عنها بشكل قد يغلب عليه الارتباط سواء كان ذلك من ناحية الموضوع الذي يعرضه الاستفتاء أو ضده فهناك مثيرات تتمثل في استلة الاستفتاء أو عباراته وهناك استجابات يغلب عليها الارتباط إزاء هذه المثيرات بصرف النظر عن كونها أو ميلها . ونحن لسكى نربط بين المثيرات والاستجابات نفترض وجود متغيرات وسيطة بين هذه المثيرات والاستجابات . فالالاتجاه مفهوم يعبر به عن الترابط بين المثيرات والاستجابات تجاه موضوع أو موضوعات معينة . فالالاتجاه إذن بناء

أو تكوين فرضي أو مفهوم يستدل على معناه من ترابط السلوك الظاهري للفرد إزاء مواقف الاستفتاء مثلاً . وقد عرف كامبل (١) الاتجاه الاجتماعي مثلاً تعريفاً إجرائياً بقوله أن الاتجاه الاجتماعي لفرد ما هو الترابط الرصين لاستجاباته بالنسبة لمجموعة من المشكلات الاجتماعية .

وقد يعبر الفرد عن اتجاهه نحو موضوع أو مشكلة ما ، لفظياً سواء بشكل مستثار (عند توجيه سؤال له مثلاً) أو تلقائى . كما قد يعبر عنه عملياً في صورة سلوك يمكن ملاحظته .

وقد يرتبط الاتجاه اللفظي بالاتجاه العملي بحيث يمكن الاستدلال من اتجاهه اللفظي على سلوكه العملي ولكن قد يختلف الاتجاه اللفظي عن الاتجاه العملي . والتجارب على ذلك كثيرة منها : دراسة زابف على الاتجاه نحو الخرافات والتي حاول أن يقارن فيها بين نتائج قياس الاتجاه اللفظي نحو بعض الخرافات والاتجاه العملي نحو نفس هذه الخرافات . فبعد أن عرف الاتجاه اللفظي لبعض الطلاب نحو عدد من الخرافات وكيف أنهم لا يؤمنون بصحتها ، وضعهم الباحث في موقف عملي يعبرون فيه عن اتجاههم عملياً نحو هذه الخرافات التي لا يؤمنون بها لفظياً ، فلم يجد سوى اثنين فقط عبرا عملياً عما اعتقد به لفظياً (خرافة أن كسر المرآة يجلب سوء الحظ) (٢) .

ومن ذلك أيضاً دراسة لايبير التي قام بها لدراسة الاتجاهات نحو الصينيين (١٩٣٤) . فقد صحب اثنين من الصينيين في رحلة عبر الولايات المتحدة . . . وقد توقفوا في ٦٦ فندقاً للنوم و ١٨٤ مطعمًا لتناول الطعام . وقد رفض محل

(١) Campbell, D.T. : The indirect assessment of social attitudes. Psychol. Bulletin. 1950. 47. 15-38.

(٢) د. نجيب إسكندر إبراهيم ود. لويس كامل مليكة ود. رشدي قام منصور : الدراسة العلمية لسلوك الاجتماعى . القاهرة : مؤسسة المطبوعات الحديثة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦١ ص ٣٩٨ .

واحد فقط تقديم خدمات لهم . وبعد ذلك قام لابيير بسؤال مديري هذه الفنادق والمطاعم عما إذا كان من الممكن تقديم خدمات للصيدين ، فأجاب ٩٣٪ من أصحاب المطاعم و ٩٢٪ من أصحاب الفنادق برفضهم تقديم مثل هذه الخدمات .

وسوف نعرض في مجال الاتجاهات لطريقتين مختلفتين هما طريقة ثرستون وطريقة ليكرت . وليس معنى ذلك أنهما الطريقتان الوحيدتان لقياس الاتجاهات . فهناك طرق أخرى منها طريقة بوجاردس للبعد الاجتماعي ومقياس جتمان ومقياس ادواردز وكلياتريك ، وغيرها ، ويقوم اختيارنا لمقياس ثرستون ومقياس ليكرت على أساس أنهما يمثلان أسلوبين مختلفين في بناء المقياس . ففي طريقة ثرستون وهي طريقة (الفترات المتساوية البعد) تم وضع مقياس فقرات الاختبار قبل جمع مادة الاتجاه . ولذا يسميه فيرجسون بأنه أسلوب قبلي *a priori* ، بينما في مقياس ليكرت ، فإن مقياس فقرات الاختبار قد تم بعد جمع مادة الاختبار ولذا يسميه فيرجسون بأنه أسلوب بعدي *a posteriori*

١ - مقياس الاتجاهات لثرستون :

بدأ قياس الاتجاهات بشكل ظاهر عند ما اقترح ثرستون طريقته منذ أكثر من أربعين سنة . وظهر الوصف الكامل لأول اختبار له في قياس الاتجاهات سنة ١٩٢٩ باسم قياس الاتجاه وكان يمثل جهداً مشتركاً بين ثرستون وشيف E. J. Chave من جامعة شيكاغو . وكانت عايرتهما تهدف إلى وضع مقياس (وحداته متساوية البعد) على نحو ما طبّاه في وضع مقياس الاتجاه نحو الكنيسة . ولقد أعد ثرستون وتلاميذه ما يزيد على ٣٠ مقياساً لدراسة الاتجاهات نحو الكتاب المقدس وتحديد النسل والرقابة والصيدين

والشيوعية والطلاق والوضع الاقتصادي للمرأة والإرساليات الأجنبية وحرية التجارة وحرية الكلام ومسئولية الألمان في الحرب ونحو الاعتقاد في وجود الله ونحو الأمانة في الأعمال العامة والهجرة والزواج والقانون والوطنية ومعاملة المجرمين وعقوبة الإعدام وما إلى ذلك من الموضوعات التي درس ثرستون وتلاميذه اتجاه الناس نحوها .

خطوات بناء المقياس :

إن المسئلة الأساسية في طريقة المسافات المتساوية البعد هي أن هناك مجموعة من الفقرات أو العبارات يمكن أن تتخذ كملاحظات على مقياس متدرج لقياس الاتجاهات ، وأن كل عبارة تمثل درجة معينة من التقبل أو الرفض تكون موضوعة على مسافات متساوية البعد على المدى السكلي للمتسلسلة الاتجاه . والنظرية التي تقوم عليها هي أنه إذا أوضح الفرد أية عبارة يقبلها أو يرفضها فإن من الممكن أن نضعه في موضع محدد على منظومة الاتجاه .

وتصبح المشكلة في بناء المقياس هي اختيار المجموعة المناسبة من العبارات وتحديد المواقع التي تمثلها كل عبارة على منظومة الاتجاه . وقد اتبع ثرستون وشيف الخطوات الآتية لحل هذه المشكلة :

(١) جمع العبارات : ويتطلب الأمر في البداية جمع بعض الأفكار عن موضوع الاتجاه المراد دراسته ، وقد تجمع هذه العبارات من الصحف أو من الناس . فمثلا إذا كان المقياس المراد وضعه هو لقياس الاتجاهات نحو اتحادات العمال ، فإن من الممكن أن نطلب من عينة من الأفراد تكون شبيهة بالمجموعة التي سيطبق عليها المقياس كتابة آراءهم في هذا الموضوع وما يشعرون تجاهه . والعبارات التي تبدو طبيعية هي تلك التي يحتمل أن يكتبها الناس ،

وبذلك تغطي بشكل واسع جوانب مختلفة من الموضوع . وقد تكون هناك عبارات متطرفة جداً لم ترد عند هؤلاء ، وهذه يمكن لواضع المقياس أن يكتبها ، كما يمكنه أن يضع أيضاً فقرات محايدة بمعنى أنها لا تؤيد أو ترفض الاتجاه .

وفي العادة يمكن أن يحصل واضع المقياس بهذه الطريقة على عدد كبير من الفقرات قد يصل إلى بضع مئات . وهذا العدد يتوقف في العادة على الحاجة التي تواجه الباحث واستبصاره .

وبعد جمع الفقرات ، تكتب كل فقرة منها على بطاقة منفصلة مع مراعاة الدقة في الصياغة .

وقد أشار وانج C.K.A. Wang أحد تلاميذ ثرستون إلى بعض القواعد التي يجب مراعاتها عند صياغة الفقرات تشير منها إلى أنه :

١ - يجب أن تكون الفقرة قضية قابلة للمناقشة بمعنى أن تمثل فكرة ولا تمثل حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل .

٢ - يجب أن تناسب الفقرة الاتجاه المراد قياسه .

٣ - يجب أن تكون الفقرة بسيطة وليست مركبة .

٤ - يجب أن تكون الفقرة قصيرة .

٥ - يجب أن تكون الفقرة كاملة في بيان اتجاه محدّد نحو موضوع خاص .

٦ - يجب أن تحتوي الفقرة على فكرة واحدة .

٧ - يجب أن تكون الفقرة واضحة ومحددة ومباشرة ، ومن ثم يجب أن تستبعد الفقرات الغامضة والمبهمة .

٨ - يجب أن توضع الفقرة في صيغة المجهول وليس في صيغة المذكر للجهول .

(٢) تقييم العبارات : وبعد جمع الفقرات وصياغتها جيداً ، وكتابة كل فقرة منها على بطاقة منفصلة ، نواجه بمشكلة تحديد موضع كل عبارة على متسلسلة الاتجاه . ويتم ذلك بعرض العبارات على عدد من المحكمين ويطلب إلى كل منهم مستقلاً عن الآخرين أن يوزع كل عبارة حسب شدتها على الإحدى عشرة خانة التي تكون متسلسلة الاتجاه . فإذا رأى أن العبارة إيجابية أو تعبر عن تقدير أعلى لقيمة الشيء ، وضعها في الخانة رقم ١ ، وإذا رأى أنها سلبية أو تعبر عن تقدير أدنى لقيمة الشيء وضعها في الخانة رقم ١١ وإذا رأى أنها متوسطة الشدة وضعها في الخانة ٦ وعلى هذا الأساس يقوم بتوزيع العبارات كل حسب شدتها وفي الموضع الذي يراه مناسباً لها على متسلسلة الاتجاه . وقد ظهرت طرق أخرى غير طريقة ثرستون هذه لتقييم الفقرات أشهرها طريقة سيشور وهافنر Seashore & Havner والتي تضع العبارات كلها في قائمة واحدة ، وأمام كل عبارة مجموعة من الحروف والأرقام ، ويضع الحكم علامة على الحرف أو الرقم الذي يراه مناسباً لتمثيل صدق العبارة . وبهذا نتجنب ضرورة وضع العبارات كل في ورقة مستقلة أو في أكوام مثلاً . ومع ذلك فكلاهما توصل إلى نفس الغرض ، وإن اعتقد سيشور أن طريقته أيسر وأسهل وأكثر اقتصاداً في الوقت والجهد .

(٣) تحديد أوزان الفقرات : يقوم الباحث بحساب القيمة الوسيطة ومعامل الغموض لكل عبارة . ولتحديد هذه القيم ، نحسب أولاً عدد مرات تكرار كل فقرة بالنسبة لكل موضع على المقياس وهذا يعطينا التوزيع التكراري البسيط . نحول هذا التوزيع التكراري البسيط إلى توزيع تكراري متجمع . ثم بعد ذلك نحول هذا التوزيع التكراري المتجمع إلى توزيع مثنوي متجمع . ثم نحسب الربيع الأول والثاني والثالث وهي التي تمثل على التوالي النقطة الميضية ٢٥ ، ٥٠ ، ٧٥ . ويمكن أن نحسب هذه عددياً من التوزيع

المبني المتجمع أو بالرسم البياني . والمبني الخمسين في التوزيع هو الذي يمثل القيمة الوسيطة للعبارة . أما المبني الـ ٧٥ والمبني الـ ٢٥ فيستخدمان لتحديد غموض العبارة وهذا يمكن الحصول عليه من المعادلة : الرئيس الثالث - الرئيس الأول

فدليل الغموض إذن هو نصف الفرق بين المبني الـ ٧٥ والمبني الـ ٢٥ أو ما يعرف عادة بالمدي الربيعي . ومن المعروف أن العبارات الغامضة يكون اختلاف تقديراتها بين المحكم كبيراً ويكون مداها الربيعي كبيراً كذلك ، بينما العبارات المحددة يكون اختلاف تقديراتها بين المحكم صغيراً ، ومداها الربيعي صغيراً كذلك (١) .

(٤) وبعد تحديد القيمة الوسيطة : فن المقيد أن ترتب العبارات حسب قيمها الوسيطة . ويتحدد العدد التام للعبارات التي تسبق في المقياس بطريقة افتراضية . وكان ثرستون يميل إلى جعل عدد فقرات المقياس ٧٠ فقرة أما غيره فكانوا يختلفون بالنسبة لهذا العدد . فمنهم من كان يحسب ٥٠ فقرة أو أكثر ، ومع ذلك فطول عدد الفقرات تحدده اعتبارات متعلقة منها أثر ذلك على قدر ثبات المقياس . وبوجه عام ، وداخل حدود معينة ، فإنه كلما كان المقياس أطول ، كانت درجاته أكثر ثباتاً .

أما بالنسبة للعبارات الغامضة ، فإن مقياس غموض العبارات فهو المدي الربيعي . وليس ثمة شك أننا نرغب أن تكون عبارات المقياس واضحة ومحددة المعنى . ويجب أن يكون هناك مسبار يساعد على اختيار العبارات الأقل غموضاً في مقابل العبارات الأكثر غموضاً . فإذا كان لدينا مثلاً سبع عبارات صالحة ، ونحن نريد ثلاث عبارات فقط ، فيجب أن نختار الثلاثة الأقل درجة على مستوى الغموض . ويتم ذلك باختيار العبارات الثلاثة ذات المدي الربيعي الأقل .

(١) Ferguson, W.L. : Personality Measurement. New York. Mc Graw-Hill Book Company Inc. 1952, p. 89.

(هـ) والخطوة الأخيرة هي اختبار الوحدات التي تتوزع فيها بينما نثقل مدى واسعا من الشدة يسمح للمقوسين بالتعبير عن اتجاهاتهم أحسن تعبير. هذا وإذا كان لدينا عدداً كبيراً من الفقرات الصالحة ، فمن الممكن عمل صورتين متكافئتين . ويجب وضع الفقرات في كل صورة عشوائياً وليس حسب ترتيب أوزانها في المقياس.

والعبارات الآتية مأخوذة من جيلفورد (١) وهي فقرات مختارة من مقياس اتجاهات نحو فريق كرة القدم بالجامعة وهي مرتبة هنا تنازلياً لتوضح أوزان كل فقرة . وقد تم تقديرها وفق مقياس من سبع قطع .

- ٨.١ كرة القدم نشاط يارز للجلسة ،
- ٧.١ فريق كرة القدم الناجح أكثر دعاية لكليات في أوجاه البلاد .
- ٦.١ كرة القدم بالجامعة تقوى جسم الطالب .
- ٥.١ كرة القدم قدم الوسيلة لتفريغ الطاقة .
- ٤.٥ كرة القدم بالجلسة يجب أن تخضع للدراسة .
- ٣.١ الطالب يكسب القليل من ليه ولذا فهي جذيرة بالاهتمام .
- ٢.٢ كرة القدم بالجلسة وسيلة لكسب المال خب .
- ١.٥ اعتقد بشكل جازم أنه يجب إلزامها .

ومن الملاحظ أن الوزن العالي للفقرة يشير إلى اتجاه نحو كرة القدم وتأييد الرأي للشفع له ، بينما الوزن المنخفض فيدل على اتجاه ضد كرة القدم وسلطة الرأي القائل بتشجيعها .

وهذه الطريقة التي لجأ إليها ترستون أمكن وضع مقابلة تحتوي على عبارات قدرت بأنها مقابلة البعد إحكاماً عن الأخرى ؛ ولما قم وأوزان يمكن أن تقرر من شخص لآخر . ومقابلة أخرى إذا اختار الشخص (١)

(١) Guilford, J. P. : Personality. New York , Mc-Graw-Hill Book Company, Inc. 1959.

فقرة لها أهلى قيمة وسيطية توضح الاتجاه الأكثر تقبلاً، واختار الشخص (ب) فقرة مختلفة هى أبعد ما تكون عن الموافقة ، فمن الممكن القول بصورة أكثر دقة أن الشخص (أ) أكثر تعاطفاً فى الاتجاه من الشخص (ب) . فطريقة ثرستون تسمح لنا إذن باستخدام العبارات الكمية عن اتجاهات الناس .

ولقد أدخل ريمرز وسيلانس تعديلاً طفيفاً على طريقة ثرستون يقلل من الجهد الكبير الذى يبذل فى بناء مقياس لكل اتجاه فريد بناءه . ولذلك لجأ ريمرز وسيلانس إلى وضع مقياس « عام » بمعنى أنه يمكن أن يفيد فى معرفة الاتجاه نحو أى موضوع أو أية مؤسسة . فالعبارات التى يتضمنها المقياس تصلح بصرف النظر عن أية مؤسسة معينة بالذات فريد قياس الاتجاه نحوها . وبالطبع فى مثل هذه الحالة ، علينا أن نذكر اسم الموضوع المراد قياس الاتجاه نحوه أو النشاط المراد قياس الاتجاه نحوه ونضمن ذلك فى العبارات مع بقاء العبارات المستخدمة واحدة تفيد فى أى مقياس .

ويمكن أن نشير إلى بعض الفقرات العامة التى تشتمل عليها الصورة (أ) من مقياس « إيتا كليلي » لقياس الاتجاه نحو أية مؤسسة وبصورة عامة .

- رقم الفقرة ١ كامل من كل ناحية .
- ٢ أحسن المؤسسات .
- ١١ يساعد مساعدة حقة فى مواجهة المشكلات الاجتماعية .
- ١٣ لازم وضرورى لبقاء المجتمع .
- ١٩ يتقدم مع الزمن .
- ٢٤ متحرر جداً فى سياسته .
- ٣٢ أنا أنى جداً لدرجة لا يفيد المجتمع .
- ٤١ فى حالة ميثوس منها .
- ٤٥ ليست له قيمة إيجابية .

ولكن مثل هذه المقاييس العامة قد تثير مشكلات كثيرة . فهل يمكن مثلاً لمجموعة من العبارات أن تستخدم لقياس الاتجاه نحو الزواج وهي نفسها تستخدم لقياس الاتجاه نحو نظام العقوبة في المجتمع وكلاهما نظام اجتماعي . وإذا فإن الكثيرين ينصح باتخاذ الحذر الشديد عند استخدام مثل هذه المقاييس العامة .

وثمة مشكلة كامنة في وضع المقاييس من نوع مقياس ثرستون ترجع إلى الآثار الممكنة لاتجاهات الحكم أنفسهم على تصنيفهم للعبارات ، وقد أدرك ثرستون هذه الصعوبة في قوله : « إذا اعتبر المقياس صادقاً ، فإن أوزان العبارات يجب ألا تتأثر بآراء الناس الذين ساهموا في بناء المقياس ، ثم أضاف ، وإلى أن تظهر الأدلة التجريبية ، سوف نفترض أن أوزان العبارات مستقلة عن توزيع اتجاه الناس الذين صنفوا العبارات » .

غير أن دراسات أخرى مثل دراسة فرانزورث (١٩٤٢) وشريف وشريف ونرجول (١٩٦٥) أوضحت أنه تحت ظروف معينة ، فإن أوزان المقاييس تتأثر بشكل دال باتجاهات الحكم . وعلى ذلك فإن تغييرات كبيرة ودالة في أوزان العبارات نحو الحرب ، قد حدثت في الفترة من ١٩٣٠ ، ١٩٤٠ ، وبالمثل في الاتجاه نحو الزواج حين أعيد تقديره على مجموعات من الزنوج والبيض (١) .

الثبات والصدق :

بالنسبة للثبات فمن الممكن دراسته بالتجزئة النصفية أو بإيجاز معامل الارتباط بين الصور المتكافئة للمقاييس . وقد ذكر ثرستون أن ثبات جميع المقاييس عنده يزيد على ٨٠ ، وإن كان باحثون آخرون وجدوا ارتباطات أقل على نحو ما أوضحت أبحاث ليكرت وروسلو وميرفي .

(١) Anastasi, Anne : Psychological Testing. New York, The Mac-Millian Company 1968.

أما بالنسبة للصدق ، فقد حسب ثرستون وشيف بأن أوجدا الارتباط بين مقياسهما نحو الكنيسة ومقاييس التقدير الذاتي في ضوء تمييزها للمجموعات الدينية وفي ضوء تمييزها بين الأعضاء المنتمين أو غير المنتمين للكنيسة . وقد أوضحا الدرجات على مقياس الاتجاه يرتبط مع مقاييس التقدير و ٠,٦٧ ، وأن الكاثوليك يحصلون على درجات أعلى من اليهود وأن الأعضاء المنتمين إلى الكنيسة يحصلون على تقديرات أعلى من غير المنتمين .

٢ - مقياس ليكرت

وهذا المقياس من وضع رئيس ليكرت (١٩٣٢) Reusis Likert وهو يختلف عن مقياس ثرستون حيث أن أوزان المقياس يتم تحديدها بعد - وليس قبل - جمع مادة الاتجاه . وهذا هو السبب في أن فيرجسون سمي هذا المقياس بأنه مقياس بعدى *a posteriori* وليس مقياساً قبلياً *a priori* على نحو ما هو عليه الحال بالنسبة لمقياس ثرستون .

وثمة اختلاف آخر هو أن مقياس ليكرت يشتمل على عدة عبارات تتصل بالاتجاه المراد قياسه ولكن أمام كل عبارة منها درجات من الموافقة والمعارضة (موافق جداً ، موافق ، متردد أو سلبان ، معارض ، معارض جداً) ويطلب من الفرد في هذه الحالة أن يضع علامة على الإجابة التي تعبر عن رأيه أحسن تعبير بالنسبة لكل عبارة من العبارات التي يحتويها المقياس بينما في مقياس ثرستون ، كان الفرد يضع علامة على العبارات التي يوافق عليها فقط ، دون أن يعبر عن درجة اتجاهه إزاء كل عبارة .

يضاف إلى ذلك أن طريقة ليكرت لا تحتاج إلى تصنيف الفقرات بواسطة مجموعة من الحكماء ، فالعبارات تختار فقط على أساس استجابات الأشخاص

الذين يطبق عليهم خلال وضع المقياس . والثبات الداخلى هو المعيار الوحيد غالباً لاختيار العبارة ، رغم استعمال معايير أخرى خارجية أحياناً .

خطوات بناء المقياس

(١) جمع العبارات التى يرى الباحث أنها تتصل بالانجاء المراد قياسه وهذه العبارة إما أن يضعها الباحث نفسه أو يستعين بمقاييس أخرى سابقة أو عبارات من الصحف والتعليقات والأحاديث وغيرها . وكل عبارة يجب أن تكون من النوع الذى يستجيب له الأفراد المختلفون - إذا أعطوا الفرصة لذلك - استجابات مختلفة ، أى تكون من النوع الذى يعبر عن الآراء المختلفة للأفراد المختلفين . ومن الضرورى تجنب العبارات التى تقرر حقائق وكذلك العبارات الغامضة أو المبهمة أو العبارات المتعددة الأجزاء أو العبارات التى تعكس أكثر من متغير واحد .

(٢) تطبيع العبارات ، بعد صياغتها صياغة جيدة ، وبعد التأكد من مناسبتها للاستجابات البديلة على المقياس (موافق جداً ، موافق ، متردد أو سيان ، غير موافق ، غير موافق جداً أو نعم ، لا ، أو أية صورة أخرى) . ثم تعرض قائمة العبارات على عينة من الأفراد ممثلة للمجتمع المراد تطبيق المقياس عليه . وفى هذه المحاولة المبدئية . سوف تثار تعليقات أو استفسارات حول غموض بعض العبارات أو الكلمات أو عدم وضوحها والتى لم يمكن كشفها من قبل . مما يمكن للباحث من إدخال التعديلات أو التصميمات اللازمة لإعداد الصورة النهائية للمقياس . وهنا نجد اختلافاً واضحاً بين مقياس ليكرت ومقياس ثرستون ، حيث لا نجد فى مقياس ليكرت خطوة المراجعة الموضوعية للغموض ، ومن ثم فإن احتمال وجود عبارات غامضة أو مبهمة فى مقياس

ليكرت أكبر منه في مقياس ثرستون . ولذا فإن خطوة المراجعة المبدئية هذه يجب أن تتم بدقة بالغة في مقياس ليكرت .

وليس هناك عدد محدد لفقرات المقياس عند ليكرت . فقد استخدم مثلا ٢٤ فقرة في مقياس الاتجاه العالمى ، ١٢ فقرة في مقياس النزعة الامبريالية ، ١٥ في مقياس الزوج بينا آخرون (مثل رندكويست) استخدموا عدداً واحداً من العبارات في كل مقياس من المقاييس المتضمنة . وعلى العموم فإن عدد العبارات التى يشتمل عليها المقياس يختلف من باحث لآخر . كما يخضع لاعتبارات عديدة .

ويمكن أن نشير في هذا الصدد إلى بعض فقرات مقياس ليكرت نحو الزوج ولم تكن هذه العبارات منفصلة . بل كانت متضمنة في مسح عام لقياس الاتجاه العالمى والامبريالية

العبارة ٢ : إذا ذهبت إلى كافتريا في إحدى مدن الشمال (بأمريكا) وجلست ثم تبينت أن زنجياً يجلس معك على نفس المائدة . فهل تترك المائدة ؟ نعم ... ؟ لا ...

العبارة ٣ : هل تصافح زنجياً ؟ نعم ؟ لا

العبارة ٥ : هل تحس بارتياح إذا سمعت أن زنجياً

اشترى منزلاً أو مزرعة ما نعم ؟ لا

العبارة ٩ : جميع الزوج يهتمون إلى جنس واحد ويجب أن يعاملوا نفس المعاملة : موافق جداً ، موافق ، متردد . معارض ، معارض جداً .

العبارة ١٠ : بيوت الزوج يجب أن تزل عن بيوت البيض : موافق جداً موافق ، متردد ، معارض ، معارض جداً .

العبارة ١١ : طالما أن إعداد المعلمين واحد للجميع . فيجب أن يتقاضى المعلم الزنجى نفس الأجر الذى يتقاضاه المعلم الأبيض .

موافق جداً ، موافق . متردد . معارض ، معارض جداً

(٣) تحديد أوزان الفقرات : ولم يوضح ليكرت الطريقة التي بواسطتها يمكن تحديد هذه الأوزان على المقياس ، وإن كان قد استخدم أوزانا اعتبارياً بإعطاء الدرجة ٥ للموافقة الشديدة بالنسبة للاتجاه المراد قياسه ، والدرجة ١ للمعارضة الشديدة . ومعنى ذلك أن الاجابة المؤيدة للاتجاه الذى نقيسه هي التي نأخذ الدرجة ٥ (سواء كانت هي موافق جداً بالنسبة لبعض الفقرات أو معارض جداً بالنسبة لبعضها الآخر) . بينما الاجابة المعارضة للاتجاه الذى نقيسه فتعطى درجة واحدة ، وتمثل الدرجة الكلية لفرد ما بمجموع درجاته في العبارات المختلفة التي يتكون منها المقياس والتي يجب أن تفسر في ضوء المعايير الموضوعية تجريبيًا

(٤) تحسب معاملات الارتباط بين كل عبارة والدرجة الكلية للمقياس وتستبعد العبارات التي لا ترتبط ارتباطاً عالياً بالدرجة الكلية للمقياس . وبذلك يتحقق للمقياس معيار الاتفاق الداخلي .

هذا وقد قدم جيلفورد (١) طريقة إحصائية لاختلاف نتائجها كثيراً عن النتائج التي وصل إليها ليكرت بطريقة الأوزان الاعتبارية . وقدم فيرجسون مثالا لذلك اتبع فيه طريقة جيلفورد ومستخدمًا المادة التي قدمها ليكرت (٢) .

-
- (1) Guilford, J. P. : Fundamental Statistics in Psychology and Education. New York. Mc Graw - Hill Book Company, Inc. 1942.
 - (2) Ferguson, W. Leonard : Personality Measurement. New York. Mc-Graw-Hill Company, Inc. 1952, p. 129.

الفصل الثاني عشر

مقاييس الشخصية

بدأت جهود الباحثين في تقييم السمات ، غير العقلية ، للشخصية تنضج في القرن التاسع عشر . ابتداء من جالتون (١٨٧٩) ثم بيرسون الذي ابتكر الاستفتاءات ومقاييس التقدير . وخلال الحقبة الأخيرة من القرن التاسع عشر والحقبة الأولى من القرن العشرين ، حاول يونج في سويسرا استخدام اختبارات تداعى السمات وتبعه في أمريكا كنت وروزانوف وربابورت وغيرهم بقصد عرض بعض سمات الشخصية التي تكمن في الأعماق ، وبقصد المساعدة في التمييز - إذا أمكن ذلك - بين الاضطرابات العقلية المختلفة . ورغم أن اختبارات تداعى السمات واختبارات الجمل الناقصة لا تزال تستخدم حتى اليوم في المبادئ النفسية من أجل تشخيص بعض سمات الشخصية ، إلا أن استخدامها أقل بكثير من استخدام اختبارات الشخصية بمعناها الضيق المحدود .

ومع الانتشار الواسع لاختبارات الذكاء الفردية في المبادئ النفسية والمدارس ، أصبح من الواضح أنه بالنسبة لبعض الحالات ، يكون أداء الفرد في الاختبار ، أعنى نجاحه أو فشله ومحتوى استجاباته ونوعها ، ليس فقط دليلاً على قدرته العقلية بل وأيضاً يكشف عن بعض سمات شخصيته . وقد حفرت هذه الحقيقة ، بالإضافة إلى الاهتمامات الإكلينيكية والعلمية بالشخصية إلى وضع الأنواع العديدة من الاختبارات لقياس الشخصية .

وتعد اختبارات الشخصية من أكثر الأدوات انتشاراً بين علماء النفس وبخاصة في الولايات المتحدة رغم الانتقادات الشديدة التي توجه أحياناً إلى

مثل هذه الاختبارات والاختبارات الشائعة لقياس الشخصية - وهي أساساً اختبارات ورقة وقلم - هي في الحقيقة نوع من الإستبار المقنن . standardized Interview . وسواء كان قصد عالم النفس هو قياس الانجذارات أو الميول أو العلامات العصبية ، فإن طريقة الاختبار تمدنا بقائمة من الأسئلة المعدة مسبقاً إعداداً جيداً والتي مرت بخطوات عديدة من البحث والدراسة حتى انتهت إلى هذه الصورة من الاختبار والتي يجب عليها الفرد عادة بنعم أو لا أو لا أدري وهناك بالطبع أنواعاً عدة من هذه الإجابات كأن يضع المفحوص علامة تحت الاختبار الذي يفضلهُ أكثر من غيره أو يختار إجابة من بين عديد من الإجابات المحتملة وهكذا . وعلى أى حال ، فإن الدرجة الموضوعية التي يحصل عليها الفرد ، تكون مستمدة من درجات عينات التقنين التي قن عليها الاختبار في مراحل تكوينه .

واختبارات الشخصية تتطلب من المفحوص الإجابة عن أسئلة مباشرة تتصل بذاته أو آرائه أو بأشياء أخرى كمعاداته وإحساساته وخوافه وما يفضلهُ أو لا يفضلهُ من أشياء . وتصاغ الفقرات عادة في صورة مثبتة أكثر منها في صورة سؤال . وتصاغ الفقرة أو العبارة عادة في صيغة المتكلم (أشعر أحياناً برغبة في تحطيم الأشياء) أو في صيغة المخاطب (هل تشعر بالضيق إذا راقبك الناس أثناء أدائك لعملك حتى ولو كنت تؤديه جيداً) أو في صورة الغائب (أحياناً «س» يخاف من البقاء وحيداً في الظلام) وقد يكون لهذا النوع الأخير ميزة إذا كان الاختبار يقوم بملئه شخص لمعرفة رأيه فيما يتصل بشخص آخر تربطه به صلة قوية ، على نحو ما يحدث مثلاً في عيادات التوجيه الأسرى حيث يقوم الزوج والزوجة بالإجابة عن الأسئلة عن نفسه وعن الآخر . وعلى العموم فإن أغلب اختبارات الشخصية تصاغ عباراتها عادة مثبتة وفي صيغة المتكلم أو المخاطب .

واختبارات الشخصية الموجودة حالياً لا يمكن حصرها في هذا المجال .
فهناك عدد كبير جداً من الاختبارات السيكولوجية التي يفترض أنها تقيس
الشخصية . وقد تواجهنا بعض الصعوبات في تحديد طبيعة اختبارات الشخصية
أو تصنيفها لوجود عناصر مشتركة . فقد أفردنا فصلاً مستقلاً لمقاييس الميول
والانجاذبات ونفرد هنا فصلاً مستقلاً عن اختبارات الشخصية مما قد يوحي
للفرد أن اختبارات الميول والانجاذبات ليست لها صلة باختبارات الشخصية .
وقد حاول فيرجسون توضيح هذه المشكلة ، بأن نظر إلى اختبارات الشخصية
بمعنيين : معنى عام يضم كل اختبارات الشخصية بما في ذلك اختبارات الميول
والانجاذبات والخلق وما إليها ، ومعنى خاص محدود يشير إلى تلك الاختبارات
التي تقيس سمّة أو سمات معينة في الشخصية .

وقد أشار فريمان (١) إلى خمسة أنواع من اختبارات الشخصية بالمعنى
العام تلك التي :

- ١ — تقدر سمات خاصة (سيطرة ، ثقة بالنفس ...)
 - ٢ — تقسيم التوافق لنواحي متعددة في البيئة (المنزل ، المدرسة . المجتمع)
 - ٣ — تصنيف في مجموعات إكلينيكية (بارانويا ، شخصية سيكوباتية)
 - ٤ — تميز الأشخاص في مجموعتين أو ثلاثة (اضطرابات سيكوسوماتية
في مقابل العاديين) .
 - ٥ — تقييم الميول والانجاذبات والقيم (ميول مهنية وانجاذبات نحو الدين
وقيم عليّة واقتصادية) .
- وهذا التقسيم إلى مجموعات خمسة ليس معناه أن اختبارات كل مجموعة

(1) Freeman, S. Frank.: Theory and Practice of Psychological
Testing. New York, Holt, Rinehart and Winston, 3ed, 1968.

منفصلة عن المجموعات الأخرى ، فالفروق بين المجموعات ترجع إلى الأهداف والتنظيم وطبيعة المحتوى الكلى وغيرها . وجميع اختبارات الشخصية تقوياً أساساً على مبدأ أن السلوك والشخصية هو في جزء منه يعبر عن سمات معينة وأنه بواسطة هذه الاختبارات يمكن تقدير وجود هذه السمة أو السيمات وقوتها .

— وترجع بداية اختبارات الشخصية إلى عام ١٩١٧ حيث وضع دورث ورت ، أول اختبار لقياس الشخصية والذي نماه وطوره بعد ذلك . ثم أتى بعده عدد من علماء النفس الذين ساروا في نفس الاتجاه . وكان كل اختبار يقيس في الحقيقة بعداً واحداً من أبعاد الشخصية . ثم تطورت وسائل القياس بعد ذلك وتطورت الوسائل الإحصائية في بناء المقاييس مما ألحقت نتائجها ونتائج الباحثون إلى قياس أبعاد متعددة في الشخصية ومن هنا نجد البعض من أمثال فرجسون في حديثه عن هذا النوع من اختبارات الشخصية معناه الخاص المحدود يقسم هذه الاختبارات إلى قسمين كبيرين :

الأول : الاختبارات الأحادية البعد Unidimensional Tests وهي التي تقيس سمة واحدة أو بعداً واحداً من أبعاد الشخصية كالانطواء أو الانبساط أو العصاية . والسمة المقاسة قد تكون محدودة في مجالها أو قد تكون متسعة للغاية . ولكن مهما كانت طبيعتها ، فإنها تعد بعداً واحداً أو وظيفة واحدة .

الثاني : الاختبارات المتعددة الأبعاد Multi-dimensional Tests ونستخدم في قياس أكثر من سمة كذلك التي تكشف عن أهم سمات الشخصية التي تميز الأفراد بعضهم عن بعض . وقد يتكون الاختبار المتعدد الأبعاد من استعمال عدة اختبارات أحادية البعد معاً وفي وقت واحد أو قد يتكون من استعمال نفس المجموعة من الفقرات ولكن تقدر بطرق مختلفة .

وسوف نشير إلى بعض الاختبارات التي يتضمنها كل قسم من هذين القسمين الكبيرين .

أولا : الاختبارات الأحادية البعد :

١ - اختبار وودورث : The Woodworth Personal Data Sheet

وهذا الاختبار الذي وضع ١٩١٧ بعد أقدم الاختبارات المستخدمة عمليا في قياس الشخصية ، ومنه استمدت فقرات كثير من الاختبارات الأخرى التي وضعت بعد ذلك . وقد وضع هذا الاختبار وطور خلال الحرب العالمية الأولى حين طلبت الهيئات المسئولة في الجيش الأمريكي مساهمة علماء النفس في التعرف على الحالات غير الصالحة عقليا من الجنود حتى يمكن استبعادها عن ميادين القتال . وكانت الوسائل المستخدمة حتى ذلك الحين هي المقابلة السيكاتريية التي يقوم بها الطبيب النفسي . وليس ثمة شك أن مثل هذه المقابلات لم تكن لتسعف القائمين بعملية الانتقاء إذا لم يكن هناك العدد الكافي من الأطباء النفسيين الذين يمكنهم الكشف عن هذا العدد الهائل من الجنود . ولذلك ذهب وودورث وبوفنبرج Poffenberger إلى فكرة القيام بهذه المقابلة التي يقوم بها الطبيب النفسي ولكن عن طريق توجيه أسئلة مكتوبة للشخص . وكانت قائمة الأسئلة تتضمن الأعراض المرضية الشائعة المرتبطة بالأمراض العقلية والنفسية ، وكانت الدرجة هي عدد الأعراض التي يقرر المفحوص وجودها لديه .

ويتألف الاختبار في صورته الأخيرة من ١١٦ سؤالا يجب عنها المفحوص منم أولا . وقد مر وضع الاختبار بمراحل خمسة هي :

(١) قام وودورث بوضع قائمة من الأسئلة مكونة من ٢٠٠ سؤال اعتقد ان كشف عن أعراض المرض النفسي أو على الأقل تكشف عن نزوات

الاضطراب الانفعالي . وقد استمد هذه الأسئلة من التعليقات الدارجة أو من وصف الكتب وشروحها لهذه الاضطرابات .

(٢) طبق هذه القائمة على مجموعة صغيرة من طلاب جامعة كولومبيا .
(٣) راجع إجابات الطلاب واستبعد منها الفقرات التي أجاب عنها أكثر من ٢٥ ٪ من الطلاب إجابات عصائية وذلك على أساس افتراض أنه إذا كانت نسبة كبيرة من هذه المجموعة التي يفترض أنها عادية تعطي مثل هذه الإجابات العصائية فإن السؤال لا يمكن اعتباره دليلاً على سوء التوافق العقلي .
وقد نجم عن ذلك أن أصبح عدد الأسئلة ١٧٩ سؤالاً .

(٤) طبق هذه الأسئلة على ١٠٠٠ شخص عادي مختارين عشوائياً ،
كل طبقها على عينة صغيرة مختارة من الجند الذين لديهم اضطرابات نفسية .
(٥) طبق نفس معيار الإبعاد السابقة الذكر على الأسئلة التي يتبين له عدم صلاحيتها . وكانت النتيجة أن أصبح عدد أسئلة الاختبار في صورته النهائية ١١٦ سؤالاً .

— ويعتقد وودورث أن متوسط عدد الإجابات العصائية للعصائين على هذا المقياس تقع بين ٣٠ - ٤٠ إجابة بينما يبلغ متوسط عدد هذه الإجابات بالنسبة للعاديين حوالي ١٠ إجابات ، ومن هنا نرى أن هناك بعض الاحتمال أن الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تكشف عن العصاب ومن ثم عن عدم صلاحية للأعمال الحربية .

والتطور الذي أتى بعد ذلك (وخاصة بعد الحرب الثانية) أدى إلى تحسين القدرة المميزة للاختبار . فـ دليل كورنيل Cornell Index أمكنه أن ينبئ عن ٥٠ ٪ من جميع الرجال الذين أعطوا أكثر من ٢٣ استجابة عصائية على هذا الاختبار ، قد فصلوا من الخدمة العسكرية حسب التقارير الطبية النفسية .

ويمكن أن تشير إلى بعض فقرات هذا الاختبار :

- ١ — هل تحس عادة بالصحة والقوة .
- ٢ — هل تنام عادة نوما هادئاً .
- ٣ — هل كثيراً ما تفرع من نومك أثناء الليل .
- ٤ — هل يلتابك الكابوس .
- ١٠ — هل تتوارد الأفكار بكثرة إلى ذهنك بشكل يعوقك عن النوم .
- ٤٥ — هل تعتاد سرياً الأماكن الجديدة .
- ٨٥ — هل لديك عادة قضم الأظافر .
- ٩٦ — هل تشعر بالتعب والإجهاد بسرعة .
- ٩٧ — هل كثيراً ما تتغير اهتماماتك .

٢ — اختبار كولجيت للصحة النفسية : The Colgate Mental Hygiene Test

وهذا الاختبار من وضع دونالد لايرد Donald A. Laird ١٩٢٥ . وكان الهدف منه هو الوصول إلى طريقة موضوعية ثابتة وصادقة لمعرفة الأشخاص الذين يحتاجون إلى العلاج النفسي ، وتزويدنا بأداة نعطينا مقياساً كياً محددًا لقياس درجة ونوع الانحراف عن العاديين من الناس .

ويتألف اختبار لايرد من مجموعتين منفصلتين الأولى تتكون من ٧٥ فقرة لقياس النزعات العصائية ، أما الثانية فتتكون من ٥٣ فقرة لقياس الانطواء — الإنسباط .

وكان الفرض الذي افترضه لايرد عند وضع مقياسه هو أن كل السمات المميزة للمرض العقلي هي نفس السمات التي توجد لدى العاديين من الناس ولكن على قدر واضح من المبالغة . ولذلك يقول لايرد إن المنهج الذي يجب

اتباعه عند وضع الاختبار هو ذلك الذى يمكننا فى معرفة هذه السمات التى تعتبر ذات أهمية فى الدلالة على الانحراف النفسى بصورة تسمح بتحديد ما إذا كان الشخص ينحرف أو لا ينحرف عن العادى فى هذه السمات .

وقد مر اختبار ليرد بالخطوات الآتية :

(١) جمع قائمة العبارات التى تشير إلى نواحي السواء أو الانحراف .
وقد استمد معظم فقراته فى اختبار وودورث .

(٢) صياغة الفقرات بحيث يمكن أن تقدر وفق مقياس مدرج وذلك بوضع علامة على الموضوع الذى يمثل رأى الفرد . والأسئلة مطبوعة فى كتيب على صفحة ، بينما يوجد المقياس المدرج فى مقابل هذه الصفحة وتتطلب تعليمات الاختبار أن يجب المفحوص عن كل سؤال بوضع علامة / على الخط المنقط أمام السؤال وفى الموضوع الذى يبين رأيه الصحيح . ويمثل أحد طرفى الخط المنقط درجة منخفضة من المقياس ، بينما يمثل الطرف الآخر درجة مرتفعة . وتمثل النقط المتوسطة خطوات الانتقال من طرف إلى آخر .

(٣) طبق الاختبار على عينة كبيرة من طلاب الجامعة حسب التعليمات السابقة .

(٤) قام ليرد بتوزيع الاستجابات بالنسبة لكل سؤال وحدد على مقياس بيانية النقط التى تشير إلى الإرباعى الأدنى والإرباعى الأعلى ، واعتبر أن ما يخرج عن حدود المتويات الخمسين المتوسطة استجابات تدل على الإنحراف .

٣ - اختبار السيطرة - الخاضوع :

The Allport's Ascendence - Submission Reaction Study

وهذا الاختبار من وضع جوردون البورت وفلويد البورت ١٩٢٨ .
ويقىس ميل الفرد إلى السيطرة على المحيطين به أو الخضوع لهم في مواقف الحياة العملية والتي تتم وجها لوجه . وكل فقرة من فقرات الاختبار تبدأ بوصف مختصر لموقف من المواقف التي نقابلها عادة في حياتنا اليومية سواء في المنزل أو المدرسة أو في اجتماع ما أو في الانوبيس أو محل نجارة للبيع والشراء . ويلى الفقرة عدد من الإجابات المحتملة (من ٢ - ٤) التي يمكن أن تتخذ في مواجهة هذه المواقف وعلى المفحوص أن يبين أيها أقرب إليه عند الإستجابة لهذا الموقف . والاستجابات تختلف في درجة السيطرة أو الخضوع التي تمثلها . وفي هذا الاختلاف توضع أوزان الفقرات .

وقد صادر البورت والبورت على وجود هاتين السمتين . وذهبا إلى أنه عندما تكون إحدى هاتين السمتين سائدة تكون الأخرى ثانوية أو تابعة .
وقد سارا على أساس هذه النظرة في اختبار العديد من المواقف التي ظنا أن الفرد يكون فيها مسيطراً أو خائفاً . وقد يكون الفرد مسيطراً في موقف ، وغير مسيطر في موقف آخر . ولكن الشخص الأكثر ميلاً إلى السيطرة ، يكون كذلك في عدد كبير من المواقف إذا قيس بالشخص الآخر الأقل ميلاً إلى السيطرة . ودرجة الفرد على الاختبار هي المجموع الجبري لعدد المواقف التي يكون فيها الفرد - أو يشعر أنه فيها - من النوع المسيطر . والاختبار صالح في أحد صورته للرجال ، وفي صورة أخرى للنساء .

وهذان مثالان من أمثلة اختبار السيطرة والخضوع :

هل تحس بنفسك في وجود رؤسائك في ميادين العلم والعمل :

..... بشكل ملحوظ

..... إلى حد ما

..... ليس إطلاقاً

بشت ببعض حاجياتك لإصلاحها في محل ما ، وحين ذهبت في الموعد المحدد أخبرك الصانع أنه ، لسه بادی فيها ، فهل عادة :

..... توبخه بشدة

..... تعبر عن استيائك بشكل معقول

..... تكتم مشاعرك كلية

ومن الملاحظ أن اختبار السيطرة والخضوع تدور معظم عباراته حول استعادة تذكر السلوك العادى الواقعى للفرد أكثر مما يتصل بمشاعر الفرد ، ولهذا السبب فهو أقل ذاتية وأكثر ثباتاً ، كما يلاحظ أيضاً أن المقياس يحاول أن يغطى مواقف متعددة من السلوك في الحياة اليومية . وقد مر إعداد الاختبار بالمراحل الآتية :

(١) إعداد قائمة المواقف .

(٢) تطبيق الاختبار على مجموعات تجريبية .

(٣) طلب إلى كل شخص أن يقدر نفسه حسب مقياس مدرج من سبع خطوات ، كما طلب إلى مجموعة من أربعة من الأصدقاء المقربين لكل فرد أن يقوموا بتقديره حسب نفس المقياس .

(٤) حساب التقديرات المتوسطة لكل الإجابات البديلة بالنسبة لكل سؤال .

(٥) عمل أوزان لكل إجابة .

(٦) إعداد المعايير .

٤ - اختبار الشخصية لثurston وThurston :

The Thurston's Personality Schedule

وهذا الاختبار من وضع لويس ثurston وثلما جون ثurston (١٩٢٨) ويتكون من ٢٢٣ سؤالاً يجيب عنها المفحوص بنعم أو لا أو لا أدري . ويهدف الاختبار - كما يقول ثurston - إلى إعطاء دليل ثابت نسبياً ، عن النزعات العصابية لدى طلاب الجامعة .

وقد مر وضع المقياس بالخطوات الآتية :

(١) جمع قائمة العبارات .

(٢) طبع القائمة .

(٣) تحديد الاستجابات - على أساس قبلي - التي تشير إلى أعراض عصابية وتحديد قيمة كل منها بدرجة واحدة .

(٤) تطبيق الاختبار على مجموعة من الأشخاص .

(٥) تحليل الفقرات .

(٦) وضع المعايير .

وقد جمع ثurston أكثر من ٦٠٠ فقرة من مصادر متعددة - من وودورث وليرد وفريد Freyd والهورت وغيرهم وطبعت كل فقرة في بطاقة مستقلة وصنفت إلى مجموعات عدة ، ثم أعيد ترتيبها وطبعت ثم اختصرت أخيراً إلى ٢٢٣ فقرة التي يتكون منها المقياس . وقد قرر ثurston وThurston على أساس قبلي أي الاستجابات تكشف عن الميل العصبي وأعطى لكل منها درجة واحدة .

وقد حاولا بعد ذلك التأكد من ملائمة هذه الأوزان التي وضعت بصورة قبلية : فقاما بتحليل استجابات الخمسين شخصاً الذين حصلوا على أعلى تقديراتهم

في هذا الاختبار ، والחסين شخصاً الذين حصلوا على أقل تقديرات فيه ،
ووجدوا أن الطلبة الأكثر عصاية كانوا يختارون الاستجابات الدالة على
انحرافات عصاية في كل سؤال على حدة أكثر من الآخرين ، مما جعلهما
يعتقدان أن طريقتهما التي قامت على أساس قبلي طريقة مقبولة .

وهذه بعض فقرات اختبار الشخصية والتي تعتبر أكثر تمييزاً للعصاية :

هل تجد صعوبة في أن تبدأ الحديث مع

شخص آخر غريب لا تعرفه نعم ... لا ... ؟ ...

هل تشر غالباً بالوحدة حتى ولو كنت بين أشخاص آخرين .

هل يجرح الناس شعورك بسهولة .

هل تتوارد الأفكار بكثرة إلى ذهنك بشكل يعوقك عن النوم .

هل تسرح كثيراً في أحلام اليقظة .

هل تفتقر إلى الثقة بالنفس .

هل تجد صعوبة في التحدث في جمع من الناس :

ه - اختبار الإكتفاء الذاتي لبرنرويتز .

Bernreuter's Self - Sufficiency Test

وهذا الاختبار سابق على اختبار المعروف باسم اختبار برنرويتز للشخصية .

والذي سوف نعرض له فيما بعد . واختبار الإكتفاء الذاتي نشر ١٩٣٣ .

وكان يتكون من ٦٠ سؤالاً يجيب عنها المفحوص بنعم ، لا ، لا أدري .

والمفروض أن يكشف الاختبار مدى اعتماد الفرد أو استقلاله عن الآخرين .

فالشخص الذي ليس معتمداً على الآخرين هو شخص مكثف بذاته . ومن هنا

جاءت تسمية الاختبار .

وقد مر الاختبار بالمراحل الآتية :

- (١) جمع قائمة العبارات .
- (٢) طبع هذه العبارات .
- (٣) وضع مفتاح تقدير على أساس قبلي للاستجابات نعم ، لا .
- (٤) تطبيق الاختبار على مجموعة من الطلاب .
- (٥) تحليل فقرات الاختبار .
- (٦) مراجعة الاختبار وتحديد أوزان الاستجابات لا - أدرى .
- (٧) إعطاء الاختبار المعدل إلى مجموعات جديدة .
- (٨) إعداد معايير مشفية .

وفي دراسة إثبات الاختبار ، استخدم برنويتر طريقة التجزئة النصفية وإعادة الاختبار ، وكان معامل الثبات حوالى ٠.٨٤ . أما بالنسبة لدراسة الصدق ، فقد وضعت على أساس إيجاد معاملات الارتباط بين درجات الاختبار ومجموعة من التقديرات وقد استخدمت تقديرات ثلاثة ، اثنين منها تقديرات زملاء مقربين للفرد والثالثة تقدير الفرد لذاته ، وكانت التقديرات تدور حول الحاجة إلى المشاركة والتقدير والتشجيع والرغبة فى الانعزال وعدد مرات طلب النصيحة ، والقدرة على تحمل المسؤولية وكانت معاملات الارتباط بين درجات الاختبار وهذه التقديرات هى ٠.٣٦ ، ٠.٦٩ ، ٠.٥٢ ، ٠.١٨ . وكان معامل الارتباط بين درجات الاختبار والتقديرات الذاتية السلبية فهو ٠.٦٠ . أما بينه وبين تقديرات الزملاء فكان ٠.٥٤ .

٦ - اختبار الذكورة - الأنوثة لـ هـ ترمان - ميلز :

The Terman - Miles Masculinity - Femininity Test.

الهدف من وضع اختبار الذكورة - الأنوثة هو مساعدة الإكلينيكي أو

أى باحث آخر فى الوصول إلى تقدير أكثر دقة وموضوعية عن هذه الجوانب من الشخصية التى يختلف فيها الذكور عن الإناث ، ويمكن القول بشكل أكثر تحديدًا وتخصيصًا أن الهدف من اختبار الذكورة - الأنوثة هو الوصول إلى تقدير كمى لمقدار واتجاه انحراف الفرد عن متوسط جيله والسماح لعقد مقارنات كمية بين المجموعات التى تختلف فى السن والذكورة والجنس والمستوى التعليمى والمهن والمستوى الثقافى . وكذلك تخلص مفاهيم الذكورة - الأنوثة من الأفكار غير المناسبة والخطوط العموض الذى أربط بهما نتيجة للاعتبارات السطحية للسلوك الظاهر فى الحياة اليومية .

وقد وضع اختبار الذكورة والأنوثة فى صورتين متكافئتين : الصورة (أ) وتتكون من ٤٥٦ فقرة والصورة (ب) وتتكون من ٤٥٤ فقرة ، وقد وزع محتوى الفقرات على النحو التالى :

عدد فقرات الصورة (ب)	عدد فقرات الصورة (أ)	المحتوى
٦٠	٦٠	نداءات الكلمات
١٨	١٨	نداءات يقع الجبر
٧٠	٧٠	المعلومات
٢٠٥	١٠٥	استجابات وجدانية وخلقية
١١٨	١١٩	مبول
٤١	٤٢	نواحي تتصل بالشخصية والأراء
٤٢	٤٢	استجابات انطوائية
٤٥٤	٤٥٦	المجموع

وقد ظهرت فكرة وضع اختبار المذكورة - الأثرية عند ترمان ١٩٢٢
عندما كان يمس على الفرق بين الجنسين على الأطفال الموهوبين ، وقد صنف
ترمان مجموعة من اللعب ووسائل التسلية للأطفال حسب تفضيل الأولاد
والبنات للعب بها ، وحاول عمل دليل المذكورة على أساس تفضيل الفرق
للأنشطة التي يفضلها الأولاد في مقابل الأنشطة التي يفضلها البنات . ولكن
عند أعداد التوزيعات لعلامات المذكور ، لاحظ أحد مساعدي ترمان ما يبدو
أنه خطأ إذ حصل أحداً الأولاد المذكور على درجات في الأثرية أعلى مما حصلت
عليه أية فتاة ومع ذلك لم تظهر أية أخطاء عند المراجعة . مما أثار الشك في صحة
تصنيف الجنس . وقد ترتب على ذلك القيام بالبحث الدقيق وإعداد تاريخ كامل
لحياة كل طفل والتحقق من عبوره الأثرية واستعداداته وسلوكه واتجاهاته .

الخطوات التي مر بها الاختبار :

(١) فقرات تساعي كلمات : قام ترمان وميلز بدراسة دقيقة لقاموس
كلمات باللغة الإنجليزية يندرج أنه يعطى الكلمات والاستجابات المختلفة لكل من
المرأة والرجل . وقد ردت هذه الكلمات بواسطة ثلاثة من الحكماء لمعرفة
المحتملة في الكشف عن فرق بين الجنسين . وقد استيق من مجموعة الكلمات
التي درساها ٢٢٠ كلمة قسمت إلى مجموعتين كل من ١١٠ كلمة . وسجلت كل كلمة
منفردة على بطاقة . وأعطيت البطاقات إلى ٢٠٠ طالب من المدارس الثانوية
والجامعة ٢٠٠ طالبة من نفس المرحلة التعليمية ، وكانت التعليمات تقضي
أن يستجيب الفرد بالكلمة الأولى التي ترد إلى ذهنه عند قراءة الكلمة
المطبوعة على البطاقة ، ولكن النتائج التي وصل إليها لم تكن مشجعة فبحثنا عن
طريقة أخرى لتلخص في طبع الكلمات (أو الكثير) في كتيب ، ووضع
لأربعة إجابات محتملة أمام كل كلمة وعلى المقصود أن يمنع خطأ تحت
الكلمة (أو الاستجابة) التي يرى أنها أنسب إجابة ممكنة .

وقد كشفت الدراسات الأولى لهذه الكلمات عن وجود بعض الدلائل للفروق بين الجنسين في الاستجابة للكلمات المثير . وقد أضافا بعد ذلك عدداً من الكلمات التي لم تجرب من قبل وعدداً آخر وجدا أن من المفيد اضافتها . واعد تطبيق الاختيار بعد الإضافات على ٦٠٠ طالب وطالبة وكشفت الدراسة عن وجود ١٢٠ فقرة صالحة للتمييز بين الجنسين على الأقل بالنسبة لثلاثة من الاربع استجابات المحتملة في كل المجموعات التي درست . وقد وزعت المجموعة بالتساوي على كل من الصورة (ا) والصورة (ب) .

ولعل أحد الاسباب التي دعت ترمان وميلز إلى ترك الطريقة الأولى في التداعي الحر إلى التداعي المقيد هو أن معظم الإستجابات التي أعطاها المفحوصون في الطريقة الأولى كان تكرارها منخفضاً لدرجة يحتاج الأمر معها إلى عدد كبير جداً من الأشخاص للوصول إلى فروق بين الجنسين وفي هذا ضياع للوقت والجهد . أما الطريقة الثانية فكانت أكثر ملاءمة للمفحوصين وتحتاج إلى وقت أقل في الاجراء والتقدير .

(٢) فقرات تداعي بقع الخبر : قام ترمان باعداد ٤٠ بقعة خبر حسب تعليمات ديربورن . إلى جانب ٢٠ بقعة أخرى كان د هويل قد اعدهما من قبل . ولم تثبت أية مجموعة منهما صلاحيتها . ولذلك أعد مجموعة جديدة من ١٠٠ بقعة واعطيت إلى ١٠٠ طالب و ١٠٠ طالبة في المرحلة الثانوية والجامعة للاستجابة إليها وتسجيل كل ما قد تثيره البقعة في نفسه من استجابات . وقد وجد في البداية أن ٧٠ منها صالحة للتمييز بين الجنسين فوضعت هذه ووضعت في كتيب واعطيت إلى ٢٣٠ من الذكور و ٢٣٠ من الإناث ودرست النتائج بالتفصيل مما أدى إلى تقليل عدد الصور في النهاية إلى ٣٦ صورة اعتبرت أكثرها غييراً . وهذه وزعت بالتساوي بين كل من الصورتين ا - ب .

(٣) فقرات المعلومات : أعدت في البداية ٢٠٠ فقرة معلومات تغطي

مجالات عدة كالتاريخ والعلوم الطبيعية والبيولوجية والأدب والمعلومات العامة والفن والدين والخرافات . وقد أعدت الفقرات في صورة اختيار مزدوج يختار المفحوص إجابة منهما . واعطيت إلى ٨٠٠ شخص . وبعد الدراسات استبقيت ٩١ فقره جربت على عينه جديدة ، كما أضيف إليها ٩١ فقره جديدة استبقي منها ٩٥ فقره بالاضافه إلى الـ ٩١ فقره الأولى فأصبح عدد الفقرات ١٨٦ فقره . وقد اتبع مع هذه الفقرات اسلوب جديد للتقدير . ففي المحاولات الأولى كان اسلوب التقدير يتم على اساس عدد الفقرات الذكريه التي اجيب عنها إجابة صحيحة مطروحاً منها عدد الفقرات الآتية التي اجيب عنها إجابة صحيحة ولكن وجدخلال البحث أن بعض الإجابات الخاطئة والمحدوفة يمكن أن تكشف عن فروق بين الجلسين مثلاً تكشف الاجابات الصحيحة سواء بسواء . ولذلك اتخذت الخطوات التي تؤدي إلى ادخال الاجابات الخاطئة والمحدوفة في عملية التقدير . وقد أصبح العدد النهائي لفقرات هذا القسم ١٤٠ فقره وزعت بالتساوى بين الصورتين (أ) و (ب) .

(٤) فقرات الاستجابات الإنفعالية والخلقية : أعدت في ٢١٨ فقره تغطي انفعالات كالغضب والخوف والتغزز وكذلك العديد من الاتجاهات الخلقية . ويبين المفحوص بعد قراءة الفقرة إلى أى حد يميل الموقف إلى إثارة الإنفعال المعين . ويمكن للمفحوص أن يجيب باحدى أربع استجابات ممكنة هي : كثير جداً ، كثير ، قليلاً ، اطلاقاً ، طبق المقياس على ٨٠٠ شخص . وقد وجد أن الفقرات التي استبقيت في المقياس هي أكثرها دلالة على التفرقة بين الجنسيتين على الأقل في استجابتين من الأربع استجابات المحتملة . وقد أصبح في كل صورة من الصورتين أ و ب ، ١٠٥ فقرات .

(٥) الميول : جمعت ٤٥٦ فقره مأخوذة معظمها من اختبار الميول المهنبة-

لسترونج وطبقت على ٢٤٥ شخصا من الجلسين . وكانت الفقرة التي تسبق هي التي تكشف عن فروق بين الجلسين في اثنين من ثلاث اجابات محتملة . وقد استبقى في نهاية الامر ١٨٧ فقرة وزعت على الصورتين فأصبح في الصورة (١) ١١٩ فقرة وفي الصورة (ب) ١١٨ فقرة .

٦ — فقرات تتصل بالشخصية والآراء : أعدت في البداية ٩٦ فقرة ، أعطيت لـ ١٠٠ طالب و ١٠٠ طالبة في المرحلة الثانوية ، ٥٠ طالب و ٥٠ طالبة في مرحلة الجامعة ، وبعد الدراسة استبقيت ٨٢ فقرة وزعت على الصورة (١) والصورة (ب) على النحو التالي : ٤٢ فقرة للصورة (١) و ٤٠ فقرة للصورة (ب) .

٧ — الاستجابات الانطوائية : طبقت مراجعة وكادي ، لاختبار رودورث على ١٠٠ طفل موهوب من عينة ترمان و ١٠٠ طفل عادي ، وفورنت استجابات الجلسين . وتسبقى الاستجابات إذا كانت النسبة الحرجة هي ٢٠ أو أكثر بالنسبة لكل من الإجابة نعم أو لا . كما جربت مجموعة من ٤٧ فقرة من اختبار ليرد واختبار الانطواء — الانبساط لهيدريدر Heidebreder . وكانت الفقرات التي استبقيت على هذا المقياس ٨٤ فقرة وزعت بالتساوي بين الصورتين (١) و (ب) .

أما بالنسبة للثبات والصدق . فقد أورد فيرجسون ثبات هذه المقاييس عند كل جنس على حدة وكذلك عند الجلسين وقد لوحظ أن معظم معاملات الثبات كانت منخفضة باستثناء اختبارات الميول والاستجابات الوجدانية والخلقية .

أما بالنسبة للصدق فمن السهل إثبات صدق اختبار الذكورة والأنوثة إذا وجدنا أن الاختبار يميز بين الأولاد والرجال من ناحية والفتيات والنساء من ناحية أخرى .

وكان مدى درجات الذكور يقع بين ٢٠٠ - ١٠٠ ، بينما مدى درجات

النساء بين ١٠٠ - ٢٠٠ . والدرجة المتوسطة للرجال هي ٥٢ وللنساء هي ٧٠ .
ومن الممكن القول بوجه عام أن اختبار الذكورة والأنوثة صادق في التمييز
بين الجنسين (١) .

ثانياً : الاختبارات المتعددة الأبعاد

وقد قصد بهذا النوع من اختبارات الشخصية قياس أكثر من سمة من سمات
الشخصية في وقت واحد . فبعد أن كانت الاختبارات الأولى تقتصر على قياس
سمة معينة كالسيطرة والخضوع أو الذكورة - الأنوثة أو الانطواء والانبساط
نجد أن تفكير بعض علماء النفس يهده إلى أن من الممكن قياس أكثر من بعد
من أبعاد الشخصية في نفس الوقت . ولذلك سميت هذه الأنواع من
الاختبارات بأسم الاختبارات المتعددة البعد لقياس الشخصية . وقد يتكون
الاختبار المتعدد البعد من استعمال عدة اختبارات أحادية البعد في وقت واحد
أو قد يتكون من استعمال نفس المجموعة من الفقرات تقدر بطرق مختلفة ،
وعنالك بالطبع مستويات بين هذه الاطراف . وقد وضع العديد من الاختبارات
التي تقيس أكثر من بعد ولكننا سنقتصر هنا على دراسة بعضها متوخين
الاختصار في الشرح قدر الامكان .

١ - اختبار الشخصية البرنرويتز :

The Bernreuter Personality Inventory

وهو من إعداد روبرت . ج برنرويتز ١٩٣٢ . وهو من الاختبارات
الواسعة الانتشار . ويهدف إلى أن يكون أداءه تكشف عن درجة توافق الفرد ،
وعن مواضع الفرد على متغيرات السمات الأخرى .
ويقيس الاختبار جوانب متعددة من الشخصية في وقت واحد مما يجعله
يحقق وفرة كبيرة في التكاليف والزمن اللازم لتطبيق الاختبار . كما أن من

(1) Ferguson, W. Leonard : Personality Measurement. New York
Mc Graw-Hill Book Company 1952 chp. 6.

مزاياه أيضا أن المقاييس التي يتضمنها الاختبار على درجة عالية من الثبات والصدق مما يسمح باستخدامها بنجاح للمقارنة بين الأفراد .

وقد سار تفكير برنرويتز عند وضع الاختبار على أساس أن السلوك في موقف معين يكشف عن سمات متعددة ، فالعبارة أو الفقرة في الاختبار هي إذن بمثابة موقف مشير . ونفس الفقرة يمكن إذن أن تقدر لأكثر من سمة واحدة ، ولذلك أقام فكرة الاختبار على أساس أن يجعل عدداً محدوداً من الفقرات تقوم مقام عدداً أكبر بكثير عن طريق إعطاء كل فقرة أوزاناً مختلفة لأكثر من سمة واحدة .

ويتكون اختبار برنرويتز من ١٣٥ سؤال يجب عن كل منها بنعم ، لا ، لأدرى وقد قصد به أن يقوم مقام أربعة اختبارات كانت كل منها تقيس سمة مستقلة . فالهدف منه إذن هو إعطاء مجموعة من الدرجات تخدم نفس الأغراض التي بالإختبارات الأربعة الأصلية . فقد أراد برنرويتز وضع اختبار يقيس متغير الانطواء - الانبساط في اختبار ليرد ، ومتغير العصائية في اختبار الشخصية لثريستون ، ومتغير السيطرة - الخضوع في اختبار البورت والثورت (وقد أطلق برنرويتز على هذه السمة اسم Dominance) ، ثم متغير الاكتفاء الذاتي الذي كان قد وضع له مقياس من قبل على نحو ما أوضحنا في حديثنا عن الاختبارات الأحادية البعد .

وكانت الاختبارات السابقة على هذا الاختبار تقوم على افتراض أن عنصراً سلوكياً معيناً يمكن أن يفسر أو يكشف عنه بواسطة سمة واحدة . ولم يكن علماء النفس على اتفاق حول هذا الفرض . لكن المهتمين ببناء المقاييس لم يكن أمامهم بديل آخر . وقد خطا برنرويتز الخطوة الأولى فذهب إلى أن سلوك الفرد في أي موقف قد يكشف عن سمات متعددة . وذهب إلى أن هذا الفرض لو صح ، فإن فقرة ما ، يمكن أن يكون لها قيمة تشخيصية معينة

بالنسبة لسمة ما ، وقمة شخصية أخرى بالنسبة لسمة أخرى ، وهكذا .
وهذا من شأنه أن يجعلنا أن نتمكن من بناء الاختبار الذى يمكن أن
يستعمل فى تحليل سمات متعددة فى وقت واحد .

والاختبار فى صورته الأولى كان يتكون من أربعة مقاييس . ولكن حين
طبق فلاناغان J.C.Flanagan طريقة التحليل العاملى على هذه المقاييس الأربعة
تبين له من نتيجة التحليل أن هذه المقاييس الأربعة الأصلية مشبعة بعاملين
رئيسيين هما : الثقة بالنفس ، والمشاركة الاجتماعية ، وقد وقع ذلك برزويتر
إلى إضافة مقياسين جديدين الى مقاييسه الأربعة السابقة ، فأصبح الاختبار
يتكون من ستة مقاييس .

وسوف نشير باختصار إلى كل مقياس منها :

(١) مقياس الميل العصابى :

والشخص الذى يحصل على تقديرات عالية على هذا المقياس يكشف عن
ميل إلى العصاب . ومثل هذا الشخص يشعر غالباً بالتعاسة والإحساس
بتأنيب الضمير تثيره الأفكار التى لا طائل ورائها . خجول . يشعر بالنقص
يخش أنه بعيد عن الناس ، مخلق على نفسه ، يعيش فى أحلام اليقظة ، كثير
القلق حول الأشياء التى حدثت وانتهت والتى يحتمل حدوثها .

أما الشخص الذى يحصل على تقديرات منخفضة على هذا المقياس ، فإنه
يميل إلى الثبات الانفعلى . ونادراً ما يسبب له التقلب المزاجى أو نقد
الآخرين أى اضطراب ، فهو شخص واثق من نفسه ، يحيا فى عالم الواقع
لا فى عالم الخيال .

(٢) مقياس الإكتفاء الذاتى :

والشخص الذى يحصل على تقديرات عالية على هذا المقياس يعد من النوع

الذى يكتفى بنفسه ، يفضل المولة ويشعر بالرضا حين يكون بمفرده . يفضل العمل وحده على العمل مع جماعة ، يعتمد على أحكامه الذاتية في الوصول إلى قراراته ورسم خططه ، ولهذا فهو يميل إلى أغفال نصيحة الغير . أما الشخص الذى يحصل على تقديرات منخفضة على هذا المقياس ، فهو شخص يميل إلى الاعتماد على الغير في الحصول على متعته ، وسروره ، يميل إلى قضاء وقته مع الآخرين ، يفضل مشاركة الغير في العمل ووقت الفراغ ، يجب مناقشة مشكلاته مع الآخرين ، ولهذا فهو يتقبل نصيحة الغير قبل اتخاذ قراراته .

(٣) مقياس الانطواء - الانبساط :

والشخص الذى يحصل على تقديرات عالية على هذا المقياس ، يميل إلى الانطواء ، أى من النوع الذى يجتر أفكاره ويعيش داخل نفسه ، ونظير عليه أعراض العصاب التى تظهر بصورة واضحة على الحالات التى تحصل على تقديرات عالية على مقياس الميل العصائى . أما الشخص الذى يحصل على تقديرات منخفضة على هذا المقياس فهو أميل إلى الانبساط ، لا يقلق إلا نادراً . ولما يشعر بتقلبات انفعالية . وقليل ما تحمل احلام اليقظة محل العمل . ونظير عليه خصائص هؤلاء الذين يحصلون على تقديرات منخفضة على مقياس الميل العصائى .

(٤) مقياس السيطرة - الخضوع :

والشخص الذى يحصل على تقديرات عالية على هذا المقياس ، يميل إلى السيطرة على الآخرين في المواقف الاجتماعية التى تتطلب مواجهة الآخرين . وهو عادة شخص واثق من نفسه ، عدوانى ، على استعداد لاتخاذ موقف المبادأة قبل الآخرين . سرعان ما يكوّن علاقته مع الغرباء والشخصيات الكبيرة ، ولا يعاني من احساسات النقص في المواقف التى يشعر فيها بالنقص :

أما الشخص الذى يحصل على تقديرات منخفضة على هذا المقياس ، فهو أميل إلى الخنوع . يفتقر إلى الثقة بالنفس ، يحب أن يبقى فى المؤخرة فى المواقف الاجتماعية . ونادراً ما يأخذ المبادرة فى توجيه الآخرين أو القيام بنشاط قبلهم ، يعانى من مشاعر النقص ويحجم عن مقابلة الشخصيات الهامة .

(٥) مقياس الثقة بالنفس :

والشخص الذى يحصل على تقديرات عالية على هذا المقياس ، يميل إلى أن يكون حساساً بنفسه لدرجة تعرفه عن التوافق مع الآخرين ، كما يميل إلى الشعور بالنقص .

أما الشخص الذى يحصل على تقديرات منخفضة ، فإنه يميل إن يكون من النوع الراضى بنفسه ، الحسن التوافق مع الآخرين .

(٦) مقياس المشاركة الاجتماعية :

والشخص الذى يحصل على تقديرات عالية على هذا المقياس ، يميل إلى أن يكون من النوع غير الاجتماعى المتعزل المستقل . أما الشخص الذى يحصل على تقديرات منخفضة على هذا المقياس ، فإنه يميل إلى أن يكون من النوع الاجتماعى الألف .

هذا ومن الممكن استخدام هذا الاختبار لقياس سمات الشخصية فى هذه المقاييس الستة أو فى بعضها ، فقط حسب الحاجة . فإذا كان الباحث يريد فقط معرفة بعض نواحي الشخصية التى يقيسها الاختبار ، فإنه يمكنه أن يطبق المقاييس التى تناسب أغراضه .

الخطوات التى مر بها الاختبار :

طبق برزويتر صورة مبدئية فى الاختبار والاختبارات الأربعة التى اعتمد فقراته منها على مجموعة من الطلاب حوالى ٤٠٠ ووزع درجاتهم

بالنسبة لكل منها . وفي ضوء هذه التوزيعات اختبار الخمسين طالباً الذين حصلوا على أعلى درجات في كل مقياس والخمسين طالباً الذين حصلوا على أقل درجات فيه . وكان نصف هذا العدد من الذكور ونصفهم الآخر من الإناث . أى أنه بالنسبة لكل سمة كان يحصل على الـ ٢٥ الأعلى درجة والأدنى درجة من الرجال والـ ٢٥ الأعلى درجة والأدنى درجة من الإناث .

بدأ يدرس كيف تميز الفقرات بين كل من هاتين المجموعتين المتعارضتين بالنسبة لكل من المتغيرات الأربعة التي بدأ بها . ولذلك حسب العدد والنسب المئوية في كل فئة أجابت بنعم أو لا أو لا أدري بالنسبة لكل سؤال ثم حسب الفروق بين النسب المئوية للفئتين وحدد الأوزان التشخيصية في ضوء هذه الفروق . ولم يتم برنرويتر مع ذلك هذه الحسابات وإنما استخدم أحد جداول أوزان الفقرات لسكرومب والذي يعطى أوزان الفقرة مباشرة من النسب المئوية التي يميز أو تحدد المجموعات المعيارية المتقابلة .

وقد وضعت أوزان كل فقرة على أساس القوة المميزة لها والتي حددت بطريقة تجريبية وإحصائية . وعلى ذلك أصبح هناك مقياس تقدير ، مقياس لكل سمة من هذه السمات الخاصة .

وفي الطبعة العربية التي أعدها الدكتور محمد عثمان نجما لهذا الاختبار في أبريل ١٩٦٠ نجد شرحاً وافياً لطريقة إجراء الاختبار (كراسة التعليمات) ثم معايير مبدئية مؤقتة للاختبار ثم مفاتيح الاختبار .

ويستخدم لتصحيح الاختبار ستة مفاتيح تصحيح مختلفة ، لكل مقياس مفتاح تصحيح خاص به . وقد حددت القيمة التشخيصية لكل اجابة على كل سؤال بالنسبة لكل سمة . ثم وضعت أوزان مختلفة للإجابات المختلفة تتراوح بين + ٧ ، - ٧ ، تبعاً للقيمة التشخيصية لهذه الإجابات ، والدرجة الكلية التي

يحصل عليها الفرد في كل مقياس هي المجموع الجبرى للأوزان التى تقابل اجابات
المفحوص . .

وتحول الدرجات الكلية الى درجات مثبينة حتى يسهل فهم معناها وحتى
يمكن استخدامها في مقارنة الأفراد بعضهم ببعض . وتبين الدرجة المثبينة النسبة
المئوية من أفراد المجموعة التى يلتصق اليها المفحوص ، والذين يحصلون في
المقياس المعين على درجات أقل من الدرجة التى حصل عليها المفحوص . فمثلا
إذا كانت الدرجة المثبينة التى حصل عليها المفحوص في أى مقياس هي ٥٠ ،
فمعنى ذلك أن المفحوص حصل في هذا المقياس على درجة تزيد عن الدرجات
التي حصل عليها ٥٠ ٪ من الأفراد في المجموعة التى يلتصق اليها . وإذا كانت
الدرجة المثبينة التى حصل عليها المفحوص هي ٨٠ فمعنى ذلك أن المفحوص
حصل في هذا المقياس على درجة تزيد على الدرجات التى يحصل عليها ٨٠ ٪
من الأفراد في المجموعة التى يلتصق اليها .

ثبات وصدق الاختبار :

أوضحت الدراسات أن معامل ثبات هذا الاختبار بطريقة التجزئة
النصفية يتراوح بين ٠.٧٧ - ٠.٨٨ . وأن معامل الثبات بطريقة إعادة
الاختبار يتراوح بين ٠.٦٥ - ٠.٩٢ . إذا كانت الفترة الفاصلة بين
الاجراءين قصيرة . وكان معامل الثبات بعد سنة يتراوح بين ٠.٧٠
و٠.٧٧ . وبعد سنتين من ٠.٥٦ - ٠.٧٤ . وبعد ثلاث سنوات من ٠.٤٤ - ٠.٧٢ .
أما بالنسبة للصدق ، فقد أجرى الكثير من الدراسات على هذا الاختبار
في علاقته بالتنبؤ بالسلوك من الأنواع المختلفة . ومعظم النتائج لخصها
سوبر في قوله : إن اختبار برنرويتز كشف عن بعض القدره على التمييز
بين المجموعات المرضية والمادية والتمييز بين المجموعات المرضية المختلفة

ولكن ليس إلى الحد الذى يجعل الاختبار مفيدا بشكل عادى لمثل هذه الأغراض . كما كشف عن قدرة بسيطة أو معدومة للتمييز بين مجموعات لديها مشكلات سلوكية وغيرها من المجموعات . ومن المعروف الآن بوجه عام أن الأفراد الذين يعانون من مشكلات سلوكية يختلفون في تكوين شخصياتهم عن العصبيين . واختبار برنرويتز قد وضع أساسا لتمييز العصبيين ، وقد أمكن بنجاح تمييز الطلاب الذين لديهم أنواع معينة من مشكلات الشخصية بواسطة اختبار برنرويتز وقد وجد أن الطلاب الذين يكتسبون - ولو جزئاً على الأقل من قوتهم بأنفسهم - أكثر اكتفاء بذواتهم ، كما أنهم أكثر ميلاً إلى السيطرة من غيرهم . كما وجد أن الطلاب القادة يختلفون عن غيرهم في نفس الاتجاه . كما وجد أن الأفراد الذين لديهم تكيفاً عائلياً ، هم أقل في مقاييس الانطواء والنزعة العصابية من غيرهم من سماء التوافق (١) .

٢ - اختبار الشخصية المتعدد الأوجه :

Minnesota Multiphasic Personality Inventory (M.M.P.I.)

وهذا الاختبار من أوسع اختبارات الشخصية انتشاراً ، ومن ثم ليس غريباً أن يخضع هذا الاختبار للعديد من الدراسات والبحوث . وقد قام بوضع هذا الاختبار اثنان من جامعة مينسوتا خلال الفترة ما بين ١٩٣٠ - ١٩٤٠ وهما الطبيب ج شارنلى ماكنلى والسيكولوجى ستارك ر . هاناوى . وقد ورد في كتاباتهما عن الاختبار أنه « وضع أساساً لجدد السيكلوجى بصورة متكاملة عن جميع الجوانب الهامة المتعددة في شخصية الفرد والتي تتمثل في درجات على المقاييس المختلفة التي يحتويها الاختبار . فأهدف من هذا الاختبار إذن هو إيجاد مقياس موضوعى لقياس بعض الخصائص الأساسية

(١) Guilford, J. p.: Personality .New York. , Mc Graw-Hill Company. Inc. , 1959.

في الشخصيه والتي لها علاقة بأمراض الطب النفسى . ولذلك فهو يعد وسيلة مساعدة إلى الأطباء بوجه عام ، والأطباء النفسيين بوجه خاص ، طالما أن نسبة كبيرة من المرضى الذين يذهبون حتى إلى الأطباء العاديين ، يعانون من مشكلات سيكوسوماتية .

وبعد أن أصبح الاختبار واسع الانتشار بعد طبعه ١٩٤٣ ، وجد أنه صالح أيضا للتطبيق على العاديين من الناس . وهو اليوم من الاختبارات التي تستخدم على نطاق واسع جداً في كثير من بلاد العالم ، كما أنه صالح للاستعمال بالنسبة للأشخاص ابتداء من سن السادسة عشرة وما بعدها ولن يمكنهم القراءة .

وللاختبار صورتان إحداهما فردية وتحتوى على ٥٥٠ عبارة كل واحدة منها مطبوعة على بطاقة مستقلة . وتوزع كل واحدة منها إلى قوائم ثلاثة هي : نعم ، لا ، لا أدري حسب ما تترأى للفرد وهل هي صادقة أم خاطئة أم من الصعب تحديد رأى فيها والصورة الأخرى جمعية ، متضمنة في كتيب يحتوى على ٥٦٦ عبارة منها الخمسائة وخمسين عبارة الواردة في الصورة الفردية مضافا إليها ست عشرة عبارة مكررة في الكتيب وورقة الإجابة . وقد قام بإعداد هذه الصورة الجمعية إلى اللغة العربية كل من د. عطية محمود هنا ود. محمد عماد الدين اسماعيل ود. لويس كامل مليكه . كما قام الدكتور لويس كامل مليكه بعرض لهذا الاختبار في كتاب الشخصية وقياسها (١) .

والعبارات التي يحتوى الاختبار في صورتيه الفردية والجمعية يمكن تصنيفها حسب موضوعها أو مضمونها إلى ٢٦ قسما منها الصحة العامة والجهاز العصبي والحركة والتوافق والحساسية والعادات والأسرة والحياة الزوجية

(١) د. لويس كامل مليكه ود. محمد عماد الدين اسماعيل ود. عطية محمود هنا: الشخصية وقياسها ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩ :

والمهنة والتعليم والاتجاهات نحو الجنس والدين والسياسة والقانون والمجتمع.
والانفعالات الاكتئابية والهوسية وحالات الحصر والقهر والهذيان والخداع
والهوسية والخاوف المرضية والميول السادية والماسوشية والذكورة
والأنوثة وغيرها .

وقد اختيرت العبارات المختلفة وصنفت لتكون مناهيس مستقلة ، منها
أربعة تعرف بمقاييس الصدق وعشرة تعرف بالمقاييس الاكلينكية . أما
مقاييس الصدق فهي المقياس (٢) ومقياس الخطأ (ف) ومقياس التكذب (ل)
ومقياس التصحيح (ك) . أما المقاييس الاكلينكية العشرة فهي :

١ - توهم المرض (ه س)	٢ - الانقباض (د)
Hypochondriasis (Hs.)	Depression (D)
٣ - المستيريا (ه ي)	٤ - الانحراف السيكوباتى (ب د)
Hysteria (Hy)	Psychopathic Deviation (Pd)
٥ - الذكورة - الأنوثة (م ف)	٦ - البارانويا (ب ا)
Masculinity-Femininity (MF)	Paranoia (Pa)
٧ - السيكاثينيا (ب ت)	٨ - الفصام (س ك)
Psychasthenia (Pt)	Schizophrenia (Sc)
٩ - الهوس الخفيف (م ا)	١٠ - الانطواء الاجتماعى (س ي)
Hypomania (Ma)	Social-Introversion (Si)

وعند وضع الاختبار وإعداده ، قام الباحثان بمقارنة إجابات عدد كبير
من الأشخاص العاديين وإجابات من المرضى النفسيين والعقليين . وقد وجدوا
أن هناك اختلاف بين إجابات العاديين والمرضى . فمثلاً بالنسبة لعبارة
كهنه ه اضحك أحياناً على السمكة الى قد نخرج عن حدود اللياقة . وجدوا
أن أكثر من ٨٠ ٪ من الأشخاص العاديين أجابوا عنها بنعم ، بينما غالبية
الحالات المرضية التى تعاني من حالات الانقباض أجابت لا . أما أن
هذه العبارة بالذات لا يبدو أن لها علاقة قبلية بالانقباض ، فهذا ليس له
أهمية بالنسبة للتبؤ . فمن الناحية التجريبية ، هناك اختلاف فى تواتر

الاستجابات عند كلا المجموعتين . وعلى ذلك ، ومن الناحية الإحصائية ، فإن الشخص الذى يجيب بنعم على هذه العبارة يكون أقرب إلى العادى منه إلى حالة الانقباض . وليس ثمة شك أننا نكون عرضة للخطأ إذ بدينا حكماً فى ضوء معرفتنا بالاجابة عن عبارة واحدة أو حتى عدد قليل من العبارات . ولكن عندما يتبين لنا أن عدداً كبيراً من العبارات تكشف عن وجود فروق إحصائية بين المجموع العام من الناس والمجموعات المرضية الخاصة (وبين المجموعات) ، فإنه يكون لدينا درجة من الثقة فى قدره المقياس على التمييز بين مجموعة وأخرى وأن تكون لدينا تصنيفات مفيدة ممكنة . ولقد أوضحت العديد من المقالات والبحوث التى نشرت عن اختبار المينسوتا المتعدد الأوجه أهمية هذا المقياس وفائدته فى قياس الشخصية . وقد ظهرت فائدة هذا المقياس ككل أو أحد مقاييسه الفرعية كالمقياس السيكوباتى مثلاً فى الكشف عن الحالات التى يحتمل أن يكون لديها سلوك منحرف .

ولقد استخلص بعض السيكلوجيين مقاييس إضافية من عبارات اختبار المينسوتا . ومن بين المقاييس المستخلصة مقياس سوء التوافق العام General maladjustment (Gm) والمكانة الاجتماعية (Social status (st) والتعصب Prejudice (Pr) ، والسيطرة Dominance (Do) وقوة الانا Ego Strength (Es) والتحكم فى التوافق السيكلوجى Control in Psychological Adjustment (Cn) (١)

رواضح من هذه المقاييس العديدة التى يحتوئها اختبار المينسوتا أنه يهتم أساساً وبشكل عدد بالمشكلة الاكلينيكية للتشخيص الفارق . وهذا ما يتضح

(1) Welsh, G. S. and W. G. Dahlstrom : Basic Readings on the M.M.P.I. in Psychology and Medicine, Minneapolis: University of Minnesota Press. 1956.

بصورة أكثر من قولنا أن هذه المقاييس قد وضعت على أساس المقابلة بين مجموعات عادية وحالات مرضية أكليسيكية. والمعيار الرئيسى للصدق كان هو التنبؤ بالحالات الأكليسيكية في مقابل التشخيصات التى تقدمها هيئة المستشفى .

وسوف نشير باختصار إلى المقاييس الأربعة الخاصة بالصدق ثم ننتقل بعد ذلك إلى المقاييس الأكليسيكية :

أولاً : مقاييس الصدق :

١ - المقياس (٤)

والدرجة على هذا المقياس هى عدد العبارات التى يجيب عنها المفحوص بلا أدرى (٤) ، أى العبارات التى لا يستطيع الإجابة عنها بإحدى القيتين " نعم ، أو لا ، ويذهب مؤلفاً هذا الاختبار إلى أن الدرجة المرتفعة على هذا المقياس من شأنها أن تعطى صفحة نفسية غير صادقة كلية . ورغم أن الدرجة التائية ٧٠ على هذا المقياس لا تمثل صفحة نفسية غير صادقة ، إلا أنه يفضل التمسك بدرجة ٥٠ أو أقل من ذلك ويذهب البعض إلى أن من المسموح به أحياناً حث المفحوص على وضع مثل هذه الإجابات تحت إحدى القائمتين الآخرين نعم أو لا ، على أساس أن ليس من الضرورى أن تنطبق عليه الإجابة إنطباقاً تاماً ولكن تشير فقط إلى ترجيح أكثر نحو نعم أو لا . أما إذا وجدنا إصراراً من المفحوص على ذلك فيحسن عدم الضغط عليه (وفى الصورة العربية لهذا الاختبار التى الباحثون القائمة لأدرى وقصراً توزيع الإجابات على القائمتين نعم ولا .

والدرجة على المقياس ٤ فى حد ذاتها لها دلالتها التشخيصية . ولكن لا تتوفر لدينا حتى الآن معانى أكليسيكية محددة لها . وقد لوحظ غالباً أن الدرجات المرتفعة تكثر بين السيكائيليين والافتقاريين .

٢ - مقياس الخطأ (ف)

ومقياس الخطأ يتكون من العبارات التي نستخدم لمراجعة صدق الاختبار ككل . فمقياس ف يتكون من العبارات التي لوحظ أن الأفراد المبرزين ندر أن أجابوا عنها بالصورة التي تصحح بها . وإذا كانت درجة مقياس الخطأ عالية فإن الدرجات الأخرى يحتمل أن تكون غير صادقة ، أما سبب إهمال المفحوص من قصد أو غير قصد في الإجابة على الإختبار أو لعدم فهمه فقرات الإختبار . فكلما زادت الدرجة على هذا المقياس زاد احتمال أن بعض العرامل قد تدخلت لتقلل من صدق الصحة النفسية . أما إذا قلت درجة هذا المقياس فإن ذلك يعتبر دليلاً صافياً على أن استجابات المفحوص معقولة ووثيقة الصلة بالعبارات أو الموضوع الذي يجب عنه .

ومن المحتمل أن يزداد الدرجة نتيجة لأخطاء في التصحيح . والدرجة الثائية التي تساوى ١٠ أو أقل على هذا المقياس تدعو للطمانينة بأن المفحوص قد تعارن في الاختبار وفهم العبارات بدرجة معقولة ، وأن التصحيح قد أجرى على وجه الدقة نسبياً . إلا أن درجة هذا المقياس تزداد نتيجة أنواع معينة من المرض النفسي وخاصة في الحالات الشبيهة بالفصام وحالات الانقباض رغم اجاباتهم بعناية وتعاون (١) .

٣ - مقياس الكذب (ل)

وتستمد الدرجة على هذا المقياس من ١٥ عبارة تتضمن كلها أموراً مقبولة اجتماعياً ، إلا أنها لا تنطبق عادة على أي فرد في عالم الواقع . وهذا معناه أن الشخص يريد أن يعطى انطباعات عن نفسه في صورة مقبولة اجتماعياً ومن أمثلة هذه العبارات : « أوجل إلى الغد في بعض الأحيان ما يجب أن عمله اليوم » ، فرغم أن الإجابة الصحيحة المعتادة تكون نعم ، إلا أن الإجابة المقبولة اجتماعياً والتي يعتقد أن الناس يرضون عنها هي لا . ومن المعتقد أن الشخص

(١) د . لويس كامبل مليسكه وآخرون : الشخصية وقياسها ، مرجع سابق ص ١٤٩ .

الذى يحصل على درجة مرتفعة على هذا المقياس يكون من النوع الذى يريد أن يظهر نفسه فى صورة مقبولة اجتماعياً وذلك عن طريق تحريف استجابته لمبارات المقياس . ورغم أن الدرجة العالية على مقياس الكذب لا تؤدي بالضرورة إلى عدم صدق المقاييس الأخرى ، فإنها قد توضح أن الإجابات عامة قد تأثرت بنزعة الفرد إلى الكذب أو بإعطاء صورة غير صحيحة عن نفسه . ومن هنا فإن النتائج العامة يمكن أن تكون موضع نقاش .

٤ - مقياس التصحيح (ك) :

« يعبر المقياس ك بصفة عامة عن اتجاه المفحوص نحو الاختبار . وهو يرتبط بالاتجاهات التى يكشف عنهما مقياس الخطأ والكذب . والدرجة العالية على المقياس (ك) مثل الدرجة (ل) قد تدل على استجابة دفاعية تتمسك بها مقصوداً نحو الطرف السوى . أما الدرجة المنخفضة على المقياس (ك) فهى تشير إلى أن المفحوص ينقد نفسه بنفسه وأنه مستعد للكشف عن أعراضه حتى ولو كانت ضئيلة فى دلالتها المرضية وأنه يرغب فى إظهار نفسه بمظهر لا سوى (١) .

والدرجة على المقياس ك تستخدم كعامل مصحح أى أنها تضاف كها أو جزء منها إلى الدرجات على خمسة من المقاييس الإكلينيكية (هى توهم المرض) (هـ س) ، والانحراف السيكوباتى (ب د) والسيكاثينيا (ب ت) ، والشيزوفرنيا (الفصام) (س ك) ، والهوس الخفيف (م ا) لزيادة قدرتها على التمييز والتفخيص ، ويحدد القارئ قيم (ك) التى تضاف إلى هذه المقاييس الإكلينيكية على الصفحة النفسية للاختبار .

(١) د . لويس كامل وآخرون : النفسية وقياسها . مرجع سابق ١٩٨٤م - ١٥٠

(ثانياً) المقاييس الإكلينيكية :

١ - مقياس توهم المرض : هـ . س

وهو مقياس لمقدار الاهتمام الزائد بالوظائف الجسمية والقلق الذى لا يستند إلى سبب ، على الصحة . فيشكو الفرد غالباً من آلام واضطرابات يصعب تمييزها وليس لها أساس عضوى واضح . والدرجة المرتفعة الصادقة على هذا المقياس تعبر على الأقل عن محاولة للاطمئنان ، وفي الحالات الشديدة ، للتنفيس عن التوهم المتصل بالمرض الجسمى ، . وبينما نجد المرضى الذين يعانون فعلاً من مرض جسمى يسهل إثباته والتيقن من وجوده ، يحصلان عادة على درجة عالية في المقياس هـ . س بسبب شكواهم النفسية من المرض ، إلا أن زيادة الدرجة عن ٦٥ يكون دليلاً قوياً على وجود المرض النفسى حتى في حالات الأفراد الذين يعانون فعلاً من مرض جسمى .

وقد وجد أن الأشخاص ذوي الدرجات المرتفعة على المقياس هـ س ، يوصفون من يعرفونهم بتعدد الاهتمامات وبالإقبال على الناس وبالعطف والنظام والاعتراف بالجميل (١)

٢ - الانقباض : د

— وقد استخرج هذا المقياس أساساً من استجابات المرضى الانقباضيين والذين يعانون من حالات الجنون الدورى . والدرجة المرتفعة على هذا المقياس تدل على انخفاض في الروح المعنوية مع الشعور باليأس والعجز عن النظر إلى المستقبل نظرة عادية متفائلة .

وقد وجد أن أهم الصفات التى تلسب إلى من حصلوا على درجات مرتفعة .

على هذا المقياس هي القلق والصرامة والتواضع والكرم والحساسية وشدة
العامفة وتقدير الجمال ، أما الذين حصلوا على درجات منخفضة فقد اشتغلوا
مع من حصلوا على درجات منخفضة على المقياس ك في كثير من الصفات .
وفد وصفوا بالمرح والتكيف والثقة بالنفس والتعاون والسلوك غير
المتكيف (١) .

وقد قام د . لويس كامل مليسكة (١٩٦٦) بإعداد معايير مصرية لمقياس
الإنقباض تتوفر له مقومات المقياس الجيد . وقام بتطبيق المقياس على مجموعات
إكلينيكية من ٥٠ شخصاً من تراوح أعمارهم بين ١٧ سنة و ٥٩ سنة بمتوسط
قدره ٣١.٢١ ، وكذلك مجموعة ضابطة تتراوح أعمارها بين ١٧ و ٥٩ سنة
بمتوسط قدره ٣١.٩٧ وقام بتحليل فقرات المقياس الذي كان يتكون من ٦٠ فقرة
وأُسفر التحليل عن وجود ١١ عبارة مميزة تميزاً دالاً عند مستوى ٠.٠٠١ ،
١٠ عبارات مميزة تميزاً دالاً عند مستوى ٠.٠١ ، ٦ عبارات مميزة تميزاً دالاً
عند مستوى ٠.٠٥ ، ٨ عبارات عند مستوى ٠.١ ، ٥ عبارات عند مستوى
٠.٢ . أما باقي العبارات وعددها عشرون فقد كانت خارج حدود المستويات
السابقة . ولذلك فقد أعد مقياساً جديداً للإنقباض مكوناً من ٤٠ عبارة ،
وفيما يلي بعض العبارات التي وردت في هذا المقياس الجديد (٢)

نومي مضطرب وقلق .

من المؤكد أنني قليل الثقة بنفسى .

اننى أعمل تحت توتر عصبي عنيف

أشعر في بعض الأحيان شعوراً قوياً بأننى عديم الفائدة .

(١) نفس المرجع السابق ص ٥٤ - ١٥٥

(٢) د . لويس كامل مليسكة - مقياس الإنقباض في اختبار الغضبة المتعدد لأوجه الظاهرة ،

مكتب النهضة المصرية ١٩٦٦

مرت بـ فترات تقدر بالأيام وأحيانا بالأسابيع أو الشهور ، فقدت فيها القدرة على الاهتمام بما حول وذلك لأننى لم أستطع مواصلة نشاطى .

٣ - مقياس المستيريا : ٥ . ى

ويقيس درجة تشابه المفحوص بالمرضى الذين تظهر عليهم أعراض المستيريا التحولية . وقد تأخذ هذه الأعراض صورة شكاوى عامة منتظمة أو شكاوى أكثر تحديداً ونخصيصاً مثل الشلل والتقلصات والإضطرابات المعوية أو الأعراض القلبية . والأفراد الذين يحصلون على درجات مرتفعة على هذا المقياس معرضون أيضاً على وجه الخصوص لنوبات مفاجئة من الضعف والإغماء أو حتى ما يشبه نوبات الصرع .

وقد وجد أن الأشخاص الذين يحصلون على درجات مرتفعة على ٥ ى يوصفون بالصرامة وكثرة الكلام والتحمس والميل للمجتمعات والمخاطرة والود والقلق ، أما الأشخاص الذين يحصلون على درجات منخفضة على المقياس ، فإنهم يوصفون عادة بالتواضع لدرجة ملحوظة وبالاهتمامات المحدودة (د . لويس كامل الشخصية وقياسها ص ١٥٧) .

وقد قام د . لويس كامل مليكة ١٩٦٧ بإعداد معايير مصرية لمقياس المستيريا تتوفر له مقومات المقياس الجيد . وقد استخدم فى هذا البحث فى مرحلة تحليل الفقرات مجموعة أكليفيكية من ٦٠ شخصا (٣١ ذكر ، ٢٩ أنثى) شخصوا جميعا تشخيصاً سيكانريا فى فئة عصاب المستيريا . وكانت أعمارهم تتراوح بين ١٥ سنة و ٤٩ سنة بمتوسط قدره ٢٥ سنة ، أما المجموعة الضابطة السوية فكانت أعمارها تتراوح بين ١٤ سنة و ٤٥ سنة بمتوسط قدره ٢٥ سنة

ويتكون المقياس الأصلى للمستيريا من ٦٠ عبارة . وقد اختبرت الدلالة

الاحصائية للفروق بين النصب المثوية للاستجابات الدالة على المستويات والاستجابات السوية بين المجموعتين الاكلينكية والضابطة لكل عبارة بطريقة كاس^٢ . وقد أسفر التحليل عن وجود ١٧ عبارة دالة على مستوى ٠.٠٠١ ، ٤ عبارات دالة عند المستويين ٠.٠١ ، ٠.٠٥ . وعبارتين عند مستوى ٠.٠١ ، ٧ عبارات عند مستوى ٠.٠٢ ، ثلاث عبارات عند مستوى ٠.٠٣ . أما بقية العبارات فهي خارج حدود المستويات السابقة ، وعلى ذلك فقد تكون المقياس الجديد للمستويات من ٣٨ عبارة . وهالك بعض هذه العبارات التي وردت في المقياس الجديد للمستويات (١) .

قد رقي على العمل هي هي لم تتغير عما كانت عليه من قبل .
اشعر كل أسبوع - أو أقل - بسخونة تعم جسمي فجأة ، وذلك دون
ما سبب ظاهر .

أصاب أحيانا بنوبات من الغثيان والقلق .

نومي مضطرب وقلق .

غالباً ما لاحظ أن يداي ترتجفان عندما احاول أن أقوم بعمل ما .

٤ - مقياس الانحراف السيكوباتي : ب ، د

ويقيس درجة تشابه المفحوص بجماعة السيكوباتيين الذين تتمثل صعوبتهم الرئيسية في نقص الاستجابة الانفعالية العميقة وفي عدم القدرة على الإفادة من الخبرة ، وعدم المبالاة بالمعايير الاجتماعية . ورغم أنهم يكونون أحيانا خطرين على أنفسهم أو على الآخرين ، إلا أنهم يكونون عادة اذكياء ومحبوبين .

(١) د لويس كامل مليكة : مقياس المستويات في اختبار الشخصية المتعدد الأوجه ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧

وإذا كانت الدرجة على هذا المقياس أعلى بوضوح من غيرها في الصفحة النفسية ، أو تقرب في ارتفاعها من الدرجة على مقياس الهوس الخفيف م ١ ، فإنه يحتمل جداً ، أن يصطدم الشخص ببيئته ، وأن يكون سلوكه أكثر إيذاء لسمعته هو أو لسمعة عائلته المباشرة .

وقد وصف الأشخاص الذين يحصلون على درجات مرتفعة على هذا المقياس بالاقبال على المجتمع والصراحة وكثرة الكلام والمخاطرة وحب الكحول والفردية ، بينما وصف الأشخاص الذين يحصلون على درجات منخفضة على هذا المقياس بأنهم جادون عاطفيون يراعون التقاليد متزنون ، ذوو اهتمامات محددة . (د لويس ملبسكه : الشخصية وقياسها ص ١٥٨) .

وقد قام د . لويس كامل ملبسكه بدراسة هذا المقياس وإعداد معايير مصرية لهذا المقياس تتوفر له كل مقومات المقياس الجيد (١) . وقام بدراسة مجموعة أكليبيكية من ٥٠ فرداً من تزارح اعمارهم بين ١٥ - ٦٠ سنة بمتوسط قدره ٢١,٦٦ سنة ، بينما كانت تزارح اعمار المجموعة الضابطة السوية بين ١٤ - ٥٩ سنة بمتوسط قدره ٣١,٦٥ سنة .

وقام بتحليل فقرات المقياس الأصلي الذي كان يتكون من ٥٠ فقرة ، وبعد اختبار الدلالة الإحصائية للفروق بين النسب المئوية للاستجابات الدالة على الانحراف السيكوباتي والاستجابات السوية بين المجموعتين الأكليبيكية والضابطة لسكل عبارة بطريقة كا^٢ ، أسفر التحليل عن وجود ١٠ عبارات مميزة تميزاً دالاً عند مستوى ٥,٠٠٠ ر.٠ ، ٥ عبارات مميزة تميزاً دالاً عند مستوى ٥,٠٠ ر.٠ ، ٤ عبارات عند

(١) د : لويس كامل ملبسكه : مقياس الانحراف السيكوباتي في اختبار الشخصية المتعدد الأوجه ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦

مستوى ١٠، ١٠، ١٠ عبارات عند مستوى ٢٠. أما باقى العبارات فهي خارج حدود المستويات السابقة . وبذلك أصبح المقياس الجديد يتكون من ٣٤ عبارة . وهذه هي بعض فقراته .

لاشك أننى مظلوم فى هذه الحياة .

تعاودنى رغبة شديدة أحياناً فى أن أترك اسرنى وأبتعد عنها .

يبدو أنه لا يوجد من يفهمنى .

أعمل أشياء كثيرة أندم عليها فيما بعد .

يسئ الآخرون عادة فهم طريقتى فى التصرف .

هـ - الذكورة - الأنوثة : م ف

وهو مقياس للذكورة والأنوثة فى أنماط الاهتمامات . وقد استخرجت عباراته نتيجة المقارنة بين استجابات الذكور من ذوى الاهتمامات الذكرية ، وبين الذكور من ذوى الاهتمامات الأنثوية .

وفى كل من الجنسين ، تدل الدرجة المرتفعة على إنحراف نمط الإهتمام الرئيسى فى اتجاه الجنس الآخر . وكل عبارة أختيرت نهائياً لهذا المقياس تدل على نزعة فى الاتجاه الانثوى عند الرجال المنحرفين جنسياً . وقد وجد أن الرجال ذوى الدرجات المرتفعة على المقياس م ف إما أن يكونوا منحرفين جنسياً بصورة ظاهرة أو مكبوتة . أما بين الإناث فإنه يصعب افتراض نفس الدلالة الاكليبىكية ، ويجب أن يقتصر التفسير على قياس السمة العامة للإهتمام .

وقد وصف الذكور من ذوى الدرجات م ف العالية ، والإناث من ذوى الدرجات المنخفضة بالحساسية والمثالية . أما الذكور من ذوى الدرجات

المنخفضة والاناث من ذوى الدرجات المرتفعة فقد وصفوا بالمخاطرة وبالصلابة الجسمية (الشخصية وقياسها ص ١٦٠) .

٦ — مقياس البارانونيا : ب ١٠

وقد استخرجت عبارات هذا المقياس بالمقارنة بين استجابات مجموعة متنوعة من المرضى بالبارانونيا وهى حالات تنقسم بالتشكك والحساسية الزائدة وهو اجس الإضطهاد وفى الحالات التى ترتفع فيها الدرجة على المقياس ارتفاعاً متوسطاً يعادل الدرجة ت ٧٥ أو أقل ، لا يكون المقياس ب ١ مقياساً واضحاً للشعور بالإضطهاد ، ولكنه يغلب أن يشير إلى حساسية زائدة فيما يتصل بالعلاقات الشخصية .

وقد وجد أن الأشخاص الذين حصلوا على درجات عالية فى هذا المقياس يوصفون بالقلق والحساسية الزائدة والانفعالية وطيبة القلب . أما الذين حصلوا على درجات منخفضة ، فإنهم يوصفون بالمرح والنزعة إلى مواجهة الحياة (د . لويس كامل الشخصية وقياسها ص ١٦١) .

٧ — السيكاينيا . ب ت :

ويكشف هذا المقياس عن التشابه بين المفحوص والمرضى الذين يعانون من المخاوف المرضية أو السلوك القهرى . وقد يكون هذا السلوك القهرى صريحاً كتكرار غسل اليدين أو ضمناً يتمثل فى عدم القدرة على الهروب من الفكرة المتسلطة ، كما تشمل المخاوف المرضية كل أنواع الخوف غير المعقول من الأشياء والمواقف ، كما تشمل الاستجابة الزائدة المبالغ فيها إلى المنبهات المعقولة .

وقد وصف الأشخاص الذين حصلوا على درجات عالية فى المقياس ب ت بأنهم قلقون ، مسالمون ، حساسون ، عاطفيون ، فرديون . أما الذين

حصلوا على درجات منخفضة ، فقد وصفوا بالإيزان والثقة بالنفس (الشخصية وقياسها ص ١٦٣) .

٨ - الفصام : س . ك

ويكشف هذا المقياس عن التشابه بين استجابات المفحوص واستجابات مجموعة من الفصامين الذين يتميزون بالتفكير أو السلوك الخلطى الشاذ أو على الأقل عن يشبه سلوكهم السلوك الفصامى .

وقد قام د. لويس كامل بملئكة بإعداد معايير مصرية لمقياس الفصام تتوفر له مقومات المقياس الجيد (١) . ولستخدم فى هذا البحث مجموعة من الفصامين من ٥١ مريضاً فصامياً من نزلاء مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية أو من نزلاء المستشفيات الخاصة للأمراض العقلية من تتراوح أعمارهم بين ١٦ - ٥٠ سنة بمتوسط قدره ٢٨ سنة تقريباً ، وكذلك مجموعة مضابطة سوية تتراوح أعمارها بين ١٥ - ٥٢ سنة بمتوسط قدره ٢٩ سنة تقريباً .

وكان المقياس الأصلى للفصام يتكون من ٧٨ فقره ، وقد اختبرت الدلالة الاحصائية للفروق بين النسب المئوية للاستجابات الفصامية والاستجابات غير الفصامية بين مجموعتى الفصامين والاسوياء لكل عبارة بطريقة كا^٢ ، وقد أسفر التحليل عن وجود ١٤ عبارة مميزة تميزاً دالاً عند مستوى ٠.٠١ . و ٩ عبارات عند مستوى ٠.٠١ ، ١١ عبارة عند مستوى ٠.٠٥ ، ٦ عبارات عند مستوى ٠.١٠ ، ٢٨ عبارة غير مميزة ، وبذلك أصبح مقياس الفصام الجديد يتكون من ٤٠ عبارة وهذه بعض فقرات هذا المقياس :

مرت بي فترات كنت أقوم فيها بأفعال دون أن أعرف بعد ذلك ماذا كنت أفعل .

(١) د . لويس كامل مليسكه : مقياس الفصام فى اختبار الشخصية المصدد الأوجه ، القاهرة مطبعة دار الفاليف ١٩٦٠

أشعر بأننى كثيراً ما عوقبت دون سبب .
لم أعد أفهم ما أقرأ بنفس الدرجة التى كنت أفهم بها سابقا .
أشعر أن عقلى مختل :

إننى شديد الحساسية بالنسبة لبعض الموضوعات لدرجة أننى لا أستطيع
التحدث فيها .

هذا وقد وصف الأشخاص الذين حصلوا على درجات عالية فى هذا
المقياس بالقلق والصراحة والطيبة والشجاعة والاهتمامات الخلقية . أما الذين
حصلوا على درجات منخفضة فقد وصفوا بالانزان .

٩ - الهوس الخفيف : م . ا

وقد استخرج هذا المقياس من استجابات جماعة من الأشخاص الذين
يتميزون بالمشاط الزائد فى الفكر وفى العمل ويعانون من الهوس الخفيف
وقد وجد أن الأشخاص الذين حصلوا على درجات عالية فى المقياس م - ا
يصفهم معارفهم بالإقبال على الناس والحساس والصراحة والميل لتعالى
الكحوليات والمثالية . أما الأشخاص الذين حصلوا على درجات منخفضة ،
فقد وصفوا بالانزان والنضج والتفكير الواضح العملى .

صفر - الانطواء الاجتماعى : س : ح .

يهدف هذا المقياس إلى قياس النزعة إلى الانزواء من الاتصال الاجتماعى
بالآخرين ، وهو ليس مقياساً كميديكياً بالمعنى المحدود ولكنه يمتد إلى السويين .
وقد وجد أن الدرجات المرتفعة على هذا المقياس تميز بين طالبات الجامعة
اللاتى يشاركن فى نواحي قليلة من النشاط خارج قاعات الدراسة وبين الطالبات
اللاتى يسمنن بقسط كبير من هذا النشاط . (د . لويس كاسل مليكة :
الخصية وقياسها ص ١٦٦) .

ثالثا: اختبار كاليفورنيا للشخصية California Psychological Inventory

وقد حفز اختبار المينسوتا المتعدد الأوجه الكثيرين من علماء النفس الشخصية إلى وضع صور مختلفة من اختبارات الشخصية والتي تعتمد إلى حد كبير على هذا الاختبار واختبار كاليفورنيا ويرمز إليه بالرمز (C.P.I) يقيس شخصية الفرد ابتداء من سن الثالثة عشرة وما بعدها. وهو من وضع هاريسون جوخ Harrison G. Gough في أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينيات. وقد استمد الباحث ما يقرب من نصف فقرات اختبار المينسوتا المتعدد الأوجه، ولكنه بدلا من أن يبدأ بزملاء مرضية سيكاثرية على نحو ما حدث في اختبار المينسوتا، فإن جوخ اهتم أساساً بخصائص الشخصية التي تنطبق بشكل عام على السلوك العادي والتي ترتبط بالإضافة إلى ذلك بالجوانب المقبولة والإيجابية للشخصية أكثر من ارتباطها بالزواحي المرضية. والاختبار يتكون من ٤٨٠ فقرة يجاب عنها بـ «صحيح أو خاطئ»، وتقدر الإجابات وفق ١٨ مقياسا مقننا تهدف إلى إعطاء نظرة شاملة على الفرد من وجهة نظر التفاعل الاجتماعي.

ويمكن أن نشير باختصار إلى هذه المقاييس الثمانية عشرة التي يتكون منها الاختبار.

المجموعة الأولى: مقاييس الزهو والسيطرة وتوكيد الذات وتشمل:

١ - السيطرة: (Do) Dominance: ويتكون من ٦ فقره. ويهدف إلى تقدير عوامل القدرة على القيادة والسيطرة والمقاومة والمثابرة والمبادأة الاجتماعية.

٢ - القدرة على الوصول إلى مكانة عالية: (Ca) Capacity for Status:

ويتكون من ٣٢ فقرة ويهدف إلى قياس قدرة الفرد على الوصول إلى مكانة عالية ، وليس إلى مكانته الحالية أو المكانة التي حققها . وهو يقيس سمات الشخصية التي تكمن وراء المكانة والقوة من طموح ونشاط وكفاءة وفعالية .

٣ - الميل الإجتماعي : Sociability (sy) : ويتكون من ٣٦ فقرة . ويهدف إلى معرفة الأشخاص الإنبساطيين الذين يعيشون خارج ذواتهم ، الأشخاص الاجتماعيين الذين يشاركون الآخرين وجدانيا ومزاجياً وإجتماعياً . والفرد الذي من هذا النوع يتصف بالاستمتاع بأنشطة الجماعة والميل إلى التواجد معهم ومشاركتهم أعمالهم .

٤ - الحضور الإجتماعي : Social presence (Sp) : ويتكون من ٥٦ فقرة ويهدف إلى تقدير عوامل كالأهوال والثبات والتلقائية والثقة بالنفس في التفاعل الشخصي والاجتماعي . والفرد الذي من هذا النوع يتميز بالنشاط والتحمس والحيوية والتلقائية .

٥ - تقبل الذات : Self-Acceptance (Sa) : ويتكون من ٣٤ فقرة ويهدف إلى تقدير عوامل كالأحاساس بقيمة الذات وتقبل الفرد لنفسه والقدرة على التفكيك والسلوك المستقل . والفرد الذي من هذا النوع يتميز بالأحاساس بقيمة الذات والرضا عن النفس والخلو النسبي من الشك الذاتي والاتجاهات الناقدة نحو الذات .

٦ - الشعور بالارتياح والسعادة : Sense of Well-Being (WB) : ويتكون من ٤٤ فقرة . ويهدف إلى التعرف على الأشخاص الذين يقللون إلى أدنى حد من الهموم والمخاوف والشكوى ، والذين يتخلصون نسبياً من

الشكوك الذاتية والوهم والفرد الذي من هذا النوع يتميز بقدرته على الإستمتاع بالحياة ويشعر بالسعادة والراحة البدنية والإفعالية .

المجموعة الثانية : مقاييس التطبيع الاجتماعي والمسئولية الاجتماعية وتشمل :

٧ - تحمل المسئولية : (Re) Responsibility : ويتكون من ٤٢ فقرة ويهدف إلى التعرف على الشخص حتى الضمير ، الذي يشعر ويتحمل المسئولية والفرد الذي من هذا النوع يكون جاداً في تفكيره وسلوكه ، حتى الضمير ، يمكن الإعتماد عليه ، موضع ثقة الغير .

٨ - التطبيع الاجتماعي : (So) Socialization : ويتكون من ٥٤ فقرة ويهدف إلى توضيح درجة النضج الاجتماعي والاستقامة وصحة الحكم أو الرأي ، والفرد الذي من هذا النوع لديه إحساس قوى بالإستقامة ويتقبل القوانين والعادات .

٩ - السيطرة على الذات : (Sc) Self-Control : ويتكون من ٥٥ فقرة ، ويهدف إلى تقدير درجة ملائمة توجيه الإنسان لذاته وسيطرته عليها والتحرر من الاندفاعية والتركز حول الذات . والفرد الذي من هذا النوع يكون هادئاً غير مندفع ، لا يترك نفسه لظروف الساعة ، متأن .

١٠ - التسامح : (To) Tolerance : ويتكون من ٣٢ فقرة . ويهدف إلى التعرف على الأشخاص الذين لديهم اتجاهات اجتماعية متساعة والذين يقبلون المناقشة . والفرد الذي من هذا النوع يتميز بالتسامح والتساهل وتقبل الآخرين . واسع الأفق غير متعصب في معتقداته وقيمه والتي قد تكون مخالفة تماماً لمعتقدات وقيم الآخرين .

١١ - الانطباع الجيد : (gi) Good-Impression : ويتكون من ٤٤ فقرة

ويهدف إلى التعرف على الأشخاص الذين لديهم القدرة على إيجاد الانطباع الجيد والذين يهتمون بكيفية استجابة الآخرين لهم . والفرد من هذا النوع يتميز بالتعاون والشجاعة . اجتماعي ، يساعد الآخرين ويترك في نفوسهم انطباعاً حسناً .

١٢ - المشاركة: (Cm) Communality : ويتسكون من ٢٨ فقرة ويهدف إلى قياس درجة تطابق استجابات الفرد وسلوكه للنمط السائد . والفرد من هذا النوع يتميز بالملاءمة والتطابق مع الجماعة ، كما يحس بإحساسات ومشاعر أى شخص آخر ويرى الأشياء كما يراها الآخرون .

المجموعة الثالثة : مقاييس إمكانية التحصيل والكفاية العقلية وتشمل :

١٣ - التحصيل عن طريق المسايير أو الموافقة : Achievemen (Ac) via conformance : ويتسكون من ٢٨ فقرة ويهدف إلى التعرف على عوامل الإهتمام الدافعية التي تسهل عملية التحصيل في أى مجال تسكون فيه المسايير أو الموافقة سلوكاً إيجابياً . والفرد الذى من هذا النوع يتميز بأن لديه حاجة قوية للتحصيل ويكون فى أحسن حالاته فى المواقف التى تخضع اقواعد ونظم محددة والتي ينفذ منها عملاً اقترحه وخططه رئيس أو مشرف .

١٤ - التحصيل عن طريق الإستقلال : Achievement (Ai) via independence : ويتسكون من ٣٢ فقرة . ويهدف إلى تحديد عوامل الإهتمام الدافعية التي تسهل عملية التحصيل فى أى مجال يكون فيه الاستقلال الذاتى والإعتماد على النفس سلوكاً إيجابياً . والفرد من هذا النوع يتميز بوجود الحاجة الملحة للتحصيل المستقل . ويكون فى أحسن حالاته فى المواقف الجديدة غير المطروقة والتي يعمل فيها بمفرده دون مساعدة من رئيس أو مشرف .

١٥ - الكفاءة العقلية: (Je) Intellectual Efficiency : ويتكون من ٥٢ فقرة ويهدف إلى بيان درجة التحصيل الشخصي والعقلي التي بلغها الفرد. والشخص من هذا النوع يتميز بأنه كفء فعال ، لديه القدرة على بدء العمل بسرعة ودون حاجة إلى أرجاء أو تأخير كما أن لديه القدرة على مواصلة العمل الذهني لفترات طويلة من الزمن .

المجموعة الرابعة : مقاييس التوجيه الشخصي والإتياء نحو الحياة وتشمل :

(١٦) العقلية السيكولوجية: (Py) Psychological-mindedness : ويتكون من ٢٢ فقرة ويهدف إلى قياس درجة اهتمام الفرد واستجابته لحاجاته الداخلية ودوافعه وإحساساته وكذلك اهتمام وميل الفرد نحو الآخرين واستجابته لهم ومعرفة دوافعهم الداخلية وخبراتهم . والفرد من هذا النوع يكون قوى الملاحظة ، حساسا بالآخرين ، لديه القدرة على فهم احساسات الآخرين والاستجابة لها .

١٧ - المرونة: (Fx) Flexibility : ويتكون من ٢٢ فقرة ويهدف إلى توضيح درجة مرونة وتوافق تفكير الفرد وسلوكه الاجتماعي . والفرد الذي من هذا النوع يتميز بالمرونة وحب التغير والإبداع وتفضيل الأشياء الجديدة غير المألوفة .

١٨ - الأنوثة: (Fe) Femininity : ويتكون من ٣٨ فقرة ويهدف إلى تقدير الذكورة أو الأنوثة في نواحي المزاج والاهتمامات (الدرجات المرتفعة تشير إلى أنوثة أكثر ، والمنخفضة تشير إلى ذكورة أكثر) . والفرد الذي من هذا النوع يتميز بأنه عطوف ، ألوف في سلوكه يميل إلى مساعدة الآخرين عن طريق الصبر والمحبة .

واختبار كاليفورنيا - كاختبار مينيسوتا - له فوائد وصفية وتنبؤية هامة. ولم يدع جوخ أن مقياسه يقيس سمات مستقلة أو أنه يقيس كل خصائص الشخصية الهامة ، وإنما هو يعطى صورة عامة عن سمات الشخصية فى النواحي التى يقيسها .

رابعا : اختبار الشخصية السوية :

وهذا الاختبار مقيس أساساً من اختبار الشخصية والميول - د إريخ من إكرا ، ود فالتر توماس ، وقد وضع هذا الاختبار لسد حاجة علماء النفس التطبيقى فى قياس الجوانب المتعددة للشخصية ودراسة ميول الأفراد . وقد انجذبت أنظارهما فى البداية إلى اختبار مينسوتا المتعددة الأوجه باعتباره أحد الاختبارات الهامة التى تعد السيكلوجى الإكلينيكى بصورة متكاملة عن الجوانب المتعددة لشخصية الفرد . ولكن نظراً لطول الاختبار وما يتطلبه من جهد فى التطبيق والتفسير من ناحية ، وما وجه إليه من أوجه النقد على أساس ضعف قيمته التشخيصية فى أعمال العيادات ، كل ذلك دفعهما إلى وضع اختبار جديد يختص بدراسة الأسوياء أكثر مما يختص بدراسة الحالات المرضية المختلفة ، ولذلك لم يستخدم الباحثان فى تقنين اختبارهما عينات عيادية ، وقد قمنا بإعداد هذا الاختبار إلى العربية (١)

واختبار الشخصية السوية يحتوى على ١٢١ فقرة تشتمل على تسعة مقاييس هى :

- ١ - النقد الذاتى - نقص النقد الذاتى .
- ٢ - الاتجاه نحو المجتمع - الاتجاه ضد المجتمع .
- ٣ - الإنسباط - الإنطواء .

(١) د . د . سيد محمد غنيم ود . محمد مصطفى المايرجى : اختبار الشخصية السوية - القاهرة
مكتبة النهضة العربية ١٩٦٤

- ٤ - غير عصبي - عصبي .
- ٥ - غير الهوس - الهوس
- ٦ - عدم الإكتئاب - الإكتئاب
- ٧ - غير المنقسم - المنقسم .
- ٨ - غير بارانويا - بارانويا .
- ٩ - ثبات عمل الجهاز العصبي التلقائي - عدم ثبات الجهاز العصبي التلقائي .

وقد طبعت فقرات الاختبار . كل على بطاقة منفصلة ومن ثم فهو اختبار فردى . وتوزع البطاقات على خاتتين هما مضبوط إذا كانت العبارة تنطبق على الفرد ، غير مضبوط : إذا رأى الفرد أنها لا تنطبق عليه .

ونورد فيما يلى تعريفا بهذه المقاييس التسعة ونماذج من عبارات كل مقياس :

(١) النقد الذاتى - النقص فى النقد الذاتى :

ويتضمن هذا المقياس عبارات نستخدم لقياس مدى صلاحية الاختبار بالنسبة للمفحوص . وتعتبر استجابات المفحوص مقياسا للاستعداد الشعورى للفرد للإجابة عن عبارات الاختبار بأمانة وصدق ، كما تعتبر فى نفس الوقت مقياساً لقدرته على القيام بعملية النقد الذاتى . ويجدر بطلان تشير إلى أن عملية النقد الذاتى لا تتضمن فقط نقد المرء لنفسه ، بل وأيضاً تقديره أسلوبه وتصرفاته الفعلية الواقعية . وعلى ذلك يفسر الانحراف عن المعيار فى هذا المقياس (أى استجابة المفحوص استجابات سلبية كثيرة) على أساس إما أن المفحوص يعتمد على تحريف الاختبار والخروج به عن طبيعته ، أو أنه ليس لديه النقد الذاتى الكافى ، كي يحجب على عبارات الاختبار

والتي هي في الحقيقة ليست سوى حكم المفحوص على نفسه وتقديره لذاته بطريقة غير مباشرة .

ويحتوى هذا المقياس على ١٦ فقرة تشير إلى بعضها :
إذا استطعت التسلل إلى داخل السبيل وكنت واثقاً من أن أحداً لن يرانى ، فربما فعلت ذلك .

لقد احتفظت لنفسى مرة بشيء وجدته في الطريق .
أوجل أحياناً عمل اليوم للغد رغم وجوب القيام به اليوم
(٢) الإتجاه نحو المجتمع - الاتجاه ضد المجتمع :

ويتضمن هذا المقياس عبارات تحدد اتجاه الفرد شعورياً وذهنياً نحو المجتمع الذى يعيش فيه ونحو الناس عامة بمعنى أنه لا يقيس اتجاه الفرد نحو من تربطه بهم علاقة مباشرة أو صلة مباشرة فحسب ، بل اتجاهه نحو الناس عامة أى أنه يقيس السلوك الاجتماعى الذى يتكون عن طريق الخبرة ، وليس عن طريق الحالة المزاجية والاستجابات الانفعالية المباشرة تجاه الآخرين .

ويحتوى هذا المقياس على ١٥ فقرة تشير إلى بعضها :
لا أنصاف من شخص فضل على شخص آخر أعطاء فرصة لذلك
أفضل أن أنجز أمورى بمفردى حتى لا يتحتم على مساعدة أحد .
على الشخص أن يثبت إقدامه في الحياة بصرف النظر عن مراعاة مصالح الآخرين .

(٣) الانبساط - الانطواء .

ويتضمن هذا المقياس علاقة الفرد ببيئته وبالناس في هذه البيئة ، تلك العلاقة التي تحددها العوامل التكوينية المعنوية والعصبية للفرد ، كما تحددها

العوامل الإنفعالية وحالته المزاجية . والشخص المنبسط هو الذى يتجه نحو العالم الخارجى ، أما المنطوى فهو الذى يتركز حول ذاته ويتعد عن الآخرين والعالم الخارجى .

والواقع أن ليس من الضرورى أن يستجيب المتممون إلى أحد هذين النمطين في الموقف الواحد بنفس الاستجابات ، لأن حالتهم الانفعالية التى تقترن بخبراتهم تختلف من شخص إلى آخر . وهذا يتفق والمفهوم العام في علم النفس لكل من الانطواء والانبساط .

وقد اتسع مفهوم الانبساط والانطواء في مجال الشخصية حتى أصبح يتضمن نواحي كثيرة ليس ثمة ارتباط بينها . وإواجهة هذه الصعوبة ولتوضيح المقصود بالانطواء والانبساط في هذا الاختبار عمد متن اكر ونومان إلى وضع مقياس مستقل خاص بالإتجاه نحو المجتمع ومقياس مستقل آخر بالمنفصم - غير المنفصم حتى يمكن تنقيسة مفهوم الانبساط والانطواء وحتى لا نخلط بين هذه النواحي وبين المعنى الأصلى للانطواء والانبساط .

ويتكون هذا المقياس من ١٥ فقرة تشير إلى بعضها :

كنت دائماً حريصاً جداً في اختيار أصدقائى .

من السهل على أن أدخل السرور بسرعة على إنسان يشعر بالتعاسة .

ربما يسعدنى أن أعيش وحيداً في خيمة بالصحراء أو الجبل

(٤) غير العصائى - العصائى :

ويتضمن هذا المقياس عبارات تكشف عن وجود الأساليب العصائية في السلوك ، ويقصد بالعصائى هنا المعنى العام لكلمة عصاب دون تمييز لأنواعه المختلفة من قلق ووسوس متسلطة الخ

ويحذر بنا أن نشير هنا إلى أن الدرجة السلبية العالية في هذا المقياس لا تشير إلى تشخيص عصابي . ذلك أن ليس هناك اختبار يمكنه بمفرده تشخيص العصاب ، وإنما كل ما تعنيه هنا ، هو أن الدرجة السلبية العالية تشير إلى ميل الفرد إلى تكوين الأعراض العصابية أو تثبيت هذه الأعراض . وتعتبر المقاييس من ٥ - ٨ مكملة للمقياس ٤ من ناحية ، وللمقياس ٩ من ناحية أخرى . .

ويتكون هذا المقياس من ٢٠ فقرة تشير إلى بعضها :
أشعر بالانقباض إذا جلست في حجرة مزدلفة حتى ولو لمدة قصيرة .

قد يسعدني أحيانا أن أسبب الألم لأشخاص أحبهم .
يكاد يكون عندي خوف دائم من شخص أو من شيء .
(٥) غير الهوس - الهوس :

ويتضمن هذا المقياس عبارات تكشف عن ميل الشخص إلى القيام بتصرفات تعتبر من الناحية العيادية هوسا ، وتعتبر في صورتها المخففة في الحياة العادية هوساً خفيفاً .

ويتكون هذا المقياس من ١٠ فقرات تشير إلى بعضها :
إن أيسر شيء بالنسبة لي هو أن أتخذ قراراً في موضوع ما .
حينما أحس بالملل ، أشعر بارتياح لو أنني قمت بعمل ضجة بسيطة .
أحيانا أعجب بذكاء محال حتى أتمنى ألا يمسي بسوء .

(٦) عدم الاكتئاب - الاكتئاب :
ويتضمن هذا المقياس عبارات تكشف عن ميل الفرد إلى القيام بتصرفات

شبيهة بحالة الاكتئاب بالمعنى العيادى أو بحالة اللانحوليا .

ويتكون هذا المقياس من ١٠ عبارات تشير إلى بعضها :

كثيراً ما أفكر أن الحياة لا معنى لها .

وددت أن أكون سعيداً ولو بمنزل السعادة الظاهرية للآخرين .

أحياناً أشعر أن وجودى مثل عدمه .

(٧) غير المنفصم - المنفصم :

ويتضمن هذا المقياس عبارات تكشف عن ميل إلى الصورة العيادية المعروفة بالمنفصم وهى الشخصية المغلقة على نفسها المنطوية، البعيدة عن المجتمع التى تعيش فى الخيالات والتى تكون حياتها الانفعالية منفصلة إلى حد بعيد أو قليل من محتواها الفكرى بسبب النمو العقلى الشاذ (كرتشمير) .

ويتكون هذا المقياس من ١٠ عبارات تشير إلى بعضها :

فى بعض الأحيان أفضل أن أجلس مدة طويلة فى أحلام اليقظة على أن أعمل أى شئ آخر .

الكل فى نظرى سيان .

كثيراً ما ينتابنى شعور بأن الأشياء ليست واقعية .

(٨) غير البارانونيا - البارانونيا

ويتضمن هذا المقياس عبارات تكشف عن ميل إلى الصورة العيادية المعروفة بالبارانونيا والتى تقسم بميل الفرد إلى اعتبار ما يحدث فى البيئة من تصرفات وعمليات موجهاً إلى نفسه . وهذا ما يفسر شعوره بالإضطهاد .

ويتكون هذا المقياس من ١٠ عبارات تشير إلى بعضها :

لو لم يدبر البعض لى شيئاً فى الخفاء لتحسن مستقبلى كثيراً .

هناك كثيرون ليس لهم من شاغل إلا التحدث من وراء ظهري .
أنا شخصية مهمة .

(٩) نبات عمل الجهاز العصبي التلقائي - عدم ثباته :

وهي عكس المقياس ٤ (غير العصاب - العصاب) الذي يقاس به الميل إلى
تكوين الأعراض العصبية وتثبيت الأعراض ، فإن هذا المقياس يتضمن عبارات
تكشف عن عبارات عصبية في محيط الجهاز العصبي التلقائي ، وإذا كان المقياس
رقم ٤ يكشف عن الأعراض العصبية التي ترجع إلى الظروف البيئية المحيطة ،
فإن المقياس رقم ٩ يكشف عن الأعراض العصبية التي ترجع إلى أسباب
تكوينية .

ويتكون هذا المقياس من ١٥ عبارة: يشير إلى بعضها :

أعتقد أنني لست عصيباً أكثر من الآخرين .

أعرق سريعاً حتى في الأيام الباردة

في بعض الأحيان لا أستطيع من شدة القلق أن أجلس دقيقة واحدة
هادئاً .

استخدام التحليل التاملي في بناء مقاييس الشخصية :

وللوصول إلى تصنيف دقيق منظم لسمات الشخصية ، قام نفر من علماء
النفس باستخدام التحليل العاملي في بناء اختبارات الشخصية وعلى نطاق أوسع
بما وجدنا في اختبارات أخرى كاختبار برنزويتر مثلاً ، وتعتبر دراسات
جيلفورد ومساعدته في هذا الاتجاه دراسات رائدة ، ثم ظهرت بعد ذلك العديد
من الدراسات والبحوث . وسوف نقتصر هنا على نموذجين اثنين هما مجموعة
اختبارات جيلفورد ومجموعة اختبارات كاتل ،

خامساً : اختبارات جيلفورد العاملية :

الهدف منها تزويد الباحثين بدرجات العوامل المستقلة أو السمات الأولية للشخصية ، وهذه الاختبارات ثلاثة تتكون من ١١ سؤالاً يجاب عنها بنعم أو لا أو ؟ ، وهذه الاختبارات تقيس ١٣ سمة مزاجية

الاختبار الأول : اختبار عوامل الشخصية STDCR ويتكون من ١٧٥ سؤالاً تقيس :

الانطواء - الانبساط الاجتماعي.

S — Social Introversion-extroversion.

التفكير الانطوائى - التفكير الانبساطى .

T — Thinking Introversion-extroversion.

الاكتئاب وعدم الإحساس بالسعادة والتشاؤم .

D — Depression, unhappiness, pessimism.

التقلب الوجداني وعدم الثبات الانفعالى .

C — Cycloid disposition, emotional instability.

الابتهاج والانبساط والاستعداد للتوكل على الحظ .

R — Rhythymia, carefreeness, happy-go lucky disposition.

الاختبار الثانى : اختبار العوامل الشخصية GAMIN ويتكون من ١٨٦

سؤالاً تقيس :

النشاط العام .

G — General Activity

السيطرة - الخضوع .

A — Ascendence-submission.

الذكورة - الأنوثة .

M — Masculinity-Femininity.

الثقة ضد مشاعر النقص .

I — Confidence vs inferiority feelings.

رباطة الجأش والهدوء ضد العصبية .

N — Composure , calmness us nervousness.

الاختبار الثالث : اختبار الموظفين لجيلفورد ومارتن ويتسكون من
١٥٠ سؤالاً تقيس :

الموضوعية ضد الذاتية أو الحساسية الزائدة

O — Objectivity vs subjectivity or hypersensitivity.

المسالمة ضد العدوان وحب القتال .

Ag — Agreeableness vs generalized hostility, belligerence.

التعاون (أو التسامح) ضد تلبس أخطاء الغير .

Co — Cooperativeness (or tolerance) vs fault finding
Disposition.

وفيما يلي تعريف السمات التي وردت في اختبارات جيلفورد .

١ — الانطواء - الانبساط الاجتماعي : الدرجة المرتفعة على هذا المقياس
تشير إلى حب النشاط والروابط الاجتماعية ، وحب المراكز القيادية اجتماعياً
والميل للزهر والاستمتاع بصحبة الآخرين . أما الدرجة المنخفضة على هذا
المقياس فتشير إلى الخجل والميل إلى الانسحاب من المواقف الاجتماعية والميل
إلى الإنعزال .

الدرجة المرتفعة مطلوبة أكثر من أجل الصحة العقلية للفرد من الدرجة
المنخفضة التي تشير إلى حاجة الفرد إلى التوجيه نحو زيادة تكوين روابط
وعلاقات اجتماعية .

٢ — التفكير الانطوائى - الانبساطى : الدرجة المرتفعة على هذا المقياس
تشير إلى ضعف الاتجاه التأملى الانطوائى في عمليات التفكير والاتجاه نحو
التفكير الانبساطى ، أما الدرجة المنخفضة فتشير إلى الميل إلى التفكير التأملى
الفلسفى وتحليل الأفكار الذاتية وأفكار الآخرين ووجود استعداد استيعابى

لدى الفرد ، وتعتبر الدرجة المتوسطة أكثر قبولاً من ناحية الصحة النفسية من الدرجتين المتطرفتين ، ومع ذلك فكل طرف قد يكون له قيمة خاصة بالنسبة لأنواع معينة من المهن .

٣ - الاكتئاب : الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تشير إلى الخلو من الاكتئاب أى أن الشخص أميل إلى الابتهاج والتفاؤل . أما الدرجة المنخفضة فتشير إلى مزاج مكتئب من حين لآخر مع إحساس بالذنب ، وأن الفرد غير جدير بالثقة والاحترام ، وكلما ارتفعت الدرجة على المقياس كان هناك احتمال أن يكون التوافق الانفعالي للفرد أحسن .

٤ - الثقلب الوجداني : الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تشير إلى استجابات ومزاج ثابت انفعاليا وإلى خلو من التقلبات الوجدانية . أما الدرجة المنخفضة على هذا المقياس فتعني وجود تقلبات وجدانية على نحو ما تتضح في الاستجابات الانفعالية العنيفة ، والتذبذب المزاجي واستعداد للحرق وسرعة الاهتياج وعدم الاستقرار والثبات .

والدرجة الأعلى أفضل بالنسبة للتوافق الانفعالي لشخص ما ، سوى أن الدرجات المرتفعة جداً يمكن أن تشير إلى شخص جامد Colorless, Inert Individual

٥ - الابتهاج والانبساط : الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تشير إلى الاحساس بالسعادة والانبساط والحيوية والاندفاع . أما الدرجة المنخفضة فتشير إلى ميل للكف وشدة التحكم وضبط الدوافع . وقد يمثل كل طرف منهما حالات من عدم التوافق النفسي . والدرجة المتوسطة تعد أكثر تقبلاً وتوافقاً بالنسبة للصحة النفسية للفرد .

٦ - النشاط العام : الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تشير إلى الحيوية والنشاط وسرعة الحركة أو أن الشخص من النوع السريع اللطيف في عمله ،

وقد يكون من النوع المندفع . أما الدرجة المنخفضة فتشير إلى الخمول والكسل وعدم الميل إلى النشاط الحركي .

والدرجة المتطرفة في الارتفاع تشير إلى حالة هوس ، بينما المتطرفة في الانخفاض تشير إلى نقص إفراز الدرقية ، أو أن هناك أسباباً أخرى للخمول . ومن هنا فالدرجة المتوسطة هي أفضل في العادة بالنسبة للصحة النفسية للفرد .

٧ - السيطرة - الخنوع : الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تشير إلى القيادة أو الرعامة والسيطرة وإلى أن الشخص من النوع الذي يحمي حقوقه ويدافع عن نفسه في المواقف التي يوجد بها علاقات شخصية متبادلة . أما الدرجة المنخفضة فيجب أن تفسر في ضوء الخصائص المزاجية الأخرى . وليست هناك قاعدة عامة يمكن وضعها مقدماً لما تكون عليه الدرجات الأنسب بالنسبة للصحة النفسية للفرد .

٨ - الذكورة - الأنوثة : الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تشير إلى اهتمامات ذكورية أكثر : اهتمامات مهنية ولا مهنية .

أما الدرجة المنخفضة فتشير إلى ميول أنثوية . ومعظم درجات الرجال فوق ه درجات ومعظم درجات النساء دون ه درجات والرجال الذين تكون درجاتهم منخفضة جداً ، قد يوحي ذلك ، إما بنقص الهرمونات الذكورية أو زيادة الهرمونات الأنثوية .

٩ - الثقة ضد مشاعر النقص : الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تشير إلى الثقة بالنفس وعدم وجود مشاعر النقص وأن الفرد يشعر أنه مقبول من الآخرين كما أنه غير متمرکز حول ذاته . أما الدرجة المنخفضة فتشير إلى الافتقار إلى الثقة بالنفس وإلى قلة تقدير الذات وإلى مشاعر العجز وعدم الكفاية . .

وكما ارتفعت الدرجات كانت أفضل بالنسبة للصحة النفسية للفرد، سوى الدرجات المتطرفة الارتفاع والتي قد يكشف البحث الكليتي لها عن تعويض بالعظمة لمشاعر النقص الحفية . وكثير من العصايين يعطون درجات منخفضة جداً على هذا المقياس .

١٠ - الهدوء ضد العصبية : الدرجة المرتفعة على المقياس تشير إلى الميل إلى الهدوء والاسترخاء . أما الدرجة المنخفضة فتشير إلى العصبية والنفرة والاهتياج العصبي والقابلية لسرعة الاستثارة وسهولة التشتت والضجر .
والدرجة الأعلى أفضل بالنسبة للصحة النفسية للفرد ما لم تكن هناك أدلة كليتكية على وجود حالة التبلد والعكس كأساس للدرجة المرتفعة المتطرفة . أما الدرجات المنخفضة بشكل ظاهر فقد توحى بنقص الكالسيوم في الدم وفي كثير من الحالات قد يكون الصرع العقلي هو أساس التوتر الانفعالي الذي يعبر عنه في صورة الاهتياج العصبي والقابلية لسرعة الاستثارة .

١١ - الموضوعية : الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تشير إلى الميل إلى النظر للذات والآخرين نظرة موضوعية وبدون تحيز أو انفعال . ويكون الشخص من النوع المتيقظ للبيئة الخارجية التي يعيش فيها . أما الدرجة المنخفضة فتشير إلى ميل إلى أخذ الأشياء بصورة شخصية وذاتية ، كما يكون الفرد حساساً جداً . والدرجة الأعلى أفضل بالنسبة للصحة النفسية للفرد .

١٢ - المسالمة : الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تشير إلى ضعف الميل إلى المقاتلة والنزاع والعدوان .

أما الدرجة المنخفضة فتشير إلى الميل إلى العدوان وإلى اتجاه نحو السيطرة واستعداد زائد عن الحد للنزاع والمشاجرة على أتفه الأمور . والدرجات المنخفضة جداً تشير إلى نزعة واضحة للسيطرة كغاية في ذاتها ، تظهر وتنمو

نتيجة لبعض الإحباطات المتكررة التي يتعرض لها الفرد . وقد تؤدي في الحالات المرضية إلى هذات العظمة .

١٣ — التعاون . الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تشير إلى الترحيب بتقبل الأشياء والناس كما هم ، والميل عامة إلى التسامح . أما الدرجة المنخفضة فتشير إلى الميل إلى تلس أخطاء الغير وإلى زيادة النقد والاتجاه نحو عدم التسامح . والدرجة الأعلى أفضل بالنسبة للصحة النفسية للفرد مالم تكن الدرجة على النشاط العام أو العلامات الإكلينيكية تشير إلى حالة من التبلد والبطء كأساس للافتقار إلى النقد . وأحياناً يكون النقد الزائد تعويضاً لمشاعر خفية بعدم الكفاية .

اختبار جيلفورد - زمرمان:

The Guilford-Zimmerman Temperament Survey (GZTS) :

هذا وقد قام جيلفورد وزمرمان بوضع اختبار واحد يتضمن معظم السمات الثلاثة عشرة السابقة في الاختبارات الثلاثة الأصلية . وكان الهدف هو تقليل بعض الارتباطات العالية التي وجدت بين الاختبارات الأصلية . وكانت هذه الارتباطات العالية بين درجات الاكتئاب والتقلب الوجداني . ولذلك جمعاً معاً في اختبار جيلفورد - زمرمان الذي يعتبر تعديلاً بسيطاً للاختبارات الثلاثة السابقة . ويتكون هذا الاختبار المعدل من ٣٠٠ عبارة تقيس سمات عشرة كشف عنها الاختبار . وفيما يلي هذه السمات مع تعديل طفيف في الرموز والأسماء .

G — General Activity

النشاط العام

R — Restraint vs Rhythymia .

الضبط ضد الانطلاق والابتهاج

A — Ascendancy .

السيطرة

S — Sociability

الميل الاجتماعي

الثبات الانفعالى (ويضم السمتين C,D)

E — Emotional stability (combination of D and C)

O — Objectivity . الموضوعية

المصادقة (المسالمة)

F — Friendliness (previously called agreeableness)

التفكير والتأمل (التفكير الانطوائى)

T — Thoughtfulness (previously called thinking Introversion)

العلاقة الشخصية (التعارن)

P — Personal relations (previously called cooperativeness)

الذكورة (فى الانفعالات والميول)

M — Masculinity (of emotions and interests)

وفقرات اختبار جيلفورد - زمرمان مصادفة فى صورة عبارات مثبتة أكثر منها فى صورة أسئلة . ومعظمها يخص المفحوص مباشرة ، وقليل منها يكون فى صورة تعميمات عن الاشخاص الآخرين . وهذه بعض فقرات اختبار جيلفورد - زمرمان :

أنت تبدأ مشروعاتك الجديدة بقدر كبير من الحماس نعم ؟ لا

غالباً ما تكون فى حالة مزاجية سيئة نعم ؟ لا

معظم الناس يستخدمون الأدب لتغطية ما قد يكون هناك

من منافسة غير شريفة فى الواقع نعم ؟ لا

وقد استخلصت المئينيات والدرجات المعيارية للاختبار أساساً من عينات

طلاب الجامعة . ويجدر بنا أن نتنبه كثيراً عند القيام بتفسير درجات السمة

المفردة وكذلك درجات البروفيلات الكلية . فمثلاً الدرجة المرتفعة فى مقياس

الثبات الانفعالى تكون مقبولة اذا قورنت بدرجة مرتفعة فى النشاط العام ،

على حين لا تكون مقبولة اذا قورنت بدرجة منخفضة من النشاط العام . ففى

هذه الحالة الأخيرة قد يكون الشخص كسولاً متبلداً .

هذا وقد أثار اختبار جيلفورد وجيلفورد وزمرمان الكثير من الدراسات نشير منها إلى تلك الدراسات المستفيضة التي قام بها ايزنك ١٩٥٦ مستخدماً التحليل العاملي على مقاييس جيلفورد بقصد تحسين ثبات وصدق هذه المقاييس من أجل قياس العصائية والانبساطية . وكذلك دراسة هيلدبراند ١٩٥٧ Hildebrand وغيرها من الدراسات التي أشار إليها ايزنك (١) .

سادساً : اختبارات كاتل العاملية :

وضع كاتل ومساعدوه مقاييس متعددة لقياس الشخصية صدرت عن اهتمام كبير بنظرية السمات وقياسها . فقد حاول أن يكشف السمات عن طريق القيام بمعالجة احصائية معقدة ، ولجأ إلى استخدام طريقة التحليل العاملي كأداة أساسية . والمهم أنه قد بدأ بقائمة السمات التي وضعها البورت وأودبرت من بحثهما في قاموس اللغة الانجليزية ووصلا إلى ما يزيد عن ٣٠٠٠ كلمة تتضمن بالسمات التي تستخدم في وصف الشخصية . ولقد كانت نزعة علماء النفس في الماضي تصور وجود بعض السمات الخاصة كالسلطوية والانطواء والتصلب ضد المرونة وغيرها من السمات ، والتركيز على علاقاتها بالأشياء الأخرى . ولكن مثل هذا الأسلوب لم يقف في حل المشكلة ، هذا الحل الذي يمكن في نظر كاتل في ضرورة الالتجاء إلى طرق التحليل العاملي مهما كانت معقدة .

هذا وقد سبق لنا في حديثنا عن بناء الشخصية في نظرية التحليل العاملي (الفصل العاشر) أن أشرنا إلى الطرق التي استخدمها كاتل في جمع المعلومات عن سمات الشخصية ، وكذلك إلى تحليله السمات إلى سمات مركزية وسمات ظاهرية أو سطحية .

وقام كاتل — باستخدام طريقة الاستفتاءات — بوضع مجموعة من

(١) Eysenck, J.H.: The Structure of Human Personality. London. Methuen 1970. pp. 181-191.

مقاييس الشخصية تغطي أعماراً مختلفة . فهناك استفتاء الشخصية المرحلة الأولى وهو يغطي المرحلة ما بين من الثامنة و سن الثانية عشر ، وهذا الاستفتاء جزء من سلسلة من الاستفتاءات التي تغطي مراحل سابقة ولاحقة . فهناك استفتاء يغطي المرحلة ما بين السادسة والثامنة E.S.P.Q. ، وهناك استفتاء آخر يغطي المرحلة ما بين الثانية عشرة والسابعة عشر . وهذا الأخير يوصل بطبيعة الحال إلى استفتاء الكبار (16 P.F.) والذي يغطي المرحلة من السابعة عشر وما بعدها . وبذلك يكون كاتل قد وضع مجموعة من الاستفتاءات لدراسة الشخصية في مراحل العمر المختلفة ابتداء من السادسة حتى سن ٨٠ سنة أو أكثر .

وقد روعي في تصميم هذه الاستفتاءات عامة أن تغطي أكبر عدد ممكن من أبعاد الشخصية الهامة حتى تعطى صورة شاملة عن الفرد وهو هنا يختلف عن بعض المشتغلين في هذا الميدان الذين لا يميلون عادة إلى استخدام مقياس واحد يغطي عدداً كبيراً من الأبعاد ، بل يفضلون استخدام المقاييس التي تقيس بعداً واحداً ، وهذا ما يؤدي إلى الوقوع في الخطأ في كثير من الأحيان . وقد أوضحت نتائج البحوث التجريبية ، كما دلت الخبرة الأكاديمية أيضاً أن الفهم الحقيقي للشخصية يتطلب دراستها ككل . فقد يكون من السهل أحياناً تقدير عمل فرد ما في أحد المجالات كالتحصيل الدراسي مثلاً باستخدام اختبار واحد يقيس بعداً واحداً ، أما بالدسبة للشخصية فهذا أمر متعذر لتعدد الأبعاد وتعدد العلاقات القائمة بينها . وهذا ما يتضح لنا في أهمية اختبارات الشخصية المتعددة الأبعاد التي سبق أن أشرنا إلى بعضها كاختبار المينسوتا المتعدد الأوجه واختبارات جيلفورد وغيرها .

وسوف نشير إلى استفتاءات الشخصية للمرحلة الأولى والإعدادية والثانوية واختبار الشخصية للراشدين وهي التي أعدت إلى اللغة العربية .

اختبار الشخصية للمرحلة الأولى (١):

ويتكون من صورتين : الصورة ا والصورة ب : وتتكون كل صورة من ٧٠ عبارة أى بمعدل ٥ عبارات لكل عامل من العوامل الأربعة عشرة التى يقيسها الاستفتاء .

ويمكن أن يتخذ هذا الإستفتاء أساساً لتقارير دورية تتبعية تكتب عن نمو شخصية الطفل ؛ كما يمكن ربط النتائج التى نحصل عليها منه ، سواء فى الدراسات الطولية أو المستعرضة التى تجرى على نفس الأشخاص ، بالنتائج التى نحصل عليها من الاستفتاءات التى تطبق فى المرحلة السابقة والمرحلتين التاليتين عليها وفى هذه الحالة نحصل على صورة شاملة فنمو شخصية الفرد فى مراحل العمر المختلفة ، كما يمكن عقد مقارنات بين الأفراد فى مراحل العمر المختلفة .

اختبار الشخصية للمرحلة الإعدادية والثانوية (٢):

ويتكون من ١٤٠ عبارة أى بمعدل ١٠ عبارات لقياس كل عامل من العوامل الأربعة عشر التى يقيسها الاستفتاء . وأبعاد الشخصية التى يقيسها هذا الاختبار هى نفس الأبعاد التى يقيسها الاختبار السابق .

اختبار عوامل الشخصية للراشدين (٣) :

يتكون من ١٨٧ عبارة لقياس ١٦ بعداً . ويمكن تقديم صورة عن طبيعة

(١) أعداد د . عبد السلام عبد الفغار و د . سيد محمد غنيم : استفتاء الشخصية للمرحلة الأولى . القاهرة مكتبة النهضة العربية ١٩٦٥ .

(٢) أعداد د . سيد محمد غنيم و د . عبد السلام عبد الفغار : استفتاء الشخصية للمرحلة الإعدادية والثانوية القاهرة مكتبة النهضة العربية ١٩٦٥ .

(٣) أعداد د . عطية محمود هنا و د . سيد محمد غنيم و د . عبد السلام عبد الفغار : تحت الطبع .

الاختبار بالتعليمات التي توجه إلى المفحوص وبعض الأمثلة من الصورة العربية .

التعليمات : يحتوى هذا الكتيب على عدد من الأسئلة التي تتصل بنواحي اهتمامك وميولك وما تحبه وما تكرهه . وستجد أمام كل سؤال ثلاث إجابات محتملة . فاذا وقع اختيارك على الإجابة (أ) ضع علامة (X) في المربع (أ) من ورقة الإجابة . أما إذا اخترت الإجابة (ب) فضع العلامة في المربع (ب) ، وإلا فضع العلامة في المربع (ح) إذا اخترت الإجابة (ح) . ويتضح من هذا أن ليس هناك إجابات صحيحة وأخرى خاطئة . فلكل فرد وجهة نظره الخاصة في حياته .

وستعطى لك بعض الأمثلة لتؤكد من فهمك لطريقة الإجابة :

١ - أحب أن أشاهد الألعاب الرياضية

(أ) نعم (ب) أحيانا (ج) لا

٢ - أفضل الأشخاص :

(أ) المتحفطين (ب) بين بين (ج) الذين يكونون صداقات بسرعة

٣ - المال لا يوفر السعادة

(أ) نعم (ب) بين بين (ج) لا

٤ - المرأة للطفل كالقطعة لـ

(أ) القطيطة (ب) الكلب (ج) الولد

لاحظ أن للمثال الأخير إجابة واحدة صحيحة هي الإجابة (أ) وسوف نجد بعض الأمثلة من هذا النوع .

وفيما يلي نشير إلى الأبعاد الستة عشر التي يقيسها هذا الاختبار الأخير ؛ علما بأن معظمها مشترك مع الاستفتاءات الأخرى السابقة عليه .

العامل

- A : السيكلوثيرميا ضد الشيزوثيرميا (محب للناس . اجتماعي . سهل المعاشرة
ضد عدواني . ناقد . ملسحب . منعزل عن الناس)
- B : الذكاء العام ضد الضعف العقلي (ذكي ضد غبي)
- C : الإلتزان الانفعالي أو قوة الأنا ضد عدم الإلتزان الانفعالي (القدرة
على التكامل المباشر وضبط الاندفاعات العاطفية والاستجابات الجسمية
ضد هدم القدرة) .
- E : السيطرة ضد الخضوع (عدواني ضد وديع)
- F : الانبساط ضد الاكتئاب والانقياض (مبهج ، مرح ضد هادي .
متحرز . قلق نابع عن الكف نتيجة التعرض للعقاب والحرمان) .
- G : قوة الأنا الأعلى ضد نقص المعايير الداخلية والافتقار إليها (أوامر
إيجابية ضد الكسل وإهمال المسؤولية ، غير مثابر ولا يعتمد عليه) .
- H : المغامرة والإقدام ضد الجبن .
- I : الطراوة ضد صلابة العود (واقعي عملي ضد خيالي قلق) .
- L : الميل إلى الإرتياب ضد التقبل (مهموم حساس ضد يثق بنفسه ، مرح)
- M : رومانتيكي (مزاج اجتراري) ضد واقعي (الاعتماد على الذات ضد
الاعتماد على الجماعة وعدم القدرة على فصل مشاعره) .
- N : الدهاء ضد السذاجة (سريع واقعي قادر ضد مبهم حساس عاجز
عن ضبط انفعالاته) .
- O : الاستهداف للذنب ضد الثقة الكاملة بالنفس .
- Q1 : التحرر ضد المحافظة .
- Q2 : الاكتفاء الذاتي ضد الافتقار إلى التصرف الذاتي .
- Q3 : قوة اعتبار الذات ضد ضعف اعتبار الذات
- Q4 : قوة توتر الطاقة الحيوية ضد ضعف توتر الطاقة الحيوية .

ويذهب بوهمان وواش (١) إلى أن اختبار عوامل الشخصية للراشدين رغم أهميته النظرية وقيمته في القياس ، فإنه لم يستخدم على نطاق واسع في الدراسات الخاصة بالشخصية . وليس ثمة شك في أن ضعف تقبل الاختبار يرجع إلى نفور السيكولوجيين ومعارضتهم ترك المفاهيم السيكولوجية والسيكاثريه المألوفة لديهم إلى السمات المركزية التي تبدو غريبة والتي وصل إليها كاتل بالعمل الإحصائي المعقد والتحليل العائلي . وسوف يظل هذا القصور قائماً إلى أن يقدم كاتل الأدلة القوية على المزايا الحقيقية التي يكسبها الباحث من استخدام مفاهيمه ، خصوصاً تلك التي قد تبدو غريبة وغير مألوفة الاستعمال لدى السيكولوجيين .

وثمة نقطة أخرى للمعارضة من جانب بعض الاكليبيكيين الذين يتعاملون مع المجموع العام من الناس أكثر من تعاملهم مع طلاب الجامعة ممن لديهم قدرة عقلية ولفظية عالية . وهي أن عبارات الاختبار متكلفة بعكس العبارات السهلة البسيطة التي توجد في اختبارات كثيرة للشخصية كاختبار الميلسونا المتعدد الأوجه مثلاً .

ومع ذلك ، فما يجدر الإشارة إليه أن السمات المركزية عند كاتل لا تتوقف على اختبار عوامل الشخصية للراشدين فحسب . ذلك أن هذا الاختبار هو مجرد واحد من المصادر لبيان نظريته في الشخصية ، ويلجأ كاتل إلى وسائل أخرى بالاضافة إلى الاستفتاءات منها تقارير الحياة والاختبارات الموضوعية ، على نحو ما سبق أن أوضحنا ذلك .

(1) Baughman, E. Earl, & Welsh, George. Personality : A Behavioral Science. New Jersey Prentice-Hall Inc. 1962.

الفصل الثالث عشر

مقاييس التقدير والملاحظة والمقابلة

قد تدعو الظروف أحيانا إلى الالتجاء إلى وسائل أيسر تناسولا وأسرع في الحكم على سمات شخصية فرد ما ودون حاجة إلى تطبيق اختبارات الشخصية أو غيرها من الاختبارات الموضوعية الأخرى . فقد يتطلب الأمر تقدير سمة ما أو مجموعة من السمات لدى فرد ، ومقارنتها بنفس السمة أو السمات لدى أفراد آخرين ؛ أو القيام بملاحظات لسلوك فرد ما ثم إصدار أحكام على شخصيته ؛ أو القيام بمقابلات لتقييم شخصية فرد ما أو اتجاهاته أو ميوله إلى آخر هذه الطرق التي تستخدم على نطاق واسع في حياتنا العادية والتي تعتبر في الحقيقة جزءاً مكملًا لغيرها من طرق دراسة الشخصية . ولكن بسبب سهولة الظاهرة لهذه المقاييس ، فقد يساء تقديرها لدى غير المدربين تدريباً جيداً على إستخدامها ، مما يؤدي إلى عدم الاهتمام بموضوعية وثبات وصدق النتائج التي تصل إليها .

وسوف نعرض باختصار لهذه المقاييس مبتدئين بمقاييس التقدير ، لما لها من ارتباط بالملاحظة والمقابلة .

مقاييس التقدير :

استخدمت مقاييس التقدير منذ زمن طويل في تقدير متغيرات طبيعية كدرجات الحرارة والرطوبة وشدة الرياح . ومن المعتقد أن سير فرنسيس جالتون كان من أبرز من استخدم مقاييس التقدير في دراسته للتصور وغيره من العمليات العقلية .

وفي حياتنا العادية ، كثيراً ما نلجأ إلى مقاييس التقدير في الحكم على شخص أو أشخاص تربطنا بهم صلة أو معرفة . فالإنسان منذ أمد بعيد يصدر أحكاماً على نفسه وعلى غيره من الناس . وتكون هذه الأحكام أحياناً في صورة تقدير لسمات معينة عنده أو عند غيره . فيصف نفسه أو غيره بسمات كالكرم أو الذكاء أو البخل أو الغباء أو العدوان وغيرها من السمات . وفي كثير من الأحيان يكون الحكم أقرب إلى أحد الطرفين المتباعين لمتسلسلة السمة . فالشخص إما أن ينظر إليه على أنه ذكي أو غبي ، عالم أو جاهل ، أمين أو خائن وهكذا . غير أن الفرد حين تضطره الظروف إلى أن يقارن بين شخصين أو أكثر . والقيام بتمييزات أكثر دقة على مقياس ما ، فإنه يقوم بذلك وهو يدرك أهمية التحدث في صورة كمية ، حتى يصبح للمقارنة معناها ودلالاتها . وفي هذه الحالة ، يكون بسبيل تقديم تقديرات رقمية أو عددية للسمة ، مما يكشف عن كون السمة أعلى أو أقل درجة عند هذا الفرد ، منها عند الفرد الآخر . ولأهمية هذه التقديرات وخطورتها في بعض المجالات — سواء كانت مجالات فنية أو علمية أو غيرها — فإنها أصبحت موضوعاً للدراسة الدقيقة ، كما أجريت المحاولات العديدة لتهديب وسائلها وطرقها .

وتهدف مقاييس التقدير أساساً إلى معرفة الانطباع الذي يحدته الفرد في الآخرين الذين يكون على اتصال بهم . بالنسبة لبعض السمات أو الإنجازات ومن ثم فهي وسيلة لتقدير القيمة الاجتماعية أو الكفاية المهنية أو المركز في الجماعة ، وما إلى ذلك من النواحي في ضوء الانطباع الذي يتركه الفرد في نفوس الآخرين .

ولتقييم فرد ما ، فإن مقاييس التقدير تمكن المدرس أو الموجه أو الآباء

أو الزملاء ومن تربطهم صلة كافية بالخاص المراد نقيص سماته ، من تكون فكرة أو رأى يقوم على يئنة أو أدلة مستمدة من الملاحظة لسلوكه فى مواقف عديدة . وفى العادة ، يقوم بإعطاء مثل هذه التقديرات أكثر من تحكم حتى يقل التحيز فى التقدير ويصبح أكثر موضوعية .

وتستخدم مقاييس التقدير عادة لقياس سمات كثيرة كالزعامة والأمانة والتعاون والمواظبة والكرم والغش والقدرة على استمرار بذل الجهد فى العمل ، والتحكم الانفعالى وضبط النفس ودراسة العادات والجاذبية الشخصية وكثير غيرها . والمقياس يتضمن عادة سمات تقدر بطريقة فردية . ويتوقف نوع السمات التى نقوم بتقديرها على الهدف الذى يوضع المقياس من أجله .

وهناك مبادئ عامة أشار إليها فريمان عند بناء مقياس التقدير واستخدامه ، نذكر منها :

١ - تحديد السمة بوضوح : وهذا مطلب أساسى حتى تصبح السمة مفهوممة فهما واضحا ومحددا لدى جميع الحكماء . ويمكن تحقيق هذه الغاية بتقديم تفسيرات أو نماذج سلوكية من أجل التوضيح .

٢ - تحديد درجة السمة : فالسمة يجب أن تقدر على مقياس ، ويكون غالبا من خمس إلى سبع درجات . أما العدد الكبير من الدرجات ، فإنه يحتاج إلى تميزات وتفصيلات أكثر دقة ، قد لا يتيسر بالنسبة لبعض الحكماء القيام بها بسهولة . ويجب توضيح كل خطوة على المقياس بنفس الطريقة التى يتم بها توضيح السمة ذاتها .

٣ - ثبات المقياس يتوقف على مدى تغير تقديرات الحكماء : يختلف الحكماء عادة فيما بينهم فى تحديد درجة أو رتبة الفرد بالنسبة للسمة . وقد يكون

هذا الاختلاف صغيراً أو كبيراً . ولذلك فالأمر المعتاد هو أخذ متوسطات الأحكام أو التقديرات باعتبارها أقرب إلى التقدير الصحيح للشخص . ولكي يكون للمتوسط معنى يجب أن تكون انحرافات الأحكام عنه صغيرة حتى تكون الأحكام على درجة من الثبات ، ولذلك يلزم معرفة مدى التشتت في الأحكام .

٤ - تحديد صدق مقاييس التقدير : إن الوسائل العادية لتحديد الصدق قد يصعب إستخدامها بالنسبة لمقاييس التقدير . وصدق مقاييس التقدير يفترض أن يقوم على فهم الأحكام لمعانى السمات المراد تقديرها ومدى دقتهم في تقديرها . والدلالة الرئيسية لصدق بعض مقاييس التقدير تستند إلى حقيقة أن الأشخاص الذين يستخدمونها - سواء كانوا موجهين أو رؤساء عمل أو موظفين أو مدرسين - قد يجدونها مفيدة ، هذا إذا تم إختيار الأحكام بدقة وكانت تقديراتهم تتم على أساس من الوعي الدقيق . وهذا الشرط الأخير قد لا يتيسر التسليم به في كل الأحوال . فقد لا يرحب بعض الأحكام بتكريس بعض الوقت والجهد اللازمين للتقدير الدقيق . ولذا فإن البعض قد يقوم بعملية التقدير بسرعة وبشكل ظاهري وسطحي

٥ - السمات الظاهرية أكثر ثباتاً في التقدير من السمات الخفية أو الضمنية :

وتقدير السمات التي تقوم على أساس النشاط الظاهري الموضوعي أو على أساس السلوك الواقعي ، الماضى أو الحاضر ، والمعروف بالنسبة للأحكام ، يكون أكثر ميلاً إلى الثبات من السمات الخفية . فمثلاً تقدير نواحي ظاهرة من السلوك كالتعبير الانفعالي أو التقبل الإجتماعي أو الخوف أو القلق أو العدوان أو الإندفاع يكون أكثر ثباتاً في التقدير من المشاعر الداخلية والإحساسات

التي تدور حول الذات . ورغم أهمية التقديرات الداخلية الخفية ، إلا أنه يجب ألا تؤخذ على أساس قيمتها الظاهرية . وقد يكون السلوك الظاهري في هذه الأحوال سبباً في الخطأ . فالعدوان قد يكون تعبيراً عن مشاعر عدم الطمأنينة ، كما أن التباهي والتظاهر المبالغ فيه قد يكون تعبيراً عن مشاعر النقص .

٦ - يجب ذكر درجة الثقة في التقدير : ومع كل تقدير يجب أن يذكر الحكم درجة ثقته وبقيته في الحكم الذي يعطيه (واثق ١٠٠٪ أو ٥٠٪ أو ٢٠٪ ..) . وقد وضح أن الأحكام يكونون أكثر ثقة بالنسبة للتقديرات التي تقع عند الأطراف ، وذلك لأن الانحرافات المتطرفة تكون أكثر ظهوراً ووضوحاً من غيرها . فسمات مثل أمين - خائن ، انطوائى - انبساطى ، متعاون - غير متعاون تكون أكثر وضوحاً في الأفراد الذين يقعون بشكل ظاهر عند هذا الطرف أو ذاك الآخر .

٧ - بعض الأشخاص يكون الحكم عليهم أكثر دقة من الحكم على البعض الآخر : فالمنبسط في العادة يكون الحكم عليه أكثر يسراً وثباتاً من المنطوى وتقديرات ، الأشخاص الذين يتم الحكم عليهم في ضوء السمات الظاهرية أكثر من السمات الداخلية ، يكون الحكم عليهم أكثر ثباتاً لأنه يقوم على عينات ظاهرة من السلوك

٨ - ثبات تقدير السمة يتأثر بكونها مرغوبة أو غير مرغوبة : فهناك نزعة لدى الفرد لزيادة تقدير نفسه بالنسبة للسمة التي يرى أنها مقبولة اجتماعياً .

الأنواع الشائعة لمقاييس التقدير :

سبباً رئيسياً إلى أهم أنواع مقاييس التقدير :

١ — مقاييس التقدير الرقية :

وفي هذا النوع يحدد الحكم أو القائم بالتقدير قيمة عددية أو رقية لكل سمة من السمات المراد تقديرها لدى الفرد . ومن المؤلفات عادة أن نجد المقياس الذى من هذا النوع يرتبط بصورة وصفية توضح للحكم الأوزان الرقية . ومن الضرورى فى مثل هذه الأحوال تحديد الطرفين المتباعدين للمقياس ثم بعد ذلك يسهل تقدير السمات المتوسطة مثال :

(أنظر المثال على الصفحة التالية)

ومن مزايا مثل هذه المقاييس سهولة تحويلها إلى مقاييس من خطوتين أو ثلاثة أو أربع . . .

٢ — مقاييس التقدير اليبانية :

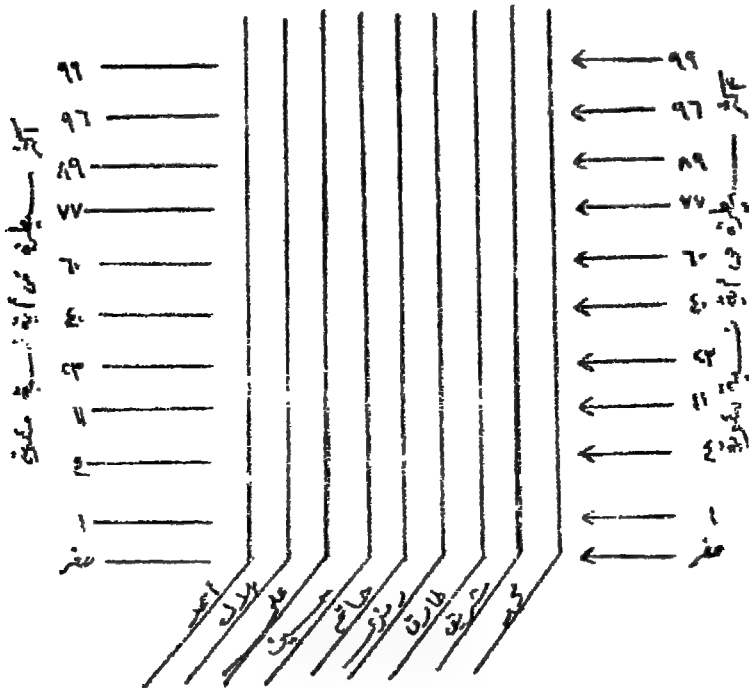
تحدد الدرجات أو المستويات المتعددة للسمة على نقط معينة على خط مستقيم . ويضع الحكم علامة على الموضع الذى اختاره للدلالة على السمة المراد تقديرها لدى الفرد بين الطرفين المتباعدين . فالحكم هنا يضع علامة أو نقطة على الخط ، بدلا من أن يضع درجة أو قيمة رقية . ويمكن أن نشير إلى مثال من هذا النوع ، علماً بأن من الضرورى أن يحدد الباحث للحكم السمة المراد تقديرها ومستويات التقدير .

السمة المراد قياسها : الاتجاه نحو الآخرين .

شاكر وغير متعاون ويشبط الروح المعنوية	من الصعب أحياناً العمل معه	عادة لبق ومتعاون ويضبط نفسه	متعاون دائماً	عامل أساسى فى التعاون ورفء الروح المعنوية
--	----------------------------------	-----------------------------------	---------------	--

النسبة المئوية لشكل مجموعة		ضع دائرة حول الرقم	إذا كان أداء العامل ممتاز جداً
٪٤	٩	د د د د د	د د د د د
٪٧	٨	د د د د د	د د د د د
٪١٢	٧	د د د د د	د د د د د
٪١٧	٦	د د د د د	د د د د د
٪٢٠	٥	د د د د د	د د د د د
٪١٧	٤	د د د د د	د د د د د
٪١٢	٣	د د د د د	د د د د د
٪٧	٢	د د د د د	د د د د د
٪٤	١	د د د د د	د د د د د

وثمة صورة أخرى لمقاييس التقدير اليبانية أشار إليها جيلفورد في صورة خطوط رأسية . وفي العادة يتم تقدير سمة واحدة في صفحة كاملة بحيث تسمح بإجراء مقارنة بين عدد من الأشخاص الذين يتم تقديرهم بالنسبة لهذه السمة الخاصة .



ويضع الحكم علامة على الخط الرأسى المقابل للشخص الذى يقوم بتقدير السمة عنده . وفى هذه الحالة نستطيع بالتقريب أن نعرف النسبة المئوية التى يعد الفرد أكثر ميلا للسيطرة منها (إذا كنا نقيس سمة السيطرة مثلا) . هل هو أكثر سيطرة من ٦٠ ٪ من المجموعة أو أكثر سيطرة من ٨٠ ٪ . هذا بالإضافة إلى أن مثل هذا الرسم اليبانى يسمح لنا بمقد مقارنات واضحة بين عدد كبير من الأفراد فى وقت واحد بالنسبة لسمة واحدة .

معد الأثرة والأنانية ، وقام بالتقديرات زملاء الأطفال في الفصل ومدرسوهم .
وفد تم ذلك باستخدام قائمة من أسماء ٨٠ سمة بعضها مرغوب فيه ومقبول
وبعضها غير مرغوب فيه ومكروه . وجميعها تتصل بمظاهر السمة المراد
قياسها : مثل كريم ، يراعى حقوق الغير ، غير أناني ، قاسي ، لا يبالى بالغير ،
بخيل . ويقوم الحكم بوضع علامة أو درجة على السمة التي يرى أنها تنطبق
على الفرد .

بعض مقاييس التقدير المعروفة :

وهذه أمثلة لبعض مقاييس التقدير التي تخدم أغراضاً مختلفة :

قوائم تقدير هاجرت - السون - ويكان

Haggerty-Oison-Wickman Rating Schedules.

خصصت هذه القوائم أساساً للكشف عن مشكلات السلوك والذات
المشكلة ودراستها لدى الأفراد ابتداء من الخضاضة حتى المرحلة الثانوية .
والقائمة (أ) عبارة عن تقرير لمشكلات السلوك وتحتوي ١٥ نوعاً أو مصدراً
لمشكلات السلوك كمشكلات التكلام ، والخروج على النظام وتحدي السلطة .
وكل مشكلة منها تقدر من درجة إلى ٤ درجات حسب تكرار حدوثها .
أما القائمة (ب) فهي مقاييس يانية لـ ٢٥ سمة مصنفة حسب أنواع أربعة :
عقلية وجسمية ووجدانية واجتماعية : وتقدر هذه السمات وفق مقاييس من
خمس نقاط .

مقياس فاينلاند للنضج الاجتماعي

The Vineland Social Maturity Scale

وهذا المقياس يعتبر مريداً في نوعه من حيث تكويته وتقييمه على نموذج

مقياس استنفورد - بينيه للذكاء . وقد وضع لقياس النضج الاجتماعى للأفراد ابتداء من الطفولة المبكرة حتى سن الثلاثين . وقد أقيم مقياس فاينلاند بطريقة منظمة وعلى أساس عقلى سليم . فوحدات السلوك جمعت فى مستويات عمرية كما هو الحال بالنسبة لاختبار بينيه ، وتمثل فقرات المقياس نضجاً اجتماعياً ، متطوراً ووافقاً مع البيئة فى نواحى الاعتماد على الذات وتوجيه الذات والحركة والعمل والانصال بالآخرين والتطبيع الاجتماعى .

ومن مقابلة الشخص المراد تقديره أو أشخاص آخرين على معرفة جيدة بالشخص المراد تقديره ، يمكن الحصول على العمر الاجتماعى للفرد . وبقسمة العمر الاجتماعى على العمر الزمنى حصل على النسبة الاجتماعية ، Social quotient ، تماماً على نحو ما تفعل فى اختبار استنفورد بينيه للذكاء حين نستخرج النسبة العقلية ونسبة الذكاء .

ورغم أن هذا المقياس قد قصد به أساساً أن يستخدم بالنسبة للعاديين وضعاف العقول ، إلا أنه قد اعتبر كوسيلة لتشخيص حالات الضعف العقلى . فهو فى المحل الأول يستخدم للتمييز بين حالات الضعف العقلى غير الصالحة للتكيف اجتماعياً من ناحية ، وحالات التأخر العقلى التى يمكنها أن تسلك وتميش مع الجماعة وتتكيف إلى حد ما معها .

مقياس تقدير توافق التليد Rating Scale for Pupli Adjustment

ويحتوى على ١١ مجالا من مجالات الشخصية يقوم المدرس بتقديرها . وهذه المجالات هى : التوافق الانفعالى العام ، النضج الاجتماعى ، الميل للاكتئاب ، الميل للسلوك العذرانى ، الانطواء - الانبساط ، الطمأنينة والأمن الانفعالى ، العنصر الحركى ، الاندفاعية ، سرعة القابلية للتكيف الانفعالى ، التحصيل الدراسى ، السلوك المدرسى . ويتبين من استعراض هذه القائمة ، أن المقياس

موجه أساساً للنواحي الإكلينيكية ويمكن أن تستخدمه المدرسة لتقديم خدمات نفسية تتمثل في الكشف عن الحالات التي تحتاج إلى توجيه وعلاج فتوجيهها إلى العيادات النفسية.

ولما كانت السمات التي يقوم هذا المقياس بتقديرها تتطلب معرفة مهنية ودرجة عالية من الاستبصار السيكولوجي ، قد لا يتوقع رجوده بدرجة كافية لدى بعض المدرسين الذين يستخدمون هذا المقياس ، لذا يجب أن نكون كل سمة مصحوبة بنوع من الوصف الذي يوضح المفصود بالسمة ونماذج سلوكية تشرح ذلك .

تقييم مقاييس التقدير :

مقاييس التقدير ليست اختبارات ، كما أنها ليست مقاييس موضوعية بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، ومن ثم فإن معاملات ثباتها أقل بكثير من المقاييس السيكولوجية الأخرى كمقاييس الذكاء ومقاييس القدرات وغيرها ، أو حتى اختبارات الشخصية الأخرى الموضوعية . ولكنها مع ذلك تزودنا بوسائل للحصول على أوصاف منظمة للسمات السيكولوجية من حكام أنيحت لهم الفرص الكافية لملاحظة الأشخاص المراد تقدير هذه السمات لديهم . ومع ذلك فثمة صعوبات عديدة تواجه مقاييس التقدير .

الأخطاء الشائعة لمقاييس التقدير :

أشار جيلفورد إلى أهم هذه الأخطاء ويمكن أن نلخصها في النقاط الآتية :

- ١ - خطأ التحيز العام للحكم .

فن المعروف عن بعض الحكام التساهل واللين في عملية التقدير . ولذلك فهم عندما يقومون بتقدير أنفسهم أو الغير يعطون عادة تقديرات عالية .

للتأية ، على حين يعرف عن البعض الآخر أنه ، صعب وجامد ، في تقديره .
ومن ثم فهم حين يقيمون بتقدير أنفسهم أو الغير يعطون تقديرات متوسطة
أو حتى دون المتوسط . ومن الممكن تحديد مدى اتجاه الخطأ الثابت للحكم
أو المقدر بمقارنة تقديراته بمتوسط تقديرات الجماعة .

وفي بعض الأحيان ، قد يعرف المقدر أو الحكم أنه سوف يكون لتقديره
أو حكمه أثر في مستقبل الفرد الذي يقوم بتقديره ، وقد يدفعه ذلك
في الأغلب إلى التساهل واللين بدلا من التشدد .

ولكن طالما أن نفس الحكم أو الحكم هم الذين يحكمون على نفس
الأشخاص بالنسبة لنفس السمات . فإن خطأ التساهل لا يثير الكثير من
الانزعاج حيث يحدث تعويض لتقديرات البعض بتقديرات البعض الآخر .

٢ . خطأ التفاعل بين الحكم والمقدر .

ويقصد بخطأ التفاعل ميل حكم معين إلى تقدير شخص معين في اتجاه
واحد في كل السمات . فإذا كانت فكرة الحكم مثلاً طيبة عن الشخص المراد
تقديره ، فإنه يقدره تقديراً عالياً في معظم النواحي . أما إذا كان لديه انطباعاً
غير مقبول عنه ، فإنه يميل غالباً إلى أن يعمطه حقه في كثير من السمات ويقلل
تقديره لها . وهذا النوع من الخطأ هو الذي يعرف في علم النفس باسم خطأ
الحالة أو أثر الحالة Halo effect .

وليس من الصعب أن ندرك أخطاء التفاعل بين الحكم والمقدر . ففي
إحدى الدراسات ، قام بعض المدرسين بتقدير سمات مختلفة لأطفال اختيروا
ليمثلوا مجموعات ثلاثة محددة بالنسبة لمستويات الذكاء والسلوك . أما المجموعة
الأولى التي اختيرت باعتبارها مختلفة عقلياً بدرجة كبيرة - وكان مستوى
ذكائها فعلاً منخفضاً بدرجة ملحوظة - فقد عزا المدرسون إليها عدداً قليلاً جداً

من السمات المقبولة وعدداً كثيراً من السمات غير المقبولة كضعف الاهتمامات والاقتدار إلى المبادأة ، والعدوانية . بينما المجموعة التي حددت باعتبارها تمثل « العباقرة » فقد قدر المدرسون ٧٤ ٪ منهم على أنهم ممتازون في كل شيء . أما المجموعة الثالثة التي اختارت باعتبارها « تمثل حالات مشكلة » فقلما وصفها المدرسون بصفات مقبولة اجتماعياً ، رغم أن تحصيلهم الدراسي كان مناسباً . وباختصار فإن الفكرة السائدة لدى الحكم عن الشخص يكون لها أثر واضح في تقديره لسماته . فإن كانت طيبة ، سارت أحكامه في طريق مقبول وإلا تأثرت أحكامه بالفكرة المضادة .

٣ — خطأ التفاعل بين الحكم أو السمة :

أشار موري إلى خطأ التفاعل أو التباين في التقديرات بمعنى أن الحكم الذي تكون لديه هذه السمة المراد تقديرها ، واضحة في أحد طرفيها ، فإنه يميل إلى القسوة في الحكم على الأشخاص الذين يقعون في الطرف الآخر المضاد . فمن نكون لديه سمة الأمانة واضحة عنده ، فإنه يشتد في القسوة في الحكم على مظاهر السلوك التي تنحرف عن هذه السمة البارزة عنده .

وثمة سبب مقبول لتوقع التحيزات التي ترجع إلى خطأ التشابه في التقديرات سواء كانت السمة المراد تقديرها إيجابية أو سلبية . فنحن نتوقع أحياناً من الآخرين أن يشبهونا في كثير من السمات التي لدينا . فالحكم الثابت انفعالياً يميل إلى زيادة تقدير هذه السمة لدى الآخرين لكونها موجودة عنده . فعملية الإسقاط يمكن أن تلعب دوراً واضحاً في تقدير السمات .

التقليل من الأخطاء في مقاييس التقدير :

وثمة وسائل يمكن بها تقليل أخطاء مقاييس التقدير ، منها :

١ — استعمال المقاييس الأحسن والأنسب في عملية التقدير . ومقاييس

التقدير الرقية أكثر خضوعاً نسبياً إلى التحيز إذا قورنت بغيرها من الأنواع .
والصور البيانية يمكن أن تعد بوجه عام تحسناً للصور الرقية . وميزاتها أنها
تسمح بتقدير عدد من الأفراد بالنسبة لسمة واحدة قبل الانتقال إلى سمة
أخرى . وهذا من شأنه أن يقلل من أثر الحالة على وجه الخصوص .

٢ - تدريب الحكم . من الممكن أن نبصر الحكم بمصادر الخطأ
وطرق تجنبها ، كما يعطى الحكم كل البيانات والتوضيحات اللازمة لمعنى السمة
وخطوات المقياس .

٣ - أن طول المعرفة واللفة بين الحكم والشخص المراد تقدير سماته ،
يمكن أن تزودنا بوسيلة أخرى لتحسين التقديرات التي يصدرها الحكم حيث
أن طول المدة تسمح بفرص أكثر للقيام بملاحظات في مواقف عديدة .

٤ - اختيار الحكم الجيد : ومن أفضل الوسائل لاختيار الحكم الجيد
التجربة ومقارنة تقديراته بتقديرات الآخرين وقد تتخذ المتوسطات في هذه
الحالة كميّار للمقارنة . ولكن قد يكون أغلب الأحكام قد وقعوا في نفس
التحيزات المشتركة ، وأن هذا الحكم الخاص الذي نتعرف تقديراته عنهم هو
الأقرب إلى الصحة . والحقيقة أن الدرجات في مثل هذه الأحوال يمكن أن
تعنى شيئاً عن تطابق الحكم مع فكرة الجماعة بدلاً من قدرته في الحكم على
الشخصية .

الملاحظة :

وإذا كانت اختبارات الشخصية أدوات تجريبية مقيدة ومناسبة لأهداف
البحث العلمي والدراسة في يد الاكاديمي المدرب ، إلا أنه لا يمكننا الاعتماد
دائماً - عند تقدير متغيرات الشخصية - على الاختبارات المقننة وحدها ، بل
يتطلب الأمر أحياناً الإلتجاء إلى وسائل أخرى تمدنا بالكثير من المادة التي

قد لا فصل إليها عن طريق الاختبارات . ولذا ، فإن الباحث في الشخصية قد يلجأ - بالإضافة إلى الاختبارات - إلى وسائل أخرى كقاييس التقدير وطرق الملاحظة وغيرها من الوسائل .

وتلعب الملاحظة دوراً أساسياً في تقدير سمات شخصية الفرد سواء كان ذلك في عيادة سيكولوجية أو في مركز توجيه أو في الفصل أو في مكتب توظيف أو في أى مكان آخر يستدعى تقييم الفرد عن طريق الملاحظة . وإذا كانت الاختبارات السيكولوجية تمتاز بأنها تقييمات أكثر موضوعية لعينات صغيرة من السلوك تتم في ظروف مقننة ، فإن الملاحظة تمتاز بدورها أنها تعطينا عينات أكثر إتساعاً وبشكل يسمح لنا بتقدير شخصية الفرد في مواقف أقرب إلى المواقف الطبيعية .

وقد لجأ علماء النفس وبخاصة علماء نفس الطفل إلى طريقة الملاحظة المباشرة للسلوك التلقائى في المواقف الطبيعية منذ وقت طويل . وقد استخدمها الكثيرون منهم على نطاق واسع ، وبخاصة مع أطفال ما قبل المدرسة . ومن أشهر علماء نفس الطفل الذين استخدموا الملاحظة المباشرة في هذا المجال : جان بياجيه ، في سويسرا ، و دأرنولد جيزل ، في أمريكا . ورغم أن مثل هذه الطرق يمكن أن تتبع مع كل الأفراد من أى سن كان ، إلا أنه كلما كان الطفل أصغر سناً قل احتمال تأثير سلوكه بوجود الملاحظ ، كما أنه لا يكون قد نمت بعض الواجبات الإجتماعية التى يغلف وراءها سلوكه مما يزيد من تعقد تفسير السلوك وقد أثبتت طرق الملاحظة المباشرة فائدة كبيرة في المدرسة ، وبخاصة إذا قام بالملاحظة المدرس أو أى شخص آخر ، يوجد بشكل طبيعي في الجوهر العادى للمدرسة أو الفصل . وقد استخدمت طرق الملاحظة لأغراض البحث أكثر مما استخدمت لأهداف تقييم الفرد . ومع ذلك فكثيراً ما يدعم

٢٩ - سيكولوجية الشخصية

علماء نفس الطفل تقييماهم يمثل هذه الملاحظات التي تتم داخل جدران الفصل وخارجه في الملعب أو في المواقف المدرسية الأخرى .

ويذهب جيلفورد إلى أن طريقة الملاحظة المباشرة تمثل خطوة إلى الأمام في ناحية الضبط التجريبي إذا فورنت بمقاييس التقدير الرقمية . فتقييم سمات الشخص عن طريق الملاحظة المباشرة يتم عادة في المكان، ونحن نقوم بملاحظة سلوك الفرد أو بعده مباشرة ، على حين في التقديرات العادية يتوقف الأمر على الملاحظات العارضة وعلى ذاكرة الحكم .

ثم أن الملاحظة المباشرة تتم لدراسة أغراض معينة محددة ونواحي خاصة من السلوك : كاللغة أو الحركة أو السلوك العدواني أو العلاقات المتبادلة والتفاعل بين الأفراد . بينما التقديرات العادية فتقوم على أساس السلوك ؛ الذي نلاحظه عرضاً . ومن المحتمل ألا يكون هناك هدف أو قصد وقت عمل هذه التقييمات المنظمة . أى أن الملاحظة المباشرة تتم في مواقف مختارة يهتم الملاحظ أن أدلة السمعة التي يريد ملاحظتها ، يمكن أن تتضح في مثل هذه المواقف ؛ أما التقديرات العادية ، فإنها تجري عادة على أساس السلوك في المواقف العارضة التي قد تتمثل أو لا تتمثل فيها أدلة السمعة التي نريد ملاحظتها .

يضاف إلى ما تقدم أن الملاحظة المباشرة يمكن أن تتم أيضاً في مواقف مضبوطة ومقيدة إلى حد ما ، على نحو ما يحدث داخل الفصل أو في ملعب المدرسة . كما أن الموقف العام يمكن إعادته بشكل إجمالي وتكرار اجراء الملاحظة . أى أن الملاحظة تعتبر شبه تجربة ولكنها ، تتم في ظروف طبيعية . حقيقة إن التقييمات التي يخرج بها الملاحظ تكون عادة في صورة تقديرات ولكن المعرفة الأساسية التي تستند إليها هذه ، تبدو أفضل من تلك التي تقوم عليها التقديرات العادية .

وقد استخدمت أساليب شتى للملاحظة مع الأطفال والكبار ، تراوح بين الأساليب الشاملة الطويلة المدى على نحو ما يتضح في التقارير اليومية التي تكتب على مدى فترة طويلة من الزمن ، إلى الملاحظات المحدودة القصيرة الأمد التي تقوم بها لفترة زمنية قصيرة . ويمكن أن نشير إلى بعض طرق الملاحظة المباشرة .
لقد أشار جيلفورد إلى أنواع ثلاثة معروفة لنا هي : العينة الزمنية وعينة الحدوث والتقارير اليومية المقيدة .

أما طريقة العينة الزمنية ففيها يلاحظ الشخص على مدى فترة زمنية معينة . وهذه الفترة قد تكون قصيرة (عدة ثوان) ، أو قد تكون طويلة (عدة ساعات) ، وذلك حسب نوع السلوك الملاحظ وهدف الملاحظة وعدد الملاحظات المطلوبة . كما أن توزيع الفترات يختلف أيضاً . فقد تركز الملاحظات في يوم واحد أو قد تتوزع على عدة شهور أو حتى عدة سنوات .
أما الأشياء التي تلاحظ وتسجل ، فقد تكون مجرد ظهور أو عدم ظهور إستجابة معينة أو عمل معين ، أو قد يكون هناك تقدير كمي للافعال الملاحظة أو بعض مظاهرها .

أما عينة الحدوث ففيها تختار حالات معينة من السلوك ، ونرى مدى تواتر حدوثها خلال فترة زمنية قد تطول وقد تقصر . فبدلاً من أن نلاحظ السلوك في مواقف مختارة ، فإننا نختار حالات معينة في السلوك ونلاحظها ونسجلها .
فالتقرير الذي تقدمه الأم بملاحظاتنا عن أوقات رناعة الطفل أو صراخه أو رفضه تناول الطعام أو اللعب مع الأطفال الآخرين يعد من هذا القبيل .
وأما هذه التقارير تتضمن بعض العبارات عن نوع الموقف والمثيرات المسجلة أو المحتملة في هذا الموقف . كما توصف الاستجابة وتسجل شدتها ومدتها وآثارها البعيدة إن كان لها آثار بعيدة .

أما التقارير اليومية المسجلة، فإن الفرد نفسه - إذا كان كبيراً وذكياً - قد يحتفظ بتقارير يكتبها هو عن نفسه وسلوكه في مواقف مختارة، كتقاريره عن استجاباته لثورات الغضب التي تلتابه ومداهما. وقد يستمر الفرد في كتابة تقارير عن نفسه فترة طويلة من الزمن، ولكن خطورة مثل هذه التقرير هي بعدها عن الأسلوب العلمى السليم، وأن تصبح مجرد مذكرات يومية يدونها الفرد ولكن قد تساعد الملاحظة الموضوعية وتدوين الأحداث. أولاً بأول ومعرفة الأسباب والظروف المحيطة بالظاهرة على أن تصبح الملاحظة أقرب إلى الدقة.

وليس ثمة شك أن تكرار الملاحظات أمر ضرورى للحكم على ثباتها وصدقها. والجدير بالإشارة أيضاً أن النتائج التي نصل إليها في موقف واحد - حتى على أساس عدد من الملاحظات المتراكمة - تكون صادقة بالنسبة لهذا الموقف. أما الاستدلال عن كيف يمكن أن يسلك هذا الفرد في موقف آخر، فإن هذا يتوقف بحسب على مدى ارتباط استجابات الفرد في الموقفين وعلى فهمنا لبناء شخصية الفرد، بحيث يمكن أن نرى ماذا يعنى الموقف الجديد بالنسبة إليه. ويقول سيموندز^(١) في صدد تعليقه على ضرورة وجود عينات مناسبة من السلوك: إن الملاحظة الواحدة والتقدير الواحد والاختبار الواحد والقياس الواحد والإجابة الواحدة عن سؤال ما، كل هذه لا يمكن أن تكون موضع ثقة الباحثة. إنما يبلغ هذه الثقة بتكرار الملاحظات والتقدير والاختبارات والأقيسة. فإنك إذا طلبت من إحدى المدرسات الحكم على قدرة طفل ما على الاعتماد على نفسه، فإنك تحصل على ما استطاعت هي أن تلاحظه في هذه المواقف القليلة المحددة داخل الفصل، والتي ظهرت حين اتجه انتباهها بشكل خاص

(1) Symonds, Percival M. Diagnosing personality and conduct. New York. Appleton-Centry 1931.

بعض الأفعال التي تتضمن أمانة هذا الطفل أو ثقته بنفسه . ومن ناحية أخرى ، فإن التقدير المناسب يتطلب حكم مقدرين عديدين في مواقف عديدة في أوقات عديدة . فالحقيقة الثابتة هي الحقيقة المتكررة التي تظهر مرات عديدة . ومع ما لطرق الملاحظة من أهمية ، إلا أنها لا تزال بعيدة في بعض نواحيها عن الطرق التجريبية . فهي تحتاج إلى وقت طويل للوصول إلى المعلومات التي نريد للوصول إليها . وقد لا تظهر هذه السمات خلال فترات الملاحظة التي تقوم بها ، وإنما تظهر في أوقات أخرى لا يكون فيها الفرد تحت الملاحظة ، أي أن فيها ضياع للوقت أحياناً .

كما أنها تحتاج إلى أشخاص مدربين تدريباً جيداً على القيام بالملاحظة . ثم أن المعلومات التي نحصل عليها عن السمات التي نريد دراستها قد لا تناسب والجهد الذي يبذله الملاحظ ، ولا الوقت الذي يصرفه في الملاحظة . ولذلك يجب — كلما أمكن — أن يحل محلها الطرق التجريبية أو اختيارات السلوك . ثم إن تعدد الملاحظين قد لا يحل مشكلة الملاحظة . فالملاحظون — حتى بالنسبة للموقف الواحد — قد يعطون تقارير مختلفة اختلافاً كبيراً ، وذلك على أساس أن كل ملاحظ يكون أكثر حساسية لأنماط معينة في السلوك من الملاحظ الآخر . فقد يوجه أحدهما انتباهه إلى أعراض معينة كقضم الأظافر ، بينما يعطى غيره اهتماماً أكبر لغيرها من الأعراض ، ومن ثم يركز عليها ملاحظته .

المقابلة :

والمقابلة وسيلة هامة من وسائل دراسة الشخصية . وهي من الأساليب التي تستخدم أغراضاً كثيرة في مجالات كالطب والصحافة والخدمة النفسية وإدارة الأعمال وعلمية التوجيه والاختيار للموظفين ، وفي المجال التربوي وعلم النفس .

الكليتي . وفادراً ما يحدث إختيار للموظفين لعمل من الأعمال من غير إجراء مقابلات من أى نوع كان مع الأفراد المتقدمين لشغل هذه الأعمال . ولا يمكن أيضاً أن ننفل أهمية المقابلة بالنسبة لعالم النفس الإكلينيكي . فهمي ولا شك تلعب دوراً هاماً في الوصول إلى المعلومات الشخصية عن الحالة . وحتى مع استخدام الاختبارات المختلفة لدراسة شخصية العميل ، إلا أن المقابلة قد تكشف عن جوانب ذات أهمية كبيرة لانصل إليها عن طريق الاختبارات . فسلوك الفرد خلال المقابلة التي تتم وجهها لوجه ، وصورة الأسئلة والإجابة عليها ، وما قد يديه العميل من ملاحظات أو أقوال ، كل ذلك من شأنه أن يلقي المزيد من الضوء على المعلومات التي تتجمع لدى عالم النفس الإكلينيكي من مصادره المختلفة .

والمقابلة كاسلوب بحث تتضمن التبادل اللفظي وجهها لوجه بين القائم بالمقابلة وشخص أو أشخاص آخرين تجرى معهم المقابلة . وعن طريق المقابلة يحاول الباحث الحصول على المعلومات أو الآراء أو الاتجاهات أو المشاعر أو دوافع السلوك إلى غير ذلك من المعلومات التي يهدف إلى الوصول إليها .

والمقابلة - كما أوضحنا - أسلوب لتقييم الشخصية شأنها في ذلك شأن غيرها من الأساليب . ومن الممكن أن يدرك القارئ بسرعة التشابه الظاهر بين أسلوب سير الفور ، عن طريق المقابلة ، والأسئلة التي توجه في اختبار الشخصية أو مقياس الاتجاهات . ومع ذلك فثمة اختلافات واضحة وهامة . فالمقابلة بالتأكيد ، أكثر مرونة . فالقائم بالمقابلة يمكنه أن يستجيب للمفحوص في ضوء مايقوله الأخير ، كما يمكنه أن يغير من أسلوبه أو أسئلته لتلائم استجابات المفحوص . وإذا وجد القائم ، بالمقابلة عازمة من المفحوص في الإجابة عن أنواع معينة من الأسئلة ، فإنه قد يرجئها إلى آخر المقابلة

أو قد يوجهها بطريقة غير مباشرة حتى لا تثير المقاومة التي تثيرها الصورة المباشرة لتوجيه الأسئلة، أو قد يسلك القائم بالمقابلة مسلك الملاحظ في موقف دراسة السلوك ويظل باستمرار متيقظاً للاستجابات الانفعالية التي قد تبدو على الفرد من إحمرار الوجه أو لعثمة أو غضب بالدسبة لأنواع معينة من الأسئلة. فمثل هذه الأمور تسمح للقائم بالمقابلة أن يكون أكثر تفهماً وتقديراً لما يقال، أو لما قد يبدو خصب - على السطح - في إستفتاء مقنن وغير شخصي أو في اختبار اتجاه ..

أنواع المقابلات :

يتوقف نوع المقابلة على الهدف منها ، وعلى تفضيل القائم بالمقابلة . وبعض المقابلات غير مقنن وبعضها الآخر مقنن . وهناك أسماء أخرى كثيرة للمقابلات وذلك حسب مجالات البحوث المختلفة التي تطبق فيها . فهناك مقابلة الضغط والمقابلة المجهدة . كما أن هناك أيضاً المقابلة البورية الاكلينيكية ومقابلة التعمق والمقابلة غير الموجهة أو المتمركزة حول العميل (الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي ص ٢٦٩) . وسوف نعرض هنا لبعض هذه الأنواع .

المقابلة غير المقننة :

وهذه أقرب إلى المحادثة العادية بين شخصين . وتستخدم عادة في مقابلة اختيار الموظفين حيث يسمح للمقابلة أن تسير في اتجاهات مختلفة تتوقف إلى حد ما على طالب الوظيفة . وهذا النوع يختلف بالطبع عن المقابلة المقننة التي توجه فيها أسئلة محددة أثناء الحديث مع كل شخص متقدم لشغل الوظيفة .

والمقابلة غير المقننة - لكونها عارضة وغير محددة سلفاً - تكون أقرب

إلى الطبيعية . ومن شأنها أن تجعل المتقدم للوظيفة مثلاً على راحته ، وأقرب إلى طبيعته أو غير متكلف في الإجابة . يضاف إلى ذلك أنه طالما أن هناك متسع من الوقت ، وحرية في نقل أطراف الحديث من موضوع لآخر ومن نقطة لأخرى ، فإن القائم بالمقابلة قد يجد في استطاعته تتبع الخيوط المفيدة التي تد تظهر خلال الحديث بشكل يكشف عن جوانب قد تكون في غاية الأهمية في الكشف عن شخصية الفرد .

ولكن رغم هذه المزايا ، فإن صعوبتها تتركز في أن الموقف يختلف من شخص لآخر . فليس هناك موقف موحد بالنسبة لشخصين اثنين . وهذا يجعل عملية المقارنة بين الأشخاص المتقدمين لعمل ما صعوبة . هذا بالإضافة إلى أن حرية المفحوص في توجيه الموضوعات ، قد تمسكه - إذا رغب - أن يوجه المحادثة نحو مواطن القوة في شخصيته ، ويبعد أنظار القائم بالمقابلة عن مواطن الضعف عنده .

المقابلة المقننة .

وهذا القدر من التقنين في المقابلة متغير . ففي الحالات الأكثر زمناً ، تظل قائمة الأسئلة التي يوجهها القائم بالمقابلة إلى المفحوصين ، هي لا يخرج عنها إلا فيما ندر . وفي الحالات الأكثر تحزراً ، قد يعطى نفسه بعض الحرية في إدخال أسئلة إلى جانب الأسئلة الأخرى التي يوجهها إلى الجميع . ومن الممكن استخدام صوراً مقننة لتسجيل إجابات المفحوصين وملاحظات القائم به بالمقابلة على سلوكهم .

ومزايا المقابلة المقننة هي نفسها عيوب المقابلة غير المقننة والعكس صحيح . فالمقابلة المقننة تشكل موقفاً متشابهاً بالنسبة لجميع الأشخاص . ولا يمكن بالطبع أن نقول إنه موقف متماثل ، ولكن هيئة السلوك ستكون

واحدة إلى حد كبير بالنسبة لجميع الأشخاص . ومن هنا تكون المقارنات بين الأشخاص أكثر عدلا ، كما أن المعلومات التي نحصل عليها تنصل بنفس السمات عند جميع الحالات .

ولكن الموقف في المقابلة المقننة يكون إلى حد ما غير طبعى . وإن كان الشخص - سواء في المقابلة المقننة وغير المقننة - لا بد أن يدرك أنه في موقف مقابلة . غير أنه موقف المقابلة المقننة - لاقتصار الباحث على أسئلة محددة تقريبا - قد يغفل جوانب معينة من سمات شخصية الفرد قد لا تحتويها الأسئلة الموضوعة .

مقابلة المواقف المضاعطة:

وهذا النوع من المقابلات قصد به معرفة إلى أى حد يستطيع المفحوص أن يضبط زمام نفسه، أو يتمالك ذاته عندما يستشار لإنفعاليا ، وكذلك سرعته في استعادة توارنه بعد زوال الضغوط عليه . وفي الحالات النمطية لهذا النوع من المقابلات ، تتم المقابلة بحضور هيئة من ثلاثة أو أربعة أشخاص ويكون هناك ملاحظان آخران غير ظاهرين يسجلان الملاحظات وغيرها من الأقوال والتفارير التي يقولها المفحوص .

وتبدأ المقابلة بمحادثة عادية وبصورة لطيفة ، كأن يطلب إلى المفحوص مثلا أن يقوم باختبار على أمام الهيئة . ويمثل الاختبار عملا يرداد تعقيدا شينا فسينا ، وعند نهاية الاختبار يخبر المفحوص بدرجته على الاختبار مع تعبير يتم عن الدهشة بأنها درجة منخفضة للغاية (وذلك بصرف النظر عن درجته الحقيقية التي حصل عليها في الواقع) وسرعان ما يتحول الموقف كله إلى موقف يوحى بشيء من عدم التقدير للفرد ، وأحيانا قد تصدر تعليقات من بعض الأفراد تشير إلى عدم صلاحيته وأن في الإمكان استبعاده .

ثم بعد ذلك يطلب إلى المفحوص إعادة إجراء الاختبار . وفي هذه المرة توجه إليه صدمات كهربائية أو مشتتات أخرى للانتباه ولكن حين ينتهى من الاختبار ، توجه إليه الثناء بأنه أجاد العمل في هذه المرة ، كما يصبح الموقف معه لطيفا على نحو ما كان في أول الأمر . ويطلب من المفحوص بعد ذلك أن يسترجع أية تعليقات أو أسئلة سبق أن وجهت إليه . وهذه بالفعل طريقة لإعطاء اختبار تذكر . وبعد أن يصرف المفحوص توضع التقديرات الخاصة بالسمات المختلفة لديه ، وما أمكنه تذكره من تعليقات أو أقوال أو أسئلة تحت ظروف الاختبار المختلفة .

المقابلة المجهدة :

وهي مقابلة قد تطول ، وتجري عادة في جلسة متصلة ويتناوب القيام بها أشخاص عديدون يتحدثون مع الشخص دون أن يعطى فرصة للراحة . والهدف من ذلك هو تحطيم معنويات المفحوص وأساليب دفاعاته ، والوقوف على ما لديه من تناقضات أو عدم ثبات في الأقوال أو الرؤية من ثنايا الواجهة التي قد يغطي بها نفسه في بداية الأمر .

ومثل هذا النوع من المقابلات نجده في تحقيقات البوابيس أو النيابة مع الأشخاص الذين يشك في إدانتهم ، كما تستخدم أيضا مع من يراد أن يوكل إليهم القيام بأعمال قاسية تتطلب المزيد من الصبر والتحمل كالجواسيس والمخبرين . وهناك - كما سبق أن أشرنا - أنواعا أخرى من المقابلات .

والمقابلة بأنواعها المختلفة - رغم أن نتائجها غير مشجعة إذا قيست بغيرها من أساليب الدراسة الدقيقة والتجريب العلمى - إلا أن المحتمل أن يستمر استخدامها وذلك لما تخدمه من أغراض كثيرة في تقييم الشخصية . فهى في موقفه التوظف مثلا ، تعطى المتقدم لشغل الوظيفة إحساسا بالاهتمام به كفرد ،

كما أنها تعطى القائم بالتقدير . انطباعات عن نواحي أخرى يصعب الوصول إليها بغير المقابلة كالمظهر والصوت وغيرهما .

ولكن من ناحية أخرى ، قد تخدع المقابلة . فقد يأتى الشخص للمقابلة وهو فى غاية النظام والترتيب ، بينما أسلوبه فى الحياة غاية فى الاضطراب وسوء النظام . وقد يحدث العكس أحيانا حيث يبدو البعض فى أسوأ حالاته وقت المقابلة ولا يعطى الانطباع الصحيح عن نفسه . وإذا كانت المقابلة تكشف فعلا عن سوء التوافق الانفعالى للفرد أمام القائم بالمقابلة ، إلا أنه سوء توافق موقفى فحسب ، ويمكن تقييم الفرد على أساس الموقف الواحد . كما عبر عن ذلك سيموندز - تقييم لا يوثق به .

الفصل الرابع عشر

الطرق الإسقاطية

الطرق الإسقاطية تعتبر من الوسائل الهامة التي اقيمت قبولا لدى علماء النفس الإكلينيكي وعلماء نفس الشخصية ، فهي من الطرق الواسعة الاستخدام في مجال العيادات النفسية ، وتحظى بنصيب كبير في عملية تدريب الطلاب في هذا المجال والواقع أن ما كتب عن هذه الطرق كثير جداً لا يمكن حصره في هذا العدد . ولذا سوف يقتصر عرضنا لها على التعريف بهذا النوع من الاختبارات وأهم عياداتها وتقديم نماذج من الاختبارات التي تعد واسعة الانتشار والاستخدام في مجال دراسة الشخصية في سوائها وانحرافها . ويجدر بنا أن نشير إلى أن هذه الطرق الإسقاطية قد أثارت الكثير من الجدل بين علماء النفس في هذه السنوات الأخيرة فمن مؤيد لها ، يعترف بقيمتها وفائدتها في نواحي التشخيص الإكلينيكي، ومن معارض لها يرى أن العوامل الذاتية فيها تلعب دوراً كبيراً مما يعيدها عن الموضوعية التي يجب أن تتوفر في الاختبارات بالمعنى الدقيق . ولكن بوجه عام ، فإن هذه الطرق الإسقاطية تلقى مكانها المعترف به في اختبارات الشخصية ، حتى لا نكاد نجد كتاباً في الشخصية أو في علم النفس الإكلينيكي ، إلا وقد أفرد جزءاً من دراساته لهذه الطرق .

معنى الإسقاط :

مفهوم الإسقاط عند فرويد :

في سياق العرض الذي قدمه ليبوبولد بلاك ، عن تطور مفهوم الإسقاط أوضح أن لفظه إسقاط ، ظهر لأول مرة في علم النفس عند فرويد، وذلك في مقالة

له عن ، عصاب القلق ، سنة ١٨٩٤ حيث أوضح أن عصاب القلق يظهر عندما تشعر الذات بمجزؤها عن السيطرة على المثيرات الجلوسية ، وفي هذه الحالة تسلك النفس وكأنها تسقط هذه المثيرات على العالم الخارجى . وفى مقالة أخرى عن العمليات الدفاعية للعصاب (١٨٩٦) ذهب فرويد إلى أن الإسقاط هو أحد هذه العمليات الدفاعية التى يعزو فيها الفرد دوافعه وإحساساته ومشاعره إلى الآخرين أو إلى العالم الخارجى . ويعتبر هذا بمثابة عملية دفاعية تنخلص بها الأنا من الظواهر النفسية غير المرغوب فيها والتى إن بقيت - سببت الألم للأنا . وقد أوضح فرويد هذه العملية الدفاعية فى سياق حديثه عن إحدى حالات البارانونيا الشهيرة بحالة شرير Schreber والتى كانت تأخذ صورة مبول جلوسية مثلية تتحول تحت ضغط الأنا الأعلى من أنا أحبه إلى هو يكرهنى ، فى عملية معقدة تمر بمراحل أربعة هى :

١ — اشتهاه جلوسى مثل يتمثل فى « أنا أحبه » وهذا دافع مستمجن وغير مقبول من دوافع الهوى .

٢ — تكوين عكسى تحت ضغط الأنا الأعلى يحوله من « أنا أحبه » إلى « أنا أكرهه » .

٣ — غير أن الكراهية أو العدوان دافع غير مقبول كذلك فبسكت ، ولكن هذا السكت كعملية دفاعية ليس حلا نهائيا للموقف ، إذ لا يودى إلى حماية الأنا تماما... ولذلك فلدى تنخلص الأنا من هذه الدوافع العدوانية ، فإنها تقوم بإسقاطها على الشخص الآخر ومن ثم :

٤ — تتحرك الدوافع من « أنا أكرهه » إلى « هو يكرهنى » .

ومعنى ذلك أن الإسقاط عند فرويد هو عملية دفاعية تسير وفق مبدأ اللذة وبمقتضاها تعزو الأنا الرغبات والأفكار اللاشعورية إلى العالم الخارجى ،

تلك الرغبات والأفكار التي — إن سمح لها بالدخول إلى مسرح الشعور —
لا حدثت الألم للأنما .

وإذا كانت فكرة الإسقاط قد بدأت عند فرويد مرتبطة بالمرض النفسي
والعقلي ، فإنه توسع في استخدامها بعد ذلك في تفسيره لألوان أخرى من
السلوك ، إذ اعتبرها عملية دفاعية تدخل في تكوين المعتقدات الدينية . وهذا
ما يتضح في سياق حديثه عن « مستقبل خداع » ، وفي مقالته عن « التوهم والتأبؤ »
ولكن حتى داخل هذا الإطار الثقافي ، كان فرويد ينظر إلى الإسقاط كعملية
دفاعية ضد القلق .

ويمكن أن نلخص الأسس التي تقوم عليها فكرة الإسقاط عند فرويد
على النحو التالي :

أن الإسقاط عملية لا شعورية .

أنه يستخدم كعملية دفاعية ضد القلق والدوافع اللاشعورية .

أنه يحدث نتيجة عزو هذه الدوافع والرغبات والأفكار التي تسبب الألم
للذات إلى الآخرين والعالم الخارجي .

أنه يترتب عليه خفض حدة التوتر لدى الفرد .

مفهوم الإسقاط عند فرانك :

ومع ذلك فقد ارتبط لفظ الإسقاط بمعاني مختلفة إلى حد ما . ففي سنة

١٩٣٩ ظهر استعمال جديد للفظ إسقاط عند لورانس ك فرانك L. K. Frank

عندما وصف بعض الوسائل غير المباشرة في دراسة الشخصية والتي تهدف إلى

الوصول بالفرد إلى أن يقدم تقييما لصفاته دون أن يلتجئ إلى أنه يقوم بذلك .

فالفرد حين تعرض عليه مشيرات غير متشكلة ، غامضة مبهمة إلى حد ما ،

ويطلب إليه أن يستجيب لها ويفسرهما ، فإنه يسقط على هذه المثيرات المهمة حاجاته ونزعاته . وتبدو هذه الحاجات والزعات في صورة استجابات هذه المثيرات . فحاجتنا وإدراكنا السابقة تؤثر في إدراكنا الراهنة .

ومنذ ذلك الحين شاع استخدام لفظ « إسقاط » في مجال علم النفس الإكلينيكي مرتبطا بهذه الاختبارات ذات المادة غير المتشكلة والمبهمة إلى حد ما ، والتي عرفت باسم الاختبارات الإسقاطية ، كاختبار بقع الخبز لرورشاخ ، واختبار تفهم الموضوع لمورى ، واختبار تكلمة الجمل الناقصة وغيرها من الاختبارات . ويمكن أن نوضح مفهوم الإسقاط بهذا المعنى لو نظرنا مثلاً من اختبار مهم الموضوع لمورجان ومورى حيث نرى صور السيدات العجائز بواسطة المفحوص ، كأنهن أمهات مسيطرات أو مزعجات ونحن في العادة نذهب إلى القول بأن مثل هذا التفسير يمثل إسقاط المفحوص لخصائصه ومشاعره واحساساته مع أمه التي يستجيب إليها باعتبارها مسيطرة أو مصدر إزعاج وضجر بالنسبة له .

ويبدو أن بين هذين الاستخدامين للفظ « إسقاط » تداخل ملحوظ . فكلاهما يتضمن عملية عزو لموقف معين أو شخص معين صفات ليست موجودة بالضرورة في الواقع الخارجى . كما أن الأشخاص المختلفين يقدمون تفسيرات مختلفة كذلك لنفس المثيرات التي نقدمها لهم . والخصائص أو الصفات التي تعزى إلى المثير تصدر عن حاجات الشخص الذى يقوم بعملية التفسير أكثر مما تصدر عن المثير نفسه . وأهل هذا هو السبب فى أننا نسمى مثيرات هذه الاختبارات بأنها غامضة أو مبهمة أو غير متشكلة . فنحن حين نتفق على أن هذا الشيء الذى أمامنا هو منضدة أو كرسي أو غلام ، فإن المثير فى هذه الحالة يكون واضحاً ومحدداً وغير مبهم . أما حين يزداد تنوع التفسيرات التي تعزى

للشئير في العادة ، فإننا نقول في هذه الحالة إن المثير مبهم أو غير متشكل . وبالنسبة لكثير من الناس ، فإن المثير المحدد غير المبهم لا يكشف الكثير من المعلومات عن الشخص ، لأن مجال التفسير من جانب الفرد لا يكاد يذكر ، وبالتالي فليس ثمة ذاع إلى إسقاط الفرد درافمه وحاجاته وقيمه ومشاعره . وقد أدرك علماء النفس الإكلينيكي أن تفسير الشخص للمثير الغامض غير المتشكل يمكن أن يكشف عن نواحي كثيرة من شخصية الفرد .

ويبدو أن الخلاف ليس كبيراً بين الاستخدامين السابقين وهما استخدام فرويد واستخدام فرانك لكلمة إسقاط . فالإسقاط عند فرويد عملية أولية تؤثر بدورها في إدراكنا الحسية وتساهم بنصيب كبير في تشكيل عالمنا الخارجى ، كما أنه ليس من الضروري أن يكون دائماً عملية دفاعية ، بل يظهر أحياناً في المواقف التي ليست بحاجة إلى دفاع عن الذات ، وذلك على نحو ما أوضح بلاك في إحدى تجاربه والتي أوضح فيها أن الفرد يسقط مشاعر الارتياح والانبساط مثلاً يسقط الحالات الأخرى التي تسبب الألم للآنا . ويبدو أن فرويد — على نحو ما يقول بلاك — قد وصل بنفسه إلى هذه الحقيقة . فقد ذكر دكتور أرنست كريس أن الدراسة الدقيقة لكتابات فرويد تؤكد أنه وصل إلى هذه الحقيقة في مقالته « التوهم والتأويل » (صفحة ٨٥٧) حيث يقول : « ليس من الضروري أن يكون الإسقاط عملية دفاعية ، بل إنه قد يظهر أحياناً في المجالات التي لا يكون فيها ثمة صراع . إن إسقاط الحالات الداخلية على العالم الخارجى عملية أولية تؤثر بدورها في إدراكنا الحسية وتساهم بنصيب كبير في تشكيل عالمنا الخارجى وفي ظروف لم نحدد بدقة — يمكن أن نسقط إدراكنا الذاتية

للمعمليات العقلية والانفعالية على العالم الخارجى كدركات حسية وتدخل فى تشكيل عالمنا الخارجى فى الوقت الذى كان يجب أن تظل فيه فى عالمنا الداخلى . . ويعتقد بلاك أن هذه العبارة التى وردت على لسان فرويد تحوى كل ما هو ضرورى ولازم لموضع نظرية سليمة عن الإسقاط والإدراك عامة . فصور المدركات السابقة التى يكونها الفرد تؤثر فى إدراكنا للمثيرات الراهنة . ولعل تفسير اختبار تفهم الموضوع يوضح هذا الافتراض . فالصورة التى يكونها الفرد عن والده أو والدته تؤثر فى إدراكه لصورة الوالد أو الوالدة فى الاختبار .

وخلاصة القول أن بين الاستعمال الفرويدى للفظ « إسقاط » والاستعمال الشائع فى الاختبارات الإسقاطية تداخل ظاهر نلخصه فى النقطة الآتية :

١ - أن كليهما يتضمن عملية عزو بعض الصفات التى لا وجود لها بالضرورة فى الواقع ، إلى بعض المواقف أو بعض الأشخاص .

٢ - أن كليهما يتضمن أن الأشخاص المختلفين يستجيبون استجابات مختلفة للمواقف المثيرة .

٣ - أن كليهما يتضمن أن الصفات التى يعزوها الفرد إلى المثير إنما تصدر عن حاجات الفرد ودوافعه ونزعاته ورغباته وميوله أكثر مما تصدر عن المثير الموضوعى ذاته .

وفى ضوء ما تقدم يمكن أن نحدد معنى الإسقاط على نحو ما هو مستخدم هنا فى الطريق الإسقاطية ، بأنه العملية التى بواسطتها يمكن الكشف عن دوافع الفرد ورغباته وحاجاته باستخدام مثيرات غير متشكلة وغامضة إلى حد ما ، يقوم الفرد بتفسيرها وتأويلها .

مميزات الاختبارات الإسقاطية :

١ - إن الموقف المثير الذي يستجيب له الفرد غير متشكل وناقص التحديد . ومن شأن هذا أن يقلل من التحكم الشعوري للفرد في سلوكه بشكل يترتب عليه سهولة الكشف عن شخصيته . وإذا كان الفرد - حسب الفرض الإسقاطي - حين تعرض عليه مثيرات من نوع ما ، يقوم بتنظيمها وتشكيلها حسب دوافعه ومدركاته واتجاهاته وأفكاره وانفعالاته وعواطفه وجميع مظاهر شخصيته ، فإن من الممكن للمختبر في هذه الحالة أن يستخدم هذا السلوك كوسيلة إسقاطية للكشف عن شخصية المفحوص . وقد أوضحت الدراسات أن تنظيم المفحوص للمواقف التي تتميز بالغموض ونقص التشكل - على نحو ما نجده في الاختبارات الإسقاطية - يكون أكثر تعبيراً عن شخصية الفرد ودوافعه ونزعاته ، من الاختبارات الموضوعية ذات المادة المحددة .

وبطبيعة الحال تختلف الاختبارات الإسقاطية بعضها عن بعض من حيث درجة تشكلها . فبعضها يقل تشكلها بشكل ظاهر على نحو ما نجده في اختبار بقع الحبر ، على حين أن بعضها الآخر أكثر تحديداً وتشكلاً على نحو ما نجده في اختبار تفهم الموضوع (التات) .

٢ - أن الفرد يستجيب لهذه المادة غير المتشكلة التي تعرض عليه دون أن يكون لديه أية معرفة عن كيف أو من أية جهة سوف يتم النظر إلى هذه الاستجابات وتقديرها . فدلالة المنهج أو الطريقة غير معروفة لدى الفرد . ومن ثم ، فإن إنتاجه سوف لا يتأثر بالإرادة إلى حد بعيد . ولذلك ، فإن النتائج التي نحصل عليها من شخص لديه إلمام بالاختبارات الإسقاطية قد يلحقها الشيء الكثير من التحريف والبعد عن الحقيقة والتأثر بالعوامل الإرادية .

٣ - أنها تمثل نزعة من جانب الفرد ليعبر عن أفكاره ومشاعره وانفعالاته ورغباته في تشكيل المادة غير المتشكلة نسبياً. وهنا تختلف الاختبارات الإسقاطية عن الاختبارات الموضوعية كاختبارات الذكاء مثلاً، ففي الاختبار الموضوعي تكون هناك إجابات صحيحة وأخرى خاطئة، أو تكون هناك طريقة صحيحة وأخرى خاطئة في القيام بعمل شيء ما، أو على الأقل هناك معيار كمي للنجاح أو الفشل. أما في الاختبار الإسقاطي فلن تكون هناك إجابات صحيحة وأخرى خاطئة لاختلاف المشاعر والوجدانات التي يسقطها كل فرد على المثير غير المتشكل والذي يستثير هذه المشاعر والوجدانات، ومن هنا يتم تقدير هذه الاستجابات على أسس أخرى غير الصحة والخطأ.

٤ - إن الاختبارات الإسقاطية لا تقيس نواحي جزئية أو وحدات مستقلة تتألف منها الشخصية في مجموعها بقدر ما تحاول أن ترسم صورة عن الشخصية ككل ودراسة مكوناتها وما بينها من علاقات دينامية. فهي في هذا تسير النظريات الحديثة في علم النفس وبخاصة نظرية الجشلت ونظرية المجال والتي تنظر إلى الشخصية نظرة كلية دينامية أكثر مما تنظر إليها باعتبارها مجموعة من السمات التي تظهر لدى الفرد حين يستجيب لهذه المثيرات الجزئية المختلفة.

أنواع الاختبارات الإسقاطية :

يقسم فرانك^(١) الاختبارات الإسقاطية إلى خمسة أنواع حسب نوع الاستجابة التي نحصل عليها من الفرد وهدف الفاحص من طلبها، وهذه الأنواع هي :

١ - الطرق التكوينية أو التنظيمية : وفيها يتطلب من المفحوص أن

(1) Frank L. K. Projective Method, Charles Thomas Springfield, 1948. pp. 42-60:

يُحدث نوعاً من التكوين والتنظيم على هذه المادة غير المتشكلة المعروضة عليه .
ومن أمثلة هذا النوع الاختبار المشهور باختبار بقع الجبرلور وشاخ واختبارات
الأخرى التي تستخدم فيها مواد غير متشكلة كالطين والبلاستسين أو أية مادة
أخرى قابلة للتشكل .

٢ - الطرق البنائية أو الإنشائية . وهذه تتطلب من المفحوص تشكيل
وبناء مادة متشكلة ومتكونة ذات معنى محدد وخاص ومتميز كالقطع الخشبية
لبناء منزل أو اللعب الصغيرة . فيعطى المفحوص هذه المواد ليرتبها أو يلعب
بها أو يكون منها منظراً واقعياً في الحياة . وباستخدام هذه المادة يستطيع
المفحوص أن ينظمها أو يربتها في أشكال أو صيغ أعم . مثال ذلك اختبار
لوينفلد الموزايكي (الفسيفساتي) مثلاً، حيث يتطلب من المفحوص أن يرب
الأجزاء المختلفة الألوان والأشكال في صورة نماذج . والطرق البنائية أو
الإنشائية تحتل جانباً هاماً في العيادات النفسية وفي وسائل العلاج . فالدور
الذي يقوم به الطفل في تناول الأشياء وبنائها يسمح لنا بالكشف عن مشاعره
وإحساساته وما يفكر فيه وما يريد وما يكرهه .

٣ - الطرق التفسيرية : وهذا النوع من الطرق يقدم للمفحوص موقفاً
أو عملاً يستجيب إليه عن طريق القيام بنشاط مبدع يعبر فيه عن أفكاره
ومشاعره وآماله . فإلا يستطيع الفرد أن يكشف عنه أو يقوله بهرارة ،
يمكن أن يظهر خلال تفسيره للموقف الذي يوجد فيه . واختبارات تفهم
للموضوع للكبار (نات) وللصغار (كات) أمثلة واضحة لذلك ، حيث نطلب
من المفحوص بعد أن نريه الصورة أن يبتدع حكاية أو قصة مثيرة عن المنظر
أو الشكل الذي أمامه .

٣ - الطرق التفريفية أو التطهيرية ، وهذا النوع لا يقتصر على كشف
العمليات الذاتية لدى الفرد ، بل يعين على التخفيف والتخلص من الانفعالات

وكثير من أنواع اللعب العلاجي للأطفال يشتمل على ناحيتي التخلّص من الانفعالات والتعبير عنها . إن الفاء الحجارة على الدمية يمكن أن يتيح للطفل الموضوع الذي يحتاجه امدوان مباح لا يلام أو يعاقب عليه . هذا بالإضافة إلى أنه يكشف للمعالج عن مصدر القلق عند الطفل .

٥ - الطرق التحريفية: وهي التي تلقى فيها طريقة استخدام المادة ضوءاً على الشخص الذي يستخدمها . فطريقة استخدام المادة سواء كانت لفظية أو غير لفظية تمدنا بوسيلة للكشف عن شخصية الفرد . ذلك أن كل فرد منا يستعمل اللغة بأسلوبه الخاص وببنية صوتية خاصة وله تعبيرات خاصة وبالمثل يعتبر أسلوب الكاتب في الكتابة مميزاً له إلى حد بعيد . ونحن جميعاً نستخدم نفس الحروف الهجائية في الكتابة ، ومع ذلك فلكل منا طريقته الخاصة في الكتابة من حيث حجم الحروف والمسافات والانتظام أو عدم الانتظام إلى غير ذلك من الخصائص المميزة لكل فرد عن الآخر .

ونحن نلاحظ على هذا التقسيم رغم شموله لكل أنواع الطرق الإسقاطية - إن أقسامه من الناحية المنطقية متداخلة وغير منفصلة تماماً بعضها عن بعض . ولذلك يمكن أن نتخذ أساساً آخرأكثر سهولة ويسراً في تقسيم هذه الاختبارات ونعني به نوع المادة المستخدمة في الاختبار ، هل هي لفظية أم غير لفظية سواء كان الهدف من إجراء الاختبار تفريغاً أو بناء أو تكويناً .

وفي ضوء ذلك سوف نقدم للقارئ نماذج من كل نوع . ولمن أراد التعمق في هذه الاختبارات التي نقدمها ، والتوسع فيها وطريقة إجرائها وتفسيرها ، عليه أن يرجع إلى كتابنا « الاختبارات الإسقاطية » .

نماذج من الاختبارات الإسقاطية :

أولاً : الاختبارات التي تستخدم اللغة كثير :

(١) اختبار تداعي الكلمات :

إستخدامه جالتون كوسيلة لدراسة العمليات العقلية سنة ١٨٧٩ و ١٨٨٣ .
كما استخدمه بعض علماء النفس التجريبي من أمثال فنت وكاتل ورايبت
Bryant سنة ١٨٨٩ ورغم أن أول تطبيق لهذا النوع من الاختبارات في
المجال الأكلينيكي يعزى إلى يونج ، إلا أن كرملين (١٨٩٢) وسومر (١٨٩٩)
قد سبقاه إلى ذلك ثم استخدمه يونج ١٩٠٦ لدراسة العقد ومجالات الاضطراب
الانفعالي عند الفرد .

لقد وضعت قوائم كلمات كثيرة ومتعددة لدراسة التداعي أشهرها تلك التي
وضعها يونج وتتكون من ١٠٠ كلمة أختيرت خصيصاً للكشف عن العقد ، ثم
قائمة كينت وروزانوف وتتكون من ١٠٠ كلمة أيضاً تخبئاً فيها الإشارة إلى
الكلمات المشبعة بالناحية الانفعالية والتي امتلأت بها قائمة يونج . ومن الممكن
لأي باحث أن يضع قوائم أخرى خاصة تهدف إلى أغراض معينة كالكشف
عن الجريمة أو لأغراض إكلينيكية .

ومن القوائم التي تعد في نظر الكثيرين من أفضل القوائم ، تلك التي وضعها
ربابورت وجيل وشافر وتتكون من ٦٠ كلمة تتضمن مجالات متعددة
كالأسرة والنواحي القمية والشرجية والعدوان والدلالات الجنسية المتنوعة ،
كما تمس مجالات فكرية وألواناً من الصراع التي تظهر في أنماط مختلفة من سوء
التوافق .

وتقدم قائمة الكلمات في العادة شفويّاً ، كما أن الاختبار يجري فردياً نظراً

لما يتطلبه الأمر من قياس زمن الرجوع لكل كلمة ، وملاحظة حركات المفحوص وإشاراته وما قد يحدث من توقف أثناء إجراء الاختبار .

وقد طبق اختبار تداعي الكلمات على حالات الكليمية وحالات عادية وأمكن لبعض الباحثين من أمثال رابابورت وضع قائمة بالأدلة التي تكشف عن وجود اضطرابات في عملية التداعي عند الفرد ومنها :

- ١ - التوقف وعدم القدرة على إعطاء أية استجابة .
 - ٢ - تسمية الأشياء الموجودة بغرفة الاختبار مما يشير إلى وجود حالة إعاقة أو رغبة في التخلص من الموقف .
 - ٣ - تكرار نفس الكلمة المثير .
 - ٤ - إعطاء صفات للكلمة المثير ، كأن يستجيب مثلاً بالنسبة للمنضدة بقوله خشب أو امرأة بقوله جميلة .
 - ٥ - المداومة والاستمرار ويتم في صور مختلفة منها إعطاء نفس الاستجابة بالنسبة للمثيرات المتتالية ، أو إعطاء نفس الاستجابة بالنسبة لسكك أو لمعظم المثيرات التي بينها علاقة مثل أب - شخص ، وطفل - شخص ، أم شخص .
 - ٦ - الاستجابات التي لا يرتبطها بالمثير أية رابطة .
 - ٧ - الاستجابات البعيدة الارتباط جداً بالمثير .
 - ٨ - الاستجابات المتبدلة ابتداء من الاستجابات الجنسية الدارجة حتى الاستجابات غير المقبولة اجتماعياً .
- واختبار التداعي - عند تطبيقه إكلينيكيًا - يزودنا بالكثير من المعلومات . فالاستجابة الخاصة جداً أو البعيدة عن المألوف قد تصبح في ذاتها دليلاً على

أن الكلمة المثير قد صمت نقطة حساسة في فكر المفحوص ، مثال ذلك أب - طاغية ، وقد تحدث الكلمة المثير اضطرابا في التداعى يكشف عن أن الكلمة قد صمت منطقة صراع عند الفرد ، كما تكشف في الوقت نفسه عن طبيعة هذا الصراع القائم في النفس . فعند الاستجابة للكلمة زوجه بكلمة شك فإن هذه الإستجابة تكشف ليس فقط عن وجود صراع لدى الفرد بل تكشف أيضاً عن طبيعة هذا الصراع أو نوعه .

ويمكن الاستفادة من دراسة إختيار تداعى الكلمات في عدة مجالات نشير إلى أهمها بإيجاز .

١ - تحديد مجالات الاضطراب الانفعالى : وقد استخدم يونج اختباراً لهذا الغرض ، وللكشف عن العقد النفسية لدى الفرد وكان يتبع في هذه الناحية « فرويد » الذى استخدم التداعى الحر في الكشف عن نواحي الاضطراب النفسى وقد اتخذ يونج من زمن الرجوع أحد الأدلة الهامة على القول بوجود اضطراب كما سجل فروقا بين الجذسين في هذه الناحية .

٢ - التشخيص الإكلينيكي : ويمكن إستخدام إختبارات التداعى كوسيلة للتمييز بين العاديين والشواذ ، كما يفيد أيضاً في التمييز بين المجموعات المرضية الكبيرة والمجموعات الفرعية التى تدخل تحتها . وقد بدأ هذا الانجاء عند كربلين ثم عند كيبك وروزا نوف اللذين وضعاً جداول تكرارات لإستجابات ١٠٠٠ شخص عادى . كما وضعاً نظاماً للتصنيف يعتمد على محتوى الإستجابة والأمثال عند ربابورت وجيل وشافر الذين اتخذوا من الاختبار أدلة تميز بين العاديين والعصابين والذهابين .

٣ - الكشف عن الجريمة :

وعلى أساس الفكرة التى تذهب إلى أن الشخص الذى يحاول اخفاء

معرفة بجرم ما أو الذى يخاف أن نكتشف جريمته ، سوف يظهر عليه الاضطراب الانفعالى ، فليس من الغريب أن يستخدم إختبار التداعى فى الكشف عن الجريمة . فمن طريق أدلة الاضطراب الانفعالى يمكن التمييز بسهولة بين المذنب والبرئ ، خصوصاً بالنسبة للمشكلات التى تنصل بالمشكلة أو الجرم . وإذا كانت نتائج مثل هذا الاختبارات لا يعتمد عليها كثيراً ، إلا أنها يمكن أن تقرر بنتائج مقاييس أخرى تستخدم فى الكشف عن الاضطراب الانفعالى كاستخدام السيكولوجفانوميتر لقياس تغيرات مقاومة الجلد لمرور التيار الكهربائى وقياس تغيرات التنفس وغيرها .

٤ - دراسة الميول والاتجاهات فى الشخصية : لم تستخدم اختبارات التداعى على نطاق واسع فى هذا الاتجاه . ولكن يمكن القول بأن ملاحظات يونج عن الفروق بين الرجال والنساء فى استجابات التداعى يمكن أن تتخذ كأساس لمثل هذه النواحي وقد استخدمه ترمان وميلز فى التمييز بين الميول الذكورية والانثوية .

(٢) إختبار تكلمة الجمل الناقصة :

وهذا النوع يشبه النوع السابق ولكنه يختلف عنه فى نواحي أهمها أن المتبر هنا ليس كلمة واحدة يستجيب لها المفحوص بأول كلمة ترد إلى ذهنه ، بل هى عادة جملة ناقصة وقد تكون فى أحيان قليلة كلمة واحدة . ثم إنه من ناحية الاستجابة ، فإن المفحوص يستجيب بالفكرة الأولى التى ترد إلى ذهنه والتى تعبر عن مشاعره دون الإصرار على أن تكون هذه الاستجابة كلمة واحدة .

ويرفض البعض إعتبار إختبار تكلمة الجمل الناقصة إختباراً إسقاطياً . ولكنه يتضمن فى الحقيقة جميع مقومات الاختبار الإسقاطى . فطبيعة

الاختبار مبهمه وغامضة وناقصة التكوين إلى حد ما ، ويطلب من المفحوص أن يعطيه معنى محدداً واضحاً ، كما أن المفحوص لا يستطيع أن يدرك بوضوح المفزى الذى يمكن وراء الإجابات ولا يمكنه أن يعرف ما إذا كانت إجاباته جيدة أو غير جيدة .

واقعد استخدم ابنجهموس (١٨٩٧) اختبار تكملة الجمل الناقصة لقياس الذكاء . ولكن باين Payne (١٩٢٨) استخدمه بصورة مباشرة فى دراسة خصائص الشخصية ، كما يعتبر تندلر (١٩٣٠) أحد الرواد الأول الذين استخدموا هذه الطريقة فى مجال الشخصية . وقد استخدم تندلر ٢٠ عبارة ناقصة من نوع : أنا اشعر بالسعادة عندما وأقول الكذب) . وكانت جميع عباراته تبدأ بضمير المتكلم عدا العبارة الأولى من الاختبار . وكان هدفه هو وضع اختبار يحدد الميول والاتجاهات الثابتة والتعلق بالأشخاص والرغبات المتصارعة ونواحي الإشباع والقلق . وكانت العبارات التى يشتمل عليها اختبارها والذى سماه باسم اختبار الاستبصار الانفعالى من النوع التى تثير الإعجاب والغضب والحب والشعور بالسعادة والكراهية وتحقير الذات والفرع والأسف والتفاخر والزهو والحقد والسلبية والشفقة والخبيل والخوف والاهتمام والتفرد والأنسحاب والرغبة .

وقد استخدم كيرون هذا الاختبار (١٩٣٨) بقصد الكشف عن طبيعة اللغة وعمليات التفكير عند الحالات المرضية والعادية وكانت بعض الحالات من الغصام وحالات تدهور الشيخوخة . ولم يقدم كيرون نتائج كية للدراسة التى قام بها ، بل اكتفى بالتحليل النوعى ولانتهى إلى أن تفكير القصصى ونوع التداعى عنده يختلف عن تفكير ونوع حالات تدهور الشيخوخة والراشدين والأطفال الصغار .

وقد ذهب روهدا (١٩٤٦) إلى أن اختبار تسكلة الجملية يعتبر أداة صالحة في يد السيكولوجي الإكلينيكي ، وكل من يريد الوقوف على حاجات الأفراد وأخيلتهم ومشاعرهم واتجاهاتهم ومستويات طموحهم وما يدور بخلد هم من صراعات . .

ولقد انتشر استخدام اختبارات الجمل النافسة ، فاستخدمه Hutt وهو لولبرج Holzberg وشور Shor في مستشفيات القوات المسلحة الأمريكية . كما استخدم أيضا ضمن مجموعة الاختبارات التي تستخدم في العيادات النفسية فاختبار شتين Stein لتسكلة الجمل يطبق في عيادة الصحة العقلية لإدارة الجيش بمدينة نيويورك حيث يقدم للقائمين بالمقابلة مادة تفيدهم في إلقاء فكرة مبسطة عن شخصية المفحوص . وقد اختيرت عبارات هذا الاختبار لإلقاء الضوء على مجالات هامة في تقييم الشخصية هي الأسرة والماضي والحواض والحالات الداخلية والأهداف والشحنات الانفعالية وردود الأفعال لمواقف الإحباط والفشل والنظرة إلى الزمن والتفاوت والتشاؤم واستجابة الفرد للآخرين واستجابة الآخرين له .

اختبار روتر :

وهو من وضع روتر ومافرتي ويتكون من ٤٠ جملة ، أما التقدير فإنه يتم على أساس مقارنة استجابات المفحوص بنماذج تقدير حددت تجريبياً على عينة من طلاب وطالبات الكليات ويمطى لكل إجابة وزن أو قيمة تتدرج من صفر إلى ٦ ويعتبر المجموع الكلي للدرجات دليلاً على التوافق أو سوء التوافق .

والعبارات التي يتألف منها الاختبار توصف عادة بأنها قصيرة وغير متشعبة على نحو ما هو ظاهر في الأمثلة الآتية : (أنا أعاني عقل . . . أشد

ما يقلقنى . . .) . ومن الملاحظ على اختبار روتر معلوه من الجمل المتبدئة بضمير الغائب أو اسم الغائب مثل هو دائما يقلقنى أو مارى شعرت . . . ذلك أن التجربة قد أوضحت له أيضاً أن مثل هذه العبارات تميل إلى إعطاء استجابات نمطية ، وأنها تعزى حرفياً إلى الآخرين . وربما يتفق هذا الرأى مع ما يذهب إليه ساكس أيضاً من أن ضمير المتكلم أكثر أهمية للأغراض الإكلينيكية من الغائب .

وكان هدف روتر من اختباره أولاً : إيجاد طريقة يمكن استخدامها موضوعياً في الأغراض الإكلينيكية ، مع مراعاة أن تحوى بعض مزايا الاختبارات الإسقاطية ، وأن تكون في الوقت نفسه اقتصادية من ناحية الإجراء والتقدير . فهي إذن محاولة موضوعية لوضع تقدير رقمى كى لاختبار يتصف بالصفة الإسقاطية .

ثانياً : الحصول على معلومات ذات قيمة تشخيصية : وبطبيعة الحال لم يكن الهدف الأساسى هو وضع مقياس للشخصية بأكملها أو يكشف عن الدعائم العميقة في الشخصية ، أو عن تكوينها الأساسى ، بل وضع مقياس يقتصد في وقت الاكلينيكي بشكل يسمح له بتشكيل مقابلاته الأولى دون إضاعة وقت طويل مع العميل .

وتتلخص الطريقة المتبعة في تقدير الاستجابات بإعطاء درجة معينة لكل استجابة حسب قواعد معينة قدمها روتر . وتتراوح هذه الدرجة من صفر إلى ٦ درجات حسب نوع الاستجابة التى يعطيها المفحوص ومدى توافقها أو عدم توافقها . وقد أمدنا روتر بنماذج من الاستجابات تكون بمثابة دليل لنا عند التقدير ولتساعدنا عند وضع الدرجات . وعلى هذا الأساس فإن درجات الاختبار يمكن أن تتراوح من الناحية النظرية بين صفر و ٢٤٠ درجة ، بينما

هى من الناحية الواقعية العملية تتراوح عادة بين ٧٠ و ٢٠٠ درجة، مع اعتبار أن الدرجات التى تقع بين ١١٠ و ١٥٠ هى أكثرها توازناً وروداً . ومن التجربة التى قام بها روتر ورافرقى على مجموعة من الطلاب المتوافقين وغير المتوافقين تبين أن الدرجة ١٣٥ هى الدرجة الفاصلة بين حالات التوافق . ومع ذلك فليست هذه الدرجة بالدرجة السحرية التى تفصل بين المتوافقين وغير المتوافقين .

وقد لاحظ روتر اختلافا بين استجابات الذكور واستجابات الإناث على المقياس . وقد قدم لنا على هذا الأساس نماذج لتقدير الاستجابات عند كل من الجنسين .

وقد وضع روتر مجموعة من القواعد التى تعين الباحث على التقدير ومساعدته على وضع الدرجة الصحيحة للتسكلة ، وذلك فى الحالات التى لا توجد لها عبارة مائلة فى نماذج التقدير .

وفى موضع آخر (١) قدمنا المبادئ العامة التى يقوم عليها تقدير اختبار روتر والعبارات التى لا يستجيب لها المفحوص واستجابات الصراع التى تشير إلى إطار ذهنى غير متوافق والاستجابات الإيجابية التى تشير إلى إطار ذهنى متوافق والاستجابات المحايدة .

ومن المحارلات الطيبة فى هذا الصدد تلك التى قام بها « جوزيف ساكس » وسوف نلقى نظرة مختصرة عليها .

اختبار ساكس :

هذا الاختبار يهدف إلى دراسة مجالات أربعة من مجالات التوافق

(١) د . سيد محمد غنيم ود . هدى عبد الحيد برادة : الاختبارات الاسقاطية ، القاهرة .
مكتبة النهضة العربية ١٩٦٤ ص ٨٣ - ١٠٣

هى الأسرة والجنس والعلاقات الإنسانية المتبادلة وفكرة المرء عن نفسه .
أما مجال الأسرة فيتضمن مجموعات ثلاثة من الاتجاهات هى الاتجاه
نحو الأم والاتجاه نحو الأب ثم الاتجاه نحو وحدة الأسرة . وكل اتجاه منها يعبر
عنه بأربع عبارات تسمح للفرد أن يكشف عن اتجاهاته نحو والديه كأفراد
ونحو الأسرة ككل .

أما مجال الجنس فيتضمن الاتجاهات نحو النساء والعلاقات الجنسية
الغيرية . والعبارات التى تتصل بهذا المجال عددها ثمانية ، وتسمح للفرد أن
يعبر عن اتجاهه نحو النساء كأفراد فى المجتمع ونحو الزواج والعلاقات
الجنسية ذاتها .

أما مجال العلاقات الإنسانية المتبادلة فيتضمن الاتجاهات نحو الأصدقاء
والمعارف والاتجاهات نحو زملاء العمل أو المدرسة ، والاتجاهات نحو رؤساء
العمل أو المدرسة ، ثم الاتجاهات نحو المرؤوسين . ويقاس كل اتجاه منها
بأربع عبارات تسمح للفرد أن يكشف عن مشاعره نحو الآخرين خارج
نطاق الأسرة وأن يعبر عن رأيه فى شعور الآخرين نحوه .

أما المجال الرابع والآخر فيتصل بفكرة المرء عن نفسه ، ويتضمن
النواحي الآتية : المخاوف والشعور بالذنب والأهداف وفكرة المرء عما لديه
من قدرات وفكرة المرء عن الماضى وفكرة المرء عن المستقبل . وكل ناحية
منها تقاس بأربع عبارات . والاتجاهات التى يعبر عنها هذا المجال تعطى
السيكولوجى صورة عن فكرة المرء عن نفسه على نحو ما هى عليه الآن وما
كانت عليه فى الماضى وما ينبغى أن تكون عليه فى المستقبل .

ومجموع عبارات هذا الاختبار ٦٠ عبارة ناقصة تغطى ١٥ اتجاهًا . وعندما
يبدأ المفحوص الاستجابة يسجل الفاحص زمن الابتداء وزمن الانتهاء

وإذا أمكن ، فإنه يقوم بعملية تحقيق من العبارات التي تبدو غريبة أو خاصة .
وفي الحالات التي يشعر فيها المفحوص بالقلق فيمكن إجراء الاختبار شفويا
وتسجل الاجابات ، وقد يجد المفحوص فرصة لاستخدام هذه العبارات للقيام
بعملية تفريغ ، كما قد يسمح الاختبار للفاحص أن يقف على المجالات الخاصة
التي تثير اضطراب المفحوص ، وذلك بمتبع ما يطرأ عليه من تغيرات جسمية
ظاهرة كتغير نبرات الصوت أو تعبيرات الوجه أو ما يطرأ على سلوكه
من تغير .

والمملخص العام للتقرير يجب أن يتضمن نواحي أهمها .

١ - المجالات الرئيسية للصراع أو الاضطراب النفسى .

٢ - تكوين الشخصية ويتضمن :

(أ) مدى استجابة الفرد للدوافع الداخلية والمثيرات الخارجية .

(ب) التوافق الانفعالى .

(ج) النضج .

(د) مستوى الواقع .

(هـ) الأسلوب الذى يعبر به عن صراعاته .

هذا وقد قدمنا فى موضع آخر (١) نموذجا لحالة من الحالات التي
استخدم فيها اختبار روتر وكيفية تحليل التقرير والاتجاهات الهامة التي يكشف
عنها التحليل والاتجاهات الاسرية والاتجاهات الاجتماعية والجنسية والاتجاهات
العامة ثم سمات الشخصية المختلفة التي يكشف عنها التقرير .

ثانيا : الاختبارات التي تستخدم الصور والأدوات كثير :

ويندرج تحت هذا النوع أهم الاختبارات الاسقاطية وأكثر شيوعا

واستخداما بين علماء النفس الإكلينيكي وعلماء نفس الشخصية . ولعل هذا النوع من الاختيارات التي تستخدم الصور والأدوات أهم بكثير من النوع السابق . ولذلك فإن الدراسات والبحوث قد اتجهت إليه أكثر مما اتجهت إلى النوع الأول . وليس في إمكاننا في هذا المجال الضيق أن نشير إلى كل اختبارات هذا النوع ، وإنما سوف نقصر الإشارة على أهم الاختبارات وهي الاختبارات المعروفة والمستخدمه على نطاق واسع ، أما من أراد التوسع والاستزادة فيمكن أن يرجع إلى المراجع المتخصصة في هذا الصدد . (أنظر : الاختبارات الإسقاطية للبولف) .

(١) اختبار تفهم الموضوع (ثات) :

Thematic Apperception Test (T.A.T.).

وهذا الاختبار من أكثر الاختبارات الإسقاطية انتشاراً وهو يستخدم على نطاق واسع في أعمال العيادات النفسية وفي دراسة الشخصية . وتدور فكرته حول تقديم عدد من الصور الغامضة نوعاً ما ، ودعوة المفحوص إلى تكوين قصة أو حكاية نصف ما يدر بالصورة ، وتحدث عن أحوال الأشخاص والأحداث التي تجري فيها . ثم يقوم الفاحص بدراسة ما يقدمه المفحوص من قصة ويحاول أن يستشف منها ما يعمل في نفسه من ميول ورغبات وحاجات مختلفة .

كان أول ما نشر عن هذا الاختبار مقال نشره هنري موري وزميلته مورجان سنة ١٩٣٥ عن طريقة لفحص الأخيلة والأوهام ، وقد أدت هذه الأبحاث التي قام بها الاثنان إلى تأليف كتابات نشره موري ، بعنوان « جولات في الشخصية » ، وإلى النظرية الانتقائية التي أوضحها موري ومنذ وضع هذا الاختبار وهو يستخدم على نطاق واسع في أعمال العيادات النفسية في أمريكا وأوروبا وغيرها حيث وضحت فوائده في دراسة الشخصية وفي تفسير

اضطرابات السلوك والكشف عن الأمراض السيكوباتية والعصاب والذهان وما يعمل في نفس الفرد من مشاعر وانفعالات ودوافع ونزعات مكبوتة وألوان الصراع المختلفة .

والفكرة التي يقوم عليها هذا الاختبار هي أن القصص التي يعطيها المفحوص تكشف عن مكونات هامة في شخصيته على أساس نزعتين . الأولى نزعة الناس إلى تفسير المواقف الإنسانية الغامضة بما يتفق وخبراتهم الماضية ورغباتهم الحاضرة وآمالهم المستقبلية . والثانية نزعة كثير من كتاب القصص إلى أن يغترفوا بطريقة شعورية أو لاشعورية الكثير مما يكتبون من خبراتهم الشخصية ويعزون عما يدور بأنفسهم من مشاعر ورغبات .

والاختبار يتكون من عشرين صورة تقدم للمفحوص الواحدة بعد الأخرى ، ويطلب منه أن يكون حكاية أو قصة عن كل صورة منها ، وبعض الصور خاصة بالصبيان B وبعضها خاص بالبنات G وبعضها خاص بالرجال M وبعضها خاص بالنساء F . وتعطى الصور وفق ترتيب محدد تشير إليه الأرقام المسجلة على ظهر البطاقة . وتشير الحروف الأبجدية المكتوبة إلى جانب الرقم إلى نوع الشخص الذي تقدم إليه البطاقة ذكر أم أنثى ، صغيراً كان أم كبيراً . وعلى ذلك فالرموز الآتية B M تخص الذكور صبيانا ورجالا ، GF تخص الإناث بناتا وسيدات ، M تخص الذكور فوق سن ١٤ سنة ، F تخص الإناث فوق سن ١٤ سنة ، B تخص الأطفال إلى سن ١٤ سنة ، G تخص البنات إلى سن ١٤ سنة ، B G تخص الصبيان والبنات إلى سن ١٤ سنة .

وفيما يلي وصفا مختصرا لعدد قليل من الصور المختلفة الأنواع والتي يتكون منها الاختبار .

الصورة رقم ١ : ولد جالس أمام منضدة ورأسه مستند إلى ذراعيه ويرتكز
بمرفقيه على منضدة وأمامه على المنضدة كنجة وقوس ، يستخدم في العزف على
الكان . وتحت الكان والقوس نوتة موسيقية مفتوحة وعين الولد اليمنى مغلقة
تقريباً . أما عينه اليسرى فنصف مفتوحة .

الصورة رقم ٣ BM : ولد جاثى على ركبتيه (أو شاب صغير السن) يسند
رأسه إلى ذراعه الأيمن الممتد على سرير ، ولا نرى وجه هذا الشخص . وإلى
يسار السرير وعلى الأرض هناك شيء لا نقيّنه بوضوح ، لكن يمكن أن نحس
بأنه مسدس .

والصورة رقم ٣ GF : هناك باب مقفل وأمامه شابة واقفة ورأسها
محنى إلى الأمام وتغطي وجهها يديها اليمنى . أما يدها اليسرى فتتمدد بشكل
أفقى وهي تركز رأسها أيضاً على هذه اليد التى تمسك بحافة الباب الذى يظهر
فى الصورة .

الصورة رقم ١٢ M : رجل عمد على كنبية ومغلق العينين وآخر جالس
جوار الكنبية ، وركبته مرتكزة على حافة الكنبية ، ويميل قليلاً إلى الأمام
ناحية الرجل النائم على الكنبية ، وتمتد يده اليمنى بخفة بحيث تبدو على مسافة
فوق رأس الرجل النائم على الكنبية .

الصورة رقم ١٣ F : فى مقدمة الصورة سيدة متوسطة العمر يتجه بصرها
إلى الأمام إلى شيء بعيد وخلفها سيدة متقدمة فى السن حول رأسها إشارات
وتسند ذقنها إلى راحة يدها اليمنى وأصابعها على شفتها السفلى ، شكلها غريب
كما يتجه نظرها بعيداً عن الفتاة .

الصورة رقم ١٢ BG فى مقدمة الصورة منظر شجرة عليها أزهار . وفى
مؤخرة الصورة أشجار أخرى كثيرة . وأرض الصورة مغطاة بحشيش ويبدو

أن هناك بحيرة أو جدرولا صغيراً من الماء (وهذا شيء غير ظاهر)، وعلى الأرض قارب وليس بالصورة أى إنسان .

الصورة رقم ١٢ MF في مقدمة الصورة سرير أو نقالة عليها سيدة شابة صدرها عار والأثناء بارزة وذراعاها الأيمن متدلى إلى جانب السرير أو النقالة وتبدو كما لو كانت ميتة . وإلى جوارها يقف رجل يتجه بصره إلى أسفل وذراعه اليسرى إلى جانب جسمه ، بينما يغطى وجهه بذراعه اليمنى وفى الركن الأيمن من الصورة منضدة عليها كتابين وهما صباح وخلف المنضدة كرنى .

الصورة رقم ١٣ B : منزل من الخشب بابه مفتوح . وأمام الباب يجلس طفل صغير يسند مرفقيه إلى ركبتيه ، ورأسه مسند إلى راحة اليدين .

الصورة رقم ١٣ G : المنظر كله يمثل سلام حلزونية ، وهناك فتاة صغيرة تطلع السلام وتمسك بجدار السلم .

الصورة رقم ١٦ ؛ وهى بطاقة خالية من أى شكل . وفيها يطلب من المفحوص أن يتصور صورة ما على هذه البطاقة ثم يصفها بالتفصيل .

وإجراء هذا الاختبار يستغرق فى العادة جلسيتين يعطى المفحوص فى كل جلسة عشر صور ، وذلك حتى لا يشعر بالتعب من إجراء الاختبار كاملاً دفعة واحدة وخاصة أن كل قصة تستغرق فى المتوسط حوالى ١٠ دقائق .

ويطلب من المفحوص عند عرض البطاقة عليه أن يكون حكاية حول الصورة ، تبين الأمور التى أدت إلى الوضع الذى يبدو فى الصورة ، ونصف ما يقع فيها وماذا يشعر به الأشخاص الذين يراهم وماذا يفكرون فيه ، ثم كيف ينتتم القصة ، وما هى الأفكار التى تخطر بباله .

تفسير الاختبار :

و إجراء الاختبار وتطبيقه ليس مشكلة . فالكثير من المفحوصين يساهمون بإرادة طيبة في إجراء الاختبار . لكن المشكلة هي في تفسير المادة التي يعطيها المفحوص ، وقد أشار موري نفسه إلى أن تفسير الاختبار يتطلب الدقة والحبرة .

ويتطلب الأمر قبل القيام بعملية التفسير تفريغ المعطيات التي حصل عليها الفاحص من القصص . وقد صممت عدة استمارات لارصد وتحليل القصص أشهرها إستمارة بلاك والتي تتضمن النقاط الأساسية التي تشتمل عليها القصة عادة وهي ١ - الموضوع الرئيسي للقصة ٢ - البطل الرئيسي فيها ٣ - الحاجات الأساسية للبطل ٤ - نظرة المفحوص إلى البيئة أو العالم ٥ - صور الشخصيات المختلفة في نظره ٦ - أنواع الصراع ذات الدلالة ٧ - طبيعة القلق عنده ٨ - الحيل الدفاعية الرئيسية لمواجهة أنواع الصراع والخاوف ٩ - شدة الذات العليا ١٠ - تكامل الذات .

وقد وضعت طرق عدة للتفسير ، منها طريقة موري وطريقة تومكنز وطريقة تشارلس ليون ، ولعل طريقة موري هي أهمها وأكثرها استخداما ، وسوف نلخص الأسس العامة التي يقيم عليها موري تفسيره .

طريقة موري في تحليل الاختبار وتفسيره :

يهتم موري بتحليل محتوى القصة وذلك بغية معرفة الموضوعات الغالبة في قصص كل شخص . والموضوع Thema عنده هو التكوين الدينامي للحكاية أو عقدة القصة . وتدور الموضوعات في العادة حول بيان :

١ - البطل الرئيسي الذي يتقمص الفرد شخصيته : وهذا البطل هو الذي يحظى عادة بشعب كبير من الحديث في القصة . ومن الملاحظ أن المفحوص

يتوحد عادة مع أبطال من نفس سنه وجنسه وقد يحدث في حالات نادرة أن يتوحد مع أبطال من الجنس الآخر .

وليس من العسير تمييز البطل . ففي عدد كبير من القصص قد لا نجد سوى شخصية واحدة أو تجد شخصية واحدة هي التي تقوم بالدور الرئيسى إذا قورنت ببقية الشخصيات التي تشملها القصة . وقد يحدث في بعض الاحيان أن يحتل عدد من الشخصيات المركز الرئيسى فى القصة ، فيتوحد المفحوص مع شخصية أحدهم . أو قد يحدث أن يتوحد المفحوص مع شخصية أكثر من واحد .

وعلى العموم إذا استغلق الأمر على الفاحص ، فإن الشخصية التي تشبه المفحوص كثيراً فى سنه وجنسه وخصائصه وصفاته تعتبر هي شخصية البطل . وغالباً ما تنكشف مهنة البطل وميوله وسمائه وقدراته وكفايته عن الصفات القائمة أو التي يرغب الفرد في تحقيقها .

٢ — الحاجات الرئيسية للبطل : والقصد من ذلك هو معرفة الدوافع المحركة للفرد خلال العشرين قصة ومعرفة مشاعره وأفكاره ونزعاته وقد أقام مورى تفسيره على أساس فكرة الحاجات التي جمعت حسب اتجاهاتها وأهدافها الشخصية والمباشرة . وهذه الحاجات التي يقول بها مورى تقرب من نظرية مكندوجل والمدرسة التحليلية فى الغرائز . ويصل عدد هذه الحاجات عند مورى إلى ٢٠ حاجة ظاهرة و ٨ حاجات كامنة .

ومن الحاجات التي أعطاها مورى اهتماماً كبيراً فى تفسيره نذكر :

١ — تجنب الأذى : هل يتخذ الفرد أسلوب الخنوع وقهر النفس ، هل يتحمل الضغوط الخارجية الشديدة والظلم دون احتجاج ، هل يخضع للظروف القاسية التي يصعب تحملها ، هل يميل إلى تحمل العذاب أو تعذيب نفسه .

٢ — البحث عن الكمال . هل يسمى بقوة ونشاط وراء أهدافه . هل مستوى طموح الفرد عال .

٣ — الاعتداء : ويتضح سواء في الإستجابات الانفعالية والتعبير اللغوى كالبغض والسب والنقد وتحقير الناس أو في صورة الاعتداء المادى كالمقاتلة في سبيل الدفاع عن الذات أو عن شخص آخر محبوب والانتقام والأخذ بالثأر أو صورة الميل كالحدم والتخريب .

٤ — السيطرة : محاولة التأثير في سلوك ومشاعر وأفكار الغير . ممارسة السيادة أو الضغط على الغير وتقييد حرياتهم .

٥ — العدوان الموجه نحو الذات . تأنيب الذات وإذلالها ، والتحقير من شأنها ، ومعاملة النقص .

٦ — الاستنجاذ والشفقة والتعبير عنهما فيما يقوم به الفرد من سلوك وأخذ مشاعر الغير في الاعتبار .

٧ — السلبية : حب الهدوء والنوم والتعب بعد بذل أقل جهد ، أخذ اتجاه سلبي ، عدم المبالاة .

٨ — الجنس : مصاحبة أفراد من الجنس الآخر والاستمتاع بالتواجد معهم . قيام علاقات جنسية ، الحب والزواج .

٣ — الضغوط أو العوامل البيئية والمؤثرات التي تؤثر في الفرد :

وبالإضافة إلى معرفة البطل الرئيسى في القصة ودراسة الحاجات والدوافع الأساسية المحركة ، يلزم دراسة الجو المحيط بالبطل والذي يعيش فيه والعلاقات المختلفة التي تقوم بينه وبين غيره من الناس ، والضغوط المختلفة التي تصدر

عن البيئة ، على نحو ما يدركها المفحوص في الماضي أو الحاضر أو المستقبل .

وقد أعطى مورو للضغوط والعوامل البيئية التالية أهمية :

١ - النزعات الاجتماعية : وهذه يندرج تحتها (١) الخلعاء ، هل له صديق واحد أم عدد من الأصدقاء وهل هو عضو في جماعة من نفس سنه وطبيعته (أب ، أم ، أفراد الأسرة ، زوجة ، خطيبة) ، وهل يحبه هؤلاء ، وهل للبطل مغامرات عاطفية .

٢ - الاعتداء : وقد يأخذ (١) صورة الاعتداء الوجداني أو اللفظي أو صورة الاعتداء المادي الاجتماعي واللا اجتماعي .

٣ - السيطرة : هل هناك من يفرض رأيه بالقوة على البطل أو هل هناك من يمنعه من القيام بشيء مرغوب أو يقيد حريته أو يحاول التأثير عليه وإغراته .

٤ - العطف : هل هناك من يحمي البطل ويعطف عليه ويعفو عن خطاياهم .

٥ - التبذ : هل هناك من يبدد البطل ولا يتقبله أو يبالغ به ، ويقابل مطالبه بالرفض .

٦ - الحرمان والفقد : ويندرج تحتها الحرمان مما يحتاج إليه من أجل الحياة أو النجاح ، أو من أجل أن يصبح بطلا . كما تتضمن فقد أشياء كان يملكها أو فقد شخص عزيز عليه .

٧ - الأخطار المادية : كتهرض البطل لأخطار مادية من جانب قوى

غير بشرية كالحیوانات المتوحشة أو عواصف البحر أو من ناحية فقدان
السند القوى الذى كان يعتمد عليه .

٨ - الجروح المادية : وجود شخص يهاجم البطل (أى عدوان) ، أو
وجود حيوان يهاجم البطل أو أن البطل يصاب فى حادثة ما (خطر مادي) .

تلك هى الجوانب الرئيسية التى يقيم عليها مورى تفسيره للاختبار .
ولكن بالإضافة إلى دراسة كل عامل منها على حدة ، يلزم دراسة ما بينها من
علاقات . هل ينجح البطل مثلاً فى التغلب على العوائق والاضغوط أم هل يجد
مشقة ، وهل يتكيف معها أو يخضع لها ، وماذا يفعل للتغلب على عوامل الإحباط .
هل يتعاون مع الغير من أجل تحقيق أهدافه أم يتخذ أساليب عدوانية .

وقد سبق أن أوضحنا أن هذا الاختبار بالإضافة إلى استخدامه كوسيلة
لدراسة الشخصية ، فإنه يستخدم كذلك كأداة للتشخيص فى ميدان الطب النفسى
وأعمال العيادات والتشخيص الإكلينيكي . فقد استخدم فى دراسة حالات
التقلب الوجداني وحالات الاكتئاب وحالات الوسوس والقهر وحالات
البارانويا وحالات الفصام والجنسية المثلية والجناح وغير ذلك من الحالات
التي استخدم فيها الاختبار كأداة هامة ومفيدة .

ب - اختبار بقع العبر

وهذا الاختبار من وضع هرمان رور شاخ الطبيب النفسى السويسرى .
والذى توصل إلى وضع اختبار المشهور بعد سلسلة طويلة من التجارب التى
أجريت على عديد من بقع العبر . وليس ثمة شك أن كانت هناك محاولات
أخرى سابقة كمحاولة دير بورن (١٨٩٨) وشارب وكيرباتريك ، ثم محاولات

هويل (١٩١٠) . ولكن محارة رور شاخ تمتاز بعمق الدراسة والخبرة الإكلبيكية .

ويتكون اختبار رور شاخ من عشرة صور كل صورة منها متماثلة الشكل على نحو ما يحدث حين نلقى بنقطة حبر كبيرة على ورقة بيضاء ، ثم تطبق الورقة وتضغط عليها قليلا فتخرج أشكال مختلفة متماثلة مع ذلك . وقد استخلص رور شاخ هذه الصور العشر من بين مئات من الصور ، لأنها أكثر البطاقات قدرة على التمييز بين الحالات المختلفة التي أجرى عليها تجاربه . وخسة من هذه الصور تكون من درجات مختلفة الظلال وصورتان أخريان من لونين أسود وأحمر ، أما الثلاثة الباقية فتتكون من ألوان متعددة غير الأسود . وجميع البطاقات بمقدرة الأبعاد من ٧ × ٩ بوصم . والبطاقات نظام ثابت في العرض نظراً لاختلاف ما تستثيره في المفحوص من مشاعر وانفعالات .

الاجراء : وثمة اعتبارات يجب مراعاتها عند اجراء الاختبار من حيث ظروف الإجراء وعدم وجود شخص ثالث ، وأثناء إجراء الاختبار تكون الغرفة هادئة وجلسة المفحوص مريحة ، وأن يطبق الاختبار - ما أمكن - في ضوء النهار الطبيعي .

يبدأ الاختبار عادة بتوضيح الطريقة التي عملت بها البطاقات ، كأن نقول للمفحوص : أنت تعرف لما نرمي نقطة حبر كبيرة على ورقة بيضاء ونطبقها ثم نضغط عليها قليلا وبعد كذا نفردها ، نلقى صور وأشكال مختلفة . والبطاقات العشر الموضوعة أمامك عملت بنفس الطريقة . وسأعرضها عليك واحدة بعد الأخرى . ثم تمسك بالبطاقة الأولى وتلقى عليه التعليمات الآتية : أنظر في البطاقة وقل لي أيه التي انت شايفه فيها أو أيه التي بتتصور لك فيها . بص في البطاقة زى ما انت عاوزه لكن كل الى أنا عاوزه منك هو إنك تقول على كل

الى تشوفه ، ولما تخلص تقولى إنك خلصت علشان أدبك الى بعدها ، ثم تعطى البطاقة الأولى إلى المفحوص فى وضعها الطبيعى ، وتعطيه الفرصة الممكنة للإستجابة . ويبدأ الفاحص فى تسجيل استجابات المفحوص على نحو ما ترد على لسانه ، وقد يستعين الفاحص ببعض الرموز والاشارات التى توضح موضع البطاقة عند استجابة المفحوص لها . وبعد انتهاء المفحوص من البطاقة الأولى يضعها مقلوبة على المنضدة ويعطى البطاقة الثانية التى تليها مباشرة ، وهكذا حتى ينتهى من البطاقات العشرة .

وبعد خطوة الإجراء تم خطوة أخرى هى خطوة التحقيق من الاستجابات التى يعطيها المفحوص . وهى خطوة فى غاية الأهمية ويجب أن تتم ، بدقة إذ بدونها لا يتمكن الفاحص أن يعرف العوامل التى تحدد الاستجابة ، كما أنها تساعدنا على جمع المعلومات التى تسهل لنا عملية تقدير النتائج تقديراً صحيحاً . ويبدأ التحقيق بالبطاقة العاشرة التى لا تزال فى يد المفحوص بعد الانتهاء من خطوة الإجراء . ثم ننتقل منها إلى التاسعة وهكذا حتى ننتهى إلى البطاقة الأولى ، والهدف من التحقيق هو :

١ — توضيح مكان الاستجابة هل تشمل الشكل ككل أو جزء من البطاقة . وهل هذا الجزء جزء صغير أم جزء كبير (٢) بيان العوامل المحددة لعملية الإدراك ، هل هى عامل الشكل أم عامل اللون أم الظلال أم الحركة أم خليط من هذه العوامل (٣) معرفة محتوى الاستجابة . فقد يعطى المفحوص استجابات عامة مثل شخصين أو رأس ، وفى مثل هذه الأحوال يجب توضيح ما إذا كان الأشخاص هم من الرجال أم النساء ، وهل المقصود بالرأس رأس إنسان أم رأس حيوان .

ونعتقد أن خبرة الباحث المتزايدة بالاختبار وبعملية التقدير

والتفسير فجعل قدرته على القيام بعملية التحقيق سريعة وكاملة ومفيدة ، كما تجعله أكثر قدرة على البحث والوصول إلى المعلومات التي يريد الوصول إليها لتوضيح الاستجابات وجعل عملية التقدير سهلة وسريعة .

التقدير : وبعد خطوات الإجراء والتحقيق تأتي خطوة التقدير وهي خطوة في غاية الأهمية بالنسبة للاختبار . وما التقدير سوى ترجمة دقيقة للاستجابات التي نحصل عليها من المفحوص ووضعها في رموز تلخص استجابات الفرد للاختبار .

كان رور شاخ رمز لكل نمط من أنماط الاستجابة برمز خاص . ولم يدخل تعديل كبير على تلك الرموز التي وضعها رور شاخ وقد نظر رور شاخ إلى كل استجابة من نواحي أربعة هي .

(أ) التحديد المكاني Location : ذلك أن الاستجابة التي يعاينها المفحوص إما أن تشمل البطاقة كلها أو جزءاً منها . وهذا الجزء إما أن يكون جزءاً كبيراً عادياً يستجيب له معظم الناس ، أو أن يكون جزءاً صغيراً أو دقيقاً . وقد تحتوي الاستجابة كذلك - سواء كانت كلية أو جزئية - على مسافات بيضاء داخل البقعة التي استجاب إليها الفرد .

(ب) العوامل المحددة للاستجابة Determinants . وهذه تشير إلى العوامل التي تدخلت في تحديد الاستجابة ، هل هو عامل الشكل أم عامل الحركة أم عامل اللون أم مجموعة عوامل مجتمعة مع بعضها .

(ج) المحتوى أو المضمون : Content هل محتوى الاستجابة شكل إنساني أم حيوانات أم جمادات أم استجابات تشريحية أم مناظر طبيعية .

(د) هل الاستجابة من النوع المألوف أو الذي فيه جـدة وإبداع Popular or Original ذلك أن مضمون الاستجابة قد يتفق مع ما هو

مألوف وعادى عند معظم الناس . وهذا النوع من الاستجابات يكثر وروده في تقارير مجموعة عادية من الناس ، أو قد يكون محتوى الاستجابة أصيلا وفيه جدة وإبداع . وهذا النوع الأخير لا يرد إلا مرة واحدة في كل مئة تقرير عادة .

وسوف نشير باختصار إلى كل ناحية منها مبينين الرموز التي تقدر بها الاستجابة .

أولا : التحديد المسكن :

قد يقع اختيار الفرد على البطاقة كلها، وفي هذه الحالة يرمز إلى الاستجابة بالرمز ك (W)، أو قد يقع الاختيار على جزء كبير أو عادى ويرمز إليه بالرمز ج (D)، أو قد يقع الاختيار على أجزاء صغيرة أو دقيقة ويرمز إليها في هذه الحالة ج (Dd). وثمة احتمال رابع وأخير هو إما أن يهمل الفرد الشكل الذى على البطاقة ذاتها وينظر إلى الأرضية باعتبارها شكلا، وفي هذه الحالة يرمز إليه بالرمز ف (S) أو أن يدخل المسافات البيضاء ضمن استجاباته الكلية أو الجزئية ويكون لدينا في هذه الحالة استجابات كلية يتخللها مسافات بيضاء ونرمز إليها بالرمز ك ف (Ws) أو استجابات جزئية عادية يتخللها مسافات بيضاء ويرمز إليها بالرمز ج ف (Ds) أو استجابات جزئية دقيقة يتخللها مسافات بيضاء ويرمز إليها بالرمز ج ف (Dds) .

هذا وقد قفنا بتوزيع الاستجابات الجزئية العادية والدقيقة وتلك التي تحتوى على مساحات بيضاء من هذه وتلك ، على مختلف البطاقات العشر سواء بالنسبة للأطفال الصغار أو المراهقين والكبار . ويمكن الرجوع إلى هذه القوائم لتحديد الأجزاء الدقيقة والكبيرة والتي راينا فيها أساس حجم

الجزء المختار للاستجابة ، وكذلك التواتر الإحصائي لهذا الجزء (١) .
وليس من المسير على المختبر الذى له خبرة بالاختبار أن يقوم بتقدير
الموضع السكانى تقديرأ صحيحاً ، ولو اتبع المصححون لهذا الاختبار خطوطاً
ثابتة يتفقون عليها عند بداية التقدير ، فسوف لا يختلف أحدهم اختلافاً
كبيراً عن تقدير الآخر .

ويتدرج تحت التحديد السكانى عوامل ثلاثة هى .

١ - منوال الإدراك ويقصد به الأسلوب الذى اتخذه الفحوص فى النظر
إلى البطاقة . هل كان اهتمامه موجهاً أكثر إلى الاستجابات الجزئية . وهل
كان يعنى بالأجزاء الدقيقة أكثر من عنايته بالأجزاء الكبيرة . ويمكن أن
نعرف أسلوب المعالجة عن طريق دراسة نسب الاستجابات الكلية إلى
الأجزاء الكبيرة إلى الأجزاء الدقيقة . ومعرفة النسب المتوقعة من كل منها
ومدى إنحراف الشخص عنها لها أهمية كبيرة فى التفسير والحكم على نوع
ذكاء الفرد . والنسب المتوقعة العادية عند رورشاخ على افتراض أن عدد
استجابات الشخص العادى يكون فى المتوسط ٣٤ استجابة تكون على النحر
التالى : ٨ استجابات كلية ، ٢٣ استجابة جزئية كبيرة عادية و ٣ استجابات
جزئية دقيقة . ولكن هناك تعديلات أخرى لدى الباحثين الآخرين لا تبعد
كثيراً عن تلك .

٣ - التتابع أو الترتيب : ونحصل عليه من النظر فى النظام الذى سار
عليه الفرد فى إعطاء الاستجابات بالنسبة للبطاقات العشرة . والحقيقة أن هذا
العامل لا يزال يعتمد على التقدير الذاتى للفاحص . وليس هناك تحديد كى

(١) انظر التفصيل النفسى : دراسات فى اختبار « رورشاخ » ، دسيد محمد غنيم
و دة هدى عبد الحميد برادة، مكتبة النهضة العربية شارع عبد الحالى ثروت القاهرة : سنة ١٩٦٤

يوضح لنا نوع التتابع وقد أشار إليك إلى أنواع من الترتيب أو النظام الذى يسير عليه الفرد . فهناك التتابع المنهجي الذى يتخذ أسلوباً ثابتاً فى النظر لا يتغير ويتجلى فيه الجود إلى حد بعيد فينتقل من الكليات إلى الجزئيات الكبيرة إلى الجزئيات الدقيقة فى نظام لا يحيد عنه . غير أن هذا الأسلوب الجامد لا يحدث عادة وإن وجد فهو دليل على الجود العقلى . وهناك فى الطرف الآخر التتابع المختلط وفيه يتعذر التنبؤ بترتيب معين يسير عليه الفرد . وهناك الترتيب الذى بين هذا وذاك ، فلا هو من النوع الجامد ولا هو من النوع المضطرب المختلط . ولذا فهو يسميه بأسم غير المنتظم أى غير الجامد وغير المضطرب فى الوقت نفسه . وغالباً ما يكون ترتيب الأسوياء الممتازين من النوع الأخير . وهناك أنواع أخرى من التتابع لباحثين آخرين مثل مونز وكلوبفر وغيرهما .

٣ - التنظيم : ومعناه قيام الفرد بنشاط تنظيمى يجمع فيه الوحدات الصغرى فى وحدات أكبر منها . وبعض هذه الوحدات الكبرى يكون كليات ومعظمها ليست كليات ، بل أجزاء كبيرة . وقد اهتم بهذا العامل صموئيل بيك إلى حد بعيد ، كما أنه من وضعه أيضاً .

ثانياً العوامل المحددة :

وهذا هو الجهد الثانى الذى على أساسه يتم تقدير الاستجابات ، وهو أهم الأبعاد الأربعة ، ومجال الأخذ والرد فيه كبير ، كما أن اختلاف الباحثين فيه اختلاف واسع . والعوامل المحددة هى عامل الشكل واللون والظللال والحركة . وأية مجموعة من هذه العوامل ، وقد أوضح رورشاخ هذه العوامل عند وضعه الاختبار ولم تدخل تغييرات تذكر عليها من جانب الباحثين العديدين فى هذا الاختبار . وسوف نشير باختصار إلى كل عامل منها :

(١) الشكل : ويرمز إليه بالرمز ش (F) وهو أكثر العوامل المحددة

وروداً في التقرير. وكان رورشاخ يسعى اختيارة باسم اختيار تفسير الشكل .
وحين نقول إن الشكل هو العامل المحدد للإستجابة ، فإننا نعني بذلك أن الشكل
هو المثير الأول للإستجابة . ولقد ميز رورشاخ بين نوعين من الشكل :
شكل جيد ويرمز إليه بالرمز ش + (F +) وشكل غير جيد أو ردى .
ويرمز إليه بالرمز ش - (F -) . ومعيار الجودة وعدم الجودة في الأشكال
أثنان . أحدهما إحصائي ومعناه أن الأشكال التي يتواتر حدوثها بكثرة لدى
مجموعة كبيرة من العاديين تعتبر أشكالا جيدة أما الأشكال التي لا يكثر
تواترها ، فإنها تعتبر أشكالا غير جيدة . أما المعيار الثاني فقد ترك للفاحص
نصباً في الحكم على الشكل . فالإستجابة التي يمكن أن نقبلها أو يكون عندنا
استعداد لمشاركة صاحبها شكلها أو التي يتفق ثلاثة من الحكماء على قبولها فإنها
تعتبر في هذه الحالة شكلاً جيداً .

ونسبة الشكل التي نحصل عليها في التقرير يجب أن يكون جزء كبير منها
من النوع الجيد الذي نرمز إليه بالرمز ش + . ونسبة الشكل الجيد هي التي
نعطينا فكرة عن درجة التحكم الشعوري للفرد في عملياته العقلية ، كما نكشف
عن نوع تفكيره ودرجة احساسه بالواقع . ومن هنا يربط البعض بين
استجابات الشكل الجيد والذكاء . والمتوقع أن يكون الذكاء العالي مصحوباً
بنسبة عالية من الشكل الجيد ، على حين تنخفض نسبة الشكل الجيد - وبالتالي
تعلو نسبة الشكل غير الجيد - عند حالات الهوس والفصام غير المرتبطين
أرتباطاً قوياً بالواقع .

(ب) الحركة : وقد رمزنا إليها بالرمز « حر » ، وهي المقابل للرمز M .
وهذا العامل المحدد من أهم العوامل التي أعطاهما رورشاخ اهتماماً كبيراً . كما أنه
من أصعب العوامل عند التقدير . وربما كان مرجع هذه الصعوبة هو نقص
التعريف الذي وضعه رورشاخ للإستجابات الحركية . فقد بدأ تعريفه لها

بأن وصفها بأنها استجابات يحددها الشكل والإضافات الحركية . فالفرد لا بد أن يتصور الشيء في حالة حركة وقد أعطى رورشاخ اهتماماً كبيراً للاحية معينة وهي أن الحركة في المدرك لا بد أن تحس باعتبارها تغيراً في التوتر العضلي . فالحركة التي نحسها - وليست التي نستدل عليها عقلياً أو التي نستنتجها عن طريق النداى - هي التي تحول الاستجابة من استجابة يحددها عامل الشكل إلى استجابة حركية . وخير قاعدة يمكن السير عليها في نظر رورشاخ عند تقدير الاستجابات الحركية هي : تعتبر الاستجابة محددة تحديداً حركياً إذا كانت الأشكال المرئية في البطاقة كائنات إنسانية أو حيوانية تقدر على الحركة حركة شبيهة بحركة الإنسان كالقردة والديرة وغيرها .

(٥) اللون : وفكرة رورشاخ عن الاستجابات اللونية أقل أصالة وإبداعاً من فكرته عن الاستجابات الحركية . ومع ذلك فاللون مكون هام من مكونات الاختبار لارتباطه الوثيق بالجانب الإنفعالي ، ولما له علاقة وثيقة بالاستجابات الحركية التي تكشف عنها نسبة مجموع الاستجابات اللونية إلى الحركة .

ولكى تقدر الاستجابة على أنها استجابة لونية ، لزم أن يتأثر الفرد بصورة مباشرة وإيجابية بصفة اللون . وليس يكفي أن يكون الجزء المثير ملوناً حتى تقدر الاستجابة على أنها استجابة لونية ، بل يجب أن تتضمن الاستجابة شيئاً يشير إلى تأثير الفرد باللون . ومعظم استجابات اللون يثيرها اللون الأحمر غالباً ، مثل دم ؛ ولكن هناك استجابات أخرى تثيرها بقية الألوان مثل سماء أو ماء بالنسبة للون الأزرق ، زهرة بالنسبة للون الأصفر ، حشيش بالنسبة للون الأخضر .

وقد قسم رورشاخ استجابات اللون إلى ثلاثة أقسام رئيسية ، وذلك على

أساس العامل المحدد للاستجابة. فإن كان العامل المحدد لوناً خالصاً مثل « دم » لأنه أحمر، قدرت الاستجابة بأنها لون خالص، ويرمز إليها بالرمز ل أو (C). أما إذا دخل عامل الشكل مع عامل اللون، وكان لعامل اللون الغلبة في تحديد الاستجابة، قدرت الاستجابة بأنها ل ش (CF) مثل لعب علفان لون الذهب والألسنة الممتدة منه. أما إذا دخل عامل الشكل مع اللون وكان لعامل الشكل الغلبة على عامل اللون قدرت الاستجابة بأنها ش ل (CF) مثل رباط رقبة أحمر اللون.

وليس ثمة شك أن دلالة كل نوع من هذه الأنواع تختلف عن الأخرى. فاللون الخالص يشير إلى انطلاق النواحي الانفعالية دون ضوابط أو عوامل ملطفة أو مخففة لحدة الانفعال. فهي تشير إلى الاندفاع الذي لا يهدف أبداً إلى التكيف. بينما ل ش فتشير إلى سيطرة الانفعال مع وجود درجة من التحكم وال ضبط يشير إليها عامل الشكل فالفرد لديه الرغبة في التكيف مع البيئة والواقع، ولكن قوة التحمل وال ضبط غير كافية لأحداث هذا التكيف الناجح. أما ش ل فتشير إلى أن الفرد يتأثر بانفعالاته وإحساساته، ولكنه يحكم العقل ويسيطر على انفعالاته ويراعى الآخرين عند الاستجابة للمثيرات الانفعالية المختلفة. فهذا النوع من الاستجابات يشير إلى أن إحساس الفرد يتسق وإحساسات الآخرين، وهذا يشير إلى سمة هامة من سمات التكيف ما دامت ترتفع إلى مستوى ترحيب الفرد بالإتساق مع العالم الخارجى، وهذه إشارة إلى نهج الفرد من الناحية الإنفعالية.

(د) الظلال يثير الكثير من المشكلات وليس هناك مجال تشعبت فيه الآراء واختلفت، مثلما حدث في استجابات الظلال.

وقد تعددت الرموز التي وضعت لاستجابات الظلال يفكك يدعو إلى الحيرة والارتباك ويرمز لهذا العامل بالرمز ظ (hc). chiaroscuro shading.

ولعل مرجع الصعوبة والخلط فيه هو أن رورشاخ لم يهتم بهذا العامل في كتابه التشخيص النفسى ، وإن كان قد أشار إليه في مقالته التى نشرها له أوبر هولزر بعد وفاته .

وقد رمز رورشاخ لجميع إستجابات الظلال برمز واحد فقط هو (C) . F . وقد حدد هذا النوع من الاستجابات بقوله : إنها التفسيرات التى لا يكون فيها للقيم اللونية أثر ، بل يرجع هذا الأثر إلى الضوء والظلال . ودلالات هذه التفسيرات لا تزال غير واضحة . ولكن يبدو أنها تتصل بقدرة الفرد على التكيف الانفعالى ، كما تشير أيضاً إلى هذا النوع من التكيف الذى يتسم بالحذر والجبن والإعاقة . هذا بالإضافة إلى أنها تشير إلى ضبط النفس أمام الآخرين ، وإنجاه واضح نحو الاكتئاب يحاول الفرد السيطرة عليه فى حضرة الآخرين .

أما البعد الثالث الذى يدخل عند تقدير الاستجابة فهو المضمون أو المحتوى . ولا يشير هذا البعد خلافاً كثيراً بين مختلف الباحثين . ويقصد بالمحتوى أو المضمون الصورة أو الملاح الأساسية التى اثارها البطاقة فى ذهن المفحوص . ويصنف المحتوى وفق قوائم أو مجموعات وأهم القوائم التى تقابلنا عند تقدير المحتوى هى المدركات الإنسانية ن (H) أو جزء الإنسان جزء ن (Hd) والمدركات الحيوانية حى (A) أو جزء الحيوان جزء حى (Ad) ، هذا بالإضافة إلى عدد كبير من المحتويات الجغرافية والأشياء المادية المصنوعة والاستجابات التشريحية واستجابات المجلس والاستجابات الطبيعية والاستجابات النباتية والاستجابات الفنية أو الفلسفية .

ويشير المحتوى بوجه عام إلى أفق الشخص ونواحى اهتماماته الخاصة . فالاستجابات الإنسانية مثلاً تشير إلى دور المبول الاجتماعية والإنسانية فى حياة الفرد وإلى درجة اهتمام الفرد بسلوكولوجية الآخرين . نخلو التقرير من الاستجابة

الإنسانية يشير إلى عدم الاهتمام بالناس. أما الاستجابات الحيوانية فهي بلا شك أكثر محتويات التقرير وروداً ولكن النسبة المرتفعة منها في التقرير تشير إلى النمطية، ومعناها الافتقار إلى الخيال وهذا التفسير ينطبق على العاديين والشواذ على حد سواء. وعلى العموم فتتوزع محتوى الاستجابات يشير إلى اتساع أفق الفرد وتنوع نواحي ميوله واهتماماته، على حين تشير قلة المحتوى إلى ضيق الأفق وفقر اهتمامات الفرد وميوله.

رابعاً : الاستجابات المألوفة وغير المألوفة :

وهذا البعد هو الرابع والأخير في تقدير الاستجابة. والاستجابة المألوفة هي التي ترد - حسب البعض - مرة واحدة تقريباً في كل ثلاثة تقارير عادية، ويرمز إليها بالرمز م (P)، وتكون دائماً ذات شكل جيد ولا يمكن أن تكون ذات شكل رديء بحال من الأحوال. ولقد أصبحت هذه الاستجابات محددة تحديداً إحصائياً دقيقاً.

أما الاستجابات غير المألوفة أو الأصلية فهي التي ترد مرة واحدة في كل ١٠٠ تقرير عادي، ويرمز إليها بالرمز ص أو (O). وهذه الاستجابات الأصلية تشير بعرف النظر عن نوعها إلى قدرة الفرد على إدراك علاقات جديدة، كما تمثل أكثر من أي عامل آخر التفكير الذاتي للفرد وطريقته الخاصة في معالجة الأمور.

والاستجابة المألوفة تشير عادة إلى درجة مشاركة الفرد الأفكار الشائعة في الجماعة التي يعيش فيها. ولكن هذا القول وحده لا يكفي، إذ قد يعطى شخصان مختلفان نفس العدد من الاستجابات المألوفة، ومع ذلك يختلف تقرير أحدهما عن الآخر اختلافاً كبيراً. لذا يجب أن ندخل في حسابنا بقيقة العوامل الأخرى عند التقدير.

أما الاستجابات الأصلية فقشير إلى درجة من الإبداع والخيال . ولذا
تكثر عند أصحاب المواهب الفنية ، وإن كان من الضروري أن نميز بين
الاستجابات الأصلية الجيدة الشكل التي ترد عند الأذكاء وأصحاب المواهب ،
والاستجابات الأصلية غير الجيدة الشكل والتي قد تقابلها بكثرة عند حالات
الضعف العقلي وبعض حالات الفصام ومن لديهم اضطرابات عضوية .

وإذا كان اختبار رورشاخ قد وضع أصلاً للكشف عن الحالات
المرضية المختلفة والتمييز بينها ، فقد استخدم أيضاً وعلى نطاق واسع في دراسة
شخصية العاديين . وليس ثمة شك في أن الاختبار قد أعطى نتائج طيبة في
دراسة حالات الهستيريا والوساوس المتسلطة والقهر وتشخيص الحالات
السيكوباثية وحالات الاكتئاب والفصام وحالات الإصابة العضوية في المخ
وكذلك حالات الضعف العقلي .

(ح) اختبار زوندى :

وفي هذه السنوات الأخيرة وضع السيكانزى المجرى ليوت زوندى
عدداً من النظريات التسكوبية أقام عليها اختبار الإسقاطى الذى عرف
باسمه . ونظرية زوندى التى أقام عليها اختبارها تعرف باسم نظرية تحليل
المصير . والاساس الذى تقوم عليه هذه النظرية أساس بيولوجى يعتمد على
فكرة الجينات والدور الذى تلعبه في حياة الفرد . فن المعروف لنا
جميعاً أن الجينات هى حَمَلَة الاستعداد الوراثى عند الفرد ، وأن بعض هذه
الجينات سائدة وبعضها الآخر متنحية أو كامنة . والجينات السائدة هى التى
تحمل الصفات الوراثية الظاهرة كالطول والقصر ولون العينين ولون البشرة
والاستعداد للإصابة بمرض معين . أما الجينات المتنحية أو السكامنة فهمى
التي تحمل الصفات والخصائص السكامنة في الفرد . غير أن كون هذه الجينات

وتنجيها ليس معناه أنها فقدت كل تأثير أو فاعلية ، بل لها تأثير كبير جداً يتضح في الحقيقة حين تتقابل هذه الجينات المتنحية بجينات أخرى ماثلة لها عند الجلس الآخر والدوافع الناتجة عن هذه الجينات الكامنة هي التي تحدد اختيار الفرد ومصيره في مجالات الحب والزواج والمهنة والأمراض وحتى في الموت . فمنذ بداية حياة الكائن الحي هناك مصير خفي توجهه هذه الدوافع الناتجة عن الجينات التي يرثها الفرد عن أبويه وعن أسلافه . وعلى أساس فكرة الجينات الكامنة أو المتنحية والدوافع الناتجة عنها ، يمكن تفسير هذا الظاهرة التي نعرف باسم « الانتحاء التكويني » ، والتي تتضح حين ينجذب شخصان - تحت تأثير الجينات الكامنة المتشابهة - أحدهما إلى الآخر . فبعض الناس يدفع دفعاً إل اختيار من نوع معين في مجالات الحب والزواج والمهنة والمرض ، وأن هذا الدفع غالباً ما يكون نتيجة دوافع كامنة لا يشعر بها الفرد ولا يدرك مصيرها .

أما كيف نفسر اضطراب المصير عند الفرد ، فقد أوضح زوندى أن حاجات السلف المكبوتة ومطالبه التي لم يعبر عنها (والتي تسمى من الناحية التكوينية بالجينات الكامنة أو المتنحية) موجودة في أعماق اللا شعور العائلي الذي صادر على وجوده ، وأن هذه الحاجات والمطالب السلفية المكبوتة يمكن أن تؤدي إلى ظهور الأعراض المرضية لدى الفرد على نحو ما هو الحال بالنسبة لدوافع الفرد وأفعاله المكبوتة في اللا شعور الفردي . ولقد وجد زوندى فكرة المكبت الفرويدية وسيلة يفسر بها اضطرابات المصير عند الفرد ، كما وجد فيها الفكرة الصحيحة الصادقة التي تصدق على اللا شعور العائلي صدقها على اللا شعور الفردي . فطالب السلف الكامنة في أعماق اللا شعور العائلي - كذلك المرتبطة بالصرع والفصام والهوس والإجرام والانتحار والتي يعبر عنها شعورياً في هذه الصورة المرضية - يمكن أن نثير

نفس الأعراض المرضية العصائية والذهانية على نحو ما تفعل الدوافع المسكوبة
في أعماق اللا شعور الفردى عند فرديد

واللا شعور العائلي الذي صادر زوندى على وجوده أسبق زمناً في الفرد
وأعمق من لا شعوره الفردى ، وهو العامل المحرك والمصيرى كاللا شعور
الفردى ، وإن كان أعمق منه أثراً في توجيه مصيره واختياره .

ويمكن القول إذن أن اللا شعور العائلي عند زوندى يحوى الاستعدادات
الوراثية الكامنة التي توجه أفعال الفرد واختياره لا شعورياً . والعملية التي
بواسطة تنجذب العوامل الوراثية المتماثلة أو المتشابهة داخل المكون
الوراثى اعنى داخل اللا شعور العائلي هي التي تعرف باسم عملية الانتحاء
التسكويى . ويعد الانتحاء التسكويى من أهم وظائف اللا شعور العائلي وهو
الذى يقوم بدور واضح في اختيار الفرد لمجالات الحب والزواج والمهنة
والمرض والموت .

والوظيفة الأولى للانتحاء التسكويى تتضح في إختيار الفرد في مجال
الحب وهو ما اسماء زوندى باسم « الانتحاء الليبىدى أو الشهوى » ويحدد
لا شعورياً جميع علاقات الزواج بين أفراد الجنس البشرى ، وإليه تستند
الأسرة . أما وظيفته الثانية فتتضح في إختيار المثل ، وهذا ما عرف بالانتحاء
المثالى . وبموجبه تقوم كل الروابط والصلات العقلية بين الأفراد . واضعف
صور هذا الاتجاه المثالى ما يتجلى في رابطة الصداقة . أما وظيفته الثالثة
فتتضح في المجال الاجتماعى إذ يختار الفرد لنفسه — ولا شعورياً — المهنة
التي يقوم بها ، الأفراد — المتشابهين معه تكوينياً — الذين يتعاون معهم ، وقد
أطلق زوندى على هذا المكون اسم الانتحاء المهنى . أما الوظيفة الرابعة
فتتضح في إختيار المرض ، وهو ما اسماء باسم « الانتحاء المرضى » . ودراسة

هذه الناحية نجيب على السؤال الذى يرد إلى الذهن أحياناً وهو لماذا يصاب الشخص بنوع معين من المرض ولا يصاب بنوع آخر . وتشير بعض الدراسات في هذا المجال إلى أن أعراض بعض الأمراض المعدية لا تتوقف بحسب على وجود عامل العدوى، بل وأيضاً على الاستعداد الوراثى السائد للمرض . أما الوظيفة الخامسة والأخيرة للانتحاء التكويني فتتضح في اختيار الفرد لنوع الوفاة . وقد أسماها زوندى باسم انتحاء الموت . وهذا ما يتجلى خصوصاً لدى بعض الحالات التى تنزع فيها الحياة انتزاعاً على نحو ما يحدث في حالات الانتحار والقتل .

وإذا تركنا جانباً الأسس النظرية التى أقام عليها زوندى أفكاره ومدى صحتها من وجهة النظر العلمية ونظرنا إلى الاختبار في حد ذاته، نجد أن الاختبار يتكون من ستة مجموعات من الصور تحتوى كل مجموعة منها على ٨ صور لأنماط مختلفة من المرضى العقليين . وتتضمن كل مجموعة من هذه المجموعات الست ما يلى :

- ١ - صورة تمثل جليسياً مثلياً homosexual ويرمز لها بالرمز h ونرمز لها بالرمز ج م
- ٢ - صورة تمثل مجرماً سادياً Sadistic ويرمز لها بالرمز S ونرمز لها بالرمز س .
- ٣ - صورة تمثل مريضاً صريعاً epileptic ويرمز لها بالرمز E ونرمز لها بالرمز ص .
- ٤ - صورة تمثل مريضاً هستيرياً hysteric يرمز لها بالرمز by ونرمز لها بالرمز هـ س .
- ٥ - صورة تمثل مريضاً بالفصام التخشبى Catatonic k ويرمز لها بالرمز k ونرمز لها بالرمز ك .

- ٦ - صورة تمثل مريضاً بالفصام البارانويا Paranoia ويرمز لها بالرمز p ونرمز لها بالرمز ب .
- ٧ - صورة تمثل مريضاً بالاكتئاب derpressive ويرمز لها بالرمز d ونرمز لها بالرمز د .
- ٨ - صورة تمثل مريضاً بالهوس manic ويرمز لها بالرمز m ونرمز لها بالرمز م .

وكل مجموعة من هذه المجموعات الستة تحتوى على صورة لشخص من هذه الأنواع المرضية الثمانية السابقة . ويبدأ الفاحص بتقديم التعليقات التالية للمفحوص وهي ، سأعرض عليك الآن ثمان صور . أنظر إليها جيداً ثم أعطني أولاً : أحب صورة فيها إلى نفسك ، ثم الصورة التي تليها منزلة في نفسك ثم توضع أمامه الصور الثمانية مرتبة ترتيباً معيناً في صفين . وبعد أن يختار المفحوص الصورتين اللتين يميل إليهما أكثر ، يعاد إلقاء التعليقات السابقة على أن يطلب منه في هذه الحالة أن يختار الصورتين اللتين يكرههما أكثر . وبعد أن يتم إختيار هذه الصور تعاد الصور الأربعة الباقية إلى مكانها في صندوق الاختيار . وتوضع الصور الأربعة المنتقاة على حدة ، المحببة في جانب ، والمنفرة في جانب آخر ، على أن يراعى وضع صورة الوجه إلى أعلى حتى لا يرى المفحوص الرمز الذي يشير إليه العامل . وبنفس الطريقة ينتقل المفحوص إلى المجموعات الخمسة الأخرى . وبذلك يصبح لدينا في نهاية الإجراء ١٢ صورة محببة و ١٢ منفرة : وتسجل هذه الاختيارات في بروفييل خاص .

ويأتى بعد ذلك مرحلة أخرى تستخدم فيها الصور الأربعة المتبقية - والتي سبق أن وضعناها في صندوق الاختيار - في عمل بروفييل آخر تكميلي .

حسب التعليمات الآتية ، من هذه الصور الأربعة المتبقية عليك أن تختار
الصورتين اللتين تحبهما أقل . ثم نوضح الاختيارات الموجبة في ناحية والسالبة
في ناحية أخرى . ومن الملاحظ أيضاً أنه سيكون لدينا ١٢ صورة موجبة
و ١٢ صورة سالبة .

ولتفسير إختبار زوندى يتطلب الأمر الوقوف على معنى الموجبات
Vectors والعوامل Factors المختلفة التى يقوم عليها الاختيار . والاختيار يمثل
ثمانى حاجات نفسية موزعة على الموجبات الأربعة التالية :

١ - الموجه الجنسي Sexual ويرمز إليه بالرمز S ويرمز إليه
بالرمز ج .

٢ - الموجه النوائى Paroxysmal ويرمز إليه بالرمز P ويرمز إليه
بالرمز ن .

٣ - الموجه الفصامى أو موجه الذات Schizophrenia ويرمز إليه
بالرمز Sch ويرمز إليه بالرمز ذ .

٤ - الموجه الاتصالى Circular or Contact ويرمز بالرمز C ويرمز
إليه بالرمز ت .

وكل موجه من هذه الموجبات الأربعة يمثل مجالا معينا من مجالات الشخصية
يظهر بصورة مباغ فيها جداً فى الحالات المرضية . كما أن كل موجه من هذه
الموجبات يتكون من عاملين أو حاجتين يكمل كل منهما الآخر ، ويتصل به
اتصالاً وثيقاً ، لأن كلا منهما يلتمى إلى نفس المجال ولكنهما فى نفس الوقت
يمثلان اتجاهان متضادان .

أما العوامل أو الحاجات الثمانية التى تتصل بالموجبات الأربعة السابقة فهى

الموجه S (ج) ويتكون من العاملين h جنسية مثلية (جم) S، سادية (س)
الموجه P (ن) ويتكون من العاملين e صرع (ص)، hy هستيريا (هس)
الموجه Sch (ذ) ويتكون من العاملين k فصام تخشبي (ك)، P بارانويا (ب)
الموجه C (ث) ويتكون من العاملين d اكتئاب (د)، m هوس (م) .

وليس ثمة شك أن العلاقة وثيقة بين الموجهات والعوامل (أو الحاجات) التي تتصل بالموجه، ومن الضروري عند تفسير الشخصية ووصفها على ضوء إختبار زوندى أن نؤكد توافق العوامل المختلفة بعضها على بعض .

وسوف نشير بإيجاز إلى العوامل الثمانية التي تنتمي إلى الموجهات الأربعة:

أولاً : الموجه الجنسي (ج) .

العامل h (جم) الجنسية المثلية : ويشير هذا العامل إلى الحنان أو الحب الفردي والحاجة إلى الأنوثة وإلى غريزة الأمومة والسلبية . وقد يكون موضوع هذا العامل شخصاً واحداً أو أسرة أو ديناً أو مؤسسة أو شعباً .

العامل S (س) السادية : ويشير إلى الحاجة إلى الذكورة والعدوان والسادية والنشاط والرجولة . فهو بمثابة الدافع الذكري أو الحاجة إلى أن يكون رجلاً أو أباً أو الشريك المسيطر .

ثانياً : الموجه النوان (ن) :

العامل e (ض) الصرع : ويشير إلى التراكم اللاشعوري للإنفعالات العنيفة كالغضب والحقد والرغبة في الانتقام والكرهية ومن الممكن توقع حدوث استجابات مفاجئة وغريبة عند الفرد عن طريق التفريغ المتفجر المفاجئ . وعدم تساع الآخرين .

والعامل hy (ه س) المستيريا : ويشير إلى الطريقة التي يتناول بها الفرد مشاعره الرقيقة والتي قد تشير إلى ميول الفرد الاستعراضية أو التي قد تتخذ كدليل على عدم تقبل الفرد لإظهار شعوره بطريقة ملفتة للنظر .

ثالثاً : الموجه الفصامي (موجه الذات) ذ

العامل k (ك) فصام تحشي : ويشير إلى انقباض الذات أو الحاجة إلى ضغط الذات والحد من تعبيرها الخارجي .

العامل p (ب) بارانوبا : ويشير إلى اتساع الذات والرغبة غير المشبعة أو غير المرتوية لامتداد الذات واتساعها من أجل بلوغ القوة أو ما يعبر عنه أحياناً بمجنون العظمة .

رابعاً : الموجه الاتصالي (ت)

العامل a (د) الاكتئاب : ويشير إلى البحث عن موضوعات جديدة والاحتفاظ بها أو ما يعرف في التحليل النفسي بالصفة الشرجية . كما يشير إلى الميل إلى تحقير الذات والشعور بالذنب .

العامل m (م) الهوس : ويشير إلى الرغبة في التعلق بالموضوعات والأشياء وهذه حاجة لا تمهد . وهي أقرب إلى ما يعرف في التحليل النفسي بالصفة الفمية

ويمكن أن تلخص دلالة الموجهات والعوامل على النحو التالي :-

الموجة الجنس يمثل الحنان ضد العدوان .

الموجة التواني يمثل الضبط الانفعالي ضد القلب الانفعالي .

موجه الذات يمثل اتساع الذات ضد ضيق الذات .

الموجه الاتصالي يمثل الخصائص الشرجية ضد الفمية .

هذا وقد نقد إختبار زوندى على أساس أن الفكرة التى يقوم عليها الاختبار قديمة وتشبه تلك التى تذهب إلى تحديد شخصية الفرد على أساس دراسة ملامح الوجه والمظهر الخارجى . ثم إنه من الصعب أن تقدم تشخيصاً نفسياً كاملاً عن شخصية الفرد على ضوء اختياره لصور قليلة مأخوذة لحالات مرضية عاشت فى الحجر والسويد والمانيا والنساء مما يجعل هذه المجموعة من الصور تبدو غريبة لمن يستعملها فى غير أوروبا .

وقد أثبتت اعتراضات مماثلة بالنسبة لاختبارات اسقاطية أخرى . ومع ذلك فقد أثبتت الدراسة الاكلينيكية أن مثل هذه الاعتراضات لم يكن لها أهمية كبيرة بالنسبة لصدق الإختبار . ولقد أثبت إختبار زوندى قيمته الاكلينيكية والتشخيصية فى أوروبا وغيرها من البلدان ولقد قام هارولد بست ومارتن فلايشمان وغيرهما بدراسات قدموا فيها الصور إلى مجموعة من الأطباء النفسيين والمرضات ليقسموها حسب الفئات التى وضعها زوندى . وتشير بعض هذه الدراسات إلى شئ من الثبات فى هذا التقسيم ، الأمر الذى يشير إلى أن هذه الصور تعكس — إلى حد ما — العلاقات الاكلينيكية التى تدل على إنفعالات معينة ، إلا أن صدق طريقة التصحيح لا تزال محل شك إلى الآن (١) .

(١) دكتور محمود الزياى : علم النفس الاكلينيكي . الشخصيات . مكتبة الانجلو المصرية . القاهرة ١٩٦٩ .

الفصل الخامس عشر

اختبارات الأداء

هذا النوع من الاختبارات يعتمد أساساً على أداء الفرد في مواقف معينة فهو يوجه اهتمامه أصلاً إلى السلوك غير اللفظي حيث يوضع الفرد في موقف أو مواقف معينة محددة نوعاً ما ، أو مواقف مقيدة ومضبوطة . ثم يلاحظ سلوك الفرد أو الأفراد في مثل هذه المواقف ، وعلى أساس هذه الملاحظة أو هذا التجريب يمكن تقدير سمات شخصية الفرد وهذا النوع من الاختبارات يختلف عن الأنواع السابقة ذات الطبيعة اللفظية والتي فيها يستجيب المفحوص عادة إما بتكوين قصة أو وصف ما يراه في بقعة حبر أو وضع علامات معينة على مقياس ما . أما في اختبارات الأداء ، فإن السلوك غير اللفظي ، أى العمل الذى يقوم به الفرد هو موضوع الملاحظة أو التجربة . ومنه نستدل على خصائص شخصية الفرد وسماته .

ويقسم فيرجسون لاختبارات الأداء إلى قسمين :

لاختبارات أداء تقوم أساساً على ملاحظة فرد أو أفراد في مواقف معينة لا تتطلب تحديدات دقيقة لاستجابات الفرد . واختبارات أداء تقوم أساساً على التجريب في مواقف تجريبية محددة بدقة .

ولكن ليس من السهل في الحقيقة الفصل بين النوعين سواء من ناحية تهيئة الموقف أو ظروف التجربة ، أو من ناحية جمع الحقائق وتسجيلها ، أو من ناحية الضبط الواجب توافره سواء بالنسبة للملاحظة أو التجربة . وسوف نعرض لكلا النوعين من اختبارات الأداء .

(١) اختبارات الأداء التي تعتمد أساساً على الملاحظة :

واختبارات المواقف من أهم الاختبارات التي تعتمد على الملاحظة. وهذه الملاحظة إما أن توجه لفرد واحد، أو إلى مجموعة أفراد، ومن هذا القبيل ما يجري في برامج هيئة التقدير والاختيار (والتي أشرف عليها هنري موري) لمكتب الخدمات الاستراتيجية (Office of Strategic Services (O.S.S.) بالولايات المتحدة الأمريكية (١) والذي بدأ عمله خلال الحرب العالمية الثانية، والذي كان هدفه هو إقامة ودعم وحدات البحث في الولايات المتحدة، وفيما وراء البحار وإقامه ودعم شبكة التجسس لجمع المعلومات عن الدول المعادية. ثم القيام بعمليات تخريبية وراء خطوط الأعداء.

وكانت هيئة التقدير في المكتب هي المسئولة عن اختبار الأشخاص الذين يمكنهم معاونته هيئة الخدمات الاستراتيجية على تحقيق أهدافها. ومن هنا كان على هيئة التقدير بالمكتب اتخاذ الوسائل والأساليب المختلفة التي من شأنها أن تكشف عن إمكانيات الفرد، وكان اتجاههم، كما عبروا هم عنه، إتجاه كلى متعدد الجوانب. أما أنه متعدد الجوانب فلهذا فإنه يتألف من عدد كبير من الوسائل والأساليب التي تستخدم وتقوم على أسس ومبادئ متعددة مختلفة. أما أنه كلى فلهذا فإنه يستخدم المادة التي يحصل عليها من تطبيق هذه الوسائل والأساليب المتعددة المختلفة في تكوين صورة عن شخصية الفرد ككل. فمن مجموعة الحقائق التي يصلون إليها عن طريق ملاحظة الأفراد في المواقف المتعددة، يمكنهم الاستدلال على شخصية الأفراد الذين يمكن أن يعهد إليهم القيام بمثل

(1) Oss Assessment Staff. Assessment of Men. New York: Rinehart & Company Inc. 1948.

هذه المهمات الخطيرة والتدبؤ بمدى صلاحيتهم للقيام بمثل هذه الأعمال .

وقد وضعت هيئة التقدير في اعتبارها النقاط الآتية عند الإعداد للعمل .

١ - عمل تحليل مبدئى لسل الوظيف والأعمال التى يطلب من هؤلاء الأفراد القيام بها .

٢ - وضع قائمة بمحددات الشخصية للنجاح والفشل فى كل عمل .

٣ - اختيار المتغيرات التى يتطلب قياسها .

٤ - بناء مقياس تقدير لكل متغير من متغيرات الشخصية التى يراد تقديرها .

٥ - تكوين صورة عن شخصية كل فرد قبل القيام بعمل تدبؤات أو تقديرات أو توصيات خاصة ، وتكوين فكرة عن الفرد ككل قبل تقدير كل متغير .

٦ - كتابة تخطيط عن شخصية كل فرد .

٧ - عقد مؤتمرات للهيئة لمراجعة هذه التخطيطات وتقرير صحة التقديرات والنوصيات بالنسبة لكل فرد .

٨ - بناء تصميمات تجريبية كأطر مرجعية لطرق التقدير بحيث يتيسر الحصول على المادة اللازمة لحل المشكلات الاستراتيجية وتسجيلها بطرق منظمة .

ولكن نظراً لطبيعة العمل الذى تقوم به هذه الهيئة وسريته ، فلم يتيسر لها تنفيذ كل هذه الخطوات ، بل نفذوا بعضها .

وقد اختارت هيئة التقدير بعض المتغيرات أو السمات التي رأت أنها سمات أساسية بالنسبة للأعمال المطلوبة . وهذه المتغيرات أو السمات هي :

- ١ - معرفة الدافع للالتحاق بالعمل .
- ٢ - النشاط والمبادأة .
- ٣ - الذكاء والقدرة على التصرف في المواقف الحرجة .
- ٤ - الثبات الانفعالي .
- ٥ - العلاقات الإنسانية .
- ٦ - القيادة .
- ٧ - الحذر والاحتياط .

وبعد اختيار السمات وضعت الهيئة مقياساً من ست درجات لتقدير كل سمة من هذه السمات لدى الفرد وقد استخدمت الهيئة العديد من الطرق لدراسة الشخصية منها :

- ١ - اختبار تكلمة الجمل : ويتكون من ١٠٠ عبارة ناقصة يكملها الفرد بأسرع ما يمكنه . وهذه العبارات الناقصة تغطي مجالات عدة كالأسرة والمهنة والمواقف والحالات الداخلية والأهداف وما يحبه الفرد وما يكرهه ونشاطه وسلوكه في مواقف الإحباط ونظراته للزمن والتشاؤم والتفاؤل واستجابته للآخرين واستجابة الآخرين له .

- ٢ - مسح ظروف العمل : قائمة من ٣٤ ظرفاً من ظروف العمل يمكن أن توجد في أي عمل . ويقدرها الفرد حسب مقياس من ست درجات مبدئياً مدى تقبله أو عدم تقبله لها .

- ٣ - اختبار مفردات : ويتكون من ٥٠ عبارة متعددة الاختيار .

- ٤ - صورة تاريخ حياة الفرد .

- ٥ - استخبار إسقاطي : يتكون من ١٢ سؤالاً مثل ما الأشياء أو المواقف التي تثير الخوف جداً لديك أو ما أكبر شيء افتقدته في طفولتك .

٦ — إختبار المسكان حيث يقيس ندرة الفرد على أن يستعيد من الذاكرة المواضع المختلفة على خريطة لمدينة ما وتحديد هذه الاماكن عليها .

٧ — إختبار النهر حيث يطلب من مجموعة من ٤ إلى ٧ أشخاص نقل أشياء معينة عبر نهر . وهذا يتطلب استخدام ألواح خشبية وحبال لبناء كوبرى ونقل أشجار . والهدف من هذا الاختبار هو قياس المبادأة والوعامة وطرق التنفيذ .

٨ — إختبار البناء : كأن يطلب إلى المرشحين لهذه الأعمال توجيه إثنين من العمال لبناء شيء ما . وفي نفس الوقت تعطى تعليمات سرية إلى العمال بإعاقه كل تقدم للبناء وبكل الوسائل ، وهذا الاختبار يستغرق ١٠ دقائق .

٩ — مقابلة بعد إختبار البناء : وتهدف إلى أن تكون علاجية بسبب التوتر الناشئ عن إختبار البناء والذي ليس في استطاعة أحد من المرشحين تكميلته .

١٠ — مناقشات عامة : فيها تناقش الهيئة المتقدمين كمجموعة ، ولمدة ٤٠ دقيقة ، مشكلات ما بعد الحرب وما يمكن أن يواجهه الولايات المتحدة الأمريكية من مشكلات .

هذه بعض الإختبارات والوسائل التي كانت تستخدمها هيئة التقدير . وكانت مجموعة الإختبارات التي تجربها الهيئة ٣٥ اختباراً وموقفاً .

وهذه الإختبارات والمواقف التي وضعتها الهيئة كانت تتفق والغرض الضمني وهو أن كل اختبار أو موقف يفيد أساساً في تشخيص قوة سمات معينة لدى الفرد . فلو أخذنا مثلاً اختبار النهر الذي يطلب فيه من مجموعة من ٤ إلى ٧ أشخاص نقل أشياء معينة عبر النهر ، فإن الشخص الذي يتقدم باقتراحات

٣٣ — سيكولوجية الشخصية

يكون لديه النشاط والمبادأة ، ومن ثم يختلف عن الآخر الذى ينتظر ورود التعليمات له من الآخرين ، وإذا كان الاقتراح الذى يتقدم به الفرد مناسباً ، دل ذلك على أن لديه ذكاء عملياً يستطيع به التصرف فى المناسبات والمواقف العملية ، وإذا رفض اقتراحه وتقبل الرفض بصدر رحب ، دل ذلك على أنه من النوع الذى يتقبل النقد بروح رياضية ، وأن فى إمكانه تكوين علاقات طيبة مع الآخرين أما إذا أخذ بإقتراحه ووضع موضع التنفيذ ، دل ذلك على مالهية من ذكاء وقدرة على القيادة . فقرة كل متغير من متغيرات الشخصية يمكن إذن أن تقدر فى ضوء هذه الاختبارات والمواقف وهذه جميعها تسمح لأفراد الهيئة تكوين صورة كلية متعددة الجوانب عن شخصية الفرد ، ومن ثم التنبؤ بنجاحه أو فشله فيما سوف يوكل إليه من أعمال بعد ذلك .

هذا وقد أشار فيرجسون إلى بعض المتطلبات الهامة التى يجب مراعاتها فى اختبارات المواقف ومن أهمها :

١ - أن يكون للعمل عدة حلول عل نحو ما يتضح مثلاً فى اختبار الزهر الذى يمكن حله عن طريق بناء كوبرى أو استعمال حبال أو عمل عوامات وربط أشجار أو ألواح خشبية ، وهنا يراعى سهولة العمل الذى اختاره الفرد وقدرته على تنفيذه .

٢ - أن يكون العمل من النوع الذى يلزم المفحوص أن يكشف عن استعداداته وقدراته البارزة .

٣ - أن يكون العمل من النوع الذى يتطلب تفاعل الجماعة قدر الإمكان

٤ - أن يكون العمل من النوع الذى يتطلب تناسق عدد من مكونات الشخصية .

٥ - أن يناقش الشخص المتقدم للعمل فى أدائه بعد كل موقف

٦ - أن يكون لدى الهيئة بالطبع الوقت الكافى للمناقشة فيما يختص بنتائج تقدير كل فرد .

(ب) اختبارات الأداء التي تستند إلى التجريب :

وبحال هذا النوع الثاني في دراسات الشخصية ضيق ومحدود نسبياً إذا قيس بمحالات أساليب أخرى كالاستفتاءات والاختيارات ومقاييس التقدير وغيرها. ولعل مرجع ذلك هو صعوبة المعالجة بالأساليب التجريبية وضبط المتغيرات بدقة ومراعاة شروط التجربة بالمعنى الدقيق . ولكن ليس معنى ذلك أن مجال دراسة الشخصية قد خلا كلية من الأساليب الأدائية التجريبية الدقيقة . فقد أجريت بعض التجارب من هذا النوع في دراسة الشخصية ، ولكن عددها قليل نسبياً . وسوف نعرض لنموذج من هذه الدراسات التي تستخدم أسلوب التجريب في الدراسة ونعني بها دراسات أيزنك التي أجراها على العصائين والأسوياء وعلى حالات الانطواء والانبساط والتي حاول فيها بطريقة تجريبية معرفة الفروق بين هذه المجموعات . وقد عرض لبعض هذه الدراسات في كتابه أبعاد الشخصية (١) وهذه الدراسات تقوم على افتراض أن العصائين المشخصين إكلينيكيًا ، يختلفون عن غير العصائين المشخصين إكلينيكيًا و/ أو أن المنطويين المشخصين إكلينيكيًا (وقد أطلق عليهم اسم Dysthymics (٢) يختلفون عن المنبسطين المشخصين إكلينيكيًا ، (أو مجموعة الهستيريا hysterics) وسوف نورد باختصار بعض ما قدمه أيزنك ومساعدوه في هذا الصدد .

(1) Eysenck J. H : Dimensions of Personality. London. Routledge & Kegan Paul LT, E 6th ed 1966 .

(٢) Dysthymia : مصطلح رأى أيزنك استعماله للدلالة على الحالات التي تصف بزملة أعراض هي القلق والاكتئاب الرجعي reactive depression والزعزعة الوسواسية وفي موضع آخر (أبعاد الشخصية ص ٩٠) يقترب من فكرة بونج في تقسيم العصائين على محور أحد طرفيه الهستيريا والطرف الآخر حالات السكاتينيا (أو الدايديميا) وعلى العموم فهي حالات تتميز بالإكتئاب الانفعالي والانطواء .

١ - النشاط التلقائي (إفراز اللعب) Autonomic Activity

أوضحت أبحاث لينجر وهس Eppinger & Hess وجود ارتباط عكسي بين نشاط الجهاز العصبي التلقائي ونشاط الشخصية . ومن أهم النواحي التشخيصية لهذا العامل هو مقدار اللعب المسال . وقد قام أيزنك بقياس مقدار اللعب المسال تحت ظروف مختلفة كالقراءة والراحة والإجهاد الذهني وتخيل الطعام وأثناء القيام بإجراء اختبار . تأزر العين واليد ، وكان المنهج المتبع هو ذلك الذي وضعه لاشلي ، وهو استقبال اللعب بأدوات خاصة تمكن من قياسه في وحدة زمنية معينة .

وقد اختبر أيزنك مجموعة من العصبيين : حالات هستيريا ١٢ من الإناث و ١٢ من الذكور . ومجموعة من حالات القلق والاكتئاب (دايزنيميا) ٣٦ من الذكور ، ثم مجموعة من الذهانيين : ١٣ فصامي ، ١١ يعانون اضطرابات الانفعالية .

وكانت نتائج الدراسة محددة للغاية . ففي كل فترة من الفترات التجريبية ، كان مقدار اللعب المسال عند مجموعة القلق والاكتئاب (الدايزنيميا) أقل منه عند مجموعة الهستيريا : إذ كانت النسبة بين مقدار اللعب المسال عند حالات الهستيريا إلى مقداره عند حالات الاكتئاب والانطواء (الدايزنيميا) هي ١ : ٠.٤١ . كما حصل على نتيجة مماثلة بالنسبة للحالات الذهانية حيث كانت نسبة إفراز اللعب عند الفصامين إلى مقداره عند حالات الاضطراب الانفعالي هي ١ : ٠.٣٦ .

ويقول أيزنك في تفسيره لهذه النتائج إنه قد يبدو من المقبول افتراض أن حالات القلق والاكتئاب تكشف عن استجابات انفعالية أكثر من حالات الهستيريا بالنسبة للمثيرات غير السارة والمخيفة نوعاً ما . ومثل هذه

الخبرة الانفعالية تميل إلى أن يكون لها تأثيراً كافياً على إفراز اللعاب . وبذلك يمكن أن نقدم تفسيراً واضحاً لنقص إفراز اللعاب عند حالات الدايزنيميا عنه عند حالات المستيريا (أيزنك ص ٩٥) .

٢ - الرؤية في الظلام . Dark Vision

والوظائف الحسية من النواحي التي يتوقع لها أن تكشف عن فروق بين العصايين وغير العصايين . فقد وجد سلاتر Slater - بالنسبة لكل من الحدة السمعية والبصرية - أن ثمة فروقاً واضحة بين العصايين والعادين . فقد كانت درجات العصايين أقل من درجات المجموعة الضابطة المتكافئة معها في السن والذكاء والمركز الاجتماعي .

وقد اهتم أيزنك على وجه الخصوص بناحية القدرة على الرؤية في الظلام ، ففحص ٩٦ مريضاً عصائياً بواسطة جهاز وضعه ليفنجستون وهو مصمم لاختبار القدرة البصرية في الليل . وهو على هيئة شكل سائبي يمكن إدارته بحيث يمكن عرض جوانبه المختلفة على المفحوص . وهناك عدد من الأحرف أو الأشياء مجموعها ٩٦ حرفاً وشكلاً يمكن عرضها . والأحرف موضوعة في أشكال مختلفة . أما الأشياء فهي تخطيطات أو رسوم لمراكب أو طائرات أو خطوط متوازية . ويتضمن الإعداد للاختبار ٣٠ دقيقة يلبس فيها المفحوص منظاراً قائمة تسمح فقط بمرور ٣٪ من الضوء ، إلى ذلك وضع الشخص في غرفة مظلمة تماماً لمدة عشر دقائق يوضح خلالها تفاصيل الاختبار بدقة . ويسجل المفحوص شرحه وتفسيره للأشكال والحروف بواسطة بطاقات خاصة من نوع طريقة برايل .

وكان من بين العصايين الذين أجرى عليهم أيزنك اختباره ٣٦ يعانون من حالات قلق ، ٣٣ يعانون من حالات اكتئاب و ٢٧ مستيريا . وكانوا جميعاً

جميعاً نزلاء بإحدى المستشفيات يتناولون فيها غذاءهم . كما لم يكن أى واحد منهم يعاني من عيوب بصرية ملحوظة .

وقد قورنت نتائج هؤلاء باستجابات ٦٠٦٢ موظفاً من سلاح الطيران البريطاني أجرى عليهم الاختبار بنفس الجهاز ونحت نفس الظروف . وكان متوسط العصائين هو ٧ر١ ومتوسط العاديين ١٩ر٣ . وواضح أن الفرق بين المجموعتين دال إحصائياً .

وقد تمايزت المجموعة العصائية فيما بينها . فكان متوسط درجة حالات القلق هو ٧ر٩ ومتوسط درجات حالات المستيريا ٨ر٧ . ويقول أيزنك إنه بترتيب هذه المجموعات العصائية الثلاثة حسب قائمة ستدمان Stedman نجد أن ٨١ ٪ من حالات القلق كانت دون المتوسط ، في مقابل ٦٧ ٪ من حالات الاكتئاب و ٦٣ ٪ من حالات المستيريا . وأنه إذا نظرنا للمجموعة العصائية ككل ، فإن ٧٢ ٪ من أفرادها كانوا دون المتوسط . ولعل هذه النتائج تكشف في نظر أيزنك عن أن حالات القلق أشد إعاقة على وجه الخصوص في اختبارات القدرة على الرؤية في الظلام .

والرؤية في الظلام ليس فقط تميز بين العصائين والعاديين ، بل وأيضاً — كما يذهب أيزنك — بين حالات العصاب الأشد مرضاً وحالات العصاب الأخف مرضاً . فقد قارن بين ٥٠ رجلاً ممن حصلوا على تقديرات منخفضة (٤ درجات فأقل) و ١٣ رجلاً ممن حصلوا على درجات مرتفعة على مقياس الرؤية في الظلام (١٩ فأكثر) وذلك بالنسبة للعديد من الفقرات ، ووجد الفروق دالة إحصائياً بين المجموعتين (أيزنك ص ٩٧) .

٣ — مستوى الطموح : Level of Aspiration .

قد تتساوى قدرات شخصين في مجال من المجالات ومع ذلك يضع أحدهما لنفسه مستويات عالية جداً من الطموح ، بينما يضع الآخر لنفسه

مستويات أدنى بكثير. ومن هنا، فعند تقديرهما لأدائهما في عمل ما، قد يختلفان اختلافا ملحوظا. إذ يميل أحدهما إلى التقليل من قدرته على التحصيل والأداء، بينما يزيد الآخر من قدرته على التحصيل والأداء. وطرق إحداث التكامل بين القدرة والتحصيل وبقية نواحي الشخصية تعتبر ذات أهمية بالسياسة لعالم النفس. وقد أفادت الدراسات التي من هذا النوع في فهم ديناميات سلوك الفرد ورسم أهدافه.

ودراسات مستوى الطموح قد بدأت حديثاً نسبياً عند هوب (١٩٣٠) ودمبو (١٩٣١) وفرانك (١٩٤١) وروتر (١٩٤٢) وليفين (١٩٤٤) وأيزنك وغيرهم. ومن الاختبارات التي تستخدم في دراسة مستوى طموح الفرد اللوحة المعروفة باسم لوحة الثقوب وهي لوحة مربعة بها ١٠٠ ثقب 10×10 ثم عدداً من المسامير أو القطع الحديدية الرفيعة التي يمكن وضعها في هذه الثقوب وبسرعة وتتلخص طريقة العمل فيما يلي :

يخبّر المفحوص بالدرجة العظمى التي يمكن لفرد ما الحصول عليها ، أى عدد المسامير التي يمكن لفرد ما أن يضعها في الثقوب التي باللوحة الخشبية خلال فترة زمنية معينة ولتكن دقيقة . ثم نسأله كم مساميراً يستطيع هو وضعها خلال هذه الفترة الزمنية، ونسجل هذا التقدير ثم ندعه يعمل بأقصى سرعة . وبعد انتهاء الزمن المحدد نسجل العدد الذي نتمكن المفحوص من وضعه في الثقوب بالفعل ، ثم بعد ذلك نسأله — وفي ضوء هذه النتيجة التي وصلت إليها بالفعل — كم مساميراً يمكنك وضعها في المرة التالية . ونسجل العدد الذي يذكره ثم ندعه يعمل بأقصى سرعة ونسجل النتيجة الفعلية التي وصل إليها . وهكذا يستمر العمل بهذه الطريقة عشر مرات على الأقل، وفي كل مرة نسجل الحكم أو التقدير ثم نسجل الأداء الفعلي .

وفي العادة لا يعطى اهتمام لدرجة مستوى الطموح الأولى على أساس أن الشخص قد أعطاهما جزافاً وهو يجهل ما يمكنه أدائه بالفعل في الاختبار . ولذا فإن هذه الدرجة لا تدخل في الحساب .

وقد لاحظ أيزنك من النتائج التي وصل إليها أن مستوى الطموح لدى حالات القلق والاكتئاب (الدايزيميا) يكون أعلى بكثير من أدائه الفعلي وأنه يظل ثابتاً تقريباً على قيمة واحدة ، وأن درجة حكم الشخص على مستوى الأداء الذي بلغه في المحاولة يكون أقل من درجة الأداء الفعلي في هذه المحاولة . أما بالنسبة لحالات المستيريا فإن مستوى الطموح يكون أعلى بقليل جداً من درجة الأداء الفعلي ، وأن درجة حكم الشخص على مستوى الأداء الذي بلغه في المحاولة ، يكون أقل بقليل جداً من درجة الأداء .

هذا وقد أشار أيزنك إلى بعض المتغيرات الهامة في هذا الصدد :

١ — درجة تباين الهدف : وهي الفرق بين الأداء الفعلي في محاولة معينة والأداء المتوقع أو مستوى الطموح بالنسبة للمحاولة التالية . ويكون الفرق موجبا إذا كانت درجة الطموح أو الأداء المتوقع أعلى من درجة الأداء الفعلي . ويكون سالبا إذا كان مستوى الأداء المتوقع أقل من الأداء الفعلي . فإذا حصل شخص ما على ٩٤ درجة مثلاً في المحاولة الثانية ، وكان توقعه للأداء في المحاولة التي تليها هو ٥٥ ، فإن درجة تباين الهدف تكون في هذه الحالة هو + ٦ .

٢ — درجة تباين التحصيل : وهي الفرق بين مستوى الأداء الفعلي الذي وصل إليه الفرد ومستوى الأداء المتوقع لنفس هذه المحاولة . وتكون الدرجة موجبة إذا كان الأداء الفعلي أعلى من الأداء المتوقع أو من الطموح وتكون سالبة إذا كان الطموح أعلى من الأداء الفعلي ، فالشخص الذي توقع الوصول

إلى ٥٥ درجة ، ولكنه حقق فقط عند الأداء الفعلي لهذه المحاولة ، ٤١ درجة
فإن درجة تباين التحصيل تكون عنده في هذه الحالة هي - ١٤ .

٣ - درجة تباين الحكم : وهي الفرق بين الأداء الفعلي في محاولة ما
وحكم الشخص على مستوى الأداء الذي بلغه في هذه المحاولة . فإن كان حكمه
أعلى من الأداء الفعلي ، بمعنى أنه كان في إمكانه إحراز أداء فعلي أكبر ،
كان الفرق موجبا . أما إذا كان الأداء أعلى من الحكم ، فإن الفرق يكون
سالبا . وبذلك يمكن القول بأن درجة تباين الحكم عند حالات الدايو تيميا
هي باستمرار سالبة نظراً لميل هذه الحالات إلى التقليل من تقديرها لأدائها
الفعلي . أما درجة تباين الحكم عند المستيري فهي أحيانا موجبة وأحيانا
سالبة ، نظراً لميله إلى التقليل أحيانا أو الزيادة أحيانا أخرى من تقديره
لأدائه الفعلي .

٤ - درجة التباين الوجداني : وهي الفرق الذي نحصل عليه من طرح
تباين الحكم من تباين الهدف بمعنى أن نحسب أولا الفرق بين مستوى
التحصيل المتوقع وآخر أداء فعلي سابق ، ثم نطرح منه الفرق بين الأداء الفعلي
لهذه المحاولة الأخيرة وحكمه على مستوى هذا الأداء . والشخص الذي تكون
درجة تباينه الوجداني مرتفعة ، فمن المفترض أنه غير قادر على الاحتفاظ
بطموحه وحكمه على اتصال بالواقع الذي يتمثل في أدائه الفعلي .

وثمة مقياسان آخران يمكن إستخدامهما وهما :

٥ - دليل المرونة : وهو مجموع التغيرات في مستوى الطموح أثناء
إجراء الاختبار ، فهو يمثل نزعة الفرد إلى تغيير مستوى طموحه . وبحسب
هذا المجموع بصرف النظر عن اتجاه التغير في درجات الطموح ، كما أنه لا يمايز
بين تغيرات مستوى الطموح التي تحدث بعد النجاح ، وتلك التي تحدث
بعد الفشل . . .

٦ - دليل الميل للاستجابة : يقوم أساساً على ميل معظم الناس إلى رفع مستوى طموحهم بعد النجاح وخفضه عقب الفشل ، ويمكن استخراجهم بحساب عدد المرات التي : تنفع فيها مستوى الطموح عقب النجاح ، والتي ينخفض فيها عقب الفشل ، والمحاولة الناجحة هي بالطبع محاولة يتساوى فيها الأداء الفعلي ، أو يفوق ، الأداء المتوقع . أما المحاولة الفاشلة فيكون فيها الأداء الفعلي دون الأداء المتوقع .

وقد أجرى ايزنك تجاربه على مجموعة من المرضى المجندين تتألف من ٥٠ هستيريا و ٥٠ من حالات الدايز تيميا ، وسأوى بينهم في السن والذكاء والقدرة على أداء الاختبار وقارن بين المجموعتين فيما يتصل بمستوى الطموح والأداء الفعلي ودرجة الحكم على الأداء الفعلي . وبالمقارنة بالأداء الفعلي ، كانت درجات مستوى الطموح عند حالات الهستيريا أعلى منها عند حالات الدايز تيميا ، بينما كانت درجات الحكم عند الهستيريين منخفضة إذا قورنت بمثلاتها عند حالات الدايز تيميا ، كما كانت الفروق دالة احصائياً . كما وجد ايزنك أيضاً عند مقارنة درجات الميل للاستجابة أن الهستيريين أكثر جهوداً وأقل ميلاً للتعديل أثناء التجربة من حالات الدايز تيميا ، كما كانوا أقل مرونة على نحو ما هو متوقع .

وقد أجرت هملاوایت Himmelwelt (١٩٤٥) (١) بحثاً آخر مستخدمة اختبار التخریم Punch Test على ٣٤ من الذكور و ٣٥ من الإناث من حالات الدايز تيميا و ٢٩ رجلاً و ١٩ امرأة من حالات الهستيريا ، ووجدت أن درجات تباین الهدف أعلى عند حالات الدايز تيميا بالنسبة لسكل من الرجال والنساء على حد سواء . وكذلك التباين الوجداني عندهم أعلى مما هو

(1) Ibid p. 180.

عليه عند حالات المستيريا ، وأخيراً كانت مجموعة الدايز تيميا أكثر جهوداً من المستيريين في اتجاههم نحو النجاح والفشل ، ولم تكن هناك فروق ملحوظة بين المجموعتين فيما يتصل بتباين الحكم

وقد ناقش ايزنك أيضاً مسألة الحافز القوي وعلاقته بمستوى الطموح . فبعد إجراء الاختبار وتسجيل نتائجه بأسبوع ، أعاد ايزنك الإجراء على المجموعتين ووجد كل فرد منهم بجائزة سنية إذا تجاوزت درجاتهم في الإعادة درجاتهم في الاختبار الأول بثلاثين درجة . وقد كشفت النتائج أن متوسط الأداء الفعلي قد ارتفع بشكل دال عند حالات الدايز تيميا ، بينما لم تتضح أية فروق ذات دلالة عند حالات المستيريا ، كما أن التباين الوجداني كان أعلى في الاختبار الثاني عند حالات الدايز تيميا ، بينما كان أقل عند حالات المستيريا . وأخيراً كان تباين الحكم في الاختبار الثاني منخفضاً بشكل ملحوظ بالنسبة لحالات الدايز تيميا ، وأعلى بدرجة ملحوظة عند حالات المستيريا . (ايزنك ص ١٢٨)

وفي دراسات أخرى أضاف ايزنك إلى مجموعتيه مجموعة سوية تتكون من ٢٠ جندياً و ٢٣ ممرضة وأجريت عليهم نفس الاختبارات وقد كشفت النتائج عن الآتي :

١ - أن أداء العاديين من الجلسين أعلى بكثير من أداء العصايين من الجلسين .

٢ - أن المجموعة العصائية قد كشفت عن فروق بين الأفراد في كل الدرجات ، أكبر مما وجد عند العاديين .

٣ - أن المجموعة العصائية - ذكوراً وإناثاً - كشفت عن درجة تباين سلبية أقل بشكل دال مما وجد عند المجموعة العادية - ذكوراً وإناثاً .

- ٤ — أن اختلاف العصابين على كل مقاييس التباين كان أكبر بشكل دال .
- ٥ — أنه بينما كانت معاملات الارتباط بين درجات تباين الحكم وتباين الهدف سالبة لدى العصابين ، إذ بها موجبة لدى المجموعة العادية .
- ٦ — أنه بينما كانت معاملات الارتباط بين درجات تباين الحكم ودليل الميل للاستجابة موجبة لدى العصابين ، إذ بها سالبة لدى المجموعة العادية .

٤ — الإيقاع الشخصي Personal Tempo

قامت بترى Petrie باختبار ٧٥ حالة من الذكور والإناث من حالات الدائريتميا وحالات المستيريا . واستخدمت لذلك إختبارات في الطلاقة اللفظية فكانت تطلب في المفحوص أن يعطى أكبر عدد ممكن من الاستجابات في وقت محدد (دقيقة واحدة عادة) وكان عدد الاستجابات التي يعطها الفرد تمثل درجته على الاختبار . والاختبارات الثمانية التي استخدمتها بترى هي .

- (١) عدد الأشياء المستديرة التي يمكنه التفكير فيها .
- (٢) عدد الطيور التي يمكنه تذكرها .
- (٣) عدد الأشياء التي يمكن أن توجد على نقطة معينة في صورة شجرة .
- (٤) عدد الإستجابات التي يمكنه ذكرها عند عرض بطاقة ملونة من بطاقات اختبار يقع الحبر لورشاخ على المفحوص .
- (٥) عدد الأشياء التي يمكن أن توجد على نقطة معينة في صورة ركن الخارج .
- (٦) عدد الأشياء التي تأكلها والتي يمكن للفرد تذكرها .
- (٧) عدد الاستجابات التي يمكن للمفحوص ذكرها عند رؤية بطاقة سوداء بيضاء من اختبار رورشاخ .

(٨) عدد الزهور التي يمكن تذكر أسمائها .

ولم تجد بترى أية فروق دالة بين المجموعتين .

أما نتائج دراسات ايزنك وتلاميذه بالنسبة للإيقاع الشخصي أو سرعة الشخصية فيمكن تلخيصها على النحو التالي : إن المفهوم العام للسرعة الشخصية يبدو أنه يغطي مجالات مختلفة مستقلة نسبيًا ، فالسرعة التي يستجيب بها شخص ما لمثير ما (تجارب زمن الجمع) تمثل صورة واحدة من السرعة الشخصية . وثمة صورة أخرى تتجلى في سرعة انتاج التداعي عند الفرد (تجارب الطلاقة) وهناك صورة ثالثة تتحدد بالوجبات التي يمكن للشخص اداها بسرعات مختلفة . وسرعته أو بطئته النسبي يبدو مستقلة عن زمن رجعه أو عن طاقته .

٥ - المداومة أو الاستمرار Perseveration

ظهر المصطلح لأول مرة عند السيكاثرى نيزر Neisser (١٨٩٤) عند وصف الأعراض الإكلينيكية التي يتكرر حدوثها باستمرار وبشكل شاذ أو عند الإشارة إلى استمرار نشاط ما بعد أن يكون قد بدأ أو تم حديثًا ، ثم أضاف مولر وبليزير (١٩٠٠) عملية التداخل إلى عمليتي الاستمرار والتكرار اللتين تحدث عنهما نيزر . وقد حاول سييرمان إدماج كل هذه العمليات في مفهومه ، القصور الذاتي ، حيث الذكاء العام أو العامل g هو الطاقة العقلية السكاملة المناسبة للفرد ، وأن الاستمرار أو المداومة P هي القصور الذاتي لهذه الطاقة . وقد نظر إلى المداومة بأنها تغيير مستقلة عن الطاقة العقلية g . وقد أشار ايزنك إلى خمسة أنواع يمكن أن تندرج تحتها اختبارات هذه الوظيفة العقلية :

١ - الاستمرار الحسي : والاختبارات التي تقع تحت هذه المجموعة تستند إلى الفكرة القائلة بأن الأفراد يختلفون بالنسبة لطول الأثار البعيدة

للاستثارة الحسية . وأن هذه الفروق الفردية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالناحية المزاجية للفرد ،

٢ - استمرار التداعي : ويتميز هذا النوع بميل الأفكار إلى التوارد لا إرادياً إلى العقل عند استئثارها .

٣ - استمرار الجهد المبدع (الحركي) : وهذا النوع من الاختبارات يقيس السهولة التي بواسطتها يمكن للفرد تحطيم عادة قائمة عنده .

٤ - استمرار التناوب (حركي) : وهذا النوع من الاختبارات يقيس السهولة التي بواسطتها يقدر الفرد على القيام بعملين متضادين مستقلين وفي تناوب وتعاقب ، كأن يكتب الحروف س س س س . . لمدة ٣٠ ثانية ، ثم ص ص ص . . لمدة ٣٠ ثانية ثم س ص ص ص ص ص . . لمدة ٦٠ ثانية .

٥ - نمط التحول في الاستمرار : وهذا النوع من الاختبارات يقيس قدرة الفرد على التحول دون جهد من نشاط لآخر .

وقد قام ايزنك بتجارب أولية بسيطة على ٣٠ من حالات المستعيرين ذكوراً وإناثاً ، ٣٠ من حالات الانطواء (الداينيميا) ذكوراً وإناثاً . ولم تكشف هذه الدراسة عن وجود فروق ذات دلالة احصائية من أى نوع في اختبارات المداومة أو الاستمرار المختلفة . (ايزنك ص ١٥٤) .

٦ - المثابرة : Persistence

ومن السمات التي وجدت اهتماماً كبيراً لدى الباحثين المثابرة . فنجاج الفرد أو فشله في عمله يتوقف إلى حد كبير على قدرته على تحمل مواصلة بذل الجهد من أجل التحصيل رغم ما قد يصادفه من متاعب ومشكلات ، وقد وضع للباحثون أنواعاً مختلفة من الاختبارات وطبقوها على مجموعات مختلفة من الناس . وبالإضافة إلى مقاييس المثابرة التي استخدمت لقياس نواحي مادية

(كاختبار قدرة الفرد على المثابرة والوقوف على أطراف أصابع القدم) ،
أدخلت مقاييس أخرى من النوع الفكرى (كالإستمرار فى عملية القراءة رغم
تداخل الحروف أو عدم وضوحها) .

وقد درس ايزنك هذا العامل مستخدماً إختباراً بسيطاً للغاية هو أن يطلب
من المفحوص أن يجلس على كرسى وأن يمد أحد رجليه على كرس آخر
موضوع أمامه بشرط ألا يمس كعب قدمه قاعدة الكرسي ، وأن تظل قدمه
مرفوعة لمسافة بوصة مثلاً فوق الكرسي . ويطلب من المفحوص أن يحتفظ
بهذا الوضع أطول مدة ممكنة ، وبحسب الزمن الذى يستغرقه الفرد فى هذا
الوضع بالثوانى إلى أن تمس قدمه قاعدة الكرسي . وقد أعطت بتى هذا
الإختبار لـ ٢٥ رجلاً و ٢٥ امرأة من حالات المستهريا و ٢٥ رجلاً و ٢٥
امرأة من حالات الدايزيميا فكان متوسط درجات حالات المستهريا هو
١٤,٠ ثانية بانحراف معيارى قدره $+ ٩,٤$ ثانية ، بينما كان متوسط درجات
حالات الدايزيميا هو $٣٠,٨$ ثانية بانحراف معيارى قدره $+ ٢٥,٩$ ثانية ، كما كانت
الفروق بين المجموعتين دالة على مستوى ٠,٠١ . وتشير هذه النتيجة إلى أن
حالات المستهريا أقل مثابرة بشكل ملحوظ من حالات الدايزيميا . وقد علق
ايزنك على ذلك بقوله أن هذه النتيجة تتفق والانطباع الإكلىنيكى . فقد أشار
كريلين منذ أواخر القرن الماضى (١٨٩٩) إلى أن الهستيرين عادة يقومون على
العمل الجديد بنشاط وطاقة كبيرة ولكن سرعان ما تفر همهم ويبدو عليهم
الإجهاد والتعب ولا يبدون أى ميل إلى المداومة والاستمرار ، وينظرون إلى
كل شىء جديد كما لو كان لعبة جديدة دون جدية ومثابرة (ايزنك
ص ١٥٨) .

٧ - القابلية للإيحاء Suggestibility .

وفكرة القابلية للإيحاء من الأفكار الوثيقة الارتباط بكل من العصائية والانطواء - الانبساط . وكانت مفاهيم المستيريا والقابلية للإيحاء من المفاهيم المتداخلة الممتزجة في تاريخ الطب النفسى لدرجة أن البعض اعتبرهما شيئاً واحداً . وقد أكد بيير جانيه - والذي كان له تأثير عميق على الأطباء العقليين - الرابطة الوثيقة بين القابلية للإيحاء والمستيريا . بل إن من الممكن القول بأن الظاهرة الأكثر بروزاً عنه المستيريا هى سرعة وسهولة تقبله للإيحاء وقد نعى بابينسكى هذه الفكرة .

وإذا كانت هذه الفكرة قد بدأت فى فرنسا وشاعت فى إنجلترا ، إلا أن تأثيرها أصبح عاماً وشاملاً فقد أكدها ماك دوجل وجاكوب ومورتن برنس وروزانوف وبابينسكى وشافر ومورجان وغيرهم .

وقد أخذت محاولات تحقيق الارتباط الوثيق بين المستيريا والقابلية للإيحاء فى العادة صورة مقارنه بمجموعات من التلاميذ الذين تعرف درجاتهم على مقاييس الانطواء والانبساط وسرعة تقبلهم للإيحاء على نحو ما تقاس باختبار «ميل الجسم» *Hull's body-sway tests* وغيره من الاختبارات المشابهة . وقد جاءت النتائج متناقضة . فبينما وجد البعض ارتباطاً موجباً عالياً بين الانبساطية والقابلية للإيحاء ، إذ وجد البعض الآخر علاقات سالبة منخفضة ، بينما وجد البعض الثالث ارتباطات غير دالة إحصائياً . وقد علق إيزاك على هذه النتائج بقوله : إن هذا ليس غريباً فى ضوء الأعداد الصغيرة جداً التى أجريت عليها هذه الدراسات . كما أن الاستفتاءات التى استخدمت لم تكن أدوات بحث ثابتة .

وكما درست العلاقة بين الانبساطية والقابلية للإيحاء ، فسكذلك درست العلاقة بين هذه الأخيرة وبين العصائية . وقد أشار إيزاك إلى دراستين قامت

بهما «بارتلت» حيث قارنت فيهما العصايين والعادين بالنسبة للقابلية للإيحاء .
في اختبار «حركة ميل الجسم» . وفي دراستها الأولى قارنت ٢١ عصايا و ٢٦
عاديا وانتهت إلى أن العصايين ليسوا أكثر قابلية للإيحاء من العادين . وفي
دراستها الثانية قارنت نتائج ٢٦ عصايا و ٢٠ عاديا . وانتهت إلى أنه قد يبدو
أن ثمة علاقة بسيطة بين القابلية للإيحاء والميل للعصاب . ولكن رغم أهمية
هذه الدراسة ، إلا أن عينتها كانت صغيرة العدد ولا تمكني لتبرير نتيجة بعيدة
الآثر كهذه . ولهذا فإن الصورة ليست واضحة بين متعلقات الشخصية والقابلية
للإيحاء .

وقد أشار إيزنك إلى أنواع ثلاثة من القابلية للإيحاء :

١ - القابلية للإيحاء الأولية : وهي من النوع التفكيرى الحركى وتميز
اختباراتها بقيام المفحوص بتنفيذ حركة ما ، نتيجة قيام الفاحص بإيحاء لفظى
متكرر بأن مثل هذه الحركة سوف تحدث ودون أن يشارك المفحوص شعوريا
في القيام بهذه الحركة ، وقد استخدم إيزنك مقاييس بسيطة لقياس القابلية
الأولية للإيحاء هي :

(أ) اختبار البندول الكاشف لشفريل Chevreul وفيه يعطى المفحوص
خيطا مثبت في طرفه ثقل صغير . ويطلب من المفحوص أن يمسك بالخييط
معلقا ثابتاً فوق نقطة محددة على منضدة موجودة أمامه . وطوال التجربة يردد
الفاحص أن الخييط يتأرجح جيئة وذهابا وأنه ليس ثابتا فوق النقطة . أمامى
التذبذب الذى يحدث للخييط ، فإنه يعتبر مقياسا لقابلية الفرد للإيحاء .

(ب) اختبار حركة ميل الجسم له «هل» ، وفيه يطلب من المفحوص أن
يقف هادئا وفي حالة راحة مغلقة العينين . وبينما يقف على هذه الحالة ، يأخذ
الفاحص يردد قواه «أنت تميل إلى الأمام . أنت تميل إلى الأمام» ، ويقاس
٢٤ - سبكولوجية الشخصية

مقدار ميل الفرد الناتج عن الإيحاء ، ويكون بمثابة درجة الشخص في القابلية للإيحاء .

(ج) اختبار الضغط والتخفيف لأيزاك وفريمان وفيه ينام المفحوص على كنبه . ويده كرة صغيرة من المطاط . وفي الجزء الأول من الاختبار يطلب إليه أن يمسك الكرة تماماً كما يمسك بها الآن . ولكن الإيحاءات تبدأ ترد إليه بأنه يضغط على الكرة ويقاس مقدار الضغط وتكون بمثابة درجة المفحوص ، وفي الجزء الثاني يطلب من المفحوص أن يضغط على الكرة بأقصى ما يمكنه ، ثم يوحى إليه بأن قبضة يده في حالة ارتخاء .

وتقاس القابلية للإيحاء بمقدار التغير في الضغط .

٢ — القابلية للإيحاء الثاقوبة: وهي نوع من العمل غير المباشر ، ويحاول الفاحص أن يكون لدى المفحوص استعداداً لإدراك مشيرات معينة وبحيث يعطيه انطباعاتاً تؤثر في إدراكه .

ومن اختبارات هذا النوع اختبار بينيه للخطوط أو الأوزان المتتابة ، وتقوم فكرة الاختبار على أساس أن يطلب من المفحوص أن يميز بين أوزان أو خطوط متتابة ويبين ما إذا كان هذا أخف أو أثقل ، أطول أو أقصر من الآخر ، وفي العادة يقدم للمفحوص حوالي ١٥ مشيراً في نظام يسير على أساس أن الخمسة مشيرات الأولى منها مختلفة الوزن أو الطول ، وتسير في نفس الاتجاه (أى متزايدة في الوزن أو متزايدة في الطول) ، وبذلك يتكون لدى الفرد اتجاهها أو توقعاً بأن الأوزان أو الخطوط العشرة التالية — والتي هي من الناحية الموضوعية متساوية في الوزن أو الطول — سوف تسير في نفس الاتجاه الذي سارت فيه الأوزان أو الأطوال الخمسة الأولى . وتحتسب درجة المفحوص في القابلية للإيحاء بعدد الأوزان أو الأطوال المتساوية موضوعياً والتي يقول عنها الفرد بأنها أثقل أو أطول من التي سبقتها .

ومن هذا القبيل أيضاً اختبار الصور لهوبيل Whipple والذي يتضمن القيام بعمليات التصور والتخيل ، وفي هذا الاختبار يعرض الفاحص صوراً ويطلب من المفحوص أن يجيب عن أسئلة عديدة تتصل بهذه الصور . وبعض الاسئلة إيجابية تتصل بأشياء لا وجود لها في الصورة ، مثل مالون الفطة التي تراها عند قاعدة النافذة التي بالصورة ، في الوقت الذي لا وجود فيه على الإطلاق لآية فطة .

٣ - إيجاباء التقدير : والسمة البارزة لاختبارات هذا النوع هي التغير في اتجاهات المفحوص حين نخبره باتجاهات مغايرة لأشخاص آخرين يقدر هو آراءهم ، أو يرى الخبراء والرؤساء . في هذا الموضوع ، ثم نطلب اليه أن يعبد النظر في رؤية الشخصى . ودرجة انحرافه عن رأيه الاصلى نحو رأى الاغلبية أو الخبراء أو الرؤساء . تعتبر مقياساً لإيجاباء التقدير ،

وقد أعطى إيزنك اهتماماً كبيراً للقابلية للإيجاباء الأولية والثانوية نظراً للتجارب العديدة والدراسات التي أجراها مختلف الباحثين . غير أنه وجد أن النوع الأولى أكثر ملاءمة لدراسة العصاب ولذا استخدمه بكثرة في دراساته ، واهتم على وجه الخصوص باختبار حركة ميل الجسم لهـ هل . . فلقد أعطى الاختبار لـ ٩٠٠ رجل و ٣٣٠ امرأة من حالات العصاب في الخدمة العسكرية وإلى ٦٠ رجلاً و ٦٠ امرأة من غير العصبيين في الخدمة العسكرية . وقدم إيزنك نتائج دراساته في رسوم بيانية توضح توزيع درجات العصبيين الذكور والعصبيات الإناث ، والعاديين في كل مجموعة منفصلة عن الأخرى . وكانت درجات القابلية للإيجاباء تمثل مقدار ميل الجسم بصرف النظر عن اتجاهه إلى الأمام أو إلى الخلف ، وقد أمكن لإيزنك أن يربط العصبيين في ست مجموعات حسب درجة العصاب . وتمثل المجموعة الأولى الحالات الأقل عصابية والمجموعة السادسة الحالات الأشد عصابية ، والمجموعات المتوسطة الحالات

المتوسطة في درجات العصاب . وقد وضع بمجموعة سابعة أخف درجة في العصاب من المجموعة الأولى وتمثل العاديين الموجودين في الخدمة . والجدول التالي يمثل متوسطات القابلية للإيحاء ممثلاً في درجة ميل الجسم عند المجموعات العصابية والمجموعة العادية من الرجال والنساء .

مقدار حركة ميل الجسم للمجموعة العادية والمجموعات الستة العصابية

الاناث		الذكور		المجموعة العادية والمجموعة العصابية مرتبة حسب درجة العصاب وشدة
المتوسط	العدد	المتوسط	العدد	
١,١١	٦٠	١,٠٢	٦٠	المجموعة العادية
١,٣٨	١٣	٢,٥٣	٥٤	المجموعة العصابية الأولى
١,٩١	٥٤	٣,١٠	١٣٢	الـ " الثانية
٢,٧٤	٩٠	٣,٩٢	٢٤٧	الـ " الثالثة
٣,٤٠	١٠٠	٤,١٧	٢٤٤	الـ " الرابعة
٣,٦١	٥٤	٥,٥٠	١٥٤	الـ " الخامسة
٦,٨٢	١٩	٥,٥٥	٦٩	الـ " السادسة

ومن الجدول يتبين زيادة القابلية للإيحاء بدرجة ملحوظة كلما مرنا من العاديين إلى العصبيين المعتدلين إلى العصبيين الأشد مرضاً . فمن ١,٠٢ بوصة إلى ٥,٥٥ بوصة بالنسبة للرجال ، ومن ١,١١ بوصة إلى ٦,٧٢ بوصة بالنسبة للنساء . ولم تشذ حالة واحدة عن هذا الاتجاه . غير أن هذه النتائج لم تقم على أعداد كافية مع ذلك ، فهناك متوسطان مثلاً أخذنا على عدد من الحالات كانت أقل من ٥٠ حالة . ولكن يمكن القول بوجه عام أن الفروق واضحة بين متوسط ميل العصبي ومتوسط ميل العادي ، فتوسط ميل العصابي من الرجال كان ٤,١٨

بوصة ومتوسط ميل العادى من الرجال كان ١,٠٢ بوصة وكذلك كان متوسط ميل العصائيات من النساء هو ٣,١٣ بوصة ، ومتوسط ميل العاديات منهن ١,١١ بوصة .

أما بالنسبة للفروق بين حالات المستيريا والانطواء (الدايزنيميا) ، فقد أمكن لايزنك باستخدام مقاييس التقدير الحصول على ٢٢٩ حالة نقية نسبياً من حالات الدايزنيميا و١٦٦ حالة نقية نسبياً من حالات المستيريا من المرضى المذكور ، كما أمكنه الحصول على ٨٠ امرأة من حالات الدايزنيميا و ٦٥ امرأة من حالات المستيريا . وطبق عليهم اختبار هـ ، فكان متوسط درجة القابلية للإيحاء لدى الذكور من حالات الدايزنيميا هي ٤,٦٦ بوصة وللمستيريين ٣,٣٩ بوصة . وبالنسبة للإناث كان متوسط حالات الدايزنيميا هو ٣,٦١ بوصة ومتوسط حالات المستيريا هو ٣,٠٩ بوصة . وقد استخدم طريقة الكا^٢ في تحليل النتائج (ايزنك ص ١٦١ - ٢٠٠) .

والجدول التالى (١) يوضح عدد حالات الدايزنيميا وعدد حالات المستيريا الذين وجدوا على التوالي في المجموعات الخمسة التى صنفتم إليها الحالات وهى : (١) متطرف فى تقبل الإيحاء (٢) لديه قابلية كبيرة لتقبل الإيحاء (٣) قابل للإيحاء . (٤) غير قابل للإيحاء . (٥) قابلية سلبية للإيحاء . وتشير النتائج إلى أن الفروق بين حالات الدايزنيميا والمستيريا يمكن أن ترجع إلى عامل الصدفة .

(1) H J. Eysenck : Dimensions of Personality. London. Routledge & Kegan Paul LT, 1947. p. 189.

المجموع	٥	٤	٣	٢	١	
٢٢٩	٢٠	٥٨	٥٦	٤١	٥٤	حالات الدايز تيميا (ذكور)
١٦٦	١٨	٢٩	٤٤	٣٩	٢٦	حالات الهستيريا (ذكور)
٨٠	٦	٢٣	٢١	٤	١٦	حالات الدايز تيميا (أناث)
٦٥	٤	٣٣	١٢	٧	٩	حالات الهستيريا (أناث)
<p>ك^٢ رجال ٤,٨٨٨</p> <p>ك^٢ أناث ٠,٤٠٢</p> <p>عدد درجات الحرية ٤</p>						

ويعلم أنك على هذه النتائج بقوله : إن المجموعة الوحيدة التي تبدو فيها الفروق محددة بين حالات الدايز تيميا وحالات الهستيريا هي المجموعة الأولى وهي الخاصة بالحالات المتطرفة في القابلية للإيحاء . وإذا نظرنا إلى الرجال والنساء معاً نجد أن ٢٢ ٪ من حالات الدايز تيميا و ١٥ ٪ فقط من حالات الهستيريا تقع في هذه المجموعة . والفرق دال (النسبة الحرجة ١,٢٢) . ومع ذلك ، لما كانت المقارنة مختارة من خمسة مقارنات ممكنة ، فإن من الممكن أن نستخلص فقط أنه رغم أن المسادة توحى بقوة بأن حالات الدايز تيميا أكثر قابلية للإيحاء من حالات الهستيريا ، إلا أنها لم تثبت ذلك ، بل إنها ، فيما يبدو ، تدحض الرأى القائل بأن حالات الهستيريا أكثر قابلية للإيحاء من حالات الدايز تيميا .

وإذا كنا قد أوضحنا بشيء من التفصيل دراسات إيرنك في مجال اختبارات الأداء التي تستند إلى التجريب ، فإن هناك دراسات أخرى كمثل تلك التي قام بها

باركر وهرنجتون وسيرز وغيرهم^(١) . وجميع هذه الدراسات توضح أن قياس متغيرات الشخصية يمكن أن يتم بالوسائل التجريبية . وليس ثمة شك أن التجارب التي من هذا النوع تحتاج إلى وقت طويل وجهد أكبر مما نجده في غيرها من الوسائل الأخرى التي سبق أن عرضنا إليها من قبل . ولكنها بالطبع يمكن أن تخضع لمقاييس الضبط التجريبي بشكل أوضح .

(1) Ferguson, W. L. Personality Measurement, New York, Mc Graw-Hill Book Company Inc. 1952 pp. 409-417.

الباب الثالث
نظريات الشخصية

الفصل السادس عشر التحليل النفسى والشخصية

نظرية « فرويد » : (١٨٥٦ - ١٩٣٩)

إن من يتعرض لنظريات الشخصية ، عليه أن يبدأ بفرويد ، أو أن ينتهى به ، فكلما يعتبر فرويد أبو التحليل النفسى ، فإنه يعتبر كذلك « أبو نظرية الشخصية . ذلك أن الغالبية العظمى من كتب فى هذا المجال ، قد بدأ من المقدمات المنطقية الأساسية التى أقامها فرويد ، على نحو ما نجد فى كتابات يونج وأدлер من قدامى المحللين النفسيين ، وكارن هورنى وسوليفان من المحدثين .

ولسنا فى حاجة إلى إيضاح أن التحليل النفسى قد أحرز انتشاراً واسعاً لدى علماء النفس ، بل ولدى غير المتخصصين فى هذا المجال . وإذا كان بعض علماء النفس يقفون منه موقف المعارضة والنقد الشديد ، إلا أنه قد شق طريقه أيضاً إلى مجالات أخرى غير علمية وفنية ، على نحو ما يتمثل فى كتابات كثير من الأدباء والفنانين فى العصر الحديث .

ورغم ما أثير حول التحليل النفسى ، وما وجه إليه من نقد ، فقد أمدت حركة التحليل النفسى ، علم النفس باتجاه دينامى فى دراسة الشخصية . فكتابات فرويد تعتبر إحدى المحاولات الحقيقية الهامة فى توكيد أثر « خبرات الماضى » وبخاصة خبرات الطفولة المبكرة - فى تكوين الشخصية . فالشخصية فى نظر فرويد هى تنظيم نفسى أشبه بالبناء يتكون طبقة طبقة ، وترتكز طبقاته العليا على طبقاته السفلى إلى حد بعيد .

ومادة التحليل النفسى وكتاباته لا حصر لها ومن المستحيل فى مثل هذا

المجال أن نقدم عرضاً وافياً لأعمال فرويد وكتاباتهِ . ويكفي الإشارة إلى أن كتابات فرويد السيكولوجية تقع في أربعة وعشرين مجلداً في طبعها الانجليزية التي نشرت في ١٩٥٣ . ولا يمكن بأي حال أن نقدم في فصل واحد صورة شاملة لنظريته . ولذا سوف نقصر أنفسنا على تقديم المبادئ الأساسية التي تقوم عليها افكاره ونظريته في الشخصية .

وصف السلوك الإنساني عند فرويد :

نخضع شخصية الإنسان في نموها وتطورها من وجهة نظر فرويد لمجموعة من المبادئ أهمها :

١ - مبدأ اللذة :

يحتمل أن يكون الإنسان في نظر فرويد حيواناً باحثاً عن اللذة ، وليس اللذة هنا بمعناها الفلسفي الذي نجد لدى أنصار مذهب اللذة ، والذي يذهب إلى أن من واجب الإنسان البحث عن اللذة ؛ وإنما معناها عند فرويد هو أن الإنسان متحرك ، الرغبة في اللذة وتجنب الألم . ذلك أن السلوك يرجع في أساسه إلى سالة من التوتر المؤلم ، وأن الكائن الحي يهدف إلى الأشياء والأفعال التي تؤدي إلى خفض ذلك التوتر وبلوغ حالة التوازن ؛ فالإنسان إذن يهدف بطبعه إلى تجنب الألم وتحصيل اللذة .

وينظر فرويد إلى هذه التوترات على أنها فطرية ، ولكن يمكن أن ترتبط أيضاً بعدد من المثبرات خلال عملية التعلم ، وهذه التوترات حالات أساسية ترتبط بإحساسات الألم ، وتسللك سبيلها الذي يهدف إلى خفض حدتها ، ومن ثم إلى تحقيق اللذة . وكما يقول فرويد : « نحن نعتقد أن أية عملية معينة إنما تصدر عن حالة توتر مؤلم ، ومن ثم تعد لنفسها السبيل الذي يتفق وهدفها النهائي من أجل خفض التوتر ، أعني بتجنب الألم أو إحداث اللذة » .

فبدأ اللذة ينظر اليه إذن على أنه نزعة فطرية لدى الإنسان تحدد الأسلوب الذى به يخفض توتراته النفسية : ومن هنا ، فإن أشكال السلوك التى من شأنها أن تزيد من حدة هذا التوتر ، تكبت فى اللاشعور ، بينما يسهل عمل تلك التى تؤدى إلى خفض هذا التوتر .

وحياة الطفل الصغير ، وبخاصة فى تلك السن التى يسمى فيها لإشباع غرائزه الأولية ، يسيطر عليها مبدأ اللذة . فهو يهدف فحسب إلى إشباع حاجاته الأولية وفى أى وقت يشاء ، من طعام وراحة وحنان . وقد يظهر لدى بعض الكبار أيضاً مثل هذا السلوك ، الذى يتمثل فى عدم الترحيب بكبت الرغبة للإشباع المباشر لنزعاتهم وشهواتهم . وهؤلاء هم الذين نسميهم عادة « طفليين » ، فهم يخضعون ، كما يخضع الصغير ، لمبدأ اللذة .

وباختصار فإن الكائن الحى فى هذا الوجود يهدف إلى جعل حياته سارة قدر الإمكان . وليس معنى ذلك أن فرديد كان يتلبس الأعذار لشهوات الفرد ولا أخلاقياته . ويسير مع فكرة جعل الحياة سارة قدر الإمكان ، فكرة أخرى هى أن الإنسان يجب أن يبحث أيضاً عن تجنب الألم والخبرات المؤلمة . فإن واجه الفرد خبرات مؤلمة ، فعليه حلها ، وإن فشل فى حلها ، فعليه أن يتجنب مواجهتها مرة أخرى إذا أمكنه ذلك .

٢ - مبدأ الواقع :

والمبدأ الثالث لتفسير سلوك الإنسان هو « مبدأ الواقع » . فالإنسان ليس فقط يبحث عن اللذة ، ولكنه أيضاً مرتبط بمحدود الواقع الذى يكشف له : « أنه فى لحظة ما ، عليه أن يؤجل لذاته العاجلة المباشرة من أجل لذة أخرى آجلة أكثر أهمية من تلك العاجلة » . ومن الواضح أن سلوك الكبار ليس سكوناً على وجه التحديد بمبدأ اللذة . فهو ، وإن كان يبحث أيضاً عن اللذة ،

إلا أنه واقعي في بحثه ، مما يترتب عليه وجود تدرج في مراتب اللذة فاللذات الأخيرة الآجلة التي تعتبر أكثر أهمية ، لها الأولوية على اللذات الراهنة العاجلة التي ينظر إليها على أنها أقل أهمية . فالمبدأ العام الذي يميز سلوك السكار عن السلوك الطفلي حسب فرويد ، هو مبدأ الواقع ومؤداه : أن اللذة المباشرة أو تجنب الألم في اللحظة الراهنة يمكن أن يؤجل من أجل لذة أكبر أو من أجل التخلص من ألم اعظم في مناسبة أخرى مقبلة ، ولتأخذ مثالا بك في تلك اللحظة التي تجلس فيها إلى مكتبك تقرأ هذه الصفحات . وبدون أن نذهب بعيداً في الخيال ، يمكن القول بأنك ربما كنت تفضل في هذا الوقت الذهاب إلى السينما أو الخروج مع بعض اصدقائك للنزهة أو القيام ببعض الاعمال التي تدر عليك بعض المال ، بدلا من الجلوس إلى مكتبك تطالع هذه الصفحات التي يفرض عليك مطالعتها وحفظها من أجل الامتحان مثلا . فما الذي يدعوك إذن إلى مواصلة الدراسة والمثابرة ؟ يجيب فرويد إن ذلك يرجع إلى إنك إنسان يحكمه مبدأ الواقع . فأنت ترغب في الحصول على درجتك العلمية أو النجاح في هذه المادة بتفوق : وهو هدف يربطك بهذه الصفحات بدلا من الذهاب إلى تحقيق رغبة مباشرة وعاجلة ، وربما كانت أكثر لذة . وعلى ذلك فنحن جميعاً نحس أن الحياة مرتبطة بقواعد وقوانين إذا اتبعت فسوف تحقق لنا لذات أخرى أكبر .

ومبدأ الواقع يعتبر مبدأ مكتسباً متعلماً ، وليس غزيرياً فولد مزودين به وإذا كان الطفل يأتي إلى هذا الوجود مزوداً بمبدأ اللذة ، فإنه من خلال دروس الحياة وحسب ، ومن خلال التوجيه والتنشئة الاجتماعية ، يكتسب الإحساس بالواقع في تعامله مع نفسه ومع البيئة .

وعلى ذلك يعتبر فرويد مبدأ اللذة ومبدأ الواقع قانونين ديناميين يحكمان سلوك السكان الحي المعنوي فالمطالب البسيطة المباشرة لإشباع الرغبات

الفطرية تميز سلوك الطفل الصغير ، وهذه يمكن أن توصف بواسطة مبدأ اللذة أما القدرة على تأجيل اللذات وتحمل المتاعب من أجل كسب أكبر في المستقبل ، وإشباع الرغبات بأنشطة بديلة يوافق عليها المجتمع ، فهذه كلها تميز سلوك الكبار وتوضح مبدأ الواقع . وبالمثل فإن كل صور السلوك التي يقوم بها الكائن الحي الانساني يمكن أن نفسر كمحالات تخضع لهذا المبدأ أو ذاك .

ومن الواضح أن عملية خفض التوتر تربط ارتباطاً وثيقاً بالمبدأين السابقين يرتضح هذا الارتباط الوثيق عندما تتحقق ضرورة القيام ببعض الأعمال عند الانتقال بين هذين الطرفين المتباعدين: اللذة والواقع . فكما أن الشيء - في علم الطبيعة والعالم المادى ، إذا جذب في اتجاهين مختلفين متضادين يصبح في حالة شد وتوتر ، فكذلك الإنسان يصبح في حالة شد وتوتر وبنفس الطريقة ، إذا جذب أو شد إلى مجالين مختلفين في وقت واحد . وسوف لا يحس الإنسان وهو في هذه الحالة بالسعادة ، بل سوف يحس بالألم ، لأن الضغط تمرقه وتشدده وتسبب له التوتر والقلق . وطريقة تجنب هذه القوة المؤلمة هى خفضها أو إزالتها أو أن يكرن الفرد من القوة بحيث تصبح الضغط بالنسبة له ضعيفة نسبياً ويمكنه تحملها .

ولما كان الإنسان لا يمكنه إغفال ما ولد مزوداً به (مبدأ اللذة) ، ولما كان من الضروري أن يواجه الواقع (مبدأ الواقع) ، فإن التوتر يصبح أمراً ضرورياً لوجوده . فمن الأمور الهامة بالنسبة له إذن هو أن يخفض توتره بأحسن طريقة ممكنة أو أن يستسلم ويخضع له .

٢ - مبدأ الشائبة أو الازدواج :

إن دراسة كتابات فرويد تؤدي بنا إلى القول بوجود قوتين متعارضتين

دائما في حياة الإنسان . فكل شيء في الحياة يظهر فيه هذا الازدواج . فهناك الصواب والخطأ ، والحسن والردى . والرجل والمرأة . والحياة والموت ، والأبيض والأسود . والأعلى والأسفل ، والداخل والخارج ، والموجب والسالب ، إلى آخر هذه القوائم من الخصائص غير المتشابهة التي تزخر بها حياة الإنسان .

ونحن في حياتنا اليومية نواجه باستقطابات واختيارات بين أفعال مختلفة . ولنتصور ما قد يحدث لنا أنفسنا في يوم من الأيام . إن الفرد يبدأ يومه بقرارات أساسية : هل أقوم من مخدعي أو لا أقوم . هل أنام قليلا لأن النوم لذيد ، أم أقوم من نومي حتى أستطيع الوصول إلى مقر عملي في الوقت المناسب . فالقرار لإذن إما أن أنهض أو لا أنهض . ثم بعد ذلك تأتي عدة قرارات أخرى : هل أنظف أسناني الآن ، أم أتناول طعام الإفطار ، هل أذهب مع فلان هذا أم أذهب وحدي ، هل أفعل كذا أم لا أفعل ، إلى آخر ساعات اليوم التي تمتلئ بقرارات كثيرة من هذا النوع .

وعلى نحو ما يحدث في مجال الشحنات الكهربية للاقطاب الموجبة والاقطاب السالبة ، نجد أننا حين نقرب من القطب الموجب (ولتكن الأعمال الحسنة التي يقوم بها الإنسان) نكتسب خصائصها ونصبح لدينا شحنة إيجابية أكثر . ومن ثم يزداد إيجابتنا نحو هذه الأمور الحسنة . ولتكن حسب قوانين الطبيعة فإن الأشياء المتضادة تتجاذب والمتشابهة تتنافر . وبالتالي فكلما اقتربنا من القطب الموجب أكثر وأكثر زادت القوى الطاردة مما يجعل الفرد يميل إلى العود نحو القطب الآخر كأن نحدث أنفسنا بأن هذا العالم الذي نعيش فيه ليس فيه مكان للرجل الطيب أو أنه عالم نفاق وأن الإنسان يجب أن يكون عمليا في هذه الحياة ، يحيا كما يحيا الناس ويعاملهم كما يعاملونه . ومن هنا تزداد

قوى الطرد ، ويجد الإنسان منا نفسه مدفوعاً نحو القطب الآخر السالب . ولكن كلما اقتربنا من هذا القطب السالب ، نجد قوى الطرد مرة أخرى تأخذ في الازدياد نتيجة نظام القيم الذي لدى الفرد . فلا تقترب تماماً من هذا القطب حتى ننجذب مرة أخرى تجاه القطب الآخر . وهكذا يظل الفرد في حالة تجاذب وتنافر بين القطبين وهذا ما عبر عنه فرويد بقوله : هذه هي دورة الحياة .

ولكن لماذا لا نبقى عند نقطة وسط فلا نكون مع هذا الطرف أو ذاك بل نبقى محايدين ؟ إن هذا بالتحديد هو ما يحاول الإنسان أن يفعله من أجل الإبقاء على حالة التوازن الداخلي ، ولكنه لا يستطيع أن يبقى محايداً بين جميع قوى الحياة . فالبينة تتطلب منه أن يخرج من نقطة السكون هذه dead center كما أن الضغوط التي تفرض عليه لا يمكن إغفالها أو إنكارها وهذه الضغوط التي تصدر إما عن حاجاته المعنوية أو عن المجتمع في صورة مطالب عائلية أو مطالب العمل أو الضغوط الأخرى البيئية ، تضطر الإنسان أن يظل في حالة عمل وليس في حالة جود فمن الأمور التي لا يمكن للإنسان أن يتحملها أن يجمد كل نشاطه الجسمى أو العقلى ، ومن هنا كان التوتر أمراً مصاحباً للوجود وكان على الإنسان أن يعمل من أجل خفض هذا التوتر بأحسن طريقة ممكنة أو أن يستسلم ويخضع له .

٤ - مبدأ إجبار التكرار :

وفي هذا المبدأ يؤكد فرويد دور العادة وتكرار الخبرات في سلوك الإنسان . فالإنسان يميل بطبيعته إلى تكرار الخبرات القوية الماضية التي يمر بها . فما أن يعتاد الإنسان على القيام بنشاط ما بطريقة معينة ، حتى يميل إلى تكرار هذا النشاط بنفس الطريقة لدرجة تجعله يؤديه دون كثير من التفكير

الشعوري . فالإنسان في نظر فرويد حيوان تسيره العادة . وطالما أنه يميل إلى تكرار كل ما هو ناجح ، فإنه كلما زاد تكراره له ، أصبح أسلوباً أكثر ثباتاً وجوداً في حياته العادية . وبسبب أن هذا الأسلوب يصبح ثابتاً وجامداً ، فإن الإنسان يتبعه في معالجة مشكلاته ومواجهتها ، سواء كانت نتيجة ذلك ناجحة تؤدي إلى خفض التوتر عنده ، أم مؤلة فتؤدي إلى زيادة هذا التوتر . ويذهب فرويد إلى أن هذا المبدأ أكثر تغلغلاً وقدماً في حياة الإنسان ، بالرغم من أنه قد يبدو معارضا لمبدأ اللذة الذي تقوم وظيفته على خفض التوتر النفسي إلى أقل درجة ممكنة .

بناء الشخصية :

تتكون الشخصية من ثلاثة نظم أساسية : **الآنا** ، **الأنا** ، **الآنا الأعلى** . ورغم أن لكل جزء منها وظائفه وخصائصه ومكوناته ومبادئه ودينامياته وميكانيزماته التي يعمل وفقاً لها ، إلا أنها جميعاً تتفاعل مع تفاعلاً وثيقاً بحيث يستحيل فصل تأثير كل منها عن الآخر وتقدير وزنه النسبي في سلوك الإنسان فالسلوك هو في الأغلب محصلة تفاعل هذه الأنظمة الثلاثة . ونادراً ما ينفرد إحداها بالعمل دون الآخرين . وسوف نوضح فيما يلي كل واحدة منها على حدة .

الآنا : لقد كتب الكثير عن هذا المصطلح الذي وضعه فرويد . والآنا هو النظام الأصلي للشخصية والذي يعتبر أساساً لكل حياة إنسانية . فهو يوجد مع الإنسان منذ لحظة ولادته ، ويظل معه طوال حياته . هو ذلك الجزء من النفس الذي يحوى كل ما هو موروث أو غريزي . كما يحوى العمليات العقلية المسكوتة التي فصلتها المقاومة عن الحياة النفسية الشعورية . إنه مستودع الطاقة النفسية ، كما أنه يزود العمليات التي يقوم بها النظامان الآخران بطاقتها .

٣٥ — سيكولوجية الشخصية

والهو يخضع لمبدأ اللذة فقط ، ولا يهتم بأى شىء آخر . إنه هذا الجزء الحام ، غير المرتب ، غير المذهب ، الباحث عن اللذة ، إنه الزاد الأساسى الذى يحرك الإنسان خلال حياته ، إنه لا يعرف قوانين ولا يخضع لقواعد ويبحث فقط عن شهواته . وعلى عكس الفسكرة الشائعة العامة عن الهو بأنه كله شر ، وأنه مصدر خجل للإنسان ، فإن الهو يحقق هذا العمل الحام الذى يحفظ حياة الإنسان وبقائها ، إنه القوة المحركة لوجود الإنسان ، وعلى الرغم من أنه وثيق الصلة بالعمليات الجسمية التى يستمد منها طاقته ، فإن « الهو » نظام نفسى حقيقى ، وليس له مكان مادى فى جسم الإنسان كالقلب والمخ وغيرها من الأعضاء .

ولا يمكننا أبداً أن ندرك الهو فى صورته الحام ، وربما كانت أقرب صورة للهو ، ما يبدو لنا فى دراسة الطفل الصغير أو فى سلوك الذهان . فالطفل الصغير يسلك سلوكاً أنانياً تماماً ، يهدف إلى إشباع رغباته وتحقيق لذاته دون مراعاة لحاجات الآخرين ، فهو يخضع لحسب لمبدأ اللذة ، وكذلك الذهان الذى يسلك كيفاً يجب ويعجبه ، فسلوك الطفل والذهان أقرب إلى ما يمينه فرويد بمفهوم الهو .

ويستخدم الهو فى تحقيق اللذة وتجنب الألم عمليتين هما « الفعل المنعكس » و « العمليات الأولية » ، والفعل المنعكس هو رد فعل طبيعى يؤدي إلى خفض التوتر مباشرة . أما العملية الأولية فتتضمن رجماً سيكولوجياً أكثر تعقيداً بعض الشيء ، وتحاول تفريغ التوتر بتكوين صورة لموضوع من شأنه أن يزيل هذا التوتر ، وخير مثال للعملية الأولية أحلام النوم التى يستند فرويد أنها تمثل دائماً تحقيق ، أو محاولة تحقيق ، رغبة ما . ولكن العملية الأولية وحدها غير قادرة على خفض التوتر ، فالجائع لا يأكل الصور الذهنية للطعام .

ولذلك تظهر عمليات جديدة ثانوية ، وعندئذ يبدأ تكوين النظام الثانى للشخصية وهو الأنا .

الأنا : ومن المفترض أن الهو فى صورته الخام ، إذا ترك لأساليه الخاصة فقد يحطم نفسه ، فهو فى حاجة إلى ما يضبط طاقته ويوجهها نحو أكبر إشباع وبقدر ما تسمح به مطالب الحياة ، ودون أن يهدم نفسه ويحطمها . ويذهب فرويد إلى أن الأنا تحقق هذه الوظائف وتحققها جيداً . فالأنا تتبع مبدأ الواقع وتعمل وفق العمليات الثانوية . فإذا كان الهو يعمل وفق مبدأ اللذة ويستخدم العملية الاولى ، وتفريغ التوتر بتكوين صورة لموضوع من شأنه أن يزيل التوتر ، إلا أن الكائن الحى يتطلب معاملات مناسبة وإشباع واقعى ، ومن ثم يفرق الأنا بين الأشياء التى توجد فى العقل والأشياء التى توجد فى العالم الخارجى . ومن هنا تطبع الأنا مبدأ الواقع الذى يعمل على الحلولة دون تفريغ التوتر حتى يتم اكتشاف الموضوع المناسب لإشباع الحاجة . فبدأ الواقع يرجى مبدأ اللذة مؤقتاً ، لأن مبدأ اللذة هو الذى سوف يخدم فى نهاية الأمر ، عندما يوجد الموضوع المرغوب فيه ، ومن ثم يخفض التوتر .

فالأنا إذن إمتداد للهو وغير مستقل عنه أبداً . والأنا هو الجزء المنظم وهو الذى يبحث فقط عن إيجاد مخارج تخدم أغراض الهو ، دون أن يترتب على ذلك تحطيمه ، وإذا أمكن اعتبار الهو الجزء العضوى للشخصية ، فإن الأنا هو جزؤه السيكولوجى . إن الأنا يستمتع بكل الإشباعات التى يسمح للهو أن يستمتع بها أيضاً ، ولكنه يستمتع بها بذكاء وبتعقل فى ضبط واختبار وتقرير ما يشبع وكيف يشبع .

فالأنا إذن يخضع لمبدأ الواقع ، يفكر تفكيراً موضوعياً ومعتدلاً

وتمشياً مع الأوضاع الاجتماعية المتعارف عليها أما وظيفته فهي الدفاع عن الشخصية والعمل على توافقها مع البيئة ، وحل الصراع بين السكان الحى والواقع أو بين الحاجات المتعارضة للسكان الحى . فالأنا هو ذلك الجزء المنظم من الهو . . . وهو يخرج إلى الوجود ليحقق أهداف الهو ولا يجهلها ، وأن كل قوته مستمدة من الهواء وليس له وجود مستقل عن الهو .

الأنا الأعلى : وهذا هو المكون الثالث لشخصية الفرد ، وهو مكون يقع في الطرف الآخر من الهو . والأنا الأعلى هو الأخير في عملية النمو لهذه الأبعاد الثلاثة للشخصية . إنه الممثل الداخلى للقيم التقليدية للمجتمع ، وهو شيء موجود داخل الفرد وليس خارجه . إنه مكون داخلى ، وليس مجموعة من القوانين الحاكمة . وعندما ينمى الفرد ، أنا أعلى ، داخل نفسه ، يكون حينئذ قد أصبح شخصية ناضجة . فالأنا الأعلى هو هذا الجانب الخلقى للشخصية . إنه مثالى ، وليس واقعياً . هدفه الكمال وليس اللذة . إنه هو الذى يقرر ما إذا كان نشاط ما حسناً أم سيئاً وفق معايير المجتمع التى يتقبلها . والقوانين الاجتماعية لا تعنى شيئاً بالنسبة إليه ما لم يتقبلها . ويتوحد معها .

وهذا الأنا الأعلى بوصفه الحكم الخلقى الموصل للسلوك يذسأ استجابة للثواب والعقاب الصادرين عن الوالدين . فالطفل لىكى يحصل على ثواب الوالدين ويتجنب عقابهما ، عليه أن يتعلم أن يسلك حسب المعايير والقواعد التى يحددها الوالدان . فكل ما يعاقبه عليه الوالدان ينزع إلى أن يُستدخل داخل ضميره ، الذى يمثل أحد شتى نظام الأنا الأعلى . أما كل ما يثيابه عليه ينزع إلى أن يُستدخل داخل أناه المثلى ، الذى يمثل الحق الآخر من نظام

الآنا الأعلى . ويطلق على الميكازم الذى تتم به عملية الاستدعال هذه اسم
« الاستدماج » . فالضمير يعاقب الشخص بأن يجعله يشعر بالإثم ، بينما آناه المثلئ
تثبيته بأن تجعله يشعر بالفخر بنفسه . ويتكوّن الآنا الأعلى محل الضبط الذاتئ
محل الضبط الصادر عن الوالدين .

ويمكن تلخيص الوظائف الأساسية للآنا الأعلى فيما يلى :

١ - كف دفعات الهو . وبخاصة تلك الدفعات ذات الطابع الجندى أو
العدوانئ ، حيث أن هذه الدفعات هى التى يقابل التعبير عنها من المجتمع بأشد
صور الإدانة والرفض .

٢ - إقناع الآنا بإحلال الأهداف الأخلاقية محل الأهداف الواقعية (١)

٣ - العمل على بلوغ السكّال ، أى أن الآنا الأعلى يميل إلى معارضة الهو
والآنا معاً ، وإلى تشكيل العالم على صورته . إلا أنه يشبه الهو فى أنه غير منطقي .
ويشبه الآنا فى محاولته ممارسة التحكم فى الغرائز . ويختلف الآنا الأعلى عن
الآنا فى أنه لا يحاول تحسب لإرجاء الإشباع الغريزئ ، بل إنه يحاول الحلولة
دونه على الدوام .

الخلاصة . تلك هى النظم الثلاثة الأساسية لبناء الشخصية ، ورغم أن

خصائصها تكتسب وتناقش مستقلة ، إلا أنها بالفعل ليست وحدات منفصلة
فى الشخصية . فالهو والآنا والآنا الأعلى أنظمة متداخلة متشابكة بقوة فيما
بينها فى كل ما يقوم به الإنسان . إن لكل منها وظيفة ، ولكن كلاً منها
لا يوجد أبداً مستقلاً عن الآخرين . فقط فى حالة الطفل الصغير أو فى حالة
الذهانئ يمكن أن نجد أحد هذه العناصر واضحاً بارزاً يعمل فى غير اعتبار
للآخرين .

(١) ك. مول ، ج. لندرئ : نظريات النفسية . ترجمة د. فرج أحمد فرج ولندئ محمود حنفئ
ولطئ محمد فطيم . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر . القاهرة . ١٩٧١ م ص ٥٩ .

ديناميات الشخصية :

ونظرية التحليل النفسى - ككل النظريات الدينامية تدور حول القوى أو الحوافز : فهم أساساً نظرية دافعية . والظواهر العكسية ينظر إليها على أنها نتيجة قوى متفاعلة يمكن أن تفهم من وجهة نظر تاريخية . وبعبارة أخرى ، إن فرويد ينظر إلى الأحداث الراهنة باعتبارها نتاج نمو سابق تمتد جذوره إلى الماضي .

والمصطلح الذى استخدمه فرويد للدلالة على الطاقات أو القوى التى تستثير النشاط الإنسانى هو المصطلح الألمانى Trieb والذي ترجم إلى اللغة الإنجليزية بالمصطلح Instinct والذي يعرف فى اللغة العربية بالفريزة . ولكن هذه الترجمة للمصطلح الألمانى أدت إلى الخلط فى فهم هذا المصطلح . ف Trieb ، كما استعمله فرويد ، لا يتضمن معنى النبط الثابت غير القابل للتغير الذى يعنيه المصطلح Instinct فتحت الظروف والتأثيرات البيئية يمكن للفريزة ، بمعناها فى المصطلح الألمانى ، أن تغير من أهدافها وموضوعاتها (١) .

ومفهوم الفريزة من المفاهيم الأساسية فى كتابات فرويد وتفسيره . ومعظم كتابات فرويد عليها فسرته أن الإنسان ولد مزوداً بفرائز معينة . وليس ثمة مصطلح فى علم النفس أثار من الجدل والنقاش بين علماء النفس مثلاً أثار مصطلح الفريزة . وقد ظهرت مواقف ثلاثة لحل هذه المشكلات التى أثارها هذا المصطلح إحداها إنكار المصطلح من أساسه ورفضه ، والثانى الدخول فى دوامة تعريف هذا المصطلح والوقوف عند هذا الحد ، والثالث استعمال المفهوم كمصطلح مساعد له قيمته فى التفكير التحليلى دون أن نلقى الكثير من الاهتمام لوضع تعريف

(1) Shaffer. G.W. & Lazarus R. S. Fundamental Concepts in Clinical Psychology. N. Y. Mc. Graw-Hill. Book Company. 1952 p. 184.

محمد له . ولعل فرويد كان أقرب ما يكون إلى هذا الاتجاه الأخير حيث استخدم هذا المصطلح دون الوقوف عند وضع تعريف محدد دقيق له . وليس هذا بالامر الغريب ، فلقد كُتِبَ الكثير جداً عن الشخصية قبل أن توضع تعريفات واضحة محددة لها .

ولقد صادر فرويد على وجود نوعين من الخوافز الإنسانية أو العرائز ، وكلاهما بيولوجى فى طبيعته . أما النوع الأول فيتكون من الحاجات الجسمية البسيطة كالجوع والعطش والإخراج والتنفس . وهذه الخوافز أو الدوافع تستثيرها التغيرات البدنية التى تحدث داخل الكائن الحى العضوى . وإشباع هذه الخوافز أو الحاجات الأساسية أمر حيوى لبقاء الإنسان ، كما أن أهدافها لا يمكن تغييرها أو تعديلها . ولذا فإن الاختلاف بين الأفراد بالنسبة لهذه الحاجات قليل للغاية، ومن هنا فإنها تعد قليلة الأهمية نسبياً بالنسبة لعالم النفس .

أما المجموعة الثانية من الخوافز فهى تلك التى وصل إليها فرويد من دراسته للرضى النفسيين . وهذه المجموعة الثانية يمكن تقسيمها إلى نوعين أساسيين : الأول غريزة الحياة (eros) وغريزة الموت (thanatos) . وقد قصر فرويد استعمال لفظ الغريزة عنده على هذين النوعين : غريزة الحياة وغريزة الموت . وغرائز الحياة تخدم غرض الحفاظ على حياة الفرد وتكاثر الجنس . ويطلق فرويد على القوة الحيوية الدافعة لغريزة الحياة اسم «الليبدو» . والليبدو هو هذا الجزء من تركيب الهوى الذى يبحث عن إشباعه من الخوافز الجنسية . وقد أدى استعمال لفظ جنس إلى كثير من الخلط فى فهم مفهوم فرويد . فعنى الجنس عند فرويد أوسع بكثير من المفهوم المادى الدارج فى حياتنا اليومية واقتنا الدارجة ، فهو يتضمن - بالإضافة إلى معناه المتصل بالخوافز الجنسية عند الكبار - كل ما يؤدى إلى الشعور باللذة من خلال

استثارة المناطق الشبقية للجسم erogenous zones : والمنطقة الشبقية هي أى جزء من جسم الإنسان له القدرة على إثارة الإحساس السار أو الشعور باللذة عند الفرد . ومن المناطق الحساسة فى جسم الإنسان الشفاة ، والتجويف القمى والمنطقة الشرجية وأعضاء التناسل . ويعتقد فرويد أن أنواعا كثيرة من السلوك التى لم نكن ننظر إليها من قبل على أنها جنسية ، هى فى الحقيقة صور من الإشباع للدوافع الجنسية .

وتتميز الغريزة فى نظر فرويد بأربع خصائص مميزة هى المصدر والهدف والموضوع والقوة الدافعة .

والمثال الآتى يمكن أن يوضح هذه الخصائص الأربعة . لنفرض أن شخصا ما يحس بألم فى الأسنان إن نتيجة هذا الإحساس تدفعه من خلال مبدأ التوازن الداخلى إلى خفض التوتر وذلك على النحو التالى :

المصدر source هو الحالة البدنية . وهو هنا الألم الذى يحسه الفرد فى الأسنان ،

الهدف aim هو التخلص من الاستثارة أو التهييج البدنى وهو هنا إزالة الألم الناتج عن تسوس السنّة والعودة إلى حالة الاتّيناح التى كان يحس بها قبل حدوث الألم .

الموضوع Object : وهو يشير إلى جميع ضروب النشاط التى تقع بين ظهور الحاجة وتحقيقها . فهو لا يشير لحسب إلى شىء بعينه أو حالة تشبع الحاجة ، بل إنه يتضمن كذلك كل أشكال السلوك الذى يحدث مستهدفاً الحصول على الشىء أو الحالة اللازمة . وفى هذا المثال يكون الموضوع هو ترتيب موعد مع الطبيب والذهاب إليه والجلوس على الكرسي والقبض على ذراعى الكرسي . . .

القوة الدافعة Impetus : ويقصد بها قوة أو شدة الحاجة المحركة . فالم الأسنان حين تخف حدته أثناء النهار ، تقل قيمة المثير إلى حد ما ، ولكن حين يصبح الألم غير محتمل خلال الساعات الأولى من الليل تزداد قوة المثير بشكل واضح جداً وتصبح القوة الدافعة أكثر شدة ، فيقسم المرء مثلاً أن يذهب إلى الطبيب متى حل الصباح .

ويرى فرويد أن مصدر الغريزة وهدفها يطلان ثابتين طوال الحياة ، ما لم يتغير المصدر أو يزول نتيجة التضخيم الفيزيقي . أما الموضوع أو الوسيلة التي يحاول بها الفرد إشباع الحاجة فهي تتباين تبايناً ملحوظاً خلال حياة الفرد ، وذلك نتيجة قابلية الطاقة النفسية للإزاحة من موضوع لآخر . وإذا كان هذا الإبدال أو هذه الإزاحة ممكنة بالنسبة للموضوع فهي غير ممكنة بالنسبة لمصدر الغريزة أو هدفها .

مراحل النمو :

واقظ مراحل يشير إلى تتبع نمو الإنسان وشخصيته ابتداء من الولادة حتى الكبر . فالطفل يمر عبر سلسلة من المراحل المحددة تكوئياً . وما لم يتعرض هذا النمو في سيره إلى تدخل ظروف شاذة أو معوقة ، فن المتوقع له أن يسير على نحو طبيعي ، وعلى شاكلة ما نجده عند الغالبية العظمى من الناس .

إن فكرة بناء الشخصية ونموها عند فرويد أشبه ما يكون بالطريقة التي يقيم بها البناء حائطاً من الطوب ، حيث توضع طوبة طوبة ، ويسير البناء من أسفل إلى أعلى ، وترتبط قبة البناء بأساسه وأصله . فشكل البناء وسمكه وجميع خصائصه ترسي قواعده في الأساس الذي يقام عليه . وتغيير شكل البناء تغييراً ملحوظاً قد يترتب عليه هدم البناء بأكمله . والشخصية بالمثل ترسي قواعدها في السنوات الأولى من حياة الكائن الحي ، وهذا الأساس غير قابل للتغير

وهو يحدد ما يمكن أن يقام عليه بعد ذلك . فإن كان الأساس ضعيفاً مهزوزاً وغير مستقر ، نشأت الشخصية وتطورت بشكل ضعيف مهزوز غير مستقر كذلك . ومن هنا ، فإن الطفل هو أب الرجل ، وأن الأساس الذي يوضع في الطفولة هو الذي يحدد ما سيكون عليه الفرد في الكبر . ولكن ليس معنى ذلك أنه حين ينمو البناء لا يمكن تغييره . إن من الممكن إحداث تغييرات طفيفة ، ولكنها لا تتجاوز أبداً حدود ما يتحملة الأساس أو الشكل الذي اتخذته . فإن حدث هذا التجاوز ، إنهار البناء (على نحو ما نجد في الشخصيات الذهانية والعصائية) . وفي العادة يتغير الكثيرون منا مع النمو ، ولكن إحساساً منا بخطر الإنهيار ، وخوفاً على أنفسنا من اهتزاز البناء ، فإننا نحذر الإبتعاد كثيراً عما يمكن أن يتحملة بناء شخصياتنا .

وعلى هذا النحو ، نجد فرويد يعطى أهمية كبرى لعملية البناء طوبة طوبة من أجل بناء شخصية الفرد في المستقبل . كما أنه يعطى أهمية كبرى للخمس سنوات الأولى من حياة الفرد باعتبارها الأساس الذي يقام عليه كل بناء شخصيته فيما بعد . ويمكن أن نشير باختصار إلى مراحل النمو عند فرويد .

المرحلة الفمية : وترتبط أول مرحلة من مراحل النمو في تكوين شخصية الفرد بالمنطقة الشبقية الفمية ، وعلى وجه الخصوص بالشفيتين . فالطفل يبدأ عقب الولادة بقليل استخدام الشفتين في الحصول على الطعام . وليس ثمة شك أن هذا الطعام الذي يحصل عليه الطفل يعتبر مصدر إشباع ولذة ، فهو طعام شهى ولذيذ (وهذا هو مبدأ اللذة) . وسواء كان يحصل عليه عن طريق الثدي أو الرضاعة الصناعية ، فإن الوليد في شهره الأول سرعان ما يتعلم (عن طريق مبدأ إجبار التكرار) أن التجويف الفمي واللسان والشفيتين عندما تمس هذه الأشياء تصبح مصدر لذة وسعادة بالنسبة له (منطقة شبقية) . ومن الطبيعي أن يتعلم الطفل استخدام الفم كإحدى الوسائل للحصول على هذا الإحساس السار أو اللذة

فهو عند ما يحس ثمانية بالجوع ، تقوم المنطقة القمية بدورها وتؤدي به إلى الشعور باللذة . ولما كان الطفل في هذه المراحل الأولى من حياته يعتمد كثيراً على العادات التي يكونها ، فإنه يلجأ إلى استخدام الشفاء في الحصول على اللذة أياً كانت حالة الجوع التي يكون عليها . وتبعاً لذلك ، وبعد أن يكون قد درّب الشفاء على إحداث اللذة ، فقد يلجأ أيضاً إلى استخدام الأصابع أو أى مشير آخر (كأصابع القدم مثلاً) من أجل الحصول على اللذة سواء كان جائعاً أم غير جائع (خفض التوتر) . وهكذا تصبح الشفاء من الآن فصاعداً مصدراً للحصول على اللذة .

ولما كانت الأشياء التي تظهر أولاً في نظام ما ، تكون آخر ما يترك هذا النظام ، فإن المرحلة القمية والمنطقة الشبقية القمية تكونان على هذا الأساس أطول وأقوى مراحل حياة الإنسان . فهودائماً يبحث عن لذة المنطقة القمية وهو يقوم بذلك حتى إذا كان مثل هذا النقاط غير مجد في حل المشكلة أو في خفض التوتر .

المرحلة الشرجية : وحين يتجمع قدر كاف من فضلات الطعام لدى الطفل ، فإن ذلك يسبب له توتراً في الأمعاء يؤدي إلى الشعور بعدم الارتياح أو الألم . وعطرد الفضلات وإخراجها يزيل عنه مصدر القلق ويحدث له الشعور بالراحة وعند بدء التدريب على النظافة ، وهذا يحدث عادة في السنة الثانية من العمر ، يلتقي الطفل بأول خبرة حاسمة له مع التنظيم الخارجى لدفة غريزية . فعليه أن يتعلم إرجاء اللذة التي يحققها له تخلصه من توتره الشرجى ، أى عليه أن يتعلم الخضوع لمبدأ الواقع ، وأن يقوم بعملية الإخراج حين تصل هذه الضغوط إلى حدهميين ، وأن يقوم بها في أماكن معينة وليس في أى مكان يشاء . وتترقب نتائج هذا التدريب على الأسلوب الذى تتبعه الأم في تدريبه على ضبط عملية

الإخراج . فإن كان أسلوباً شديداً صارماً ، فقد يقبض الطفل على فضلاته ويصاحب بالإسك . ونحن نعلم هذا الأسلوب في الاستجابة إلى مجالات من السلوك فيما بعد ، فقد ينمو لدى الفرد خلق قابض ويصبح عنيداً شحيحاً ... أما إذا كانت الأم من النوع الذى يتودد إلى الطفل ليخرج فضلاته ويسرف في مديحه عندما يستجيب لذلك ، فإن الطفل تتكون لديه فكرة قوامها أن النشاط الإخراجى بأكمله بالغ الأهمية . وقد تكون هذه الفكرة أساس الخلق والإنتاج ، وعلى العموم يقال إن العديد من السمات الأخرى ترجع جذورها إلى المرحلة الشرجية (هول ولندزى ص ٧٦) .

وبذلك تصبح منطقة الشرج هى المنطقة الشبقية الثانية التى تلى المنطقة الفمية طولا وقوة .

المرحلة القضيبية : ومن المحتمل أن يكون طفل السنتين قد اجتاز في نموه المرحلة الفمية والشرجية وشرع في اكتشاف المناطق الشبقية الأخرى المثيقية بحسبه والاستمتاع بها . ومن بين هذه المناطق الأعضاء التناسلية ، فالطفل يستمد اللذة من العبث بهذه الأعضاء . وتكون حياة الطفل الانفعالية أى علاقته الوجدانية بأفراد الوسط المحيط به في هذه الفترة ، أشبه بالحياة العاطفية للكبار . وفي خلال هذه الفترة (من سن ٣ - ٥) تكون علاقاته العاطفية والاجتماعية بوالديه قد أخذت تنمو وتتعد وتنتهي السبل لظهور عقدة أوديب . وتستمد عقدة أوديب اسمها من أساطير الأغريق حيث كان أوديب طفلاً لأحد الملوك وتكهن المنجمون أنه سوف يقتل أباه حين يكبر . فنبذه الملك في العراء . ولما كبر أوديب التقى بالملك وتنازعا على أمر ما . فقتل أوديب الملك . دون أن يعرف أنه أبوه . ثم دخل المدينة وتزوج ملكتها وهى أمه ، دون أن يعرف كذلك أنها أمه . وقد اتخذ فرديد من هذه الأسطورة صورة

لما يعاينه الطفل الانساني إبان طفولته المبكرة في صلاته بوالديه والتي تسمى باسم عقدة أوديب .

ذلك أن أول موضوع يمر بخبرة الطفل - عدا نفسه - هي أمه . إنها أول إنسان يطعمه ويلبسه ويحبه ويحبب كل مطالبه وحاجاته . والطفل يعتمد على الأم في هذه المرحلة الأولى من حياته اعتماداً كلياً ، ومن هذا الاعتماد من أجل الحياة والتوحد معها ، ينمو الإحساس بالحب للأم .

ثم إن الطفل بالإضافة إلى حبه لأمه واكتشافه جسمه وأعضائه التناسلية يصبح أيضاً على معرفة بالدور الذي يقوم به الأب في حياته . فالأب إنسان أقوى وأكبر ، وأقل وجوداً معه في البيت ، ويشبهه في الجنس ، ثم أنه يشاركه في حب الأم ويحظى باهتمامها ، وفي الحقيقة يبدو أن له بعض الأولوية في وقت الأم ومحبتها . وتكون النتيجة الطبيعية لهذا ، هو الإحساس بمنافسة خفية وغيره مصاحبة . وفي المراحل الأولى لهذه المعرفة ، لا يفعل الطفل الذكر شيئاً لكبح إحساسه بالغيرة ، ومع ذلك يبدأ الكبت في الظهور مع استمرار النمو . ثم هو يلاحظ أيضاً أنه من الناحية الجسمية ، أقرب شياً بآيه منه بأمه ، وهي حقيقة تؤدي به إلى التوحد مع الأب مثلاً توحد مع الأم وينشأ التناقض الوجداني (مبدأ الازدواج أو الثنائية) عن هذه الشحنة الوجدانية نحو شخصين مختلفين كلاهما يعتبر ضرورياً وهاماً لسعادته وراحته . فهو من ناحية يجب أن يشارك الأب في حب الأم ، تلك المشاركة التي لا يحجبها نظراً لرغبته في الاستمرار بحبها ، ولكنه من ناحية أخرى أكثر شياً بالأب منه بالأم ، وهو لإحساس بالتوحد يجلب له السرور والرضا . وطالما أن مع استمرار النمو ، ينمو أيضاً مبدأ الواقع ، فإنه قد يتوقع نوعاً من العقاب يرفقه به الأب ، أعني عقاب الأب له على مشاركته في حب

الأم . ولما كانت معرفته بالعالم لا تزال قاصرة ، ولما كانت تربيته لا تزال تدور حول المناطق الغمية - الشرجية - القضيبية فإن أى عقاب يمكن أن يوقعه به الأب ، سوف يتصل بهذه المناطق الشبقية . ولما كانت الصفة الجسمية الوحيدة التي تميزه عن الأم هي عضوه الذكري ، إذن فإن هذا العضو هو الذي يمكن أن يوجه إليه التأروالانتقام من جهة الأب ، حتى يجعله أقرب شياً بالآثى ويبعد عنه في الوقت نفسه صفته الذكورية الوحيدة ويشبه ذلك من حيث الأهمية أيضاً ، أن عضو التذكير هو عضو التحريم الذي يجب أن يزال من أجل استبعاد أى احتمال لمجرد التفسير في قيام أية علاقة محرمة مع الأم . وهذا الخوف الشديد هو الذي أشار إليه فرويد باسم عقدة الإخصاء . فالطفل الذكر يخاف من إزالة هذا العضو الذي يجعل منه ذكراً شبيهاً بالأب مما يترتب إلى فقد التوحد مع الأب ، كما يخاف أيضاً من منافسته المستمرة للأب في حب الأم وجذب اهتمامها . ومبدأ الشائبة هذا يترتب عليه ظهور القلق عند الطفل بشكل يعجز معه عن إحداث التوافق إلى أن يدخل مبدأ الواقع ميكانيزم الدفاع عن الأنا ونعني به ميكانيزم الكبت ، وبذلك يجد الطفل طريقاً لحل مشكلته .

وتعتبر الفترة من الثالثة حتى الخامسة أو السادسة من أقوى فترات النضال العنيف الشائبة عقدة أوديب . ومع ذلك فهي تستمر كعامل حيوى خلال حياة الفرد ، كما يكون لها أثر في اتجاه المراكز نحو الجنس الآخر ونحو مصادر السلطة وفي علاقته بزوجته وأطفاله .

هذا فيما يتصل بالولد الذكر . أما عن البنت فإن عقدها تسمى باسم عقدة الكترا ، وتتطور علاقتها بأبها تطوراً أكثر تعقيداً ، يتأثر بما تستشعره البنت من إحساس بالغيرة من الأم لمشاركتها في حب الأب ، وما تستشعره من وجودها بغير هذا العضو الذكري واعتبارها أمها مسئولة عن ذلك . وإلى

جانب اعتبار أمها مسئولة عن حالة الفقد هذه ، فإنها تتوحد بقوة مع الأب ، لأنه يمتلك هذا العضو الذي تحسده عليه . ويظهر حسدها واضحاً من المقارنة مع أبيها الذي يمتلك شيئاً تفتقده هي .

ومرة أخرى تظهر الثنائية عند الفتاة . ذلك أن مشاركتها لأمها من حيث افتقارهما إلى شيء ما ، يقوى توحيدها الأول والأصلي مع الأم . ويحدث التناقض الوجداني حالة قلق انفعالي عند الفتاة . وقد أطلق فرويد على حالة القلق هذه اسم « حسد القضيب » . ولا تصل البنت بسهولة إلى حل هذا التناقض الوجداني مع وجود فروق سيكولوجية عديدة بين الذكر والأنثى . ويستمر هذا الحسد لدى الفتاة فترة أطول ، كما تصبح أكثر تمرداً على الأم مع المراهقة وتعديل اتجاهها تدريجياً حتى توفق هي الأخرى في الحصول على شريك حياتها بالزواج . ومرة أخرى تكشف - كام - عن تناقضها الوجداني نحو الجنس . وذلك في دورها كام لأولاد وبنات ، وكزوجة لرجل .

المرحلة التناسلية : والمراحل الثلاث السابقة - الفمية والشرجية والقضبية تعرف باسم المراحل قبل التناسلية . وتتميز شعنائها بأنها ذات طابع نرجسي حيث يحصل الفرد على اللذة من تلبية مناطق معينة من جسمه ، وأن شعناته تستهدف الآخرين لأنهم فحسب يتبعون له أشكالاً إضافية من اللذة الجسمية . ومع المراهقة يبدأ بعض هذا الحب يتلس طرفاً تقود إلى اختيارات موضوع حقيقي . ويشرع المراهق في حب الآخرين تحدوه دوافع الإيثار وليس مجرد أسباب نرجسية . فالجاذبية الجنسية والتلثشة الاجتماعية والنشاط الجماعي والتخطيط المهني والاستعداد للزواج وتكوين الأسرة تبدأ جميعها في التعبير عن نفسها بصورة واضحة . وفي نهاية المراهقة تصبح الشعنات الانفعالية الاجتماعية الغيرية أكثر ثباتاً . ويتحول الفرد من النرجسية أو البحث عن اللذة الذاتية إلى راشد نسيره الحقيقة الواقعية والمجتمع (هول ولندزي ص ٨٠) .

وعلى الرغم من أن فرويد قد ميز بين مراحل أربعة في نمو الشخصية ، إلا أن هذه المراحل ليست منفصلة بعضها عن بعض أو أن الانتقال يكون فجائياً من مرحلة إلى أخرى . فالتنظيم النهائي للشخصية هو نتيجة إسهامات هذه المراحل الأربعة .

حالات الشعور :

لا يمكن بالطبع أن نعرض لنظرية فرويد دون أن ندرس نظامه الوصفي الذي يماثل حالات الشعور . وسوف نشير باختصار إلى ما يعنيه فرويد بهذه المصطلحات الثلاثة : الشعور وما قبل الشعور واللاشعور .

الشعور : هو هذا الجانب من الحياة العقلية للفرد والتي يكون على وعي تام بها ، وحالة الشعور هي التي تمسكن الفرد من أن يعرف أين هو وما يدور حوله وما يحسه وكيف تجري الأحداث من حوله . وحينما يحدث شيء ما ، فإنه يكون على وعي به ، ويمكنه أن يوجه انتباهه إليه عن قصد . وحواسنا تنقل إلينا الكثير من المعلومات والخبرات عن الأشياء التي تجري في العالم الخارجي وتحدث انطباعاتها في أنفسنا ونستجيب لها حسب الموقف الذي توجد فيه .

ما قبل الشعور : ويقع في منطقة بين الحالة العقلية الشعورية والحالة العقلية اللاشعورية . وهي منطقة وهمية تتجمع فيها الذكريات التي اكتسبناها في الماضي والتي تلجس طريقها إلى الشعور ولكنها لم تتمكن بعد إلى العبور إلى مسرح الشعور . وأمثلة الذكريات التي توجد في القبشعور أمثلة عديدة منها أن الطالب وهو في قاعة الامتحان يحاول أن يصل إلى بعض المعلومات التي يتعذر عليه تماماً الوصول إليها ، ولكن ما أن يخرج من قاعة الامتحان أو وهو سائر

في طريقه إلى منزله ، سرعان ما تفقز هذه المعلومات ثانية إلى ذهنه . فهذه المعلومات يقال عنها إنها كانت طافية في ما قبل الشعور ، ولكنها لم تدخل بعد مسرح الشعور .

اللاشعور : ويتكون لللاشعور من القوى والدوافع التي لم تنسجم مع الشخصية الشعورية والتي كبتت في أعماق النفس . فعادة اللاشعور قد مرّت من قبل في الشعور ، ولكن لما كانت غير منسجمة مع الشخصية الشعورية فإنها تكبت . ومن اللازم أن يكون هناك نوع من المستودع تخزن فيه مثل هذه الخبرات التي تستبعد من الشعور . ومن اللازم أيضاً أن يكون هناك نوع من المنطقة العقلية التي يحول فيها العقل بحرية كاملة كيفما يجب مع الإحساس التام بالذلة ، ودون التقيد أو الخضوع لمطالب الإنا أو قيود الأنا الأعلى . واللاشعور هو هذا المستودع العقلي لخبرات الإنسان الماضية ، فكل ما حدث للإنسان في الماضي يخزن في العقل سواء أراد الإنسان أم لم يرد . وقد تفرض الكثير من الرقابة على مادة اللاشعور ، ولا يسمح لها بالعبور إلى مسرح الشعور . وطالما تكون الرقابة قوية ، فإن هذه المادة لا يمكنها أن تغلّت لتدخل إلى مسرح الشعور . لكن ما أن تخمد هذه الرقابة أو ينام الرقيب حتى تغلّت بعض هذه الخبرات وتمر إلى الشعور وتظهر في صور مختلفة كالأحلام أو في صور رمزية عديدة .

العمليات الدفاعية للأنا (١) :

ورغم التعديلات والإضافات التي أدخلت على هذه العمليات ، فإن فرويد هو الذي أرسى قواعد هذه العمليات ، وأحد الخصائص الهامة للعمليات

(1) Sarason, G. Irwin : Personality : An objective Approach. New York. John Wiley & Sons Inc. 2nd ed. 1972.

الدفاعية للأناتى أنها تعمل على مستوى لا شعورى ، ومن ثم فإن الشخصية لا تعرف أنها تدافع عن . أناتها . وثمة خاصية أخرى لهذه العمليات الدفاعية هى أنها قد تحرف الواقع أو حتى تنسكه . ومن ثم ليس غريباً أن يكذب الفرد على نفسه كي يحفظ لها احترامها أمام نفسه ، كما قد يحرف الحقيقة دون وهى منه بهذا التحريف .

وسوف نشير باختصار إلى بعض هذه العمليات :

١ - الكبت : عملية دفاعية أساسية ، وهو حجر الزاوية لكثير من العمليات الدفاعية الأخرى ويقوم بدوره فى وقت مبكر جداً من حياة الفرد ونظرية الكبت أصبحت بمثابة حجر الأساس لفهم العصاب . ومن الممكن النظر إلى عملية الكبت كركز تدور حوله بقية عناصر نظرية التحليل النفسى أو تكون على علاقة به .

والكبت بمعناه العام عملية استبعاد تتخذ صورتين : أولاهما طرد الدوافع والانفعالات والأفكار والذكريات الشعورية المؤلمة والخيفة والسكرية والمخزية وإكراهها على التراجع والبقاء فى تلك المنطقة الخافية المظلمة من الحياة النفسية والتي تسمى باللاشعور . وثانيهما منع الدوافع والأفكار والذكريات التى أصبحت لا شعورية من اقتحام مسرح الشعور وذلك لأن مثل هذه الدوافع والأفكار والذكريات إذا نسى لها دخول مسرح الشعور سببت للأناتى القلق والألم أو الخجل والخزى .

ويقوم الكبت بوظيفتين أساسيتين فى الحياة النفسية الأولى وقائية دفاعية إذ يدفع الفرد عن نفسه كل ما يسبب له الألم أو الخجل أو يجرح كبريائه . فنسكت كل ما يتناقى مع المثل الخلقية والاجتماعية وما يسبب الضيق النفسى . أما الوظيفة الثانية فهى صد الدوافع النائرة المخطورة وخاصة الدوافع

الحسية من أن تفلت من زمام الفرد وأن تتحقق بالفعل بصورة صريحة سافرة مباشرة . ولكن مثل هذه الدوافع المكبوتة في اعماق اللاشعور لا تكون ميتة ، بل تظل حية قلقة ، تتحين الفرصة للظهور والتعبير عن نفسها متى سمحت الظروف . وكثيراً ما تعبّر عن نفسها بصور ملتوية ومزينة ، في صورة أحلام النوم وفتات اللسان وزلات القلم وفي ألعاب الأطفال ، إلى غير ذلك من الوسائل التي تكشف عن هذه النزعات المكبوتة في اعماق اللاشعور .

٢ - النكوص : هو رجوع المرء إلى الوراء والعودة إلى الأساليب السابقة التي كان يتبعها في مراحل نموه الأولى للتعبير عن دوافعه الغريزية . ويحدث هذا عادة إذا فشل الفرد في تحقيق بعض رغباته . وأمثلة النكوص واضحة في كثير من سلوك الطفل والكبير . فالطفل الذي يكون قد ضبط عملية التبول ثم ولد للأسرة طفل جديد وشعر أن مركزه الممتاز قد اهتز في الأسرة نتيجة حلول هذا الطفل الجديد ، فقد يرتد إلى مراحل سابقة كان يلتقي فيها المزيد من العطف والحنان . ومن هنا فقد يرتد إلى مرحلة سابقة فيقبل لا إرادياً بما يجبر الأم على توجيه بعض الاهتمام والانتباه إليه . ومن أمثلة النكوص عند الكبار ما نشاهده في الشاب الذي يتطلع إلى الزواج من زوجة لا تقوم منه إلا مقام الأم الحنون . والفتاة التي تتطلع عند الزواج إلى رجل يقوم منها مقام الأب . ومعظم كتابات فرويد عن النكوص تتصل بمسألة عودة المريض إلى الوان من السلوك المميزة لمراحل طفولتهم أو مراحل سابقة في النمو . ومن هنا أصبح لفظه طفلية ، عند فرويد مرادفاً في معناه للنكوص . وليس من الضروري أن يكون النكوص كما سبق أن أوضحنا ارتداداً إلى مراحل الطفولة . ولكن يمكن أن يكون إلى مرحلة سابقة على تلك التي من المفروض أن يوجد بها الفرد حسب مستويات نضجة .

والنكوص هو تعبير عن مبدأ إجبار التكرار . فالشخصية الإنسانية تميل

مرة أخرى إلى تكرار الأنشطة التي نجحت من قبل في آدائها أو الأنشطة السارة على الأقل . ولما كانت هذه الأنشطة من نوع إجبار التكرار ، فإنها قد لا تحل بطريقة ما المشكلة الحالية التي يواجهها الفرد ، بل قد تزيد من تعقيداً . والصورة النكوصية للسلوك لا تعيد عادة خلق الخبرة الماضية بأكملها ، ولكن فقط أجزاء منها تدعم الحدث الماضي . وعندما تحبط الشخصية وتنكص إلى صور طفلية من صور السلوك ، كص الإصبع مثلاً ، فإنها نادراً ما تنكص كلية ، وإنما الذي يعود إلى الظهور هو بقايا من صور السلوك السابقة التي يقوم بها الفرد .

٣ - تكوين رد الفعل : وهذه العملية الدفاعية من أصعب المفاهيم إدراكاً وقد لا يفهمها بعض المبتدئين في دراسة علم النفس . وتتضمن هذه العملية الدفاعية إبدال المشاعر المثيرة للقلق في الشعور بتقيضها . كإبدال الكراهية بالحُب ، وتظل الدفعة الأصلية قائمة وموجودة في النفس ، إلا أنها تغطى أو تقنع بواسطة تلك التي تسبب القلق للفرد .

ويظهر تكوين رد الفعل في صورة سلوك مسرف متطرف . فعادة ما يتميز تكوين رد الفعل بالإسراف في التظاهر . فيسرف الفرد في إظهار الشجاعة لتغطية مظاهر الخوف التي تعتمل في نفسه ، كما يتميز أيضاً بطاعة القهري . فالصورة المتطرفة من السلوك من أى نوع تشير عادة إلى تكوين رد الفعل . وينجح تكوين رد الفعل أحياناً في إشباع الرغبة الأصلية التي يستهدفها الدفاع ، مثال ذلك عندما تُغرق الأم طفلها بالمحبة والانتباه (هول ولندزى ص ٧٤) .

٤ - الإسقاط : وقد ظهر هذا المصطلح عند فرويد في مقال له عن عصاب القلق ١٨٩٤ . وقد أوضح فرويد في هذا المقال أن عصاب القلق يظهر لدى الفرد حين يشعر بمعجزه عن السيطرة على المشيرات (الجلمسية) ؛

وفي هذه الحالة تسلك النفس كما لو كانت تسقط هذه المثيرات على العالم الخارجى ، . وفي مقاله أخرى له عن العمليات الدفاعية للعصاب (١٨٩٦) ذهب فرويد إلى أن الإسقاط هو أحد العمليات الدفاعية التي يعزو بها الفرد دوافعه واحساساته ومشاعره إلى الآخرين أو إلى العالم الخارجى ؛ ويعتبر هذا بمثابة عملية دفاعية تتخلص بها الأنا من الظواهر النفسية غير المرغوب فيها والتي - إن بقيت - سيبت الألم للأنا ،

وقد أوضح فرويد هذه العملية الدفاعية في سياق حديثه عن إحدى حالات البارافنويا التي تأخذ صورة ميول جنسية مثلية تتحول تحت ضغط الأنا الأعلى من « أنا احبه ، إلى « هو يكرهنى ، في عملية معقدة على النحو التالى .

١ - اشتهاه جنس مثلى يتمثل فى « أنا احبه ، . وهذا دافع غير مقبول من دوافع الهوى .

٢ - تكوين رد فعل يحوله من « أنا احبه ، إلى « أنا اكرهه ، .

٣ - لكن الكراهية أو العدوان دافع غير مقبول كذلك فيكبت . هذا المكبت كعملية دفاعية ليس حلاً نهائياً للوقوف إذ لا يؤدي إلى حماية الأنا تماماً . ولا يمكن التخلص الأنا من هذه الدوافع العدوانية تقوم بإسقاطها على الشخص الآخر ، وبذلك ننتقل إلى المرحلة الرابعة والآخر وهى :

٤ - تتحول الدوافع من « أنا اكرهه ، إلى « هو يكرهنى ،

والإسقاط عند فرويد عملية دفاعية تسير وفق مبدأ اللذة . ويمقتضاها تعزو الأنا الرغبات والأفكار اللاشعورية إلى العالم الخارجى ؛ تلك الرغبات والأفكار التي - إن سمح لها بالدخول إلى مسرح الشعور - لأحدثت الألم للأنا . ويمكن أن تلخص الأسس التي تقوم عليها فكرة الإسقاط عند فرويد في النمط الآتية :

- ١ - الاسقاط عملية لا شعورية .
- ٢ - أنه يستخدم كعملية دفاعية ضد القلق والدوافع اللاشعورية .
- ٣ - يحدث نتيجة عزو هذه الدوافع والرغبات والأفكار التي تسبب الألم للذات إلى الآخرين والعالم الخارجى .
- ٤ - يترتب عليه خفض حدة التوتر لدى الفرد .

التعيين : هو الطريقة التي يتمثل بواسطتها الشخص ، سمات شخص آخر ويجعلها جزءاً مكوناً لشخصيته ذاتها . فهو يتعلم خفض التوتر بصياغته سلوكه على غرار سلوك شخص آخر . والتوحد أو التعيين هو أكثر من مجرد تقليد الشخص الآخر ، وأكثر من مجرد المشاركة الوجدانية معه . إنه يعنى أن الفرد يحس أنه هو الشخص الآخر . وليس من الضروري أن يتعين شخص بشخص آخر من جميع الجوانب ، بل إنه عادة ما يختار ويستدج حسب تلك السمات التي يعتقد أنها ستساعده في بلوغ الهدف الذي يرغب فيه .

ويمكن للمرء أن يتعين بالحيوانات والشخصيات الخيالية والأنظمة والأفكار المجردة والموضوعات غير الحية بقدر ما يمكنه أن يتعين بالسكانات البشرية الأخرى .

والنماء النهائي للشخصية يمثل تراكم العديد من التهيينات وهو تراكم يحدث في فترات متباعدة من حياة الشخص ، وإن كان الاحتمال أن الأب والأم هما أهم الشخصيات التي يتعين بهما الطفل في حياته (هول ولندزى ص ٧٠) .

تلك هي بعض المعالم البارزة والمبادئ الهامة لنظرية فرويد في الشخصية وهي بطبيعة الحال لا تغنى القارىء عن قراءة أهم ما كتبه فرويد في الشخصية مثل « تفسير الأحلام » (١٩٠٠) و « علم النفس المرضي في الحياة اليومية » (١٩٠٤) ومقدمة عامة في التحليل النفسى « (١٩١٧) » و « محاضرات تمهيدية »

جديدة فى التحليل النفسى (١٩٣٣) و « معالم التحليل النفسى » (١٩٤٠) .

ومع ذلك ، فلم تتمرض أية نظرية أخرى فى علم النفس لأوجه النقد مثلما
تمرضت له نظرية فرويد . وقد جاء الهجوم من جوانب عديدة ، وحتى فى
حياة فرويد نفسه ، وفى المراحل الأولى من وضع النظرية . فقد خرج عليه
بعض أتباعه الكبار من أمثال يونج وأدلر ، كما قام المحدثون من المحللين النفسيين
بإدخال بعض التعديلات على نواحي هامة فى نظرية فرويد على نحو ما نجد فى
كتابات « كارن هورفى وسوليفان ، وغيرهما . وليس من السهل هنا استعراض
كل ما وجه إلى هذه النظرية من نقد وتجريح . فالكثير منها ، على نحو
ما يذهب هول ولندزى ، لا يكاد يكون أكثر من صوت أناس ملوكهم
الغضب . لكن من الممكن أن نشير إلى بعض أوجه النقد الهامة التى وجهت
إلى هذه النظرية .

من ذلك مثلاً أن ثمة قصوراً خطيراً فى الخطوات التجريبية التى استخدمها
فرويد فى إثبات صدق فروضه . فقد أجرى فرويد ملاحظاته فى ظروف
نفتقر إلى عوامل الضبط . وكذلك يعترف فرويد أنه لم يسجل لفظياً ما يقوله
هو والمرضى وما يفعلونه فى ساعة العلاج ، وإنما كان يعمل من مذكرات
يسجلها بعد ذلك بساعات عديدة . وليس ثمة شك أن الدسيان والتعريف
والخذف تؤثر بدورها فى كل ما نحصل عليه من مادة مما يضعف من
عامل الثقة .

وثمة نقد آخر يؤخذ على فرويد هو قبوله لما يقوله مرضاه كما هو ، دون
محاولة التيقن منه ، عن طريق استخدام أى شكل من أشكال البرهان الخارجى .
وليس ثمة شك أن ذلك يبعد هذه الطريقة عن الأسلوب العلمى المتبع فى فروع
العلم المختلفة . أى أنه كان من الواجب على فرويد الحصول على برهان أو دليل
من الأقارب أو المعارف أو الوثائق أو نتائج الاختبارات والمعلومات الطبية

وغيرها . إلا أن فرويد كان يرى أن ما هو هام لفهم السلوك الانساني هو المعرفة الشاملة باللاشعور الذي يمكن الوصول اليه عن طريق التداعي الحر ووحدة وتحليل الاحلام .

ثم أن فرويد نجح أية معالجة كمية لمواده التجريبية ، الأمر الذي يجعل من المستحيل وزن الأدلة الإحصائية لملاحظاته وثباتها في أى عدد من الحالات . مثلاً ، وجد فرويد ارتباطاً بين جنون البارانونيا (جنون العظمة والاضطهاد) والجنسية المثلية ، وبين المستيريا والتثيت على المرحلة الفمية ، وبين الرغبة والفويا ، وبين مشهد أولى وعدم الاستقرار والثبات . فكم عدد الحالات التى درسها من تنتمى الى نمط معين ، وإلى أى الطبقات والأصول تنتمى هذه الحالات ؟ وما هى المقاييس والمعايير التى استخدمت فى نسبة حالة معينة إلى فئة اكلينيكية محددة ؟ وهل كان يحدث أن يراجع فرويد تفسيراته على تفسيرات محلل آخر كفاء حتى يتيقن من ثبات حكمه ؟ إن هذه الأسئلة وغيرها تلقى الكثير من الشك فى نفوس علماء النفس الذين يدينون بالانجاء السكى (هول ولندزى ص ٩٦) .

ثم إن البعض ينتقد استخدام فرويد فى تفسيره لجوانب الشخصية ، مفهومات أقرب إلى التصورات الخرافية منها إلى المفهومات العلمية . فهو يتحدث مثلاً عن « أجهزة » الشخصية . ويجعل الشخصية أشبه بمسرح تتصارع فيه قوى مختلفة وكان لها كياناتها الخاصة . فهناك هو والانا والأنا الأعلى . والآخر يتصارع مع الأول ، والثانى يحاول أن يوفق بينهما . وهناك العقد النفسية الموجودة فى اللاشعور والتى تحاول جاهدة أن تدخل إلى مسرح الشعور لتثير القلق والاضطراب فى الأنا ، والتى يحول الرقيب بينها وبين مسرح الشعور ، فتلجأ إلى الرمزية والتخفى والقيام بصور مقنعة لعلمها تفلح فيما تريد . كل هذه أقرب إلى التشبيهات والصور الخرافية . ولا يمكن لمثل هذه التشبيهات

أن يستند إليها في بناء نظرية علمية في الشخصية ، فثل هذه التشبيهات لا تساعد على تفسير أو فهم مظاهر السلوك المختلفة أو التنبؤ بها وهي جميعها جوانب هامة في أية نظرية علمية .

ورغم كل ذلك ، فقد فتحت نظرية فرويد أفاقاً جديدة ، ووجهت النظر إلى الكثير من الحقائق التي تتصل بالنفس البشرية ، لم تكن معروفة من قبل . فقد كشفت بوضوح عن العلاقة بين تنظيم الشخصية وماضى الشخص ، والآثار التي تتركها خبرات الطفل الإنفعالية في سنواته الأولى . كما كشفت أيضاً هذه النظرية عن أن شخصية الفرد تتحدد أيضاً نتيجة تفاعله أو صراعه مع العوامل البيئية المحيطة به ، بما في ذلك البيئة الداخلية ، وأن ذلك يتم في الغالب على مستوى لا شعوري ، وهي نقطة لم تكن معروفة بوضوح في قبل .

وعلى العموم فقد كانت الكثير من أفكار فرويد مثيرة ومتحدية ، كما كان تصورهِ للإنسان تصور شامل وعميق ، كما أن نظريته كانت محاولة لتصوير الشخص المكتمل الحى الذى يعيش جزئياً - فى عالم الواقع - ، وجزئياً - فى عالم الهم ، تحاصره الصراعات والتناقضات الداخلية . وبرغم هذا ، فهو قادر على التفكير والعمل العقلى ، بحركة قوى لا يعرف عنها إلا القليل ، وطموح لا طاقة له على بلوغه ، آناً تختلط الأمور عليه ، وآناً آخر يصفود منه ويتفاديه الإحباط والاشباع ، الأمل ، واليأس ، والأثرة والإيثار ؛ إنه يابحاز كائن بشرى معقد (١) .

(١) ك هول ولندزى : نظريات العنصرية : ترجمة د. فرج أحمد فرج وقدرى حنفى ولطفى محمد
طليم : القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١ ص ٩٩

الفصل السابع عشر

نظرية يونج (١٨٧٥ - ١٩٦١)

كارل جوستاف يونج طبيب نفسى سويسرى . أهتم بأعمال فرويد ونظريته بعد قراءة كتابه فى تفسير الأحلام ، عقب نشره مباشرة عام ١٩٠٠ . وبدأ يرسل فرويد بانتظام سنة ١٩٠٦ ، ثم زار فرويد وجماعة الأربعماء بفينا سنة ١٩٠٧ . وتصادق الرجلان ونظر إليه فرويد على أنه أحد زعماء حركة التحليل النفسى وخليفته . وقد رافق يونج فرويد فى زيارة إلى أمريكا عام ١٩٠٩ لإلقاء محاضرات بجامعة كلارك ، وعاد مرة أخرى لأمريكا لإلقاء محاضرات إضافية . وعندما أسس الاتحاد الدولى للتحليل النفسى سنة ١٩١٠ ، نصب يونج أول رئيس للاتحاد رغم معارضة جماعة فينا ، وكان أغلبهم من اليهود الذين كانوا يرون الاحتفاظ برئاسة هذه الحركة بأيديهم . ولكن فرويد تمكن من التغلب على مقاومتهم وأختير يونج لهذا المنصب . غير أن العلاقة بدأت تقترب بين الرجلين بعد ذلك بفترة وجيزة . وربما كان سبب ذلك اختلاف وجهات النظر ، رفض يونج الأخذ بمبدأ الجنسية الشاملة عند فرويد كبداً لتفسير كل مظاهر السلوك ، وكذلك آراءه فى بعض المفاهيم التى وضعها فرويد كالليبدو . وقد انقطعت المراسلات بينهما منذ ١٩١٢ وأنسحب يونج من الاتحاد الدولى للتحليل النفسى عام ١٩١٤ ، وأسس لنفسه مدرسة خاصة به وأصبح منهجه فى التحليل والعلاج النفسى يعرف باسم علم النفس التحليلى Analytical Psychology . ولم يتقابل الرجلان بعد تلك السنة قط .

وسوف نقصر دراستنا هنا على نظرية يونج فى الخصية من ناحية بنائها .

ودينامياتها ونموها دون التعرض لمنهج التحليل كتداعى السمكيات أو تحليل الحلم وغيرها ، رغم أهمية ذلك بالنسبة لعمله .

ويمكن أن نلقى نظرة على الاتجاهات الأساسية عند يونج . فعلى الرغم من أن نظرية يونج للشخصية تعتبر عادة نظرية في التحليل النفسى بسبب تركيزها للعمليات اللاشعورية ، إلا أن ثمة اختلافاً جوهرياً بينها وبين نظرية فرويد . فعلى حين يؤكد فرويد الرابطة الوثيقة بالماضى ، فإن يونج يؤكد الحاضر كعامل أساسى فى تفسير سلوك الفرد . ولم يكتف يونج بتوكيد الحاضر فحسب ، بل اعتقد أيضاً بضرورة النظر إلى المستقبل . فمستقبل الفرد ومقاصده يعد فى نظر يونج له أهمية كبيرة فى توجيه سلوك الإنسان ، كأهمية الماضى تماماً . ومن هنا يمكن القول بأن السمة البارزة فى نظرية يونج والأكثر تمايزاً ، هى جمعه بين الغائية والعلمية . فسلوك الإنسان ليس مشروطاً فحسب بتاريخه الفردى والعنصرى (العلمية) ، بل وكذلك بأهدافه وبمختلف ضروب طموحه (الغائية) ؛ وكل من الماضى كدافع ، والمستقبل كإمكان ، يقود سلوك الفرد فى الحاضر . إن نظرة يونج إلى الشخصية نظرة إلى المستقبل ، بمعنى أنها تنظر إلى الأمام متطلعة إلى مستقبل نمو الشخص وإلى تطوره ؛ كما أنها نظرة إلى الخلف ، بمعنى أنها تأخذ الماضى فى اعتبارها . وكما عبر يونج نفسه عن هذه النظرة ، إن الإنسان تحركه الأهداف بقدر ما تحركه الأسباب (١) .

وقد إنعكست هذه النظرة فى أسلوبه فى العلاج الذى أخذ يقلل من الاهتمام بـماضى الفرد ، وتوجيه الإهتمام أكثر وأكثر نحو حاضره وأهدافه المستقبلية . كما نظر إلى الإنسان باعتباره أكثر قدرة على الإبداع ، وأنه أقل

(١) حول ولندزى : نظريات الشخصية مرجعة د . فرج احمد فرج وآخرون . القاهرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب والعدد ١٩٧١ . ص ١٠٩ .

سلبية في موقفه بالنسبة للتأثيرات البيئية من فرويد . ولذا فإن سيكولوجيته ونظرته إلى الإنسان أكثر تفاؤلا .
ويمكن أن نشير إلى أهم المبادئ الأساسية التي تقوم عليها نظرية يونج في الشخصية .

١ - مبدأ القطبية :

ومن الأفكار الهامة التي اقتنع بها يونج أن العالم — وربما السكون بأسره — أحياء وجمادات — قد وجد بسبب التعارض القائم بين الأشياء . فهناك دائماً — ويجب أن يكون هناك دائماً — تعارض . والتعارض يستدعي الصراع . والحياة بدون صراع لا تساوى شيئاً . فالصراع هو المادة الخام الأساسية للحياة . وهذا الصراع هو الذي يدفع إلى الأمام ويحدث التقدم . وبدون الصراع لا يحدث شيئاً . فالتقدم والحركة وتغير الأوضاع كلها تكون ممكنة فقط تحت ظروف الضغط . والرغبة في إزالة الضغط عن طريق القوة المضادة هي التي تجعل الشيء الأصلي يتحرك في صورة عمل . فالتعارض والصراع والضغط الناتج وإزالة التوتر هي أشياء لا بد منها لتقدم العالم الذي نعيش فيه . وبلغة مبتازينية نوعاً ما ، يقول يونج إن كل ما يوجد له شيء آخر مقابل ، حتى لو كان هذا المقابل هو عدم وجود الشيء الأصلي . فهناك حياة — لاهياة ، جوع — لا جوع ، حب — لا حب ، منزل — لا منزل . وهناك تعارضات كثيرة في هذا الوجود على نحو ما يتجلى لنا مثلاً بشكل محسوس في الصدام الذي يحدث بين قوتين كبيرتين في حالة حرب . وهذا يوضح لنا وجود كميات حقيقية واقعية في حالة تعارض .

وعلى عكس نظرة فرويد إلى الشخصية باعتبارها كما لو كانت منزلاً منقسماً على نفسه ، ولا يصل أبداً إلى حالة هدوء واستقرار ، فإن يونج يقترح

نهاية سعيدة لقصة التعارض هذه . فهناك حالة توازن تحدث بين هذه القوى المتعاضدة . حقيقة إن التوازن الحقيقي يكون قصير الأمد ، ولكنه مع ذلك داليل على حدوث تقدم . لقد افترض يونج أساليب ثلاثة تتخذها النفس لحل صراعاتها هي التعويض والاتحاد والتعارض .

أما التعويض فهو عندما تشعر الشخصية بأنها في حالة صراع نتيجة عجزها عن تحقيق هدف مرغوب فيه ، فإنها قد تبحث لها عن أهداف أخرى ، لها نفس الجاذبية ويترتب على تحقيقها إزالة هذا الصراع . وهذا التعويض يحرك الشخصية ويدفعها إلى الأمام نحو موقف جديد ، رغم أنه قد لا يكون هو الموقف الأصلي الذي تهدف إليه . المهم في نظر يونج أن الشخصية قد فعلت شيئاً وتحركت بعيداً عن الموقف الذي أحدث عدم تحقيقه ، صراعاً . وقد لا يكون للفعل الرمزي نفس قوة الفعل المادى وأهميته في عملية التعويض . فالحلم بتحقيق شيء ما والسيطرة عليه — رغم أهمية الحلم كظاهرة سلوكية في نظر يونج — ليس فعلاً تعويضياً حقيقياً .

وقد يظهر التعويض بين الاتجاهات والوظائف المختلفة للشخصية . فقد يظهر التعويض بين الإنطواء والإنبساط . فإذا كان الإنطواء هو السائد في الأنا الشعورى ، فإن اللاشعور يقوم بعملية تعويض وتقوية الإنبساط المكبوت . فإذا أحبط الإنطواء بشكل ما ، أحكم الإنبساط قبضته على الشخصية وفرض نفسه عليها . وكذلك الحال بالنسبة للوظائف . فالشخص الذى يكون من النوع الفكرى الوجدانى فى عقله الشعورى ، يكون نمطه اللاشعورى من النوع الحسى — الحدسى ، على نحو ما سنوضح بعد عند حديثنا عن الانجهاات والوظائف . وعلى كل حال ، فإن التعويض الناتج عن الصراع يفيد في نظر يونج إذ يعين على دفع الشخصية إلى التقدم وإلى الأمام .

أما الأسلوب الثاني وهو الاتحاد ، فقد تتحد قوتين مما للبحث عن حل مناسب لسلبيهما . والاتحاد أو الوحدة تؤدي إلى التقدم . فعندما يتدخل شخص في صراع أو نزاع بين فردين من أسرة واحدة ، فقد يتحول النزاع بينهما إلى نزاع مع الشخص الآخر الذي يتدخل لفض النزاع بينهما . أى أنهما يتحدان معا ضد هذا الشخص المتدخل . وهذا ما نعبر عنه أحيانا في لغتنا الدارجة بقولنا : أنا وأخى على ابن عمى ، وأنا وابن عمى على الغريب . وما أن يسود الوثام بين الطرفين المتنازعين ، فإن الطاقة المكبوتة تكون قد استنفدت واستهلكت في قوة نائلة . وقد نجد ذلك أحيانا بين الأمم حين تتحالف دولتان متصارعتان من أجل مواجهة عدو ثالث يترهب بسكليتيهما . وباختصار ، فإن اتحاد القوى المتصارعة قد يكون سبيلا لحل الصراع .

أما الأسلوب الثالث من الفعل الذي يؤدي فيه التعارض إلى الحركة واحتمال التقدم ، فيمكن أن يتمثل جيدا في المنافسة كالمنافسة بين تلميذين من أجل الحصول على أعلى تقدير في الامتحان . فقد يؤدي الصراع بينهما إلى حفز كل منهما على العمل وأن يصل إلى ما وراء مجرد التعلم للمادة الدراسية . ولعل المنافسة التجارية بين الشركات والمصانع هي أحد الأسباب التي أدت إلى تقدم الإنتاج وتحسن نوعه وخفض الأسعار وزيادة الخدمات أى أنها دفعت إلى التقدم وإلى الأمام .

وفي ضوء مبدأ القطبية ، أمكن ليونج دراسة الجوانب المختلفة التي رأى أنها تسكن في الشخصية الإنسانية والتي تخضع لهذا المبدأ . ويرتبط مبدأ القطبية بمبدأين آخرين هما مبدأ التعادل ومبدأ الانتقال .

مبدأ التعادل : وهذا المبدأ مستمد من مجال الطبيعة ويعرف باسم المبدأ الأول للديناميكا الحرارية . ويسمى أحيانا بمبدأ حفظ الطاقة ، فالطاقة التي

نستخدم لتخير حالة شيء ما ، لانتخفى ، ولكن سوف تعود إلى الظهور بصورة أخرى في شيء آخر . وهذا المبدأ على نحو ما يستخدمه يونج في الوظيفة النفسية يقرر أنه إذا ضعفت قيمة معينة أو اختفت ، فإن مجموع الطاقة التي تمثلها هذه القيمة لن تفقدها النفس وإنما تعود إلى الظهور مرة أخرى في قيمة جديدة . فانخفاض قيمة ما يعنى بالضرورة رفع قيمة أخرى . والرغبة في التحول من نشاط واحد ، قد توجه إلى أنشطة أخرى مختلفة . ولكن ماذا يحدث عندما نكبت الرغبة . هذا السؤال هام بالنسبة ليونج ، لأن منه تصدر الحياة الرمزية للإنسان والتي خلالها يحلم الفرد أن يوجه أنشطته في الخيال نحو هدف مرغوب فيه . فالطاقة المحفوظة يعاد توجيهها نحو الشيء المرغوب فيه خلال عالم الحلم ، سواء كانت أحلام نوم أم أحلام بقطعة . فالإنسان يستطيع أن يحلم طريقته الذي يسلكه نحو حل صراعاته .

مبدأ الانتقال : وهذا هو المبدأ الثاني المستمد من مجال الطبيعة وهو ما يعرف باسم المبدأ الثاني للديناميكا الحرارية ، وهو يقرر أنه عندما يوصل جسمان مختلف درجة حرارتهما ، فإن الحرارة تنتقل من الجسم الأعلى درجة إلى الجسم الأقل درجة . المهم أن يكون الجسمان من نفس النوع أو نفس النمط ، كالإنسان والإنسان أو الحيوان والحيوان والمعدن والمعدن ، وعند ما تكون الأجسام متصلة ، فإن الجسم الأعلى شحنة يفقد بعض شحنته إلى أن يتساوى الجسمان بالنسبة للخصائص المتبادلة ، فقداران من الماء على مستويين مختلفين سوف يتساويان من حيث المستوى عندما يوصل أحدهما بالآخر . والحالة التي تنتج عن ذلك هي فقد الطاقة عندما يبلغ الجسمان حالة التوازن ، ولكن عند تطبيق هذا المبدأ الطبيعي على ديناميات الشخصية ، يلزم تقديم اتساعات أخرى للنظرية ، فالشخصية ليست نظاماً مغلقاً تماماً ، ولذا فلن تبلغ الشخصية حالة التوازن التام داخل الفرد الواحد بالنسبة للشعاعين أو حالة توازن

حقيقى بين شخصين . ورغم أن حدوث التوازن التام صعب تحقيقه ، لسكون الإنسان نظاماً مغلقاً جزئياً يخضع لتأثيرات داخلية وخارجية ، فإنه كلما اقترب من تحقيق ذلك ، أصبح أقرب إلى الطمأنينة والامن .

وفي ضوء مبدأ القطبية وما يرتبط به من مبدأى التبادل والانتقال ، يفسر يونج الكثير من الظواهر والنظم التى تظهر واضحة فى الشخصية . فمنهاك العنسية ضد الغائية ، والإعلاء ضد السكبت : و ، الانبيا ضد الانيموس ، ، والحاجات المعنوية ضد الحاجات الثقافية ، والطاقة المادية ضد الطاقة النفسية ، والوظائف العليا ضد الوظائف الدنيا ، والشعور ضد اللاشعور ، واللاشعور الشخصى ضد اللاشعور الجمعى ، والتقدم ضد النكوص ، والانبساط ضد الانطواء . وفي ضوء هذا كله ، فإن مبدأ القطبية يعد من المبادئ الهامة التى تفسر سيكولوجية يونج ، وبه ترتبط كثير من الظواهر الهامة التى درسها يونج فى بناء الشخصية ونموها ودينامياتها .

٢ — تحقيق الذات :

ولعل الهدف الاساسى من نمو شخصية الفرد هو تحقيق ذاته ، ولقد كان يونج من النوع المتفائل بالنسبة للإنسان ومستقبله . ورغم أنه أطلع بعمق على الكثير مما كتب وقيل عن ماضى الإنسان سواء فى الميثولوجيا أو علم النفس ، إلا أن اهتمامه الاساسى كان منصبا على دراسة مستقبل الإنسان لقد وجد المستقبل حسنا ، فهو أفضل من الماضى . وجميع الدلالات تشير إلى أن مستقبل الإنسان سوف يظل يتحسن عما كان عليه فى الماضى ، فالرجل الحديث فى نظره قد تقدم كثيراً عما كان عليه الرجل البدائى . وليس ثمة ما يدعو إلى الشك أن الإنسان سوف يتغلب على الكثير من مشكلات الحياة التى واجهته فى الماضى كشكلة الجوع والفقر والمرض وأن يصل إلى أسباب السعادة فى كثير من أمور الحياة .

والتحسن التدريجي الانسان لا يصدر عن جهد جمعي كئلى ، وإنما يصدر فقط من خلال تحسن الشخصية الفردية . والإنسان يعمل فى إنساق مع غيره من الأفراد ، أساساً من أجل السعادة ومن أجل التعاون المتبادل ونؤكد يونج فى هذا الصدد كان يتركز أكثر على الشخصية الفردية . فكيف تصل شخصية الإنسان إلى أعلى مستوى من تحقيق الذات . وما هى المكونات الأساسية لنظام الشخصية التى عليه أن يستخدمها وكيف يعمل على استخدامها ؟

أما فيما يتعلق بمكونات تحقيق الذات . فإن الشخصية تتكون من أجزاء أو نظم متعددة هى الأنا والذات وحالات الشعور واللاشعور والوظائف والقناع واتجاهات الانطواء والانبساط ونظم الطاقة النفسية والجسمية ، وعلى قمة هذا كله توجد الذات . ويستعمل يونج لفظ نفس psyché مرادفاً للفظ الشخصية . وأعلى مستوى للتفاعل داخل النفس هو الذات . وهذا يدعونا إلى دراسة بناء الشخصية ومكوناتها عند يونج بما يلقى الضوء على نظريته فى الشخصية .

بناء الشخصية :

لقد قدم هول ولندزى فى كتابهما نظريات الشخصية صورة واضحة عن البناء النفسى أو بناء الشخصية عند يونج فى قولهما : إن الشخصية الكلية أو النفس كما يسميها يونج تتكون من عدد من الأنظمة المنفصلة وليكنها متفاعلة مع ذلك فيما بينها . وأهم هذه الأنظمة هى : الأنا واللاشعور الشخصى وعقده . واللاشعور الجمعى وأنماطه الأولية ، والقناع والأنيا أو الأنيموس وأخيراً الظل . وبالإضافة إلى هذه الأنظمة المترابطة فيما بينها ، توجد الاتجاهات الانطوائية والانبساطية ووظائف التفكير والوجدان والإحساس والحدس . وأخيراً توجد الذات التى هى الشخصية المكتملة النمو والمكتملة الوحدة ،

وسوف نعرض باختصار لهذه المكونات الأساسية للشخصية :

الآنا Ego : مفهوم الآنا عند يونج يشمل فقط الأنشطة العقلية الشعورية للإنسان . إنه شيء أقرب إلى فكرة الرجل العادي عن نفسه ، إنه العقل الواعي في صلته بالواقع ، ويتكون الآنا من المدركات الشعورية والذكريات والأفكار والوجدانات . فالآنا مسئول عن العمليات الشعورية كالتهكير والإدراكات وإحساسات التوحد في العالم الذي نعيش فيه ، وعن طريق الآنا يعرف الإنسان نفسه ، بل هو خير ما يعرفه الإنسان من مكونات شخصيته ويعمل على مستواه في حياته اليومية . فالآنا هو الذي يوقظه ويذهب ، وهو الذي يذكره بالأشياء التي يجب عليه القيام بها ، وهو الذي يتخذ له القرارات الهامة في حياته اليومية . والآنا في نظر يونج ، يوجد في مركز العالم الشعوري للفرد ، ولكنه بسبب ذلك ، قد يدخل في صراع مع العالم اللاشعوري . فالناس الذين يحسون أساساً على مستوى الآنا الشعوري ، يحسون بالغضب لفكرة أن جزءاً من أنفسهم أو شخصياتهم يوجد في خارج مستوى الشعور ، وهذا يمكن تفسيره في نظر يونج . فالشعور واللاشعور متعارضان ، والفرد الموجه شعورياً بشكل أساسي ، يشعر بالضيق والاستياء من تدخل اللاشعور وتطفله . فهو يحس أن ذلك ضعف أو نقص في الحقيقة على نحو ما يعرفها في عالمه الشعوري ، ومع ذلك يقوم اللاشعور بمحاولات ليعبر بها عن نفسه من خلال الأحلام والتفكير الاجتراري والاعتماد على الرمز ، ويكون الصراع أحياناً قوياً بين الشعور واللاشعور . فكلما زاد إنكار الآنا الموجه شعورياً لفكرة اللاشعور ، زادت محاولة اللاشعور لإثبات وجوده . وأخيراً - وفي حوالى الأربعينيات - تمهد الآنا السبيل لظهور الذات ، والتي تمثل في نهاية الأمر ذروة البناء ، والتي تستخدم كل من الحالات الشعورية واللاشعورية عند الفرد ، فالذات هي وريثة دور الآنا القديم .

اللاشعور الشخصي : Personal Unconscious :

والخبرات التي يمر بها الفرد لا تلتصق أو تختفي تماماً . وإنما تصبح بدلاً من ذلك جزءاً من لاشعوره الشخصي . وهذا اللاشعور الشخصي هو مستودع خبرة الفرد . ومن هنا فإن لكل فرد لاشعوره الشخصي ، الذي يختلف عن اللاشعور الشخصي ، للفرد الآخر . والخبرة التي تدخل اللاشعور الشخصي إما أن تكون قد كتبت لا إرادياً ، أو قمت إرادياً ، باعتبارها ذكرى مؤلمة بسبب الإضطراب للأنف ، أو أنها من الضعف بحيث لم تترك أى انطباع شعوري في النفس . واللاشعور الشخصي منطقة مرتبطة بالأنف . ولهذا فهناك تبادل وحركة بين الأنف واللاشعور الشخصي . ومن الممكن استحضار الكثير من مادة اللاشعور الشخصي إلى الشعور لتساعد الفرد في حياته اليومية ولكن - كما هو الحال بالنسبة للكبت عند فرويد - قد يصبح الفرد عاجزاً أحياناً عن استحضار الأفكار المكبوتة . ورغم ذلك فتتار الانتقال حر بين الشعور واللاشعور الشخصي . ويرى يونج أن الفرد لا يقدر تقديره كاملاً قيمة اللاشعور الشخصي في حياته اليومية .

العقد : Complexes :

وما إن يباشر الإنسان حياته ويجمع خبراته من مجالات متعددة ، حتى تبدأ تتكون محاور أو نواة أو تجمع من الذكريات والوجدانات والأفكار والمشاعر حول ظواهر معينة . وهذه المحاور الرئيسية للخبرة هي التي تعرف باسم العقد . ومن أمثلتها عقدة الأم ، وعقدة الأب ، وعقدة القوة ، أو أى نوع من العقد التي لها محور رئيسي من الخبرات يكون من القوة لدرجة يبقى في مجال الأنف . وكما نشأ هذه العقد من الخبرات المنكسرة المفسدة والقوية لدرجة تتحرك آثارها في الأنف ، فإنها تحقق بالمثل وظيفة أخرى هي جذب

وتفسير خبرات جديدة حول العقدة التي سبق أن تكونت . وهذا ما يسميه
يونج باسم « قوة تجمع العقدة » فثلا الناس الذين لديهم عقداً تتركز حول
الحياة الخلوية والمعيشة البدائية البسيطة ، قد يحرفون ويشكلون أية خبرة
لتفسيرها في ضوء عقدة « قيمة الحياة الخلوية »

وفي معظم الأحيان توجد العقدة ونواتها الرئيسية في اللاشعور الشخصي .
والفرد لا يكون على معرفة تامة بأنه يفسر أو يستخدم الكثير من الظواهر
المرضية الغريبة في خدمة عقده . ومع ذلك ، فقد توجد العقدة في مستوى
الآنا الشعوري . وغالباً في مثل هذه الأحوال ، قد يبرر الفرد تفسيره النطلي
للأحداث في ضوء عقده ، وبخاصة إذا كشف له عنها آخرون من ذوي
العقلية غير المعقدة . ومع ذلك ، ففي أغلب الأحيان ، فإن العقدة سوف تقيد
من الخبرة المشابهة أكثر مما تقيد من الخبرة المتنافرة . والأشخاص الذين
لديهم عقداً من نفس نمط قوة التجمع ، غالباً ما يتجمعون معاً في
تنظيمات واحدة .

وقد يعاون اللاشعور الشخصي اللاشعور الجمعي أحدهما الآخر في استخدام
الفرد للعقد . وليس من النادر أن يعيد اللاشعور الشخصي بعض بقعة الأنماط
الأولية القديمة والموجودة في الماضي البعيد الذي يمتد إلى اللاشعور الجمعي . فالحياة
الخلوية أو الحياة في المعسكرات قد تكون امتدادات لوجود الإنسان القديم
على ظهر الأرض . وبالمثل ، فإن حياة الصيد والقنص قد تقوى هذا النمط
الأولي على نحو ما جاء إلينا عبر الأجيال عن طريق اللاشعور الجمعي .
فأحدهما يعطي العقدة خلفية ، من الإمكانيات الموروثة ، بينما الآخر يثرى
وينمي الخلفية ويعدّها للأجيال المقبلة التي قد ترث هذا النمط الأولي .

ويجب أن نتذكر أن اللاشعور الشخصى هو ماضى الفرد على نحو ما خبره بالفعل فى حياته . فإذا لم تكن هناك ممثلاً أو خلفيات لخبرة الحياة الخلوية ، فإن من الصعب إذن أن نوظف من جديد الخبرات الأولية ، حتى ولو كانت هذه الخبرات قد كُنت فى اللاشعور الجمعى كأنماط أولية .

اللاشعور الجمعى : Collective Unconscious:

واللاشعور الجمعى من السمات المميزة لنظرية يونج فى الشخصية . وقد أثار هذا المكون الكثير من الجدل بين علماء النفس . فكما سلم يونج باللاشعور الشخصى الذى تحتزن فيه الخبرات التى تمر بالفرد . كان من المنطوق أيضاً أن يسلم بوجود « لاشعور جمعى » تحتزن فيه الخبرات الماضية المتراكمة عبر الأجيال ، والتى مرت بالأسلاف القدامى والعنصر البشرى عامة . فمادام الفرد يمكنه أن يحتزن خبراته فى لاشعور شخصى ، فما الذى يمنعه أن يحتزن خبرات الجنس البشرى فى لاشعور أوسع وأبعد غوراً نسميه باللاشعور الجمعى . فالإنسان يجمع خبرات الأجيال ويحتزنها ليستفيد منها إذا وجدت الفرصة لذلك . ومادام الإنسان لم يتغير تغيراً جوهرياً على الأقل من حيث تكوينه العضوى البيولوجى ، فمن المعقول أن معظم خبراته الماضية يمكن أن تعاد . فالإنسان لا يزال يمر بخبرات مماثلة فى الأكل ، والنوم ، والحصول على الطعام ، والولادة ، وحماية النفس من الأخطار . وقد أخذت الأجيال الماضية خبرتها لتنتقلها إلينا ، ونحن ننقلها بدورنا إلى الأجيال المقبلة .

وإذا كان الإنسان ينقل مهاراته وخبراته واتجاهاته وعاداته لأولاده ، وهؤلاء بدورهم ينقلونها إلى أبنائهم وهكذا ، فإن من الطبيعى أن يهتم يونج بوسيلة الانتقال . إن الانتقال المباشر وحده من جيل لآخر ليس يسكنى

لنقل هذه الأفكار والخبرات المتراكمة . لذا كان من الطبيعي أن يعطى يونج أهمية كبيرة إلى الوراثة . ولذا فهو يذهب إلى أننا نرث ، خبرات ، الأجداد وخبرات المجلس البشرى المتراكمة . وهذه الخبرات ، أو بمعنى أدق إمكانات وجود نفس النظام من خبرات الأجداد والعنصر البشرى ، هى التى تورث فى شكل أنماط أولية . وهذا النمط الأولى هو ذاكرة العنصر التى أصبحت جزءاً من إرث الإنسان بفضل تكرارها على نظام عام شائع عبر الأجيال .

فاللاشعور الجمعى يحوى إذن كل الخبرات الإنسانية المتراكمة من الماضى السحيق والتى يمكن الرجوع بها إلى مرحلة ما قبل الإنسان ، بشرط أن تكون هذه الخبرات قد تكررت مرات عديدة ، وتركت آثارها فى مخ الإنسان . فهو إذن عام بين أفراد المجلس .

واللاشعور الجمعى هو الأساس العنصرى الموروث للبناء الكلى للشخصية . فعليه يبنى الأنا واللاشعور الشخصى وجميع المكتسبات الفردية الأخرى . فكل ما عليه الإنسان فى حاضره ، قد أرسيت أسسه فى اللاشعور الجمعى . ومهما فعل الإنسان فى عالمه الحديث ، فإنه يشيده وفق أنماط معينة مضت واختزنت فى اللاشعور الجمعى . وهذا ما يوضح لنا الكثير جداً من الأشياء المشتركة بين الإنسان البدائى القديم والإنسان الحديث . فالإنسان عبر الأجيال المتعاقبة ، لديه الاستعداد لعبادة القوة والسيطرة على نحو ما يظهر فى الحروب بين الأمم . ومثل هذه الظواهر العامة الشاملة لا يمكن أن تنتقل عبر الأجيال عن طريق العادة والقانون فقط ، بل إن الإنسان يرث هذه الأنماط أو بمعنى أدق يرث الاستعداد للقيام بهذه الأنماط . وعمومية بعض هذه الأنماط اللاشعورية ترجع إلى للتدعيمات المتكررة فى الماضى لإبتداء من حياة الحيوان حتى وصلنا إلى حياة الإنسان الحالى . والانحرافات القليلة نسبياً عن نمط اللاشعور الجمعى ، تعد حالات مرضية يكون فيها تعارض بين الأنا واللاشعور الشخصى وبين

الاشعور الجمعى . وبسبب قوة الاشعور الجمعى وكونه كلى الوجود ، فإن أى انحراف كبير عنه ، يسبب شذوذا وانحرافاً فى النفس . والتحدى القوى للاشعور الجمعى ، سوف يترتب عليه فقدان الإحساس بالسعادة عند الفرد . إن حب الأم مثلاً لا يتعلم عن طريق المثال ، ولكنه يورث من الماضى عبر الأجيال عن طريق الاشعور الجمعى . والحيوانات لا تزعى صفاتها تحت ضغط الإحساس بالواجب أو تحت ضغط الظروف الإجتماعية ، ولكن تحت تأثير الأنماط الخاصة الأولية للاشعور الجمعى . والإنسان - وهو أعلى الحيوانات جميعها مرتبة - يرث أيضاً نفس الميل فإذا اغفل هذا الميل أو لم يعمل على تدعيمه فى لاشعوره الشخصى ، فسوف يصبح ضحية التوتر والضغط الوجدانى .

والأنماط الأولية هو الاسم الذى أطلقه يونج على المكونات البنائية للاشعور الجمعى . وقد قدم يونج لها أسماء أخرى مثل : الصور الأولية البدائية و الصور الاسطورية ، و أنماط السلوك . . وقد سمي يونج وبعض مساعديه أسماء عـدد قليل من الأنماط الأولية ، وذهب إلى أن هناك أنماطاً أولية كثيرة لم يتعرف عليها ولم يسمها ، وكلها تلعب دوراً كبيراً فى تكوين شخصية الإنسان . ومن الأسماء القليلة التى أعطاها يونج للأنماط الأولية نذكر : الله ، الشيطان ، الأم ، الأب ، الطفل ، الميلاد ، الموت ، التناسخ أو الحياة بعد الموت ، نهاية العالم . والنمط شكل فكري مشاع وعام يتضمن قدراً كبيراً من الانفعال . وهذا الشكل الفكري يخلق صوراً أو رؤى تشابه فى حياة اليقظة العادية مع بعض جوانب الموقف الشعورى ، فالنمط الأول الأم مثلاً ينتج صورة لشخص الأم تتعين بالأم الحقيقية . وبعبارة أخرى إن الطفل يرث تصور أذهنا عن الأم عامة وهذا يحدد إلى حد ما - كيف يدرك الطفل أمه هو . كما أن إدراك الطفل يتأثر بطبيعة الأم

والخبرات التي تربط الطفل بها . ومن هنا ، فإن خبرة الطفل هي نتاج مشترك لاستعداد داخلي لإدراك العالم بصورة معينة ، والطبيعة الفعلية لهذا العالم . وهذان المحددان غالباً ما يتفقان ، لأن النمط الأول نفسه هو نتاج الخبرات المعنوية بالعالم ، كما أن هذه الخبرات كبيرة الشبه بتلك التي يعيشها أى شخص في أى عصر وفي أى مكان . ومعنى ذلك أن طبيعة الأمهات - أى ما يقدم به من أعمال - قد ظلت على ما هي عليه خلال تاريخ الجنس البشرى . وبذلك ، فإن صورة الأم التي يرثها الطفل تتفق والأم الفعلية التي يتفاعل معها الطفل .

والأنماط الأولية ليست بالضرورة منفصلة إحداها عن الأخرى في اللاشعور الجمعي ، وإنما هي تتداخل وتتراط فيما بينها . فالنمط الأول للبطل قد امتزج بالنمط الأول للرجل الحسن الحكيم ، لينتجاً معاً مفهوم « الملك الفيلسوف » ، الذي يشار إليه باحترام ويحظى بتقدير الأفراد لأنه يجمع في نفس الوقت بين البطل والحكيم .

القناع Persona

لقد استعار يونج المصطلح اليوناني القديم برسونا Persona ومعناه القناع ليصف به « الوجه الذي يتقدم به الإنسان للمجتمع . فنحن في حياتنا اليومية العادية ، قد نجد ضرورياً أحياناً أن نغلف ذواتنا الحقيقية بغلاف خادع ونلبسها قناعاً لتبدو للعالم في مظهر يتفق والجماعة . ولعل هذا هو السبب الذي جعل يونج يحتفظ في نظريته بالمصطلح الأصلي « برسونا » ، وعرفه بقوله « قناع العقل الجمعي ، قناع يخفي وراءه الفردية ... فهو جزء من المسرحية ينطق به العقل الجمعي » .

وهذا الوجه الذي يبدو به الإنسان أمام المجتمع قد يكون غريباً تماماً عن

وجداناته ومقاصده الحقيقية . والإنسان يشق قناعه من الأدوار التي يقرر لها المجتمع واستجابته لمطالب المقتضيات الإجتماعية والتقاليد ، وكذلك من قبله وخلقه أو تغييره لمفهوم المجتمع للدور الذي يقوم به . والشخص الذي يعيش أساساً خلف قناع عام هو أشبه بالإنسان ، منه بالإنسان الحقيقي الذي يحقق ذاته . ومثل هذا الشخص قد ينحرف كثيراً عن مشاعره ووجداناته الحقيقية بحيث يصبح غريباً عن ذاته ، مما يتعذر معه على الفرد أن يحقق ذاته . ولعل هذا في نظر يونج هو أحد الأسباب الرئيسية التي تجعل الفرد شديد الاضطراب ، انفعالياً في المجتمع الحديث . ومثل هذا الإنسان الشخصى يعيش بأهداف وأغراض زائفة . فذاته الحقيقية ، وذاته كما يدور بها أمام المجتمع تصبحان متباعدتين تباعداً كبيراً لدرجة يستحيل معها على الفرد خلق ذات حقيقية تتفق ومثله وأهدافه الخاصة . وكلما ابتعد الإنسان وانحرف عن تحقيق ذاته الحقيقية ، أصبح أقرب إلى الحالة المرضية منه إلى السواء . أما الشخص الذي يمكنه أن يتخفف من القناع ويصبح أقرب إلى تحقيق ذاته الحقيقية ، فإن يونج يسميه الإنسان الفردى Individual man . ومثل هذا الإنسان يمكنه أن يحقق ذاته في ضوء الأهداف والمقاصد التي يرسمها لذاته . ووفق مبدأ القطبية الهام عند يونج تكون الحياة صراعاً بين « شبه الإنسان الذي يخفى وراء القناع ، و « الإنسان الفردى » الذي يسعى إلى تحقيق ذاته (١) .

الانيميا والانيموس : The Anima and the Animus

لقد كان يونج جريئاً في القول بأن الإنسان ثنائى الجنسية ، وذلك قبل أن يصبح مثل هذا القول مقبولا بوقت طويل . فالإنسان في نظر يونج

(١) Erdham, Frieda : An Introduction to Jung's Psychology. Penguin Books 1959.

- وعلى نحو ما أوضحنا في حديثنا عن اللاشعور الجمعي - يرث عن أسلافه بعض الخصائص العامة ومنها الخصائص الذكرية والأنثوية التي توجد عند الجنسين . ويلسب يونج هذه الخصائص الذكرية والأنثوية إلى الأنماط الأولية ويطلق على النمط الأولي الأنثوي لدى الرجل اسم « أنيما » ، ويطلق على النمط الأولي الذكرى لدى الأنثى اسم « أيموس » . وهذان النمطان الأوليان ينموان ويتطوران - شأنهما في ذلك شأن أى نمط آخر - نتيجة للخبرات العضوية للرجل مع المرأة والمرأة مع الرجل ؛ أى أن الرجل يكتسب نتيجة حياته الطويلة مع المرأة عبر العصور الطويلة أنوثة ، على حين تسكتسب هى نتيجة حياتها الطويلة مع الرجل ، ذكورة .

وقد أشار يونج إلى أن الطبيعة السكبية للرجل تستلزم مقدماً المرأة ؛ والعكس صحيح . وبهذا المبدأ الأولي الذي يمكن أن يترآك عبر الأجيال ، يصبح الرجل والمرأة أكثر قدرة على تقدير كل منهما للآخر وفهم كل منهما لدور الآخر . فالرجل يصبح أكثر قدرة على تفهم طبيعة المرأة بما عنده من أيموس ، والمرأة تصبح أكثر قدرة على تفهم طبيعة الرجل بما عندها من « أنيما » .

الظل Shadow

والنمط الأولي للظل يتكون من هذا الجزء من اللاشعور الذي يرثه الفرد عن أجداده السابقين على الإنسان ، فهو يمثل الغرائز الحيوانية . ومن هنا ، فإن الدوافع اللاخلاقية والدوافع الشهوية تصدر أساساً من الظل . فالظل عند يونج يقوم مقام الموه والدوافع الشهوية في اللاشعور عند فرويد . فهو يمثل الغرائز الحيوانية البدائية المتوحشة في الإنسان . والسلوك السيء خلقياً الذي يستحق التأنيب يصدر عن اللاشعور الجمعي القديم الذي ورثه الإنسان عن

أجداده والسلالة الحيوانية. ومع ذلك، وخلافاً لما وجدناه عند فرويد، يذهب يونج إلى أن هذا الظل وهذا الجانب الحيوانى فى الإنسان يساعده على أن ينمى الاستقطابات اللازمة لوجود الإنسان والضرورية لتقديمه الحقيقى، فمن خلال العمل السىء، يتعلم الإنسان العمل الحسن، ويحاول أن يحقق حياة طيبة. يقول يونج: «إن الظل هو مشكلة خلقية تتحدى شخصية الأنا كلها». وهو بالإضافة إلى ذلك مشكلة اجتماعية بالغة الأهمية، ويجب عدم التقليل من أهميته ولا يمكن لأى إنسان أن يحقق الظل دون حل خلقى ملحوظ وإعادة التوجيه لبعض معايير وأفكاره.

الذات Self

وهذا النمط الأخير هو أهم الأنماط الأولية جميعها. وقد وجد يونج هذا النمط ممثلاً فى حضارات مختلفة. ويرمز إليه برمز مختلفة أهمها المانداالا Mandala أى الدوائر السحرية. وهى تمثل اشتهاؤ الإنسان للوحدة والكلية والتكامل فى الشخصية.

والذات التى تقع فى موضع وسط بين الشعور اللاشعور - تكون قادرة على إعطاء التوازن للشخصية كلها: النفس. إنها تفعل أكثر من إحداث التوازن للنفس. إنها تحفظ النفس فى حالة استقرار وثبات نسبي. ويحقق الإنسان فى العادة مثل هذا الاستقرار والثبات النسبي فى سن متقدمة بعد أن يكون قد تغلب على تهور المراهقة والاتجاه نحو العالم الخارجى فى بداية الرشد. وحين يتقدم الفرد نحو متوسط العمر، تحل اتجاهات الانطواء تدريجياً محل اتجاهات الانبساط. ولا يكون الفرد خلال هذه الفترة محتاجاً إلى نفس مقدار الطاقة الجسمية التى استخدمها فى بداية حياته، وبذلك تحل الطاقة النفسية محل الطاقة الجسمية لإحداث التوازن فى حياة الفرد حسب مبدأى التعادل

والانتقال . كما تصبح الحاجات العضوية أقل أهمية ، ويبدأ الفرد يستمتع بالحاجات الثقافية . والنتيجة النهائية لإعادة التوافقات هذه ، هي نفس متوازنة وذلك بسبب قدرات الذات على الانتقال من قطب لآخر والوصول إلى نقطة وسط إذا أمكن للذات تحقيق نفسها في معظم إمكانياتها . وكما سبق أن رأينا ، فإن الشخصية لن تصل إلى حالة التوازن الكامل والإشباع وذلك بسبب التأثيرات الخارجية غير المتوقعة للحياة .

غير أن يونج يذهب إلى أنه في حالات قليلة جداً بل ونادرة ، على نحو ما نجد بالنسبة لبعض الشخصيات الديدية كالرسل ، أن تبلغ النفس مكاناً قريباً من التوازن الكامل ، وقد ظهر اهتمام يونج بالدين والطقوس وبنظرية النرفانا في كثير من كتاباته عن توازن النفس .

أما يونج فيعتبر الوجدان وظيفة منطقية ، وهو موقف غير عادي إذا قورن بموقف غيره من السيكولوجيين . فالوجدان في نظره يعزو قيمة لشيء ما ، ولا يمكن لشخص أن يعزو قيمة لشيء ما دون القيام بمقارنته الشيء الأصلي بأشياء أخرى كثيرة ، ولحظة القيام بالمقارنة ، فإن استخدام عمليات التفكير الصادرة عن الوجدانات والفكر ، تعتبر صورة من السلوك المنطقي . ومن هنا ، فإن الوجدان في نظر يونج عقل منطقي . فالمعقل عليه أن يقوم بأحكامه ، وليس بهم أن يكون أساس الحكم هو الوجدان ، فإن القيم التي تستمد من الحكم تكون منطقية كغيرها من صور التقييم التي يقوم بها الفرد .

التفكير : وهو الوظيفة الرابعة التي افترضها يونج . وهذه الوظيفة منطقية عقلية كذلك . فعندما يفكر شخص ما ، فإنه يقوم بعمل تنظيم وترتيب للحقائق على نحو ما يعرفها . وليس من الضروري أن تتدخل الحواس في

... - - - - - . تعتبر ذات أهمية كبرى وبخاصة بالنسبة للإنسان . فالتفكير يتضمن إقامة علاقات ونظم أو ترتيب لأكثر من مجموعة واحدة من القضايا . ولذلك يعتبر التفكير هاما للغاية بالنسبة للإنسان (١) .

وبعد أن استعرضنا باختصار النظم والاتجاهات والوظائف التي تكون الشخصية والتي تحدث أثرها في تحقيق الذات ، يجدر بنا الإشارة إلى أهم الميكانيزمات التي تستخدمها النفس في تحقيق ذاتها .

ميكانيزمات تحقيق الذات : يبلغ الإنسان تحقيق ذاته بطرق متعددة بعضها متعارض الواحدة منها مع الأخرى ، وبعضها مكمل لإحداها للأخر . وسوف نشير باختصار إلى أهم هذه الميكانيزمات :

١ - إن أول ميكانيزمات تحقيق الذات هو عوامل القطعية : فهناك على نحو ما أوضحنا التكوّن ضد التقدم ، الشعور الشخصي ضد اللاشعور الجمعي ، الشعور ضد اللاشعور ، الانبساطية ضد الانطوائية ، الوظائف العليا ضد الوظائف الدنيا ، والطاقة الجسمية ضد الطاقة النفسية ، والحاجات العضوية ضد الحاجات الثقافية ، الأنبا ضد الأنيروس ، الإغلاء ضد السكبت ، العلية ضد الغائية . وجميع هذه العوامل تعمل داخل مبدأى التبادل والانتقال .

٢ - وكناحية أساسية من نواحي كسب الفرد ذاتاً أكثر كمالاً ، ما يرثه الفرد من أجهزة ، فهو يرث نظاماً بيولوجياً مجهزاً تجهيزاً تاماً بالفرائز . والوظيفة الرئيسية لفرائزه هي استمرار الحياة وبقائها واستمرار نوعه . وتكوّن الفرائز الجانب الحيواني من الطبيعة الإنسانية ، فهي الصلات التي تربطه بماضيه الحيواني ، كما أنها تعتبر أيضاً بمثابة دفعة داخلية للسلوك بطريقة معينة عندما تنشأ في الأنسجة حالة معينة . ثم إن الإنسان يرث أيضاً إمكانية

(١) أنظر ما كتبناه من الأبحاث البيولوجية عند يوتج الفصل السابع

الخبرات السلالية التي سماها يونج باسم الأنماط الأولية أو الأنماط السلوكية أو الإيماجو. فهو بالإضافة إلى وراثة الغرائز البيولوجية ، يرث أيضاً خبرات الأجداد . فالإنسان يرث الاستعداد للخوف من الحيوانات الضارة والخوف من الظواهر الطبيعية كالرعد والبرق .

٣ - إن الإنسان ليس مجرد تراكم خبرات الماضي ، إنه أيضاً مجموعة أحلام وآمال بالمستقبل ، ومن خلال ديناميات الحياة الراهنة وأثر خبرات الماضي يضع الفرد خطة المستقبل . فالإنسان ليس مخلوقاً دائماً التطلع إلى الماضي وإلى الوراء ، وإنما هو مخلوق دائماً التطلع إلى المستقبل وإلى الإمام ، وهي حقيقة يعتبرها يونج ذات أهمية أولية في بلوغ تحقيق الذات . فالإنسان لا يمكن أن يبلغ تماماً تحقيق ذاته ، دون أن يكون سلوكه غرضياً .

٤ - من النادر أن يبلغ الطفل أو المراهق التحقيق الكامل للذات . ومن المعروف أن يونج لم يضع مراحل لنمو الشخصية ، على نحو ما نجد عند فرويد مثلاً ، وإنما خلال السنوات الأولى من حياة الفرد يستثمر الليبدو في ألوان من النشاط تكون ضرورية لبقاء الحياة . وقبل سن الخامسة تبدأ القيم الجسدية في الظهور وتبلغ قممها في المراهقة . وفي مرحلة الشباب يكون الفرد مليئاً بالطاقة والقوة مندفعاً عاطفياً ، معتمداً إلى حد كبير على الآخرين . ولكن ما أن يصل الفرد إلى الثلاثينيات أو الأربعينيات حتى يحدث تغير حاسم في قيمه وأهدافه . فاهتمامات الشباب وأهدافه تفقد قيمها لتحل محلها اهتمامات أخرى أكثر ثقافية وأقل بيولوجية ؛ كما أن السلوك المنبسط المندفع عند الشباب يتحول ليحل محله القوي والتعقل ، ويسمح بقدر للسلوك الروحي الأكثر ميلاً إلى

الانطواء مع حكمة متراكمة وأنظمة قيم تقوم على أسس فلسفية أعمق .

٥ - وليس ثمة شك أنه كلما زادت خبرات الفرد ، كان أكثر قدرة على توسيع ذاته ، ومن خلال نمو المكونات المتعددة للشخصية نمواً متكاملاً تحقق الشخصية ذاتها . فلو أن جزءاً من الشخصية قد أهمل فإن النظام المهمل الذي سوف يكون أقل نمواً ، سوف يشهد كركر للمقاومة . وإذا كثرت المقاومات في الفرد أصبح عصياً . ولما كان النمو يصدر عن الخبرات المفيدة ، فإن الشخص الذي لديه قدر أكبر بخبرات الحياة والذي يمكنه الاستفادة منها ، سوف يصبح أقرب إلى بلوغ تحقيق الذات . ولكي تتوفر للفرد الشخصية الصحيحة المتكاملة ، لا بد من السماح لكل نظام ببلوغ أقصى درجات النمو . وتسمى العملية التي يتحقق ذلك بواسطتها باسم عملية " التفرد " ، وفيها تصل الذاتية إلى أعلى مستوى للنمو في كل أجزائها ، وتقرب الأقطاب الواحدة من الأخرى من أجل إحداث حالة توازن . وعندما تقترب من هذا المستوى ، يرى يونج أن الإنسان سيكون قد نما إلى أحسن صورة يمكن بلوغها . ومن خلال الوظيفة المتعالية التي تملك القدرة على توحيد جميع الاتجاهات المتعارضة للنظم المتعددة ، تصل الأنظمة الروحية التي هي هدف الإنسان في الحياة إلى أوج ازدهارها .

٦ - والرمز شيء أساسي في نظرية يونج للشخصية . فالإنسان وحده يتميز بقدرته على العمل في الحياة مستخدماً الرموز ، بينما يتعذر ذلك بالنسبة للصور الدنيا من الحياة الحيوانية . وكثير مما يقوم به الإنسان يمكن أن يوجه إلى مستوى رمزي من خلال الصور والكلمات والأحلام والموسيقى والفن ، والرمزية التي يتميز بها الإنسان تساعد في

بلوغ مستوى أعلى وأكثر تمايزاً للذات مما يمكن أن يحدث بالنسبة للأنواع الأخرى من الحيوانات ، وبوجه عام كلما هبط مستوى الإنسان ، فقد الكثير من قدرته على العمل بالرموز .

وتحقق الرموز وظيفتين أساسيتين :

الوظيفة الأولى تمثل مستودع خبرات الأسلاف ، وبذلك تساعد على التغلب على السلوك الغريزي الذي لا يمكن التعبير عنه صراحة . أما الوظيفة الثانية فتمثل المستويات الطموحية للإنسان عندما يتقدم به السن ، وقد عبر يونج عن ذلك بقوله : « إن مغزى الرمز ليس في أنه إشارة مقنعة إلى شيء معروف بصفة عامة . بل في أنه محاولة في إبراز ما هو حتى الآن مجهول تماماً ولا يزال رهن عملية التكوين ، فمصير الإنسان وأعلى ما تصبو إليه نفسه يمكن أن تحددها الرموز .

يقول هول ولندزى بصدد التعليق على وظيفة الرمز إن جانبي الرمز ، الجانب الرجعي والذي تقود الغرائز خطاه ، والجانب المستقبلي والذي تقود خطاه الأهداف النهائية للجنس البشري ، هما جانبان لعملية واحدة . ويمكن تحليل الرمز لكلا الجانبين . والنمط الرجعي في التحليل يكشف عن الأساس الغريزي للرمز . أما النمط المستقبلي فيكشف عما يطمح الجنس البشري إليه من كمال وولادة جديدة وانسجام ونقاوة ونظير وما إلى ذلك . والنمط الأول من التحليل يهتم يقوم على التماس العلية والإرجاع إلى أسباب أولية قليلة ، أما النمط الأخير ف يهتم بما يقوم على التماس العلة النهائية ، وكلاهما ضروري لتوضيح الرمز توضيحاً كاملاً . ويعتقد يونج أن الطبيعة المستقبلية للرمز قد أهملت وفضلت عليها النظرة إلى الرمز بوصفه نتاج الدفعات المحيطة وحدها (١) .

(١) هول ولندزى : نظريات الشخصية ترجمة د فرج أحمد فرج وآخرون . القاهرة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١ م ١٣٩

الفضل الثامن عشر

الفريد أدلر (١٨٧٠ - ١٩٣٧)

ولد أدلر في إحدى ضواحي مدينة فينا ، من أب يعمل بالتجارة . درس أدلر علم النفس والاقتصاد السياسي والاجتماع ، ثم أتم دراسته الطب في جامعة فينا . وفي أثناء دراسته للطب كان يحضر محاضرات في الفلسفة وعلم النفس . وقد بدأ حياته العملية عام ١٨٩٨ طبيباً للعيون . ثم اشتغل طبيباً عاماً وتخصص في دراسة الأعصاب . ثم عرف فرويد وكان من المولعين بأرائه . وكان من بين الجماعة التي تجتمع مع فرويد مساء الأربعاء ، وأصبح أحد الأعضاء المؤسسين لجمعية التحليل النفسي فينا . ولكن سرعان ما بدأ يكون لنفسه رأياً مستقلاً يختلف عن رأى فرويد . وانسحب من جماعة فرويد عام ١٩١١ حين طلب فرويد من أتباعه أن يقبلوا نظريته عن الميول الجنسية قبولاً مطلقاً . وكون أدلر مع سبعة آخرين الجماعة الحرة للتحليل النفسي والتي أطلق عليها في عام ١٩١٢ اسم « جماعة علم النفس الفردي » . وقد أصبح له اتباع عديدون في مختلف أنحاء العالم .

ولقد قام أدلر بإلقاء سلسلة من المحاضرات عن نظريته في بوسطن وشيكاغو وغيرهما من مدن الولايات المتحدة . وعين استاذاً بجامعة كولومبيا ١٩٢٩ . ودعاه عمدة برلين لإلقاء بعض المحاضرات عن مذهبه ثم ذهب إلى أتردين باسكتلندا لإلقاء بعض محاضرات في جامعتها وتوفي هناك عام ١٩٣٧ .

وتتميز أفسكار أدلر بالوضوح والتحديد كما تتميز نظريته بالسهولة والبساطة . وكان على عكس فرويد ويونج اقتصادياً في استخدامه للمفاهيم . فقد استخدم عدداً قليلاً نسبياً من المفاهيم جيدة التحديد .

وكان أدلر من أصحاب النزعة الإنسانية والتي يلتصق إليها بعض المحدثين من علماء النفس ، من أمثال « كارل روجرز » و « جوردون البورت » . وكان متفائلاً بالنسبة لمستقبل الإنسان ؛ إذ يرى أن الإنسان لديه الفرصة ليصبح أفضل وأحسن مما هو عليه الآن ، وأن يتحرك قدماً إلى الأمام وأن يقلل من مشكلاته في الحياة ويصل إلى درجة كبيرة من التوافق مع الحياة . ومن هنا كان اهتمام أدلر بالطريقة التي يتبعها الفرد في تكيف نفسه مع المجتمع ، فالإنسان في نظره كائن اجتماعي في أساسه ، ويربط نفسه بالآخرين ، ويفضل المصلحة الاجتماعية على المصلحة الانانية ويكتسب أسلوباً خاصاً للحياة ينطب عليه الإتجاه الاجتماعي .

ويمكن أن تقدم صورة مختصرة عن نظرية أدلر في الشخصية في معالجة بعض المبادئ الهامة التي تقوم عليها هذه النظرية .

١ - القصور :

إن فكرة أن الإنسان مخلوق تدفعه مشاعر القصور قد تكونت لديه عندما كان يمارس عمله كطبيب في فينا مع مطلع هذا القرن . وفي ذلك الحين لاحظ أدلر أن كثيراً من مرضاه يميلون إلى تركيز شكاوهم حول أعضاء معينة من الجسم . وقد اكتشف أدلر - قبل ظهور الطب النفسي الجسمي - أن الإنسان يتحول إلى المريض لكي يحل كثيراً من مشكلاته غير الجسمية . وغالباً ما تكون ذممة الأعراض التي يشكو منها المريض غير مرتبطة بالأعضاء التي يشكو منها . وقد توصل أدلر من ذلك إلى نظرية القصور العضوي . فالإنسان يولد ولديه استعداد لقصور أحد أعضاء جسمه . ويقصد بقصور العضو عدم استكمال نموه أو توقفه أو عدم كفايته التشريحية أو الوظيفية أو عجزه عن العمل بعد المولد . ووجود مثل هذا العضو القاصر يؤثر دائماً

على حياة الشخص النفسية لأنه يحقره في نظر نفسه ويزيد شعوره بعدم الأمن . لكن هذا الشعور بعينه هو الذي يدفع الفرد على بذل المزيد من الجهد لتعويض هذا الشعور بالقصور . وأحياناً يتخذ هذا التعويض أشكالاً من العنف تبلغ حداً متطرفاً لانتظاره منه ، وهو ما يعرف باسم التعويض النفسى الزائد . وتعويض العضو القاصر يحدد عادة أسلوب حياة الفرد والطريقة التي يهدف بها الفرد إلى تحقيق السيطرة . فالشخص ضعيف البنية في الطفولة غالباً ما يعرض هذا القصور البدني بممارسة الرياضة بشكل غير عادي لتقوية بنيته ، وقد يصبح فيما بعد من الأبطال المحترفين . وأمثلة التعويض المشهورة كثيرة منها : ديموستين الأثيني الذي بلغ شأواً عالياً في الخطابة رغم ما كان لديه من الثقة وعيوب كلامية في طفولته . وبتهوفن الذي أخرج خير قطعه الموسيقية بعد أن أصيب بالصمم .

ولم يلزم أدلر حدود القصور البدني وما يتطلبه من تغبر في الحياة النفسية بل عظم فكرته حتى شملت القصور المعنوي والاجتماعي وبالمثل لم يقصر أدلر حديثه على الحالات المرضية ، بل وسع فكرته حتى شملت أيضاً الحالات السوية . يقول أدلر : « إن ما يصدق على القصور العضوي يصدق أيضاً على القصور الاجتماعي أو الاقتصادي الذي يشغل كاهل الفرد فيضيق به ذرعاً حتى لا يرى في الدنيا إلا خصماً لدوداً . والطفل منذ سنواته الأولى يحس إحساساً واضعاً بهذا القصور في علاقته بالبيئة التي يعيش فيها . فالكبار من حوله يستطيعون القيام بالعديد من الأشياء التي يعجز هو عن القيام بها . ففي إمكانهم أن يصلوا إلى الأشياء المرتفعة التي لا يستطيع هو الوصول إليها وفي إمكانهم أن يتحكموا في الأشياء أفضل مما يستطيع هو . وهذا الإحساس بالقصور يدفعه إلى عاكاة قوى وقدرات الآخرين . وفي بعض الحالات الشاذة قد يحدث أن يثبت الفرد عند هذا المستوى القاصر ، أو يصبح غير قادر على محاولة أي شيء جديد أو قد ينكسر إلى مستوى أدنى . وقد تظهر هضبات في نمو الفرد . وهذا أمر

طبيعى بحس عند الفرد بشعور وقتى بالرضا والارتياح، ولكنه يكون أشبه بمن يستريح ويلتقط أنفاسه ليلتقل إلى ما هو أفضل وأكثر كالا. وهكذا تسير العملية من مشاعر القصور إلى محاولة تعويض وبذل جهد لبلوغ أهداف جديدة ومستوى جديد (وقد تكون أهدافاً فعلية أو وهمية) وهذا هو جوهر الحياة كما يقول أدلر. فهذا الشعور بالقصور والذي يوجد مع الإنسان منذ بداية الحياة هو الذى يحفظ للإنسان بقاءه وحياته عبر الأجيال

وفى سياق نظره إلى القصور العضوى، ذهب أدلر إلى اعتبار مرحلة بلجا إليها الفرد للتخاض من واجبات قاسية، وقلة لا يمكنه تذليلها أو القيام بها. ومعنى هذا أن الإنسان يولد ولديه استعداد لضعف عضو من أعضاء الجسم يمكن أن يفيد في مواقف معينة حين تواجهه ضغوط الحياة التي لا يقوى على تحملها. فإذا أعيقت الرغبة في السيطرة فقد يبحث الفرد من تبرير لضعفه بإعلان مرض العضو الضعيف. ولذا نجد بعض رجال الأعمال الذين يخضعون لظروف شديدة من الضغط والمنافسة في العمل، تظهر لديهم أمراض القرحة، على حين يشكو بعضهم الآخر الذين يملكون هذه الظروف من صداع مستمر. وليس ثمة شك أن هذا العضو الضعيف يختلف من فرد لآخر.

وبعد أن ربط أدلر القصور بالضعف العضوى، ذهب إلى القول بما أسماه "النزوع للرجولة"، أو الاحتجاج الذكري Masculine Protest. ولقد جمع أدلر بطريقة ما تفسيره بين القصور والضعف والأنوثة، كما جمع بين القوة والرجولة. فالقصور مرادف في نظره للأنوثة، بينما القوة ترادف للرجولة. ومن المفروض أن كلا من الذكر والأنثى يوجد لديه هذا النزوع للرجولة أو هذا الاحتجاج الذكري ضد الضعف وهو أيضاً ما تفسر به محاولة الإناث التشبه بالرجال. فى الزنى والتدخين والمطالبة بالمساواة بالرجال فى الحقوق

السياسية كما يفسر به أيضاً ما يقوم به بعض الغلمان من محاولة التذنب بالرجال . ولكن أدلر لم يقف عند حد هذا المفهوم المقتضب بل أخضع هذا الرأي لرأى آخر أكثر شمولاً واتساعاً وهو أن الجنس البشرى كله يشعر بالقصور منذ الولادة ، وأن هذا القصور غير مرتبط بالأنوثة ، وإنما يلدأ من أحساس بعدم الاكتمال أو عدم الاتقان فى أى مجال من مجالات الحياة . فشاعر النقص إذن ليست علامة على الشذوذ ، وإنما هى سبب كل ما يحققه الإنسان من تحسن . أما ما قد يحدث من شذوذ فهو بفعل ظروف خاصة يمر بها الطفل كالتدليل الزائد أو القسوة الزائدة .

وهكذا تطور مفهوم القصور عند أدلر . فمن القصور العضوى إلى النزوع للرجولة إلى المفهوم العام بأن كل إنسان لديه مشاعر القصور منذ الولادة وأنهم يبدأون صراعهم مع الحياة ليتغلبوا على هذا القصور ويبلغوا مستويات أعلى من مستوياتهم الراهنة .

٢ - السيطرة :

ومن الخطأ معالجة مبدأ السيطرة مستقلاً عن مبدأ القصور . فالمبدأان مرتبطان ارتباطاً وثيقاً . فالحديث عن أحدهما يستلزم الحديث عن الآخر . ومع ذلك فبسبب نمو مبدأ السيطرة وتطوره فى تفكير أدلر ، لزم معالجته هنا كبداً مستقل وإن كان من حيث الواقع غير منفصل عن مبدأ القصور .

لقد بدأ أدلر بقبول فكرة فرويد فى الجنس كمحرك أساسى فى الحياة ولما كان سرعان ما تحرر من هذه الفكرة وذهب إلى القول فى مرحلة من مراحل تفكيره ، إلى إن الإنسان حيوان عدوانى ، وأنه بسبب هذا السلوك العدوانى بقى الإنسان على قيد الحياة مما دعاه إلى استنتاج أن العدوان أكثر أهمية من الجنس . ولما كان بعد ذلك إنتقل فى تفكيره إلى مرحلة ثانية .

ففي خلال مرحلة النزوع الرجولة ، استنبط أدلر ، خلال علاجه لمرضاه ، أن الإنسان ليس مجرد حيوان عدواني ، وإنما يهدف إلى بلوغ القوة بمعناها المحسوس ومعناها الرمزي أو هما معاً . فكثير من مرضاه الذين قام بعلاجهم كانوا يفتقرون كلية إلى العدوان ، ويمكن وصفهم بأنهم كائنات إنسانية عديمة القوة . ومن هنا وصل أدلر إلى أن الإنسان كائن يبحث عن القوة . وقد أوضحنا من قبل أنه ربط بصورة ما بين القوة والرجولة ، وبين القصور والضعف والأنوثة . وقد أشار إلى أن الأمر لا يمتد بسبب إلى الحقائق البيولوجية ، لأن سيطرة الرجل (في الجماعة) ليست وضعاً طبيعياً ، بل إن الذي أوجده ذلك هو العراك العنيف الذي قام بين الجماعة البدائية ، وما أدى إليه من توكيل الكفاح إلى الرجال ، مما دفع إلى رفع مكانة الرجل وتمجيد شأنه تقديراً لقيامه بواجب الدفاع وشتون الحرب والكفاح فالقوة عنده مرتبطة إذن بالرجولة . ولكن أدلر لم يقف عند هذه الفكرة طويلاً ، بل انتقل منها إلى المفهوم الذي ظل ينميه خلال بقية حياته المهنية وهو أن الإنسان يهدف لحسب إلى السيطرة وأن الرغبة في السيطرة تبرز من الإحساس بالقصور أو العجز أو عدم الكفاية . ومع المفهوم الجديد للسيطرة استمر أدلر يشعر أن الرغبة في أن تكون مسيطرأ رغبة عامة وخاصة من خصائص شخصية الإنسان .

وهكذا سار تفكير أدلر في تتابع يسير من الجلسية إلى العدوانية إلى القوة إلى السيطرة .

والجدير بالملاحظة أن السيطرة عند أدلر لا تعني فرض السيطرة على الآخرين أو الامتياز الاجتماعي أو الزعامة والمنزلة المرموقة في المجتمع . وإنما يعني به السيطرة على الذات ، وهو أشبه بمبدأ جولدمشتين « بتحقيق الذات ، فهو عمل من أجل بلوغ السكال التام أو هو الدفع الأعظم إلى الأمام » .

٣ - أسلوب الحياة :

وأسلوب الحياة هو المبدأ الأساسى الفردى عند أدلر ، فهو الذى يفسر لنا تفرد الشخص . ذلك أن الشخص من أجل أن يبلغ السبورة على مشاعر القصور عنده ، فمن الضرورى أن يتخذ أسلوباً محدداً فى حياته . وهذا الأسلوب المحدد المعين للسلوك والذى يترسمه الفرد طول حياته هو ما أطلق عليه أدلر اسم « أسلوب الحياة » .

وأسلوب حياة الفرد هو نتاج قوتين : ذات داخلية موجهة ، وقوى خارجية يمنية تساعد أو تعوق أو تعيد تشكيل الاتجاه الذى ترغب الذات الداخلية فى سلوكه . ويعطى أدلر أهمية عظيمة للذات الداخلية . فالحادثة الواحدة قد يستجيب لها شخصان مختلفان استجابتين مختلفتين . فالإنسان ليس ريشة فى مهب ريح الحياة ، إن لديه القدرة على تفسير القوى الخارجية ونجيب مواجهة المزيمة أمامها . فالإنسان لديه « إرادة القوة » - بدرجة كافية وليس بدرجة مطلقة - بحيث يمكنه أن يهيئ وينظم حياته الخاصة . ورغم أن أدلر كان من أوائل الذين اعترفوا بآثار القوى البيئية فى إحداث السلوك ، وأعطى العوامل الاجتماعية دوراً كبيراً ، واهتم بالتنشئة الاجتماعية للفرد - إلا أنه لم يقبل وجهة النظر البيئية المتطرفة التى تجعل من الإنسان نتاج القوى البيئية وحدها . فهناك الشيء الكثير الذى يولد مع الإنسان وينمو بداخله ويؤثر تأثيراً كبيراً فى أسلوب حياته .

ولكل شخص أسلوب حياته الفريد المميز . وربما - كما يعتقد أدلر - لا يوجد شخصان على ظهر الأرض يكون لهما نفس أسلوب الحياة والذى هو - كما سبق أن أوضحنا - نتاج قوتين : داخلية نشأ وتنام مع الفرد وعارجية تؤثر بدورها فى سلوكه . وطالما أنه لا يوجد شخصان مختلفان يمكنهما أن يشغلا مكاناً واحداً فى وقت واحد ، فإن البيئة تكون مختلفة إذن بالنسبة

لكل منهما ؛ وحتى التوائم المتشابهة يتعرضان لظروف بيئية مختلفة كذلك .
فمع تغير البيئة واختلاف الذوات الداخلية يختلف أسلوب حياة الأفراد ،
فلكل شخص أسلوب حياة فريد . فالمتقن له أسلوب حياته . والرياضي
له أسلوب آخر فالمتقن يقرأ ويدرس ويفكر ويعيش حياة يغلب عليها
الوحدة والجلوس في مكان بالقياس إلى ما يقوم به الرجل المشيط . وهو
يرتب تفاصيل وجوده ، عاداته المنزلية ونشاطاته الترفيهية وأسلوبه اليومي
الروتيني وعلاقته بأسرته وأصدقائه ومعارفه ونشاطاته الاجتماعية بما يتفق
وهدف التفوق العقلي . فكل ما يفعله ، يفعله وهو يضع نصب عينيه هذا
الهدف النهائي . إن سلوك الشخص بأسره ينبع من أسلوب حياته (١) .

وأسلوب حياة الفرد له صفة تفسيرية بالنسبة لسلوك الفرد وخبراته .
فالشخص الذى يدور أسلوب حياته حول مشاعر الإهمال والنبذ والشعور
بأنه غير مرغوب فيه ، يفسر خبرات حياته المختلفة وفق هذا الأسلوب الذى
يعد بمثابة إطار مرجعى له . وما لا يتفق وهذا التفسير من أنشطة ، فإنه إما
أن يغفلها أو يحورها حتى يمكن أن تدخل تحت هذا الأسلوب . فالشخص
الذى تركز أسلوب حياته حول مشاعر العدوان والقوة ، يعتبر كل عمل
تقوم به قوة مضادة إنما هو تحدى لذاته ، بينما كل عمل يتسم بالتعاون والهدوء ،
هو عمل يكشف عن قوته الذاتية . ففى ضوء أسلوب الحياة يفسر الكثير
من سلوك الفرد . فهو إذن عامل تفسيرى وعامل يساعد على ربط ألوان
السلوك المختلفة بإطار مرجعى واحد .

وأسلوب حياة الفرد يتكون فى سن مبكرة من طفولته ، قرابة سن
الخامسة أو السادسة ويكون أسلوباً ثابتاً تقريباً . فأسلوب الحياة ، الذى
يقوم على قدرات الطفل الموروثة ، واستعماله وتفسيره لهذه القدرات ، قادراً

(١) هول والنذرى : نظرية الشخصية . ترجمة د . فرج أحمد فرج وآخرون الهيئة المصرية

ما يتغير في نظر أدلر ، أما الذى يتغير - بل ويتغير كثيراً - فهو صورة التعبير التى يتخذها الفرد لبلوغ غاياته المرجوة .

وقد تواجها العديد من الأسئلة المتصلة بأسلوب الحياة منها : كيف ينمى الفرد أسلوب الحياة ، وما هى القوى التى تخلق أسلوب حياة ثابت ، ولماذا يختلف أسلوب حياة الأطفال الذين يعيشون فى ظل أسرة واحدة وحيث تشابه البيئة إلى حد كبير إن الإجابة تكمن - جزئياً وفى ناحية منها - فى الشعور العام بالقصور الذى يولد به الإنسان ، والعمل المستمر نحو تحقيق هدف السيطرة والتفوق . ولكن هذه الناحية تعتبر عامة بين الناس جميعاً . فكيف نفس الاختلاف والفروق بين أساليب حياة الأفراد . إن هذه الفروق يمكن أن ترد إلى مصادر مختلفة تكمن فى الظروف المختلفة لكل فرد فى النواحي البدنية والنفسية والاجتماعية . فالفرد فى محاولته التغلب على نواحي القصور الصادرة عن هذه النواحي الثلاثة يبدو مختلفاً عن غيره . فنواحي القصور البدنية مثلاً تختلف من شخص لآخر ، وكذلك النواحي النفسية والاجتماعية . ومن هنا يكون اختلاف الأسلوب ، فأسلوب حياة الطفل العليل يأخذ شكل القيام بالأشياء التى تؤدى إلى القوة البدنية ، وأسلوب حياة النقي يأخذ شكل الكفاح من أجل تحقيق التفوق العقلى .

ومن خبرته العلاجية ، يرى أدلر أن ثمة عوامل ثلاثة يمكن أن تخلق - ما لم تهذب أو تعوض - أساليب حياة غير متكيفة إلى حد ما ، وهى نواحي القصور البدنية أو العقلية ، ثم الطفولة المدللة أو المتساعطة بشكل زائد عن الحد ، ثم النبذ والإهمال الشديد فى الطفولة فالطفل المعتل بدنياً قد تكون مشاعر النقص عنده أكثر بكثير مما هى عند السليم . وسواء فشل فى تحقيق السيطرة أو استطاع تحقيقها ، فإن الأمر الذى لا يمكن إغفاله هو أن علته البدنية كانت الوسيلة الكبرى فى تشكيل أسلوب حياته . وقد لا يقوى

بعض الأشخاص التغلب على مشاعر النقص البدني طوال حياتهم ، ويتخذون أسلوب حياة الهزيمة والضعف في مواجهة مشكلات الحياة ؛ على حين يقوى البعض الآخر لتعويض نواحي القصور بقوة ، ويبلغون درجة كبيرة من التفوق أكثر مما قد نجده عند الأسوياء . وليس ثمة شك أن مثل هذا التعويض للقصور البدني لا يتم بطريقة آلية وبسيطة ، بل قد يبذل الفرد جهوداً مضاعفة من أجل بلوغ أهدافه . فالقصور البدني في مثل هذه الحالات يعطى قوة إضافية ونشاطاً تعويضياً لبلوغ هدف ما يؤدي إلى السيطرة والتفوق داخل الذات .

وليست نواحي القصور العقلي بأقل تأثيراً من نواحي القصور البدني ، بل قد يكون تأثيرها أقوى . نظراً لما تعطيه المجتمعات الحديثة من أهمية للنواحي العقلية لدى الفرد . ومن هنا يمكن أن نتوقع أن نجد - بل ونحن نجد بالفعل - أساليب حياة أكثر خطأ لدى ضعاف العقول منها لدى المعتلين جسمياً : ومهما فعل ضعيف العقل ، فإن أسلوب حياته يتحدد في ضوء المعجز الذي لديه .

أما درجة السيطرة التي يبلغها تعطى القصور البدني والعقلي ، فهي في نظر أدلر تتوقف إلى حد كبير على مقدار التشجيع والتوجيه الواقعي الذي يلقاه الطفل من والديه والمربين ومن لهم تأثير في تنشئته الاجتماعية . ومن المهم أن يكون الآباء نماذج طيبة أمام الطفل . وقد أكد أدلر هذه الناحية كمنهج أساسي في بلوغ الطفل هدف السيطرة والتفوق . ومثل هذا الاتجاه الذي ذهب إليه أدلر ليس غريباً ، خصوصاً إذا عرفنا أن أدلر كان من أوائل السيكولوجيين الذين أسسوا عيادات لتوجيه الأطفال وكان يقوم فيها بتقديم النصائح لمعلمي الشواذ وأهليهم : وقد تعددت تلك العيادات حتى بلغت ثمانية وعشرين في فيينا وحدها .

ولقد وجه أدلر اهتماماً كبيراً للقوى البيئية التي يعيش فيها الطفل . فرغم أنه لم ينسكرك الإستهعدادات الغريزية الأساسية للعمل على نحو ما وجدنا في أعمال فرويد وبونج ، فإنه أعطى أيضاً اهتماماً للإطار الإجتماعي الذي ينشأ فيه الطفل . فالأسلوب الخاطيء في التربية قد يبتجج أنماطاً من السلوك قد تؤثر في أسلوب حياته . فالطفل المدلل طفل معوق نفسياً بالنسبة لحياة تفتقر تماماً إلى السيطرة الحقيقية للذات . فالتدليل الزائد والاستسلام لرغبات الطفل ، تحرم الطفل من فرص لانهوض للتدريب على السيطرة وتحقيقها وإتمامها داخل الذات . وأصابع الإتهام هنا - وفي غيره من الأساليب الخاطئة في التنشئة - موجهة نحو الآباء . فالطفل لا يمكنه أن ينمي بنفسه أسلوب حياته مستقلاً تماماً عن هؤلاء الذين يرعون ويربونهم منذ نعومة أظفاره . فإذا لم يكن أمام الفرد أهداف يكافح من أجلها ، وإذا كانت كل الصعاب تذلل له ، وترفع من طريقته ، فإنه سوف لا يتعلم كيف يتغلب على مشكلات الحياة التي تواجهه بعد ذلك . فالشخصية المدللة في نظر أدلر هي ضحية المجتمع (١).

٤ - الذات الخلاقة :

والذات الخلاقة عند أدلر هي صاحبة السيادة في بناء الشخصية . إن الإنسان هو أكثر من مجرد كونه حيواناً لديه استعدادات تخضع لماضيه الغريزي الموروث ، كما أنه أيضاً أكثر من كونه نتاج البيئة . إنه مفسر الحياة ومترجمها . فهو ينمي تراكيب الذات من ماضيه الموروث ويترجم انطباعات حياته اليومية ويبحث عن خبرات جديدة لإشباع رغبته في التفوق والسيطرة ، ويصهر هذا كله في خلق ذات تختلف عن كل ذوات الآخرين

(1) Ganz M: The Psychology of Alfred Adler and the Development of the child : Routledge and Kegan Paul 1953.

وتصف أسلوب حياته الخاص . فالذات الخلاقة هي خطوة إضافية وراء أسلوب الحياة . إنها ذات أصيلة مبدعة تخلق شيئاً لا على غرار سابق ، تخلق شخصية فريدة فهي إذن ذات خلاقة .

وقد اعتبرها أدلر قوة أعماله . وأخضع كل مفاهيمه الأخرى لهذا المفهوم ، وقد بحث اكتشافه لهذا المفهوم الكثير من الرضا عن أعماله وكأنته قد وجدت ذاته الشخصية المبدعة في أخريات أيامه .

• - الأهداف الوهمية :

ورغم اعتقاد أدلر أن الماضي له أهمية بالغة في الحياة النفسية للفرد - فتمنعه ينمو أسلوب حياته وكذلك ذاته الخلاقة - ، فإن الإنسان تحركه توقعاته للمستقبل أكثر مما تحركه خبرات الماضي فالمستقبل هو الذى يشكل ما سوف تفعله ذاته الخلاقة في أية لحظة معينة .

ولكن رغم أن الإنسان تحركه حاجات عضوية ومادية كالأكل والملبس والمأوى ، إلا أن هذه الحاجات الأساسية قد تتمثل للشخص بصورة وهمية أو رمزية . فالسيارة قد تعنى للراهنق أو الشاب شيئاً أكثر من مجرد وسيلة إنتقال . فهي رمز التقدير والمباهاة وغيرها من الرموز التى قد تكون ذات أهمية كبيرة بالنسبة للراهنق أو الشاب . وبعبارة أخرى إن الأهداف التى يهدف إليها الفرد قد تكون وهمية . وقد تأثر أدلر فى ذلك بفلسفة " كدان " التى قال بها فايتهنجر Vaithinger والتى هى خليط من فلسفة " كومت " الوضعية والبرجمانية وفلسفة شوبنهاور وفلسفة " ل " فقد اعتقد أدلر أن كثيراً من الأفكار ليست فى الحقيقة إلا نوعاً من القصص والأساطير يعمد العقل إلى خلقها ليستعين بها على حل المشكلات التى تعرض له وأنه يتخذ الرموز ، بعد أن كانت طريقة للقول ووسيلة للتعبير ، غاية فى نفسها يندفع المرء إلى تخنيقها ويعمل على الوصول إليها (١) .

(١) د : ا - سحق رمزى : علم النفس الفردى : القاهرة دار المعارف ص ٩١

والهدف قد يكون وهما وخيالا لأنه بعيد عن الواقع ، كما أنه قد يكون بعيد المنال بالنسبة للذات الخلاقة التي تهدف إلى السيطرة . ومع ذلك فلا يمكن فصل هذه الأهداف الوهمية أو عزلها عن أسلوب حياة الفرد وذاته الخلاقة . فالإنسان يسير إلى الأمام نحو السيطرة تجذبه دائما مثل هذه الأهداف .

وموقف أدلر في هذا الصدد يختلف عن موقف فرويد . فنظرية فرويد تفسر حسب مبدأ العنسية . أما نظرية أدلر فتفسر حسب نظرية الغائية فلو كانت الغرائز والقوى الفطرية هي التي تحكم وحدها قياد سلوك الفرد من كل ناحية ، لما كان في قدرة المرء أن يعدل من شخصيته ليستجيب لما تتطلبه منه البيئة التي يعيش فيها إلى حد محدود . فمن الواضح أن كل خصائص الفرد ، بل شخصيته بأكملها تتكون من الموقف الذي يتخذه إزاء البيئة منذ الطفولة المبكرة ولا يمكن أن تتكون الشخصية وتنمو ، إلا إذا كانت النفس تتجه في نشاطها اتجاهها غائيا ، لأن الغاية التي يسعى نحوها الشخص ويلتبط لتحقيقها هي العامل الحاسم في توجيهه (علم النفس الفردي ص ٨٤) . فأدلر يصر على أهمية الغائية في تفسير جميع الظواهر النفسية . ولا يمكن إلا أن نتصور للحياة النفسية هدفا تتجه نحوه صنوف النشاط . ورغم أن بعض الغايات تكون وهما ، إلا أنها مع ذلك تكون بمثابة حافز يحفز الفرد لمواصلة بذل الجهد وتحقيق الأهداف التي يهدف إليها . فأدلر بذلك يلح على الدوام في تأكيد أهمية الغائية وحدها ، ويفسر كل ظواهر الحياة النفسية تبعا لذلك على أنها إعداد لبعض المواقف المقبلة ، حتى لو كان من غير المحتمل أن نرى في النفس سرى قوة تعمل نحو غاية . ولهذا ينظر علم النفس الفردي إلى كل ما يصدر عن النفس الإنسانية كأنه موجه نحو هدف معين .

٦ - الاهتمام الاجتماعي :

وهذا المبدأ الأخير يلقى الضوء على تطور نمو الفكر عند أدلر . فبعد أن نظر إلى الإنسان باعتباره كائناً عدوانياً، انتقل إلى النظر إليه باعتباره متعطشاً للقوة ، ثم في ضوء فكرته عن القصور طور نظريته إلى كسائن حتى يسعى إلى التفوق والسيطرة بما يكشف عنه من أسلوب حياة ثابت وذات خلقة . وفي آخر المطاف وسع أدلر من نظريته إلى الإنسان باعتباره كائناتياً له اهتمامات اجتماعية . وبذلك يتجه البحث إلى أثر الجماعة في السلوك : يقول أدلر (١) : إن الشعور الاجتماعي ، بعد الميل إلى القوة ، يلعب أهم الأدوار في نمو الخلق . وينتج وجود ذلك الشعور ، كما يتضح الميل إلى الظهور ، في ميول الطفل الأولى وخاصة في شغفه بتوثيق صلاته مع غيره ، وفي المتعة بما يبدو أنه نحوه من عطف وحنان . .

وهذا الميل الاجتماعي في نظره يتصف بأنه فطري عام بين أفراد الجنس شأنه في ذلك شأن الفريزة . وهو يحتاج للتعبير عن نفسه إلى الاتصال بالآخرين في الجماعة التي يعيش الفرد بين ظهراتها . وهذا الاتصال شرط ضروري للكشف عن هذا الميل فبما أنه يولد من آماسي ، فكذلك يقوم هؤلاء برعايته في نشأته . فالإنسان إذن لديه استعدادات لأن يهتم أو يميل إلى غيره من الناس ويظهر هذا الاهتمام عادة في البيئة الاجتماعية فالعنصر الاجتماعي إذن بالغ الأهمية في حياة الأفراد . يقول أدلر : إن دراسة الحياة الواقعية للفرد ، تدفعنا إلى تقدير أهمية العنصر الاجتماعي فيها ، إذ أن الفرد لا يصير فرداً إلا في مجتمع . وإذا كانت مدارس علم النفس الأخرى تفرق بين

(1) Adler A. : Understanding Human Nature. Fawcett Publications Inc. Greenwich Inc, 1954.

ما يسمى سيكولوجية فردية وما يسمى سيكولوجية اجتماعية ، فنحن لا نؤمن بهذه التفرقة على أى وجه من الوجوه ، (١) .

والطفل ينشأ تحت رعاية والديه واهتمامهما ، وكذلك المحيطين به فى الأسرة . فهم يرعونه ويطعمونه وينظفون جسمه ويدخلون عليه الإرتياح عنده الإحساس بالألم . وكل ذلك من شأنه أن يحدث فى الطفل انطباعاً أن العالم الذى يعيش فيه عالم طيب . وأن الواحد فيه يساعد الآخر ويهتم به . وهذه التنشئة الاجتماعية تعتبر بالغة الأهمية لنقل هذا الكائن الحى من كائن حيوانى إلى كائن إنسان اجتماعى يعيش فى مجتمع يتأثر به ويؤثر فيه .

وعملية التنشئة الاجتماعية تستغرق وقتاً طويلاً وتبدأ منذ الأيام الأولى فى حياة الطفل داخل المنزل . والواقع أن عملية التنشئة الاجتماعية ليست بالمشكلة الهينة السهلة ، كما أنها تحتاج إلى فترة طفولة طويلة تم خلالها . وليس بين الكائنات الحية الأخرى من تطول فترة طفولته كالإنسان . وكلما تعقدت الثقافة زادت مشكلات التربية . ولذلك وجه أدلر اهتماماً كبيراً بمشكلات الأطفال وأنشأ العيادات النفسية لتوجيه الأطفال والآباء من أجل تنشئة اجتماعية سوية . ومن خلال عملية التنشئة الاجتماعية السوية يمكن للطفل السيطرة على ميوله العدوانية والتعطش الزائد إلى القوة وتوجيه رغبات التفوق فى مسالك اجتماعية ونفسية مقبولة . وبذلك تم عملية التكيف السوى مع المجتمع الذى يعيش فيه .

ولا تتوقف التنشئة الاجتماعية عند حدود المنزل ، بل أن المدرسة تلعب دوراً هاماً فى هذا الصدد (٢) : فهى البيئة الثانية التى ينتقل إليها الطفل والتى

(1) Adler A.: The Science of Living Messrs George Allen and Unwin.

(2) Way, Lewis. Alfred Adler : An introduction to his Psychology
Penguin Books, 1956.

تستمر فيها عملية التثنية على نطاق أوسع ، وبلعب المربون دوراً لا يقل أهمية عن دور الآباء في هذا الصدد . ومن الملاحظ أن محيط الطفل مع النمو يأخذ في الاتساع . فبدلاً من التكيف مع محيط الأسرة الضيق ، فإنه يتكيف مع محيط زملاء والرفاق وهو محيط أوسع بكثير من محيط الأسرة ، ويساعدُ حسن التوافق في هذا المجال على حسن التوافق مع العالم الخارجي الكبير فيما بعد .

وفي المدرسة يشعر الطفل أن كل شيء قد أعد لمصلحته . فالمدارس قد بنيت وتعمل من أجله ، والمدرسون يربونه ويرعونه ، كما أن فرص التعاون وتكوين علاقات متبادلة مع الآخرين والتوحد بالجماعة والتعاطف ، كل ذلك يجده الطفل داخل جدران المدرسة ، وفي علاقته بمدرسيه وزملائه مما يقوى عنده الميل الاجتماعي والاهتمام بالآخرين .

ومن خلال التربية الاجتماعية في البيت والمدرسة يتعلم الطفل الكثير من العادات الاجتماعية . يتعود أن يكون نافعا للجماعة التي يعيش فيها ، يتعود ضبط النفس وعدالة التقدير واحتمال الأخطاء وتحمل المسؤولية بروح طيبة ، وهي كلها صفات تنميها أجواء البيت والمدرسة من أجل إعداد الطفل إعداداً طيباً للمجتمع الكبير .

وقد ألح أدلر في الحديث عن الميل الاجتماعي حتى نسب إليه نشوء التفكير والعقل والمنطق والأخلاق والجماليات . وقال إنها جميعاً أمور لا تنشأ إلا في المجتمع . وأنها في نفس الوقت روابط بين الأفراد . فهي تحفظ الحضارة من التحلل . ذلك أن كل الكفايات الإنسانية لا يمكن أن تنمو وتنهض إلا من خلال اهتمامنا برفاقنا في المجتمع ، وليست اللغة أو القراءة أو الكتابة سوى جسر للوصول إلى غيرنا من الناس . كما أن التفكير من الأمور المشتركة بينهم جميعاً ، وليست وظيفة مستقلة في كل واحد منهم ، لأن فهم الأمر هو فهمه على الوجه الذي يغيل لنا أن الناس جميعاً يفهمونه عليه (١) .

الفصل التاسع عشر

الشخصية في نظريات التحليل النفسي الحديثة

هناك عدد من نظريات الشخصية ترتبط برباط وثيق بمدرسة التحليل النفسي، ولمكنها مع ذلك ليست متماثلة. ويبرر تشابه أصلها معالجتها هنا تحت موضوع واحد. والمصطلح، المدارس التحليلية النفسية الحديثة، يشير إلى الإطار التحليلي النفسي الأساسي، كما يشير في الوقت نفسه إلى ما أدخل من تعديل على بعض ما جاء بالنظرية التقليدية لفرويد، وإكمال الجوانب التي لم يكتمل تطورها. وإبراز بعض مسلمات فرويد بصورة واضحة، وتحديد بعض مفاهيمه الأساسية تحديداً دقيقاً.

لقد أثير الجدل في حياة فرويد وبعدها، حول بعض الفروض الأساسية لنظريته، وحول بعض المفاهيم الخاصة، وحول التوكيد اللسبي لبعض هذه المفاهيم، مما أدى إلى انشقاق يونج وأدلر عليه. من ذلك مثلاً هل تصدر الدوافع عن نفس الأصل الغريزي الثابت والذي لا يقبل التغير، وهل السنوات الخمس الأولى في حياة الفرد لها أثرها الثابت في تكوين شخصيته، وما الدور الذي يمكن أن تلعبه خبرات الطفولة المتأخرة والشباب بعد ذلك، هل الوزن الذي أعطاه فرويد للتأثيرات الاجتماعية يعادل حقاً ما لهذه العوامل من أثر في تكوين شخصية الفرد، هل الجنس والعدوان هما خفيقه الدوافع الأساسية، وهل عقدة أوديب ومراحل النمو النفسي الجنسي أشياء عامة بين جميع أفراد الجنس البشري أم أنها تظهر لدى بعض الأفراد وفي بعض الثقافات، وهل الدوافع اللاشعورية لها مثل هذه الأهمية.

البالغة التي أعطاهما لها فرويد ، وهل دور الأنا هو حقيقة دور التابع لرغبات
الهو والخاضع لها .

إن اهتمام المحللين النفسيين اليوم يتجه إتجاهاً زائداً نحو توسيع بعض
مفاهيم فرويد وإعادة صياغتها وبخاصة مفهوم الأنا الذي أورده في كتابه
سيكولوجية الجماعة وتحليل الأنا (١٩٢١) وفي كتابه « الأنا والهو » (١٩٢٢)
وفي غيرهما من كتبه العديدة . فبالرغم من أن فرويد اعتبر الأنا السلطة
الإدارية للشخصية العقلية ، إلا أنه لم يسلّم لها بوضع قائم على الاستقلال
الذاتي ، بل يظل الأنا تابعا لرغبات الهو وخاضعاً لها . فكما أوضح فرويد
إن الهو له الأهمية الكبرى طوال الحياة . فالهو وغرائزه يعبر عن الفرض
الحقيقي لحياة الكائن الحي الفرد . والهو هو العضو المسيطر في هذا التنظيم
الذي وضعه فرويد للشخصية . أما المحدثون من أنصار هذه المدرسة ، فقد
أدخلوا الكثير من التعديل على نظرة فرويد للأنا . وابتعدت اتجاهاتهم
عن الوظائف الدفاعية للأنا ، واتجهت نحو دراسة الوظائف التركيبية
(نلبيرج Nunberg ١٩٣١) والتكاملية (فرانش French ١٩٥٢) والتنظيمية
(هارتمان ١٩٥٨) والمسيطرة (هندريك ١٩٤٣) والوظائف المتعددة للأنا
(ويلدار Waillard ١٩٢٦) .

وقد أكد هارتمان وكريس ولوفنشتين (١٩٤٧) ضرورة تعريف الأنا في
ضوء وظائفها . وقد تركزوا كيدم على العمليات السوية التوافقية العاقلة الأنا
أكثر منه على تكويناتها المرضية . فميكازمات الأنا ليست بالضرورة مرضية
أو سلبية في صفتها ، بل قد تخدم غرضاً سويّاً في تكوين الشخصية ، فما ينمو
كنتاج للدفاع ضد دافع غريزي ، قد يصبح بالتدريج وظيفة أكثر أو أقل
استقلالا ، وأكثر أو أقل تشكلا . فهي قد تخدم وظائف متعددة كالتوافق

والتنظيم وغيرها . وقد افترض هؤلاء أيضا أن هناك مرحلة غير متفاضلة في بداية الحياة يتكون خلالها كل من الأنا والهو . وبعبارة أخرى ، لا يخرج « الأنا » من « هو » ، موروثة ، وإنما لكل من النظامين أصله في الاستعدادات المدروسة ؛ كما أن لكل منهما مسار نموه المستقل الخاص به . ومن مثل هذه الفروض ظهرت إلى الوجود « سيكولوجية الأنا » الجديدة وهي سيكولوجية يمثل فيها الأنا كنظام عقلي مسئول عن الإنجازات العقلية والاجتماعية ، نظام لا يعتمد أداؤه لوظائفه اعتماداً كلياً على رغبات الهو . إن له مصادر طاقاته الخاصة به ودوافعه واهتماماته الخاصة وأهدافه الخاصة . إن سيكولوجية للأنا كهذه ، يبدو أنها تشكل خروجاً جذرياً على تقليد التحليل النفسي (١) .

ومع بداية التفسكير في سيكولوجية الأنا ، بدأ الاهتمام بالفرائز والنمو النفسي والوجداني وغير ذلك من الأمور التي تقع في دائرة الهو ينحفت ويقل . ففكرية الفرائز لم يعد لها أنصار كثيرون بين علماء النفس المعاصرين ، وإنما أصبحت موضوع اهتمام علماء الحياة . وهذا الاتجاه ليس إلا جزءاً من حركة أكبر تقلل من الدور البيولوجي للتحليل النفسي ، وذلك بالتقليل من دور الوراثة ، وزيادة الدور الذي يقوم به المجتمع في تشكيل الشخصية أو نقص تكوينها . ومن هنا ظهر ميل ملحوظ لدى بعض أنصار مدرسة التحليل النفسي الحديثة إلى الإقلال من دور الفرائز ، وإبراز دور المتغيرات السيكولوجية والاجتماعية التي يعتقد أنها تشكل الشخصية ، أى قل الحديث عن الفرائز وتقليلها أو نظرية الليبيدو ، على حين إزداد الحديث عن اكتساب سمات الشخصية عن طريق الخبرة ونتيجة الظروف الاجتماعية . وتعتبر كارين هورني

(١) هول الندرى : نظريات الشخصية ترجم د . فرج أحمد فرج وآخرون . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١ م . ٩١ .

وإريك فروم وهارى ستاك سوليفان من أهم أنصار هذا الاتجاه الذى يركز الإهتمام حول العوامل الاجتماعية ، وبشكل يتفق أساساً مع نظرية أدلر . فقد شرعت هورنى كما شرع فروم ، فى محاربة الاتجاه الفريزى القوى فى التحليل النفسى ، والإصرار على أهمية المتغيرات النفسية الاجتماعية للشخصية . كما دعم سوليفان فى نظريته عن العلاقات الشخصية المتبادلة مكانة نظرية الشخصية القائمة على العمليات الاجتماعية وسوف تشير إلى هذه النظريات باختصار :

كارين هورنى . (١٨٨٥ - ١٩٠٢)

عرضت هورنى نظريتها فى الشخصية فى كتبها التى أهمها :

The Neurotic Personality of Our Time (1937)

Self Analysis (1942), New Ways in Psychoanalysis (1939)

Neurosis and Human Growth (1950), Our Inner Conflicts (1945).

كانت هورنى تعتقد إعتقاداً راسخاً فى قابلية الطبيعة البشرية للتغير نحو الأحسن . فقد كانت متفائلة بالنسبة لتطور الكائن الحى . وشجعها على ذلك الصفات الإيجابية فى الجنس البشرى . ومن هنا كانت تعتبر نظريتها نظرية بناءة ، لأنها قد تؤدى حقيقة إلى حل المصائب . وإذا كان السلوك العصائى هو محور تفكيرها ، فإن حل هذا السلوك العصائى يمكن أن يؤدى إلى خلق مجتمع أكثر صحة وسعادة . ويمكن أن نلخص هذه النظرة البناءة المتفائلة فيما ورد فى كتابها « صراعاتنا الداخلية » . تقول هورنى أعتقد أن الإنسان لديه القدرة والرغبة فى تنمية إمكانياته ، وأن يصبح إنساناً وديعاً . هذه الإمكانيات نذبل إذا استمرت علاقاته مع الآخرين - وبالتالي مع نفسه - فى حالة اضطراب .

وإنى أعتقد أن الإنسان يمكنه أن يغير ويظل يغير، طالما كان على قيد الحياة . وقد نرى هذا الاعتقاد مصحوباً بفهم أعمق (ص ٩) . ونقول أيضاً أن جرأتنا على تسمية مثل هذه الأهداف العالية ، تقوم على الاعتقاد بأن الشخصية الإنسانية يمكن أن تتغير ، فليس الطفل وحده هو المرن القابل للتشكل ، بل إننا جميعاً لدينا القدرة على التغير ، حتى في طرق أساسية طالما كنا على قيد الحياة . وهذا الاعتقاد تدعمه الخبرة والتجربة (ص ٢٤٢) والإنسان يجب أن يكون فاضلاً ولكن ليس على نحو متكلف - إنه يجب أن يهدف إلى الكمال إذا أراد بلوغ السعادة وأن يخضع السلوك العصائى لعوامل الضبط والتحكم .

وتذهب هورنى إلى إن الثقافة الحاضرة (وتسمى بها على وجه الخصوص الثقافة الغربية التى عاشت فيها) من شأنها أن تخلق قدراً كبيراً من القلق فى الفرد الذى يعيش فى هذه الثقافة . وتذهب إلى أن المرض النفسى أو العصاب هو المصاحب الطبيعى للإنسان الذى يعيش فى مثل هذا المجتمع الصناعى اليوم . وقد خصصت الموضوع الرئيسى لكتابها د الشخصية العصابية فى زمانها للصراع فى الثقافة ، والأساليب المختلفة التى يقوم بها الفرد فى توافقه مع ظروف الحياة . وليس أدل على تأثير الاتجاه الثقافى فى تفكيرها من قولها : إن العصاب مع أنه مصطلح طبي نفسى فى أساسه ، إلا أنه لا يمكن استخدامه الآن دون الإشارة إلى تضميناته الثقافية . وكذلك قولها . إن مفهوم ما هو عادى يتغير ليس فقط بتغير الثقافات ولكن أيضاً داخل الثقافة الواحدة بتغير الأزمنة .

والنظرية الاجتماعية لهورنى أظهرت مفهوماً أولياً عندها ونعنى به مفهوم د القلق الأساسى basic anxiety . وقد أوضحت هذا المفهوم فى كتابها

الشخصية المعصية في زماننا (١٩٣٧) وإن استثارة هذا القلق ومصيره - وليس الدوافع الجنسية والعدوانية التي قال بها فرويد - هي الأساس لفهم شخصية الفرد. وقد عرفت هورنى هذا القلق الأساسي بقولها... «لأنه الإحساس الذى يلتاب الطفل بعزله وقلة حيلته في عالم يحفل بإمكانيات المداوة». وثمة مجموعة من العوامل المعاكسة في البيئة يمكن أن تؤدي إلى هذا الشعور بانهدام الأمن لدى الطفل: التحكم والسيطرة المباشرة وغير المباشرة، اللامبالاة والإهمال، السلوك الشاذ، عدم احترام حاجات الطفل الفردية، الإفتقار إلى التوجيه الحقيقي، الإنجازات المتضاربة، الإسراف في الإعجاب أو عدم وجوده إطلاقاً، الإفتقار إلى حرارة العاطفة الثابتة، الإضطراب إلى مناصرة أحد الوالدين في الخلافات العائلية، المسئولية الزائدة عن الحد أو القليلة للغاية، الإسراف في الحماية، الإنعزال عن الأطفال الآخرين، عدم العدالة، التفرقة في المعاملة، عدم الوفاء بالوعود، الجو المعادى وما إلى هذا كله. «نظريات الشخصية ص ٧٨».

فالبيئة المنزلية والتركيب الاجتماعى داخل الأسرة له على هذا الأساس أهمية كبيرة في نظر هورنى. ففي هذا التركيب الاجتماعى للأسرة، وفي استجابة الطفل له يكمن مفتاح نمو شخصية الفرد،

والطفل القلق يحارل أن يستجيب لمشاعر القلق عنده باتخاذ أساليب مختلفة توافقية. وإلى درجة كبيرة غير عقلية إذا كان القلق شديداً ومستمراً. وهذه الأساليب التوافقية تبلور في أنماط دافعية مستمرة في صورة حاجات معصية، وسوف نوضح أولاً أساليب التوافق الكبرى عند هورنى والمتنقل بعدها إلى دراسة الحاجات المعصية.

أساليب التوافق الكبرى عند هورنى :

أوضح بيشوف (١) هذه الأساليب التوافقية الأساسية عند هورنى فى هذا التخطيط البسيط .

(خضوع)	التحرك	نحو	الناس	(الطفل)
(عدوان)	التحرك	ضد	الناس	(المراهق)
(إبتعاد)	التحرك	بعيداً عن	الناس	(الراشد)

وقد أوضحت هورنى الأسلوبين الأولين وهما الخضوع والعدوان فى مواقف الصراع فى كتبها الثلاثة الأولى . وأوضحت الأسلوب الثالث وهو الابتعاد فى كتابها « صراعاتنا الداخلية » . وسوف نوضح المصطلحات التى تقوم عليها هذه التخطيطات .

والنقط الأولى : يذهب إلى أنه « إذا كنت محبى ، فلا تؤذنى ، فمن طريق تقبل الخضوع لحل الصراع ، يأمل الطفل أن يكسب عطف الآخرين . وبذلك يجعلهم يحلون صراعاته معهم .

النقط الثانى : يذهب إلى أنه « إذا كانت لدى قوة ، فلن يستطيع أحد أن يؤذنى » . فهذا النمط من الناس يفترض أن العالم من حوله عالم عدوانى خافى بالعوامل المعاكسة ، ولذا فأفضل سبيل للتغلب على الصراع وخفض التوتر هو ضبط العناصر العدوانية فى الحياة .

(1) Bischof, Ledford J. Interpreting Personality Theories. New York, Harper & Row 1964.

النمط الثالث يذهب إلى أنه إذا ابتعدت ، فلن يصيبني أو يؤذيني شيء ،
فمن طريق الابتعاد جسمىاً وعقلياً يمكنه أن يحل صراعاته .

وعلى ذلك ، فهناك أنماط ثلاثة من السلوك العصائى فى نظر هورنى هى
الخضوع والعدوان والابتعاد . والمصطلح الثانى الذى عيّنت به هورنى فهو
" التحرك " . ذلك أن هورنى تذهب إلى أن الحياة دائماً فى حركة ، فهى ليست
ساكنة وكل ما فى الحياة يتحرك فالكائنات الحية تتغير باستمرار ، فهى تنمو
وتتضج وتكبر وتهرم . ونفس الشيء ينطبق على الإنسان ، ففى نفس اللحظة
التي تمر بك وقت قراءة تلك هذه السطور فإنه قد طرأ عليك تغير . وإن كان غير
ملحوظ ، إلا أنه مع ذلك تغير ، فالتغير هو المعيار الحيوى للحياة والشخصية
الإنسانية الحية يجب أن ينظر إليها دائماً فى ضوء الحركة المستمرة . وقد
أوضحت هورنى اتجاهات ثلاثة عامة تتحرك نحوها شخصية الفرد . ويمكن
الهدف من هذه الحركة فى اتجاه الناس . فاضطراب الإنسان يرجع إلى الإنسان
والصراعات والقلق والعصاب التى تعترى وجود الفرد تمكن جذورها فى
أخيه الإنسان . فاعمق إهتمامات الفرد تدور حول علاقاته بغيره من الأفراد
الذين يحيطون به . وليس من المهم أن يعرفهم شخصياً فقد تكون مسألة سمعته
مع الناس عامة هى مصدر قلقه . أما إنزعاجاته من القرى الطبيعية كالبرق
والرعد وغيرها ، فوقتية .

والشخصية الإنسانية فى حركتها تمر بأنماط ثلاثة من الأساليب التوافقية
ابتداء من الطفولة حتى الرشد مارة بالمراهقة . فالطفل أكثر ميلاً إلى كسب
حب الآخرين عن طريق الخضوع لهم وهو يلجأ إلى هذا الأسلوب أكثر
منما يلجأ إلى الأسلوبين الآخرين وهما العدوان والابتعاد . والسبب فى ذلك
يبدو واضحاً فصغار أى نوع من الكائنات الحية تبدو للبيئة وجذابة ومحبوبة .

فالقطيطة والجرو وصغار الحيوانات نحب اللعب معها ومداعبتها . وكذلك صغار الأطفال . ولذا فمن الطبيعي أن يستخدم الطفل أقوى أسلحته في هذه المرحلة في حل صراعاته ونعني بها : القابلية لأن يحب ، ومن غير الطبيعي أن يلجأ الطفل إلى الأسلوبين الآخرين فيكون عدوانيا أو انعزاليا ، وذلك لسبب بسيط هو أنه في هذه المرحلة يعتمد إلى درجة كبيرة على الآخرين في طعامه وبقائه .

وفي المراهقة يبدو أن الشخص يميل إلى السلوك بشكل عدواني . وهذا ما يتضح في سلوكه نحو الكبار المحيطين به من أبوين ومصادر السلطة في المجتمع . ولكونه في مرحلة لا هو فيها رجل ولا هو طفل ، فإن المراهق يتحرك ضد الناس وذلك في بحثه عن الدور الذي يرغب في تحقيقه في الرشد

أما في الرشد والكبر ، فقد نجد أسلوب التحرك بعيداً عن الناس ، فع تقدم السن بالفرد يجد أنه لم يعد في حاجة لأن يدور في المجتمع بحرية على نحو ما كان يفعل في مراهقته . وإذا نهده يفضل عدداً قليلاً من الأصدقاء الهادين على جماعة الشلة الصاخبة التي كان يفضلها في شبابه . فالنمط العام للسلوك في السنوات الأخيرة من الرشد تقسم بالابتعاد والانعزال .

أي أن أساليب التوافق العصبي في التحرك نحو أو ضد أو بعيداً عن الناس يمكن أيضاً تتبعها زمنياً خلال نمولك شخصية ولنتقل الآن إلى دراسة ديناميات العصبيين في تحركهم نحو ، ضد أو بعيداً عن الناس .



أولاً : التحرك نحو الناس (خضوع) .

وهذا النمط يقوم بمجهود كبيرة لكسب محبة الآخرين . فمحبة الآخرين له تحميه مما قد يهيبه منهم من أذى . فمن يحب لا يؤذى . وهو إذا خضع لهم

فسوف لا يلحقه أذى منهم . والنقطة الآتية تلخص سلوكه عندما تقلب صراعاته الداخلية توازن حياته :

١ - إن الطفل يحاول ويحاول أن يصبح مسيطراً . ولكن كل الأساليب التي يتخذها تبدو نتائجها غير كافية ولا تؤدي إلى إشباع . ومع مرور الوقت يتقبل الطفل ضعفه وعجزه ليتوافق والصراع داخل نفسه والذي ينمو تجاه الآخرين .

٢ - وما أن يتقبل ضعفه للتوافق مع الآخرين الذين هم أقوى منه ، فإنه يتحرك نحو الناس ويذل جهداً كبيراً يشعر بالأمن عن طريق ربط نفسه بمن هم أقوى منه . وبسبب هذا الشعور بالإلتواء إلى الجماعة وما تمنحه إياه من سند ، فإنه يشعر بأنه صار أكثر قوة وقدرة على مواجهة الحياة .

٣ - ثم هو إذا فشل ، فسرعان ما يهرع الآخرون لتجديته . ففي تقبل الجماعة له قوة ، وفي نبذها له ضعف . فهو لا يمكنه أن يحيا بدون حب ورعاية . ولذا فهو يعمل أشياء كثيرة من أجل إرضاء الآخرين . فيتنازل عن بعض حاجاته من أجل إرضاء الكبار حوله كما يكون يقظاً لرغبات الغير ومطالبهم مستعداً للتضحية من أجل كسب الرضا عنه .

٤ - وفشل هذا النمط في تحقيق أهدافه وكسب محبة الآخرين له ، غالباً ما يحوله إلى حالة توهم المرض « هيبوكوندريا » ، وتجعله ضحية الشكوى لعديد من الأمراض السيكوسوماتية . فطالما أن المجتمع يعطف على العاجز والضعيف والمرضى ، فليكن في شكواه المستمرة من المرض ما يستدر به عطف الغير .

ثانيا : التحرك ضد الناس (عدوان) .

ورغم أننا جميعاً نستخدم - حسب هورنى - هذا الأسلوب في الأوقات التي نراه فيها مناسبة ، إلا أن هذا النمط العصبي الذي من هذا النوع يغالى في استعمال العدوان في علاقته بالآخرين . فهو يصبح عدوانيا بشكل ظاهر . ويميل إلى الانتقام لنفسه من هؤلاء الذين يذروه . والنقط الآتية تعد أبرز وأوضح مبررات هذا النوع .

١ - أنه يبدأ من مسألة هي أن العالم الذي يعيش فيه عالم عدواني . ولذا فعليه - شعوريا أو لا شعوريا - أن يقاوم العدوان ويحاربه . ومثله السائد في هذه الحالة « لا تغذى به قبل أن يتعشى بك » .

٢ - الإحساس أو الرغبة الأولى لدى هذا النمط هي الرغبة في أن يكون قويا يسيطر على الآخرين ويهزم أعداءه أيا كانوا وأينما كانوا . وبسبب حالة عدم الثقة هذه في الآخرين ، فإن دفاعاته تكون دائما في حالة استعداد . فهو دائما في يقظ لحماية نفسه . وفلسفته السائدة هي أن « ليس هناك حق بدون قوة تحميه » .

٣ - وهذا الميل إلى السيطرة قد يكون في صورة ضمنية أحيانا . أى في شكل مساعدة للغير وبطريقة إنسانية ، وفي ثانيا هذه المساعدة للغير تكمن الرغبة في القوة والسيطرة على الآخرين . وقد تكون هذه الرغبة في السيطرة عن طريق مساعدة الغير لاشعورية وقد تكون شعورية كذلك .

٤ - أن نظرة هذا النمط للنمط الأول الذي يتحرك نحو الآخرين والذي يبنى محبة الآخرين له ، يكون مزيجا من الازدراء والإشفاق ،

وذلك في ضوء نظرنه إلى هذا العالم من حوله والذي تسوده القوة والميول العدوانية .

ثالثاً : التحرك بعيداً عن الناس (الابتعاد)

والابتعاد قد يكون جسمى أو عقلياً أو هما معا . والابتعاد الذي له طبيعة عقلية هو أكثرها وضوحاً في حالات الفصام وبخاصة في حالات الفصام المكتانوفى أو التخشبى . وتقوم فلسفة الابتعاد فى هذا النمط من السلوك التوافقى العصابى على أساس فلسفة الفرد فى حل مشكلاته ، والتي تستند إلى أنه إذا ابتعد عن الناس فلن يصيبه منهم أذى . والنقط الآتية تعد أبرز وأوضح مظاهر هذا النمط .

١ - إن العصاب الذى يتبع هذا النمط ، لا يرغب على وجه التحديد فى الانتهاء ، ولا فى العدوان ، وإنما تكون رغبته الملحة فى أن يظل بعيداً . فلكون الناس هم مصدر الصراع وعدم الإحساس بالسعادة ، فليكن فى الابتعاد عنهم سبيلاً لحل صراعاته . والفلسفة السائدة لهذا النمط هى قوله « البعد عن الناس غنيمة » . فالبعد عن الآخرين يقلل من الاحتكاك بهم ويبعده من المشكلات التى يسببها هذا الاحتكاك . فهو يعيش لنفسه وبف نفسه ، وأن ليس هنا شئ كثير يربطه بالآخرين .

٢ - ولافتقاره إلى القدر الكافى من المشاركة الاجتماعية ، وميله إلى الابتعاد عن الناس ، فإن هذا النمط يكون أكثر ميلاً إلى حب الكتب والقراءة والوحدة ويميل إلى الأحلام والخيالات والفنون . وهو يكون لنفسه عالماً خاصاً به وحسب رغبته . ولذا نجده قليل الأصدقاء يفضل الكتاب على الإنسان ومثله السائد فى هذه الحالة ، الكتاب هو أوفى صديق .

٣ - ولكي يقوى على الابتعاد عن الناس عقليا ومكانيا ، فإنه يجب أن يكون من القوة بحيث يستطيع أن يشبع مطالبه الشخصية ، فالضعيف لا يمكنه أن يتبنى مثل هذا الأسلوب من التوافق . إن عليه أن يعيش وأن يعتمد على نفسه إلى حد بعيد .

٤ - هذا النمط يحاول أن يُبقى على فرديته . وهذا ما يتضح حين يوجد مع تجمعات من الناس أو في حفلة مثلا فإنه سرعان ما ينعزل ويتبعد عن الآخرين ويفضل الجلوس وحيدا بعيداً عن الصخب .

تلك هي الأساليب الثلاثة للتوافق التي أوصفتها هورني لتلقى الضوء على الأنواع العصابية الأعمق من السلوك . وقد يصبح أحد هذه الأساليب الثلاثة على قدر من الثبات في الشخصية ، وبعبارة أخرى قد يتخذ أسلوب محدد منها صفة الدافع أو الحاجة المميزة لديناميات الشخصية . والصراع الناشئ عن عدم القدرة على استعمال هذه الأساليب الثلاثة من أساليب التوافق هو ما عرضته أساساً تحت اسم الحاجات العصابية . وقد قدمت هورني في كتابها تحليل الذات ، طبعة ١٩٤٢ قائمة من عشر حاجات نكتسب نتيجة محاولة العنور على حلول لمشكلة اضطراب العلاقات الإنسانية . وقد سميت هذه الحاجات «عصابية» لأنها حلول غير منطقية للمشاكل ، وتذهب هورني إلى أن الفرق بين قدرة الشخص العادي على إحداث التكامل بين هذه الحاجات وتجنب الصراع ، وبين عدم قدرة العصبي على ذلك ، إنما هو مسألة درجة .

وبينا يستطيع الشخص السوي حل هذه الصراعات باضفاء التكامل بين هذه الحاجات العشر وبكل واحدة منها أو أكثر ببقية الحاجات الأخرى ، فإن العصبي يفشل في إحداث التكامل بين معظم هذه الحاجات في نمط من أنماط

الحياة ، ونتيجة لذلك ، يتجه أكثر وأكثر نحو حلول غير واقعية ومفتعلة ومثالية .

وفيما يلي تشير إلى الحاجات العشرة التي منها استنبطت هورني الأنماط الثلاثة الرئيسية لأساليب التوافق ، ونعني بها التحرك نحو وضد وبعبداً عن الناس . وهذه الحاجات توجد لدى جميع الناس ، ولكنها تكون لدى العصاة بصورة مبالغ فيها من حيث القوة ومن حيث التركيز على أسلوب منها وعدم القدرة على إحداث التكامل بينها .

الحاجات العصائية:

- ١ - الحاجة العصائية للحب والتقبل . والسمة البارزة لهذه الحاجة هي رغبة الفرد في إرضاء الآخرين وعمل ما يتوقعونه وأنه يعيش ليدخل السرور عليهم وكسب محبتهم . وهذه الحاجة تدفع الفرد إلى التحرك نحو الناس .
- ٢ - الحاجة العصائية إلى « شريك » مسيطر يتحمل مسؤولية حياة الفرد : والسمة البارزة لهذه الحاجة هي أن يصبح الشخص طغلياً من النوع الذي يخضع ويطلب الحب والرعاية من شريك قوى في مقابل حب جارف من جانبه . ولذا فالشخص الذي تسيطر عليه هذه الحاجة يكون من النوع الذي يسرف في تقدير الحب ويخاف أشد الخوف من أن يهجره الغير ويصبح وحيداً . وهذه الحاجة تدفع الفرد إلى التحرك نحو الناس .

- ٣ - الحاجة العصائية إلى تقييد الفرد لحياته داخل حدود ضيقة : والسمة البارزة لهذه الحاجة أن يصبح الشخص من النوع الذي لا يطلب شيئاً ، يقنع بالقليل ، يفضل البقاء مغموراً والانسحاب إلى خلفية الصورة ، من النوع المحافظ . ويكون انجماء الفرد في هذه الحالة هو الابتعاد عن الناس .

٤ - الحاجة العصابية إلى القوة : والسمة البارزة لهذه الحاجة هي دفع الشخص إلى تمجيد القوة والسيطرة واختفاء الضعف ، ويكون اتجاه الفرد هو « الابتعاد عن الناس » .

٥ - الحاجة العصابية إلى استغلال الآخرين : والسمة البارزة لهذه الحاجة هي دفع الفرد إلى أن يكون مسيطرأ مستغلاً للآخرين برفض الهزيمة في اللعب ويكون اتجاه الفرد هنا هو « ضد الناس » .

٦ - الحاجة العصابية إلى التقدير أو المكانة المرموقة : والسمة البارزة لهذه الحاجة هي ميل الفرد إلى أن يكون معروفاً بين الناس ، ينال الكثير من التقدير الاجتماعي ، يذكر اسمه في الصحف والمجلات . ومن المحتمل أن يكون اتجاه الفرد هنا هو « ضد الناس » .

٧ - الحاجة العصابية إلى الإعجاب الشخصي : والسمة البارزة لهذه الحاجة هي رغبة الفرد في أن يصبح عظم أنظار الآخرين ، وأن يروونه كصورة مثالية ويكون اتجاه الفرد هنا هو « ضد الناس » .

٨ - الحاجة العصابية إلى الطموح في التحصيل الشخصي : والسمة البارزة لهذه الحاجة هي الرغبة الجامحة لأن يصبح غنياً مشهوراً مهماً ، بصرف النظر عما تكلفه هذه الشهرة بالنسبة له وللآخرين . ويكون اتجاه الفرد هنا هو « ضد الناس » .

٩ - الحاجة العصابية إلى الاكتفاء الذاتي والاستقلال : والسمة البارزة لهذه الحاجة هي الرغبة إلى أقصى حد في تجنب الارتباط مع الآخرين بأى التزام ، وأن يعزل نفسه عن الآخرين . ويكون اتجاه الفرد هنا هو « بعيداً عن الناس » .

١٠ - الحاجة العصابية إلى السكال واستحالة التعرض للهجوم : والسمة

البارزة لهذه الحاجة هي عدم محاولة الوقوع في الخطأ الذي يعرضه للنقد والتجريح من جانب الآخرين ، ومحاولة جعل نفسه حصناً لا يهاجم . ومن المحتمل أن يكون اتجاه الفرد هنا هو : بعيداً عن الناس . . .

تلك هي الحاجات العشرة التي تهدر عنها الصراعات الداخلية للفرد . فالحاجة العصبية للحب والتقبل ، مثلاً لا تزوى . وكلما زاد ما ناله الفرد منها زادت رغبته في المزيد والتقبل وتكون النتيجة ألا يشبع أبداً .

والسؤال الآن : أليس من الممكن تجنب هذه الصراعات أو حلها ؟ نذهب هورني إلى أن ذلك ممكن إذا ربي الطفل في أسرة يتوفر فيها الأمن والأمانينة وانفثة المتبادلة والمحبة والاحترام والتسامح والدفء العاطفي . وبهذه الصورة ترجع الصراعات إلى العوامل والظروف الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد أكثر مما نجعله جزءاً من طبيعة الإنسان ، وأنه لا مفر من ظهوره لديه . فنظريتها هنا أقرب إلى أدلر منها إلى فرويد .

هارى ستاك سوليفان (١٨٩٢ - ١٩٤٩) :

يعتبر سوليفان صاحب مدرسة جديدة في الطب النفسي وتعرف نظريته باسم « نظرية العلاقات الإنسانية المتبادلة في الطب النفسي » . ترتبط هذه النظرية بفكرته عن الشخصية . ونظريته في الشخصية تحليلية بدرجة أقل إذا ما قورنت بنظرية هورني أو نظرية فروم . ورغم أن سوليفان يعترف بأنه يدين عقلياً لفرويد ، فإن نظريته تحمل شياً كبيراً لنظرية أدلر .

وتد عرف سوليفان الشخصية بأنها « النمط المستمر نسبياً للمواقف الشخصية المتبادلة التي تميز الحياة الإنسانية فالشخصية في نظره كيان فرضي خالص بمسكن استنباطه والاستدلال عليه من سلوك الفرد في علاقاته بالأشخاص الآخرين أو الأشياء . فالشخصية توجد فقط حيث توجد العلاقات المتبادلة بين الأفراد ، أي أن وحدة الدراسة في نظره هي المواقف الشخصية

المتبادل ولبس الشخص . فالحديث عن الشخص كوضوح للدراسة حديث أجوف في نظره ، لأن الفرد لا يوجد ولا يمكن أن يوجد بمحول عن الآخرين . فالشخصية إذن لا يمكن دراستها ما لم يكن هناك تفاعل متبادل على الأقل مع شخص آخر ، رغم أن هذا الشخص الآخر ليس من الضروري أن يكون موجوداً وجوداً مادياً . فتفاعلات الشخص قد تكون مع صورة أو حلم أو شخصية وهمية أو ما أشبه ذلك .

ولم ينكر سوليفان أهمية التأثيرات الوراثية وعوامل النضج بل اعترف بأهميتها خلال مراحل الطفولة والمراهقة . واقترح وجود تسلسل هرمي في الحاجات الفسيولوجية التي منها تنشأ التوترات التي يجب أن تحتق عن طريق إشباع الحاجات ؛ ولكنه مع ذلك يرى أن ما هو إنساني بصورة متميزة ، هو نتاج التفاعلات الاجتماعية ، فالخصائص المميزة للإنسان تنمو نتيجة العلاقات المتبادلة بين الأشخاص وبالإضافة إلى ذلك ، فإن الخبرات الشخصية المتبادلة للشخص يمكن أن تؤثر بطريقة مباشرة في حاجاته الفسيولوجية ، وتغير الأداء الفسيولوجي الخالص لوظائفه ، وتغير الشخص من كائن حي عضوي إلى كائن حي اجتماعي له طريقه ذات الطابع الاجتماعي في التنفس والمضم والإخراج والدورة الدموية وما إليها (هول ولندزي ١٨٢) .

وسوف نشير فيما يلي إلى أهم المبادئ التي أقام عليها سوليفان نظريته في الشخصية .

١ - العلاقات الشخصية المتبادلة :

هذا المبدأ من المبادئ الهامة التي أقام عليها سوليفان نظريته . فما لا جدوى فيه أن ننظر أو نفكر في شخصية إنسان واحد في ذاتها ، أي باعتبارها شخصية مفردة وفي عزلة عن شخصيات الآخرين . فـ شخصية الفرد يجب أن - سيكولوجية الشخصية

ينظر إليها دائماً في علاقاتها بشخصيات الآخرين سواء كان واحداً أو أكثر ، فلا يمكن أن يوجد لإنسان ما شخصية قائمة بذاتها ومنعزلة عن الآخرين . فالعلاقات الشخصية المتبادلة بين الأفراد هي أذن أساس وجود الشخصية . فنذ اللحظة الأولى التي يوجد فيها الإنسان على ظهر الأرض يدخل في علاقات متبادلة على الأقل مع شخصية شخص آخر يتعمده بالرعاية وهي شخصية الأم . وهذا الاتصال بشخصيات الآخرين يظل مستمراً طول الحياة سواء أخذ صورة اتصال فعلي أو صورة إتصال وهمي .

والشخصية الفردية تكشف عن نفسها في علاقاتها بالشخصيات الأخرى . فالعلاقات المتبادلة بين الكائنات الإنسانية بعضها وبعض هي مفتاح نظرية سوليفان . ولكن هؤلاء الناس الذين يتم معهم التبادل لا يتطلب الأمر وجودهم فقد يتم التفاعل المتبادل بين الشخص وأشخاص خياليين كشخصية «ساتا كلوس» أو الأبطال الخرافيين الذين نقرأ عنهم في الكتب أو الشخصيات التاريخية أو الروائية . وفي مثل هذه الحالات فإن الشخصية الخيالية أو الوهمية أو التاريخية ، تقوم على تشخص كائن حي إنساني يقوى الصورة الخيالية وبذلك يحدث هناك تفاعل متبادل مع هذه الشخصيات .

وليس فقط الشخصيات الوهمية والخيالية هي التي يمكن أن يكون لها تأثير متبادل على الفرد ، بل وأيضاً صور أحلام الليل يمكن أن يكون لها تأثير متبادل وذات طابع شخصي متبادل ما دامت تعكس في العادة علاقات الحالم بنفسيه من الناس .

وليس الأمر قاصراً أيضاً على ما تقدم ، بل إن العمليات العقلية الأساسية كالإدراك والتذكر والتفكير والتخيل وجميع العمليات النفسية الأخرى ، يمكن أن تتضمن في العلاقات الشخصية المتبادلة . فالأنشطة العقلية

لهذه العمليات ترتبط بشخصيات أخرى وليست ديناميات داخلية خالصة
للسلوك بعيدة عن تأثير الشخصيات الأخرى . فكل ما تفعله هو في نظر
سوليفان نتيجة النظام الإجتماعي والتفاعل بين الأشخاص .

وعملية الإدراك تظهر متضمنة إلى حد بعيد في العلاقات الشخصية
المتبادلة . فالشخصية التي تربي وتُشأ في ظروف يحوطها الثراء تختلف نظرتها
إلى ما تعرضه المحلات التجارية الراقية مثلاً ، عن تلك التي تربي وتُشأ
في ظروف يحوطها الفقر والفاقة . فالنظام الإدراكي يختلف عند كليهما .
والإدراك يتأثر في هذه الحالة بماضى الفرد وخلفيته وتربيته وغير ذلك
من العوامل التي تكونت خلال حياته مع الشخصيات الأخرى التي
يعيش معها .

والأمر بالمثل بالنسبة للعمليات العقلية الأخرى . فنحن نتذكر الأشخاص
والأشياء ، والتي تمت كذلك نتيجة التفاعل الاجتماعي المتبادل ، وما له اتصال
بالأشخاص الآخرين . وتفكيرنا يتشكل أيضاً حسب الشخصيات التي نعيش
بينها . فالشخصية التي تعيش في ثقافة حضرية يختلف تفكيرها إلى حد ما عن
تلك التي تعيش في بيئة بدوية أو ريفية . إن الأجهزة العصبية والمعنوية قد
تكون واحدة متماثلة لدى كل منهما ، ولكن النتائج النهائية لعملية التفكير
تختلف .

وقد أعطى سوليفان أهمية كبيرة لموقف العلاقات الإنسانية
المتبادلة الذي يلزم لحدوث ألوان النشاط التي تؤدي إلى إشباع الحاجة ،
واعتبره ضرورياً وهاماً في نظرية الطب النفسي . حلقة انتهى في فهم الطفل
والذي يعتبر أول مثال لموقف العلاقات الإنسانية المتبادلة . إنما يتكامل ويدعم
بحاجة الطفل إلى الطعام وحاجة الأم إلى إعطاء الحنان والدفء ، للطفل في مثل

هذا الموقف . والمنطقة الفمية عند الطفل ، ومنطقة الثدي عند الأم ، هما أجزاء من مناطق التفاعل المتبادل بين شخصين ، يعتبر وجودهما معا ضروريا لتكامل موقف الرضاعة ، وتجربة الطفل عن طريق السلوك الفمى المناسب ، وخبرة الأم عن طريق إرضاع وتقديم حدة الثدي ، تعتبران أجزاء لها دلالتها في موقف الرضاعة شأنها في ذلك شأن التراكيب الفسيولوجية المنضمة .

وليس معنى كل ما تقدم أن سوليفان ينكر أساساً كل فرصة لدراسة الشخصية الإنسانية الفردية . فثمة مبادئ كالديناميات والتشخيصات والعمليات المعرفية هي دراسات لشخصية الفرد . إن مثل هذه الدراسة تعتبر ضرورية إذا أردنا فهم طبيعة الإنسان ، واسكن من الضرورى أيضاً ألا يفقد الإنسان إهتمامه بأنظمة التفاعل المتبادل التي تعمل دائماً داخل الشخصية الفردية وحولها .

٢ - نظام التوتر : يذهب سوليفان على نحو ما ذهب كثيرون غيره إلى أن هدف الإنسان هو خفض حدة التوتر ، هذا التوتر الذى يمكن أن يتراوح بين مستوى الخلو التام من التوتر أو كما يفضل سوليفان تسميته بالإنشراح (euphoria) وهو مصطلح سيكارى يستخدم بوجه عام لوصف المشاعر الحداثية والإحساس بالسعادة) ومستوى التوتر المطلق الذى يقرب من حالات الذهان . ولذا فإن سوليفان يعتبر من المظاهر الهامة في شخصية الفرد خفض التوترات التى تهدد أمنه .

وتنشأ التوترات من مصدرين : توترات ناشئة عن حاجات عضوية وتوترات تنشأ عن مشاعر القلق .

والحاجات العضوية حاجات أساسية لجميع الشخصيات . وهى قد تكون عامة أو نوعية . والحاجات العضوية العامة كالحاجة إلى الطعام أو الشراب أو الهواء . والحاجات العضوية النوعية كالحاجة إلى مشروبات كحولية أو إلى القهوة .

وبالإضافة إلى تقسيم الحاجات إلى عامة ونوعية، فإن هذه الحاجات العضوية نفسها يمكن أن ترتب في نظام هرمي ابتداء من تلك التي تعتبر أكثر أهمية في خفض التوتر إلى تلك الأقل أهمية. ومثال إخضاع حاجة عضوية وإشباعها بعد حاجة عضوية أخرى، هو ما تعودناه من تناول الحلوى بعد تناول الوجبة الأساسية للطعام وليس قبلها. فالحاجة التي تشبع قبل حاجة أخرى تكون حاجة هامة.

أما خفض التوترات الناشئة عن القلق فتعتبر من العمليات الهامة في نظرية سوليفان. وقد عالجها باستقاضه وكرس لها مبدأ متفصلاً باسم مبدأ القلق. والإنسان محاط بمشاعر القلق منذ اللحظة الأولى التي يدخل فيها الحياة، ابتداء من قلق الأم أن يبقى على قيد الحياة وأن يطعم ويلبس جيداً، إلى الاحتياطات التي يتخذها المجتمع للإحتفاظ بصحته سليمة من الأذى أو الألم أو الموت، إلى ما ينشبه الفرد مشاعر القلق التي تبدأ معه منذ الولادة. وهذه التهديدات لأمن الفرد قد تكون عن أخطار حقيقية أو وهمية تهدد إحساس الفرد بالأمن وإذا زاد قدرها، خفضت من قدرة الفرد على إشباع حاجاته، وأدت إلى اضطراب علاقاته الشخصية المتبادلة، وأدت كذلك إلى الخلط في التفكير. وتختلف شدة القلق باختلاف خطورة التهديد وفعالية عمليات الأمن التي تكون في حوزة الشخص.

والقلق في نظر سوليفان هو أحد المحركات الأولية في حياة الفرد. فهو وإن كان وثيق الارتباط بالتوتر، إلا أنه أكثر من أن يصبح تابعاً له، والقلق بناء وهدام في الوقت نفسه. فالقلق البسيط يمكن أن يفيد الإنسان ويحميه عن الخطر. أما القلق الشامل السكلي فإنه يؤدي إلى اضطراب كامل في الشخصية، ويجعل الشخص عاجزاً عن التفكير السليم أو القيام بأي عمل عقل. ويعتقد سوليفان أن أنظمة التوتر متشابهة بين الناس، ولكن لكل إنسان أسلوبه

الخاص في معالجة هذه الأنظمة والتعبير عنها . وتنضج الفردية وتختلف الشخصية باختلاف الطريقة التي يعبر بها كل فرد عن الضغوط والتوترات التي يتعرض لها .

وفي بداية حياة الانسان ، فإن الخبرة التربوية الأولى التي تصدر عن مشاعر القلق عنده ، تنتقل إليه عن طريق الأم . فسلوكها ونفوساتها ونفقاتها تتركز على اللحظات القلقة في رعاية الطفل وإحساسه بالسعادة . فسرعان ما يلاحظ الطفل ويدرك أنه مصدر قلق للغير ، وأنه يحذر من أخطار معينة كالإقتراب من النار أو الصعود إلى الأماكن المرتفعة . ومن خلال عملية التوحد مع الآخرين من حوله تنتقل إليه مشاعر القلق التي تتصل بالأمن والصحة والتي يدرك لها مظاهر بادية على وجه الأم . وبعض مظاهر القلق المحيطة به تساعده على أن يتعلم ما هو ضار وما هو غير ضار ، ولكن معظمها يجعله يلسحب إلى قوقعة يشعر فيها بالأمن .

وأحد النتائج التي تصدر عن القلق هي خلق ما يسمى بنظام الذات أو دينامياتها . فلكي يتجنب الشخص أو لكي يقلل إلى أدنى حد ممكن ، القلق الفعلي أو المحتمل ، فإنه يصطنع أشكالاً مختلفة من الأساليب الوقائية والضوابط لسلوكه فهو يتعلم مثلاً أن في الإمكان تجنب العقاب بالإمتثال لرغبات الوالدين ، ووسائل ضمان الأمن هذه تشكل نظام الذات الذي يرفض أشكالاً معينة من السلوك (الذات الطيبة) ويمنع أشكالاً أخرى (الذات الشريرة) . هول ولندزي (١٨٧) .

ونظام الذات ما أن يتم وضعه في الطفولة حتى يميل إلى الاستمرار والتدعيم مع تقدم الحياة بالفرد حتى وإن لم يكن هناك تطابق بينه وبين الذات الحقيقية . وتعتبر الشخصية أن نظام الذات له أهمية كبرى في خفض القلق . فأى لفظ يكون له قيمة ، يحتفظ به ويقدّر تقديراً عالياً . وتستمر الشخصية تستخدم

نظام الذات أو دينامية الذات من أجل أن تحمي نفسها ضد نقد الذات الحقيقية . وإذا اتسعت الهوة بينهما وزاد استعمال نظام الذات ، أصبح أكثر تعقيداً وأكثر استقلالاً . ويظهر موقف شبه فصاى إذا استمرت المسافة بين نظام الذات والذات الحقيقية فى الانساع . ولذا فإن من الممكن أن تصبح الذات الحقيقية عاجزة تماماً عن ضبط نظام الذات بطريقة المحركة الملتوية .

ومع ذلك يذهب سوليفان إلى أن بعض نظام الذات يعتبر ضرورياً لتجنب ، أو حتى خفض القلق فى العالم الحديث . فإحدى المشكلات إذن هى استعمال نظام الذات عند الفرد مع شىء من الضبط . وقد تساعد التحليلات الصريحة والنقد الصريح لنظام الذات بواسطة الذات الحقيقية فى تقديم الضوابط وتقليل المسافة والهوة الفاصلة بين نظام الذات والذات الحقيقية .

وعلى حين يركز فرويد على الليبدو وعملياته المختلفة ، نجد سوليفان يؤكد ناحية الأنا والوسائل التى يحاول بواسطتها إحداث عملية التوافق . وبدلاً من استخدام لفظ الـ Ego ، وضع سوليفان مصطلحاً آخر هو نظام الذات self-system . ويعتقد أن نظام الذات يتشكل فى صورة فردية بواسطة القلق الناجم عن عدم رضا الآباء وموافقتهم وعن مشاعر العظماءينة الناجمة عن محبة الآباء ورضاهم .

وثمة مبادئ ثلاثة متشابهة من ناحية كونها عمليات تحقق بها الشخصية التفاعل المتبادل مع الشخصيات الأخرى ، ومن ثم تلعب دوراً فى نمو الشخصية وهذه المبادئ الثلاثة هى الديناميات ، والشخصيات ، والعمليات المعرفية . ورغم أن هذه تعالج هنا منفصلة من أجل الشرح والتوضيح ، إلا أنها فى الحقيقة تعتبر شيئاً واحداً أو عملية واحدة .

الديناميات :

الدينامية هى أى فعل عادى متكرر ، أو اتجاه أو شعور يوجد لدى شخص ما .

نجاه شخص أو أشخاص آخرين . إنها أصغر وحدة من السلوك الإنسان يمكن لشخص آخر تحليلها ودراستها بشكل مفيد . إنها نمط سلوكي متكرر نسبياً ومن الممكن أن يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعادة .

وتتراكم الديناميات خلال حياة الفرد مع زيادة خبراته وزيادة اتصالاته الاجتماعية . وكلما تنوعت خبرات الفرد واتسعت ، زاد عدد ديناميته . ومن الممكن أن تصبح مجموعة الديناميات الكلية بالغة التعقيد ، وتكون نظاماً خاصاً للحياة . ونظام الذات السابق الإشارة إليه هو مجموعة ديناميات أقيمت حول انفعالات القلق الكامنة الطاقة .

والديناميات ذات الطابع الإنساني هي تلك التي تميز وتحدد العلاقات الإنسانية المتبادلة بين الأشخاص . فقد يعتاد فرد ما السلوك بصورة عدوانية نحو شخص أو جماعة أخرى . وهذا السلوك يعد تعبيراً عن دينامية عدوانية . والطفل الذي يخاف الغرباء يعبر سلوكه عن دينامية الخوف المحركة له . وأي استجابة معتادة سواء كانت في صورة انجاء أو مشاعر أو عمل فإنها تشكل دينامية . والديناميات الأساسية واحدة لدى جميع الناس ولكن طرق التعبير عنها تختلف باختلاف الموقف وباختلاف خبرات حياة الفرد .

وتخدم الديناميات غرضاً هو في العادة إشباع الحاجات الأساسية للسكان المعنوي . وقد كشف سوليفان عن التأثير المبكر لفرويد ، بأن ربط كثير من الديناميات بمناطق معينة من الجسم : كالفم أو الشرج أو الأعضاء التناسلية .

التشخيصات :

والتشخيصات هي الصور التي يكونها الفرد عن الذات وعن الآخرين . وغالباً ما تكون هذه التشخيصات نتاج العلاقات المتبادلة في الطفولة . وغالباً

ما نظل هذه الصور كما هي لا تتغير، وبذلك تؤثر في مستقبل فكرة الفرد وانجابه نحو الآخرين. ومن هنا جاءت التسمية التشخيصات الارتسامية eidetic personifications فالطفل مثلاً قد يكون تشخيصاً نحو الأب المسيطر، وهذا التشخيص قد يؤثر في استجاباته بعد ذلك نحو الشخصيات الأخرى المتسلطة.

ويقول سوليفان : إن فكرة التشخيص تستمد أهميتها من موقف العلاقات المتبادلة في فهم الظواهر التي يتعامل معها السيكايزي. فعند مناقشة تكوين تشخيص عن الأم الطيبة، التي يكونها الطفل خلال طفولته المبكرة والعلاقات المتبادلة مع الأم، فإننا نسير في طريق محاولة فهم التشخيصات ودورها الدينامي. والصورة التي يكونها الطفل عن الأم الطيبة هي النمط الذي يدركه بصورة بدائية، باعتباره النمط الذي تشارك به الأم في مواقف الرضاعة المتكررة، وما يتكامل مع هذه المواقف من إشباع للحاجات. وتشخص الطفل لصورة الأم الطيبة رمز للإشباع المقبل للحاجات أو بعبارة أخرى يرمز إلى تكامل واستمرار وحل المواقف الضرورية اللازمة لما يقوم به الطفل بصورة مناسبة مقبولة من أجل إشباع حاجاته.

والتشخيص ليس هو الأصل. فتشخيص الأم ليس هو الأم الحقيقية، أي ليس هو هذا الكائن الحي المحدد النامي والذي ينظر إليه كوحدة. إنما هو تنظيم معقد لخبرات الطفل وعلاقته المتبادلة مع الأم. وصورة الأم وتشخيصها لطفلها ليس هو هذا الطفل ذاته، ولكنه تنظيم نام للخبرة تكون في ذهن الأم نتيجة العلاقات المتبادلة. والخبرات التي مرت بينها وبين الطفل الحقيقي. وبالمثل فإن تشخيص الطفل للأم يتكون مما حدث بين الطفل وبين الأم الحقيقية من علاقات إنسانية متبادلة في مواقف الرضاعة وإشباع الحاجات.

والأم هي حاملة المسؤوليات الاجتماعية فيما يتعلق بطفلها . وجانب ما يرمز إليه الطفل في نظرها ، هو اعترافها بهذه المسؤوليات الاجتماعية . أما ما هي هذه المسؤوليات ، فهذا ما يختلف من جماعة إلى أخرى داخل المجتمع أو من ثقافة إلى أخرى . ودرجة تحمل الأم لهذه المسؤوليات وقيامها بها بنجاح يختلف عند الأم الواحدة باختلاف الأطفال ، وبالنسبة للطفل الواحد باختلاف الأوقات . وليس ثمة شك أن هذه المسؤوليات الاجتماعية لها تأثير كبير في نشئة الطفل ، فالصورة التي يكونها الطفل للأم الطيبة ورعايتها له وحدها الزائد عليه ، إنما هي تتجه العلاقات الإنسانية المتبادلة والتي تتضمن الإشباع . والصورة التي يكونها عن الأم السيئة تلتج عن الخبرات التي تمر بينه وبين الأم والتي تؤدي إلى إثارة القلق . وهذه الصورة تلعب دوراً كبيراً في علاقات الطفل الاجتماعية بالأم وبالأخرين المحيطين به ، كما يكون لها أثرها الواضح في نمو شخصيته .

والصورة أو التشخيص الذي نحمله في رؤوسنا عن الشخص أو الأشخاص الآخرين ، نادراً ما يكون وصفاً دقيقاً لهذا الشخص أو لمؤلاء الأشخاص . فالدقة ليست متضمنة بالضرورة في تشخيص أى شخص آخر . وكما يقولون : الحب أعمى ، وهابنى لا يمكن أن يخطئ . ، وتلك أمثلة من صور التعصب للتشخيصات التي نكونها عن الآخرين .

ويتكون التشخيص في بداية الأمر من أجل إحداث توافق الفرد مع الأفراد الآخرين في مواقف يتم فيها تبادل العلاقات بينهم . وما أن تتكون هذ التشخيصات حتى يستمر تأثيرها ودوامها ، بل وتؤثر في اتجاهاتنا نحو الآخرين . فالطفل الذي يشخص صورة والده في صورة الرجل المستبد ، قد يسقط هذه الصورة ذاتها على كل من يتصل بهم من مصادر السلطة

في المجتمع الخارجي الذي يعيش فيه كالمدرسين ورجال الشرطة والموظفين ، فيرى فيهم صورة الأب المستبد ، كما أن الأساليب التي كان يستخدمها في خفض حدة التوتر والقلق في السنوات الأولى من حياته ، قد تدخل وتعرقل علاقته المتبادلة مع الآخرين في حياته بعد ذلك فالصورة المشبعة بالقلق التي كونها عن الأب تحرف تصوراته الذهنية عن الأشخاص الآخرين الذين يصل بهم من أصحاب السلطة في المجتمع والذين يرمزون للأب أو يمثلونه .

والتشخيصات التي يشترك فيها عدد كبير من الناس تسمى « الصور النمطية » وهي بمثابة تصورات ذهنية يتعقد الإجماع على صحتها ، وتكون متبعة على نطاق واسع بين أفراد المجتمع وتنتقل من جيل إلى جيل . ومن أمثلة السلوك النمطي الشائع صورة الفنان الذي لا يهتم بالتقاليد ويخرج عليها ، وصورة العالم الذي لديه جلد وصبر على القيام بالعمل العقلي المصني .

العمليات المعرفية :

والمبدأ الثالث في تحقيق العلاقات المتبادلة هو مبدأ العمليات العقلية المعرفية فبواسطة هذه العمليات العقلية يمكن للإنسان أن يكون علاقات متبادلة مع الآخرين ومن هنا استمدت العمليات المعرفية أهميتها في نظر سوليفان وأصبحت كبداً من مبادئ تكون العلاقات الإنسانية المتبادلة . وينصب سوليفان إلى أن الخبرة المعرفية للفرد تحدث في صور ثلاثة متدرجة في نظام هرمي . وأدنى مستوى هو مستوى الخبرة النعاس *prototaxic experience* وأعلى منها مستوى هي الخبرة المتتالية *parataxic* ثم أعلى منهما في المستوى ، مستوى الخبرة التركيبية *syntactic* :

أما الخبرة النعاس : فيمكن اعتبارها بمثابة السلسلة المنفصلة الحلقات للحالات المؤقتة السكاكن المعنوي الحساس . فالإحساس والمشاعر والصور المجردة

التي تمر بذهن الطفل، تكون منفصلة وسريعة الزوال ولا تبقى واحدة منها مدة طويلة. وليس ثمة ضرورة لارتباط هذه الخبرات بعضها ببعض، كما أنها بلا معنى لدى الشخص. وهي خبرات حية خلال فترة وجودها وتترك أثراً من انطباعات الذاكرة. وهذه الصور الغام من الخبرة توجد في أثنى صورها في الشهور الأولى من الحياة، كما أنها مرحلة ضرورية لظهور المرحلتين التاليتين من العمليات العقلية.

الخبرات المتتالية : وتتكون من إدراك العلاقات العلنية بين ظاهرتين أو ظواهر تحدث معا في نفس الوقت تقريبا، ولكنها لا ترتبط فيما بينها برابطة منطقية. ولكون الأشياء تحدث معا في نفس الوقت، فإن الفرد يميل إلى الاعتقاد أن أحدها يسبب الآخر. مثال ذلك الشخص الذي يقرر في كل مرة يسمع فيها صوت سيارة الحريق، أن هناك حريقا، ويستخلص من ذلك أن سيارة الحريق هي سبب الحريق.

ومن الممكن القول بأن هذا النوع من التفكير المتتالي هو في العادة أساس تعصبات البالغ ومعتقداته الخرافية حيث يكون أساس التفكير في مثل هذه الأحوال هو مجرد التتالي بين الأحداث دون أن يدرك الفرد ما إذا كانت هناك روابط منطقية بين هذه الأحداث بعضها وبعض.

الخبرات التركيبية : وهذا النوع هو أعلى الأنماط العقلية الثلاثة على نحو ما أوضحها سوليفان في نظامه النظري والتفكير التركيبي يستخدم الرموز كأساس. وهذه الرموز قد تكون لفظية أو عديدة. ولكن يجب أن تكون مقبولة لدى عدد كاف من الناس يتفقون على معناها. والرموز الخاصة قد لا تفهم لدى الشخص الذي ليس عضواً في الجماعة، ولكن الرموز العامة فهي ضرورية بشكل مطلق للإنسان من أجل القيام بعلاقات شخصية متبادلة مع الآخرين.

وبالإضافة إلى أنواع الخبرات المعرفية يؤكد سوليفان أهمية الاستباق أو بعد النظر في أداء الوظائف المعرفية . والاستباق يعتمد على ماضي الشخص ، وما يتذكره ، كما يعتمد على تفسيره للحاضر والمستقبل القريب . ومن الممكن القول بأن الديناميات والتشخيصات والعمليات المعرفية هي بمثابة السمات البنائية الأساسية المميزة لنظرية سوليفان .

نمو الشخصية : تتبع سوليفان نتائج مواقف العلاقات الاجتماعية المتبادلة التي يتعرض لها الفرد خلال انتقاله من الطفولة المبكرة إلى الرشد، والوسائل التي تسهم بها هذه المواقف في تكوين الشخصية . وقدم سوليفان وصفاً لمراحل نمو الشخصية استخدم فيه ألفاظاً اصطلاحية لتسمية هذه المراحل . وقد حدد مراحل سبعة لنمو الشخصية هي : الطفولة المبكرة infancy والطفولة childhood وفترة الصبا Juvenile era وما قبل المراهقة pre-adolescence والمراهقة المبكرة early adolescence والمراهقة المتأخرة late adolescence والرشد maturity .

والجديد لدى سوليفان والذي يبدو لنا أيضاً أمراً هاماً ، هو ذهابه إلى تغير محتوى العلاقات الاجتماعية المتبادلة مع تغير مراحل نمو شخصية الفرد .

وفترة الطفولة المبكرة هي الفترة التي تمتد من الميلاد حتى ظهور الكلام الواضح عند الطفل (من صفر . إلى ١٨ شهراً) ، وفي هذه المرحلة يتركز التفاعل بين الرضيع والبيئة حول المنطقة القمية . وفي هذه الفترة يعتمد الطفل اعتماداً كبيراً على رعاية الوالدين ، وتنظم خبراته في صورة حسية تكون من نوع الخبرات المعرفية الخام التي هي بمثابة سلسلة منفصلة الحلقات للحالات المؤقتة للكان المعنوي الحساس . ثم إن أجهزة الطفل الإدراكية والحركية

لا تسمح له بمد وإلى حد بعيد ، بالقيام بالسلوك التمييزي . وتدور حياته حول فترات مؤقتة من الشعور بالإرتياح وعدم الارتياح ، وتظهر بوادر عدم الارتياح بشكل واضح عند الطفل إذا كان الشخص القائم على رعايته من النوع المتوتر أو القلق .

أما فترة الطفولة فتتمدد ابتداء من ظهور الكلام الواضح إلى ظهور الحاجة إلى زملاء اللعب (من سن ١٨ - ٢٠ شهر حتى سن ٤ - ٥ سنوات) .

وبصبح الانتقال إلى هذه الفترة يمكننا بفضل تعلم اللغة وتنظيم الخبرات المعرفية في صور خبرات متتالية إلى حد كبير ، وكذلك في صور خبرات تركيبية . ونمو اللغة عند الطفل في هذه المرحلة يسمح بامتزاج الشخصيات المختلفة كالأم الطيبة والأم الشريرة مثلاً ، كما يتكامل نظام الذات إلى بناء أكثر تماسكاً . ويتعرف الطفل على دوره الجنسي ، فيتعين الصبي بالدور الذكري الذي يرسمه المجتمع وتعين الفتاة بالدور الأنثوي . وفي هذه المرحلة تظهر تحولات شديدة لدى الطفل ، وهي مشاعر تجعل الطفل يحس أن العالم الذي يعيش فيه ، ضده وأنه يعيش بين أعداء . وهي مشاعر لو قويت لتعذر على الطفل أن يستجيب بصورة إيجابية لمحاولات الآخرين الودية . وقد ينجم عن هذه التحولات الشريرة شعور الطفل بالوحدة فيعزل نفسه عن الآخرين .

وفترة الصبا تمتد ابتداء من سن ٥ - ٦ سنوات إلى سن الحادية عشرة أي فترة المدرسة الابتدائية وهي مرحلة تتميز بأنها فترة كون أو فترة جدسية هادئة . أما خبراته المعرفية ، فإنها تلتظم في صور خبرات تركيبية معظم الوقت ويزداد افتتان الطفل بالرموز . وفي محيط العلاقات الاجتماعية المتبادلة يقل اعتماد الطفل على الأم إلى حد كبير ، في الوقت الذي يصبح فيه يحيط العلاقات الاجتماعية المتبادلة مع العالم الخارجي أكثر اتساعاً وتعددًا . وتتميز هذه

الفترة أيضا بأن الطفل يصبح فيها اجتماعيا ، ويكتسب فيها خبرات الإنصياح الإجتماعى لمصادر السلطة خارج المنزل كالمدرسين مثلا . كما يصبح من النوع التنافسى والمتعاون أيضا ، ويدرك معنى النبذ الاجتماعى وفى فترة الصبا ، يزداد دور الرفاق فى حياته وفى ما يعرفه عن نفسه ، وفى اكتساب المهارات وتحديد المحتوى السلوكى للكفاية واحترام الذات .

أما فترة ما قبل المراهقة وهى التى تقع ما بين سن ١١ - ١٣ سنة تقريبا ، فإنها تتميز بأنها فترة بزوغ جسمى ، كما تتميز فى الوقت نفسه بالحاجة الظاهرة إلى الأصدقاء من نفس الجنس ، كما يبدأ ظهور العلاقات الإنسانية الأصلية . وتتميز هذه المرحلة أيضا برغبة الفرد الواضحة فى إقامة العلاقات مع الرفاق على أساس من التساوى والتكافؤ . وتبدأ بوادر الاستقلال والاعتماد على النفس فى الظهور بشكل واضح وإن لم تصل بعد إلى مرحلة الاستقرار .

ومرحلة المراهقة المبكرة تمتد من الثانية عشرة إلى السابعة عشرة وهى فترة النشاط الجسمى العنصرى . وفيها يخبر المراهق التغيرات الفسيولوجية للبلوغ وهى مرحلة جنسية مكتملة . وفيها يكون المراهق شغوفا لدرجة كبيرة كما تكون حاجاته الاجتماعية مزدوجة بمعنى : شبقية نحو الجنس الآخر وفى الوقت نفسه ارتباط بأفراد نفس الجنس ، وهذا الارتباط والاختلاط قد يؤدى أيضا إلى جدسية مثلية . وفى هذه المرحلة يبدأ المراهق فى تأكيد نفسه ويشعر باستقلاله إلى درجة كبيرة . وتستمر المراهقة المبكرة حتى يستطيع الشخص أن يجد نمطا ما ثابتا للأدوات يشبع دفعاته التناسلية .

أما مرحلة المراهقة المتأخرة فتقع بين ١٧ - ١٩ سنة حتى أوائل العشرينات وهى مرحلة نهج كامل ومرحلة تكامل واستقرار فى نظام الذات وفيها تنمو الخبرة المعرفية بالأسلوب التركيبى الكامل الذى يسمح بالتوسع

في الأفاق الرمزية للشخص وتقسم العلاقات الاجتماعية المتبادلة في هذه المرحلة بالآمن القوى ضد القلق . وهذه المرحلة تعتبر ضرباً من التندشين أو التنصيب الطويل نسبياً لامتيازات وواجبات وطرق الإشباع والمسئوليات التي تتطلبها الحياة الاجتماعية والقيام بدور المواطن وبذلك يصبح الفرد عضواً كامل العضوية في الحياة الاجتماعية .

وأخيراً تمتد مرحلة الرشد من ٢٠ إلى ٣٠ وما بعدها . وفيها يكون المجتمع قد أتم نضج الفرد بفضل العلاقات الاجتماعية المتبادلة إلى حد كبير من كائن حي عضوي إلى كائن حي اجتماعي ، أو بعبارة أخرى يكون قد أتم تحويله إلى حيوان بشري . وفي هذه المرحلة يكون الفرد قد استقل استقلالاً كاملاً وبشكل ظاهر في علاقته الاجتماعية مع الآخرين .

الفصل العشرون

الشخصية فى ضوء نظرية المجال

نظرية ليفين (١٨٩٠ - ١٩٤٧)

تعد المساهمات التى قدمها كيرت ليفين من بين المساهمات الهامة التى قدمت لعلم النفس خلال الحقب الأخيرة . لقد كان ليفين باحثاً ممتازاً وقد اعترف بعمق رؤيته فى البحث التجريبي ، حتى أشد ناقديه قسوة . وتشهد بهذه العبقرية مجموعة الأبحاث التجريبية العديدة التى أشرف عليها ووجهها سواء فى برلين أو فى الولايات المتحدة الأمريكية بعد رحيله إليها .

واقـد ظهرت خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر مجموعة من الأفكار الجديدة والجريئة فى مجال العلوم الطبيعية . وانعكس تأثير هذه الأفكار بشكل عميق ليس فقط على مجال العلوم الطبيعية ، بل وأيضاً على مجال العلوم الأخرى كالعلوم الاجتماعية والبيولوجية ومن هذه الأفكار ، تلك التى يشار إليها عادة بنظرية المجال والتى بدأ ظهورها فى أعمال فراداي وماكسويل وهيويتز فى مجالات الكهرباء المغناطيسية فى القرن التاسع عشر ، والتى بلغت أوجها فى نظرية النسبية عند أينشتاين فى القرن العشرين .

وبدأ تأثير هذه النظرية الجديدة يتضح لدى المشتغلين بالعلوم الأخرى غير العلوم الطبيعية . فأنصار نظرية المجال ينظرون إلى الظواهر التى يقومون بدراستها باعتبارها تحدث فى مجال ما ، وأنها تمثل جزءاً من كلٍّ من الحقائق المترابطة والتى تدرك بشكل متوافق يؤثر كل منها فى الآخر ويتأثر به

٤١ - سيكولوجية الشخصية

والجدير بالذكر - كما أوضح دويتش (١) - أن هذه العلوم الأخرى غير الطبيعية - كعلم النفس والعلوم الاجتماعية والبيولوجية - لم تأخذ حقائق ونظريات العلوم الطبيعية كظواهر الجاذبية أو النظريات الكهرومغناطيسية مثلاً ، وإنما أخذت « منهج » تحليل العلاقات العلية وبناء المكونات العلية . فلم نفس المجال أخذ من هذه النظرية الحديثة في العلوم الطبيعية « منهج » تمثيل الواقع ، وليس المفاهيم والحقائق الطبيعية العقلية ذاتها .

ومصطلح « المجال » ظهر أول ما ظهر في علم النفس عند أصحاب مدرسة الجشتالت . وكان على رأس هذه المدرسة التي ظهرت ١٩١٢ ثلاثة من كبار علماء النفس الألمان هم ماكس فرنهيمر وفولنجانج كوهلر وكيرت كوفكا . والفكرة الرئيسية التي تقوم عليها نظرية الجشتالت ، والتي ظهرت أول ما ظهرت في مجال الإدراك ، هي أن الإدراك ليس إدراكاً لجزئيات أو عناصر تجمع بعضها إلى بعض لتكوين المدرك الحسى ، وإنما هو إدراك لسلوكيات ، ثم تأخذ الجزئيات تتمايز وتتضح داخل هذا الكل الذى تنتمى إليه . فادراك الكل سابق على إدراك الأجزاء المكونة لهذا الكل . كما أن الجزئيات لا وجود لها فى ذاتها . وإنما هى تسند صفاتها وخصائصها من الكل الذى تنتمى إليه . وقد انتهى علماء نفس الجشتالت إلى وضع مجموعة من القوانين التى تحدد العلاقة بين السلوكيات والأجزاء التى يتضح منها أيضاً أن العلاقات القائمة بين مكونات المجال الإدراكى ، وليست الخصائص الثابتة لهذه المكونات الفردية ، هى التى تحدد الإدراك .

وليس من شك أن ليفين قد تأثر بأفكار هذه المدرسة . فقد زامل مؤسسها

(١) Deutsch Morton : Field Theory in Social Psychology, in Lindzey, Gardner and Aronson Elliot. The Handbook of Social Psychology. London, Addison Wesley Publishing Comp. In 2nd ed. vol. 1. 1968.

أثناء دراستهم الجامعية بجامعة براين ، والتي حصل منها على درجة الدكتوراه سنة ١٩١٤ . وقد نفل ليفين الكثير من أفكار هذه المدرسة من مجال الإدراك إلى مجالات أخرى من علم النفس . ولكن على الرغم من ارتباط ليفين الوثيق بنشاط مدرسة الجشتالت في برلين ، إلا أنه احتفظ بقليل من التوحد مع الجماعة التقليدية لهذه المدرسة . والحقيقة أن جهود ليفين الأولى تركزت على وجه الخصوص حول المشكلات الدافعية للفرد ، والتي أدت به إلى الاهتمام بمشكلات تنظيم الشخصية ، كما أن جهوده الأخيرة تركزت على وجه الخصوص حول مشكلات عديدة في علم النفس الاجتماعي على نحو ما يتضح في بحوثه الممتعة التي أجريت خلال فترة الحرب العالمية الثانية عن هارات الطعام عند الناس ، وسيكولوجية ربة البيت ودراسة أساليب المناقشة الفردية والجماعية وتأثر ربة البيت بكل منها . أما اهتمامه بالمشكلات الأخرى كدراسة طبيعة عملية التعلم والتي كانت موضع اهتمام علماء النفس الأمريكيين خلال حقبة وجوده بأمريكا ، فكان اهتماما هامشيا .

وكتابات ليفين عديدة للغاية ، وكان معظمها في صورة دراسات تنشر في المجلات العلمية ، وقد جمعت مقالاته في أربع كتب ، الأولان منها يمثلان المرحلة الأوروبية من أعماله والاثنان الآخران يمثلان المرحلة الأمريكية من هذه الأعمال : والكتب الأربعة هي :

1 — A Dynamic Theory of Personality (1935).

2 — Principles of Topological Psychology (1936).

3 — Resolving social conflicts (1948).

4 — Field Theory in social sciences (1951).

ويمكن أن نلاحظ السمات الأساسية لنظرية المجال عند ليفين في تركيزه على الموقف ككامل وعلى التفاعلات المتبادلة داخل هذا الموقف فأحد المكونات الأساسية في نظرية ليفين هو ما أسماه باسم « المجال الحيوي » ،

أو « المجال السيكولوجي » للفرد . فجميع الأحداث السيكولوجية من تفكير وعمل وحلم وأمل وغيرها تدرك باعتبارها وظيفة للمجال الذي يوجد وقت حدوث السلوك . وهذا المجال يتكون من الشخص والبيئة منظوراً إليهما باعتبارهما عوامل متوافقة يؤثر كل منهما في الآخر ويتأثر به . فالعمليات السيكولوجية التي يقوم بها الشخص هي وظيفة التفاعل المتبادل بين الشخص والبيئة والموقف العياني .

ويعتبر تأكيد هذه العلاقات المتبادلة بين الفرد والبيئة إحدى المنجزات الهامة لنظرية ليفين . يقول دويتش ؛ إنه حتى وقت قريب ؛ كان جانب كبير من علم النفس يخضع لما يمكن أن نسميه الأسلوب الأرسطي في التفكير . بمعنى أن الأحداث السيكولوجية كانت تتحدد بخصائص الفرد كالغريزة أو الوراثة والذكاء والحاجات والعادات وغيرها ، وجميعها كان ينظر إليها مستقلة نسبياً عن الموقف . فهذا الشخص ذهاني بسبب وراثته ، وذلك جامد في سلوك حل المشكلات بسبب أصوله العنصرية ، وهذا الآخر أصبح قائداً للجماعة بسبب شخصيته . ومثل هذه التفسيرات في نظر ليفين لم تعد مقبولة . إذ لا بد أن ننظر إلى السلوك في إطار المجال العام الذي يوجد فيه هذا السلوك ومثل هذا التأكيد على العلاقة المتبادلة بين الفرد العياني والموقف العياني من شأنه أن يجعل الباحث أكثر تبصراً وفهماً للسلوك فهو يتطلب ليس فقط معرفة الفرد : ماضيه وخبراته واتجاهاته الحاضرة وقدراته وآماله المستقبلية ؛ بل وأيضاً معرفة الموقف المباشر الذي يوجد فيه هذا الفرد .

وتأكيد الموقف ككل له أهميته بالنسبة لمنهج البحث فبدلاً من إنزاع عنصر أو آخر داخل الموقف وتوجيه الاهتمام إليه منعزلاً عن بقية العناصر الأخرى التي تؤثر فيه ويتأثر هو بها فإن نظرية المجال تجد من المفيد

- كقاعدة - أن يبدأ البحث بتحديد الموقف ككل . ثم بعد ذلك يبدأ الباحث في إخضاع الموقف لتحليل تفصيلي أكثر وأكثر . فركز الاهتمام في البحث هو دراسة الأحداث السيكولوجية في علاقتها المتبادلة بين الفرد والموقف ، وليس على تجريدات منفصلة مقتطعة عنسوة من إطارها أو مجالها العام .

ونمة نقطة ثانية بالغة الأهمية والوضوح عند ليفين وهي استعماله التمثيل المسكان للمجال ككل وعناصره . وإذا كان من الممكن استخدام الأماليب اللفظية المألوفة في وصف المجال والعلاقات المتبادلة بين الفرد والبيئة ، إلا أن ليفين يفضل صياغة محددات السلوك عنده في حدود رياضية . فالتمثيل الرياضي يقتضى صياغة دقيقة قد يفترق إليها الاستعمال اللغوي القائم على الألفاظ والتي قد تؤدي في كثير من الأحيان إلى الإبهام والغموض . وقد كرس ليفين جهداً كبيراً للتعبير عن المفاهيم السيكولوجية في صورة رياضية ، وإن كان النمط الذي استخدمه ليفين يختلف عن النمط المألوف لدى الناس . فالرياضيات التي استخدمها ليفين ذات طبيعة غير مترية ؛ كما أنها تصف العلاقات المسكانية بغير الاصطلاحات الإقليدية . فهي في جوهرها - كما يقول هول ولندزى - رياضيات تصف العلاقات والاتصالات القائمة بين المجالات المسكانية دون مراعاة الحجم والشكل .

وفي ضوء ما تقدم يمكن أن نلخص الإطار العام لنظرة ليفين للسلوك على النحو التالي :

- ١ - السلوك وظيفة المجال الذي يوجد في الوقت الذي يحدث فيه السلوك .
- ٢ - يبدأ التحليل بالموقف ككل . ومن الموقف تهايز العناصر المكونة له .

٣ - من الممكن تمثيل الشخص العيان والموقف العيان تمثيلاً رياضياً^(١) وهذا التمثيل الرياضي الذي وضعه ليفين هو أساساً وسيلة سهلة للاتصال والفهم . وقد تبع هذا النظام - والذي كان ليفين نفسه يرى أنه ليس رياضة بالمعنى الحقيقي الدقيق لهذه الكلمة - من استعمال للسبورة أثناء الشرح في المحاضرات التي كان يقوم بالقائها لتوضيح المجال . ولذلك لم يذهب ليفين بعيداً وراء مراحل التمثيل بالرسم . فلم يضع قواعد لعمليات رياضية وتمثيلاته ورسومه البيانية . فإذا كان ليفين يستعمل العلامات والرموز الهندسية والملاقات المسكانية ، فإنه لم يقرن هذا كله بالأعداد . ومن هنا ، فليس من الممكن القيام بعمليات مثل عمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة في نظامه الرياضي . والسمة البارزة في مكرنات ليفين هي رسم الدوائر والمربعات والمثلثات والأشكال البيضاوية والحدود أو الحواجز وأهم القوى وغير ذلك من الرسوم الهندسية التي وضعها ليفين من أجل عرض نظريته دون أن ترتبط باستعمال الكلمات .

وفيما يلي دراسة مختصرة لبعض المفاهيم الأساسية في نظرية ليفين والتي لها بدراسة الشخصية .

أولاً : المجال الحيوي Life Space

من المفاهيم الأساسية عند ليفين مفهوم المجال الحيوي أو المجال السيكلوجي أو الموقف الكلي . وهذا المجال الحيوي يشتر إلى مجموع الوقائع الممكنة والتي تحدد سلوك شخص ما في وقت معين ، فهو يتضمن كل ما علينا أن نأمرقه حتى نستطيع فهم السلوك العيان ، لسكان إنسان ما ، في بيئة سيكلوجية معينة ، وفي وقت معين . فالسلوك هو دالة أو وظيفة المجال

(١) نظرية الشخصية : ترجمة دة فرج احمد فرج وآخرون ص ٢٧٨ .

العالم الفيزيقي وإن لم تحظ هذه الدراسة بالقدر الكبير الذي حظت به وقائع المجال الحيوى . وقد أطلق ليفين على دراسة وقائع العالم الفيزيقي أسم « الايكولوجيا السيكولوجية » ، أو الدراسة النفسية للبيئة .

ويتطلب الأمر القاء المزيد من الضوء على مكونات المجال الحيوى ونفعيها بالشخص والبيئة والسلوك .

١ - الشخص : يذهب « دريتش » إل أن ليفين إستخدم هذا اللفظ إستخدامات ثلاثة :

الاستخدام الأول يشير إلى ما لدى الفرد من صفات وخصائص (حاجات ومعتقدات وقيم ونظام إدراك حركي) والتي في تفاعلها فيما بينها ومع البيئة الموضوعية يوجد المجال الحيوى ومن الممكن القول بأن ليفين ينظر إلى الشخص هنا نظرة سيكلوجية أكثر منها فيسيولوجية . والشخص بهذا المعنى هو المجال الحيوى منذ برهته وجيزة مضت ، والذي كان من نتيجة تفاعله مع البيئة الموضوعية وجود هذا المجال الحيوى الراهن .

أما الإستخدام الثانى للفظ فهو مرادف للمجال الحيوى . فتمثله للشخص وتمثله للمجال الحيوى يمكن النظر إليهما إعتبارهما طرقا مختلفة لتمثيل نفس الوقائع السيكولوجية .

أما الإستخدام الثالث فيشير إلى « الشخص في المجال الحيوى » والشخص في المجال الحيوى ، أو « الذات القائمة بالسلوك » يشير إلى الفرد في ارتباطه بوحدات أخرى من المجال الحيوى . والسلوك الذى نلاحظه هو فى هذه الحالة عبارة عن تنهيز موضع الذات القائمة بالسلوك من منطقة ما من مناطق النشاط فى المجال الحيوى إلى منطقة أخرى .

ويمثل ليفين الشخص عادة بدائرة منغلقة تجعل له كياناً مستقلاً منفصلاً

عن كل ما عداه في هذا العالم ، فشكل ما يقع داخل هذه الدائرة ينتمى إلى الشخص وكل ما يقع خارج حدودها فهو لا - شخص فإن كان هذا الشخص واقعا داخل اطار المجال الحيوى للفرد ، فهو يمثل البيئة النفسية لهذا الفرد . أما إن كان يقع خارج هذا المجال الحيوى فهو يمثل العالم المادى أو الفزيق ولا يضير فى شيء أن يمثل الشخص فى دائرة أو مربع أو مثلث أو مستطيل أو شكل غير منتظم طالما أن الشكل مغلق تماما . وهذا الاغلاق نفسه يشير إلى خاصيتين أساسيتين الأولى هى خاصية الفصل عن بقية العالم برسم حدود متصلة ؛ وخاصية تتضمن أو الدخول فى منطقة أكبر . والخاصية الأولى تشير إلى التمايز والثانية تشير إلى علاقة الجزء بالكل . وقد أوضح ليفين فى نظريته إلى بناء الشخص بأنه بناء متغير وغير متجانس ، أى أنه بناء مقسم إلى أجزاء منفصلة ، ولكنها متوافقة ومتراطة فيما بينها فإذا تصورنا الشخص كدائرة كبيرة ، فإن من الممكن تصور وجود دائرة أخرى صغيرة بداخلها ومتحدة المركز مع الدائرة الأولى . وهذه الدائرة الصغيرة المركزية يسميها ليفين باسم المنطقة الشخصية الداخلية (I-P) inner-personal region وهذه تنقسم بدورها إلى خلايا مركزية توجد فى مركز الدائرة وخلايا محيطية تحيط بهذه الخلايا المركزية . والمنطقة الشخصية الداخلية يحيط بها تماما منطقة أخرى خارجية تعرف باسم المنطقة الادراكية الحركية (P-M) Perceptual-motor region وعن طريق هذه المنطقة الادراكية الحركية يتم اتصال المنطقة الشخصية - الداخلية بالبيئة المحيطة بالشخص . ولم يكن ليفين واضحا فى تمايز المنطقة الإدراكية الحركية . فهو يعتقد أن النظام الحركى يعمل كوحدة طالما أنه يستطيع القيام عادة بعمل واحد فقط فى وقت واحد وبالمثل فإن النظام الادراكى يعمل كوحدة أيضا ، طالما أن الشخص يستطيع أن ينتبه إلى شيء واحد فقط وأن يدركه فى وقت واحد .

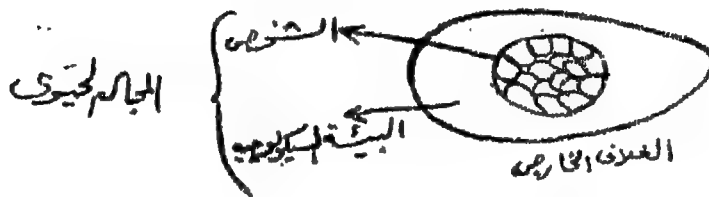
الموضوعية بل وأيضاً بخصائص الشخص . وقد أعطى ليفين أهمية كبرى للبيئة النفسية باعتبارها البيئة كما يدركها الفرد ويتأثر بها وتؤثر فيه . ثم إن مناطق البيئة النفسية تكشف أحياناً عن خصائص معينة (مثل جذب أو طرد أشياء معينة) لا توجد في البيئة الموضوعية إذا نظر إليها مستقلة عن علاقتها بشخص معين . وهذه النظرة لا تختلف عن نظر الجشتالت إلى البيئة ، وتقسيمهم لها إلى بيئة جغرافية ذات وجود مستقل عن الفرد ، وبيئة سلوكية كما يراها الفرد ويشعر بها ويتأثر بها ويؤثر فيها . وهذه البيئة السلوكية في نظرهم هي البيئة الواقعية مصطبغة بصبغة شخصية متأثرة برغبات الفرد وخبراته ومعتقداته وحالاته النفسية والجسمية وهي تنشأ من تفاعل شخصية الفرد والموقف الخارجى .

وإذا نظرنا إلى البيئة النفسية عند ليفين ، فإنها تمثل الجزء الثانى المكمّل للمجال الحيوى للشخص ، فالمجال الحيوى يتكون من الشخص والبيئة النفسية . وقد مثل ليفين هذا المجال الحيوى بشكل بيضاوى توجد بداخله دائرة تمثل الشخص . وبين محيط الدائرة ومحيط الشكل البيضاوى توجد البيئة النفسية ، وعلى هذا الأساس فمحيط الشكل البيضاوى لا يمس مباشرة محيط الدائرة وإنما هناك منطقة فاصلة بينهما هي البيئة النفسية . ومن هنا ، فإن شكل وحجم الإطار البيضاوى الخارجى المحيط بالشخص ليست له أهمية كبيرة طالما أنه يحقق شرطين هما أنه أكبر من الدائرة الداخلية وأنه يحيط بها .

وكما نظر ليفين إلى الفرد بأنه متمايز وأنه مكون من مناطق (المنطقة الشخصية الداخلية ، والمنطقة الإدراكية الحركية) ، فكذلك نظر إلى البيئة . فقد قسمها أيضاً إلى مناطق جزئية . ولكن ثمة فارقاً واحداً جوهرياً بين تمايز الشخص وتمايز البيئة . فليس من الضرورى أن نميز أنواعاً مختلفة من المناطق

البيئة فليس في البيئة النفسية مناطق تشبه المنطقة الشخصية الداخلية والمنطقة الإدراكية الحركية . وإنما جميع مناطق البيئة متشابهة . ولذا يمكن لأي نمط متشابه من الخطوط أن يؤدي إلى التمايز بين مناطق البيئة حين نريد تمثيل المناطق المختلفة في البيئة النفسية فيمكن رسم حواجز داخل البيئة تكون بمثابة فواصل بين المناطق المختلفة للبيئة . وهذه الحواجز تتصف بصفات معينة كالقوة والضعف أو المرونة والجود أو التقارب والتباعد . وعلى أساس هذه الخصائص يمكن التحدث عن مدى الترابط بين مناطق البيئة المختلفة .

وخارج حدود المجال الحيوي الذي يحوى الشخص والبيئة النفسية يوجد العالم الفيزيقي أو المادي أو ما أطلق عليه ليقين أحياناً اسم الغلاف الخارجى للمجال الحيوي Foreign Hull . وكون المجال الحيوي للفرد محاطاً بالعالم الفيزيقي فهذا ليس معناه أن المجال النفسى الحيوي جزء من العالم المادى . فالمجال الحيوي والغشاء أو الغلاف الخارجى المحيط به هى مناطق متميزة من هذا الشكل الكبير أو العالم . وسواء كان هذا الشكل الكبير أو العالم محدداً أم غير محدد ، خواء أو ملاء فإن هذا أمر لا يهم علم النفس إلا من ناحية واحدة بالغة الأهمية وهى أن الوقائع التى توجد فى المنطقة الخارجية المتاخمة للمجال الحيوي النفسى للفرد والنسب إليها ليقين باسم الغلاف الخارجى للمجال الحيوي ، يمكن أن تؤثر تأثيراً فعلياً فى البيئة النفسية ، أى أن الوقائع غير النفسية تستطيع أن تغير من الوقائع النفسية ، بل إنها تغيرها بالفعل .



٣ - السلوك : ويعبر اللفظ إلى أى تغير فى المجال الحيوى أعنى أى تغير يخضع للقوانين السيكولوجية . ومع ذلك فليست كل الحركات التى يقوم بها الفرد أو التغيرات التى تحدث فى البيئة والناجحة عن أفعال الشخص ، سلوكاً . فإذا نُقل طفل مثلاً من السيارة إلى المنزل وهو نائم ، فإن هذه الحركة ليست سلوكاً يقوم به الطفل . كما أنه إذا قذف طفل ما بكرة فاصطدمت الكرة صدفة بلوح زجاج فكسرتة ، فكسر لوح الزجاج لا يمكن أن يعد جزءاً من سلوك الطفل . فالسلوك بمعناه عند ليفين يجرى فى المجال الحيوى للفرد أكثر مما يجرى فى المجال الخارجى ، وبعبارة أخرى إن السلوك - كما يعبر كوفكا أيضاً - هو الذى يحدث فى البيئة السلوكية وليس فى البيئة الجغرافية . ويقول دوينش إن من الواضح أن السلوك بهذا المعنى لا يمكن ملاحظته بشكل مباشر ، وإنما يستدل عليه . فكما يمكن الاستدلال على جاذبية منطقة ما فى المجال الحيوى للشخص ، فكذلك يمكن الاستدلال على تغير هذه الجاذبية . وبالمثل يمكن الاستدلال أيضاً على تغير موضع الذات التى تقوم بالسلوك وموضع المبدئ . وبالإضافة إلى ذلك ، فإن ليفين استخدم السلوك أيضاً بمعناه الأكثر شمولاً . وهو التفاعل المتبادل الذى نلاحظه بين الفرد وبيئته الموضوعية . خصائص المجال الحيوى أو الشخصى يمكن استنتاجها إذن من السلوك الذى نلاحظه فى بيئة نقوم بملاحظتها ومع ذلك ، فبسبب أن كثيراً من مظاهر المجال الحيوى يميل إلى البقاء كما هى فترة طويلة من الزمن رغم التغيرات الوقتية لخصائص أخرى ، فإن معرفة هذه الخصائص ومعرفة السلوك الملاحظ ، يمكننا أيضاً من القيام باستدلالات عن البيئة الموضوعية التى يعيش فيها الفرد .

وثمة نقطة أخيرة يجب توضيحها بالنسبة للمجال الحيوى . ما علاقة الشخص بالبيئة النفسية ، وكيف يتم التأثر والتأثير ؟ ثم ما علاقة المجال الحيوى ككل بالبيئة الموضوعية أو العالم الخارجى .

إن ثمة خاصية هامة تنسب بها الحدود الفاصلة بين مكونات المجال الحيوى وكذلك بينها وبين العالم المادى ، ونعنى بها خاصية القابلية للنفاذ . فالحدود أشبه بالمشاء النفاذ أو الستارة منها بالحائط أو الحاجز الصلب . فإذا كان الغلاف المحيط غير قابل للنفاذ أصبح الشخص معزولاً عن بيئته النفسية . أما إذا كان الغلاف المحيط بالشخص قابل للنفاذ ، فإن من السهل إقامة التبادلات الحرة السهلة مع بيئته . وبالمثل فى علاقة المجال الحيوى بالعالم المادى . فإن القابلية للنفاذ هى التى يمكن أن تفسر لنا الانصالات بين هذا وذلك . فالبينة النفسية تؤثر وتتأثر بالعالم المادى . لحديث تليفونى غير متوقع أو حادث سيارة قد يؤدى إلى تغيير مجرى حياة أى شخص . وإذا كان المحيط الذى يحيط بحال حياة الفرد سميكا ، فإنه يعزله عن عالمه الخارجى ويجعل عملية التأثر والتأثير ببطئته ، فيصبح الشخص متقوقماً داخل بيئته النفسية . ومثل هذا الشخص أشبه ما يكون بحالة الغصامى المتدهور أو الشخص الحالم . أما إذا كان المحيط الخارجى الذى يحيط بالمجال الحيوى للفرد نفاذاً وقابلاً للتأثر والتأثير ، كان الشخص على اتصال وثيق بالتغيرات الحادثة فى العالم الخارجى المحيط به والذي يؤثر فى مجاله الحيوى . كما تؤثر أيضاً المتغيرات الواقعة فى المجال الحيوى للفرد فى العالم الخارجى بما يعطى صورة لشخص تتجاوب بيئته النفسية بتجاوباً وثيقاً مع عالمه الخارجى . فالقابلية للنفاذ بين المناطق المختلفة تعتبر خاصية هامة من خصائص نظرية ليفين .

وبالإضافة إلى خاصية القابلية للنفاذ التى تسمح بالحركة والانصال من منطقة إلى أخرى داخل المجال الحيوى ، فإن ثمة تغيرات أخرى تحدث فى هذا المجال الحيوى فقد يزداد عدد المناطق أو يتناقص ، الأمر الذى يتوقف على إضافة وقائع جديدة أو استبعاد وقائع قديمة من المجال الحيوى للفرد . كما أن هذا التمايز والزيادة قد تكون نتيجة النمو الذى يطرأ على الكائن الحي .

فالمجال الحيوى للطفل يختلف عن المجال الحيوى للراشد . فالمجال الحيوى للطفل الوليد أقل تمايزاً ، بينما يكون هذا المجال أكثر تمايزاً عند الراشد . فالبيئة النفسية تصبح أكثر تمايزاً مع تقدم السن . كما يحدث تمايز فى بعد الزمن . فالطفل محكوم بالموقف الراهن . أما الأحداث المستقبلية أو التوقعات فلا وجود لها بشكل ظاهر لدى الطفل . وكذلك ليس لديه أى تصور أو فكرة عن خبراته الماضية . ولكن مع تقدم السن بالطفل يتمايزُ بعد الزمن إلى ماضٍ بعيد و ماضٍ قريب وحاضر ومستقبل قريب ومستقبل بعيد .

ومع التمايز الذى يطرأ على بعد الزمن يطرأ تمايز آخر على بعد الواقع - الواقع reality-irreality dimension والدرجات المختلفة من اللاواقعية . تقابل الدرجات المختلفة من الوم . وهى تنضمن كلا من الرغبات والمخاوف . فأحلام اليقظة والآمال الغامضة المختلطة تعتبر بوجه عام أقل واقعية من الفعل الواقعى نفسه ، فالفعل له واقعية أكثر من الحديث عنه . والإدراك أكثر واقعية من الصورة ، والمهدف الذى يحدد الفعل المباشر أكثر واقعية من المهدف البعيد . وبإختصار عند ما يصبح الشخص راشداً يكون قد تعلم أن يفرق لا بين الحقيقة والزيف فحسب ، بل وكذلك بين مختلف درجات الإمكان والإحتمال .

ثانياً : المفاهيم البنائية :

من المفاهيم الهامة التى أدخلها ليفين فى علم النفس مفهوم « الطوبولوجيا » وهو مفهوم يرى ليفين أنه يناسب على وجه الخصوص مشكلات معينة فى علم النفس . واهتمام علماء نفس الجشتمت بعلاقات الكل - الجزء وعلاقات الإلتواء وغيرها قد أوحى إلى ليفين بأن المفاهيم الطوبولوجية يمكن أن تناسب جيداً دراسة المشكلات السيكلولوجية . وقد استخدم ليفين مصطلح « الطوبولوجي »

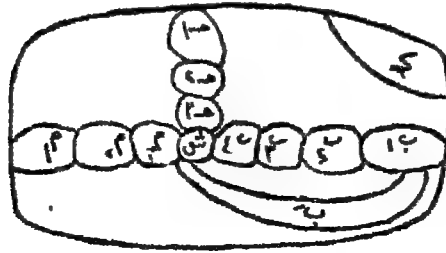
كنموذج لوصف الظواهر السيكولوجية أو السلوكية . فاسلوك يمكن وصفه في ضوء الوظائف الهندسية التي لا تستخدم مع ذلك المعالجات الرياضية المباشرة . ومن الممكن تعريف الطوبولوجيا بقولنا إنه ذلك الفرع من الهندسة الذي يبحث خصائص الأشكال التي نظل ثابتة تحت ظروف التحولات المستمرة .

ورغم حداثة هذا الفرع في الرياضيات ، إلا أنه أصبح نظاماً معقداً وأداة رياضية متطورة . والمفاهيم الطوبولوجية كما يستخدمها ليفين ، يراها الرياضيون بأنها ذات طبيعة أولية . ولكن بصرف النظر عن مدى صلاحية المفاهيم الطوبولوجية عند ليفين ، فإنها تقوم بوظيفة هامة في نظامه النظري الذي يسمح للفرد أن يحدد أي الأحداث تكون ممكنة في مجال حيوي معين ، وأياً غير ممكن . وتعتبر المفاهيم الديناميكية ضرورية بالإضافة إلى المفاهيم الطوبولوجية من أجل تحديد أي من الأحداث الممكنة سوف يحدث بالفعل في حالة معينة والمثال التالي الذي ذكره دويتش (٤٢٨) يوضح لنا استعمال ليفين للمفاهيم الطوبولوجية لوصف ، أي الأحداث تكون ممكنة .

الشكل الآتي يوضح المجال الحيوي لطلاب يفسكر في ، كيف يقضى السهرة ، لنفرض أن هناك أربعة احتمالات يواجهها هذا الطالب . فهو إما أن يذهب لزيارة صديق له بإحدى المستشفيات أو يكتب مقالة من المقالات أو يذهب لرؤية فيلم أو يعمل لكسب بعض المال . فإذا افترضنا أن هذه الاحتمالات الأربعة وحدها هي التي توجد في بيئته السيكولوجية ، فإنها إذن تكون جزءاً من مجاله الحيوي

وإذا نظرنا إلى الشكل نجد أن الذهاب إلى السينما لرؤية الفيلم يتطلب منه النزول إلى المدينة وشراء تذكرة وقد يحدث أنه بعد نزوله إلى المدينة ، ألا يجد - بالصدفة - نقوداً في جيبه تكفي لشراء تذكرة الدخول ومن ثم فإنه سوف

لا يتمكن من رؤية الفيلم طالما أن المنطقة الوحيدة المرتبطة برؤية الفيلم هي شراء التذكرة . . أما أن يدخل خلسة أو أن يقترب نقوداً من شخصاً آخر ليشتري تذكرة فهذه لا وجود لها سيكولوجياً في مجاله الحيوى . وعلى ذلك فإذا لم يتمكن من شراء تذكرة ، فمن المستحيل أن يرى الفيلم . وب نفس الطريقة يمكن مناقشة الاحتمالات الثلاثة الأخرى المتبقية .



شكل تخيلى يمثل الموقف السيكولوجى لطالب أمام أربعة احتمالات ممكنة لفناء السهرة حيث (ش) تمثل الشخص بين أنشطة أربعة محتملة هي ١ زياره صديق مريض بمستشفى ، ٢ كتابة مقال ، ٣ الذهاب إلى السينما ، ٤ العمل لكسب بعض المال . وهو يرى أن الطريق إلى ١ قد يتضمن مكالة تليفونية مع المستشفى ٢ والذهاب إلى المستشفى ٣ وأن الطريق إلى ٤ قد يكون مزدوجاً بمعنى أنه إما أن يذهب إلى المكتبة العامة ٤ ، وقرأ هناك ٥ ، ويأخذ مذكرات و المكتبة ٥ أو أن يقتل في البيت ويطالع على مراجعته الخاصة ويأخذ منها مذكراته ٥ . أما الطريق إلى رؤية الفلم فإنه يتطلب النزول إلى المدينة ٦ وشراء تذكرة ٧ أما بالنسبة للمنطقة ٨ فالشخص لا يرى في وضعه الراهن أى طريق يمكن أن يوصله إليها .

وباستخدام الشكل السابق يمكن توضيح بعض المفاهيم الطوبولوجية عند ليفين :

١ - المنطقة : هي جزء من المجال الحيوى (أو الشخصى) وتشير مناطق البيئة النفسية إلى الأنشطة الحاضرة أو المأمولة أكثر مما تشير إلى المناطق الموضوعية التى تحدث فيها هذه الأنشطة أو ما يرتبط بها من أشياء خارجية . والمناطق المغلقة في الشكل تمثل مناطق معينة (مثلاً منطقة الذهاب إلى المدينة

ومنطقة شراء تذكرة سينما ومنطقة رؤية الفيلم) . وقد تتضمن بعض المناطق وجود مناطق فرعية . فالذهاب إلى زيارة صديق بالمستشفى قد تتضمن وجود مناطق فرعية أخرى كتقديم هدية . ومواساة الصديق أو إدخال السرور إلى نفسه وتسليته . ومع ذلك فإن التمايز إلى مناطق فرعية لا نهاية لها ، من الصعب تصوره . وتسمى المنطقة التي ليست لها مناطق فرعية متميزة باسم « الخلية » .

٢ - الحركة والاتصال : وموضع الشخص الذي يقوم بالسلوك يتحدد بمنطقة النشاط التي يوجد فيها . وأى تغيير في وضعه وانتقاله من منطقة إلى أخرى داخل مجاله الحيوى ، يتضمن القيام بحركة ما Locomotion . والحركة تشير إلى حركة الذات القائمة بالسلوك أكثر مما تشير إلى حركة الأجزاء في البيئة النفسية . فهناك حركة إذا انتقل الشخص خارج منطقة التفكير في كيفية قضاء السهرة ، إلى أية منطقة أخرى أو أى نشاط آخر أو إذا أدخل نوعاً من إعادة بناء المجال الحيوى .

ولكن إذا كانت الحركة هى الوسيلة التي تمكن الفرد من الانتقال من منطقة إلى أخرى داخل البيئة النفسية . فهل التحرك أيضاً هو الطريقة التي تكشف بواسطتها مناطق الشخص عن تأثيرها بعضها على بعض . ويجب ليفين على ذلك بالنق . فالشخص نفسه لا يمكن اعتباره الوسط الذي من خلاله يقوم موضوع ما بالتحرك ، من منطقة جزئية إلى أخرى . ويقال أن مناطق الشخصية تتواصل فيما بينها ، فالمنطقة الإدراكية تتواصل مع الخلايا المحيطية للمنطقة الشخصية الداخلية . وهذه تتواصل بدورها بالخلايا التي تقترب من المركز . وتستطيع الخلايا الشخصية - الداخلية أن تتواصل فيما بينها الواحدة بالأخرى ، كما تستطيع أن تتواصل مع الغلاف الحركي ،

ويحدد المناطق التي يمكن أن تتواصل بعضها مع بعض والممر الذي ينتقل عن طريقه هذا الاتصال عبر عدد ما من المناطق ، جزئياً ، بخصائص بنائية مثل السماع الحدود وطبيعة الوسط ، وجزئياً كذلك ، بعوامل ديناميكية . (١)

والحركة من منطقة إلى أخرى تتضمن حركة الذات القائمة بالسلوك من وضعها الراهن إلى وضع آخر عبر المناطق المجاورة . ويخضع هذا الانتقال للأبعاد : القرب والبعد ، والضعف والصلابة و المرونة والجود ، . وتكون المناطق متقاربة إذا كان هناك حد مشترك بينهما وكان تأثير إحداها على الأخرى كبيراً ، وإلا فإنها تكون متباعدة ، كما أن عدد المناطق المتداخلة بين منطقتين يمثل أيضاً مدى تأثير إحداها على الأخرى .

ولكن درجة الارتباط أو العلاقات المتبادلة لا تتوقف لحسب على التجاور ، وعلى الحدود الفاصلة بين المناطق بل وتتوقف أيضاً على قوة المقاومة التي تنقسم بها هذه الحدود . فقد تكون المنطقتان متجاورتين ، ومع ذلك تكون المقاومة بينهما قوية بحيث تجعل تأثير إحداها في الأخرى ضعيفاً . والعكس فقد يكون هناك اتصال رغم التباعد بين المناطق لضعف الحدود الفاصلة بينهما . ويسمى الخط أو رفعة يمثل عند ليقين درجة الصلابة أو الضعف بين المناطق . فالخط السميك يمثل حداً غير قابل للنفاذ ، والخط الرفيع يمثل حداً ضعيفاً .

٣ - أما البعد الثالث الذي يسمح بسهولة الحركة والإتصال فهو بعد المرونة والجود . فالوسط المرن يستجيب فيه الفرد بسرعة لأي تأثير يحدث في المجال ، بينما الوسط الجامد الصلب فيقاوم التغير .

(١) نظريات الفصحية : هول ولندزي ، ترجمة د. فرج أحمد فرج س ٢٩٦ .

أما اتجاه الحركة والاتصال داخل المجال الحيوى ، فقد فسره ليفين عن طريق ما أسماه باسم « مجال المسارات » ، *hedological space* ، ومفهوم الاتجاه فى الهندسة يقوم على مفهوم المسار المفضل . وقد أشار ليفين إلى اتجاهات متعددة هى : الاتجاه نحو ، والاتجاه بعيداً عن ، والاتجاه الهندس . والاتجاه فى زاوية قائمة .

وعلى العموم يمكن القول بأن التمثيل الطوبولوجى عند ليفين يعد مناسباً لوصف الأنشطة المختلفة التى يدركها الفرد كأنشطة محتملة أو ممكنة لبلوغ هدف معين ؛ ومن ثم تقصى السبل الممكنة للفعل حين تظهر فى المجال الحيوى للفرد الذى يقوم بعملية التخطيط أو إتخاذ القرارات . ومن الواضح أن العلاقات المختلفة فى التخطيط الطوبولوجى يمكن أن تترجم إلى لغة ، دون أن تفقد شيئاً من دقتها . ومع ذلك فالتخطيط الطوبولوجى — فى نظر ليفين — أكثر ملاءمة للتعبير عن العلاقات بين عدد محدود من الوقائع ، مما لو استخدمنا العبارات والألفاظ التى قد تثير الباحث أحياناً إلى الغموض والإبهام . وليكن — كما لاحظ كثير من بصددهم — للتخطيط الطوبولوجى عند ليفين — هذا التخطيط يمكن أن يكون معوقاً ، عندما تزداد المسارات وتتعقد العلاقات بين الوسائل والغايات .

ثالثاً : المفاهيم الدينامية للشخصية :

إن المفاهيم الطوبولوجية وحدها لا تستطيع أن تفسر السلوك العيانى فى موقف نفسى فعلى . فمثل هذا التفسير يتطلب بالإضافة إلى المفاهيم الطوبولوجية ، مفاهيم أخرى دينامية .

ولعل السلسلة المتسقة من الأبحاث التى قام بها ليفين وتلاميذه تتضمن

افتراضات عن نظام التوتر تعتبر مثالا حسنا لفاهيمه الدينامية . وقد أنت
هذه الأبحاث والدراسات إلى أن تكون قرية من نظام متكامل في هذه
الناحية .

١ - مفهوم نظام التوتر : وأساس نمو فكرة ليفين عن نظام التوتر ،
ترجع إلى بحوثه الأولى ١٩١٧ . وقد كان في تلك الآونة مهتما بتقنية بعض
بحوث آش Ach من بعض التفسيرات بإرادة القوى . لقد قام آش بسلسلة
من التجارب تهدف إلى إقامة تداعيات أو ارتباطات بين مقاطع صماء
عديمة المعنى ، وذلك عن طريق الربط بين كلمة وأخرى . ثم بعد ذلك تعطي
تعليمات مختلفة للمفحوص تتعارض مع عملية الحفظ الترابطي كأن تطلب
إليه الاستجابة لمقلوب الكلمة المثير ، وليس للكلمة المثير ذاتها ، والتي ربطها
بالاستجابة في عملية الحفظ المبدئي . وقد وجد آش أن زمن الرجوع
في موقف الاختبار يتأثر بما إذا كانت النزعة الترابطية التي اكتسبت خلال
الموقف المبدئي للتعلّم تتفق أو تتعارض مع النزعة المحددة التي ظهرت في
التعليمات الجديدة لموقف الاختبار . وقد رفض ليفين محاولة آش تدعيم عامل
الارتباط بمكونات جديدة مثل الاستعداد والنزعة المحددة والتي وردت
في أفكار مدرسة فيرسيبورج التي كان ينتمى إليها آش . وقد ذهب ليفين إلى
أن الارتباط أو التداعي من حيث هو في ذاته ، لا يمدنا بقوة دافعة .
فالارتباط من الناحية الرباعية هو أشبه بحلقة في سلسلة ، أعني نمط من القوى
الضاغطة التي ليس لها نزعة ذاتية لإحداث تغير ما . وهذه الخاصية التي
لحاجة ما أو شبه حاجة يمكن أن تتمثل بربطها بنظام في حالة توتر ،
وبالنظر إلى هذا المكون الافتراضي نظرة جادة والقيام بالتعريفات
الإجرائية المناسبة ، وخاصة بربط خفض التوتر بإشباع الحاجة (أو بلوغ
الهدف) وإقامة التوتر وربطه بقصد ما أو بحاجة في حالة جوع ، يمكن

استخلاص مجموعة كبيرة من النتائج التي يمكن أن توضع موضع الاختبار .

وقد لعب مفهوم نظام التوتر دوراً هاماً في تفكير ليفين وألمحه بسلسلة من التجارب المبدعة التي أجريت على الاستدعاء والأعمال المكتملة وغير المكتملة والأعمال البديلة وغيرها . ويطلق على نظام ما بأنه في حالة توتر عندما توجد حاجة نفسية أو قصد نفسي (شبه حاجة) ، وينخفض التوتر عندما تشبع الحاجة . ويتميز التوتر بخاصتين أساسيتين هما .

١ — أن حالة التوتر في منطقة ما أو نظام ما ، تميل إلى معادلة نفسها بكمية التوتر في المناطق أو النظم المجاورة .

٢ — أن التوتر يواصل الضغط على حدود المنطقة أو النظام . فإذا كانت الحدود تتميز الصلابة بصفه خاصة ، فإن انتقال التوتر من نظام إلى النظم المجاورة له سيعوق ، أما إذا كانت الحدود ضعيفة ، فإن التوتر ينتقل بسهولة من منطقة إلى أخرى أو من نظام إلى بقية النظم .

وكان أول جهد علمي لدراسة مفهوم نظام التوتر عند ليفين ما قامت به تلميذته زيجارنيك Zeigarnik (١٩٢٧) للحصول على درجة الدكتوراه تحت إشرافه . وقد أقامت تجاربها على افتراضات هي أن أنظمة التوتر تظهر لدى الفرد عندما يعطى أعمالاً بسيطة لأدائها ، وأنه إذا لم تخفض أنظمة التوتر هذه على نحو ما يحدث عند إكمال هذه الأعمال ، فإن استمرار أنظمة التوتر يمكن أن يتضح في قدرة الفرد على استدعاء أسماء هذه الأعمال بعد ذلك . وفي ضوء هذه الافتراضات ذهبت زيجارنيك إلى أن الميل إلى استدعاء الأنشطة المماثلة أو غير المكتملة يجب أن يكون أكبر بكثير من الميل إلى استدعاء أو تذكر الأنشطة التي اكتملت . فهذه الأخيرة التي تمت واكتملت أدت إلى إغلاق دائرة النشاط وخفض التوتر ، بينما الأولى التي لم تكتمل

بعد ، لانزال دائرة النشاط فيها مفتوحة . وبالتالي لايزان التوتر قائماً عند الفرد ومن ثم يسهل استدعاؤها . وقد قامت زيجارنيك وكثيرون غيرها بتجارب منها أن تعطى الأشخاص مجموعة من الأعمال البسيطة التي لا يستغرق أداؤها دقائق قليلة ، ثم تسمح لهم بتكملة بعضها وعدم تكملة بعضها الآخر . (ويتم اختيار الأعمال التي تتم والتي لا تتم بطريقة عشوائية) . وبعد انتهاء التجربة تطلب من المفحوصين أن يذكروا الأعمال التي قاموا بأدائها . وقد صاغت زيجارنيك نتائجها في صورة معادلة تسمى بلنسية زيجارنيك وهي

الأعمال غير المكتملة التي يستدعيها المفحوص
الأعمال المكتملة التي يستدعيها المفحوص

وثمة بحث تجريبي آخر لمسكون نظام التوتر قامت به أوفسيانكيينا Ovsjankina (١٩٢٨) . فقد أوضحت أن الأشخاص يميلون إلى القيام إرادياً بالأعمال التي لم تنجز أكثر من العودة إلى الأنشطة التي اكتملت .

وعلى أساس نتائج هذين الباحثين ، قامت سلسلة كبيرة من البحوث التجريبية بعد ذلك ، من بينها دراسات ليسنر Lissner (١٩٣٣) ، وماهر Mahler (١٩٣٣) عن دور الأنشطة البديلة في تفريغ الطاقة ، ودراسات هوب Hoppe (١٩٣٠) و فرانك Frank (١٩٣٥) عن النجاح والفشل وارتباطهما بمستوى الطموح كما يعبر عنه المفحوص ، وأبحاث كارستن Karsten (١٩٢٨) عن التشبع النفسى الذى يختص بمشكلة خفض الأداء فى النشاط كوظيفة للشكراز المتصل المستمر لهذا النشاط) .

٢ - الحاجة : ومفهوم نظام التوتر قد طبق بنجاح فى الدراسات التجريبية عن التشبع satiation . فبالنسبة لكثير من الحاجات يمكن أن نميز فيها ثلاث حالات : « حالة الجوع ، والإمتلاء ، والإمتلاء المفرط » . ويقابل هذه

الحالات على التوالى تكافؤ موجب ، ومتعادل ، وسلبى لحالات النشاط المتحصنة بحالة معينة أو نظام توتر . وفرط الامتلاء كالإسراف فى أى شىء يؤدى إلى النفور والتقزز . وفى أبحاث إيترا كارستن Karsten (١٩٢٨) على أثر أنشطة معينة كقراءة الشعر وكتابة خطابات والرسم وإدارة عجلة مرات ومرات متكررة ، ظهرت أعراض الامتلاء المفرط فى النقط السبع الآتية :

١ — ظهور وحدات فرعية فى النشاط تؤدى إلى فقدان تكامل النشاط السكلى وفقد معناه .

٢ — يصبح نوع أداء العمل أكثر ضعفاً ، كما يزداد تكرار الأخطاء فيه .

٣ — ميل متزايد لتغيير طبيعة العمل مصحوبة بميل للتشجيع بسرعة من كل تغيير .

٤ — الميل إلى محاولة جعل النشاط المنشعب ، نشاطاً جابياً وذلك بالتركيز على شىء آخر عند القيام بالعمل .

٥ — زيادة نفور الفرد من النشاط والأنشطة المشابهة مصحوبة بزيادة تكافؤ الأعمال الأخرى المختلفة عنها .

٦ — ثورات انفعالية .

٧ — ظهور التعب ، والأعراض الجسمية المشابهة والتى سرعان ما يتغلب عليها الفرد حين ينتقل إلى نشاط آخر (١) .

٣ — التكافؤ : والتكافؤ خاصية تصويرية ذهنية لمنظمة ما فى البيئة النفسية للفرد . إنها قيمة هذه المنطقة عند الفرد . وهناك نوعان من التكافؤ : تكافؤ

(١) دوينس س ٤٢٨ .

موجب وتكافؤ سالب . والمنطقة ذات التكافؤ الموجب هي تلك التي تحتوي على موضوع بهدف إليه الفرد ويؤدي إلى خفض التوتر إذا ما دخل الفرد هذه المنطقة . فالمنطقة التي تحوى طاماً يكون لها تكافؤ موجب بالنسبة إلى الشخص الجائع . أما منطقة التكافؤ السالب فهي تلك التي تزيد من التوتر . فالمنطقة التي تحتوي على كلب يكون لها تكافؤ سالب بالنسبة للشخص الذي يخاف الكلاب . والتكافؤ الموجب يجذب والتكافؤ السالب يطرد (١) .

والتكافؤ يرتبط بالحاجة . ومعنى هذا أن حصول منطقة ما من البيئة على قيمة إيجابية أو سلبية يتوقف مباشرة على وجود نظام في حالة توتر . ولما كان وجود نظام ما في حالة توتر لا يؤدي إلى حدوث التحرك ، فقد احتاج ليفين إلى مفهوم آخر هو القوة force أو الكمية الموجبة Vector .

٤ — القوة أو الكمية الموجبة:

وتحدث الحركة عندما تؤثر قوة ذات عزم كاف في الشخص . ولتسق القوة مع الحاجة والقوة ليست توتراً . فالقوة الموجبة توجد في البيئة النفسية ، بينما التوتر يعتبر خاصية للنظام الداخلي - الشخصى . وخصائص القوة هي الوجهة والعزم ونقطة الانطباق . وتمثل هذه الخصائص الثلاث رياضياً بواسطة الكمية الموجبة أو الـ Vector . وعلى ذلك ، وكما أوضح ليفين في رسومه البيانية ، فإن طول الخط وسمكه وخاصة نقطة ارتظام مقدمة الخط الذي رسم في صورة رأس سهم بالحدود الخارجية للشخص تعتبر في غاية الأهمية عند ليفين .

ويمكن أن نقبين العلاقة بين التكافؤ والقوة أو الكمية الموجبة . فالمنطقة ذات التكافؤ الإيجابي تنجها نحوها القوى المؤثرة على الشخص ، بينما

(١) نظريات الفصصية .

المنطقة ذات التكافؤ السالب فهي التي تتجه فيها هذه القوى المؤثرة إلى اتجاه مضاد . فالمنطقة ذات التكافؤ الموجب تجذب ، والمنطقة ذات التكافؤ السالف تطرد . والتكافؤ الموجب - من الناحية الفنية - يقابل قوة المجال الذي تتجه فيه جميع القوى نحو نفس المنطقة ، أى المنطقة ذات التكافؤ الموجب ، على حين أن التكافؤ السالب يقابل قوة المجال الذي تتجه فيه جميع القوى بعيداً عن نفس المنطقة أى المنطقة ذات التكافؤ السالب .

هذا ، وقد استغل ليفين بذلك هذه المفاهيم الدينامية التي وصف بها البيئة النفسية في إلقاء الضوء على طبيعة الأنماط المختلفة من مواقف الصراع . لقد ميز ليفين بين أنواع ثلاثة من الصراع هي : صراع الإقدام وصراع الإحجام وصراع الإقدام والإحجام معاً .

ويمكن أن نشير بإيجاز إلى كل نوع منها :

صراع الإقدام : وفيه يكون الفرد في موقف وسط بين تكافؤين موجبين متساويي القوة تقريباً . ويلتجأ الصراع حين يريد الفرد الاختيار بين الموقفين اللذين لسكل منهما جاذبية موجبة . فكلاهما يوجه الفرد في نفس الوقت من الاقتراب من هدف معين . والصراع في هذه الحالة لا يستمر طويلاً حيث سرعان ما ينتهي الفرد إلى اختيار أحد الهدفين ، كأن يختار الطفل بين الذهاب إلى تناول الطعام أو الاستمرار في اللعب ، ويكون الاختيار على أساس أقربهما منالاً بالنسبة إليه .

صراع الإحجام : وفيه يقف الفرد بين تكافؤين سالبين متساويي القوة تقريباً ، ويقوم بين دافعين يوجه كل منهما الفرد في نفس الوقت إلى الابتعاد عن الهدف . فلكل من الموقفين قوة سالبة . ففي صراع الإحجام يكون الفرد محصوراً بين قوتين تدفعه كل منهما بعيداً عن الهدف فيأخذ الفرد في التذبذب

بين الطرفين ما لم يجد سيلاً ثالثاً ، كالجندى في الميدان يعاني صراعاً بين قوتين دافعتين : الخوف من الموت إن هو تقدم ، والخوف من المحاكاة العسكرية إن هو هرب . فكلا الأمرين أحلاهما مر . فهو إن تقدم هلك ، وهو إن هرب هلك أيضاً . وحين يضطر الفرد إلى الاختيار بين أمرين كلاهما غير مرغوب فيه - كالدافع إلى الحرب من الجندية ، وعدم الرغبة في التقدم إلى الميدان والإقدام على القتال - يحدث أنه حين يميل إلى الاقتراب من الموقف الأول تزداد لديه قوة الإحجام لأن هذا الموقف يمثل بالنسبة إليه خطراً قريباً ، على حين يمثل الموقف الآخر خطراً بعيداً ، ولما كان الخطر القريب أقوى في نظره من الخطر البعيد ، فمن المتوقع أن يبتعد عن الخطر القريب المتمثل في الموقف الأول ، ويتجه أكثر إلى ناحية الموقف الثاني الذي يعد في هذه الحالة خطراً بعيداً . ولكنه حين يقترب من الموقف الثاني ، يصبح هذا الموقف الثاني خطراً قريباً يهدده ، في حين يعد الموقف الأول خطراً بعيداً ، ومن ثم يتجه ثانية نحوه . ويستمر الفرد على هذا الحال ، من التوقف والبعد أو التراجع . وما لم يكن هناك احتمال ثالث ، فإن الفرد يظل متأرجحاً في الصراع والتذبذب بين الموقفين .

صراع الإقدام والإحجام : وفيه يتعرض الفرد لقوى متعارضة مستمدة من تكافؤات موجبة وسالبة . فهناك دافعان يستتاران في وقت واحد ولكن في اتجاهين متضادين فيكون لأحدهما تكافؤ موجب والآخر تكافؤ سالب .. مثال ذلك الصراع بين الدوافع العدوانية ، والقلق المرتبط بها ، والصراع الذي يندشأ في نفس الطفل بين حبه لأبيه وكرهه له . ويتذبذب الشخص بين هذين الدافعين ويظل في حالة صراع بين الإقدام والإحجام ويعتبر هذا الصراع من أشد أنواع الصراع .

وتسكون نزعة الفرد إلى الإقدام قوية كلما كان بعيداً عن الهدف (وليكن

هدفاً مخيفاً مثلاً) ، على حين تكون نزعته لتجنب هذا الهدف أقوى كلما كان الفرد قريباً منه . ولذا نلاحظ أن الفرد كلما كان بعيداً زاد ميله إلى الاقتراب بعض الشيء ثم التوقف بعد ذلك أما حين يكون قريباً من الهدف المخيف ، فإنه يحاول الابتعاد عنه قليلاً ثم التوقف بعد ذلك . ويظل الفرد في منطقة يحدث فيها حالة توازن بالنسبة إليه ويكون مثله مثل بندول الساعة الذي يسمى إلى الوصول إلى حالة التوازن إذا أزيح بقوة عن مركز ثقله . والحقيقة أن تحديد نقطة التقاء دافئ الإقدام والإحجام يتوقف على قوة كل منهما بالنسبة للآخر . فحين يكون الإحجام أقوى نسبياً من الإقدام يتوقع أن يظل الفرد بعيداً عن الهدف المخيف وعن كل ما من شأنه أن يثير الصراع . ومن هنا لا يستشعر الشخص الخوف أو الصراع إلا قليلاً . غير أن ضعف قوة الإحجام يترتب عليه زيادة قوة الإقدام . وهذا من شأنه أن يجعل الفرد يقترب شيئاً فشيئاً من الهدف المخيف ومن ثم يبدأ القيام بالاستجابات التي تستثير المنبهات التي تؤدي إلى الخوف فتكون النتيجة زيادة قوة الخوف والصراع .

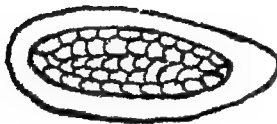
٥- الشخصية : ناقش ليفين بعض التغيرات السلوكية التي تحدث خلال عملية النمو والتنوع والتنظيم وامتداد مناطق النشاط وتوافق السلوك ودرجة الواقعية ، ثم شرع بعد ذلك في صياغة هذه التغيرات صياغة تصورية ذهنية . وقد استخدم نفس الصياغات الفكرية السابق الإشارة إليها في دراسة السلوك ، طالما أن السلوك والنمو هما وظائف لنفس العوامل البنائية والدينامية .

ومفهوم التمايز من المفاهيم الهامة في نظرية ليفين في نمو الشخصية وتنطبق على جميع جوانب المجال الحيوي للفرد . وهو يعرف التمايز بأنه زيادة عدد أجزاء السكل . فعدد أجزاء المنطقة الشخصية الداخلية للفرد يزداد مع تقدم السن . وتتضح خاصية التمايز هذه إذا ما قارنا المجال الحيوي للطفل بالمجال

الحيوى للبالغ . فالمجال الحيوى للبالغ أكثر تمايزاً . فالأجواء المسكونة للشخص والمناطق المسكونة للبيئة النفسية تصبح أكثر تمايزاً وتفاضلاً . كما أن الأبعاد المختلفة التى تؤثر فى المجال الحيوى أكثر تمايزاً . فبدلاً من تأثر المجال الحيوى للطفل بالحاضر فقط ، فإن بعد الزمن يصبح أكثر تمايزاً مع تقدم السن ، فيكون هناك الماضى البعيد والماضى القريب ، والحاضر ، والمستقبل القريب والمستقبل البعيد . وبالإضافة إلى بعد الزمن يحدث أيضاً تمايز فى بعد الواقع - اللاواقع . حين يصل الفرد إلى الرشد يكون قد تعلم أن يميز ليس فقط بين الحقيقة والزيغ ، بل وأيضاً بين الدرجات المختلفة للإمكان والاحتمال .

وإذا كان التمايز يعنى زيادة عدد الحدود ، فإن ناحية أخرى تصحب هذه الزيادة ، ونعنى بها قوة هذه الحدود . فحدود الطفل أقل صلابة من حدود البالغ . فالإطار الخارجى المحيط بالمجال الحيوى للطفل أقل صلابة من ذلك المحيط بالمجال الحيوى للراشد . ولذلك نجد أن ليفين يمثل ذلك عند الراشد بخط سميك ، بينما يمثله عند الطفل بخط رفيع . وهذا يفسر لنا حقيقة أن الطفل أكثر تأثراً بالظروف البيئية المحيطة به ، وأنه أسرع من الراشد فى تفريغ شحناته الانفعالية .

والطفل - على عكس البالغ - لديه غيب ثابت وظئى بسيط على حدود أجهزته المختلفة . أما البالغ فإن حركاته وأساليب سلوكه وانجماهاته وسماته تكون أكثر تحديداً وأكثر ثباتاً وأقل امتزاجاً بالنزعات غير المرتبطة بها ، وقد أوضح ليفين فكرته فى التمايز هذه بالأشكال الآتية :



الراشد



الطفل الطفولة المتأخرة



الطفل سنة الأولى

فالحدود الفاصلة بين الأجهزة ضعيفة في الطفولة المبكرة بشكل يجعل الطفل يستجيب ككل للثيرات الخارجية ، كما تكون الحدود الفاصلة بين الطفل والعالم الخارجى أقل صلابة ، بشكل يجعل الطفل يستجيب لجميع أنواع المثيرات البيئية التى يمكن كبتها أو قمعها فيما بعد مع تقدم النمو . ومفهوم التكامل — إلى جانب مفهوم التمايز وخصائص الحدود — من شأنه أن يفسر لنا ما يطرأ على المجال الحيوى من نمو . فإذا كان نظام التوافق وتبادل الاعتماد الوظيفى وانتقال التوتر من منطقة مرتفعة التوتر إلى منطقة مجاورة منخفضة التوتر حتى يحدث التوازن واضعاً في الطفولة ، فإنه مع النضج يقل تأثير نظام « تبادل الاعتماد الوظيفى » ، ويبدأ يظهر نظام جديد من العلاقات يحدث فيه نوع من التكامل بين الأنظمة ، ويصبح من الممكن قيام تدرج هرمى كامل يقوم على علاقة السيادة والتبعية بين المناطق . وهذا ما يفسر لنا قدرة الشخص المتقدم فى السن على تنظيم وتنفيذ خطة معقدة للعمل ، وهى قدرة يبدو أن الطفل يفتقر إليها .

وقد لخص هول ولندزى فكرة ليفين فى نمو الشخصية بقولهما :
« يستخدم ليفين فى تحليله النظرى للإرتقاء مفهومات بحالية مثل مفهومات التمايز ، وتغير ظروف الحدود ، والتنظيم ، والتكامل ، ويمكن القول بصفة عامة أنه مع تزايد النضج يتزايد تمايز كل من الشخص والبيئة النفسية ، وتزيد صلابة الحدود ، ويزيد تعقيد شبكة العلاقات التدرجية الهرمية والاختيارية بين نظم التوتر . إن ارتقاء السلوك عند ليفين وظيفته للشخص والبيئة النفسية (١) .

(١) نظريات الشخصية : هول ولندزى . ترجمة د. فرج أحمد فرج وآخرون ص ٢١٧ .

الفصل الحادى العشرون

الشخصية فى ضوء نظرية المثير والاستجابة

بدأ علماء النفس السلوكيون إهتمامهم بمشكلات التعلم ثم وسعوا مجالات إهتمامهم بعد ذلك حتى شملت مجالات أخرى كدراسة الشخصية ودراسة ألوان السلوك المعقد الذى يتمثل فى أنشطة الفرد فى حياته اليومية . وقد اتجه إهتمامهم نحو الطريقة التى تحدث بها الاستجابة عند وجود مثير معين . ودرسوا بدقة وإمعان طبيعة الاستجابة وكيف تثبت وكيف تتكون العادات وما نوع الأدلة أو المثيرات التى تصاحب السلوك الذى نلاحظه . فهم إذن وضعيون فى نظرهم للسلوك . ووجدتهم الأساسية هى ارتباط المثير والاستجابة . ويعتبر التعلم الترابطى ، عندم الوسيلة التى بواسطتها ينمى الفرد أنماطا سلوكية خاصة هى التى تعرف بالشخصية .

ونظرية المثير والاستجابة ليست فى الحقيقة نظرية واحدة ، بل هناك العديد من هذه النظريات التى تشبه كل منها الأخرى بدرجة كبيرة أو صغيرة . ولكننا جميعا تشترك فى بعض الخصائص العامة المميزة التى تجعلها تندرج تحت اسم " المثير والاستجابة " . وتعتبر عملية التعلم فى هذه النظريات جميعها بمثابة الأساس الذى تقوم عليه جميع محاولاتها لتفسير اكتساب الأشكال الجديدة من السلوك التى تظهر مع الخبرة والاحتفاظ بها .

ولا يمكن بطبيعة الحال التحدث عن نظرية المثير والاستجابة دون أن نرجع إلى أصولها الأولى التى بدأت عنه إيفان بافلوف العالم الفسيولوجى الروسى ، وجون ب واطسن ، وإدوارد ل ، ثورنديك عالمى النفس الأمريكىين . فقد استطاع بافلوف أن يثبت من خلال تجاربه المدببة التى أجراها على الحيوانات

أنه عند تقديم مثير طبيعي (الطعام) ، له القدرة على إحداث استجابة ما (إسالة اللعاب) ، مع مثير شرطي (دق الجرس) ليس له بطبيعته القدرة على إحداث هذه الاستجابة ، وكررنا ذلك عدداً من المرات ، فإن المثير الشرطي يكتسب خصائص المثير الطبيعي ، وتصبح له القدرة على إحداث الاستجابة .

وقد أصبحت عملية التشريط على أيدي عدد من علماء النفس الأمريكيين وسيلة لفهم السلوك بطريقة موضوعية وبشكل ينأى عن الذاتية . وتزعم وطسن هذا الاتجاه الذي كان هدفه هو القضاء على الحدس والذاتية وإقامة علم نفس موضوعي . ومن شأن هذا الاتجاه أن يجعل علم النفس علماً في مصاف العلوم الأخرى . كما أصبحت وجهة النظر الموضوعية هذه طابع علم النفس الأمريكي . وفي نفس هذا الوقت أوضح ثورنديك أهمية الثواب والعقاب في عملية التعلم ، وأصبح قانون الأثر أحد الدعائم الأساسية في نظريات التعلم الحديثة .

ورغم أهمية قوانين الاشتراط في حد ذاتها كتمهيد عن طبيعة التعلم في مواقف تجريبية معينة ، إلا أن بعض علماء النفس يذهبون إلى أن هذه القوانين تصبح لها أهمية كبرى إذا أمكن تطبيقها أيضاً على ألوان السلوك المعقد التي التي تقترب من أنشطة الإنسان في حياته اليومية . وكان من نتيجة ذلك أن ظهرت محاولات عديدة لتطبيق مبادئ التعلم البسيط على مثل هذا السلوك المعقد . وقد ذهبت بعض الجهود الحديثة في هذا الاتجاه إلى تطبيق مبادئ الاشتراط والتعلم البسيط على الذاكرة العنفاء على نحو ما فعل كلارك هل وآخرون (١) ، وعلى اكتساب المهارة الحركية على نحو ما فعل أموز (٢)

(1) Hull, C. et al. : *Mathematico-deductive Theory of rote learning*. New Haven, Yale University Press 1940.

(2) Ammons. R. B. : *Aquisition of motor skill : 1. Quantitative Analysis and Theoretical formulation*, Psychol. Rev, 54, 263-281.

وعلى السلوك الاجتماعي على نحو ما فعل ميلر ودولارد في كتابهما المتعلم الاجتماعي والتقليد (١٩٤١) ، وعلى الشخصية والعلاج النفسي على نحو ما فعل دولارد وميلر أيضا في كتابهما الشخصية والعلاج النفسي (١٩٥٠) . وقد أثارَت هذه المحاولات مشكلات رئيسية عن العلاقة بين التشريط والصور الأخرى من السلوك فن ناحية ، يذهب البعض إلى أن السلوك كله يجب أن يفسر في ضوء مجموعة واحدة من القوانين التي تنطبق على جميع مستويات التعقيد ابتداء من الاستجابة الشرطية في الحيوانات ، حتى الوظائف العقلية العليا عند الإنسان . على حين يذهب البعض من ناحية أخرى ، إلى أن الأمر يقتضي وجود مبادئ ، جديدة يفسر في ضوءها هذا السلوك المعقد ، وأن ليس في إمكان أية مجموعة من مبادئ التشريط أن تفيد في تفسير هذا المدى الواسع للمشاط الإنساني . وقد يكون من الخطأ في الوقت الحاضر قبول أي من وجهتي النظر . وقد نصل في يوم ما إلى معرفة ما إذا كانت مبادئ الاشتراط يمكنها أو لا يمكنها وحدها تفسير كل ظواهر السلوك النفسي المرضي مثلا ولكن لا يزال هذا اليوم - على نحو ما يذهب د جريجوري كبل (١) ، بعيداً . ولذلك ، فإن كل ما يمكن عمله حالياً هو محاولة تفسير الظواهر المعقدة في ضوء مبادئ أكثر بساطة . وقد تكون هذه التفسيرات الناتجة ناقصة وغير مكتملة ، إذ أن تفسير مثل هذا السلوك المعقد يتضمن العمل معاً لكثير من مبادئ الاشتراط . ولا يزال معرفتنا بالطريقة التي ترتبط بها هذا المبادئ وكيفية أدائها لوظائفها ، بسيطة . ثم إذا أخذنا في الاعتبار أيضا أن معرفتنا بحال دراسة الشخصية لا تزال في مهدها ، فإننا نتوقع أن يكون ما تقدمه لنا نظريات التعلم في معالجة مشكلات الشخصية وفي دراسة السلوك الإنساني المعقد ، ليس إلا تأملات عامة .

(١) Kimble, A Gregory : Hilgard and Marquis' Conditioning and Learning. New York, Appleton-Century-Crofts Inc. 2nd ed, 1964,

وأحد الملامح البارزة لأسلوب معالجة أصحاب نظريات التعلم لموضوع الشخصية هو الميل إلى محاولة التوفيق بين مفاهيم الطب النفسى (ومعظمها من مفاهيم التحليل النفسى) ، والمفاهيم المادية فى مجال التعلم . فالشخصية عرّفت فى ضوء العادة (جائزى) . كما ظهرت عمليات مثل التعميم والتمييز والتدعيم والانطفاء والتدعيم الجزئى وغيرها ، وذلك فى محاولة تفسير عمليات التوافق المعروفة للطبيب النفسى ، باستخدام مفاهيم معروفة لأصحاب نظريات التعلم . وسوف نوضح فيما يلى بعض المجالات والموضوعات ذات الصلة بين الشخصية ونظريات المثير والاستجابة .

أولاً : التحليل النفسى ونظريات المثير والاستجابة .

اختلفت درجة تقبل أصحاب نظرية المثير والاستجابة لنظرية التحليل النفسى . فمنهم من قبلها بشكل واضح مثل دولارد وميللر فى كتابتهما الشخصية والعلاج النفسى (١٩٥٠) ، ومنهم من وقف منها موقف الرفض كما يزنك وسبنس وسكتر . وقد يبدو غريباً للوهلة الأولى أن تحاول إيجاد علاقة بين هاتين النظرتين ، أو أن نقول إن بعض أصحاب نظريات التعلم قد أخذ الكثير عن نظرية التحليل النفسى ، وذلك بسبب ما يظهر من اختلاف واضح بين هذه النظريات فى معالجة المشكلات السلوكية . ورغم المحاولات العديدة التى بذلت لتصوير فرويد كباحث تجريبى ، إلا أنها لم تكن محاولات مقنعة . ذلك أن الإسهامات الكبرى التى قدمها قد صدرت عن استبصاراته العميقة المتغلغلة فى ديناميات السلوك البشرى . أما أصحاب نظريات التعلم ، فقد ظلوا من الناحية الأخرى ، وثيقى الصلة بالمعمل وبالدراسات التجريبية التى يقومون بها ، والتى فى ضوءها بنوا حقائقهم . فهم يهرون على الحقائق الموضوعية بصورة أكثر مما نجده فى تفسيرات فرويد . ويرى

باشراش^(١) أن أوجه الخلاف بينهما تكمن في مناهج بحث كل منهما . فبينما يتعامل التحليل النفسى مع استنتاجات عن السلوك الداخلى ، للفرد ويفسر ويرمز ، إذ بالتشريط يتعامل مع النشاط الحركى الملاحظ ، ويقلل من التفسير ، كما يتطلب تحديد الإجراءات أو العمليات التى يقوم بها الكائن الحى . ومن هنا يلخص باشراش نقط الخلاف بين النظريتين فى النقاط الآتية :

١ - إن التحليل النفسى إرث فلسفى : أفكار وإرادة وشخصية وثنائية (عقل متميز عن الجسم) ، بينما السلوكية إرث بيولوجى : عضلات وغدد ، وأحادية السلوك الملاحظ (الفكر استجابة فسيولوجية) .

٢ - إن التحليل النفسى يؤكد الدوافع الداخلية للسلوك ، بينما تركز السلوكية على الأحداث البيئية المتحركة فى السلوك .

٣ - أنه رغم توكيد كل منهما على الفرد ، إلا أن السلوكية تركز بدرجة أكبر على القوانين العامة للسلوك .

ومع ذلك . فالنظرة المدققة فى نظرية فرويد ، تكشف عن نواحى شبه قوية بينها وبين السلوكية ، كاتفاقهما حول أهمية ملاحظة السلوك ، وتقبل العلاقة بين السبب والنتيجة . فالسلوك ليس فى نظرهما نتيجة نزوة طارئة . كما تركز كل منهما على أهمية فهم تاريخ الفرد وخبرات التعلم عنده مما يساعد على توضيح العلاقة بين الأحداث الماضية والسلوك الراهن . ففاهيم كلا النظريتين تاريخى فى طبيعته . ومن هنا نجد ميل بعض أصحاب النظرية السلوكية إلى الأخذ بمفاهيم التحليل النفسى إلى حد بعيد . وقد تلقى النقط الآتية

(1) Bachrach, J. Arthux : Some Application of Operant Conditioning to Behavior Therapy. In Wolpe. Joseph; Salter, Andrew & Reyna L. J. (eds) : The Couditioning Therapies. N Y. Holt Reinhart and Winston Inc. 1964.

بعض الضوء على نواحي الشبه بين نظرية التحليل النفسى ونظرية المثمر والاستجابة :

١ - إن مبدأ اللذة عند فرويد هو بمثابة صياغة جديدة لقانون «الآثر» .
فطاقات الجو عند فرويد من شأنها أن تجعل الفرد فى حالة من التوتر المولم .
ويكون السلوك التوافقى فى هذه الحالة هو التخلص من هذا التوتر . ويخدم
السلوك - السوى منه والشاذ فى نظر فرويد - هذه الغاية ذاتها ونعنى به
خفض حدة التوتر . ولعل هذا القول قريب الشبه أيضاً من مبدأ التميز
عند «هل» .

٢ - إن المركب الرئيسى للتعلم عند «هل» ، وهو « العادة (SHR) » ،
يمكن إدراكه باعتباره يتكون خلال التدريبات المتكررة . ثم إن البقاء عند
مستوى عال من التعديم من شأنه أن يقوى العادة بنسبة معينة وتدرجية حتى
تعلم تماماً . وما أن تعلم حتى يصعب هدمها . وإذا توقف السلوك الذى يعكس
العادة ، فإن ذلك يكون بسبب ما هنالك من معارضة له نتيجة وجود عوامل
كافة أو مثبطة . وهذا القول عن التعلم - مع ما يقوم عليه من افتراض دوام
واستمرار آثار الخبرة - يشبه إلى حد كبير ما يقوله فرويد من أن الخبرات
المبكرة تترك آثاراً لا يمكن استئصالها ، رغم أن هذه الآثار ليس من
السهل رؤيتها بسبب الكبت وهو مفهوم يلعب دوراً شبيهاً بدور الكف
عند «هل» .

٣ - أن ثمة تشابهاً بين عناصر ديناميات الشخصية التى يفترضها فرويد
وبين تحليل الصراع على نحو ما يوضحه « نيل ميلر » . فى نظرية التحليل
النفسى ، هناك إحتكاك مستمر بين مطالب الجو (والذى هو عبارة عن مجموعة
الدوافع البيولوجية الأولية البدائية اللاخلاقية) ومطالب الأنا الأعلى (الذى يمثل
التقاليد وتابو المجتمع الذى يعيش فيه الفرد) . وهذا يشبه أساساً صراع الإقدام

- الإحجام الذى يجرى داخل الذات ، والذى تصطده به نزعات الفرد نحو الجنس والعنوان مع نزعاته للشعور بالذنب المتصل بهذه النواحي .

٤ - يمثل القلق جانباً هاماً فى تفكير فرويد ، وكذلك تميل نظرية التعلم إلى استعمال هذا المفهوم . فالقلق يمدنا بأساس دافعى للتوافق ، طالما أننا نخبره كخبرة غير سارة . وأى خفض للقلق ينظر إليه كهدف له أهميته . كما ينظر إلى القلق أيضاً باعتباره يمدنا بأدلة (مثيرات الحافز) نستثير مبعكازمات متعددة للتوافق .

٥ - إن بعض مظاهر التعلم الأساسية ، يمكن أن تتضح فى تفكير التحليل النفسى . فظاهرة التعميم التى نجدها واضحة فى نظريات المثير والاستجابة والتى تحدث عنها بافلوف وروطن وغيرهما ، تتضح لنا أيضاً فى عملية نمو الرمز . فالسكين تصبح رمزاً لعضو الذكر مثلاً ، كما أن العادات يمكن أن تتمثل فى التفكير الفرويدى فى صورة إجبار التكرار . فالراشد قد يغير وظيفته أو هوايته مراراً ، ومع ذلك ، فإن الوظيفة أو الهواية الجديدة تحمل شياً كبيراً بالوظيفة أو الهواية القديمة^(١) ،

ومن كل ما نقدم بتضح لنا أن سيكولوجية فرويد تحوى الكثير مما يمكن ترجمته فى مفاهيم المثير والاستجابة وفى ضوء ذلك يمكن أن يتضح لنا موقف بعض أصحاب نظريات التعلم المهتمين بدراسة الشخصية ومحاولتهم وضع النظريات والأفكار التجريبية الوثيقة الصلة بالتفكير الفرويدى . على نحو ما فعل دولار وميلر فى نظريتهما فى الشخصية والتى سوف نشير إليها فيما بعد .

(1) Hall, C.S. A primer of Freudian Psychology. World Publishing Co. 1954. p. 117.

ثانيا : العصاب التجريبي :

وثمة مجال آخر ساهم فيه أصحاب نظرية المثير والاستجابة في مجال الشخصية ويتمثل في الاهتمام الكبير بمظاهر عدم التوافق العصبي وربما كان من أقدم الدراسات العملية ذات الصلة الوثيقة بمشكلات الشخصية ، تلك التي تتصل بما يسمى باسم «العصاب التجريبي» Experimental Neurosis . وقد بدأ هذا الاهتمام بنتائج التشريط لبعض الملاحظات التجريبية التي قام بها بعض الباحثين في معمل بافلوف ١٩١٤ فقد درب الكلب عن الاستجابة بإسالة اللعاب عند عرض دائرة مضيئة على شاشة عرض وبعد تكوين الاستجابة الشرطية جيداً ، أمكنه أيضاً عمل تمييز بين الدائرة وشكل أهليلجي وذلك بتدعيم الاستجابة إلى الدائرة وعدم تدعيمها عند عرض الشكل الأهليلجي وقد أخذ المحرب بعد ذلك يغير شيئاً فشيئاً من الشكل الأهليلجي ، حتى أصبح قريب الشبه بالدائرة وذلك مع الاستمرار في تدعيم الاستجابة للدائرة وعدم تدعيمها للشكل الأهليلجي . وعندما وصل الشكل الأهليلجي إلى درجة معينة من الاقتراب من شكل الدائرة بحيث أصبحت التفرقة بينهما هسيرة على الحيوان . أخذ سلوكه يتغير وأصبح يعوى بشكل ظاهر ، ويحاول أن يمزق بأسنانه أدوات الجهاز وبعض الأنابيب الموصلة بين غرفة الحيوان وغرفة القائم بالملاحظة ، ولم يكن شيئاً من هذا كله قد حدث من قبل . وقد لاحظ الباحث أيضاً أن الحيوان كان ينجح بصوت مرتفع عند إدخاله إلى غرفة التجربة ، على عكس ما كان عليه من سلوك هادئ. من قبل وباختصار ، فقد بدأت تظهر على الحيوان أعراض الحالة التي درجنا على تسميتها بالنسبة للإنسان باسم «العصاب» فكانت تظهر عليه علامات القلق كالرعشة والعواء ورفض الطعام وهو في غرفة التجربة ، كما كانت تظهر عليه علامات كف قوية كالميل إلى النعاس

والنوم فعلاً. وقد أمكن لباحثين آخرين الوصول إلى نتائج مماثلة في تجارب أخرى أجريت على الفيران والقطة. والماعز وغيرها من الحيوانات .

وقد يتساءل البعض هل هذا عصاب حقيقي ؟ إن الإجابة على هذا السلوك تتوقف على تحديد معنى العصاب . إن العصاب الذى نعينه والذى يتمثل فى دراسات العصاب التجريبي يتميز بالصفات الآتية :

(أ) أن السلوك العصابى هو نتيجة ضغط وتوتر وصراع . فى جميع التجارب التى من هذا القبيل ، فإنه ليس ثمة شك أن صراعا ما قد ظهر بوضوح لدى الحيوان بين نزعات الفعل المدعومة التى يثاب عليها ، ونزعات الفعل غير المدعومة التى يعاقب على أدائها .

(ب) أن السلوك العصابى يتميز بالقلق وهذا يتضمن العقاب من أى نوع كان .

(ح) أن السلوك العصابى يحدث فى جزء منه بسبب الصراع الذى لا يمكن تفاديه ، وفى التجارب التى تجرى على الحيوان ، فإن القيود المادية التى تفرض على الحيوان تعتبر جزءاً من طريقة لإجراء التجربة ، وأن إحدى النتائج البارزة لذلك ، هى مقارنة الحيوان الدخول إلى غرفة التجربة أو الدخول فى الموقف التجريبي الذى يحدث فيه الصراع .

(د) أن السلوك العصابى ينتمى بمجموعة من الأعراض التى نعتبر غالباً غير عادية فى نظر المعايير الاجتماعية .

وفى ضوء الدراسات التجريبية والعملية يمكن القول بأن أى ظرف من شأنه أن يستثير إستجابات كافة أو مشبعة أو مثيرة بدرجة كبيرة وغير عادية ، من شأنه أن يحدث لدى الفرد عصاباً تجريبياً . كما أن الإضطرابات التى ذكرت باعتبارها مظاهر للعصاب التجريبي ، قد تضمنت العديد

من الأعراض الحركية والمتصلة بالجهاز العصبي المستقر والأعراض
الوجدانية والاجتماعية .

ثالثاً : القلق :

وثمة شرط أساسي لحدوث سوء التوافق أكده فرويد - كما ظهر أيضاً
بوضوح في العصاب التجريبي - ونعني به عامل القلق . وقد احتل هذا العامل
مكانة كبيرة عند تطبيق نظرية التعلم على مشكلات الشخصية . ووجهة النظر
العامة تسير جنباً إلى جنب مع وجهة نظر التحليل النفسي من حيث افتراض
أن القلق يقوم بدور مزدوج . فهو من ناحية حافظ drive ، ومن ناحية أخرى
مصدر تعزيز عن طريق خفضه فالقلق له قدرة على إحداث النشاط غير
المستقر ، كما أن عناصر هذا النشاط التي تؤدي إلى خفض القلق تكتسب
وتتعلم . ويعزو أصحاب نظرية المثير والاستجابة ، الذين يستمدون أفكارهم من
التجارب العملية ، القلق إلى عملية تشريط ، حيث تقوم فيها المثيرات المحايدة
بمقام مثيرات العقاب أو الألم أو الخوف ومثيرات الخوف عند الكائنات
الحية كثيرة ومتعددة منها ما هو فطري كالخوف من الأصوات الفجائية العنيفة
وفقدان السند عند الطفل (وطس) ، ومنها ما هو مكتسب ويمكن أن يفيد
أيضاً كأساس دافعي لكثير من ألوان السلوك التوافقي والخوف المرضية
والخوف من فقدان الحب مثالان واضعان لذلك .

ولقد ميز فرويد أنواعاً ثلاثة من القلق : قلق موضوعي وقلق عصبي
وقلق خلقي . أما القلق الموضوعي فهو قلق متصل بالأحداث الواقعية والمادية .
ويشتمل هذا النوع من القلق على ما يتصل بالأضرار الجسدية والحرمان الاقتصادي .
والأدلة المستمدة من مثل هذه الأشكال من القلق تدفع الفرد عادة إلى إتخاذ
الإحتياطات اللازمة لتجنب الخطر المهدد . فيبحث لنفسه مثلاً عن مكان

يحميه أو عمن يدفع عنه غائلة الحرمان ثم أن هناك القلق العصبي وهو قلق
تثيره رغبات الهوى . إنه خوف من التعبير عن الدوافع اللاإجتماعية والجنسية
والعدوانية والتي تأخذ صورة أفعال إندفاعية . ومن أعراضه قلق عام منتشر
ومخاوف وذعر أما القلق الخلقى فهو الذى نخبره فى صورة الشعور الذنب
أو الخجل أو وخز الضمير . وهو يصدر عن الأنا الأعلى . فبعض أنواع
السلوك كانت فى الماضى تلقى العقاب من قبل الوالدين . ومن هنا ، فإن القيام
بها الآن ، من شأنه أن يستثير القلق عند الفرد .

والقلق نتيجة حتمية لعملية التطبيع الاجتماعى . ففى الطفولة المبكرة
ليس لدى الطفل سبيل لمعرفة أى أنواع السلوك يثاب عليه ، وأياها يعاقب على
إدائه . كما أن استجاباته تخضع لمبدأ اللذة والحاجاته المتسمة بالإنانية ،
والسلوك التوافقى - من وجهة نظر الطفل - يتطلب القيام بكلف السلوك غير
المقبول ومن ثم يتجنب العقاب . وهذا هو حل المشكلة من جانب الطفل .
ولكن هذا الحل ليس بالحل الكامل لأسباب عدة منها :

١ - أنه يترك الحافز الأسمى دون إشباع . فهذا الحافز يجب أن يترك
جانبا أو حتى يلى . وهذه نقطة يؤكدها المحلل النفسى فى نظريته إلى أن
القلق الحاد هو دائماً عرض للكبت

٢ - أن الأفعال التى تدعم والأفعال التى تعاقب ، من أجل أن تتمايز ،
تثير مشكلات حقيقية . فالطفل يجب أن يميز بين المحبة الأخوية والاشتهاء
المحرم ؛ بين اللذة فى مصاحبة الزملاء والجنسية المثلية ؛ بين الدفاع عن حقوق
الفرد والعدوان الأنانى . ومن المحتمل ألا يصل أنسان ما إلى معرفة كل
الدقائق الضرورية فى سلوكه من أجل حسن التكيف مع مطالب البيئة .

٣ - أن جزءاً كبيراً من القلق وجد أنه يرجع إلى أحداث مرت

بالطفل قبل مرحلة اللغة فالعقاب على نوسخ نفسه أثناء عملية التدريب على الإخراج أو على قيامه ببعض الأفعال الجنسية الطفلية ، أو على ما يظهر لديه من مظاهر العدوان المبكر ، كلها تفرس القلق بالنسبة لسلوك الذي لا يحمل أية تسمية لفظية بالنسبة للطفل . إن مثل هذه التسميات اللفظية تصبح فيما بعد ذات فائدة كبيرة عندما يقوم الطفل بالتمييز بين الأفعال التي ينظر إليها نظرة تقديس ، وتلك التي لا ينظر إليها هذه النظرة . وتكون التسميات في العادة أبسر في التمييز من المثيرات الناشئة عن الأفعال ذاتها . ومع ذلك ، ففي الطفولة المبكرة ، يمكن أن يقرن القلق بمظاهر سلوكية غامضة وضعيفة التمايز .

٤ - يستجيب على الطفل في بعض الأحيان أن يقوم بتمييزات صحيحة تماماً ، وأن ينمى استجابات صحيحة محسوبة ، لتجنب كل عقاب يوقع به . وقد يكون مرجع ذلك إلى حد كبير ، الحالات المزاجية غير المتسقة والإدراكات غير الحساسة للأباء أو من يقوم على رعاية الطفل من الكبار المحيطين به . فأحياناً تلتقي بعض الأفعال التي يؤتيها الطفل الرضا والاستحسان ، على حين تلتقي في أحيان أخرى هي نفسها العقاب والوجع .

ولعل أحد مزايا وجهة النظر التي تذهب إلى أن القلق هو استجابة شرطية مؤلمة هو أنها تؤدي إلى البحث في تاريخ حياة الفرد من أجل الوصول إلى المناسبات والظروف المؤلمة التي مرت بالطفل والتي قد توقف الباحث بدوره على مصدر القلق عنده . وقد أدى هذا إلى التركيز على أحداث معينة في الطفولة يمكن أن تعد في كثير من الأحيان مسئولة عن نمو القلق . وهذه الأحداث تتضمن أموراً أكدها المحللون النفسيون في نظرتهم إلى النمو النفسي الجنسي كالتدريب على الإخراج وكف الجنسية الطفلية والعدوان . وأحد النقط الهامة المتصلة بمثل هذه المخاوف هو أنها مكتسبة قبل تعلم الطفل

اللغة وقبل أن يستطيع التعبير لغوياً عنها ، مما يزيد من المشكلة التي تواجهه بعد ذلك في محاولة تذكر الأحداث المؤلمة التي أدت إلى نمو القلق عنده :

رابعاً : الصراع :

يحدث الصراع عندما تستثار ، معاً وفي نفس الوقت نزعتان أو أكثر من النزعات المتعارضة . وهذا يعني أن الصراع يتميز بمواقف الاختيار ، وأنه يمكن أن يفهم في ضوء المبادئ التي تنطبق على أية حالة تستثار فيها طادات متصارعة

وهناك أنواع متعددة للصراع . منها صراع الإقدام وهو الذي يُلحَق من محاولة الفرد الاختيار بين هدفين لكل منهما جاذبية موجبة . فكلاهما يوجه المرء في نفس الوقت إلى الاقتراب من هدف معين والصراع في هذه الحالة لا يستمر طويلاً سرعان ما ينتهي الفرد إلى اختيار أحد الهدفين .

وصراع الإحجام يقوم بين دافعين يوجه كل منهما الفرد في نفس الوقت إلى الابتعاد عن الهدف : فشكل من الدافعين قوة سالبة . ففي صراع الإحجام يكون الفرد محصوراً بين دافعين يدفعه كل منهما بعيداً عن الهدف . فيأخذ الفرد في التذبذب بين الطرفين ما لم يجد سبيلاً ثالثاً .

أما الشكل الثالث فهو صراع الإقدام - الإحجام . وهو الذي يُلحَق بين دافعين يستثاران في وقت واحد ولكن في اتجاهين متضادين . فيكون لأحدهما جاذبية موجبة والآخر جاذبية سالبة . فأحدهما يجذب الفرد والآخر يبعده . كالطفل يريد أن يربط على ظهر كلب ولكن المحيطين به يحذرونه من القيام بذلك .

ورغم قيام بعض التجارب على النوعين الأولين من الصراع ، إلا أن الاهتمام الكبير قد تركز أساساً على صراع الإقدام - الإحجام . وقد قدم نيل ميلز

وتلاميذه مجموعة من الدراسات النظرية والتجريبية لصراع الإقدام - الإحجام والتي لعبت فيها مفاهيم التعلم الرئيسية دوراً تفسيرياً هاماً وتضمنت الدراسات التجريبية مع فيران المعمل إحداث الصراع بإعطاء الفأر طعاماً وصدمة كهربية في نفس صندوق الهدف فقد درست مجموعة من الفيران الجائعة أن تمر عبر المعر من أجل الوصول إلى الطعام ثم تعطى صدمة كهربية في نفس الموضع . وحسب قوانين الاشتراط الكلاسيكي ، فإن هذا يعني أن الهدف أصبح في نفس الوقت مدعماً ثانوياً موجباً وسالباً ومتضمناً للصراع . ومزايا هذه الطريقة تتلخص في النقاط الآتية :

١ - إن المكونات المستقلة لهذا الصراع (المجموع - الطعام - الصدمة الحرب) من السهل التحكم فيها نسبياً .

٢ - أن سلوك الفأر وهو في حالة الصراع من السهل وصفه في ألفاظ محسوسة مادية .

٣ - أن هذا الموقف التجريبي يبدو أنه يحتوى على كثير من مظاهر الصراعات السيكلوجية الهامة . ومن الواضح أن الصراع الانساني على وجه الخصوص غالباً ما يكون من نوع صراع الإقدام الإحجام .

وقد أشار ميللر^(١) إلى مجموعة من المصادرات التي قدمها في دراسته للصراع أهمها :

(١) أن النزعة إلى الاقتراب نحو الهدف تصبح أكثر قوة كلما كان الفرد أكثر قرباً من الهدف . ويطلق على ذلك اسم مدرج الإقدام Gradient of Approach.

(1) Miles, N. E. Liberalization of Basic S-R Concepts Extensions to Conflict behavior, motivation and learning in S. Koch (ed) Psychology, a study of Science. vol 2. N. Y. Mc Graw-Hill Books pp. 204-234.

(ب) أن الميل إلى تحاشي المثيرات السلبية يكون أقوى كلما ازداد الفرد قريباً من المثير . ويطلق على ذلك اسم مدرج الإحجام Gradient of Avoidance .
(ج) المعدل الذى تزداد به نزعات الإحجام بالإقتراب من الهدف أكبر من المعدل الذى تتزايد به نزعات الإقدام فى نفس الظروف . وبعبارة أخرى إن مدرج الإحجام أكثر حدة فى إغداره من مدرج الإقدام .
(د) إن زيادة الإثبات مرتبطة بالإقدام أو الإحجام سوف ترفع من المستوى العام للمدرج . وهكذا تظل هناك زيادة فى قوة الإقدام أو الإحجام بزيادة الإقتراب من الهدف ، ولكن هذه النزعات سوف تصبح حيثئذ أكثر قوة فى كل مرحلة من مراحل الإقدام .
(هـ) عندما توجد استجابتان متعارضتان ، فإن الاستجابة المطلقة للنزعة الأقوى هى التى تحدث .

ويمكن هذه المصادرات وغيرها من التوصل إلى تدبؤات فيما يتعلق بالطريقة التى سوف يستجيب بها الفرد لدى مواجهته بأنواع الصراع المختلفة . ومن الاستبصارات الهامة لفرويد فى السلوك الإنسانى ، تعرفه أن معظم هذا السلوك ذا طبيعة بدئية . فطالما أن المجتمع غالباً ما يكبت أو يمنع التعبير المباشر لدوافع المو ، فإن هذه الدوافع تبحث لها عن غاوج أخرى غير مباشرة تندرج لإبتداء من التعبيرات البسيطة - كذلك التى تظهر فى فلتات اللسان وزلات القلم وأحلام اليقظة - حتى الخلق الفنى وفى هذه الحالة يقال إن طاقات المو قد نقلت إلى أنشطة أخرى . وبألفاظ نظرية التعلم ، يمكن أن يفهم النقل كنتيجة لصراع الإقدام - الإحجام . ولكى نوضح تطبيق نظرية الصراع على ظاهرة النقل ، لننظر نتائج العقاب على نحو ما هى متضمنة فى تدريبات تنشئة الطفل وتربيته . لنفرض أن طفلاً ما عوقب بدينياً لعمل سيء أقام . فلما كان العقاب يودى إلى إحباط بعض نواحي النشاط المستثار ، فإنه

يلتج عن ذلك وجود نزعة قوية للعدوان - وربما كانت متعلمة ومكتسبة -
توجه نحو الشخص الذى أوقع العقاب بالطفل ومع ذلك فلا يوجه الطفل
عدوانه فى صورته الواقعية إلى الآباء، وذلك لأن العقاب قد أدى إلى ربط
الخوف بالشخص الذى أوقع العقاب. ولكن هذا العدوان يمكن أن يوجه مع
ذلك إلى مواقف أخرى ولأسباب لا تفسر عادة حقيقة ظهوره - إلى أحد
الإخوة مثلاً أى أن العدوان قد انتقل فى هذه الحالة من الوالد الذى أوقع
العقاب بالطفل إلى أحد أخوته. وبعبارة أخرى أنه قد حدث تعميم. مفهوم
التعميم هنا يعد إذن مفهوماً أساسياً لتفسير عملية النقل فى ضوء نظرية
المثير والاستجابة.

خامساً : العلاج النفسى :

لجأت التطبيقات الأولى لمبادئ التشریط على مشكلات الطب النفسى، إلى
استخدام التطبيق المباشر لطريقة الإقتران الشرطى فى التشخيص والعلاج. فقد
استخدمت هذه الطريقة نجاح فى الكشف عن الوظائف الحسية فى حالات
فقد الحس المستيرى. فقد ذكر بتشريف الروسى أنه نجح فى علاج حالة صمم
هستيرى (١٩١٢)، كما درس سيرر وكوهين (١٩٣٣) حالة فقدان حس
هستيرى وفقدان الألم باستخدام طريقة التشریط. كما أشار جريجورى كبل (١)
إلى حالة عالجت باستخدام التشریط. وكانت حالة مدرسة فى الثانية والثلاثين
من عمرها أصيبت فى حادث سيارة وذلك قبل بدأ العلاج بست سنوات. وقد
فقدت الحس بذراعيها الأيسر فقداناً تاماً خلال هذه الفترة، فكان مشلولاً شللاً
كلياً. وأثبت الفحص الطبى أن ليس ثمة أسباب عضوية يمكن أن ترجع
إليها هذه الأعراض. ومن هنا نعتبر هذه الحالة وظيفية. وقد أجريت عدة

(1) Kimble, G. Hilgard and Marquis' Conditioning and Learning
New York Appleton-Century Crofts Inc. 2nd ed 1964.

محاولات من جانب الطيب النفسى لجعل المريضة على استبصار بالطبيعة الوظيفية للحالة ، ولكنها كانت تقاوم ذلك مقاومة شديدة . وقد لجأ المعالج إلى طريقة العلاج بالتشريط وذلك فى أحد معامل علم النفس الملحقة بوحدة العطب النفسى التى يعمل بها .

وقد أعد لذلك تجربة سحب اليد . فاستخدم قطبين كهربيين واحداً لكل يد وكانت المجموعة الأولى من التجارب تتألف من تقديم صدمة لليد الفاقدة الحس كثير شرطى ، وتقديم صدمة لليد الأخرى كثير غير شرطى . وكان الهدف من ذلك هو تقديم الدليل على وجود حساسية فى اليد الفاقدة الحس ، طالما أن الصدمة الموجهة إليها تستخدم كعلامة لسحب اليد العادية . ورغم حدوث تشريط بسيط ، فإن الأثر المطلوب قد حدث وبدأت الحساسية تظهر بالتدريج فى اليد والذراع الفاقدة الحس . وقد تكررت التجربة يوماً وكان التحسن تدريجياً وبعد الشفاء من فقدان الحس عكست طريقة التشريط بهدف تنمية التحكم الإرادى . فاليد العادية أعطيت صدمة خفيفة كثير شرطى . أما بالنسبة للبشر غير الشرطى ، فإن اليد التى كانت المشاولة قد أعطيت صدمة كهربية أكثر عنفاً والتى أصبحت حساسة لها تماماً الآن . وقد بدأت الحركة فى الظهور فى هذه اليد عند إعطاء العلامة لليد السليمة . وكان هذا هو بداية التحكم . وعادت الحركة الإرادية بالتدريج . وقد اختفت الأعراض بعد ذلك ولم تظهر لديها أعراض أخرى إضافية . وهذا المثال يوضح إمكانية استخدام طريقة الإقران الشرطى فى علاج الأعراض العصابية . فالموقف التجريبى هو موقف يسمح للمريض باستبعاد الأعراض .

وإذا أخذنا بوجهة النظر التى تذهب إلى أن العلاج النفسى هو عملية تعلم فإن طرق العلاج يبحث أن تستمد من معرفتنا بالتعلم والداقية . والعلاج النفسى يستند إلى افتراضى بسيطين للناية وليكنه جوهري ، ونعنى به أن السلوك الإنسانى

يقبل التعديل عن طريق الأساليب السلوكية المختلفة ولكن السؤال الذي يرد مباشرة إلى الذهن هو هل السلوك الإنساني يتعدل فعلاً عن طريق وسائل العلاج النفسي؟ وإذا كان ذلك كذلك فما هي ميكانزمات التعلم التي تتوسط التغير في السلوك . ويمكن أن نشير فيما يلي إلى بعض ميكانزمات التعلم والدراسات التي حاولت تطبيق هذه المبادئ على مجالات العلاج النفسي، لنرى إلى أي مدى يمكن تعديل سلوك الفرد . ويجب ألا ينظر إلى قائمة الميكانزمات التالية والتي بواسطتها يمكن أن يحدث التعديل في السلوك ، على أنها شاملة أو غير متداخلة بالضرورة .

١ - التشريط المضاد Counter-Conditioning

ومن بين طرق العلاج النفسي العديدة المستمدة من نظرية التعلم ، تلك التي تقوم على مبدأ التشريط المضاد . وقد قدم ولبة Wolpe (١) تقريراً وافياً شاملاً عن هذه الطريقة . كما قدم جونز (٢) أمثلة إضافية لحالات عولجت بهذه الطريقة ويتلخص هذا المبدأ في أنه إذا أمكن ظهور استجابات قوية مضادة لردود الأفعال القلقة ، مع وجود الأدلة المثيرة للقلق ، فإن هذه الاستجابات المضادة سوف ترتبط بهذه الأدلة ومن ثم تضعف أو تبعد استجابات القلق (٣) .

(1) Wolpe, J. : Psychotherapy by reciprocal inhibition, Stanford. Stanford. University Press 1958.

————— : Psychotherapy based on the principle of reciprocal inhibition In A. borton (ed). case studies in Counseling and Psychotherapy. Englewood Cliffs, N. J. Prentice Hall. 1959

(2) Jones, H. G. The application of Conditioning and learning techniques to the treatment of psychiatric patient. J. abnorm. soc. Psychol. 1956. 52. 414-419

(3) Bandura, Albert, Psychotherapy as a learning Process Psychol. Bull. 1961 58 143-159

وأول تطبيق منظم لهذا المميج في العلاج النفسي ما قامت به «مارى جونز»^(١) في علاج الطفل «بتر» . وهى حالة طفل كانت تظهر عليه المخاوف الشديدة من الحيوانات والأشياء ذات الفراء والقطن والشعر واللعب الآلية . وقد تم التشريط المضاد لطعام الطفل مع وجود المثيرات الصغيرة ، والتي تثير القلق المزايد لديه . وقد تم ذلك فى أول الأمر بأن وضعت أرنباً فى قفص داخل الغرفة وعلى مسافة بعيدة من الطفل حتى لا يحدث القلق والاضطراب وهو يتناول طعامه . وأخذت بعد ذلك تقرب الأرنب يوماً بعد يوم من المضدة التي كان يتناول عليها الطفل طعامه . ومن حين لآخر كانت تخرج الأرنب من القفص . وخلال المرحلة الأخيرة من العلاج ، كان الأرنب موضوعاً على المضدة . بل وأيضاً فى حجر الطفل . وقد كشفت اختبارات التعميم بعد ذلك ، أن استجابات الخوف قد امتبعت بشكل ظاهر ، ليس فقط نحو الأرنب ، بل وأيضاً نحو الأشياء الأخرى ذات الفراء والتي كانت تثير الخوف لدى الطفل .

ومثل ذلك أيضاً ما قام به وطسن فى علاج الطفل البرت والذي كان يخاف أيضاً من الأشياء ذات الفراء نتيجة عملية إقتران شرطى بين الصوت العنيف وبين الأرنب الذى لم يكن يثير لديه فى بداية الأمر أى خوف .

وعلى الرغم من أن طريقة التشريط المضاد قد استخدمت بشكل واسع فى علاج استجابات الإحجام التي تثير القلق والكف ، فإنها قد استخدمت أيضاً بنجاح فى خفض استجابات الإقدام غير المتوافقة . وهنا يمكن ربط الموضوع المراد التخلص منه ببعض أنواع المثيرات المنقورة فقد استخدم

(١) Jones, Mary. A laboratory study. of fear. The Case of Peter. J. genet Psychol, 1924 31. 307-315.

« رايخوند ، الغثيان كخبرة منكرة في علاج مريض كانت لديه حالة « فتش ،
Fetichism تتعلق بشنط اليد للسيدات وعربات اليد للأطفال ، والتي كانت
توقعه في صدام مع القانون حيث كان يهتق على شنط اليد للسيدات ويحطم
عربات اليد بدراجته البخارية . ورغم إخضاع هذا المريض للعلاج بالتحليل
النفسي ، ورغم أنه كان على معرفة كاملة بمصدر ماوكة ودلالاته الجنسية ، ومع
ذلك كان الفتش ملحاً ولم يختف

وقد سار العلاج بأن يقدم المعالج للمريض مجموعة من الشنط وعربات
اليد والصور الملونة ، وذلك قبل حقن المريض بالآبومورفين Apomorphine
الذي يؤدي إلى حدوث حالة الغثيان وقد تكرر الاشتراط كل ساعتين
ليلاً ونهاراً لمدة أسبوع بالإضافة إلى جلسات إضافية بعد ٨ أيام وبعد
سنة أشهر

ويقرر رايخوند أنه يجمع ليس فقط في إزالة الفتش ، ولكن أيضاً كشف
المريض عن تحسس ملحوظ في علاقاته الاجتماعية (والقانونية) ، رشحته إلى
شغل مركز مسئول في عمله ولم يعد يحتاج بعد إلى الخيالات أو الأوهام
الفتشية تمكنه من القيام بالاتصالات الجنسية

وقد استخدمت العقاقير المسببة للغثيان — وعلى وجه الخصوص الإميتين
emetine — كثير غير شرطى في العلاج المنفرد أو المصاحب للمشروبات الكحولية.
وفي العادة كان يكفي من ٨ إلى ١٠ جلسات علاجية يقترن فيها رؤية المشروب
الكحولي ورشمه وذوقه مع حدوث حالة الغثيان ، حتى يحدث الامتناع عن
تناول المشروبات الكحولية فمن بين ما يقرب من ١٠٠ حالة عولجت بهذه
الطريقة امتنع حوالي ٦٠ / عن تناول المشروبات الكحولية تماماً ويقول
فوجتلين Vosgtien (١٩٤) إن إعطاء علاجات وقائية فليكة على مترار

وصل إلى حوالى ستة اشهر . قد تؤدي إلى تحسين النتائج التي يوصل إليها
استخدام هذه الطريقة

(ب) الإنطفاء

إن التدعيم يعتبر أمراً جوهرياً لتعلم عادة ما ، كما يعتبر أمراً أساسياً
لبقاء هذه العادة . وعندما تتكرر استجابة متعلمة دون تدعيم ، فإن قوة المبل
لحدوث هذه الاستجابة تأخذ في النقصان التدريجي . ويسمى هذا النقص
بالإنطفاء التجريبي أو الإنطفاء فقط (١) . فالصياد الذي يجد سمكا كثيراً في
مكان معين يميل إلى العودة مرات كثيرة إلى نفس المكان . أما إذا قل
ما يعثر عليه من سمك في هذا المكان ، فإن زيارته له تقل تدريجياً ويصبح
أقل حماسة في الذهاب إليه ، ومن ثم يأخذ في البحث عن مكان آخر .

وعملية الإنطفاء يجب ألا تختلط بعملية النسيان . والنسيان يحدث خلال
فترة لا تمارس فيها استجابة ما . أما الإنطفاء ، فإنه يحدث حين تمارس الاستجابة
ولكن دون تدعيم . والوظيفة الظاهرة للإنطفاء هي استبعاد الاستجابات
التي لا تدعم وبذلك يمكن ظهور استجابات أخرى مكانها . فالصياد الذي
لا يجد رزقه في مكان ما ، يكف عن البحث في هذا المكان ويسعى وراء
رزقه في مكان آخر .

وعملية الإنطفاء لا تحدث عادة مباشرة ، بل تمتد عبر عدد من المحاولات
تختلف باختلاف الظروف . والعادات الأقوى تكون أكثر استمراراً
وثباتاً وأكثر مقاومة للإنطفاء من العادات الأضعف . ومع تساوى بقية
الظروف ؛ فإن أى عامل يمكنه أن يحدث عادة أقوى ، سوف يزيد من

(1) Dollard, J and Miller N. Personality and Psychotherapy An
Analysis in terms of Learning, Thinking and Culture. New
York, Mc Graw- Hill Book Company Inc. 1950.

مقاومته للإنطفاء . فالبائع الذى يفشل فى تصريف بضاعة ما إلى ربائته عند أول تجربة له مع هذه البضاعة ، يكون أقرب إلى التوقف عن بيعها ، مما لو مر بخبرة الفشل هذه بعد محاولات عديدة فاجحة مع هذا الصنف . وهناك عاملان آخران يؤديان أيضا إلى حدوث العادة الأقوى ، ومن ثم إلى زيادة مقاومتها للإنطفاء ، ونعنى بهما الدوافع الأقوى أثناء التدريب ، والقدر الأكبر من المكافأة فى كل محاولة أثناء التدريب .

ومعظم صور العلاج النفسى المتعارف عليها تركز بدرجة كبيرة على آثار الإنطفاء رغم عدم تسمية المعالج لها أحيانا هذه التسمية فمثلا يعتبر كثير من المعالجين النفسيين من أمثال روجرز ودولاد وميلز وغيرهم التسامح شرطا ضروريا لإحداث التغيير العلاجى . فمن المتوقع أن المريض الذى يسمح له بالتعبير عن أفسكاره وإحساساته والتي تثير القلق أو مشاعر الذنب والذى لا يقابل بالنقد أو الرفض أو الاستمجان من جانب المعالج ، سوف تضعف أو تنطفىء لديه تدريجيا ما لديه من مخاوف أو مشاعر الذنب . وقد ظهرت بعض الأدلة عن العلاقة بين التسامح وإنطفاء القلق فى دراستين تجريبيتين ذكرهما ديتس تتضمن الأولى منهما (١) تحليلا لنتائج التفاعل بين المريض والمعالج وقد وجد ديتس أن استجابات التسامح من جانب المعالج يقابلها نقصان تدريجى فى قلق المريض (على نحو ما قام به بواسطة استجابات الجلد الجلفانومترية G. S. R.) وحدوث سلوك التجنب . كما كشف التحليل التتابعى للجلسات العلاجية - على نحو ما أوضحته الدراسة الثانية (٢) أنه عند

(1) Dittes, J. E. . Extinction during psychotherapy of G. S. R. accompanying embarrassing statements J abnorm soc. Psychol 1957 54. 187-191.

(2) ——— Galvanic skin responses as a measure of patients' reaction to therapist's permissiveness. J abnorm. soc. Psychol. 1957-55. 295-303

بدايه العلاج كانت التعبيرات الجنسية مصحوبة باستجابات قلق قوية ، ثم أخذت تنطفيء تدريجياً بعد ذلك نتيجة التأثيرات المتراكمة للتصاح .

(ح) التعميم Generalization

وآثار التعلم في موقف ما ، قد تنتقل إلى مواقف أخرى . وكلما قل التشابه بين المواقف ، قل حدوث الانتقال . وبعبارة أكثر دقة ، إن التدعيم من أجل القيام باستجابة خاصة لنمط معين من الأدلة ، من شأنه أن يقوى ليس فقط نزعة هذا النمط لإحداث هذه الاستجابة ، بل وأيضاً نزعة الأنماط المتشابهة من الأدلة لإحداث نفس الاستجابة ، والميل الفطري لحدوث الانتقال هو ما يسمى باسم « التعميم الفطري » للتشابه الدليل أو نمط الأدلة ، قل التعميم . ويطلق على الاختلاف في النزعة إلى نقل الإستجابة المتعلقة إلى مواقف جديدة ومختلفة اسم « مدرج التعميم » ، gradient of generalization . ومعنى ذلك أن مواقف الاستثارة يمكن أن تدرج أو ترتب حسب تشابهها ، وأن ذلك التشابه سوف يحدد إمكان أن تستثار استجابة سبق تعلمها في أحد المواقف ، في مواقف أخرى جديدة فالجائع يسيل لعابه عند رؤية موضوعات ليس من طبيعتها عادة لإسالة اللعاب .

وأمثلة التعميم شائعة في خبرة الحياة اليومية . فالطفل الذي عضه الكلب مرة ؛ يخاف من بقية الحيوانات الأخرى ، وبوجه أخص يخاف من الكلاب أكثر مما يخاف من القطط أو الخيل .

وقد درس بافلوف وبشرط زاهرة التعميم بشيء من الإفاضة . وكذلك فعل باحثون تحريبيون آخرون .

ومن الملاحظ أيضاً أنه لا يلغى على الفرد أن يتعلم فحسب أن يستجيب في اتساق في المواقف التي تختلف إلى حد ما ، بل عليه أيضاً أن يتعلم أن يستجيب استجابات مختلفة في المواقف المتشابهة . وهكذا ، فإن البيئة تلقي على عاتق

الفرد بهذين المطلبين المتعارضين . التعميم والتخصيص . . . ومن خلال التعزيز المتتالي لإستجابة معينة حيال مجموعة بالذات من الأدلة ، وعدم تعزيز نفس الإستجابة حيال مجموعة أخرى من الأدلة الوثيقة الشبه بالأولى يصبح ممكنا التمييز discrimination بين الأدلة بحيث تكف النزعة إلى التعميم ، ويتضمن التمييز زيادة في تخصيصه الأدلة المناسبة لاستثارة استجابة معينة ، على حين يقلل التعميم من تلك التخصيصية . ومن الواضح أنه كلما زاد التماز بين دليلين ، أصبح من السهل تعلم التمييز بينهما (١) ، وعملية التمييز تميل إلى تصحيح التعميمات غير المتوافقة فهي تزيد من نوعية الرابطة بين الدليل والاستجابة .

(د) طرق المكافأة أو الثواب Methods of Reward

وتقوم معظم نظريات العلاج النفسى على افتراض هو أن المريض لديه ذخيرة من العادات الموجبة والمتعلمة من قبل . ولكن هذه الأنماط المتكيفة تكون مكبوتة أو معاقة نتيجة وجود استجابات أخرى معارضة يحركها الفلق أو الشعور بالذنب فههدف العلاج إذن هو خفض حدة الضوابط الداخلية السكافة . وبذلك تسمح للأنماط الصحية للسلوك أن تظهر وتعبّر عن نفسها . ودور المعالج هنا هو خلق الظروف المتساعمة التي في ظلها يمكن أن تتطابق إمكانات ، النمو العادية للمريض . ولما كانت معظم نظريات الشخصية وطرق العلاج النفسى قد وضعت أساسا من خلال العمل مع عصابيين لقوا رعاية اجتماعية زائدة ، فإن ذلك قد يفسر لنا انتشار هذه النظرة .

ولكن هناك نوع كبير من الاضطرابات السلوكية (كالشخصيات المضادة للمجتمع والتي لا تلقى رعاية اجتماعية ، والتي يعكس سلوكها عجزاً أو فشلاً

(١) مولده لندى : نظريات الشخصية ترجمة دكتور فرج أحمد فرج وآخرون .

في عملية التنشئة الاجتماعية) ، لا يصلح معها هذا النمط السابق من أساليب العلاج والذي يتسم بالتساهل فنل هذه الشخصيات المضادة للمجتمع يحتمل أن تكون قد تعرضت لنواحي نقص في التعلم ، وبالتالي فإن علاجهم ينبغي أن يهدف إلى إكسابهم دوافع ثانوية وتنمية عادات كبح داخلية لديهم . ولذلك تتطلب هذه المجموعة أفصى درجات الخروج على طرق العلاج التقليدية .

وإذا كان التشريط المضاد والإنطفاء والتعلم بالتمييز ، طرقاً مشمرة في إزالة الكف العصبي ، إلا أنها قد تكون قليلة القيمة نسبياً إذا كان الهدف منها هو إنماء عادات إيجابية جديدة . وقد يلعب الثواب الأول والثانوي في صورة اهتمام المعالج وموافقته ، دوراً هاماً إن لم يكن ضرورياً في عملية العلاج . وبالنسبة لبعض الحالات المرضية كالفصام ، وكذلك الجنائحين الذين إما لا يستجيبون للمكافأة الاجتماعية أو يتوجسون خيفة منها ، فإن المعالج قد يعتمد أساساً على المكافأة ، أو الجزاء الأول في عملية العلاج . ومن هذا القبيل ما قام به بيترز وجينسكز Reters & Jenkins (١٩٥٤) مع بعض حالات الفصام . فقد أخذ الباحثان بمجموعة من حالات الفصام المزمن وكانا يحقنان هذه الحالات بكميات من الانسولين لإحداث حالة الجوع ، ثم يشجع المريض بعد ذلك على حل مجموعة من المشكلات وإعطائه قدرأ من الحلوى كنوع من الجزاء . وكان العمل المطلوب أساساً يتضمن حل مشكلات صغيرة أو اجتياز مهام بسيطة ، وقد استمرت التجربة مدة ثلاثة أشهر ، وخمسة أيام في الأسبوع وكان المريض يحصل على الطعام مباشرة عند إكمال حل المشكلة . وكانت المشكلات تتزايد في الصعوبة وتتضمن مشكلات التعلم عن طريق الاختيار المتعدد ومشكلات تفكير لفظي . وبعد عدة أسابيع من مثل هذه الأنشطة لحل المشكلات ، توقف إعطاء الانسولين واستخدم الجزاء

الاجتماعى - والذي كان إلى ذلك الحين له تأثير بالغ - في حل مشكلات العلاقات الإنسانية المتبادلة التي كان من المحتمل أن يواجهها المريض في أنشطته اليومية سواء داخل المستشفى أو خارجها .

وبمقارنته المجموعة التي خضعت للعلاج بالمجموعة الضابطة التي تتكون من أفراد لم يكونوا يأخذون الأنسولين ولا يحصلون على رعاية خاصة ، وجد أن المرضى في المجموعة التي كانت تحصل على مكافأة تحسنت بدرجة ملحوظة في علاقاتهم الاجتماعية داخل المستشفى ، بينما المرضى في المجموعات الضابطة فلم يكتشفوا عن مثل هذا التغير .

(هـ) العقاب Punishment

وإذا كانت تنمية العادات الإيجابية تتم عن طريق الثواب ، فإن التخلص من العادات غير المقبولة اجتماعيا ، والذي هو هدف علاج الشخصيات المضادة للمجتمع ، يشير مشكلة بالغة التعقيد .

إن استبعاد العادات غير المقبولة اجتماعيا يمكن أن يتم بطرق متعددة . فمن الممكن ألا يقدم لها أى جزاء أو مكافأة ، ومن ثم تنطفي بنفسها ومع ذلك فإن السلوك المضاد للمجتمع - وعلى الخصوص الأشكال المتطرفة منه - لا يمكن زكّه أو إغفاله على أساس الاعتقاد أن الإهمال أو عدم الاهتمام به ، سوف يؤدي إلى إنطفائه . يضاف إلى ذلك ، أنه طالما أن التنفيذ الناجع لمثل هذه الأفعال المضادة للمجتمع ، قد يؤدي إلى كسب مادي يحرزها الفرد أو إلى الموافقة والإعجاب من قبل أفراد الشلة أو الجماعة ، فمن غير المحتمل إذن أن ينطفي مثل هذا السلوك بسهولة .

ورغم أن العقاب قد يؤدي أحيانا إلى الاختفاء السريع للسلوك غير المقبول اجتماعيا ، فإن آثاره قد تكون بالغة التعقيد . فإذا عوقب شخص

على قيامه بعادة غير مقبولة اجتماعياً ، فإن الدافع للقيام بهذا العمل يصبح مشيراً للقلق . وهذا القلق يحرك الاستجابات المتصارعة ، والتي - إذا كانت قوية بدرجة كافية - تحول دون حدوث السلوك المضاد للمجتمع . ولكن الاستجابات المكتبة قد لا تفقد مع ذلك قوتها ، فقد تظهر في مواقف أخرى حيث يكون التهديد بالعقاب أفل أو أضعف .

وثمة عوامل أخرى عديدة تشير إلى عدم جدوى العقاب كوسيلة لتصحيح كثير من أخطاء السلوك المضاد للمجتمع . فالتهديد بالعقاب من المحتمل أن يثير لدى الفرد ، المسارية ، conformity ، فقد يعمل الفرد بلطف ، كل ما يطلب إليه عمله ، لا شيء إلا لتجنب المشكلات المباشرة . وليس معنى ذلك أنه اكتسب مجموعة من الوازعات التي تعمل في خدمته عندما يكون خارج موقف العلاج . الواقع أن هذه الأساليب بدلا من أن تؤدي إلى تنمية الضوابط الداخلية لدى الفرد ، فإن من المحتمل أن تزيد من اعتماده فقط على الضغوط الخارجية . يضاف إلى ذلك أن مثل هؤلاء الأشخاص سوف ينمون اتجاهات تنجلي في أن يفعلوا فقط كل ما يطلب إليهم فعله ، وأن يفعلوا كل ما يريدون فعله عندما يكونون بعيدين عن ملاحظة الآخرين لهم .

والعقاب قد يؤدي بالإضافة إلى ما سبق - إلى تقوية دوافع العدوان وغيره من الدوافع المضادة للآخرين . فقد يثير العقاب ويدفعه إلى إثبات السلوك الذي قصد من العقاب ، أن يضعه تحت الضبط والتحكم .

ولقد استخدمت بعض المثيرات المنفرة بدرجة معتدلة ، في علاج المرضى الذين يريدون رغبهم في التخلص من بعض العادات غير المقبولة اجتماعياً . فقد قام ليفرسدج وسلفستر (١) Liversedge & Sylvester بعلاج ناجح لسبع

(١) Liversedge, L. A. & Sylvester, J. D. Conditioning techniques in the treatment of writer's cramp. Lancet. 1955. 1. 1147-1149.

حالات من عقاب الكاتب writer's cramp وهو نوع من التشنج المؤلم في العضلات، وذلك باستخدام طريقة إعادة التدريب التي تتضمن صدمة كهربية. فمن أجل إزالة الأورام وهي أحد مكونات الاضطراب الحركي، فإن المريض كان يطلب إليه إدخال قلم أو مسبار معدني معين داخل لوحة مكونة من مجموعة من الثقوب المتدرجة في الصغر وفي كل مرة يمس فيها القلم جدران الثقب، كان الشخص يتلقى صدمة خفيفة أما إزالة مكون التشنج في الاضطراب، فقد أمكن الوصول إليه بطريقتين.

الأولى. أن يتبع المريض العديد من الخطوط المحفورة على لوحة معدنية بواسطة قلم خاص، وأي خروج على الطريق المرسوم على اللوحة المعدنية، من شأنه أن يحدث صدمة كهربية.

الثانية: أنه بعد أن يتدرب المريض على الجهاز السابق، يقوم بالكتابة بواسطة ريشة كهربية معينة تعطى صدمة إذا حدث ضغط متزايد عليها من السبابة أثناء عملية الكتابة على اللوحة.

ويقرر ليفر سدج وسيلفستر أنه بعد فترة من التدريب، كان في إمكان المرضى مزاولة أعمالهم، كما أوضح تتبع الحالات التي درست لعدة أشهر بعد ذلك، وجود تحسن ملحوظ لديها.

وهكذا تشير هذه الدراسات المختلفة إلى إمكانية تعديل السلوك الإنسان والشخصية عن طريق أساليب التعلم المختلفة.

ويمجدد بنا قبل أن نختتم حديثنا عن التعلم والشخصية أن نشير إلى الدراسة التي قام بها دولاورد وميلر، والتي انعكس وجهتا نظرهما في العلاقة بين نظريات التعلم والتحليل النفسي وتعد هذه الدراسة أكل دراسة للعلاج النفسي من وجهة نظر التعلم.

نظرية دولارد وميلر .

عرض دولارد وميلر نظريتهما في كتابهما ، الشخصية والعلاج النفسى ، (١٩٥٠) (١) . وقد أعطيا اهتماماً كبيراً لمفاهيم نظرية التحليل النفسى ، وقبلها الكثير من مبادئها . ونظراً إلى سيكولوجيات التعلم والتحليل النفسى على أساس أن كلا منهما يكمل الآخر . وقد أفادا من مفهوم الدافع ، وأكدوا الدور الذى يقوم به خفض الدافع فى عملية التعلم ، كما ضمنا مفهوم الدافع فى معالجتهمما للسلوك . فمبدأ اللذة عند فرويد يقابل مبدأ خفض الدافع عندهما . وإيماناً منهما بوجود أرضية مشتركة بين المجالين ، فقد حاولا إعادة صياغة مبادئ التحليل النفسى فى ضوء نظرية التعلم . ويبدو أن الدافع وراء هذه الجهود التى قاما بها ، كان هو الاعتقاد بأن فى إمكانهما إزالة الكثير من نواحي الغموض التى التصقت بنظرية التحليل النفسى . فإعادة الصياغة التى قاما بها لهذه النظرية لم يكن نابهاً لإذن عن رفض أفكار ومبادئ هذه المدرسة ، بقدر ما كان نتيجة تماطف قوى مع أفكارها .

وهناك أسس أربعة للتعلم تقوم عليها نظرية دولارد وميلر هى :

١ - الباعث : وهو أى منه يبلغ من القوة حداً يكفى لدفع الفرد إلى القيام بالنشاط ، أى أنه يثير السلوك ، ولكنه فى الوقت نفسه لا يوجهه . فالجوع قد يكون من القوة إلى درجة يحرك سلوك البحث عن الطعام والمهم فى نظرهما ليس هو مصدر الاستثارة بل شدة المثير . فكلما قويت شدة المثير كان الدافع أكبر .

ويشار إلى البواعث عمومًا باعتبارها أولية أو فطرية وترتبط عادة

(١) Dollard, J., & Miller, N. E. Personality and Psychotherapy. New York. Mc Graw-Hill 1950.

بالمعاملات النفسية وعلما بما يكون التخفيف من إلحاح هذه البواعث المنبهة ضرورياً لحياة الكائن الحي . ومن أمثلة البواعث الأولية الجوع والعطش والجنس . وخلال عملية النمو يكتسب الفرد السوي الكثير من البواعث الثانوية أو المكتسبة التي تؤدي إلى إثارة وتوجيه سلوكه . ويتم اكتساب تلك البواعث المتعلمة على أساس من البواعث الأولية ، وهي تمثل تطوراً لها ، وتعمل ستاراً تخفي وراءه وظائف البواعث الفطرية الكامنة (نظريات الشخصية ص ٥٥٢) .

٢ — الدليل Cue : والدليل هو الذي يقوم بتوجيه السلوك أو هو منبه يرشد استجابة الكائن ومثيرات الباعث تهيء الفرد للعمل ، أما الأدلة فتوجه أو تحدد طبيعة الاستجابة بالدقة ، فهي التي تحدد زمان ومكان وانجاء الاستجابة بالإضافة إلى نوعها فالأدلة هي التي تحدد إذن متى سوف يستجيب الفرد ، وأين يستجيب ، وأى الاستجابات سوف يصدرها وقد تختلف الأدلة من حيث النوع أو الشدة . فهناك أدلة بصرية وأخرى سمعية ، وهناك ومضات من الضوء خافتة وأخرى ناعمة البصر . وباختصار يمكن القول بأن الأدلة هي صفات المثير المميزة له ، فأى صفة تميز المثير قد تصلح كأساس للدليل .

٣ — الاستجابة : هي ما يتعلمه الفرد وما يمكن قياسه . والاستجابة من العوامل الهامة في التعلم ، ذلك أنه قبل أن ترتبط استجابة معينة بدليل معين ، يجب أن تحدث الإستجابة أولاً ومن هنا فإن إصدار الاستجابة المناسبة يعد مرحلة حاسمة في تعلم الكائن الحي وفي أى موقف معين سوف تكون هناك استجابات أكثر احتمالاً في ظهورها من غيرها . ويمكن تصنيف الاستجابات بالنسبة لإحتمال حدوثها عند ظهور الموقف لأول مرة . ويشار

إلى ذلك بالمدرج الهرمي المبدئي للاستجابات . فإن كان ظهور هذا التنظيم سابقا على أى تعلم فإنه يشار إليه بأنه مدرج هرمي فطري للاستجابات . أما بعد أن يؤثر التعلم على سلوك الفرد في هذا الموقف ، فإن الترتيب المستخرج يطلق عليه المدرج الهرمي الناتج . ويتوقف ميل الاستجابة في الظهور على مكان هذه الاستجابة في التنظيم المتدرج أو ما يسمى باسم القوة المسببة للعادة .

٤ - التدعيم : ويتحدد مصير الاستجابة التي تحدث ، بما يتبعها من تدعيم أو هدم تدعيم . فالوقائع التي تقوى من الرابطة بين استجابة معينة ودليل خاص من شأنها أن تدعم الاستجابة ، ومن المفروض بوجه عام أن التدعيم لا يحدث إلا حيث يكون هناك خفض مقبول للمثير يتم وقت حدوث الاستجابة . والتدعيم يرادف المكافأة reward . ويقول هول ولندزى : وإن وجهة النظر التي نبناها دولارد وميللر تفترض أن المكافأة لا يمكن أن تحدث إلا حين يكون المثير الباعث فعالا ، بالإضافة إلى أن هناك دائما تقييلا أو خفضا للمثير الباعث في عملية المكافأة . ويتضمن ذلك أنه ما لم تتدخل بعض العوامل الخارجية لزيادة قوة المثير الباعث فإن المكافآت مستحيلة . ويدعم ذلك حقيقة أن الفرد لا يكرر نفس الاستجابات المكافأة إلى ما لا نهاية (نظريات الشخصية ص ٥٥٧) .

وفي معالجتهم لعملية النمو ، تمسك دولارد وميللر أساسا بالمراحل التي افترض فرويد وجودها . وقد أكدوا في تفسيرهما لها المثيرات الشخصية والاستجابات المرتبطة بكل مرحلة . وعلى ذلك ، ففي مناقشتها للمرحلة الشرجية ، فقد تحدثا في ضوء عملية التدريب ، على الإخراج كوقف مشد يَطلب استجابات توافقية معينة من جانب الطفل . وقد أدركا أيضا أن مشهري هذا

الموقف تتضمن ليس فقط جنوس الطفر في المكان المخصص لذلك . بل وأيضا الاتجاهات التي ينقلها إليه الآباء في مثل هذا الموقف ولما كان الإخراج والتدريب على النظافة من بين المواقف الأولى في حياة الطفل والتي لا تعرف الثقافات المختلفة تهاونا بالنسبة لها ، لذا فهما يمتقدان أن هذا الموقف له أهمية بالغة وقصصنا هامة بالنسبة للنمو فيما بعد . ويوافق دولارد وميلر - داخل إطار نظريتهما العامة - على تأكيد مدرسة التحليل النفسي الأهمية الكبرى للسنوات الأولى من حياة الفرد . فهما يتفقان مع فرويد أن أنماط الاستجابة والاتجاهات الأساسية تتكون خلال هذه الفترة

ويرتبط بأنماط الاستجابة مفهومان لهما أهميتهما في نظرية دولارد وميلر أحدهما التنظيم المتدرج للاستجابة أو العادة وقد سبق الإشارة إليه والآخر مفهوم التعميم ، والتعميم يحدث عندما نستجيب لموقف ما على نحو ما استجبنا في موقف سابق مشابه له . ويتوقف مدى هذا التعميم على درجة التشابه بين المواقف . مثال ذلك تعميم الاتجاهات نحو الآباء على أشخاص آخرين يمثلون السلطة ، كالمدرسين .

ونعتبر السنوات الأولى من الحياة ذات أهمية كبيرة من وجهة نظر سيكولوجية التعلم ، ففي خلال هذه السنوات يضع الطفل التنظيم الهرمي للاستجابات لعديد من المواقف المثيرة ويرى دولارد وميلر مشكلة تعديل السلوك المنحرف باعتبارها مشكلة معالجة أو تداول التنظيم الهرمي للاستجابات وفي ضوء ذلك تكون مشكلة الفرد العصاة هي أن استجاباته العالية في هذا التنظيم الهرمي استجابات غير ملائمة أو غير مناسبة فالشخص الذي اعتاد أن يستجيب بطريقة انكسالية ويعتمد على الكبار من حوله ، عليه - إذا أراد أن يعدل عن سلوكه ، وأن ينمو نمواً سوياً ، أن يمر بخبرة ضعاف هذه

الاستجابات غير الملائمة وتقوية الاستجابات الأخرى المناسبة كذلك التي تدعم قدرته على تأكيد ذاته واستقلاله .

والعلاج النفسي عند دولارد وميللر - ينظر إليه في ضوء حاجة الأفراد إلى مراجعة وتعديل التنظيم الهرمي المتدرج للاستجابات . وقد استخدمنا المصطلح « معضلات التعلم » للإشارة إلى المواقف التي تتطلب هذا النوع من المراجعة . وليس من السهل إحداث مثل هذه التغييرات الهرمية حيث أن بعض أنماط الاستجابة غير الملائمة تؤكد نفسها من ناحية أنها تؤدي إلى خفض مستوى القلق عند الفرد .

والقلق عند دولارد وميللر - كما هو عند فرويد - حالة غير سارة يعمل الفرد على تجنبها . والقلق - إذا نظر إليه في ضوء نظرية المثبر والاستجابة - يعتبر دافعا مكتسبا أو قابلا للإكتساب . وخفض هذا الدافع يعتبر بمثابة حالة تدعيم ، كما أن الاستجابات المرتبطة بخفض الدافع سوف تميل إلى أن تصبح أقوى . وعلى مستوى الاستجابات الخفية أو اللاشعورية ، نظر دولارد وميللر إلى الميكانيزمات الدفاعية باعتبارها استجابات للقلق وأحد هذه الميكانيزمات وهي الكبت ، يمكن أن يوصف بأنه استبعاد الدوافع المثيرة للقلق من حصيلة التعبير اللغوي للفرد ، أو بعبارة فرويد استبعاد هذه الدوافع من الشعور ، أو تصبح لاشعورية ، أي غير قابلة لأن تترجم إلى ألفاظ وأفكار ، أي تنسى نسيانا تاما ما دام الكبت قائما . ولكنها مع ذلك تظل قابلة للاستثارة بطريقة من الطرق الرمزية ، إذا يمكن أن تتخذ الأشياء أو المواقف المختلفة قما رمزية أخرى غير الرموز اللغوية ، فتشير بذلك إلى الخيبرات المباشرة عن طريق التشابه أو التضاد أو الاقتران الميكاني

والزمان (١).

وأحد الجوانب الهامة في نظرية دولارد وميلر هو ما يتصل بالصراع .
والصراع - كما هو في التحليل النفسى - يوصف في ضوء قدرته على إثارة القلق
والبحوث التى قام بها دولارد وميلر وبراون وغيرهم ، قد انتهت إلى وجود
العديد من أشكال الصراع . فهناك صراع الإقدام - الإقدام وهو الذى يلشأ بين
دافعين لكل منهما جاذبية موجبة ، ويوجه كل منهما الفرد في نفس الوقت نحو
الاقتراب من هدف معين ، على نحو ما نجده مثلاً لدى الطفل الذى تدعوه أمه
لتناول طعامه في الوقت الذى يكون هو فيه مشغولاً بالعابه . فكل الأمرين
له جاذبية موجبة ويقرب الفرد من تحقيق هدف معين مرغوب فيه . وهناك
صراع الإقدام - الإحجام وهو الذى يلشأ بين دافعين يكون لأحدهما جاذبية
موجبة ويكون الآخر جاذبية سالبة . كالصراع الذى يلشأ لدى الفرد بين
رغبته في مشاهدة مباراة كرة قدم ، ولفحة البرد الشديدة التى قد يتعرض لها
في أرض الملعب .

أما الشكل الأخير فهو صراع - الإحجام - الإحجام وهو الذى يلشأ بين
دافعين لكل منهما جاذبية سالبة أى يوجه كل منهما الفرد في نفس الوقت
إلى الابتعاد عن هدف معين . وهذا النوع الأخير يثير مستويات عالية جداً
من القلق إذ يكون على الفرد أن يختار بين أمرين أحدهما مر ، كأن يكون على
الفرد أن يختار البقاء فوق سطح سفينة تغرق أو أن يقذف بنفسه بين أمواج
البحر في أشد أيام الشتاء برودة .

والنوع الأول من الصراع ليس صراعاً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، حيث

(١) د . د . محمد عماد الدين اسماعيل ، العنصرية والعلاج النفسى ، القاهرة مكتبة النهضة
المصرية ١٩٥٩ م ٢٠٣ .

أن كلا المهدفين يحقق رغبة الفرد وما أن ينتهي إلى اختيار أحد المهدفين حتى يحتفى الصراع . أما الصراع بالمعنى الحقيقي فهو الذى يظهر عندما يدخل الإحجام طرفاً من أطراف الصراع على نحو ما يتجلى فى الشكلين الثانى والثالث .

وأخيراً ، يرى الدكتور عماد الدين إسماعيل فى سياق حديثه عن نقد نظرية المثير والاستجابة ، أن هذه النظرية قدمت مثلاً يحتذى فى كيفية معالجة مشكلة تعديل السلوك بناء على الخبرة ، وكيفية تشكّل السلوك فى صور وأساليب مختلفة بحيث يصبح كل فرد من الأفراد متميزاً عن غيره ، وبحيث يتغير سلوك الفرد الواحد ويتعدل من وقت لآخر . تلك المشكلة التى هى بيت القصيد فى أى نظرية مفيدة فى الشخصية . وهى إلى جانب الدقة العلمية التى عالجت بها موضوع نمو الشخصية ، قد ساعدت بذلك على توحيد اللغة التى يمكن أن يتحدث بها الإنسان فى موضوعات علم النفس عموماً ، أيا كان مجال ذلك الحديث ، كما ساعدت على فتح باب البحث العلمى التجريبي فى ظواهر الشخصية على مصراعيه بعد أن كان ذلك الباب قاصراً على ظواهر السلوك الحيوانى وبعد أن كانت ظواهر الشخصية لا تخضع إلا للتأمل والتفكير الذاتى (١)

ومع اعترافنا بأهمية الدور الذى قامت به نظرية المثير والاستجابة ، إلا أنه لا يزال الوقت مبكراً من أجل الحكم على الدور الذى تقوم به هذه النظرية فى تفسير مشكلات الشخصية والعلاج النفسى . فنظرية المثير والاستجابة على نحو ما توجد عليه الآن لا تشتمل على كل - أو حتى على الكثير جداً - من الإجابات للمشكلات التى تثار فى دراسة الشخصية . فهى مثلاً لم تهتم ببناء الشخصية أو ما يكتسبه الأفراد من أساليب سلوكية ثابتة نسبياً بقدر ما اهتمت

(١) نفس المرجع السابق •

بيان القواعد أو الأسس التي يتم بناء لها هذا الإكتساب . أى أنها أفاضت في دراسة عملية التعلم، ولم تفعل كذلك بالنسبة لنتائج هذه العملية ، بل لجأت إلى نظرية التحليل النفسى لتجد فيها مصدراً لمادة غزيرة يمكن أن تعتمد عليها في هذه الناحية . ولذلك فإن البعض يرى أن نظرية المثير والاستجابة ليست سوى نظرية جزئية . حيث أنها تتناول عملية التعلم ولكن في عزلة في نتائجها وأن المكونات الثابتة نسبياً للشخصية تعد عنصراً جوهرياً في محاولة فهم السلوك الإنسان .

الفصل الثاني والعشرون

نظرية السمات عند جوردون البورت

(١٨٩٧ - ١٩٦٧)

من المميزات الهامة التي تتميز بها نظريات الشخصية ، ما تذهب إليه من تفسير وتؤكد ناحية الثبات في السلوك من حيث هو كذلك ويعتقد أصحاب نظريات السمات . أن الوظيفة الأساسية لعالم نفس الشخصية هي عزل ووصف صفات معينة تكمن وراء السلوك الظاهر للفرد وتحديددها ، وبذلك يعطون لسلوك الفرد ثباتاً وإتجاهاً متكاملاً . وهذه الصفات هي التي تعرف بالسمات . وهذه السمات قد تكون عامة جداً تؤثر في كل أو معظم سلوك الفرد ، وقد تكون خاصة أو بالغة الخصوصية تؤثر في مواقف معينة أو خاصة من سلوكه

وسوف نعرض نظرية جوردون البورت كنال واضح لنظريات السمات في الشخصية .

نظرية البورت في الشخصية :

الشخصية في نظر البورت هي ، الموضوع الطبيعي ، لعلم النفس . وأحد الأحداث البارزة في علم النفس المعاصر هو اكتشاف الشخصية وتوجيه الاهتمام لدراستها ، فدراسة الشخصية ووضع النظريات المناسبة لتفسير دينامياتها تعتبر بالنسبة للبورت إحدى المحاولات الهامة بالنسبة لعلم النفس الحديث .

وبعد البورت من كبار المشتغلين بدراسة الشخصية . وقد قدم في كتابه

المشهور « الشخصية » : تفسير سيكولوجى (١٩٣٧) عرضاً تاريخياً تمتعاً لكلمة « شخصية » ، يعتبر مرجعاً لمعظم المشتغلين فى هذا المجال وقد أرجع البورت مصدر كلمة شخصية إلى الأصل اليونانى « برسونا » . وقد أفاد من كتابات ششرون فى هذا الصدد حيث أشار إلى وجود معان أربعة لكلمة برسونا ، هى :

(أ) الشخص كما يبدو للآخرين وليس ما هو عليه فى الحقيقة . وهى بهذا المعنى تتصل بالقناع .

(ب) مجموع الصفات الشخصية التى تمثل ما يكون عليه الفرد حقيقة وهى بهذا المعنى تتصل بالمثل .

(ح) الدور الذى يقوم به الفرد فى الحياة ، سواء كان دوراً مهنياً أو اجتماعياً أو سياسياً .

(و) الصفات التى تشير إلى المسكاته والتقدير والأهمية الذاتية . وهى بهذا المعنى تشير إلى المركز الذى يحتله الفرد والذى يحقق به الفرد دوره فى الحياة .

ومن هذه المعانى الأربعة لششرون استخلص البورت خمسين تعريفاً لكلمة « شخصية » ، وقد أمكن تصنيفها فى مجالات متعددة :

(١) ما يتصل بالمصطلح وتاريخه القديم .

(ب) المعانى اللاهوتية . (ح) المعانى الفلسفية .

(و) المعانى الفقهية . (هـ) المعانى الاجتماعية .

(و) المظهر الخارجى . (ز) المعانى النفسية .

وقد قدم البورت تعريفه النفسى للشخصية على النحو التالى : الشخصية هى ذلك التنظيم الدينامى الذى يكمن بداخل الفرد ، والذى ينظم كل الأجهزة النفسية الجسمية التى تمل على الفرد وتظهره الخارجى فى الشكيفة ، مع بقية

(الشخصية تفسير سيكولوجى ١٩٣٧) . وقد أدخل على هذا التعريف تعديلاً طفيفاً فى كتابه الأخير عن الشخصية (نمط ونمو الشخصية ١٩٦١) بقوله : التى تبنى على الفرد طابعه الخاص فى التكيف مع السلوك والتفكير المميز (ص ٢٨) . وقد سبق لنا فى معالجتنا لتعريف الشخصية أن أوضحنا المعانى التى تتضمنها فقرات هذا التعريف .

وقد أخذ البورت — كغيره من الباحثين فى نظريات الشخصية — يوسع من مفاهيمه عن الشخصية الإنسانية . وعالج موضوع الشخصية أساساً فى أربعة من كتبه (١) هى : الشخصية : تفسير سيكولوجى (١٩٣٧) ، الصيرورة : اعتبارات أساسية فى سيكولوجية الشخصية (١٩٥٥) وقد ترجم إلى العربية بعنوان نمو الشخصية (ترجمة د جابر عبد الحميد ومحمد مصطفى الشمىنى) ، الشخصية والمحيط الاجتماعى (١٩٦٠) ونمط ونمو الشخصية (١٩٦١) . ولم تقتصر مؤلفات البورت على هذا المجال . فمؤلفاته متنوعة وعديدة منها دراسات فى الحركة التعبيرية (١٩٣٣ بالاشتراك مع ف . ا . فرنون) ، واستخدام الوثائق الشخصية فى العلم السيكولوجى (١٩٤٢) ، وسيكولوجية الإشاعة (١٩٤٧ بالاشتراك مع ل . بوستمان) وطبيعة التعصب . هذا وقد اشترك جوردون البورت مع أخيه فلويد البورت فى وضع اختبار السبطرة — الخنضوع (١٩٢٨) A-S Reaction Study كما اشترك مع فيرنون فى دراسة

-
- (1) Alport, G.W., Personality : A Psychological Interpretation. New York, Holt, Rinehart and Winston 1937.
—————, Becoming : Basic Considerations for a Psychology of Personality . New Haven, Conn. Yale Univer. Press 1955.
—————, Personality and Social Encounter, Boston, Beacon Press 1960.
—————, Pattern and Growth in Personality. New York., Holt, Rinehart and Winston 1961.

القيم (١٩٣١) والذي أعيد طبعه وتنقيحه عام ١٩٥١ بالاشتراك مع فرنون وج ليندزى) ،

ويعتبر كتابه الأخير في الشخصية (نمط ونمو الشخصية) ١٩٦١ بمثابة إعادة صياغة كاملة لأفكاره السابقة التي عرضها في كتبه الثلاثة الأخرى الخاصة بدراسة الشخصية . فتعريف الشخصية الذي وضعه البورت في كتابه الأول ١٩٢٧ ، لا يزال صالحا للإستعمال ومفيداً ، وإن أدخل عليه تعديلا طفيفا لحسب .

وسوف نعرض فيما يلي ، أهم المبادئ التي تقوم عليها نظرية البورت في الشخصية :

أولا . العمومية والفردية :

لعل أحد الجوانب الهامة التي برزت في كتابات البورت الأخيرة رغبته القوية في أن يتخذ موقفا وسطا بين أنصار العمومية وأنصار الفردية في الشخصية^(١) ومع ذلك ، فإنه أميل إلى النظرة الفردية للشخصية ولقد بدأ البورت كتابه الأخير « نمط ونمو الشخصية » بمقارنة عبارتين توضحان موقفه إلى حد كبير . العبارة الأولى تتمثل في قولنا : أية شخصية متمتع بها اليبهر ، والعبارة الثانية تتمثل في قولنا : أى شيء متمتع تكون الشخصية « . العبارة الأولى تستبعد أى فرد آخر غير الشخص المعنى بالذات ، ولا توجه الانتباه إلا إلى نمط سيكولوجى فريد يتميز به هذا الشخص كفرد . أما العبارة الثانية فإنها تتضمن شخصية أى فرد في هذا الوجود . إن العبارة الأولى تشير إلى شخصية فردة ، أى إلى شخص واحد بالذات ، بينما تشير الثانية إلى الشخصية بوجه عام ونحن إذا أردنا دراسة الشخصية في عموميتها ، وجب أن ننقل اهتمامنا من الخاص

(١) أنظر الفصل الأول من هذا الكتاب .

إلى العام ، من الشخص المحسوس إلى الشخص المجرد والعكس . وهذا الانتقال من الخاص إلى العام ، ومن العام إلى الخاص يفيد الباحث في الشخصية . فما نعرفه عن الفرد يساعدنا في معرفة الإنسان عامة . وما نعرفه عن الإنسان عامة ، يساعدنا على تفهم فرد معين بالذات .

ومع ذلك ، يحدد البورت موقفه من العمومية والفردية هذه صراحة بقوله : « وإذا كان هدفنا هو الكشف عن المبادئ العامة لنمو الشخصية وتنظيمها وتعبيراتها ، فإن الخاصية الجوهرية للإنسان هي فرديته . فهو مخلوق فريد لقوى الطبيعة . ومن المستحيل أن نجد شخصين متشابهين تمام التشابه أو أن يتكرر الفرد نفسه مرتين . تذكر دائماً في هذا الصدد بصمات الأصابع . فهي نموذج فريد في نوعه ولا يمكن أن توجد بصمتان متشابهتان . »

وموقف البورت في أنه لا يوجد شخصان لهما نفس مجموعة السمات ، يشبه موقف الفيلسوف الإغريقي القديم هرقليطس الذي قال : لك لا تنزل النهر الواحد مرتين ، فإن مياهها جديدة تجري دائماً من حوالك . فرغم أن شاطئ النهر وفاقه والمنطقة المحيطة به ، قد تكون متشابهة جداً في كل مرة ، إلا أن النهر في المرة الثانية يختلف عنه في المرة الأولى . وهذا ما عبر عنه هرقليطس بقوله إن مياهها جديدة تجري دائماً من حوالك . والأمثلة بالمثل بالنسبة للأفراد . فرغم ما قد يحيط بهم من أشياء متماثلة ، فإن كل فرد منهم يختلف عن الآخر اختلافاً كبيراً .

وقد استخدم البورت استخداماً واسعاً المصطلحين « الدراسة الفردية » *idiographic* والدراسة الجمعية *Nomothetic* . وقد استعار هذين المصطلحين من كتابات وندلياند Windleband الذي كان أول من استخدمهما سنة ١٩٠٤ ، وقد رحب البورت باستخدام المصطلح « الدراسة الفردية » أوليدويجرافى .

لوصف شخصية الإنسان . فهي تعنى : ذات الفرد ، أو دراسة الفرد ، بينما تعنى الدراسة الجمعية البحث عن القوانين العامة .

ويعتقد البورت بوجود تشابهات بين الشخصيات المختلفة . ولكنه يرد هذه التشابهات إلى أثر الثقافة ومراحل النمو المختلفة والظروف الجوية المحيطة وغير ذلك من العوامل . ورغم ذلك ، فإن هذه التشابهات هي مجرد نواحي تقريبية وليست بمثابة قانون عام للجنس البشرى . إن الفردية هي الأساس في نظره . وفردية كل كائن حي إنسانى هي حجر الزاوية فى الإطار النظرى للشخصية عند البورت .

وفى ضوء ذلك يلتفت البورت بشدة الدراسات ذات الطبيعة الجمعية الكلية ، وبخاصة التحليل العاملى الذى يحاول استخلاص خصائص معينة لشخصية الإنسان من نتائج هذه الدراسات العاملية . فالفرد فى اللحظة التى يصبح فيها رقماً أو عدداً داخل مصفوفة معاملات الارتباط ، لم يعد فرداً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة وضاعت معالم شخصيته . وقد وجه الكثير من النقد إلى أصحاب هذا الاتجاه العاملى الذين - فى نظره - لا يمكنهم أن يستخرجوا من مادتهم الإحصائية شيئاً أكثر مما هو موجود فى مصفوفة معاملات الارتباط .

ويذهب البورت أيضاً إلى القول بأن : جميع العلوم - بما فيها علم النفس - تميل إلى إغفال هذه الحقيقة الجوهرية وهي الفردية . ومع ذلك ، فنحن لا يمكننا إغفالها فى حياتنا اليومية . فالفردية هي العلامة المميزة للطبيعة الإنسانية . فنحن فى حياتنا اليومية نتعامل مع أناس كأفراد مستقلين متميزين . كما نعلم أنهم يولدون ويموتون فى أوقات محددة ، وأن كل فرد منهم خلال دورة حياته يكشف عن أنماط جسمية وعقلية خاصة . وعلى ضوء فرديته ووراثته الخاصة وبيئته ، لا يمكن أن يتشابه أثنان تمام التشابه ، بل يكون لكل منهم فردية مميزة (البورت ، نمط ونمو الشخصية ١٩٦١) .

هذا الموقف الصلب الذى اتخذته البورت ونظرته الإنسان باعتباره فرداً متميزاً عن غيره من الأفراد، وانجماه الواضح نحو ضرورة دراسة الفردية كأساس، قد بدأ يجذب إليه أنظار الكثيرين من علماء النفس في الوقت الحاضر بما زاد موقفه قوة مع مرور الزمن .

ثانياً : مبدأ الدافعية :

ومشكلات الدوافع من المشكلات الهامة في دراسة الشخصية ، بل إن البورت يذهب إلى أن ليس ثمة مشكلة في علم النفس هي أكثر تشابكاً وتعقيداً من مشكلة الدافعية . كما يذهب أيضاً إلى أن نظريات الدوافع — بما فيها نظريته — ناقصة . فجميع نظريات الدوافع تعجز عن أن تمدنا بتفسير كامل (الشخصية والمحيط الاجتماعى) (١٩٦٠) ، كما أكد هذا المعنى أيضاً في كتابه نمط ونمو الشخصية ١٩٦١ في قوله إن مشكلة الدافعية مشكلة رئيسية للدراسة السيكولوجية للشخصية .

ومن الواضح أن التغير الملحوظ في نمو الفرد من الطفولة إلى المراهقة والشباب يتبعه بالضرورة نمو في شخصيته ، كما يتضمن أيضاً تغيراً في دوافعه . فطفل الثانية كائن حي غير اجتماعي ، كثير المطالب ، لا يعرف تأجيلاً أو تأخيراً أو إعاقته لدوافعه وحاجاته . وكل ما يهمه هو إشباع حاجته إلى الطعام والراحة وإشباع دوافعه الجسمية وحاجته إلى النشاط والامتع . وهو لا يهمه راحة الآخرين أو أن يتوافق سلوكه وسلوكهم . فالنفس يجب أن يتخلى عن مطالبهم أجل إشباع مطالب الطفل ولو أن البالغ سلك مثل هذا السلوك الذى يسلكه طفل الثانية ، وما يتمركز به حول الذات ، لاعتبر سيكوباتياً . ذلك أن دوافع البالغ الناضج تتميز بأنها أكثر ضبطاً واتصالاً بالمجتمع ، وأنها أكثر تكاملاً كما يدخل في اعتباره نظرة الآخرين .

ورغم اختلاف دوافع الطفل ودوافع البالغ ، إلا أن عدداً كبيراً من النظريات الهامة في تفسير دوافع السلوك البشرى ، تذهب إلى القول بأن دوافع السلوك البشرى واحدة في أساسها من الولادة حتى الوفاة . فنفس الحوافز والحاجات والفرائز هي التي نسيرنا من المهد إلى اللحد .

وقد عرض البورت لنوعين من نظريات الدوافع : تلك التي تقول بوجود دوافع ثابتة غير متغيرة لدى جميع الأفراد ، وتلك التي تسمح بتقديم مبادئ إضافية تلحق الضوء على تنوع السلوك البشرى من الطفل إلى البالغ ، وتنوع دوافع السلوك عند الكبار . وقد عرض البورت هذه النظريات بشكل يسمح له بوضع الأسس أو المتطلبات التي يجب توافرها لإقامة نظرية دافعية سليمة لتفسير الشخصية . وفي ضوء هذه المتطلبات يقدم البورت نظريته .

وسوف نعرض باختصار لنظريات دوافع السلوك التي مهد بها البورت لنظريته

١ - اللذة والألم :

وقد ذهب الفلاسفة منذ وقت بعيد إلى محاولة الكشف عن بواعث السلوك وذهب بعضهم إلى القول بأن اللذة والألم هما السدان اللذان يتحكمان في سلوكنا على نحو ما يذهب جيمى بلتام . وقد وجد هذا القول تأييداً كبيراً منذ أيام الأفرقيق القدامى حتى اليوم . فالتناس جميعهم تحركهم اللذة . وقد عبر أبيقور عن هذا المذهب بقوله إن الهدف الأسمى للإنسان هو تجنب الألم . وقد سار بعض المحدثين من علماء النفس في اتجاه المدرسة الأبيقورية . فذهبوا إلى أن الهدف من السلوك هو خفض حدة التوتر أو تجنب الألم .

ويرى البورت أن مذهب البحث عن اللذة وتجنب الألم له جاذبية واضحة . فالطفل يبحث عن اللذة ويتجنب الألم . والبالغ كذلك . وكل إنسان يسعى

عن السعادة في الحياة . ولكن ثمة صعوبات تواجه الأخذ بفكرة السعادة هذه كدافع . ذلك أن الفرد لا يمكنه الإنجاء مباشرة نحو بلوغ السعادة أو اللذة . فهي ليست دافعاً محسوساً فهل السعادة هي في حصول الفرد على درجة عالية كبيرة ، أو على زوجة جميلة أو كسب حياته بنجاح . إنه سوف يكون سعيداً ، ولكن هذه الأعمال المحسوسة هي أهداف ملبوسة . والسعادة نتاج جانبي لآلوان أخرى من النشاط المهادف والفرد الذي يهدف إلى السعادة لا يهدف إلى شيء على الإطلاق .

ولكن رغم أوجه النقد هذه ، إلا أن هناك علاقة إيجابية معينة بين اللذة والدافع . حقيقة إن الشعور أو الإحساس السار يصحب عادة إشباع دافع الطعام أو الشراب أو النوم أو النشاط أو الإخراج أو النشاط الجلसी ، وحقيقة إن معظم سلوك الطفل يهدف إلى اللذة ، وكذلك بعض ألوان سلوك الشاب ، وحقيقة أن اللذة والألم هي بمثابة علامات الطبيعة وإشاراتها لنا ، بأن دوافعنا قد أشبعت أو أعيقت . ولكن مع تقدم النمو ، فإن علامات الطبيعة هذه تصبح أقل ثباتاً . فكثير مما قد يكون مصدر لذة للبالغ ، قد لا ينسق والمبادئ الأساسية في حياته .

٢ - نظريات الفرائز :

وقد لعبت نظريات الفرائز دوراً كبيراً في تفسير دوافع السلوك البشري . وكان تأثيرها كبيراً على كثير من الباحثين في هذا المجال . ومن السهل رد مظاهر السلوك إلى دوافع نظرية عامة توجد لدى جميع أفراد النوع . ومن ثم ظهرت العديد من نظريات الفرائز التي يمكن المصادرة على وجودها وفق سلوك الفرد . فالمرابي قد يفسر سلوك الطفل وحب الاستطلاع ، برده إلى غريزة حب الاستطلاع أو الحل والتركيب أو التدمير والهدم . وقد يخترع الكثير

من الغرائز حسب نوع السلوك الذى يقوم به الفرد . وقد أورد ل. برنارد
في كتابه « الغريزة : دراسة في علم النفس الاجتماعى » (١٩٢٤) ، ما يقرب من
١٤,٠٠٠ غريزة فى مجالى علم النفس والعلوم الإجتماعية .

ولكن مكدوجل يعتبر الممثل لنظرية الغرائز أو النظرية الغرضية فى
العصر الحديث . وقد بنى مكدوجل دراسته على ملاحظة سلوك الحيوان
والإنسان على حد سواء . وقال بوجود عدد محدود من الغرائز جعلها بمثابة
المحرك الدينامى للسلوك . وقد قال مكدوجل بوجود ١٤ غريزة (ثم أضاف
إليها بعد ذلك ٤ غرائز أخرى) وجعل لكل غريزة إنفعال خاص بها . وهذا
الإنفعال هو الجانب الثابت فى الغريزة والذى لا يقبل التعديل ، على الأقل من
حيث النوع . فغريزة الودية لإنفعالها الخنو ، وغريزة الهرب لإنفعالها الخوف
وغريزة المقاومة لإنفعالها الغضب والغريزة الجلوسية لإنفعالها الشهوة الجلوسية ..
وحين ترتبط الأشياء العادية بالغرائز وتتركز الإنفعالات حول موضوعات
معينة تتكون العاطفة . ومن انتظام هذه العواطف تتكون العاطفة السائدة
والشخصية . فنظرية الغرائز عند مكدوجل تقدم لنا فى نفس الوقت تفسيراً
للدافعية والشخصية .

ولقد عصف النقد بنظرية مكدوجل من كل جانب ، فالبعض يعتبر الغرائز
بمثابة قوالب جامدة ثابتة كذلك التى نلاحظها عند الحشرات والطيور والأسماك
كما اعترض البعض الآخر عليها على أساس أن النفس وحدة متكاملة وأن
نظرية الغرائز تقسمها إلى أقسام منعزلة . وكان الغرائز ملصقات مستقلة فى
النفس ، كل ملصكة منها تقوم بذاتها . وهذا التقسيم للنفس الإنسانية إلى ملكات
قد أصبح غير مقبول لدى علماء النفس اليوم . كما ينقد ما علماء النفس الأمريكان على
أساس أنها تجعل من السلوك الإنسانى نتيجة سلبية للشرايط التى تثير الغريزة ،

فهى تجعل من الإنسان أشبه بالآلة التى تسيرها هذه الوحدات المستقلة التى سميت بالفرائز .

وثمة نظرية أخرى تندرج تحت نظريات الفرائز ، وإن اختلفت عنها فى نظرتها وتفسيرها للشخصية وديناميات السلوك . وهى نظرية فرويد لقد قسم فرويد النفس إلى نواحيها الثلاثة : الهو والآما والآما الأعلى . وقد حظى الهو بنصيب وافر من الأهمية فى تفسير دوافع السلوك وبذهب فرويد إلى أن تركيب الهو ثابت لا يتغير . فالحو يتكون من النزعات الغريزية التى نولد مزودين بها ، يضاف إليها الخبرات المؤلفة المكبوتة . وقد قال فرويد بوجود غريزتين يمكن بواسطتهما تفسير كل ألوان السلوك البشرى والشخصية وهما غريزة الحياة أو الجنس وغريزة الموت أو العدوان . الأولى تفسر كل مظاهر البناء والتكوين والإنشاء ، والثانية تفسر كل مظاهر الهدم والتخريب والقتال .

والسؤال الذى يوجه إلى فرويد - كما يوجه إلى أصحاب النظريات السابقة هو أنه إذا كانت الفرائز ثابتة غير متغيرة ، فكيف يمكن تفسير الاختلافات الواضحة بين الطفل والراشد . لقد لجأ فرويد فى تفسير ذلك إلى عمليتي الإبدال والإعلاء ، وإن مصدر الغريزة وهدمها عند فرويد يظلان ثابتين طوال الحياة . ولكن يحدث أن يتباين الموضوع أو الوسيلة التى يحاول بها الشخص إشباع الحاجة تباينا ملحوساً خلال حياته . وسبب هذا التباين يكمن فى قابلية الطاقة النفسية للإزاحة . فمن الممكن صرفها - أى الطاقة - بطرق مختلفة . ونتيجة ذلك ، أنه عندما يتعذر الحصول على موضوع ما ، سواء كان ذلك لغيابه أو لوجود عوائق ، أدخل الشخص نفسه ، فإن الطاقة يمكن استثمارها فى

موضوع آخر . فإذا ما ثبت استحالة الوصول إلى هذا الموضوع هو الآخر ، فمن الممكن حدوث إزاحة أخرى وهكذا .

وبالإضافة إلى عملية الإزاحة أو الإبدال يذهب فرويد إلى القول بوجود عملية أخرى هي عملية الإعلاء ، حيث يبحث الفرد عن موضوعات جديدة أكثر تقبلاً من المجتمع تحل محل الموضوعات الفريزية الأولية . وعن طريق عمليتي الإبدال والإعلاء ذهب فرويد إلى تفسير الاختلافات الواضحة بين سلوك الطفل وسلوك الراشد .

ويذهب البورت إلى أن هذه النظريات السابقة جميعها تتفق في أن جميع دوافع السلوك البشري واحدة عند جميع الناس ، وأنها فطرية ، وأنها يمكن أن ترتبط بموضوعات متعددة . وباختصار فإنها جميعاً تتفق في أن دوافع السلوك الجذرية واحدة عند الجميع .

ويبدو هذا المنطق - في نظر البورت - غير سليم من ناحية تفسير الفروق النوعية الموجودة بين الطفل والبالغ ، مثل ظهور دوافع اجتماعية ، كدوافع تحمل المسئولية وغيرها ، وكذلك من ناحية تفسير التنوع في دوافع سلوك البالغين والتي تبدو فريدة في شخصية كل فرد .

وبالإضافة إلى نظريات الغرائز ، عرض البورت إلى نظريتين أخريين هما نظرية الحاجات ونظرية الخوافز . ونظرية الحاجات تفضل العمل بقائمة محددة من الدوافع الإنسانية الأساسية وهي على حذر في القول بفطرية الدوافع فليس المهم أن تكون هذه الحاجات غريزية بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، وإنما المهم أنها دوافع أساسية وعامة . وأصحاب هذه النظريات لا يهتمون أن تسمى باسم الحاجات أو الرغبات أو الدفعات الفطرية *erges* . وإن كان لفظ الحاجات هو أكثرها شيوعاً واستعمالاً .

وميزة هذا النوع من النظريات هو أن يتخلص من النقاش الذى يدور حول فطرية هذه الدوافع أو اكتسابها ، كما أنه يسمح للتعلم أن يقوم بدور ما ، كما أنه يسمح بدراسة دافع واحد أو مجموعة من الدوافع ، كما تسمح بنمو الحاجات إلى عواطف على نحو ما وجدنا عند مكدوجل ولكن رغم تنوع الموضوعات التى يرغب فيها الناس واختلافها من شخص إلى آخر ، إلا أن الأنواع الأساسية للرغبة في نظر هذا البعض ثانة لا تتغير . فالناس يرغبون في أشياء كثيرة مختلفة ، ولكن دوافع أو أسباب تفسير ذلك قليلة . فنظرية الحاجات - كمنظرية الفرائز - تبدو له أنها نظرية مجردة إلى حد بعيد ولا تفسر الدافعية الموجودة في الفرد .

والأمر بالمثل بالنسبة لنظرية الحوافز . فالحوافز موجودة في الفرد من الميلاد حتى الوفاة ، كما أنها تكمن وراء كل أنواع التعلم التى نكتسبها في حياتنا المبكرة . ورغم أن نظرية الحوافز تستدعي القول بنظرية التعلم ، إلا أن الحوافز ذاتها هى التى تعتبر بمثابة الطاقات الأساسية المحركة والدافعة للسلوك وبذلك يمكن النظر إلى هذا النوع من تفكير السلوكيين ، أعني نظرية المثير والاستجابة - تحت قائمة الدوافع الثابتة غير المتغيرة .

ولقد وجه البورت النقد إلى هذا النوع من النظريات السابقة على أساس أنها ليست من المرونة والتغير بحيث تسمح بتفسير التنوع الواسع في دوافع سلوك الكبار . والجدير بالإشارة ما ذهب البورت في نقده لنظريات الدافعية في علم النفس المعاصر ، من أن قدراً كبيراً منها يستخدم مصطلحات تبدأ بالبادئة re مثل reaction. regression. response. reward reinforcement . ومثل هذه المصطلحات تشير إلى أن معظم النظريات

السائدة في علم النفس المعاصر هي من النوع المستقبل الإستجابي ، وليس فيها ما يشير إلى وجود نشاط موجه نحو المستقبل فنادراً ما تظهر بين مصطلحات علم النفس . مصطلحات تبدأ بالبادئة " pro " ، فيما تطرق أسماعنا بكثرة مصطلحات النكوص والرجوع إلى الوراء " regression " ، فقلنا ما يقابلنا ما يشير إلى الانجاء نحو المستقبل أو إلى التقدم " progression " ، وبينما يكثر حديثنا عن الـ " reactive " فنادراً ما نسمع كلمة " proactive " . ولكن أم أوجه النقد التي وجهها البورت إلى هذه النظريات هو عجزها عن تفسير التحولات الواسعة والتنوع الكبير في دوافع السلوك خلال انتقال الفرد من الطفولة إلى الرشد ، وكذلك التنوع الكبير في سلوك الكبار أنفسهم .

غير أن بعض النظريات الحديثة تميل إلى القول بمبدأ إضافي دون الوقوف عند حد هذه النظريات التي تقول بدوافع ثابتة غير متغيرة . فهناك النظريات التي ترجع دوافع السلوك إلى الميل إلى الاستكشاف وتحقيق الذات واستقلال الذات .

فكثير من ألوان النشاط التي نقوم بها في حياتنا اليومية ، لا يتصل اتصالاً مباشراً بإشباع حوافزنا الأولية ، وإنما يتصل بأنشطة نهدف إلى استكشاف البيئة والتوافق معها . ولعب الطفل - الذي يستغرق عليه كل نشاطه - مثال طيب يوضح ما قصده . فحينئذ عندما تكون الحوافز الأولية قوية إلى حد ما ، فإن الطفل يستمر مع ذلك في اللعب ، ولا يكف عن اللعب إلا إذا بلغ به الجوع مثلاً مبلغاً ، يتوقف عنده نشاطه عن اللعب مؤقتاً من أجل إشباع حوافزه الملحة ، ثم يعود بعد ذلك إلى اللعب . والأمثلة بالمثل بالنسبة لناحية تحقيق الذات فقد ذهب جولدشتاين ، إلى القول بأن جميع دوافع السلوك البشري أيًا كان

نوعها تفارقك في تحقيق الذات فتحقيق الذات يعتبر في نظره هو الدوافع الوحيد لجميع الناس . وأهمية فكرة تحقيق الذات أنها تشير إلى الفردية النهائية للدافعية . فكل شخصية تختلف عن جميع الشخصيات الأخرى ، كما أنها تهدف إلى الاحتفاظ بتسكاملها وتحقق وجودها وهدفها بطريقة الخاصة . كما أن قيمتها ترجع إلى أن من الممكن أن نرى فيها ما هو أكثر من الضغوط والحوافز والحاجات ؛ فهي تتضمن فوق هذا كله مجالا أوسع من النمو المنحور من الصراع وتحقيق الذات . . وفكرة تحقيق الذات لا شك أنها تتجه نحو المستقبل ، على حين يتجه غيرها من الأفكار نحو الماضي أو نحو الحاضر المباشر .

أما بالنسبة للاستقلال الذاتي للآنا ، فقد ذهب فرويديون المحدثون إلى أن منطقة الشعور الذاتي في الشخصية ، ليست خاضعة تماما لدوافع الجو أو ضغوط البيئة . فهناك وظائف الآنا للتححرر من الصراع . فنحن نحيا حياتنا - على الأقل في ناحية منها - تبعاً لميولنا واهتماماتنا الشعورية وقيمنا وأفكارنا ومقاصدنا ؛ كما أن دوافعنا مستقلة على الأقل نسبياً عن الضغوط الصادرة من الحوافز وعن الغرائز والمواقف البيئية المحيطة . والقول بوجود وظائف للآنا للتححرر من الصراع ، تقلب فكرة فرويد رأساً على عقب . والتصریح بها معناه أن جزءاً كبيراً من حياتنا نعيشه ونحياها على أساس مجموعة من القيم والأهداف الناضجة والمقاصد ، وليس على أساس الدفاع الناتج من الصراع ضد القوى الغريزية القطرية الأولية .

ويذهب البورت إلى القول بأن عزو قوة دينامية إلى الوظائف العقلية يعتبر خطوة بالغة الأهمية إلى الأمام . فهي تعني أن الأهداف الإنسانية ليست محدودة أو قاصرة على قائمة محددة من الحوافز أو الغرائز الثابتة ، بل يمكن أن تتغير مع الزمن ومع تغير الظروف .

وقد تحدث هارتمان ، عن أجهزة ذات استقلال وظيفي ثانوى أى مهتقة وليست أولية . فع تسليمه بأن الأنا تخدم الدوافع الغريزية على نحو ما يذهب فرويد ، إلا أنه من خلال نمو نواحي نشاطها الوظيفي ونواحي اهتماماتها ، فإنها تبتعد عن مصادرها الغريزية . فما يكون يوماً ما وظيفة تقوم به الأنا ، أو ما يكون يوماً ما مدافعاً عن الذات ، قد يطرأ عليه بعد ذلك تغير في الوظيفة ، وبعبارة أخرى إن ما كان يوماً ما وسيلة لغاية ، قد يصبح بعد ذلك غاية في ذاته .

وفي ضوء نقده لهذه النظريات العديدة التى وضعت لتفسير دافع السلوك البشرى ، شرع البورت فى بناء نظريته الدافعية وقد بدأ بيان المتطلبات الرئيسية لأية نظرية صحيحة فى الدافعية وقد حدد البورت متطلبات أربعة هى :

١ - أن تعترف بالطبيعة الحاضرة الراهنة للدوافع . فكل ما يدفع السلوك ، إنما يدفعه الآن . ومن هنا ، فإن أية نظرية دافعية يجب أن تنظر إلى الحالة الراهنة للكائن الحى وليس للماضى أهمية ، إلا من حيث وجود نشاطه الدينامى فى الوقت الحاضر . أى أن الدوافع الماضية لا تفسر شيئاً ، ما لم تكن هى أيضاً دوافع قائمة فى الوقت الحاضر .

٢ - أن تكون من النوع الذى يسمح بالقول بوجود ودوافع من أنواع مختلفة متعددة فالنظريات التى تذهب إلى القول بنمط واحد كالحوافز أو البحث عن اللذة أو الرجوع إلى اللا شعور أو البحث عن القوة أو تحقيق الذات ، إنما هى تمس جانباً واحداً فقط من الحقيقة . وكل ما يمكن قوله بالنسبة للبورت ، هو أن دوافع الإنسان تتضمن كل ما يمكنه عمله (شعورياً ولا شعورياً ، منعكساً أو إرادياً) .

٣ - يجب أن تكون من النوع الذى يسمح بعزوفى دينامية للعمليات المعرفية - كالتفكير والقصد . فالنظريات القديمة التى فسرت الدوافع بالغرائز (مكندوجل) ، أو الطاقات الغريزية للهو (فرويد) ، أو الصراع من أجل الحياة (دارون) أو الإرادة العمياء (شوبنهاور) قد أضعفت من دور العقل وجعلت الوظائف العقلية المعرفية مجرد خدم لغيرها من الوظائف . ولكن ظهرت اتجاهات جديدة ردت إلى الوظائف المعرفية أهميتها . فنذ أكثر من ٤٠ سنة اقترح « جراهام ولاس » ، إضافة غريزة أخرى إلى غرائز مكندوجل سماها « غريزة التفكير » . كما أضافت مدرسة الجسست إلى العمليات المعرفية قوة دينامية . أما البورت فإنه لا يميل إلى الفصل فصلاً تاماً بين الدوافع المعرفية وتلك التى يطلق عليها نزوعية أو وجدانية . فالناس يحاولون القيام ببعض الأعمال التى تشارك فيها النزعات والأفكار وتعاون معها فى آرائها . وبدلاً من النظر إلى العلاقة بينهما كالعلاقة بين سيد ومسود ، فإن الرغبة والعقل يمتزجان معاً فى دافع واحد يسميه البورت باسم « القصد » .

٤ - يجب أن تسمح بالقول بوحدة عيانية محسوسة للدوافع . فكما نقبل الدوافع فى صورتها المجردة النظرية على نحو ما تتضح فى النظريات المختلفة للدوافع ، يجب أن نقبل أيضاً وجود الدوافع المحسوسة ، وننظر إليها فى صورتها العيانية . وقد أشار البورت إلى ذلك فى تمييزه بين الدوافع العيانية والدوافع المجردة ببعض الأمثلة منها قولنا إن مارى لديها رغبة ملحة فى أن تصبح مربية محترفة (صورة عيانية للدافع) ، وقولنا أنها تقوم بعملية تفريغ لرغبة جنسية مكبوتة (صورة مجردة حسب تفسير فرويد) ، أو قولنا إن إن فلانا يرغب فى أن يكون رئيساً للنادى (صورة عيانية للدافع) وقولنا إن الرغبة فى السيطرة هى الدافع لديه (صورة مجردة) .

ثالثا - مبدأ الاستقلال الوظيفي : Functional Autonomy

ولا يمكن أن نعرض للدافعية عند البورت دون أن نوجه اهتماما خاصا لقانونه الذي وضعه والذي عرف باسم « الاستقلال الوظيفي » . وقد حظى هذا المبدأ باهتمام كثير من الباحثين . وقد انتقده الكثيرون ، كما كان موضع مناقشة وبحث المشتغلين بدراسة الشخصية . ومن هنا أصبح مرتبطا باسم البورت كباحث نظري في الشخصية .

ويذهب البورت إلى « أن قانونه هذا يسمح بالقول بالوحدة العيانية المحسوسة للدوافع ، كما يسمح أيضا بالقول بالمعايير أو المتطلبات الأخرى التي يجب أن تتوافر في أية نظرية سليمة للدوافع ، كما أنه يفيد من ناحية أخرى هي التخلص من المشكلات التي تثيرها النظريات الجامدة والمجردة والتي توجه نظرها دائما إلى الماضي . هذا بالإضافة إلى أنه يتوافر له الصفة العيانية التلقائية المتغيرة والنظرة إلى المستقبل والاهتمام بالقصد على نحو ما يتضح في كثير من دوافع الكبار ،

وتصور البورت لقانون الاستقلال الوظيفي يمكن توضيحه بقولنا إنه صورة مختصرة تمثل « السير » ، الراحن للبيول والزهات التي تبعث السلوك وتدعمه . والاستقلال الوظيفي على نحو ما يعرف عادة هو نزعة قوية لنمو نظام دافعي ما ، يصبح مستقلا لدرجة بعيدة عن الجافز الأول الذي أحدثه في البداية . وعلى ذلك ، فنشاط ما قد يصبح غاية أو هدفا في ذاته ، يعد أن كان وسيلة لغاية فالإنسان الآن يقوم بالنشاط حبا في النشاط ذاته وليس كوسيلة لغاية فالصلة التي تربط النشاط الحالي ببواعثه القديمة ليست أكثر من الصلة التي تربط الشجرة الكبيرة بالبذرة . حقيقة إن حياة الشجرة متصلة بحياة البذرة ، ولكن البذرة لم تعد تغذى أو تدعم الشجرة النامية التي اكتمل نموها الآن

وقد حدد البورت الصفات التي ينظر بها قانون الاستقلال الوظيفي إلى
دوافع الكبار فهي :

(١) دوافع متغيرة (ب) تؤكد ذاتها بذاتها .

(ح) نظم راحة قائمة .

(د) تنمو وتتصدر عن نظم سابقة ولكنها تصبح الآن مستقلة
وظيفية عنها .

إنها تشبه تماماً ذلك الطفل الصغير الذي ينمو تدريجياً معتمداً على
والديه ، ولكنه يصبح بالتدريج مستقلاً وظيفياً عنهما ومعدداً لذاته .
فمع نمو الفرد ونضجه تنقسم الرابطة مع الماضي إنها رابطة تاريخية ولكنها
ليست رابطة وظيفية .

ولقد قدم البورت العديد من الأمثلة لتوضيح فكرته : البحار الذي يحن
إلى البحر بعد أن يكون قد هجره من وقت طويل ، والموسيقى الذي يحن إلى
آلته الموسيقية بعد انقطاع عن العزف عليها لفترة طويلة . إن البحار ربما
قد يكون بدأ صلته بالبحر من أجل كسب العيش ، وكان البحر في هذه الحالة
بمناطة التدعيم الثانوى لحافز الجوع ، ولكنه ربما أصبح الآن من الأغنياء
الذين ليسوا في حاجة إلى العمل لكسب العيش . ومع ذلك ، نجد به حنيناً
واضحاً للبحر ، فالمدافع الرئيسى قد زال وانتهى . ومع ذلك لا يزال هناك
الحنين المتزايد إلى البحر . وبعبارة أخرى كما يقول البورت إن المدافع الذي
كان وسيلة لغاية أصبح الآن غاية في ذاته .

وبالمثل ، قد تحمل بعض الأمهات عن غير رغبة منهن ويردن التخلص
من حملهن . ولكنهن يبقين على أجنهن إما خوفاً على أنفسهن أو خشية
ما يتفوه الناس عنهن أو نتيجة الخضوع لتأثير فكرة طارئة أن هذا الطفل
ربما يكون في حياته خيراً وأمناً لمن عندما يتقدم بهن العمر . وقد ترجع

كفة هذه الدوافع جميعها ويبقى على حياة اجنتهن . وبعد ولادة الطفل ونتيجة الخبرات السارة التي تمر بين الأم وطفلها تتسكون عند الأم عاطفة حب الطفل وقد تقوى هذه العاطفة إلى درجة كبيرة نتيجة تراكم الخبرات السارة التي تمر بينهما مع تقدم الحياة بهما . إن الدوافع القديمة سرعان ما تختفي وتزول من نفس الأم ولا يقوى إحدها على إحداث أثره بعد ذلك في نفس الأم .

وهذان المثالان وغيرهما قد يستطيع القارئ التفكير فيه ، يوضح أن ميل السكار الذي نصفه الآن ، قد بدأ في أول أمره كشيء آخر تماماً . وأنه في جميع الحالات ، نجد أن النشاط الذي أصبح فيما بعد غاية في ذاته أو دافئاً مستقلاً ، كان من قبل وسيلة لإشباع غاية (أى دافع سابق) . فما كان في يوم ما خارجياً ووسيلة لغاية ، قد أصبح اليوم ذاتياً وغاية في ذاته . والنشاط الذي خدم من قبل حافظاً أو حاجة أخرى ، يخدم اليوم ذاته أو بعبارة أخرى يخدم اليوم صورة الذات على نحو ما يكونها الفرد .

ويميز البورت بين مستويين اثنين من مستويات الاستقلال الوظيفي: (١) الاستقلال الوظيفي المداوم أو المستمر

Perseverative Functional Autonomy

والاستقلال الوظيفي الجوهري Proper Functional Autonomy أما النوع الأول المداوم فهو نظام مغلق أو شبه مغلق يستمر أولاً بقوته الذاتية دون تدعيم خارجي أو مع قليل من التدعيم الخارجي . وقد أوضح البورت هذا النوع ببعض التجارب التي تجري على الحيوان . وكذلك بالميكانيزمات الدائرية التي نلاحظها في سلوك الإنسان وبخاصة عند الطفل . وسوف نشير باختصار إلى كل منها .

(1) Southwell, Eugene Acaid Merbaum Michael (eds) Personality: Readings in Theory and Research. Belmont, California, Books/cole Publishing Company 2nd ed, 1971.

فن أمثلة التجارب التي تجري على الحيوان ، أن الفأر الذي يتعلم اجتياز
المشاة تحت دافع الجوع ، سوف يقوم أيضاً باجتيازها اجتيازاً صحيحاً وهو
في حالة شبع . وفي هذه الحالة لا يكون الدافع هو البحث عن الطعام ، بل
يبدو أنه من أجل التسلية غسب . فالعملية التي تبدأ تحت تأثير أحد الدوافع
يبدو أنها تستمر - على الأقل لفترة زمنية - تفدى نفسها . وهذه صورة
أولية من صور الاستقلال الذاتي .

أما بالنسبة للميكانيزمات الدائرية، فليس من شك أن كل فرد منا قد لاحظ
سلوك المدراة الذي يظهر في مرحلة ما من مراحل نمو الطفل ، والتي أشار
إليها بياجيه باسم "الحركات الدائرية" . فالأم التي تجلس إلى جوار ابنها تلتقط
مرات عديدة المعلقة التي يداوم الطفل على رميها إلى الأرض . ويحمد الطفل
لذة كيرة في القيام بمثل هذا السلوك . وقد يتعب الأب من مواصلة اللعب
مع الطفل قبل أن يسأم الطفل اللعب بوقت طويل ، فكل نشاط يبدو أنه
يحدث له نوع من التغذية الرجعية feedback . وبذلك يدعم استمرار الفعل
المنعكس الدائري . وعلى الرغم من أن هذا المثال يشير إلى نوع من الاستقلال
الوظيفي المؤقت ، إلا أنه له أهميته في بيان أن ثمة نوعاً من العملية العصبية
تدعم أعماطاً من النشاط دون ما حاجة إلى تنبه كل فعل وإرجاعه إلى حافز
أو دافع .

وثمة نواحي أخرى أشار إليها البورت لتوضيح هذا النوع من الاستقلال
الوظيفي المداوم كالأعمال المكتملة والأعمال الناقصة على نحو ما يتضح
في تجارب زيجمارنيك والتي أوضحت أن العمل الناقص الذي لم يتم ، يحدث
توتراً يدفع الفرد إلى مواصلة التفكير والعمل فيه إلى أن يتم . وتذكر الأعمال
التي لم يتم إنجازها يكون أكبر من تذكر الأعمال التي تم إنجازها . فهناك نوع
من الضغط لاستمرار العمل بالنسبة لأي عمل لم ينجز . فالدائرة - بالمفهوم
النفسي - لم تغلق بعد .

أما النوع الثاني من الاستقلال الوظيفي ، فهو ما أسماه البورت باسم « الاستقلال الوظيفي الجوهري » . وهو نظام مفتوح وعلى مستوى أعلى من المستوى الأول . فالنظام الأول وإن فسر عمليات بسيطة تجري عند الحيوان والإنسان ، إلا أنه لا يمكن أن يفسر لنا جميع دوافع الكبار ، ويمكن توضيح هذا النوع الثاني من الاستقلال الوظيفي ببعض الأمثلة التي نستمدّها من البورت :

١ - تحول القدرة أحياناً إلى ميل : « من المعروف أن الإنسان » يجب ، عمل ما يمكنه عمله جيداً (ومعامل الارتباط بين القدرة والميل مرتفع) . ولكن قد لا يكون السبب الرئيسي الآن في تعلم مهارة ما ، هو الميل على الإطلاق . مثال ذلك الطالب الذي يبدأ بدراسة مجال ما من مجالات الدراسة لأنه مفروض عليه أو مطلوب منه دراسته ، أو لأنه يرضى والديه ، ثم قد ينتهي به الأمر إلى الاستغراق كلية في دراسة هذا المجال ، ربما لأسباب أخرى لا تمت بصلة الآن إلى السبب الأصلي الذي من أجله بدأ هذه الدراسة . فالدافع الأول قد اختفى الآن كلية . وحل محله دافع آخر . وبعبارة أخرى ، إن ما كان وسيلة لغاية ، أصبح الآن غاية في ذاته .

٢ - الميول والقيم المكتسبة لها قوة اختيارية :

إن ما يدركه الفرد ويتذكره يتحدد إلى درجة كبيرة بتكويناته الجهرية . وحين ينمو ميل ما لدى الفرد ، فإنه يخلق لديه حالة من التوتر المستمر ويكون بمثابة عامل بارز لديه في اختيار وتوجيه كل ما يتصل بهذا الميل . فالشخص الذي لديه ميول واتجاهات جمالية سرعان ما يستجيب للسلوكيات المفهولة بالفن أكثر من استجابته للسلوكيات التي تتصل بموضوعات أخرى بعيدة كل البعد عن مجال الفن والجماليات .

والنوع الثاني من الاستقلال الوظيفي يعتبر في نظر البورت أكثر أهمية ؛ فيه تسير الشخصية تدريجياً نحو تحقيق مستويات أعلى من السلوك . وباختصار فإن فكرة الاستقلال الوظيفي تساعدنا في التعبير عن وحدة الدوافع التي تتميز بالتوافقات المميزة للفرد .

ومع ذلك فلم يدع البورت أن مبدأ الاستقلال الذاتي هو المبدأ الوحيد المصادق لتنمية الدوافع الإنسانية أو تفسير كل دوافع السلوك عند الإنسان . وإنما الشيء الذي أضافه البورت هو بيان أن شخصية الفرد ليست خاضعة كلية لحوافز نظرية أو خاضعة لتكوينات جامدة أو عقد مبكرة . فهو يختلف عن فرويد وأدلر في أنه لا يذهب إلى أن الخطوط الأساسية في الشخصية توضع بذورها في سن الثالثة أو الخامسة .

ومع ذلك فليست كل دوافع الفرد مستقلة وظيفياً . فقد أشار البورت إلى خمس عمليات ليست مستقلة وظيفياً هي :

١ - الحوافز البيولوجية : فالفرد منذ الولادة حتى الوفاة لا بد أن يخضع لمجموعة من الدوافع البيولوجية كالحاجة إلى النوم والهواء والطعام والإخراج .

٢ - الفعل المنعكس كرمشة العين وسحب الوكبة . ورغم أنها تشير إلى فردية في الوظيفة ، إلا أنها ليست مستقلة وظيفياً . إنها إستجابات آلية تقبل فقط التعديل البسيط في ظل ظروف استثارة خاصة ، ولكنها لا يمكن أن تصنف كدوافع .

٣ - الزاد الجليل أو التكويني للفرد : فبعض القدرات أو التكوينات يحسن النظر إليها على أنها ثابتة نسبياً وغير قابلة للتغير خلال مجرى حياة الفرد . ومن ذلك النوع ما عير عنه البورت باسم « المواد الخام » للشخصية ، والتي تتكون من الجسم والدكاء والمزاج .

٤ - العادات : ورغم أن العادة وهي في سبيل التكوين يمكن أن تناسب وفكرة الاستقلال الوظيفي المداوم ، إلا أنه يحسن ألا نعتبر العادة بوجه عام دافعاً مستقلاً وظيفياً . حقيقة إن كثيراً من العادات ليست دافعية إطلاقاً إنها أنظمة وسيلية تقوم بدورها في خدمة الدافع

٥ - التدعيم الأولي : جميع أنواع السلوك التي تحتاج إلى تدعيم أولى تخرج من نطاق فكرة الاستقلال الوظيفي . فإذا كان أحد العمال يعتمد على المدح أو الثواب من أجل الاحتفاظ بمستوياته العالية في العمل ، فلا يمكننا القول بأن العمل بالنسبة له دافع مكتسب . فالمستوى المرتفع في العمل متوقف إذن على عوامل خارجية ، وأن هذا السلوك يمكن أن يتوقف بعد تحقيق الهدف . فليس هناك إذن دافع داخلي مستقل ذاتياً .

٦ - الطفلية والتثيت : عندما يقوم شخص كبير بحل صراع طفلي أو صراع في مرحلة الشباب ، فإنه لا يمكننا أن نتحدث عن استقلال وظيفي . إنه يتتبع دافعاً لم يتغير أساساً من سنوات مبكرة

٧ - بعض حالات العصاب : إن الدوافع العصائية ليست دوافع مستقلة وظيفياً ، لأن الأفعال الراحنة للعصائي مشبعة أساساً باعتبارات ماضية . فبعض أصدقاء الماضى تملك وتسيطر على سلوك المريض . والعصائي يبدو عاجزاً عن التركيز بصورة مناسبة على الحاضر أو المستقبل .

٨ - الإعلاء : إن إعلاء الحافز الأولي أو التثيت المبكر ليس دافعاً مستقلاً وظيفياً في نظر البورت .

رابعا : مبدأ الأنا أو الذات :

يذهب البورت إلى أن البحث في النواحي الذاتية أو المشاعر المتصلة بذات

الفرد أو شخصه ، من الأمور العسيرة على الفهم لأسباب أهمها :

١ - أن لفظ الذات قد استخدم استخدمات كثيرة متعددة عند مختلف الباحثين . وقد استخدمه البعض مرادفاً للفظ . «الأناء» . وطالما أن التفرقة بين اللفظين ليست محددة وواضحة ، فإن البورت سوف يستخدمهما مترادفين بمعنى واحد .

٢ - أنه على الرغم من أن لدى كل منا معرفة قاطعة عن الذات ، إلا أننا لا نستطيع أن نكشف تماماً عما لدينا من معرفة عنها . إن بعض الأفكار أو الأفعال أكثر كشفاً للذات من بعضها الآخر . ومع ذلك فليس هناك خط فاصل محدد بينها ولذلك فمن المستحيل وضع حدود ندم تعريفنا للذات .

٣ - أن هذا الموضوع يفتح الباب أمام كثير من المشكلات الفلسفية العميقة التي تتصل بطبيعة الإنسان وطبيعة الروح ومشكلات الحرية والخلود الخ . . ولذلك فمن السهل علينا أن ندرك لماذا نحاول كثير من المناقشات السيكولوجية عن الشخصية تجنب الدخول في هذه المشكلة كلية .

ولكن رغم صعوبة هذه المشكلة ، إلا أن إغفالها غير مقبول لأسباب ثلاثة أيضاً :

١ - إن المعيار الوحيد الصادق لوجودنا الشخصي ووجدتنا ، يمكن في الواقع في إحساسنا بالذات . فترك هذا المحور الشخصي من الشخصية يعني أننا نستبعد جوهر المشكلة وندرس هوائها .

٢ - إن نظريات التعلم والدوافع والنمو لا يمكن أن تكون كافية أو صحيحة ما لم نميز بين ما يكشف عن الذات ، في الشخصية ، وما ليس كذلك .

٣ - أنه على الرغم من أن علم النفس لا يأمل في حل المشكلات الفلسفية

الكبرى ، إلا أنه مضطر مع ذلك لأن يقدم فكرة واقعية دقيقة عن المعنى المتطور للذات من أجل أن يساعد الفلسفة في عملها

ويذهب البورت إلى فكرة الذات ربما كانت موضع اهتمام وتوكيد الباحثين . ومع ذلك فكثير من الناس يقضون يومهم دون أن تكون لديهم أية معرفة على الإطلاق بذواتهم فالفرد قد يقضى سحابة يومه منهكاً في عمله وشئون حياته ، دون أن يتجه لحظة يتأمل فيها ذاته ، من هو ؟ ، ولماذا هو موجود ؟ ، وكيف وجد في هذه الحياة ؟ .

ويصرح البورت أنه رغم صعوبة وصف طبيعة الذات ، فإن مفهوم الذات مفهوم جوهري وأساسى في دراسة الشخصية ويمكن أن يرجع ذلك - من الناحية التاريخية - إلى التأثير القوى الذى تركه فرويد . ويعتقد البورت أن فرويد قد مات قبل أن يتم بصورة كاملة نظريته فى الأنا . ومفهوم الأنا عند البورت هو أن الأنا يوجد بداخلها عملية دينامية ذات قوة إيجابية كبيرة ، أكثر مما هو متمثل فى مفهوم الأنا عند فرويد والذى يتمثل فى صورة « رجل يقود حصاناً » . والأنا عند فرويد يتحكم فى الهو ويضبطها ، من حيث هى منفذة أو موجبة لاندفاعات الهو . أما الأنا أو الذات عند البورت فهى القوة الموحدة لجميع عادات وسماوات واتجاهات ومشاعر ونزعات الهو .

وقد عنى البورت بصفة خاصة بتتبع نمو الذات وتطورها ابتداء من الطفولة المبكرة إلى الرشد ، وجبت تصبح الذات هى مصدر وحدة الكائن الحى ولب الشخصية بأكملها . وقد قام بمعالجة هذه النواحي - على وجه الخصوص - فى كتابه « نمو الشخصية » (١٩٦١) . ولقد سبق لنا أن عرضنا باختصار المراحل نمو الذات عند البورت فى حديثنا عن نمو الشخصية (الفصل السادس) . ويمكن أن نشير هنا إلى المظاهر المختلفة التى تمر بها الذات على نحو ما أوضحها البورت

- المظهر الأول : الإحساس بالذات الجسمية
المظهر الثاني : الإحساس بهوية الذات
المظهر الثالث : تقدير الذات
المظهر الرابع : اتساع الذات وامتدادها
المظهر الخامس : صورة الذات
المظهر السادس : الذات المنطقية العاقلة
المظهر السابع : الجوهر المميز أو الذات المميزة .

وفي كتابه « الصيرورة : اعتبارات أساسية في سيكولوجية الشخصية (١٩٥٥) ، أشار البورت أيضاً إلى ما أسماه بالذات العارفة Knower ، غير أن معظم مناقشة البورت للأننا أو الذات تدور حول الجوهر المميز للفرد ، والجوهر المميز هو شيء أكثر من أسلوب الحياة . إنه يشير إلى أن الإنسان يريد أن يصبح شيئاً لذاته وليس مجرد أن يعيش وفق مبدأ « خفض التوتر » ، وقد عرّض البورت بمهارة فائقة وجهة نظره في « الجوهر المميز » ، في كتابه الصيرورة : اعتبارات أساسية في سيكولوجية الشخصية . والجوهر المميز يحوى كل المظاهر المجتمعة لشخصية فرد ما ، والتي تعتبر فريدة ومميزة له . فتجعل منه فرداً مختلفاً عن بقية الأفراد وتحقق له وحدة داخلية . فالجوهر المميز يشمل الإحساس الجسمى والتفكير المنطقي والكفاح الجوهري ومفاهيم صورة الذات وامتداد الذات وتقدير الذات ، وهذا الجوهر المميز لا ينمو بشكل آلي ، كما أنه لا ينمو سريعاً .

ولعل البورت يتفق في هذا الصدد ، ولو بصورة جزئية ، مع بونج في أن الإنسان لا ينمى الإحساس النامى الكامل بالذات أو الأننا حتى يبلغ سن الرشد ، فيكون قادراً على أن ينمى جميع الخصائص السابقة ، ويميز الجوهري

المميز للفرد ميدانياً خلال عمليات التعلم المختلفة التي يمر بها الفرد . فابتداءً من
من الطفولة المبكرة وما بعدها ينمى الإنسان جوهره المميز عن طريق
الإقتران الشرطي والتدعيم والماديات وغيرها من مظاهر التعلم الأخرى .
ومع ذلك ، فالفرد في مرحلة الرشد ، يحتاج إلى أن ينمى صورة ذاته ،
كما يكون لديه قدراً كبيراً من الاستبصار المعرفي بذاته . ويعتبر البورت
الراشد الناضج بأنه « امتداد حقيقي » لكل مفاهيم الذات التي اكتسبها وهو
في سبيل بلوغ مرحلة الرشد . والراشد الناضج يمكنه أن ينظر لنفسه نظرة
موضوعية على سرح الحياة .

خامساً : السمات والاستعدادات الخاصة :

وهذا المبدأ يمثل مرحلة هامة من النمو والتطور في تفكير البورت .
والموضوع الرئيسي لهذا المبدأ هو ذلك هو موضوع السمات . لقد استعرض
البورت العديد من الوحدات التي يمكن أن تتخذ كأساس في دراسة الشخصية
منها : القدرات العقلية والدوافع اللاشعورية والإنجازات الاجتماعية والميول
والقيم والمزاج والسمات وغيرها . وبعد دراسة مستفيضة في قيمة كل
منها من حيث هي وحدة للدراسة ، يبدو أن البورت قد استقر على
اتخاذ مفهوم السمة كوحدة للشخصية . فهي الأسلوب الوحيد الممكن
اتخاذها إذا أردنا مقارنة الناس . ومع ذلك فهو لم ينكر قيمة الميل
أو النزعة ، وقد نماها بعد ذلك كاستعدادات شخصية . ويرى البورت
أن المزاج يتخذ صفة وراثية قوية . كما يرفض استخدام الأنماط كوحدة
للدراسة باعتبار أن الأنماط يعزوها الآخرون ويحددونها . وفيها يفقد
الفرد خصائصه الفردية . فالنمط نظام تصنيف أكثر منه وحدة أساسية
للدراسة . وسيجف نفير باختصار إلى أم الوحدات التي استقر عليها
البورت .

السمات :

وبرجع اهتمام البورت بفكرة السمات كوحدة لدراسة الشخصية إلى سنوات بعيدة . فقد ألقى في مؤتمر دولي عقد عام ١٩٢٩ في بيل مقالته بعنوان ما هي سمة الشخصية ؟ نشرت ١٩٣١ . أى أن اهتمامه بهذا الموضوع يرجع إلى حوالي خمسين سنة . ولم يغير البورت موقفه خلال هذه الفترة سوى إضافة بعض التفصيلات التي تجعل الصورة أكثر وضوحا .

وقد سبق أن أشرنا في حديثنا عن السمات إلى المعايير الثمانية الآتية التي وضعها البورت لتحديد السمة هي :

- ١ - السمة لها أكثر من وجود أسمى (أى أنها عادات على مستوى أكثر تعقيدا) .
- ٢ - السمة أكثر عمومية من المادة (فمادتان أو أكثر تلتظمان وتنفقان معا في صورة سمة) .
- ٣ - السمة دينامية أو على الأقل تلعب دورا واقعيا محركا في كل سلوك يقوم به الفرد .
- ٤ - وجود السمة قد يتحدد تجرييا أو احصائيا (وهذا يتضح في الاستجابات المتكررة أو في المعالجة الإحصائية) .
- ٥ - السمات مستقلة نسبيا فقط كل منها عن الأخرى (وهي عادة ترتبط ارتباطا موجبا إلى درجة ما) .
- ٦ - سمة الشخصية إذا نظر إليها من الناحية السيكلوجية ، لا يكون لها دائما نفس الدلالة الخلقية . بمعنى أنها قد تتفق أو لا تتفق والمفهوم الاجتماعي المتعارف عليه .

٧ - الأفعال والعادات غير المتسقة وسمة ما ليست دليلاً على عدم وجود السمة (فقد تظهر سمات متناقضة لدى نفس الشخص كالنظافة والإهمال) .

٨ - السمة قد ينظر إليها في ضوء الشخصية التي تحتويها أو في ضوء توزيعها في المجموع العام من الناس . أى أن السمات قد تكون فردية وهذا ما أسماه البورت فيما بعد باسم : الاستعدادات الشخصية Personal Dispositions (P.D.) أو قد تكون سمات عامة مشتركة .

ويقدم يشوف الاعتبار الأساسية التي براها البورت ضرورية في السمة من حيث هي وحدة ذات معنى في دراسة الشخصية ، وهذه هي القائمة التي يقدمها يشوف .

١ - السمات لها قدرة على تحريك وكف أو اختيار السلوك الإنساني المناسب . فالسمة هي مجموعة دوافع وعادات .

٢ - السمات المتوافقة بعضها على بعض هي بمثابة العناصر الأساسية في السلوك .

٣ - السمات تساعد على تفسير الثبات الذي نجده في الشخصية . ورغم تقريره بتوافق السمات بعضها على بعض بدرجة كبيرة وأتساقها فيما بينها، إلا أن هذا التوافق والاتساق ليس تاماً .

٤ - السمات لا يمكن ملاحظتها بشكل مباشر ، وإنما يجب أن يستدل عليها . ومن حيث هي كذلك ، فإن من الصعب جداً تصنيفها .

٥ - السمة تبدأ بنظام عصبي نفسي .

٦ - هناك نوعان من السمات : فردية وعامة . والسمة الفردية هي السمة

الحقيقية . أما السمات العامة أو المشتركة فهي شبه حقيقية . إنها فحسب مقياس لعدد من السمات الفردية على نحو ما توجد لدى عدد من الأفراد .

٧ السمة - كما سبق القول - هي تركيب من عادتين أو أكثر . ومع ذلك ، فليس للعادات القدرة على السيطرة على السمات . إن السمات قد تدفع إلى خلق عادات جديدة . وهذه العادات الجديدة يجب أن تكون متسقة إذن مع السمة . والسمات قد تكون أسلوبية Stylistic ودينامية . والسمة الأسلوبية تكشف عن كيف يسلك الفرد ، بينما السمة الدينامية توضح ، لماذا يسلك الفرد على هذا النحو الذي يقوم به . فالسمة الأولى تشير إلى الأسلوب ، بينما السمة الثانية تشير إلى العوامل الدافعة .

٨ - السمات تحفز كما قد توجه ، فهي قد تدفع مثلاً قد تملى على الفرد الطريق الذي يسلكه .

٩ - السمات لها دلالة قوية على تزامن الأشياء أو حدوثها في آن واحد . فالسمات لا توجد مباشرة من الماضي .

١٠ - إن مشكلة تسمية السمات من الأمور الهامة التي أولاها البورت اهتماماً كبيراً . فقد قام هو وأودبرت (١٩٣١) بالبحث في القواميس وغيرها من الكتب وتوصلوا إلى ما يقرب من ١٧٩٥٣ إسماً للسمات .

وقد قدم البورت أربعة أقسام لأسماء السمات موزعة على وجه التقريب بين استعدادات حقيقية وأنشطة راهنة ومصطلحات تقييمية ومجازية وأسماء أخرى للسمات .

١١ - ورغم وجود مئات عديدة من السمات فقد وضع البورت تصنيفاً أولياً للسمات إلى: سمات رئيسية ومركزة وثانوية . وبعض الأفراد تبرز لديهم
٤٧ - سيكولوجية الشخصية

سمة رئيسية أو كبرى تسيطر على سلوكهم . وهم يصبحون بذلك نموذجاً نصف الآخرين بالإشارة إليه . والقليل جداً من الأفراد هم الذين تسيطر على سلوكهم سمة واحدة كبرى . أما الأغلبية العظمى من الناس فتسيطر على تشكيل شخصياتهم مجموعة بسيطة من السمات تعتبر بمثابة حجر الأساس الذي تقوم عليه شخصية الفرد . وإلى جانب ذلك ، فإن كل فرد يتمتع بسمات ثانوية أو صفوى تثيرها مجموعة من المثيرات المحدودة . وينتج عن إثارتها مجموعة محدودة من الاستجابات . والسمات الثانوية لا تكون واضحة للآخرين ، ويلزم أن نقوم بدراسة الفرد بعمق ودقة من أجل أن نعرف السمات الثانوية التي توجد لديه . ويميل البورت إلى أن يسمى هذه السمات الثانوية بالاتجاهات وليس بالسمات ،

١٢ - كل سمة موجودة قد لا يكون لها سمة معضادة . وباختصار لا يعتقد البورت في قطبية السلوك .

١٣ - تجمعات السمات تسمى أحياناً باسم الزملات Syndromes عند البورت .

١٤ - السمات التعبيرية والسمات الأسلوبية هما وحدتان من الوحدات التي نبحث عنها عادة في تقدير الشخصية في المواقف الإكلينيكية . ومثال السمات التعبيرية : الإنبساطية والمتابرة والسمات التي تدل على درجات من الميل الإجتماعي ، أما السمات السلوكية فهي التي تتركز حول أساليب السلوك كالآداب أو التردد وغيرها .

١٥ - السمات يمكن أن تصبح وحدات واقعية أولية . وهذه مقدمة للقول بمفهوم الاستقلال الوظيفي عنده .

هذا وقد سبق لنا مناقشة موضوع ما إذا كانت السمات حقيقية أم أنها خيالية

وأوضحنا أن البورت يميل إلى النظر إليها كوحدات حقيقية ، كما نأفشنا أيضاً فكرة السمات المشتركة والسمات الفردية وأوضحنا أن السمات المشتركة هي هذه المظاهر للشخصية التي يمكن في ضوءها أن نقارن الكثير من الناس في ثقافة معينة ، وهي في نظره شبه حقيقية . أما السمات الحقيقية فهي السمات الفردية والتي يميل إلى تسميتها باسم الاستعدادات الشخصية . وقد عرف الاستعداد الشخصي بقوله أنه بناء عصبي نفسي عام (خاص بالفرد) له القدرة على رد الكثير من المثيرات المتكاثرة وظيفياً . وأن يثير ويوجه الصور المتسقة للسلوك التكيفي والاسلوبي .

الفصل الثالث والعشرون

نظرية الذات عند كارل روجرز

الهدف من هذا الفصل هو عرض نظرية الذات عند كارل روجرز . ولكن الأمر يتطلب منا تقديم العديد من الأفكار التي تتصل بموضوع الذات وذلك لإلقاء المزيد من الضوء على هذا الموضوع . وقد أخذ هذا العرض مظهراً تاريخياً نقدم فيه أولاً الأفكار المختلفة التي قيلت عن الذات ، ثم تنتهي بعد ذلك إلى تقديم أفكار كارل روجرز نفسه .

النظريات القديمة للذات :

إن مصدر الكثير من الأفكار السائدة اليوم عن الذات قديم جداً . لقد كانت بعض هذه الأفكار واضحة في كتابات هو ميروس حيث ميز بين الجسم الإنساني المادى ، والوظيفة غير المادية التي ترجمت فيما بعد إلى العديد من اللغات تحت اسم النفس أو الروح أو Soul, Spirit, Psyché (١) .

وقد قدمت الفلسفة اليونانية القديمة تأملات ملحوظة عن طبيعة النفس Soul . وأورد أرسطو أسماء بعض معاصريه أو السابقين عليه عن عرض لهذا الموضوع وفي مناقشته للنفس النامية والحيوانية والعاقلة ، كانت فكرة النفس عند أرسطو تتفق إلى درجة كبيرة مع الأفكار الحديثة عن الوظائف المعنوية . فوظيفة النفس النامية هي النمو والتعامل ، والنفس الحيوانية تقوم بوظيفتها الخاصة — وهي الحس والحركة — مضافاً إليها وظيفة النفس النامية.

(1) Reeves, J. W. Body and Mind in Western Thought. Baltimore, Penguin Books 1958.

والنفس العاقلة تقوم بوظيفتها الخاصة - وهى التفكير والإختيار والتفيم - مضافاً إليها وظائف النفس الحيوانية والنامية . وفى كتابات أخرى ، لم يكن أرسطو واضحاً عما يعنيه بالضبط بالنفس . وربما كان سبب ذلك هو أنه كان يغير فكره من وقت لآخر ، وما يهنا هنا ، هو أن المفكرين الإغريق لم يكونوا على اتفاق فى رأى حول طبيعة النفس على نحو ما هو حادث بين المفكرين اليوم .

ومع دخول المسيحية تراجعت الأفكار المتصارعة حول طبيعة النفس أمام العقيدة الدينية التى تؤمن بأن الإنسان مكون من جزئين متميزين هما الجسم والروح . أما الجسم فينبه وبين الطبيعة المادية غير البشرية ، أشياء مشتركة فهو يمكن أن يسقط وأن ينكسر وأن يتحلل . أما النفس فلا تنطبق عليها مثل هذه الأمور المادية . ويمكن النظر إليها بأنها مركز الرغبة والتفكير والإختيار وهى جميعها أنشطة تميز الإنسان عن الحيوان ، وأن خصائصها تشتمل على كل ما هو لازم وضرورى لتحديد الشخصية الفردية ، وأن النفس تسكن الجسم ، ومن الممكن أن تنفصل عنه بالموت . وقد انتشرت هذه الفكرة بين المفكرين فى العصور المسيحية .

ورغم أن التمييز بين الجسم والنفس كان واضحاً وعماماً خلال العصور الوسطى فى أوروبا ، ورغم أن الفلاسفة قد كتبوا حوله ، إلا أنه لم يكن يمثل بالنسبة لهم مشكلة حقيقية . ولم تكن مشكلة العلاقة بينهما موضع بحث وجدال . حقيقة ، إن نفرأ قليلاً من المفكرين من أشار إلى وجود ارتباطات معينة ملفته للنظر بين بعض الظواهر والأحداث الجسمية التى تسبب المخ مثلاً ، أو التى تكون نتيجة الإدمان على المسكرات ، وبين ما يطرأ على النفس أو العقل من إضطرابات . ولكن مثل هذه الإشارات لم تكن ذات تأثير كبير على عادات تفكير الفلاسفة أو الرجل العادى .

وقد ظهرت مشكلة العلاقة بين الجسم والنفس بشكل واضح لأول مرة
عندما نشر الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت كتابه « مبادئ الفلسفة » سنة
١٦٤٤ . وقد صاغ ديكارت فكرته عن مبادئ المعرفة الإنسانية بوضوح
بالغ في الجزء الأول من كتابه ، وعبر عن فكرته في قوله : إذا أردنا أن
ندرس الحقيقة ، فن الضروري أن نشك - ولو مرة في حياة الفرد - في كل
الاشياء كلما كان ذلك ممكنا ، ولقد شك ديكارت في حقائق الاشياء المحيطة
به ، ولكنه الشك البناء المؤدى إلى اليقين . ذلك أنه مهما بلغ بنا الشك ،
ومهما شككنا في كل شيء ، فإن ثمة حقيقة واحدة تبقى بمنجاة من الشك
الأبدي « أنى أفكر » . وهذه الحقيقة ذاتها تؤدي بنا إلى إثبات وجودى
ككائن حى مفكر . ومن هنا جاءت عبارته المشهورة وهى « أنا أفكر ، إذن
أنا موجود ، تلك هى الحقيقة الأولى التى يصل إليها كل من يفكر بطريقة
سليمة منظمة . وهذه الحقيقة الأولى أدت إلى كشف طبيعة العقل أو النفس
(وهى أنه يفكر) وتميزه عن الجسم (الذى هو مادي) . وإذا شككنا في
وجود كل الأجسام ، ولم نشك في أننا نفكر ، فإنه ينتج عن ذلك أن العقل
والجسم يمكن أن يتمايز أحدهما عن الآخر بخصائص معينة فالعقل أو النفس
خاصيته التفكير ، أما الجسم لخاصيته الإمتداد (أى شغل حيز من الفراغ) .
والصلة بين النفس والجسم صلة تفاعل ميكانيكى يحدث في الغدة الصنوبرية في
قاع المخ . « وكان ديكارت يعتقد أن الكائن الحى - إنساناً أو حيواناً -
ما هو إلا آلة معقدة ينشطها الضوء والصوت وغيرهما من المنبهات التى يحمل
أثرها ما اسماء باسم « أرواح الحيوانات » ، إلى الغدة الصنوبرية ، ومنها إلى
المضلات في صورة دوافع تؤدي إلى حركة الجسم هذا بالنسبة للحيوان ،
أى أنه لا يحس ولا يشعر ، ولكنه يستجيب للمنبهات بطريقة آلية . أما عند
الإنسان ، فأرواح الحيوانات حين تنتقل إلى الغدة الصنوبرية ، فإنها تثير

المشاعر والإنفعالات والأفكار والصور الذهنية فالإنسان يختلف عن الحيوان بأن له عقلاً . وهذا العقل هو الذى يوجه هذه الآلة الانسانية ويجعل الانسان يتصرف تصرفاً معقولاً ، ورغم عدم دقة ديكارت فيما ذهب اليه وخاصة بالنسبة لفكرته عن الحيوان ، إلا أنه وضعنا أمام سؤال واضح ومحدد هو : كيف يمكن للمادة أن تحدث أثرها فيما هو غير مادي ، والعكس ؟ .

وقد أثارَت مشكلة علاقة التفاعل الميكانيكي بين العقل والجسم تفسير الفلاسفة بعد ديكارت . وليبيتر Leibnitz مثلاً قبل ثنائية ديكارت بين العقل والجسم ، ولكنه رأى أن حل مشكلة العلاقة بين العقل والجسم عن طريق التفاعل الميكانيكي أمر مستحيل ، رذهب إلى إفتراض وجود عامل آخر هو الله . فالجسم والعقل متمايزان كل التمايز ولا يمكن أن يحدث بينهما تفاعل . فهناك عالمان : عقلي (أو روحي) ، وجسمي (أو مادي) . ووحدة العالم العقلي هي العقول ، بينما وحدات العالم المادي هي الأجسام أو الأشياء .

وفي القرن التاسع عشر أصبحت المناقشات التي دارت حول الذات أكثر تفصيلاً وتمايزاً . وقد أصبح السؤال الملح أمام المفكرين جميعاً : ماهي الظواهر التي بدونها لا نعي أو نشعر بأنفسنا بأى معنى من المعاني ؟ بأن جيمس مل يقول إن تذكر الشخص بأنه قام بعمل ما وشعوره أنه هو نفس الشخص الذي أنجز هذا العمل ، هما طريقتان لتقرير هذه الحقيقة . ولا يمكن رد هذه الحقيقة إلى أشياء أخرى أبسط منها . والذاكرة هي ربط الحاضر بالماضي . وإذا اعتقدت أن فكرة ماراهنة تنتج عن إحساس سابق ، فإن ثمة اعتقاداً إذن أن هذا الإحساس هو إحساس ، وأنه حدث لي أنا نفسي . وهناك تنابع في المشاعر ينتج من أبسط ما يمكن أن نصل إليه الذاكرة ، إلى الإحساسات

الراية وجميعها ترتبط برابطة من المتعذر تفسيرها ، وهذه الرابطة هي التي تميزها من أية سلسلة أخرى يفرضها الفكر ، كما يميزها عن تتابعات المشاعر التي حدثت الآخرين من الناس . فتذكر الماضي بهذا المعنى هو الأساس لتعيين نفسى أرواني .

أما جون استيوارت مل ، فقد كان أكثر وضوحا من أبيه . فقد ذكر أن الرابطة التي لا يمكن تفسيرها والتي تربط الشعور الحاضر بالإحساس الماضي الذي يذكرني به الحاضر ، هي أقرب إلى أن تكون مفهوما إيجابيا للذات ، (١) .

وإلى هذا الحد تكون الأفكار المتصلة بالذات أو الأنا قد صدرت كلها تقريبا عن تأمل للغيرات الشعورية المباشرة ، والتي هي في الأغلب خبرات الباحث نفسه ، وكان المنهج السائد في علم النفس حتى ذلك الوقت هو منهج الاستبطان . غير أنه مع بداية ظهور المدرسة السلوكية في أمريكا ، بدأت المعارضة للتأمل الباطني باعتباره المنهج الوحيد في علم النفس . وقد بدأت هذه المعارضة واضحة عند وطنس وتلاميذه (١٩١٩) ، وإن كان البعض من أمثال الفيلسوف ث . س بيرس C. S. Pierce قد سبقهم إلى ذلك (١٨٦٨) ، إذ ذهب إلى أن ليس ثمة ما يدعو لإفراض قوة للإستيطان ، وأن الطريق الوحيد لبحث مشكلة سيكولوجية « إنما هو بالاستدلال من الوقائع الخارجية .

وقد كتب وليم جيمس فصلا مطولا عن الشعور بالذات في مجلديه « مبادئ علم النفس » (١٨٩٠) . وبالإضافة إلى الإفاضة في معالجة الموضوع ، تعتبر كتابات جيمس نقطة انتقال بين الطرق القديمة والحديثة

(1) Mill. J.S. An Examination of Sir William Hamilton's Philosophy. London-Longmans, Green 1865.

التفكير في المشكلة ، وفي معالجته للمشكلات السيكولوجية المتصلة بالذات ، فتح جيمس الطريق واسعاً أمام غيره من الباحثين الذين أتوا بعده . فالكثير مما يكتب اليوم عن الذات والأنا مستمد مباشرة من وليم جيمس . فالذات التجريبية *empirical self* في أوسع معانيها هي ، كل شيء يستطيع الإنسان أن يدعي أنه له - حسده وسماته وقدراته وممتلكاته المادية وأسرته وأصدقائه وأعداؤه ومهنته وهوياته الخ . ولقد صنف وليم جيمس مكونات الذات التجريبية إلى الذات الروحية والذات المادية والذات الاجتماعية والذات الجسمية ، ويقصد بالذات الروحية القوى أو الإستعدادات النفسية العينية وهي تتكون من ممتلكات الفرد النفسية ونزعائه وميوله . أما الذات المادية فتتكون من ممتلكاته المادية ، بينما تتكون ذاته الاجتماعية من نظرة زملائه والآخرين له . ولم يحاول جيمس أن يقول ما إذا كانت الذات المادية أو الاجتماعية إحداهما أكثر أهمية من الأخرى ، لأن كليهما تقع بين الذات الجسمية والذات الروحية . وللذات الاجتماعية متعددة بقدر ما هنالك من جماعات يهتم بمعرفة آراءهم فيه . وبعض هذه الذوات الاجتماعية تدخل في صراع مع بعضها الآخر . وأهم هذه الذوات الاجتماعية ، تلك التي ترتبط بالشخص الذي نحبه . فزوجة الفرد وأولاده يلتصقان إلى الذوات الاجتماعية فقط لكونهم كائنات إنسانية ، وإلا فإنهم يتسقون مع مظاهر الذوات الجسمية .

وقد قام عالم النفس الدنماركي هارولد هوفدنج *Harold Höffding* بدراسة الجوانب الثمانية لمعرفة الذات التجريبية بصورة أكثر دقة مما نجده عند وليم جيمس . فقد تساءل كيف نصل إلى التمييز بين ذواتنا والأشياء المحيطة بنا؟ إن من المستحيل قبل الولادة أن تباين بدرجة كافية مشاعر عدم الارتياح وإحساسات الحركة مع مشاعر وإحساسات المقاومة والتماس والمذاق لتكوين

بدايات الشعور بالعالم الخارجى ، مهما كان غموض هذا الشعور ، والانفصال عن الأم عند الولادة هو الذى يمد الطفل بالتباين الأكثر تعديداً بين القطب الذائق والموضوعى ، وذلك بسبب التباين الكبير بين مشاعر اللذة والألم والإحساسات العضوية المنقطعة والطاقة الكبيرة للإحساس بالحركة وما تزوده به الحواس الأخرى . ثم إن الطفل ليس سليماً . فهو منذ البداية يأخذ فى القبض على الأشياء فى العالم الخارجى بحركات إرادية ، وبذلك يمكن أن يحصل على أفضل معرفة عن الحدود بين العالم الخارجى ونفسه . ويبدأ الطفل يحس بما ليس ذاته ، كلما واجهت حركته مقاومة ما ، وبخاصة إذا كانت هذه المقاومة مصحوبة بالألم . فهو يحس بالألم مثلاً إذا اصطدمت يده بشيء صلب جامد ، فيميز بين ذاته وما ليس ذاته فى العالم الخارجى .

وفى البداية تكون حدود الذات والجسم واحدة وغير متميزة . ويبدأ الطفل يكشف جسمه بالتدرج عن طريق حواسه . ويوجه الطفل اهتماماً خاصاً إلى الأطراف وإلى الحركة ، لأن من الممكن رؤيتها وإدراكها . وهى - من حيث أنها تلقى مقاومة فى العالم الخارجى - يكون لها مظاهر مشتركة مع ما ليس ذاتاً ، ولكنها - من حيث كونها نسهم فى الحركة الإرادية للطفل فإنها تخص الذات أيضاً . وهذه الجوانب المختلفة لخبرة الجسم هى التى تكون فكرة الذات ك موضوع للتفكير والإحساس والإرادة ، كما تؤدي أيضاً إلى التمييز الرمزى بين الداخل والخارج .

وفكرة الذات أو أياً ليست مشتقة من الإدراك المباشر ، وإنما هى مستنبطة من الطبيعة العامة للشعور ، أى من النشاط التركيبى العام أو من الوحدة التى يفرضاها الشعور مقدماً . ولكن هذه الوحدة المستنبطة من وقائع الذاكرة ومن النشاط التركيبى العام هى وحدة شكلية تماماً formal أما الفردية Individuality فإنها تتكون من الوحدة الحقيقية الواقعية للشعور ، ذاتها الخاصة ،

المحاطة بالوحدة الشكلية . وبطبيعة الحال ، فإن هذه الإحاطة هي بحسب تعبير منطقي ، لأن الوحدة الشكلية للشعور تتوقف على الوحدة الحقيقية . ويفقد الشعور حتى وحدته الشكلية إذا كانت التباينات بين عناصره كبيرة على نحو ما يحدث في حالة المرض العقلي .

والآنا في نظر من سبق الإشارة إليهم من باحثين - تمثل جزءاً دقيقاً من الذات (عند جيمس) ، وهي الوحدة الشكلية للشعور (عند هوفدنج) . والآنا إذا قورنت بما تعنيه الذات عندهم . يكون لها أهمية قليلة جداً في نظرياتهم عن السلوك الإنساني .

ولكن أعمال سيجموند فرويد قد غيرت من هذا الاتجاه ، وركزت تركيزاً كبيراً جداً على الآنا وأغفلت تقريباً فكرة الذات ، وبهمنسا أن نلقي نظرة خاطفة على فكرة فرويد لنرى ما إذا كانت هناك اختلافات بين الآنا والذات . وإلى أي مدى تكون هذه الاختلافات .

لقد حاول «دولارد وميلر» في كتابهما الشخصية والعلاج النفسي (١٩٥٠) بيان التقارب بين نظرية التحليل النفسي وبين علم النفس التجريبي والتعلم . وكانت محاولتهما مثالا جيدا كشف عن تقارب كبير في كثير من النواحي في نظريات الدافعية عند فرويد وعند علماء النفس الأكاديميين . لقد أدت نظرية «دارون» إلى القول بوجود أصل مشترك بين الإنسان والأنواع الحيوانية الأقل مرتبة منه ، وإلى البحث ليس فقط عن تشابهات تشرحية بينهما ، بل وأيضا عن تشابهات وظيفية . وقد أدى ذلك إلى اعتقاد الكثيرين من علماء النفس في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين - مثل مكندوجل وغيره - إلى القول بأن الغرائز هي دوافع نشاط الإنسان والحيوان على حد سواء . وقد شارك فرويد غيره من المفكرين في القول بوجود الغريزة كحدد لسلوك الإنسان . وقد قال فرويد بوجود غريزتين هما غريزة الحياة أو الجنس

وعريضة الموت أو العدران . وفي ضوء نظريته هذه فسر فرويد سلوك الإنسان العادى منه والشاذ على حد سواء .

وكل سلوك تستثيره الغريزة يتطلب القيام ببعض ألوان النشاط التى تؤدى إلى قمع أو تخفيف حدته . وهذا من شأنه أن يدفع الكائن العضوى إلى تنمية أساليب فطرية أو متعلبة للتعامل مع الأشياء أو الموضوعات فى العالم الخارجى . وبالمثل قد تستثير بعض المنبهات الخارجية ذكريات غير سارة لدى الفرد . ولذا فإن الجهاز العصبى يكون بإزاء مشكلة مزدوجة بالنسبة للمثيرات الخارجية . عليه أن يميز الموضوعات والأشياء وأن يقوم بالإستجابات المناسبة تجاهها ، كما عليه أن يكبت مثيرات معينة مستتارة خارجياً ، وإلا فإنها تستثير لديه الذكريات غير السارة أو المؤلمة . وهذه الأجزاء من الجهاز العصبى التى تؤدى هذه الوظائف هى التى سماها فرويد باسم "الآنا" .

فالآنا عند فرويد هى الجهاز الإدارى للشخصية لأنه يسيطر على منافذ الفعل والسلوك ويختار من البيئة الجوانب التى يستجيب لها ، ويقرر الفرائز التى سوف تشبع والكيفية التى يتم بها هذا الإشباع . وعلى عكس الهوامندفع غير المنظم ، فإن الآنا المنسقة المنظمة تمثل كل ما هو سوى ومنطق فى الحياة العقلية للفرد

فالآنا يدرك ويفكر ويميز بين الأشياء المتخيلة والواقعية . وهو يتضمن الشعور ، ولو أن جزءاً هاماً منه لا شعورى ، وعن طريق النشاط الحركى وعن طريق السكبت والرقابة على الأحلام تحدد الآنا ما يسمح به لدخول الشعور ، فالآنا تختار الأشياء والمناسبات لإشباع الفرائز الجنسية . فهو يسمح ويكبت النشاط الحركى ويحدث التناسق من جميع عملياته الخاصة . وثمة نظام فرعى للآنا ، يصدر عنه نتيجة لعملية التوحيد ، وهو "الآنا المثل أو الآنا

الأعلى ، والذي يعتبر بمثابة الممثل الداخلي للقيم التقليدية للمجتمع ومثله العليا .
إنه مستودع المعايير المختلفة التي يفرسها الآباء والمربون ورجال الدين وغيرهم
من مصادر الساطة أو بعبارة أخرى - المعايير التي يفرسها المجتمع . ورغم
أن الأنا لا يمكنه أن يبلغ غالباً هذه المستويات التي يحكم بها عليه ، فإن الأنا
الأعلى تعتبر بمثابة الأساس لتقييم الذات وفقد الذات والشعور بالذنب .
وهدف التحليل النفسي بالإضافة إلى ما سبق هو تقوية الأنا وبخاصة قدرته على
تحديد الفعل الذي يخدم الإشباع الغريزي للموضوعات ، والمناسبات الملائمة
لهذا الإشباع . كما أن عملية التحليل تكون مستحيلة بدون تعاون الأنا .

والإختبارات السابقة جميعها والتي استخلصها فرويد نفسه ، فإن التحليل
النفسي هو أولاً وبصورة دائمة سيكولوجية الأنا . والأنا في لغة فرويد تشير
إلى نفس مجموعه المشكلات التي تندرج تحت الذات ، على نحو ما حددها جيمس
وهو فديج ويبرس وغيرهم .

وتكشف كتابات يونج عن اختلافات واضحة بينه وبين فرويد من
ناحية ، وأدلى من ناحية أخرى . ويتجلى هذا في فكرته عن السبب الكامن
وراء المرض النفسي ، وفي توكيده لفكرة اللا شعور الجمعي وكذلك في مفهومه
عن الذات والأنا .

أما أن السلوك الإنساني يتحدد بقوى لاشعورية فهذا ما يتفق فيه يونج
وفرويد وأدلى . بل قد اعتبر يونج تحليل الحلم عند فرويد كأعظم اكتشافاته
ولكن فرويد أنهى اكتشافاته للا شعور بوقوفه عند اللا شعور الشخصي . أما
يونيغ فقد ذهب إلى القول بوجود نوعين من اللا شعور : شخصي وغير شخصي
(جمعي) . أما اللا شعور الشخصي فهو منطقة مرتبطة بالأنا ، ويتكون من
خبرات كانت شعورية فيما مضى وكتبت أو قمت ونسيت : ومن خبرات وكأنت

بالغة الضعف في المقام الأول بحيث لا تترك انطباعاً شعورياً عند الشخص .
لكن هناك ما هو أكثر من ذلك - هناك اللا شعور الجمعي أو غير الشخصي
والذى يبدأ يكشف عن نفسه في مراحل متأخرة من التحليل بعد أن تكون
غالبية اللا شعور الشخصي للفرد قد أصبحت معروفة ، واللا شعور الجمعي هو
مخزن آثار الذكريات الكامنة التي ورثها الانسان في ماضى أسلافه الأقدمين
لأنه المتخلفات النفسية لنمو الإنسان المتطور ، والتي تراكت نتيجة الخبرات
المتكررة عبر الأجيال ، وهذا اللا شعور الجمعي يبدو أنه أمر مشاع ومشارك
بين البشر جميعاً .

وما يسميه يونج بالنفس يتضمن ليس فقط اللا شعور الشخصي والجمعي ،
بل وأيضاً الأنا الشعوري . وكلا من الأنا الشعوري والأجزاء اللا شعورية
للنفس تكون عادة نشطة مستقلة بعضها عن بعض . وتدخل أحياناً في صراع
ولكن العلاقة العادية بينهما هي علاقة تعويض متبادل . والأنا هو العقل
الشعوري . وهو يتكون من المدركات الشعورية والذكريات والأفكار والوجدانات
فالأنا مسئول عن شعور المرء بهويته واستمراره وهو من وجهة نظر الشخص
ذاته يعتبر في مركز الشخصية .

أما الذات فقد اعتبرها يونج في كتاباته الأولى معادلة للنفس أو الشخصية
الكلية . فالذات هي نقطة الوسط أو المركز في الشخصية تتجمع حولها جميع
النظم الأخرى . وهي تجمع هذه النظم معاً ، وتمد الشخصية بالوحدة والتوازن
والثبات .

ومن الضروري قبل أن تبرز الذات أن تحقق مختلف مكونات الشخصية
نموً كاملاً وتقديراً ، ولهذا السبب لا يصبح النمط الأولي للذات واضحاً قبل

أن يصل الشخص إلى منتصف العمر . وفي هذا الوقت يبدأ في القيام بمحاولات جادة لتغيير مركز الشخصية من الأنا الشعورى إلى مركز آخر في منتصف الطريق بين الشعور واللاشعور . وهذه المنطقة الوسطى هى منطقة الذات . ومفهوم الذات يحتمل أن يكون أكثر اكتشافات ونج السيكلوجية أهمية . وهو يمثل قبة دراساته المتعمقة للأنماط الأولية (أنظر نظريات الشخصية ص ١١٩)

ويتميز القرن العشرين بظهور حى النظريات والمذاهب في علم النفس . فدرسة الجشلت عارضت بشدة مذهب المدرسة التراكيية ، وهذه عارضت أهداف المدرسة الوظيفية . والسلوكيون عارضوا المدارس الأخرى فيما يتصل بمنهج الدراسة وموضوعات الدراسة ، وثمة مجموعة أخرى وجدت من المبررات والأسباب ما يدفعها إلى إقامة ما يسمى باسم « علم نفس الذات The Psychology of Selves » . وتعتبر « مارى هديتون كاليز » ، من أبرز هذه المجموعة ، ولها أفكار معينة عن الذات . فقد ذهبت إلى أن الوعى بالذات أمر مستمر ومتصل وأن الأشخاص الذين ينكرون استمراره - على نحو ما ذهبت بعض تأملات تشنر - قد أخطأوا فهم ما يبحثون عنه ، وبذلك خلطوا الشعور بالذات ببعض جوانبه أو صورته أو مراحلها . وقد وافقت على وجهة نظر أوستريش التى تقول إن « أنا » يمكن أن تدرك مباشرة كإشاعرة ومريدة ومدركة أو مفكرة . وقد أوردت تقاريراً تبين أن الذات يمكن أن تدرك بالاستبطان ، أى أن الأشخاص كانوا قادرين عادة على التمييز بين الموضوعى ، و « الذات » ، على أساس أن الموضوعى يفرض عليهم بشكل مستقل عن إرادتهم ، وأن التعرف يتصف بالشعور بالألفة الذى يتحدد باعتباره مرتبطاً بمشاعر الذات ..

ويبدو أن الاعتقاد الأساسي بالنسبة لسيكولوجية الذات ، هو أن كل خبرة هي خبرة شخص ما ، وأن الأفكار والمدرجات لا يمكن أن توجد مستقلة عن الشخص . وقد عرض ليرد Laird ورايم مكندوجل وشتين هذه الآراء . ولكن ما يؤخذ على أصحاب نظريات الذات الأول هو تمسكهم بمناهج قديمة (الاستبطان) وعدم تفهمهم بالمناهج الجديدة ونسيانهم كل ما تعلموه من وليم جيمس والمدرسة التجريبية الإنجليزية .

وعندما قامت ثورة السلوكيين ضد الاستبطان ، نجدهم يوجهون انتباههم فقط إلى المظاهر التي يمكن ملاحظتها وتداولها لدى الكائنات الحية وفي يديناهم أي إلى المثبرات والاستجابات ، وينسون كل ما هو د فكر ، عقلي . كالذات والقصد والرغبة والأمل والتوقع وكل ما يمكن للاستبطان أن يربطه بالشعور ، ولكن سرعان ما ظهر بين السلوكيين من أعاد تحديد معظم هذه المصطلحات وصياغتها في عبارات موضوعية . فقد أورد تولمان ، تعريفات موضوعية للقصد والتفكير والتوقع ، كما تحدث « هل ، عن الذكاء والقصد والعمليات الرمزية والاستبصار .

وفي نفس الوقت الذي حدث فيه ثورة السلوكيين في أمريكا ، قامت ثورة أخرى في أوروبا تمثلت في مدرسة الجشتالت فقد ثاروا على نظرية الترابطيين الذين فسروا الإدراك بأنه تجميع العناصر الحسية البسيطة وربطها بعضها إلى بعض وتكوين المدرك أما الجشتالت ، فقد اتخذوا النظرة السكلية أساساً لهم . فالشكل في نظرهم أسبق في وجوده من الأجزاء المكونة له ، وهذه الأجزاء تستمد وجودها وخصائصها من الكل الذي تنتمي إليه . وقد صاغوا في ذلك مجموعة من القوانين الهامة التي تساعد في عملية الإدراك كقانون الشكل والأرضية وقانون التضارب والتجاور والمصير المشترك إلى غير ذلك من قوانين العوامل الموضوعية في عملية الإدراك ، وعندما وسعوا من مجال اهتمامهم

لتشمل الشخصية والدافعية وعلم النفس الاجتماعي ، نجد أن علماء نفس الجشتمت أخذوا يدعمون مبادئهم الأصلية بنظرية إلى الحاجات والدوافع . ووسموا أفكارهم من المجال الإدراكي إلى المجال السلوكي . واستمد كفكا الكثير من أفكاره من الدافعية والمجال السلوكي ، من كتابات ليفين وتلاميذه . وقد أدخل كفكا الأنا باعتبارها مركز النظام المكاني للمجال السلوكي . طالما أن الأنا تقع دائماً بين ما هو أمام وخلف ، يمين وشمال ، فوق تحت . والأنا في نظره جزء منعزل عن المجال السكلي فهي توجد داخل البيئة السلوكية المحيطة بها والتي تتفاعل معها . وتنفصل الأنا عن المجال السكلي نتيجة للخبرات ذات الطبيعة المتنوعة أو غير المتجانسة .

وقد ذهب كفكا - متسقا في ذلك مع ليفين - إلى أن الأنا تنظم في مستويات أو طبقات . وفي داخل كل طبقة توجد تقسيمات فرعية تطابق الأفعال القصدية المتسقة العديدة . وفي الطبقات القريبة من السطح ، فإن الأفعال التي تظهر هي تلك التي تتطلبها الخبرات البيئية الوقية من السكان العضوي . وهذه تقابل عند ليفين « شبه الحاجات » ، quasi-needs . وبالإضافة إلى الأنا يعترف كفكا أيضاً بوجود ذات ، والذات هي لب أو نواة الأنا والذات تمثل الأفعال التي تطابق الحاجات الحقيقية . أما بالنسبة لتأثيرها على السلوك ، فإن الحاجات الحقيقية وشبه الحاجات ليست ثابتة في أي نظام متدرج ، وإنما يتغير تأثيرها النسبي مع مطالب الموقف . وفي البيئة الثابتة نسبياً ، فإن الفرد يعمل عادة استجابة للحاجة الحقيقية أعني يحاول عمل شيء يكون خاصاً به ، شيء ينتمي إلى الذات .

وهكذا قوت نظرية الجشتمت من صوت علماء نفس الذات ، الذي كان قد بدأ يخفت قليلاً ، فسيكولوجية الجشتمت عن طريق قولها : إن السلوك يتوقف على كل من الذات والبيئة ، حلت بذلك كل المشكلات الأولية لسيكولوجية

٤٨ - سيكولوجية الشخصية

الذات . فالذات تنمى إمكانياتها عن طريق التمثل من البيئة . وبذلك يتجمع أو يتركز العالم الكبير في الذات .
ومعرفة الذات قد تصدر عن نفس المصادر التي تصدر عنها معرفتنا بالأشياء الأخرى . ولكن فرص معرفة الذات تتضح في المواقف التي نكون فيها مشغولين ببعض ألوان الكفاح من أجل تحقيق أهداف الذات . وقد أكد جانب الكفاح من أجل تحقيق الأهداف ، علماء نفس الشخصية من أمثال البورت (١٩٣٧ ، ١٩٦١) ومورى (١٩٣٨) وميرفى (١٩٤٧) . ونظرة إلى نظرية جوردون البورت في نمو الذات والمراحل التي تمر بها ابتداء من الطفولة المبكرة حتى الرشد ، نجد أنه جعل على قمة هذه المراحل : الجوهر المميز للفرد ، والذي يتميز بالإتجاه والقصود ، مما يساعد على تحديد أهداف الفرد . وقد اختار البورت لهذه المرحلة الأخيرة المميزة لنمو الذات لاسم الذات الممتدة المميزة *Proprium* .

ومع ذلك ، فلا يزال الخلط قائماً بين الذات والانا . لقد أشار الكتاب القدامى إلى الأنا باعتبارها الشخص العارف ، وإلى الذات باعتبارها الموضوع الذى يفكر فيه العارف . ولكن كفكاً لم يقيم بمثل هذا التمييز ، بل جعل الذات لب الأنا ومركزه ، وأنها أقل امتداداً من الأنا وتتضمن دوافع أكثر أهمية . أما البورت فقد استخدم اللفظين مترادفين ولم يميز بينهما بشكل واضح . وقد حاول شايين (١) صياغة نظرية موحدة للأنا والذات . فالذات ليست موضوعاً للوعى مثل الجسد ، بل إنها محتوى الوعى . وليس لها وجود واقعى خارج هذا الوعى ، فهى ما نعييه عندما نستخدم اصطلاح الوعى بالذات . أما الأنا فهى بناء واقعى - معرفى يبنى حول الذات . ونستخدم دوافع وأفكار الأنا أغراض

(1) Chein, I. The awareness of self and the Structure of the Ego, Psychol. Rev. 1944, 51, 304-314.

الدفاع عن الذات وحفظها وتميزها ، فعندما تتعرض الذات لخطر ، تسارع
الأننا إلى نجاتها .

ورغم كل الاختلافات في الرأي حول معنى الذات والأننا ، فالجدير بالذكر
هنا هو أن الكثيرين من الباحثين قد أكدوا بطريقة أو بأخرى أن ما يقصدونه
بكلا المصطلحين هو إلى حد ما رثيق الصلة بالسلوك الغرضي أو السلوك الموجه
الذي تحركه الدوافع . وهذا يصدق بالتأكيد على ما قاله وليم جيمس (١٨٩٠)
وهوفنج (١٨٩١) وفرويد (١٩٤٠) والورت (١٩٤٣) وشاين (١٩٤٤) .
وقد ذهب البعض الآخر إلى أبعد من ذلك ، حيث ردوا كل السلوك الإنساني
المعادي إلى حافز واحد هو تحقيق الذات . ومن بين هؤلاء نذكر كارل روجرز ،
وإريك فروم ، اللذين أكدوا ما يمكن أن يحدث من مشكلات عندما تسيطر
البيئة دافع تحقيق الذات عند الفرد . فبما لروجرز — الذي سوف نشير
لنظريته في الذات بشيء من التوسع — فإن العلاج النفسي هو عبارة عن تزويد
الشخص المضطرب وإحاطته بجو اجتماعي يتمكن فيه أن يعبر عن مشاعره
ودوافعه ، وأن يصل إلى قبول هذه المشاعر وهذه الدوافع . وفي مثل هذه
البيئة تتمكن الذات من أن تنمو تلقائياً نحو مزيد من الصحة والقوة ، كما تصبح
أكثر كفاية وقدرة على تكوين علاقات أفضل مع الآخرين . أما إريك
فروم فقد ذهب إلى أن صحة الإنسان النفسية تتوقف على الحرية الكاملة
لتحقيق قدرته على العمل ، ولكن هذه الحرية ، حرية مشروطة . فما لم
يكن الفرد منتصباً إلى مكان ما وما لم يكن لحياته معنى وإتجاهاً ، فإنه سوف يكون
أشبه بذرة من التراب تذرهما الرياح . إنه سوف يشعر بتفاهته الفردية .
وقد لا يقدر على ربط نفسه بأي نظام يمكن أن يعطيه معنى واتجاهاً في حياته .
وسوف يملؤه الشك الذي يشل قدرته على العمل أعنى يشل قدرته على الحياة
وفي مثل هذه المواقف يكون الفرد أمام مواقف معينة : إما أن يرتبط بالعالم على
أساس تلقائية المحبة وإنتاجية العمل ، أو أن يختار جانب الخضوع للتسلطية

أو أن يسائر الجماعة بشكل آلى . وأحد هذا البديلات هو مصير معظم الناس في مثل هذه المجتمعات الراهنة، والتي هي مجتمعات مريضة ، ورغم أن المجتمع حرر أفراد من قيود التقاليد والطقوس والجهل وما إليه ، فإنه مع ذلك لم يحررهم من أجل المشاركة بأقصى إمكاناتهم في تحقيق قدراتهم الشخصية (١) .

ويعتبر أنصار علم الظاهريات (الفينومينولوجيا) من أكثر الباحثين إنتاجاً فيما يتصل بفكرة الذات . ولقد اتى مصطلحهم « مفهوم الذات » اهتماماً كبيراً لدى الباحثين . وهذا المصطلح أدخله فيكتور ريمى Raimy, V.C. (٢) (١٩٤٣) ، ثم استخدم على نطاق واسع عنه سنيج وكومز (٣) (١٩٤٩) اللذين كانا من أنصار مذهب الظاهريات . وقد ذهب سنيج وكومز إلى أن السلوك كله بدون استثناء يتوقف على الإطار المرجعى الشخصى للفرد الذى يقوم بالسلوك ، أعنى على مجاله الظاهرى الذى هو السكون على نحو ما يبدو له في لحظة معينة . فالمجال الظاهرى هو سبب السلوك . وإذا أمكننا الحصول على وصف للمجال الظاهرى ، أمكننا التنبؤ بالسلوك . والمجال الظاهرى يتغير بتغير الحاجات والأنشطة المتصلة بها . وتتوقف طبيعة هذا التغير على حالة المجال في أية لحظة . وبهذا المعنى ، فإن المجال ينظم نفسه بنفسه وبطريقة آلية .

والذات الظاهرية هي جزء خاص متميز من المجال الظاهرى وتشمل تلك الذات الظاهرية على كل أجزاء المجال الظاهرى الذى يخبره الفرد كجزء أو سمة مميزة لنفسه (سنيج وكومز ١٩٤٩ (ص ٥٨) . ومن هنا يبدو أن الهدف

(1) Fromm, E. *Escape From Freedom*. New York & Rinehart 1944.

(2) Raimy, V. C. *The Self-Concept as a factor in Counseling and Personality Organization*, Ph. D. Dissertation. Ohio State University: Columbus Ohio 1943.

(3) Snygg, D. & Combs, W. *Individual Behavior* New York, Harper 1949, .

الرئيسى للسلوك هو استمرار وتقوية الذات الظاهرية التى هى الإطار المرجعى الوحيد للفرد أو هى حقيقته الوحيدة .

وقد يبدو الوهلة الأولى أن الذات الظاهرية عند سليج وكومز هى نوع من مفهوم الذات ك موضوع ، إلا أن الفحص المدقق يكشف عن أنها موضوع وفاعل فى الوقت نفسه ، فهى فاعل لأنها جانب من المجال الظاهرى الذى يحدد السلوك كله . إلا أنها موضوع أيضاً لأنها تتكون من خبرات الذات فللذات عند سليج وكومز موضوع وعملية فى أن واحد (نظريات الشخصية ص ٦٠٢) .

وفى ١٩٦١ قامت روث ويلى Ruth Wylie بعرض نقدى لما كتب حول مفهوم الذات ، كما ساهمت أيضاً ببعض أفكارها الخاصة حول الموضوع . وترى ويلى أن الظواهريين هم الذين يؤكدون . . دور مفهوم الذات الشعورى فى تحديد سلوك الفرد . وقد افترض الباحثون النظريون - سواء بصورة صريحة أو ضمنية - أن مفهوم الذات ليس واقعياً كلية ، وأن هذا الافتقار إلى الواقعية له دلالة نفسية دينامية ونتائج سلوكية هامة . وقد ميزت ويلى بين الجوانب الظواهرية لمفهوم الذات والتى تقع فى موضع ما على متسلسلة من الوضوح الشعورى ، والجوانب غير الظواهرية والتى يسكون الفرد - أو من المفروض أن يكون - على غير وعى أو شعور بها . ونذهب ويلى إلى أن أحداً من واضعى النظريات أو المذاهب لم يبحث مشكلة إلى أى حد يمكن لأى باحث أن يكون ظواهرياً بدرجة ثابتة وواضحة . . .

وبعد أن حللت ويلى الدراسات العديدة فى ضوء صدق وثبات أدوات القياس ، وبعد أن بحثت ملائمة تصميمات البحث ضد التحرز من الوقوع فى الخطأ ، انتهت إلى أن القيمة المرتقبة من كل هذه الأعمال ضئيلة إذا قيسَت بالجهد الذى

يبدل من أجل الوصول إليها ؛ ومرجع ذلك في نظرها هو في جزء منه ، إلى مواطن الضعف العلمية لكل نظريات الشخصية التي تؤكد المكونات المتصلة بالذات . وهذه المكونات اتسعت لتشمل الكثير من العمليات المعرفية والدافعية التي أمكن استنتاجها والتي أصبحت فائدتها للأغراض التحليلية والتنبؤية قليلة . وهذا يدعو إما إلى إغفال هذه المكونات والفروض باعتبارها جديداً علمياً أو تحسينها بالاهتمام بمكونات جزئية أكثر . فتحقيق الذات وتمايز الذات وثبات الذات لم تؤد إلى إلقاء الضوء على المشكلة ؛ ولكن تقبل الذات وتقدير الذات وبخاصة حين تشير إلى صفات نوعية أو خاصة ، يمكن أن تؤدي إلى بحوث مثمرة يمكن معالجتها (١) .

وقد يكشف هذا الغرض الموجز للأنا والذات عند من تقدم الإشارة إليهم - وغيرهم كثير - إلى صعوبة مثل هذه المباحث المتصلة بالذات وقربها إلى مجال الفلسفة منها إلى مجال العلم ، وإلى أنه لا يوجد إتساق كبير في الطريقة التي يستعمل بها مختلف الكتاب هذين المصطلحين . وهذا ينقلنا إلى دراسة نظرية من النظريات الواسعة الإثارة والتي تدور حول الذات ، وهذه النظرية هي التي وضعها كارل روجرز .

نظرية الذات عند كارل روجرز:

يعرف كارل روجرز عادة - بين علماء النفس المحدثين - بطريقةه في العلاج والتي لقيت رواجا كبيرا بين المعالجين النفسيين . وتعرف طريقته باسم « العلاج غير الموجه » ، أو العلاج المتمركز حول الذات ، . وقد بدأت محاولاته الأولى لوضع نظرية في الشخصية أو نظرية في السلوك في مقالة نشرها

(1) Wylie R.C. The Self-Concept. A critical survey of pertinent research literature. Lincoln Nebr. University of Nebraska Press .1961

(١٩٤٧) (١) وفي بعض كتبه (١٩٥١) (٢) وكذلك في المقالة التي نشرها تحت عنوان "نظرية في العلاج والشخصية العلاقات الإنسانية المتبادلة على نحو ما تظهر في إطار العلاج المتمركز حول العميل" (٣) (١٩٥٩).

ومع ذلك لا يعتبر كارل روجرز نفسه قد وضع نظرية محددة في الشخصية. وإذا كان هدفنا هنا هو معرفة رأي روجرز في الذات، إلا أن الأمر يتطلب منا أن نلقي نظرة سريعة على نظريته في العلاج ونفهم الشخصية. يقول روجرز في مقاله التي نشرها بكتاب كوخ (١٩٥٩): "إن هذه النظرية هي من نوع نظريات 'إذا حدث كذا، كان كذا' (If-then)، فإذا وجدت ظروف معينة (متغيرات مستقلة)، إذن سوف تحدث عملية تتضمن عناصر معينة متميزة (متغير تابع). وإذا حدثت هذه العملية التي تصبغ في هذه الحالة متغيراً مستقلاً، إذن فإن تغيرات معينة في الشخصية والسلوك سوف تحدث (متغيرات تابعة). ولكي يحدث العلاج يلزم توافر شروط معينة: وجود علاقة شخص بشخص الأول وهو نسميه العميل، يكون عادة في حالة من الفلق، حساس غير متوافق. أما الثاني والذي نسميه المعالج فهو

-
- (1) Rogers, C. R. Some Observations on the Organization of Personality, Amer. Psychologist, 1947, 2, 358-368.
 - (2) ———. Client-centered therapy: its current practice, implications, and theory. Boston: Houghton, 1951.
 - (3) ———. A theory of therapy: Personality and Interpersonal relationships, as developed in the Client-Centered Framework. In Koch, Sigmund: Psychology: A study of a Science Vol 3. Formulations of the Person and the Social Context. Mc Graw-Hill Book Company Inc, New York 1959. pp. 184-256.

متلائم في علاقته . إن المعالج يحس بأن هذا العميل شخص له قيمته في حد ذاته بلا قيد أو شرط وبصرف النظر عن حالته وسلوكه ومشاعره . ويستطيع المعالج أن يطلق لنفسه العنان في فهم هذا العميل . أما العميل فإنه يمر بخبرة يدرك فيها أنه مقبول بلا قيد أو شرط . وبذلك يمكنه أن يتعرف على عوامل في خبرته أنكرت فيما مضى على الوعي باعتبارها مهددة ومدمرة لبناء الذات . وأثناء إحيائه ومروره بهذه المشاعر الواسعة التنوع بكل درجات شدتها يكتشف أنه يخبر نفسه وأنه هو كل تلك المشاعر . ومن ثم يجد سلوكه يتغير بطريقة بناءة وفقا لهذه الذات التي عاشها من جديد . ففي العلاج المتمركز حول العميل ، يساعد المعالج العميل أن يخبر ذاته ، وأن يحيا مشكلاته بشكل يساعد العميل على أن يضبط ويحل داخل نفسه مشكلاته السيكولوجية الخاصة .

وتمثل نظرية روجرز في الشخصية تركيبة من علم الظواهريات (الفينومينولوجيا) كما قدمها سديج وكومز ، ومن النظرية الكلية والعضوية على نحو ما تظهر كتابات جولد شتين وماسلو وأنجيال ، ومن نظرية سوليفان في العلاقات الشخصية ، ومن نظرية الذات التي ترجع إلى روجرز أساسا والتي يعترف بأنه يدين فيها لفيكسور ريمى (١٩٤٣) (نظريات الشخصية ص ٦١٢) .

وهو في وصفه لسلوك الإنسان ، كان على عكس فرويد ، متفائلا في نظريته ، فروجز يعتقد أن الإنسانية إيجابية تتحرك قدما إلى الأمام ، بناءة ، واثمة ، جذيرة بالثمة . وهذا كله على عكس نظرة فرويد الذي يعتقد أن الإنسان عدواني مضاد للمجتمع يحمل إلى التدمير أو حتى إلى الشر .

وإذا انتقلنا إلى تحديد أكثر فيما يتصل بفكرته عن الذات ، نجد أن للذات عند روجرز تمثل النواة في نظرية الشخصية هذه حتى يمكن القول

بأن نظرية الشخصية المتمركزة حول العميل هي نظرية في الشخصية متمركزة حول الذات ومن الممكن أن نوضح الذات عند روجرز بعرض اثنتين وعشرين قضية صاغها روجرز في سنتي ١٩٥١ ، ١٩٥٩ حيث أورد التسعة عشر قضية الأولى في كتابه العلاج المتمركز حول الذات (١٩٥١) .

بينما وردت الثلاثة الأخيرة منها في مقالته في كتاب كوخ السابق الذكر (١٩٥٩) . ولما كانت الذات هي بمثابة المركز لكل قضية من هذه القضايا ، لذا يمكن النظر إلى نظرية روجرز في الشخصية ، بأنها نظرية في الذات . وكل هذه القضايا تناقش الفرد أو الشخص أو الذات . وفيما يلي قضايا روجرز في الشخصية ومناقشتها باختصار .

١ - يوجد كل فرد في عالم من الخبرة دائم التغير ، هو مركزه . فكل فرد مناحياً في عالم من الخبرة خاص به ، عالم متغير باستمرار . فأن لا تنزل النهر الواحد مرتين ، فإن مياهاً جديدة تجري دائماً من حولك . ووجهة النظر هذه تؤكد بالطبع الاستبطان ، ولذا يطلق البعض على عالم الخبرة عند روجرز بأنه هو « مجال الظاهريات » عند سنيج وكومز ، ولو أن روجرز لا يفترض مثلها أن تدرك جميع الخبرات شعورياً . فهذه الخبرات قد تكون قبشعورية subconscious وعندما تكون الخبرة شعورية فإنها تختص بعالم الرموز . والعالم الخاص بالفرد هو عالم لا يعرفه بمعنى أصبل وكامل إلا الشخص نفسه . ومن هنا فإن الشخص يعتبر هو أحسن مصدر للمعلومات عن نفسه . ولذا فإن المعالج يفيد كثيراً في معرفته لعالم الخبرة الخاص بعمليله إذ هو أخذ يستمع إلى ما يقوله العميل عن خبرات مرت بعالمه الخاص به . ولذا فإن العلاج المتمركز حول العميل الذي يؤكد التسامح والقبول غير المشروط لكل ما يقوله العميل ، يوفر الجو المناسب لتعبير العميل عن خبراته الخاصة بطريقة حرة وصريحة .

٢ - « يستجيب الكائن الحى للمجال كما يخبره ويدركه ، والمجال الإدراكي هو واقع بالنسبة للفرد . والواقع قد يكون تجريداً بالنسبة للفيلسوف أو عالم الميتافيزيقا ، ولكنّه بالنسبة للفرد ، فإن الواقع يخبره ويقتله الفرد بجهازه الإدراكي الخاص . وإذا كان لدى الفرد جهازاً إدراكياً متسقاً بالنسبة له ، فإنه سوف يكون لديه درجة معينة من القدرة على التنبؤ بمكته الاعتماد عليها .

والسؤال الذى يطرح نفسه هو كيف يتمكن الشخص من أن يفرق بين الصورة الذاتية التى تمثل الواقع تمثيلاً خاطئاً ، وتلك التى تمثله تمثيلاً صحيحاً . أى كيف يستطيع الإنسان أن يفصل الحقيقة عن الخيال فى عالمه الشخصى . تلك هى المفارقة الكبرى فى الفينومينولوجيا . ولكن روجرز يزيل هذه المفارقة بأن يتخلى عن الإطار النظرى للفينومينولوجيا الخاصة . فليس كل ما يخبره الشخص ويعتقده هو الواقع بالنسبة إليه ، بل هو مجرد فرض عن الواقع موضوع تحت الاختبار ، قد يتحقق وقد لا يتحقق . ويعلق الفرد الحكم على هذا الفرض حين تحين له فرصة اختباره .

٣ - « يستجيب الكائن الحى إلى المجال الظاهرى ككل منظم .، ويذهب روجرز إلى أن واحدة من أهم الخصائص الأساسية لحياة فرد ما هى نزعة نحو استجابات كلية أو منظمة ، تكون موجهة نحو هدف . والكلبتان «كلية» ، و«منظمة» ، تشيران إلى أهمية دراسة الكائن الحى ككل على نحو ما تراه مدرسة الجشطلت . ومن هنا فإنه يرفض التفسير الذى تقول به نظريه المثير والاستجابة .

٤ - للكائن الحى نزعة واحدة أساسية هى تحقيق وإبقاء وتقوية الكائن الحى الذى يحيا الخبرة . وقد استعار روجرز هذه القضية من صنيع

وكومو . وتشير هذه القضية إلى أن الكائن الحى نظام واحد دينامى يعد الباعث الواحد فيه تفسيراً كافياً للسلوك بأكمله . كما تشير إلى أن الشخصية حين تفصح عن نفسها إنما تشير وفق الخطوط التى تحددها طبيعة الكائن الحى نفسه . فهناك من ناحية قوة دافعة واحدة ، وهناك من ناحية أخرى هدف واحد للحياة . وسوف تشير باختصار فى فقرات خاصة ما يعنيه روجرز بتحقيق الذات وإبقاء الذات وتقوية الذات .

٥ - السلوك فى أساسه محاولة موجهة نحو هدف هو إشباع الحاجات التى يخبرها الكائن الحى فى مجاله كما يدركه ، ويعتقد روجرز أن كل الحاجات مترابطة فيما بينها بشكل أساسى . فرغم وجود حاجات كثيرة متعددة ، إلا أنها جميعها تخدم الزعة الأساسية للكائن الحى لحفظ ذاته وتدعيمها . يضاف إلى ذلك أن الاستجابات ليست للواقع كما يراه الآخرون ، ولكن لإدراك الفرد لهذا الواقع ويذهب روجرز - على نحو ما ذهب البورت - إلى أن الدافعية توجد أساساً فى الحاضر . فليس نمة سلوك سوى ما يواجهه حاجة راهنة .

٦ - ويصاحب الانفعال السلوك الموجه نحو هدف ، ويسهل له مهمته بوجه عام ، فيرتبط نوع الانفعال بتلك النواحي من السلوك التى تمجد فى الطلب ، وذلك مقابل النواحي الاستهلاكية للسلوك . كما ترتبط شدته بمدى الأهمية المدركة للسلوك فى الحفاظ على الكائن الحى وتدعيمه . فالشخصية تحارل إذن لإحداث التكامل بين نوعين من الإنفعالات غير السارة المحتاجة والانفعالات الهادئة والتى تحدث الإشباع والرضا للفرد . ويحدد الإدراك شدة الإستجابة الإنفعالية . فإذا تهددت حياة الفرد بخطر ما ، زادت شدة انفعالاته أما إذا كان الخطر تافهاً فسيفقل الإنفعال بما يتناسب مع الموقف .

٧ — إن أحسن موقع ممكن لفهم السلوك هو من خلال الإطار المرجعي الداخلي للفرد نفسه . فالسلوك الذي قد يبدو غريباً أو لا معنى له في نظر الملاحظ الخارجي ، قد يكون سلوكاً غرضياً وهادفاً إلى حد بعيد بالنسبة للفرد نفسه . وقد تكون هناك مأخذ كثيرة ومشكلات عميقة في الوصول إلى المشاعر الداخلية الاستبطانية لفرد معين . ولكن في حياة كل فرد منا نظائر في حياة الآخرين . ولذا فإن من الممكن أن نستدل من هذه النظائر على السلوك الاستبطاني . ومع ذلك فإن التحيز أو الفكرة المسبقة من جانبنا قد تحطم وتهدم قدرة الفرد على أن يرى داخل الشخص الآخر .

٨ — يتمايز جزء من المجال الإدراكي الكلي بالتدرج لـ يكون الذات . فالذات الظاهرية تمايز من المجال الإدراكي الكلي . والذات هي وعي الفرد بوجوده ونشاطه . ويعتقد روجرز أن من المسائل الصعب دراستها معرفة كيف تنمو الذات . ويذهب أيضاً أننا حتى الآن لم نحرز تقدماً كبيراً في هذا المجال .

٩ -- نتيجة للتفاعل مع البيئة ومع الأحكام التقويمية للآخرين بشكل خاص يتكون بناء الذات من نمط تصوري منظم ، مرن ولكن متسق ، من إدراكات خصائص وعلاقات الـ " أنا " أو " ضمير المتكلم " مع القيم التي ترتبط بهذه المفاهيم . فالخبرة مع الآخرين تساعد الفرد أن ينمي إحساساً بالذات . ويلعب تأثير الآباء في هذه المرحلة دوراً هاماً في بناء الذات .

١٠ — القيم المرتبطة بالخبرات والقيم التي تشكل جزءاً من بناء الذات هي في بعض الحالات قيم يخبرها الكائن الحي بصورة مباشرة . وفي بعض الحالات قيم يستدجها أو يأخذها عن آخرين ، ولكن تدرك بطريقة مشوهة كما لو كانت قد خبرت بطريقة مباشرة . فالخبرات لها قيم . وهذه القيم قد

تتكون خبرات مباشرة ، أو يكتسبها الفرد من الآخرين أو هرة . ولكن
مهما كان مصدرها ، فإنها تنشأ عن الخبرات .

١١ - تتحول خبرات الفرد التي تحدث له في حياته (١) إلى صورة
رمزية تدرك وتنظم في علاقة ما مع الذات . (ب) يتعاملها الفرد حيث
لا تدرك لها علاقة ببناء الذات (ج) يحال بينها وبين الوصول إلى صورة
رمزية أو تعطي لها صورة رمزية مشوهة لأنها لا تتسق مع بناء الذات .
ومرة أخرى تجد أن الذات هي حجر الزاوية للإدراك الشعوري أو الإدراك
الذي هو دون المستوى الشعوري . وبناء الذات الحال هو الذي يحدد نوع
الخبرات التي يمكن للفرد قبولها .

١٢ - معظم طرق السلوك التي يتبناها الكائن الحي هي تلك التي تتسق
مع مفهومه عن نفسه . فالذات تأمل في إبقاء السلوك الذي يتسق وصورة
الذات . ولذا ، فإن أحسن طريقة لإحداث تعديل في السلوك يكون بإحداث
تغيير في مفهوم الذات . وهذا هو ما تحاوله نظرية العلاج المتمركز - حول -
العميل ، أو بعبارة أخرى العلاج المتمركز - حول - الذات .

١٣ - قد يصدر السلوك في بعض الحالات عن خبرات وحاجات
عضوية لم تصل إلى مستوى التعبير الرمزي . ومثل هذا السلوك قد لا يتسق
وبناء الذات ، ولكن في مثل هذه الحالات لا يكون السلوك منتمياً ، للفرد .
فعندما لا يكون السلوك مقيداً أو مضبوطاً ، فقد ينظر إليه على أنه لا ينتمي
إلى الذات .

١٤ - ينشأ سوء التوافق النفسي حين يمنع الكائن الحي عدداً من
خبراته الحسية والحشوية ذات الدلالة من بلوغ مرتبة الوعي . ويؤدي هذا
بدوره إلى الحيلولة دون تحول هذه الخبرات إلى صور رمزية وإلى عدم

انتظامها في جعلت بناء الذات ، ويسبب مثل هذا الموقف قدراً كبيراً أو أساسياً من التوتر النفسى . فالشخصية لا يمكنها أن تحقق نفسها إذا لم تكن الخبرات حقيقية بالنسبة للذات الواقعية .

١٥ - يتوفر التوافق النفسى عندما يصبح مفهوم الذات في وضع يسمح لكل الخبرات الحسية والحشوية للكائن الحى بأن تصبح متمثلة في مستوى رمزى وعلى علاقة ثابتة ومتسقة مع مفهوم الذات . وعلى ذلك فإن التوتر الداخلى يقل حدة عندما يتسكون لدى الشخصية إحساس جديد عن الذات .

١٦ - ندرك أى خبرة لا تتسق مع تنظيم أو بناء الذات كتهديد ، وكلما زاد هذا النوع من المدركات إزداد الجهد في تنظيم بناء الذات حتى يتسنى له المحافظة على بقاءه . فالأحداث التى تهدد الشخصية غالباً ما تجعل الشخصية جامدة ومتصلية .

١٧ - في ظل ظروف خاصة تتضمن أساساً إلتقاء أى تهديد للذات ، يصبح إدراك الخبرات التى لا تتسق مع مفهوم الذات أمراً ممكناً ، كما يصبح من الممكن مراجعة بناء الذات بشكل يسمح بتمثل هذه الخبرات ، وجعلها متضمنة في بناء الذات . والتغير الذى يحدث في الشخصية يلشأ عن تقبل الشخصية لمواجهة جديدة لذاتها إن الاطمئنان الذى يشعر به العميل خلال العلاج المتمركز - حول - الذات ، يسمح له بتنظيم مفهومه عن ذاته والإتساق مع خبرات واقعية ، وبذلك يتمكن من إحداث تعديل في مفهومه عن ذاته .

١٨ - عندما يدرك الشخص ويتقبل في جهاز متسق ومتكامل كل خبراته الحسية والحشوية ، فإنه يصبح بالضرورة أكثر إشباعاً للاختارين

وأكثر تقبلا لهم كأشخاص منفصلين . . وهذه القضية إحدى نتائج العلاج فعندما تنمى الشخصية مفهوما متسقا عن الذات ، فمن شأن ذلك أن ينمى العلاقات الشخصية المتبادلة الطيبة مع الآخرين . وهذه نتيجة طبيعية لما يطرأ على الفرد من تعديل لفكرته عن ذاته وعن الآخرين .

١٩ - عندما يدرك الشخص ويتقبل في بناء ذاته لمزيد من خبراته العضوية ، يكتشف أنه يستبدل جهاز القيم الحالي لديه - وهو قائم في المقام الأول على ما استدججه عن الآخرين وأعطى له صورة رمزية مشوهة - بعملية تقييم متصلة ومستمرة . وعندما يحرز الفرد تقدما ونجاحا وثقة في عملية التقييم ، فإنه يجد أن الأجهزة القديمة لم تعد تنير التهديد ولا لزوم لها .

وفي مقالته التي نشرت بكتاب كوخ السابق الإشارة إليه ، أورد روجرز ثلاثة قضايا أخرى ولكنه لم يصغها بوضوح كاف في صورة قضايا على نحو ما سبق أن رأينا بالنسبة للقضايا السابقة .

٢٠ - هذه القضية تتصل برغبة الفرد وحاجته إلى الاعتبار الاجتماعي . وفي بعض الأحيان تصبح هذه الرغبة أكثر إلحاحا من عملية التقييم العضوية بحيث يسعى الفرد إلى الحصول على تقدير الآخرين أكثر مما يسعى إلى الخبرات التي يقدرها الكائن الحي العضوي فعندما يصبح الاعتبار الاجتماعي مهما بالنسبة للشخصية ، فإنه قد يسيطر على الوظائف والديناميات الداخلية للذات العضوية .

٢٢ - وجد روجرز أيضا حاجة ملحة إلى اعتبار الذات تسير جنبا إلى جنب ، وبشكل متماز مع الحاجة إلى الاعتبار الاجتماعي . فنتيجة لخبرات الذات باشباع أو إحباط حاجاتها إلى الاعتبار الاجتماعي ، يكتسب الفرد حاجة إلى اعتبار الذات ، وتعمل هذه الحاجة مستقلة عن العلاقات مع

الآخرين بحيث يمارس اعتبار الذات في العلاقة بأى نوع من أنواع خبرات الذات .

٢٢ - ونتيجة لقوى وحاجات ومطالب الاعتبار الاجتماعى ، واعتبار الذات ، ينمى الفرد اتجاهها نحو تقدير الذات . وشرط تقدير الذات أنه يساعد الفرد فى هرج ومرج الحياة اليومية . وإحساس الشخصية بأنها جديرة بشئ ما يساعدها على تدعيم الحاجة إلى اعتبار الذات وقدرتها على الحصول على الشعور بالاعتبار الاجتماعى .

والنظرة الفاحصة للقضايا التسعة عشر الأصلية والثلاثة الأخرى المشكلة من شأنها أن تعطى القارئ إحساساً قوياً بالقيمة التى عزاهما ووجرز إلى الذات . فلفظه الذات أو ما يرادفه من ألفاظ أخرى كالفرد أو الشخص أو السكان الحى ، كامن فى هذه القضايا جميعها . ورغم أن روجرز لم يضع قضية محددة يعرف بها الذات - على نحو ما فعل البورت مثلاً فى تعريفه للشخصية - إلا أن من الممكن القول بأن روجرز يدرك اللفظ باعتباره ، الوعى بالكيونة والوظيفة ، . أو أن من الممكن تعريف الذات بأنها ، الأفكار والمشاعر الوجدانية والاشتهاءات التى يدركها الفرد ويفسرهما ويقيمها على أنها تخصه هو .

موضوع تحقيق الذات :

وقد وجد روجرز أن مصطلح ، تحقيق الذات من المصطلحات المناسبة للدinamيات التى تصف الإنسان من بدايته كالأطفال حتى يبلغ مرحلة الرشد . كما رأى بعد ذلك فى تحقيق للذات ، كل العمليات التى يمايز بها الإنسان نفسه عن الآخرين ، ويماييز بها وظائفه العضوية عن وظائفه الاجتماعية ، ويسير فى اتجاه يحمل المسؤولية الذاتية . ولكن قبل أن تستطيع الشخصية القيام بأى شئ ،

عليها أن تبدأ في الواقع وهذا ما يعنيه روجرز بقوله «تحقيق الذات» . وهذا التحقيق للذات يبدأ من البسيط إلى المعقد ، وقد وصف روجرز عملية تحقيق الذات بقوله «إنها الهدف الذي يريد معظم الناس تحقيقه ، فالغاية التي يقبها معظم الناس — عن معرفة أو غير معرفة — هي أن يحقق ذاته» .

والدافع للخلق يبدو فطرياً أو موروثاً . ويبتج عن ذلك أن أعظم شيء يمكن لإنسان أن يخلفه في مدى حياته كلها هو نفسه . والذات هي نموذج الإبداع . ومن الذات التي يخلفها الإنسان من طفولته ، تبرغ كل الأشياء الأخرى التي تعتبر عادة مبدعة : أعمال فنية ، اختراعات ، أنظمة اجتماعية وغيرها . ولكن على الإنسان أن يخلق أولاً ذاتاً قبل أن يخلق أى شيء آخر

موضوع إبقاء الذات :

وما أن تحقق الشخصية ذاتها إلى أقصى ما تستطيع ، حتى يكون عليها أن تستمر في الإبقاء على نفسها . فليس يكفي أن تكون شيئاً ، بل يجب أن تبقى شيئاً .

وفي مستوى إبقاء الذات ، فإن على الفرد أن يفهم ذاته إلى أقصى حد ممكن . فمستوى الإبقاء على الذات يؤدي إلى ثراء ونضج ونضج الشخصية كلها .

وتعمل ديناميات إبقاء الذات من الضغوط أو التوترات السائدة . فعلى عكس ما يذهب إليه فرويد ، يرى روجرز أن السلوك لا يصدر مباشرة عن أشياء حدثت في الماضي ، بل إنه ليس ثمة سلوك إلا وبوجه حاجة راهنة (العلاج المتمركز حول العميل ص ٤٩٢) .

ومع ذلك ، يحذر روجرز ألا تخلط بين الإبقاء على الذات وحفظ

التوازن الداخلي . فهو يرى أن الفرد يتحرك ، أعني أن هناك « مجرى » في رحلة الحياة . وباختصار إن الحياة عملية وليست موضعاً .

وكجزء من عملية إبقاء الفرد لذاته ، فإن الشخصية يجب أن يكون لها انفتاح على الخبرة . فالإنسان بترحيبه للقيام بأشياء جديدة . يمكنه أن يخلق تغذية رجعية بناءً للذات . أما إذا أغفلت الشخصية ثراء عملية الخبرة بالنسبة للذات ، فمن المحتمل أن يخلق لنفسه إطاراً مرجعياً خاطئاً إلى حد بعيد .

موضوع تقوية الذات .

وما أن يرغب الفرد في تحقيق ذاته والإبقاء عليها ، حتى يرغب في تقوية ذاته . فالحياة هي أكثر من مجرد الحصول على ما لدينا والاحتفاظ به . فالفرد يريد أيضاً أن يتجاوز حدود الوضع الراهن . وقد استعار روجرز اصطلاح أنجىال Angyal في تقوية الذات ،

ولا تتحقق تقوية الذات بسهولة وبساطة ، وإنما تكون نتيجة الصراع والجهد والالم . إنها عملية تراجع وتقدم وتراجع وتقدم وهكذا ، إنها عملية فقد وكسب لأهداف الفرد .

ويذهب روجرز إلى أن من مزايا الفرد هو أن يقوى ذاته . فالإنسان يجب أن يكون أكثر من إنسان آلى . وقد ركز روجرز في مقالة له (١) (١٩٦١) على السعى القوي للفرد نحو الحرية ، وذلك من أجل تقوية ذاته أو شخصيته وهو يرى أن من الخطورة القول

(1) Rogers, C. The place of the person in the new world of the Behavioral Sciences, Personnel and Guidance Journal 1961, 39, 442-451.

يتمكن التنبؤ أو ضبط الشخصيات الإنسانية في المستقبل . ويقطع
دوجرز في ختام مقالته هذه : « ... يمكننا تفضيل استعمال العلوم
السلوكية في الأساليب التي سوف تكون حرة ، وليست قيداً ، والتي
سوف تؤدي إلى التنوع البناء ، وليست المسيرة ، والتي تنمي الإبداع
وليس القنصاعة والرضا ، والتي تسهل لكل شخص عملية توجيهه الذاتي
لصيرورته ونموه ، والتي سوف تساعد الأفراد والجماعات - وحتى مفهوم
العلم - أن يصبح أكثر سمواً وبأحدث الطرق التوافقية في مواجهة الحياة
ومشكلاتها (ص ٤٥١) .

المراجع العربية

- ١ - أحمد زكي صالح : علم النفس التربوي ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦
- ٢ - أحمد عكاشة : علم النفس الفسيولوجي : القاهرة : دار المعارف بمصر ١٩٦٨ .
- ٣ - السيد محمد خيرى : الإحصاء في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية . القاهرة . دار الفكر العربى ١٩٥٦
- ٤ - أيزنك هـ . الحقيقة والوهم في علم النفس . ترجمة تدرى حنفى ورؤوف تظمى . القاهرة . دار المعارف بمصر ١٩٦٩
- ٥ - رمزية الغريب . التعلم ، دراسة نفسية تفسيرية توجيحية . القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٧
- ٦ - سيد محمد غنيم : اللغة والفكر عند الطفل . الكويت . عالم الفكر المجلد الثانى . العدد الأول ابريل - يونيو ١٩٧١
- ٧ - سيد محمد غنيم : النمو العقلى عند الطفل في نظرية جان بياجيه . القاهرة . حويلات كلية الآداب جامعة عين شمس . العدد ١٣ سنة ١٩٧٢
- ٨ - سيد محمد غنيم ومحمد عصمت المعايرجى . اختبار الشخصية السوية . القاهرة . مكتبة النهضة العربية ١٩٦٤
- ٩ - سيد محمد غنيم وهدى عبد الحميد براده : الإختبارات الإسقاطية . مكتبة النهضة العربية ١٩٦٤
- ١٠ - سيد محمد غنيم وهدى عبد الحميد براده : التشخيص النفسى . دراسات في اختبار رورشاخ القاهرة : مكتبة النهضة العربية ١٩٦٥

- ١١ — عبد العزيز القوصى : أسس الصحة النفسية . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧ .
- ١٢ — عبد العزيز القوصى : علم النفس . أسسه وتطبيقاته التربوية . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٤ .
- ١٣ — فؤاد البهى السيد : علم النفس الإحصائى وقياس العقل البشرى . القاهرة . دار الفكر العربى ١٩٥٨ .
- ١٤ — لويس كامل مليكة : مقياس الفصام فى اختبار الشخصية المتعدد الأوجه . القاهرة . مطبعة دار التأليف ١٩٦٠ .
- ١٥ — لويس كامل مليكة : مقياس الانقباض فى اختبار الشخصية المتعدد الأوجه . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦ .
- ١٦ — لويس كامل مليكة : مقياس الانحراف السيكوباتى فى اختبار الشخصية المتعدد الأوجه . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦ .
- ١٧ — لويس كامل مليكة : مقياس المستيريا فى اختبار الشخصية المتعدد الأوجه . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧ .
- ١٨ — لويس كامل مليكة ومحمد عماد اسماعيل وعطيه محمود : اختبار الشخصية وقياسها . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩ .
- ١٩ — محمد عماد اسماعيل : الشخصية والعلاج النفسى . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩ .
- ٢٠ — محمد لبيب النجيمى : الأسس الاجتماعية للتربية . القاهرة . مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٢ .
- ٢١ — محمود الزبادى : علم النفس الأكلينكى : التشخيص . القاهرة . مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٩ .

٢٢ - مصطفى سويف : علم النفس الحديث : ١٠٠ حالة ونماذج من دراساته
القاهرة . مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٧

٢٣ - نجيب اسكندر ابراهيم ولويس كامل مليكة ورشدي فام منصور
الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي . القاهرة مؤسسة المطبوعات الحديثة
١٩٦١ .

٢٤ - هول . ك لندزي ج : نظريات الشخصية ترجمة فرج أحمد فرج
وقدري محمود حفي ولطفى محمد فطيم . القاهرة . الهيئة المصرية العامة
للتأليف والنشر ١٩٧١

- Wenar, C. : Personality development from infancy to adulthood.
Boston Houghtons Mifflin, 1971.
- Whiting, J.W.M. and Child, I.L. Child training and Personality.
New Haven: Yale University Press, 1953.
- Wolpe, J. : Psychotherapy by reciprocal inhibition. Stanford.
Stanford University, Press, 1958. .
- Wolpe, J. : Psychotherapy based on the principle of reciprocal inhibition. In A. Burton. (Ed) case studies in Counseling and Psychotherapy. Englewood Cliffs. New Jersey. Prentice Hall, 1959.
- Wylie, Ruth. C. : The Self-concept. A critical survey of pertinent research literature. Lincoln. Nebr. University of Nebraska Press. 1961.
- Wylie, Ruth, C. : The present status of self-theory. In E.F. Borgatta and W.W. Lambert. (Eds). Handbook of personality theory in research. Chicago : Rand-McNally, 1968.

- Spranger S.T. Types of Men. Halle. Niemeyer. 1928.
- Spitzer, S.T. : The Sociology of Personality. New York. Van Nostrand Reinhold 1969.
- Stagner, R. : Psychology of Personality, New York McGraw-Hill 3rd ed. 1961.
- Storr, A. : The integrity of the personality, Penguin Books 1963.
- Strong, E.K. and Campbell, D.P. Manual of Strong Vocational Interest Blanks. Stanford Calif. Stanford University Press, 1966.
- Sullivan, H.S. : The Interpersonal Theory of Psychiatry. New York. Norton 1953.
- Symonds, P.M. : Diagnosing personality and conduct. New York. Appleton Century 1931.
- Thorndike, E.L. : Heredity and Environment. Engenical News 1944. 29. 39-45.
- Thorpe, L.P. and Schmuller A.M. Personality : An interdisciplinary Approach. New Jersey, D. Von Nostrand. 1965.
- Vandenberg, S.G. : Hereditary factors in normal personality traits (as measured by Inventories). In Wortis J. (Ed.) Recent advances in biological psychiatry, New York. Plenum 1967. pp. 65-104.
- Warr, P.E. (Ed). Thought and Personality. Penguin Books 1970.
- Warren, H.C. (Ed). Dictionary of Psychology. Boston. Houghton. Mifflin 1934.
- Way, L. : Alfred Adler. An Introduction to His Psychology. Penguin Books 1956.
- Welsh, G.S. and Dahlstrom, W.G. (Eds) Basic readings on the MMPI in psychology and medicine. Minneapolis : University of Minnesota Press, 1956.

- Rogers, C.R. : The Place of a person in the new world of a behavioral Sciences. *Personnel and Guidance Journal* 1961. 39. 442-451.
- Rogers, J.W. : The Biological Approach to the study of personality. In James A. Dyal. *Readings in psychology : Understanding Human behavior*. New York McGraw-Hill. 2nd ed. 1967.
- Rorschach, H. : *Psychodiagnostics* (P. Lemkau and B. Kronenberg, trans). 2nd ed. Bern, Huber, 1942.
- Sanford, N. : Personality. Its place in psychology. In Koch Sigmund (Ed). *Personality. A study of a Science*. Vol. 5. New York. McGraw-Hill, 1959.
- Sarason, G.I. : *Personality. An objective Approach*. New York. Wiley 2nd ed. 1972.
- Sears, R.R. : Maccoby, Elcanor, E. and Levin, H. *Patterns of child rearing* Evanston, Illinois : Row, Peterson 1957.
- Semconoff, B. (Ed). *Personality Assessment*, Penguin Books 1970.
- Seward, J.P. : The structure of Functional Autonomy. *American Psychologist*. 18, 703-710.
- Sheldon, W.H. : *Varieties of Human Physique*. New York. Harper. 1940.
- Sheldon, W.H. : *Varieties of Temperament* New York Harper 1942.
- Sheldon, W.H. : *Constitutional Factors in Personality*. In J. McV. Hunt : *Personality and the behavior disorders*. New York. The Roland Press Company Vol. 1. 1944.
- Snygg, D. and Combs, W : *Individual behavior*. New York. Harper 1949.
- Sontag, L.W., Barker, C.T. and Nelson, V.L. *Mental Growth and Personality development a longitudinal study*. *Monogr. Soc. Res. child Development* 1958. 23. No. 68.

- Murstein, B.I. (Ed.) Handbook of Projective Techniques. New York. Basic Books, 1965.
- Naccarati, S. : The morphologic aspects of Intelligence. Archives of psychology. 192. 6. 1-44.
- Newman, H.W., Freeman, F.N. and Holzinger, K.L. : Twins, a study of heredity and environment. Chicago. Univer. of Chicago Press, 1937.
- Orlansky, H. : Infant care and personality. Psychol. Bull. 1949. 46. 1-48.
- Oss Assessment Staff : Assessment of Men. New York, Rinehart and Company, 1948.
- Prince-Williams, D.R. : Cross-cultural Studies. Penguin Books 1969.
- Reeves, J.W. : Body and Mind, in Western Thought. Penguin Books, 1958.
- Rheingold, H.L. : The effect of environmental stimulation upon social and exploratory behavior in the human infant. In B.M. Poss (Ed). Determinants of Infant Behavior New York: Wiley 1961. pp. 143-171.
- Ribble, Margaret, Infantile Experiences in relation to personality development. In McV. Hunt. Personality and behavior disorders. Vol. 1. New York. The Ronald Press. Company, 1944.
- Rogers, C.R. : Some observations on the Organization of personality. Amer. Psychologist. 1947. 2. 358-368.
- Rogers, C.R. : Client-centered Therapy; its current practice, implications and theory. Boston : Houghton, 1951.
- Rogers, C.R. : A theory of therapy. Personality and interpersonal relationships as developed in the client-centered Framework. In. Koch Sigmund Psychology. Study of a Science. Vol. 3. Formulations of the Person and the social context. New York McGraw-Hill 1959.

- Marlowe, D., and Gergen, K.J. : Personality and social interaction. In G. Lindzey and E. Aronson : The Handbook of Social Psychology (2nd ed). vol. 3. Reading. Mass. Addison-Wesley, pp. 590-665.
- Maslow, A.H. : Motivation and personality (2nd ed). New York. Harper and Row, 1970.
- Maslow, A.H. : Personality problems and personality growth. In C.G. Moustakas (Ed). The Self, Explorations in personal growth. New York. Harper, pp. 232-256.
- McClelland, D. : Personality. New York. William Sloane Assoc. 1951.
- Mead, G.H. : Mind, self and society. Chicago. Univer. of Chicago Press, 1934.
- Mill, J.S. : An Examination of Sir William Hamilton's Philosophy. London. Longmans, Green, 1865.
- Miller, N.E. : Liberalization of basic S-R. Concepts : Extensions to Conflict behavior, motivations and learning. in S. Koch (Ed.) Psychology, a study of Science, Vol. 2. New York McGraw-Hill 1959.
- Mischel, W. : Personality and assessment, New York, Wiley, 1968.
- Mower, O.H. : Learning theory and personality dynamics : Selected papers. New York, Roland, 1950.
- Murphy, G. : Personality, A Biosocial Approach to origins and Structure. New York. Harper and Brothers Publishers 1947.
- Murphy, G. and Jensen, E. Approaches to personality. New York. Coward-McCann. 1932.
- Murray, H.A. : Explorations in personality. New York. Oxford Univer. Press, 1938.
- Murray, H.A. : Thematic Apperception Test. Cambridge. Mass. Harvard nUniver. Press, 1943.

- Kuder, G.F. : Kuder General Interest Survey. Manual. Chicago. Science Research Associates 1964.
- Lacey, J.I. and Van Leu, Ruth. Differential emphasis in somatic response to Stress. *Psychosom. Med.* 1952. 14. 71-81.
- Lanyon, R.J. and Goodstein, L.D. Personality assessment. New York. John Wiley, 1971.
- Lazarus, R.S. : Adjustment and Personality, New York. McGraw-Hill 1961.
- Lazarus, R.S. and Opton Jr. E. (Eds.) : Personality. Penguin Books 1970.
- Levy, L.H. Conceptions of personality : Theories and Research. New York, Random House 1970.
- Lewin, K. : The Dynamic Theory of personality. New York. McGraw-Hill 1935.
- Lewin, K. : Field theory in social Science. New York Harper. 1951.
- Lindesmith A.R. and Strauss, A.L. A critique of culture personality writings. *Amer. Social. Res.* 1950. 15. 587-600.
- Linton, R. : The cultural Background of personality, New York. Appleton, Century Crofts, 1945.
- Liversedge, L.A. and Sylvester, J.D. : Conditioning techniques in the treatment of writer's cramps. *Lancet.* 1955. 1. 1147-1149.
- Lowe, G.R. : The Growth of Personality from Infancy to Old age. Penguin Books 1972.
- Lyons, J. : Psychology and the measure of Man. New York, Free Press, 1963.
- MacKinnon, D.W. : The Structure of personality. In McV. Hunt. Personality and the behavior Disorders. vol. 1. New York. The Ronald Press. Company, 1944.

- Jones E. the Life and the work of Sigmund Freud. New York. Basic Books 3, vols. (1952-1957).
- Jones, H.G. : The application of Conditioning and learning techniques to the treatment of psychiatric patient. J. abnorm. soc. Psychol. 1956. 51. 414-419.
- Jones, Mary. A laboratory study of fear. The case of Peter. J. genet. Psychol. 1924, 31, 308-315.
- Jung, C.G. Modern man in Search of a Soul. New York. Harcourt. Brace and World 1933a.
- Jung, C.G. : Psychological Types. New York, Harcourt. Brace and World 1933 b.
- Kardiner A. : The Individual and his society. New York Columbia. Univer. Press 1939.
- Kempf, E.J. : Autonomic functions and the Personality. New ment. Dis. Monog 1919. no. 28.
- Kessen, W. : Comparative personality development. In. E.F. Borgatta and W.W. Lambert. (Eds.) Handbook of personality theory and research. Chicago. Rand-McNally 1968. pp. 365-410.
- Kimble, A.G. Hilyard and Marquis. Conditioning and Learning. New York. Appleton-Century Crofts Inc. 2nd ed. 1964.
- Kleinmuntz, B. : Personality Measurement. An introduction. Homewood, Illinois Dorsey Press. 1969.
- Klopfer B. and Davidson H.H. : The Rorschach Technique. An introductory manual. New York Harcourt, Brace and World, 1962.
- Kluckhohn C. and Kelly W. : The Concept of Culture. In Linton R. (Ed.) The Science of Man in the World Crisis. New York. Columbia Univer. Press 1945.
- Kluckhohn, C., Murray H.A. and Schneider D.M. Personality in nature, Society and Culture. New York, Knopf, 1953.

- Guilford, J.P. : Personality. New York. McGraw-Hill. 1959.
- Guilford, J.P. and Zimmerman, W.S. Fourteen dimensions of temperament. Psychological Monographs 1956, 70 N. 10.
- Guthrie E.R. : Personality in terms of associative learning. In McV. Hunt. Personality and Behavior disorders. New York. Ronald, 1944.
- Hall, C.S. : Temperament : A survey of Animal studies. Psychol. Bull. 1941. 38. 909-943.
- Hall, C.S. : A premier of Freudian Psychology. World Publishing Co. 1954.
- Hall, C.S. and Lindzey G. Theories of personality (2nd ed). New York, Wiley, 1970.
- Heidbreder, Edna. Intelligence and the height-weight ratio. J. of Applied Psychol. 1926. 10. 52-62.
- Herzberg, F. and Bouton, A. A further study of the stability of the Kuder Preference Record. Educational and Psychological Measurement, 1954. 14, 326-331.
- Horney, Karen : Neurotic personality of our times. New York, Norton 1937.
- Horney, Karen : New ways in psychoanalysis New York, Norton. 1939.
- Horney, Karen : Neurosis and human growth, New York. Norton, 1950.
- Hoskins, R.G. : Endocrinology, New York, Norton 1941.
- Hull C. et al: Mathematico-deductive theory of rote learning. New Haven Yale University.
- Johada Marie and Warren N. (Eds) Attitudes Penguin Books 1970.
- Janoff, I.Z. et al. The relation of somatotype to reaction time, resistance to pain, and expressive movement. J. Personality, 1950. 18, 454-460.

- Freud, Anna. : The Ego and the mechanisms of defense. New York, International Universities Press 1946.
- Freud S. : The ego and id. London, (1923), Hogarth. 1947.
- Freud, S. : Beyond the pleasure principle. New York. Liveright, 1950.
- Freud, S. : Psychopathology of everyday life. (1904) New York. New American Library 1951.
- Freud, S. : The interpretation of dreams. (1900). London, Hogarth, 1953.
- Fromm, E. : Escape from Freedom, New York, Rinehart, 1941.
- Fromm, E. : Man for himself, New York, Rinehart, 1947.
- Fromm E. : The sane society, New York : Holt, Rinehart and Winston 1955.
- Ganz M. : The Psychology of Alfred Adler and the development of the child. Routledge and Kegan Paul, 1953.
- Gergen K.J. : The Concept of Self. New York, Holt, Rinehart and Winston 1971.
- Gilbert, G.M. : Personality Dynamics. A Biosocial Approach. New York, Harper and Row, 1970.
- Goldfarb W. : Effects of early institutional care on adolescent personality. J. exp. Edn. 1943. 12, 106-129.
- Goldman-Eisler, Frieda. The problem of orality and its origin in early childhood. J. ment. Sci. 1951. 97. 765-782.
- Goodstein L.D. and Lanyon R.I. (Eds). Readings in personality assessment. New York, John. Wiley, 1971.
- Gardner R.W. and Moriarty, A. Personality development at pre-adolescence. Seattle : University of Washington Press. 1968.
- Guilford J.P. : Fundamental statistics in psychology and education New York, McGraw-Hill 1942.

- Eysenck, H.J. : The Scientific Study of Personality. New York. Macmillan 1952.
- Eysenck, H.J. : The Psychology of Politics. London, Routledge 1954.
- Eysenck, H.J. : Cortical inhibition, figural after-effect and theory of Personality. J. abnormal. soc. Psychol. 1955-51, 94-106.
- Eysenck, H.J. : The inheritance of extraversion-introversion. Acta Psychol. 1956, 12, 95-110.
- Eysenck, H.J. : Handbook of Abnormal Psychology. New York. Basic Books 1961.
- Eysenck, H.J. : Fact and Fiction in Psychology. Penguin Books 1965.
- Eysenck, H.J. : The Biological basis for personality. Springfield, Illinois. Charles C. Thomas 1967.
- Eysenck, H.J. : The Structure of Human Personality, London, Methuen 1970.
- Ferguson W.L. : Personality Measurement, New York, Graw-Hill 1952.
- Fillo, J.C. : La Personnalité. Que sais-je ? No. 758. Presses Universitaires de France 1959.
- Flavell J.H. : The developmental psychology of Jean Piaget. Princeton. Von Nostrand 1963.
- Fordham, Frieda : An Introduction to Jung's Psychology. Penguin Books 1959.
- Frank L.K. : Projective Methods. Springfield Illinois. Charles C. Thomas 1948.
- Freeman G.L. : Energetics of Human Behavior. Ithaca. New York. Cornell Univers. Press. 1948.
- Freeman S.F. : Theory and Practice of psychological Testing. New York. Holt, Rinehart and Winston 3rd ed. 1962.

- Chen, I. : The awareness of self and the structure of the Ego. Psychol. Rev. 1944. 51. 304-314.
- Child, L. : The relation of Somatotype to Self-Ratings on Sheldon's Temperament Traits. Journal of Personality 1949. 50. 440-453.
- Cronbach, L.J. : Essentials of Psychological Testing (3rd ed.) New York, Harper and Row, 1970.
- Darlington, C.D. : Genetics and Man. Penguin Books 1966.
- Darrow, C.W. : Reaction tendencies relating to Personality. in K.S. Lashley : Studies in the dynamics of Behavior. Chicago. Univer. of Chicago Press. 1932.
- Deutch, M. Field theory in social Psychology. In G. Lindzey and E., Aronson (Eds.) Handbook of social psychology. Vol. 1. Reading, Massachusetta.. Addison-Wesley. 1968. pp. 412-487.
- Dewey, J. : Human nature and Conduct. New York. Modern Library 1950.
- Dittes, J.E. Extinction during Psychotherapy of G.S.R. accompanying embarrassing statements, J. abnorm. soc. Psychol. 1957. 54. 187-191.
- Dittes, J.E. Galvanic Skin Responses as a measure of patient's reaction to therapist's permissiveness. J. abnorm. soc. Psychol. 1957. 55. 295-303.
- Dollard, J. et al. Frustration and Aggression. New Haven. Conn. Yale Univer. Press. 1939.
- Dollard, J. and Miller, N.E. Personality and Psychotherapy. New York. McGraw-Hill 1950.
- Du Bois, P.H. A., history of psychological testing. Boston: Allyn and Bacon : 1970.
- Erikson E.H. : Childhood and Society. New York. Norton 1950.
- Eysenck, H.J. : Dimensions of Personality, London. Routledge 1947.

- Bandura, A. : Principles of behavior modification. New York. Holt. Rinehart and Winston 1969.
- Baughman, E.E. and Welsh, G. Personality : A behavioral Science. New Jersey Prentice-Hall Inc. 1962.
- Bergin, A.E. and Garfield, S.L. (Eds) : Handbook of psychotherapy and behavior change. An empirical analysis. New York. Wiley 1971.
- Berman, L. : The Glands regulating Personality (2nd ed.) New York MacMillan, 1928.
- Berman, L. : New Creations in human beings. New York. Doubleday 1988.
- Bischof, L.J. : Interpreting personality theories. New York, Harper and Row 1964.
- Borgatta, E.F. and Lambert, W.W. (Eds.) Handbook of personality theory and research. Chicago. Rand. McNally 1968.
- Brody, Sylira : Patterns of mothering : maternal influence during infancy. New York. International Universities, 1956.
- Burks, B.S. and Roe, A., Studies of Identical twins reared apart. Psychol. Monogr. 1949. 63. No. 5.
- Campbell, D.T. : The indirect assessment of social attitudes. Psychol. Bulletin 1950. 47. 15-38.
- Cattell R.B. : Personality New York McGraw-Hill 1950.
- Cattell R.B. : Personality and Motivation : Structure and Measurement. New York. Harcourt Brace and World 1957.
- Cattell, R.B. : The Scientific Analysis in Personality. Penguin Books 1967.
- Cattell, R.B., Duncan, B. Blewett, B., Beloff, J. : The inheritance of personality. A multiple variance determination of approximate nature-nurture ratios for primary personality factors in Q-data. Amer. J. hum. Genet. 1955. 7. 112-146.

المراجع الأجنبية

- Adler, A. : Understanding Human Nature. New York. Fawcett Publications, Inc., Greenwich, Conn. 1965.
- Adler, A. : The Science of Living. New York. Chilton, 1929.
- Allport, F. : Social Psychology, Boston, Houghton Mifflin, 1924.
- Allport, G.W. : Personality : a psychological Interpretation. New York, Holt, Rinehart and Winston 1937.
- Allport, G.W. Becoming : Basic considerations for a psychology of personality New Haven. Conn. Yale Univers. Press 1955.
- Allport, G.W. : Personality and social Encounter. Boston. Beacon Press 1960.
- Allport, G.W. : Pattern and Growth in Personality. New York. Holt, Rinehart and Winston, 1961.
- Anastasi, Anne : Psychological Testing. New York. The MacMillan Company 3rd ed., 1968.
- Angyal A. : Foundations for a Science of personality. New York Commonwealth Fund 1941.
- Antony E.J. and Koupernik, C. (Eds.) The Child and his family. New York Wiley-Interscience. 1970.
- Bachrach, J.A. : Some applications of operant Conditioning to behavior therapy. In Wolpe J., Joseph; Salter ; Andrew and Regna L.J. (Eds.) The Conditioning Therapies. New York. Holt. Rinehart and Winston 1964.
- Bales. R.F. : Personality and Interpersonal Behavior. New York. Holt. Rinehart and Winston 1970.
- Bandura, A. Psychotherapy as a learning Process. Psychol. Bull. 1961. 58. 143-159,



المعهد العالي للدراسات الإسلامية

